يوم الوفاء
دار سعاد الصباح
2024

عبد الحسين شعبان

جمر الحروف

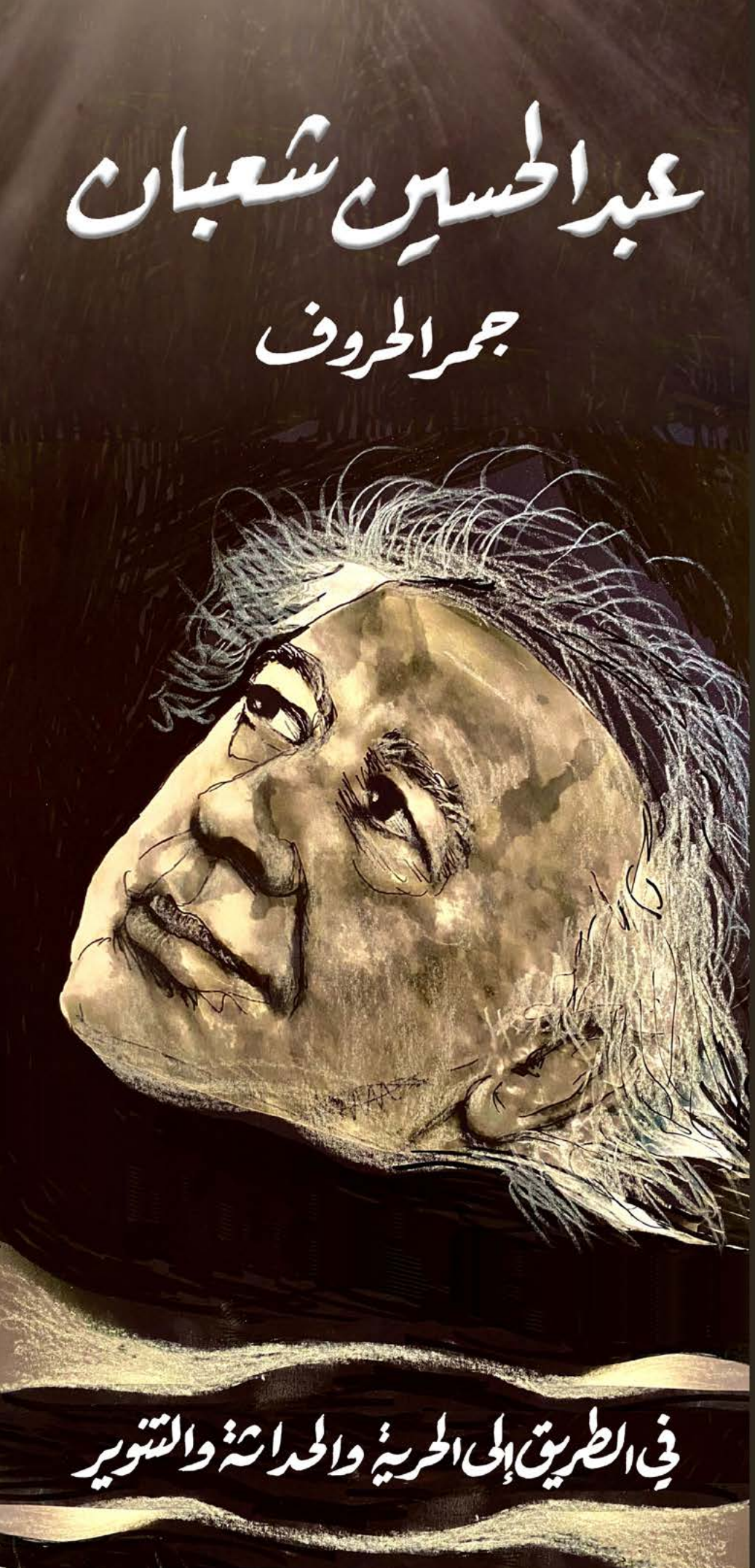

إشراف

سعاد محمد الصباح

إعداد:

هيئة تحرير

دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع

في الطريق إلى الحرية والحداثة والتنوير

دار سعاد الصباح
للثقافة والإبداع

يوم الوفاء
دار سعاد الصباح
2024

عبد الحسين شعبان

جمر الحروف

في الطريق إلى الحرية والحداثة والتنوير

كتاب تكريمي تصدره دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع

إشراف

د. سعاد محمد الصباح

دار سعاد الصباح
للثقافة والإبداع

الناشر

دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع

ص ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه أو ترجمته بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

الطبعة الأولى 2024

الترقيم الدولي: 978-99906-2-170-9

إدارة التحرير
علي المسعودي

مراجعة وتدقيق
وائل أحمد حمزة

تصميم وتنفيذ
نايف بن شكر

متابعة
سحر حلمي

علاقات عامة
عايد العنزي

- لوحة الكتاب بريشة الفنان الطبيب علاء بشير
- أرشيف سوزان أبو حسن

عبد الحسين شعبان

جمر الحروف

في الطريق إلى الحرية والحداثة والتنوير

يوم الوفاء.. وتجليات الفكر النهضوي

د. سعاد محمد الصباح

في مسيرة الفكر العربي الناصع تساؤلات مُهمّة وشائكة تشوب منهجه أحياناً؛ تضفي عليه شيئاً من الضبابية، وتزيده وضوحاً أحياناً أخرى وفق حيثيات الأسئلة المطروحة وسائلها وحاملها..

فمن متطلبات الحكمة في العمل الفكري الحر أن يكون مَن يقولُ به متخلصاً من أهوائه الشخصية، مُتحلّياً بالنكران الإيجابي للذات، مُقْصِياً جمود التعصب الفكري، مُتأقلماً مع الزمن ومتطلبات العصر، يحسب حساب الظروف ومتغيراتها لتحديد رؤيته الآنية والمستقبلية، بعدم تَجاهل الثوابت الفِكرية والاجتماعية وما يدور في فلكها

ولهذا كانت الحاجة لوجود مفكّرين عرب مُلحَّة جداً في عصر كثُر فيه المتكلمون، وازدحمت الطاولات بميكروفونات القنوات، وتكاثفت الأضواء حتى كادت الرؤية تضيع

واليوم نحن أمام قامة من قامات الفكر العربي، نُشرِّع لها قلوبنا تحية وتكريماً واحتفاء في زمن أصبحت الأمة فيه تأكل أبناءها.. برغم كل ما تُقدِّمه من مبدعين هنا وهناك، في مراكز الثقافة الحزينة التي انشغلت بصراعاتها، ودخلت دوامة الاتهامات المتبادلة ونفي التعصّب بالتعصب، ومعالجة التطرّف بالتطرّف، وبالأطراف التي عانت من هذا المسمّى المجحف والإضاءة الخافتة التي توفرت لها

لقد كانت الروافد العذبة والتاريخية المتجلّية في أنهار: النيل، الفرات، ودجلة، والعاصي.. سخية في عطاءاتها، إذ تكاثف حولها الناس، لتشكّل حاضنة لنماء فكري حضاري غير مسبوق، تكوّنت على أثرها تلك العقول النيرة والأيدي المنتجة

وها نحن اليوم، ومن خلال مبادرة (يوم الوفاء)، نستقبل أحد عطاءات نهر الفرات السخية، متمثلاً بالمفكر العراقي الدكتور عبدالحسين شعبان.. استكمالاً لما بدأناه منذ مطلع التسعينيات، تنفيذاً لخطٍّ رسمه الراحل الكبير سمو الشيخ عبدالله مبارك الصباح طيب الله ثراه، حين اقترح تكريم المفكّرين العرب في حياتهم، كسراً للعادة المحزنة التي اعتدناها وورثناها بعدم تكريم أهل العطاء إلا بعد رحيلهم عن الدنيا، ليختلط التأبين بالتكريم، ونركض لمصافحة يدٍ ملفوفة بكفنها

كانت نظرة ثاقبة من المغفور له بإذن الله وجب تنفيذها فوراً، فبدأنا برجل التنوير في

الكويت الأستاذ عبدالعزيز حسين حين ذهبنا إليه في بيته الدافئ، فاستقبلنا برحابته التي نعرف.. ثم تحرك القطار نحو الدول العربية: رحلة طويلة شملت شاعر البحرين الكبير الأستاذ إبراهيم العريض، وشاعر الأجيال الأستاذ نزار قباني في سوريا، ورائد حركة التنوير والدبلوماسي والعسكري والمفكر د. ثروت عكاشة في مصر، وصاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبدالله الفيصل في المملكة العربية السعودية، والكاتب والمناضل والمفكر د. عبدالكريم غلاب في المغرب، والإعلامي والدبلوماسي الأستاذ غسان تويني في لبنان، والعالم الفلكي الكويتي د. صالح العجيري ، والمفكر المعروف د. الحبيب الجنحاني في تونس، والأديب والمفكر إبراهيم الكوني في ليبيا ، ثم الرائدة و البرلمانية والمبدعة د. زهور ونيسي في الجزائر.

وها هو اليوم يقف في محطة جديدة عريقة هي العراق، تكريماً لهذه القامة الفارعة في عطاءاتها الإنسانية والحقوقية والأدبية.. مشكلاً أنموذجاً فكرياً متجدداً، واعياً رافضاً للانغلاق، مُرحِّباً بكل بشارات التجديد في الفكر والإثراء الفكري والمعرفي بطريقة مستدامة

عبدالحسين شعبان مفكّر انشغل بمَهمة تحويل مشكلات الإنسان من حقل الاحتمال والحدث والظن إلى المجال الذهني الواقعي: المرتكز على معطيات منطقية .. بعيداً عن ذلك النوع المحكوم بفكر قديم يتبنى مواقف حادة رافضة لأطروحات المفكرين المجددين، متناسياً أو ناسياً أن التطور أمر يُحتّمه القانون الطبيعي للزمن بصفة عامة من حيث مواكبة واستيعاب متغيرات الحياة وتجدد أفكار الشباب في كل عصر، مما يستوجب تتبع مسار هذه الحركة والكشف عن الجوانب التي أتت عليها

تنطلق أهمية الدكتور شعبان من أهمية اشتغاله الفكري، وما قام به من تغلغل في طبقات النصوص التراثية للحضارة العربية، عاملاً على تفكيك ما تجمع من الركام الميثولوجي الذي كان شاهداً على استقالة العقل.. في ظروف تستوجب محاكمة هذا الإرث الطويل المنقول بلا سند، والمعتمد على أقاويل واجتهادات أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، فمن غير هذا الفعل لا يمكننا معرفة طريق الحق الناصع الذي تكدس حوله غبار الخرافات، ليتم بناءً على ذلك تحديد الموقف من الحاضر والمستقبل، نافياً للجدل المثار حول شكل الحلول المفترضة لقضايا الراهن.

وعلى منهج عصر التنوير الأوروبي القائم على كتابة فلسفية تستقطب جمهوراً ثقافياً واسعاً نحو الإبداع الأدبي، قدّم د.شعبان أطروحات تأسيسية رائدة في النقد الثقافي والاجتماعي

والقانـوني، واهبـاً المجتمـع خارطـة طريـق لما يجـب أن يكـون عليـه.. نائيـاً بنفسـه عـن تبجيـل الغـرب وعـن التغريـب كذلـك، مما هيـأ عمـق تلـك المراجعـات، وأشـكال الإفصـاح عنهـا، فـكان هادئـاً ومنطقيـاً، كأنمـا يضـع قدميه على قاعـدة المقدمات التـي تبتلعها نتائجهـا.. إذ إن العقل لا ينتقـل مـن مقدمـة إلى نتيجـةٍ إلا إذا كان لديـه مُبرِّر يجعـل من تلك المقدمة صالحـة فعلاً لتوليد تلـك النتيجـة، وهـذا المبرر هـو مـا نسـميّه منهجاً

وإزاء المآزق النهضويـة التـي تعيشـها المنطقـة العربيـة تخـرج أصـوات ترمـي تهمـة التعطيـل على المثقـفين العـرب، ترشـقهم بصفة الخمول أو اللامبـالاة أو التعالي والانعزاليـة وتجاهل هموم النـاس.. وربمـا الانصهـار في أدلجـة ما، مما يعيـد الانتباه إلى مدى انتماء المثقـف لمجتمعه والمهمة المنـوط بهـا لإحـداث تغـيير مـا، يحقق النهضـة المرجـوّة في أوطان تنظـر إلى مفكريها بـعين الأمل وإلى مسـتقبلها بـعين الوجل

يمثـل المحتفـى بـه في هـذه الـدورة عـلَماً بارزاً مـن رواد الدفاع عـن حقوق الإنسـان في العراق والوطـن العـربي.. باعتباره سـمفونية الفكر المتنور، وبسـتان الثقافـة المتجدد

شـغل حياتـه بقضايـا الحداثة والديمقراطيـة والإصلاح والمجتمـع المدني، وتجديـد الفهم لقضايا حقـوق الإنسـان ونشر ثقافـة التعايـش وقبـول الآخـر في ظـل صراع أيديولوجـي محمـوم بـدأ يتجـاوز العلاقـات الفرديـة ليشـعل أطـراف ثيـاب العلاقـات الدوليـة، ورغـم كل تلـك الظـروف القاسـية أمتعنـا بنتاجاتـه التـي حملـت عناوين متفرقـة منهـا: أمريـكا والإسلام، الإسلام وحقوق الإنسـان، الإسلام والإرهـاب الـدولي، فقـه التسـامح في الفكر العـربي الإسلامي، وجـدل الهويات في العـراق: المواطنـة والدولة.

إنهـا مناسـبة سـعيدة ومميـزة أن نقـوم بتكريـم هـذا العَلَـم في حفـل يليـق به بحضـور كوكبة مـن أصحابـه ورفـاق مـسيرة العطـاء الفكـري.. مترافقـاً مـع إصدار هـذا الكتـاب التكريمـي الذي تميّـز بشـهادات الأصدقـاء الصادقة

الطريق إلى الحرية والحداثة والتنوير

ليس من اليسير متابعة مسيرة **عبد الحسين شعبان** الفكريّة والثقافيّة ونشاطه الأكاديميّ والمهنيّ وفاعلياته السياسيّة والحقوقيّة، لكنّنا سنحاول تقديم مقطع منها، خصوصاً أنها تغطّي ما يزيد على 5 عقود من الزمن قضاها في التأليف والنّشر والكتابة والنشاط المتعدّد الجوانب

وخلال هذه المسيرة مُنِحَ وسام "**أبرز مناضل لحقوق الإنسان في العالم العربي**" **بالقاهرة في العام 2003**، وأصدر "البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان" كتاباً عن حفل التكريم بعنوان: "**عبد الحسين شعبان: صورة قلميّة - الحق والحرف والإنسان**"، القاهرة، 2004

ومنحهُ **اتّحاد الحقوقيّين العرب** "وساماً" باعتباره من الشخصيّات الحقوقيّة الكبيرة التي دافعت عن الحقوق والحرّيات في الوطن العربي والعالم (عمّان - 2005). كما منحه المهرجان الدولي **للفيلم العربي** في روتردام (هولندا) **وسام التسامح** لنشره ثقافة التسامح وتعميم قيمها (2008)

وقلّدتهُ **جريدة الزمان** العراقية في بغداد "**وسام الإبداع**" 2008، ومنحه **اتحاد الحقوقيين العراقيين** 2009 وسام **الحقوقي الأوّل،** لنشره الثقافة الحقوقية في محاولة لخَلْق وعي حقوقي جديد

ومنحَهُ السيّد **علي فضل الله** وساماً لنشره ثقافة التسامح، ودعوته المستمرّة إلى العيش معاً وكفاحه ضدّ التمييز والعنصرية باسم "**ملتقى الأديان والثقافات للتنمية والحوار**"، خصوصاً بعد نشر كتابه "**أغصان الكرمة: المسيحيّون العرب**"، وذلك تجسيداً لقيَم المساواة والمواطنة المتكافئة والمشترك الإنساني، التي ظلّ يرفع رايتها على الصعيدين العربي والدولي، من خلال إيمانه بالحوار والاعتراف بالحقوق والإقرار بالتعدّدية والتنوّع.

كما كرّمه **المعهد العربي للديمقراطيّة** و**الجامعة الخضراء** و**مركز الجاحظ** (تونس) لدوره الفكري والثقافي في تونس 2016، بصفته أحد أبرز المثقّفين العرب الكبار، الذين زاوجوا الأصالة بالمعاصرة والتراث بالحداثة، بمراعاة التوازن بين الخصوصيّة والعالميّة، ونُشر كتاب عن وقائع حفل تكريمه بعنوان "**عبد الحسين شعبان: تونس والعرفان**"، (دار الفارابي، بيروت، 2018).

وخصّصت له **الحركة الثقافية في أنطلياس** (لبنان) قسماً خاصّاً من كتابها السنوي بعنوان "**سيرة**

تمرّد ومغامرة قلم"، وذلك ضمن كتاب "**أعلام الثقافة في لبنان والوطن العربي**" بعد تكريمه باحتفال رعاه رئيس الجمهوريّة، مع عدد من المبدعين اللبنانيّين والعرب (بيروت 2017).

وثمّة أوسمة أخرى حصل عليها **للصداقة العربية - الكردية** 2004 لعلاقة الصداقة التي ربطته مع الشعب الكردي، ودفاعه عن حقوقه العادلة والمشروعة بما فيها حقّه في تقرير المصير، كما منحته **دار القصّة العراقية 2005** وساماً لدوره المتميّز عربياً وعالمياً في نشر ثقافة حقوق الإنسان وتعميمها، وتمّ توسيمه حيث يقيم في بيروت وفي منزله.

وأقامت له "**مؤسسة آفاق العدالة للدعم القانوني**" بالتعاون مع "**اتحاد الحقوقيّين العراقيّين**" احتفالاً كبيراً في بغداد (2022). واحتفلت به النخبة العربيّة في لبنان 2024 تحت عنوان "**عبد الحسين شعبان.. زمن فلسطين والثقافة العربية**" بمبادرة من مجلة تحولات ودار أبعاد، وكرّمه **رئيس جمهوريّة العراق د.عبد اللطيف رشيد** بمنحه وسام المركز الثقافي العربي - الكردي في بغداد 2024.

إنّ **دار سعاد الصباح** إذْ تُوثّق وقائع الاحتفال بـ"**يوم الوفاء**" بالمفكّر العربي العراقي الكبير **عبد الحسين شعبان** 2024 (الكويت)، تأخذ بنظر الاعتبار ما سبَقَها لتضيف إليه، ليكون كتاباً جامعاً لمسيرةٍ عامرة، خصوصاً أننا عُدنا إلى أرشيفه الشخصي ونقّبنا فيه، ولا سيّما في كتبه ومؤلّفاته وآرائه ومواقفه، وما كُتب عنه في مساحة جغرافيّة واسعة شملت الوطن العربي كلّه من أقصاه إلى أقصاه، محاولين تغطية فترة زمنيّة طويلة امتدّت لأكثر من خمسة عقود من الزمن، وهي مهمّة ليست باليسيرة، لذلك فاتنا الكثير الذي لم نستطع الوصول إليه، مع أنّنا استعنّا ببعض أوراقه وأرشيفه الخاص الذي وضعه تحت تصرّفنا بكرمٍ وأريحيّة

ولا بدّ من التنويه إلى أنّ الكثير من الأوراق والكتابات والمخطوطات والصُّور والرسائل التي تغطّي فترة الستينيّات والسبعينيّات كانت قد صُودرت في بغداد من جانب الأجهزة الأمنيّة، بما فيها 3 مخطوطات كانت جاهزة للطبع من مكتبته الشخصيّة. ومن المفارقات أنّه عثَرَ على بعض من مقتنياتها على الأرصفة في شارع المتنبّي ببغداد بعد العام 2003، كما أنّ الكثير من أوراقه ومخطوطاته ضاعت أو تعرّضت للتّلف خلال وجوده في المنفى، وتنقّلاته المستمرّة في المنافي بين دمشق وبراغ ولندن وبيروت، بل إن الكثير ممّا كتبه في كردستان تبدّد خلال تنقّلاته بين نوكان (ناوزنك) وبشتاشان، وفي هذه الأخيرة ترك جميع أوراقه ويوميّاته خلال الهجوم

الـذي تعـرّض لـه الموقِـع الذي كان فيـه، وكاد يفقد حياتـه في رحلة مضنية، تحـدّث عنها في كتابه "**بشتاشـان - خلـف الطـواحين... وثمّة ذاكرة: شـهادة وليس رواية**"

ولهـذه الأسـباب نحـاول أن نوثّق بعض مـا كتبه رموز في الثقافـة والأدب والفنّ والفكر والإعلام والسياسـة والقانـون والدِّيـن، عـن مفكّرنـا الكبير د.شـعبان وفاءً منّا لـه في "**يوم الوفـاء**" ولبعض حقوقـه علينـا، آمـلين أن يكـون هـذا الكتـاب والإشـارات الـواردة في المقتطفـات عونـاً للباحـثين والـدارسين عـن الثقافـة والمثقّـفين العراقيين، مع يقيننا أنّ هذا الكتاب ليس سـوى فاتحة الشـهّية لِمَـنْ يريـد أن يُبحـر في فكـر عبـد الحـسين شـعبان وفلسـفته الحياتيّة، لكنـه يعطي صـورة أوليّة لموسـوعيّته وامتـداد نشـاطه إلى حقـول متنوّعة، وتعكس شـخصيّته المتسـامحة والمتصالحة مدى مرونتـه وانشـغالاته بالفكـر والثقافـة وتكريـس حياتـه كلّهـا للدفـاع عـن قيَـم إنسـانية آمـن بها ونَـذَرَ نفسـه لهـا، فـضلاً عن علاقاته الواسـعة والمتنوعة مـن أقصى الوطن العـربي إلى أقصاه وعلى المسـتوى الكوني

لعـلّ شـعبان، المؤمن بالعروبـة الحضاريّة وبالثقافـة طريقاً لتعزيز المشتركات الإنسـانيّة، يُدرك أن مـا أصـاب الأمّـة العربيّـة مـن انكسـارات وهزائـم وتراجعـات يعـود في قسـم غير قليـل منهـا إلى التـذرّر العـربي وغيـاب الحـدّ الأدنى مـن التضامـن، فـضلاً عـن التعصّـب والتطـرّف والعنـف، ومحـاولات فـرض الإرادة والهيمنـة والاسـتعلاء، لذلـك تُظهـر كتاباتُـه مدى حرصـه في البحث عن القواسـم المشتركـة لتعظيمهـا وعـن الفـوارق لتقليصهـا، وذلـك في إطـار مواجهـة طغيـان الخارج واسـتلاب الداخل

عبـد الحـسين شـعبان العراقـي العـربي المثقّـف الكـوني صديـق الكويـت الكـبير، الـذي وقـف معهـا في محنتهـا في العـام 1990، مثـلما وقـف مـع جميـع الأقطـار العربيّـة، دفاعـاً عـن حقـوق الإنسـان وضـدّ العسـف والاسـتبداد، داعيـاً إلى تحقيق قِيَـم الحريّـة والعدالة والمسـاواة والسلام، وبسـبب ذلـك دفـع أثمانـاً باهظة

عبد الحسين شعبان
جمر الحروف

- أكاديمي ومفكّر وكاتب من الجيل الثاني للمجدّدين العراقيين. يساري النشأة والتوجه، لكنه لم يتقيّد بتعاليم المدرسة الماركسية التقليدية بل تمرّد على أطُرها التنظيمية، فبات من المثقّفين الإشكاليين الذين سلكوا طريق التجريب والجدل، متخلّياً عن اليقينية التبشيرية الإيمانية، مختاراً طريق العقل والأسئلة والنقد.

- وُلد في مدينة النجف في العراق، وعلى الرغم من طابعها العربي والديني، فهي ملتقى الأعراق والأمم واللّغات بوجهها الآخر المدني والثقافي.

- تخرّج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (جامعة بغداد)، ثم نال درجة الدكتوراه في القانون من أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية - معهد الدولة والقانون في براغ.

- عمل باحثاً وأستاذاً في جامعة بغداد - مركز الدراسات الفلسطينية، وجامعة صلاح الدين - كلية القانون والسياسة - في أربيل، وجامعة اللّاعنف وحقوق الإنسان في العالم العربي (بيروت)، كما ألقى محاضرات بصفته أستاذاً غير متفرّغ في عدد من الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات العربية والعالمية.

- له أكثر من ثمانين كتاباً ومؤلفاً في قضايا الفكر والقانون والسياسة الدولية والأديان، وكذلك في الثقافة والأدب والمجتمع المدني وحقوق الإنسان بما فيها قضايا النزاعات والحروب، ولاسيّما الصراع العربي – الصهيوني، فضلاً عن مساهماته الإبداعية في قضايا التّسامح واللاعنف، كما أنجز نصوصاً سرديّة وثقافيّة وأدبيّة، تأليفاً ونقداً ومراجعةً.

- خلال الثمانينيّات، مُنعت كتبه ومؤلفاته وكتاباته في العراق، وصودِرت مكتبته ومخطوطاته ورسائله وصوره وشهاداته الدراسية. كذلك صدر قرار من «مجلس قيادة الثورة» في العام 1993 بحجز أمواله المنقولة وغير المنقولة، ضمن قائمة تضم

مئـة وخمسـاً وعشريـن شـخصية عراقيـة.

- **تعـرّض خـلال نضالـه للملاحقـة والاعتقـال والتعذيـب، وكاد يفقـد حياتـه أكـثر مـن مـرة، مـما اضطـرّه إلى اختيـار المنفـى.**
- **حـاز عـدداً مـن الجوائـز والأوسـمة، منهـا «وسـام أبـرز مناضـل لحقـوق الإنسـان في العـالم العربي» (القاهـرة - 2003).**
- **وسام التميز (اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية / القاهرة – 2024)**

كتب في كبريات الصحف العربية، ومنها:

- «الحياة»
- «القدس العربي»
- «النهار»
- «السفير»
- «الخليج»
- «تشرين»
- «الزمان»
- «البيان»
- «الشروق»
- «أنوال»
- «الجريدة»

نُشِرت له مقالات في أبرز المجلّات العربية، ومنها:

- «المستقبل العربي»
- «الهدف»
- «الحريّة»

- «الأهرام العربي»
- «الوحدة»
- «شؤون فلسطينيّة»
- «البلاد»
- «نضال الشّعب»
- «أفق»
- «المجلة العربية لحقوق الإنسان»
- «تحولات»
- «تسامح»
- «المصير»
- «الثّقافة الجديدة»

أبرز دور النشر ومراكز الأبحاث والدراسات التي تعاونت معه:

- «دار النهار للنشر»
- «دار الفارابي»
- «دار الآداب»
- «دار الرّافدَين»
- «دار الجليل»
- «دار الكنوز الأدبيّة»
- «الدار العربية للعلوم ناشرون»
- «دار الحكمة»
- «دار أطلس»
- «دار الحوار»
- «دار ميزوبوتيميا»
- «مكتبة بيسان للنّشر والتوزيع»

- «مركز دراسات الوحدة العربية»
- «مركز الأهرام للدراسات السياسيّة الإستراتيجية»
- «مركز حمورابي للبحوث والدراسات الستراتيجية»
- «مركز الدراسات الفلسطينية»
- المعهد العربي لحقوق الإنسان
- مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
- المعهد العربي للديمقراطية
- مؤسسة الفكر العربي
- منتدى الفكر العربي

الفنّانون الذين صمّموا أغلفة كتبه:

- ضياء العزّاوي
- رافع النّاصري
- علاء بشير
- عمران القَيسي
- مكّي حسين
- يوسف الناصر
- رندة بيروتي
- عبد الرّحمن الجابري
- هاني مُظهر
- طالب داوود
- بشير صبح
- فارس غصوب

من كتبه:

- «فقه التسامح في الفكر العربي - الإسلامي»، دار النهار، بيروت، ط1 2005، ط2، 2024
- «جواهر الجواهري»، دار سعاد الصباح، الكويت، 2024
- «مظفّر النوّاب»، دار النهار، بيروت، 2023
- «الزّمن والنّخب - في أنطولوجيا الثقافة العربية»، مطابع دار الأديب، عمّان، 2023
- «مذكّرات صهيوني»، دار الرّافدَين، ط2، بيروت، 2023
- «عصبة مكافحة الصهيونية»، دار البيان العربي، بيروت، 2023
- «دين العقل وفقه الواقع»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021
- «الهوية والمواطنة - البدائل الملتبسة والحداثة المتعثّرة»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 2017، ط2، 2020
- «سلام عادل الدال والمدلول وما يمكث وما يزول بانوراما وثائقية للحركة الشيوعية»، دار ميزوباتاميا، بغداد، 2019.
- «أبو كاطع شمران الياسري - على ضفاف السخرية الحزينة»، دار الفارابي، ط2، بيروت، 2017
- «المثقّف وفقه الأزمة - ما بعد الشيوعية الأولى»، مكتبة بيسان، بيروت، 2016
- «أغصان الكرمة - المسيحيّون العرب»، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الستراتيجية، بيروت، 2015
- «الإسلام وحقوق الإنسان»، المركز الثقافي العراقي / مكتبة بيسان، بيروت، 2014
- «الحبر الأسود والحبر الأحمر - من ماركس إلى الماركسية»، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الستراتيجية، بيروت، 2014
- «المجتمع المدني - سيرة وسيرورة»، دار أطلس، بيروت - دمشق، 2012
- «كوبا - الحلم الغامض»، دار الفارابي، بيروت، 2011
- «جدل الهويّات في العراق»، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010
- «تحطيم المرايا - في الماركسية والاختلاف»، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009
- «جذور التيار الديمقراطي في العراق»، مكتبة بيسان، بيروت، 2007

- «الدستور العراقي المؤقت - الهياكل السياسية والحقوق الفردية»، الأهرام الاستراتيجي، القاهرة، 2004
- «من هو العراقي؟ في إشكاليّة الجنسية واللّاجنسية في القانونَين العراقي والدولي»، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2002
- «الإسلام والإرهاب الدولي - ثلاثيّة الثلاثاء الدامي: الدين، القانون، السياسة»، دار الحكمة، لندن، 2002
- «المدينة المفتوحة - مقاربات حقوقية حول القدس والعنصرية»، دار الأهالي، دمشق، 2001
- «بعيداً عن أعين الرقيب – محطات بين الثقافة والسياسة»، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1995
- «عاصفة على بلاد الشمس»، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1994
- «المحاكمة - المشهد المحذوف من دراما الخليج»، دار زيد، لندن، 1992
- «أمريكا والإسلام»، دار صبرا، نيقوسيا، 1987
- «سيناريو أوّلي لمحكمة القدس الدولية العليا»، دار شرق بريس، نيقوسيا، 1987
- «الصراع الأيديولوجي في العلاقات الدولية»، دار حوار، اللاذقية، 1985
- «الصهيونية المعاصرة والقانون الدولي»، دار الجليل، دمشق، 1984
- «النزاع العراقي - الإيراني: ملاحظات وآراء في ضوء القانون الدولي»، دار الطريق الجديد، بيروت، 1981

باللغة الإنجليزية:

- Memoirs of a Zionist – Egon Redlich's Diaries in Theresienstadt camp, (Beirut, 2024), published by Nelson Publishers
- The Understanding of Tolerance in Arab Muslim Thought Culture and State (Erbil, 2012) Translated by Ted Thornton
- Forced Disappearance between International Law and Reality, Mansur Al Kukhia as Example (London, 1998) Published by Shu'un Libiyah

صدر عنه:

- «عبد الحسين شعبان - تونس والعرفان»، دار الفارابي، بيروت، 2018
- «عبد الحسين شعبان - المثقّف في وعيه الشّقي: حوارات في ذاكرة عبد الحسين شعبان»، إعداد وتقديم توفيق التميمي، مكتبة بيسان، بيروت، 2014
- «عبد الحسين شعبان - الصوت والصدى»، إعداد وتقديم كاظم الموسوي، مكتبة بيسان، بيروت، 2010
- «عبد الحسين شعبان - صورة قلميّة: الحرف والحق والإنسان»، البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان، القاهرة، 2004

اليسار الأخلاقي..
عبد الحسين شعبان نموذجاً

أحمد المسلماني[1]

1- المستشار السابق للرئيس المصري - أمين عام اتحاد كتاب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية

التقيتُ المفكر العراقي الكبير الدكتور عبد الحسين شعبان عدة مرات، كلها في القاهرة. ولطالما أعجبتُ بحديثه المتدفِّق كنهر دجلة، فهو يمضي من موضوع إلى موضوع، ومن تاريخ إلى تاريخ، وأطروحة لأطروحة.. دون أن يُفقِد مستمعيه المتعة والشغف. فبقدر ما هو واحدٌ من كبار الكتّاب، هو أيضاً واحدٌ من كبار الرواة والحكّائين

التقيتُ الدكتور عبد الحسين شعبان مع الرئيس اليمني الأسبق علي ناصر محمد، ثم عملنا معاً في المكتب التنفيذي لمجموعة السلام العربي، وهي مجموعة فكرية تهدف لتحقيق سلام عربي - عربي. وقد تولى الرئيس علي ناصر محمد رئاستها بعد رئيس الوزراء السوداني الأسبق الصادق المهدي، وتضم المجموعة نخبةً من الساسة والتكنوقراط والمثقفين

في فندق سيمراميس إنتركونتننتال الذي يطل على نيل القاهرة، جلس الدكتور شعبان يروي لنا وقائع عديدة من تاريخ العراق السياسي وتاريخه الشعري، ومن حاضر العراق الثقافي ومستقبله الإقليمي. ثم في جلسة تالية لا تبعد سوى أربعة طوابق حيث مسبح الفندق الذي يطلّ على دار الأوبرا المصرية وبرج الجزيرة، هناك استمعنا من جديد إلى رؤى الدكتور شعبان في القانون والعلوم السياسية وحقوق الإنسان، كما استمعنا لمذكرات شفهية عن أحداث في عدة دول عربية كانت جيبوتي واحدةً من محطاتها المثيرة

لقد أدركتُ منذ اللقاء الأول مع الدكتور شعبان أنني -وكما قال الرئيس علي ناصر محمد والوزير الأردني سمير حباشنة- إزاء مثقف موسوعي بامتياز، يتحدث عن رأس المال لـ«كارل ماركس» كما يتحدث عن ديوان شعر للجواهري

في أمسية مبكرة بفندق نوفيتيل القاهرة، ثم أمسية متأخرة بشارع المعز لدين الله الفاطمي وسط العاصمة، تناولنا القهوة ثم الفطير المصري الشهير، كان بعضه بالجبن والآخر بالحلوى، وكان في صحبتنا بعض أقاربي وأصدقاء مشتركين من سوريا والأردن. وفي الأمسيتَيْن طاف الدكتور شعبان بنا في فضاءات مختلفة من تاريخ الأفكار إلى صراع الحضارات، ومن الإسلام السياسي إلى جامعة اللاعنف، ومن صناعة اليأس إلى صناعة الأمل

بعد أيام من ذلك زرتُ المفكر والسياسي العراقي الراحل نوري عبد الرازق، وكنتُ قد

أصبحت -حديثاً- أميناً عاماً لاتحاد كتاب أفريقيا وآسيا. وكان الأستاذ عبد الرازق الأمين العام لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية. كان معظم الحديث بيني وبينه عن مقالات متميزة كتبها الدكتور عبد الحسين شعبان عن الأستاذ نوري عبد الرازق وتاريخه الفكري والتنظيمي ورؤاه للسياسة والثقافة، وهي المقالات التي أثنت عليها الكاتبة والناشرة الأستاذة سنيّة البهات زوجة الراحل الكبير

حين طلبت منّي دار سعاد الصباح أن أشارك بعمل عن المفكر العربي الكبير الدكتور عبد الحسين شعبان، كان ذلك مصدر سعادة لي، فقد جاءت الفرصة لتحية مثقف كبير، وأخلاقيّ رفيع

إن للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح مكانة كبيرة لدى المصريين، ومكانة أكبر لدى أسرة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة التي تخرجتْ فيها. ولقد سعدتُ بلقائها قبل سنوات في احتفالٍ للكلية بجامعة القاهرة، وقد رأيت المحبة والاعتزاز لدى جميع الخريجين بخريجة الكلية المتميزة.. التي لطالما سمعوا بها وقرؤوا لها، ثم إذا هم اليوم يلتقون بها

وإن لدار سعاد الصباح مكانة متميزة لدى المثقفين العرب، وهي مكانة تتصل بدور دولة الكويت الشقيقة في دعم وتقديم الثقافة العربية.. منذ انطلاق الحداثة الكويتية في أواسط الخمسينيات وحتى اليوم. وهي الانطلاقة التي شهدت صدور «مجلة العربي» الشهيرة، وسلسلة «عالم المعرفة» التي دخلت كل بيوت العرب من المحيط إلى الخليج، وإصدارات المسرح والثقافة العالمية وغيرها، فضلاً عن عطاءات قسم الفلسفة في جامعة الكويت، والتي شهدت حوارات رائعة وأعمالاً مشتركة بين مثقفين كويتيين وغير كويتيين، ومع نخبة من الفلاسفة المصريين الذين تجلى الكثير من إبداعهم في جامعة الكويت، كالدكتور زكي نجيب محمود، والدكتور فؤاد زكريا، والدكتور إمام عبد الفتاح

وهكذا، فإن الدكتور «عبد الحسين شعبان» و«دار سعاد الصباح» كانا مصدر شحن للكتابة عن شخصية حظيت بتقدير كبير. وفي هذه السطور قراءة موجزة لبعض من أفكار الدكتور عبد الحسين شعبان.. وهي قراءة فيما كتبَ، وممّا سمعت

الدولة والهوية

هل هي الأصالة أم المعاصرة؟ وهل هي الهوية أم العولمة؟

في المشروع الفكري للدكتور عبد الحسين شعبان نرى اهتماماً بالسؤالين معاً. وهو ينتقد التطرف هنا وهناك، ويرى الأمرَ بين أمريْن

فهناك تيار علماني متطرف لا يريد أي صلة بالدين أو التراث، وهناك تيار ديني متطرف لا يريد أي صلة بالعلم أو العصر. والصواب ليس في هذا ولا ذاك، بل بما ذهب إليه دعاة التوفيق بين ما كان وما هو كائن، وبين العقل والروح.. التراث والحداثة

وفي سؤال الهوية، يقول الدكتور عبد الحسين شعبان: «إذا كان بناء الهوية والحفاظ عليها إحدى مشكلات الحداثة، فإنّ تفادي انطلاقها للتفاعل مع العالم إحدى مشكلات ما بعد الحداثة»

انتقد الدكتور شعبان ظاهرتي «الإسلاموفوبيا» و«الزينوفوبيا».. ويشير مصطلح «الإسلاموفوبيا» إلى كراهية الإسلام والعداء للمسلمين، ويشير مصطلح «الزينوفوبيا» إلى العداء للأجانب. فقد أدّت الهجرات من الجنوب إلى الشمال، ومن البلاد الفقيرة إلى البلدان الغنية إلى تغيرات طارئة على البنية الثقافية والاجتماعية في أوروبا، فنشأت سياسات لحماية الهوية إزاء الوافدين الجُدد

إن جدل الهويات -برأي كاتبنا- يكشف مسارات المستقبل، وسنرى نتائجه عما إذا كان سيقود إلى صدام أم وئام، صراع أم تعايش. ويقول: إن أهم ما في النظرية الديمقراطية إدارة التنوع بشكل سلمي، وهذا ما يجب. إن النظام الديمقراطي هو أفضل الأنظمة التي أبدعتها البشرية، وتجب معالجة الاختلالات والتصدعات في مسارها

وفي العالم العربي، فإن الديمقراطية تواجه تحديات عديدة، من النزاعات الطائفية والمذهبية إلى التوترات الإثنية والعرقيّة.. إلى الحروب الأهلية والعنف المجتمعي، إلى الحروب الإقليمية والإرهاب الدولي.. وهو ما يفرض علينا ضرورة مواجهة ذلك من داخل الديمقراطية لا من خارجها، فإصلاح الديمقراطية لا يكون إلا بوسائل ديمقراطية، ومواجهة الطائفية والعرقيّة لا يكون إلا بنجاح إدارة التنوع بشكل سلمي.. ولا تنمية مستدامة من دون ديمقراطية مستدامة

الدين والتطرف

يؤمـن الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان بمـا آمن بـه تومـاس هوبـز.. مـن أن «أي إصلاح مفتاحه الفكـر الدينـي». ويـرى أنـه لا إصلاح للفكـر الدينـي مـن دون إصلاح الفكر السـياسي، ومن شـأن إصلاح الفكـر أن يقـود إلى إصلاح الخطـاب

لقـد اسـتخدم التكفيريـون الدِّين كذريعـة للقتل والإرهاب، مـع أن الدِّين يحمـل دعوة التأمل والـسلام، ويحـضّ على الأخـذ بيـد الفقير والمريـض والضعيف، وتعـتبر الكرامة والعدل من أسـس الدين. وحسـب الدكتور شـعبان: ليس من الدين أن تمتلئ المسـاجد والكنائس والمعابد بالمصلّين، وتمتلـئ الشـوارع والأزقة بالمتسـولين والمشرديـن، ويعاني ملايين الناس الفقـر والجوع والمرض

يـردّ الدكتـور شـعبان على مـن يروجـون لمصطلـح «الإرهـاب الإسلامـي».. ويـشير إلى الحـروب الصليبيـة، وحـروب المئـة عام، وحروب الـثلاثين عاماً، والحـربيْن العالميـتين.. وفي كل تلك الحروب كان الإرهـاب حـاضراً، ولم يكن المسـلمون جـزءاً منه

ثـم يـشير الكاتـب إلى الجماعـات الإرهابيـة الغربيـة المعـاصرة مـن منظمـة «بـادر ماينهوف» في ألمانيـا إلى «الألويـة الحمـراء» في إيطاليـا، إلى الجيـش الأحمـر اليابـاني، والجيـش الجمهـوري الأيرلنـدي، ومنظمـة «إيتـا» الانفصاليـة في إقليـم الباسـك الإسـباني، وصـولاً إلى الأعمال الإرهابيـة ضـد المسـلمين والعـرب، كحـادث تفـجير مسـجد نيوزلنـدا الشـهير.. وأنّـه بيـنما تَمُـتّ نسـبة كل منظمـة مـن هـذه المنـظمات إلى بلدهـا لا إلى النصرانيـة، تمُـتّ نسـبة الجماعـات الإرهابيـة في الـدول الإسلاميـة إلى الإسلام والمسـلمين لا إلى بلدانهـا!

وتكتمـل المفارقـة -بحسـب كاتبنـا- حين نـدرك أن حجـم الدمـار الـذي ألحقتـه الجماعـات الإرهابيـة في العـالم الإسلامـي كان معظمـه ضـد المسـلمين وفي البلـدان الإسلاميـة. وفي المجمـل يـرى الدكتـور شـعبان أن الإرهـاب لا ديـنَ لـه، وأنـه ظاهـرة كونيـة عابـرة للحـدود، موجـود في كل القوميـات والثقافـات. وبيـنما يدعـو إلى فـكّ الاشـتباك بين الديـن والإرهاب يدعـو إلى تقديم نمـوذج معـرفي جديد

أعمدة الأمة الأربعة

ينحاز كاتبنا إلى رؤية تصالحية ديمقراطية داخل الدول العربية، وإلى رؤية حوارية سلاميّة في محيط الدول العربية.. وينحاز إلى جهود وأطروحات منتدى الفكر العربي في عمّان ومؤسسه الأمير الحسن بن طلال بشأن الحوارات الثلاث «العربية - التركية، العربية - الإيرانية، العربية - الكردية»، وذلك في إطار رؤية حوارية شاملة لأعمدة الأمّة الأربعة، في هذه المنطقة التي تقع في مركز العالم: «العرب والأتراك والفرس والأكراد»

إن من شأن ذلك الحوار الشامل بلورة مشروع مستقبلي يضم العرب والترك والكرد والفرس. وهو ما يجعل التنمية والتقدم -لا الصراع والصدام- طريقاً للمنطقة، وحمايةً للأمّة

لا تغيب الرؤية العالمية عن الرؤية عن الرؤية الإقليمية السلاميّة، إذْ يرى كاتبنا ضرورة أن يعود التضامن الدولي إلى ما كان عليه من تأثير كبير في العلاقات الدولية في القرن العشرين. فقد كان يُحسب للتضامن الدولي ألف حساب، وقد كانت حملة التضامن مع نيسلون مانديلا -على سبيل المثال- هي ما قادت جنوب أفريقيا من العنصرية إلى الديمقراطية، ومن الماضي الإمبريالي إلى الحضور الدولي

إن التضامن حق من حقوق الإنسان. وينصّ قرار الأمم المتحدة رقم (55) لعام 2005 على «الحق في التضامن». وبحسب كاتبنا فإن الحق في التضامن تم تسييسه وإضعافه، وتفكيك جبهة المتضامنين. وفي الحالة الفلسطينية تمّ إلصاق تهمة الإرهاب بالنضال من أجل الاستقلال، وذلك لضرب حالة التضامن العالمية مع الشعب الفلسطيني. وهو ما يدعو لضرورة العمل على استعادة تموضع التضامن الدولي في القرن الحادي والعشرين، كما كان في القرن العشرين، وأن يتم وقف التسييس، وإعادته لقيمه الأساسية.. من رفض الظلم، والدعوة للعدالة. فالشعوب التي يتم التضامن معها تشعر بالقوة في مواجهة الظلم، إنهم ببساطة يشعرون أنهم ليسوا وحدهم

اليسار العالمي

ما الذي يعنيه اليسار في القرن الحادي والعشرين؟ وما الذي كان يعنيه منذ سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار الكتلة الشرقية؟ وأيّ يسار يمكن أن يكون أو يعود؟

لقـد كان سـؤال اليسـار حـاضراً وعلى نحو ملحٍّ في كتابـات الدكتور عبد الحسين شـعبان.. الذي يـرى أن اليسـار يواجـه فشـل الماضي، وتحديـات اليـمين الشـعبوي واليـمين الدينـي في الحـاضر، وكذلـك تغـوّل الرأسماليـة حتـى في دول الرعاية الاجتماعيـة في أوروبا، واسـتغلال اليمين الأمريكي لأحـداث 11 سـبتمبر الإرهابيـة لضرب مبـادئ ديمقراطيـة عديـدة، بحجـة الحفـاظ على الهويـة، وهـو مـا أدى إلى صعـود اليـمين الفاشي

عـاشَ اليسـار أزمـة فكرية بعد سـقوط الكتلة الشرقية، وفشـل النمـوذج السـوفييتي وتوابعه، وأمّـا اليسـار العـربي فقـد كانـت أزمتـه أعمـق، حتـى إن كثيريـن مـن أتباعـه تطلعـوا للولايـات المتحـدة بانبهـار شـديد، وهـو مـا أدى إلى إخلاء اليسـار العـربي السـاحة ليملأهـا الإسلاميـون

وبشـأن اليسـار الأوروبي يقـول كاتبنـا: كان اليسـار الفـرنسي وراء حركـة الاحتجاج الـكبرى عام 1968، حيـث تحالـف طيـف واسـع مـن الطلبـة والشـباب والأكاديمـيين والمثقـفين مـع الحركـة العماليـة والنقابيـة، ولكـن ذلـك لم يتحقـق في حالـة الـسترات الصفراء التـي تم تركهـا وحيدة. في أحـداث السـتينيات كانـت احتجاجـات اليسـار يصـل صداهـا إلى اليابـان والمكسـيك والبرازيـل.. وكانـت شـعاراتها «ممنـوع المنع» و«نطلب المسـتحيل لنحصـل على الممكن» شـائعةً وحاضرةً في كلّ العـالم. وكان أن سـقط شـارل ديغـول في فرنسـا، وانسـحبت أمريكا من فيتنـام، وتمكنت حركة الحقـوق المدنيـة في الولايـات المتحـدة، وصعـدت حركة التحـرر الوطني في فلسـطين، لكن ذلك لم يحـدث في حالـة الـسترات الصفراء

في مئويتـه الثانيـة كتـب الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان عـن ماركـس المـفترى عليه، وقـال: إن هنـاك فـضلاً لـكارل ماركـس على البشريـة.. في اكتشـاف قـوانين الصراع الطبقـي، وفائـض القيمة، والمنهـج الجـدلي. لكـن الخطـأ هـو تقديـس ماركـس وتنزيهـه ووضعـه خـارج النقد.. مـع أنه هو نفسـه اعـتبر المثقـف ناقـداً اجتماعياً

ولقـد انـتشرت بالتوازي مع ذلك مقولته «الدين أفيون الشـعوب» التي أخذها عن الفيلسـوف الألماني إيمانويـل كانط.. وتم الترويج لقراءات خاطئة بصددها

يقـول كاتبنـا: أعـرف شـيوعيين متعصّـبين لم يقـرؤوا كتابـاً واحـداً لماركـس مـا عـدا «البيـان الشـيوعي» في أحسـن الأحـوال. وبعـض هـؤلاء أصبحـوا ليبراليـين جُدد، سـعداء باكتسـاح العولمة للقـارات والشـعوب. لقـد كان ليـنين -وبالدرجـة الأكبر سـتالين- مـن قامـا بالتشـويه الفكـري

للماركسية، بتغييب وجهها الإنساني

أدت الأزمة الاقتصادية العالمية 2008، ثم الأزمات التالية إلى عودة «طيف ماركس» إلى الواجهة من جديد، ويرى كاتبنا أن الماركسية في القرن الحادي والعشرين يجب أن لا تشبه ماركسية القرن العشرين.. وإنْ كانت تلتقي مع ماركسية القرن التاسع عشر.. ماركسية إنسانية ديمقراطية

الويستفوبيا وحوار الحضارات

في عام 1978 أصدر الدكتور إدوارد سعيد كتابه الشهير «الاستشراق» وفي عام 1992 أصدر الدكتور حسن حنفي كتابه «الاستغراب»

إن موقف الشرق من الغرب وموقف الغرب من الشرق يمثل الخط الرئيسي لتاريخ العالم. وبينما رأى بطرس الأكبر في روسيا والميجي في اليابان ومحمد علي وحسن العطار في مصر أن مواجهة الغرب لا تكون إلا بمواكبة الغرب، فإن بعضاً من المفكرين انتقد ما أسماه «الإصابة بالغرب».. أي عدوى الإيمان التام بالمنهج الغربي، ودعا إلى مواجهته وعدم الأخذ منه

يعرض الدكتور عبد الحسين شعبان لمصطلحين شائعين «الويستفوبيا» أي الرهاب من الغرب، و«الإسلاموفوبيا» أي الرهاب من الإسلام.. ويرفض كلا الرهابيْن. ثم إنه يعرض لمصطلح ثالث هو «الويستولوجيا» أي استخدام الغرب لسياسات ضد قيم الغرب.. كالموقف السلبي من الإسلام والمهاجرين واللاجئين.. مع أن قيم الغرب الأساسية تقوم على التعدد واحترام الآخر

بحسب كاتبنا فإن انهيار سور برلين كان بداية انطلاق تنظيرات معادية للإسلام.. من «نهاية التاريخ» لفوكوياما إلى «صدام الحضارات» لهنتغنتون. وهي أفكار تقوم على ضرورة مواجهة أو إذابة الحضارات الأخرى في الحضارة الغربية، وهي بذلك تقع على النقيض من النظرية الديمقراطية الغربية القائمة على التعددية الدينية والثقافية والعرقية

ويرى في أطروحات «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» والأطروحات المماثلة مفهوماً إلغائياً لا يختلف عن إلغائية الجماعات الدينية المتطرفة من القاعدة إلى داعش

يوجز كاتبنا رؤيته بأننا إزاء حضارة إنسانية واحدة، ولهذه الحضارة فروعها ومساراتها، والحوار بينهما على أساس قبول التعددية والتنوع والاعتراف بالآخر.. يجب أن يكون أساس

العمل حـاضراً ومسـتقبلاً

وبعد..

إن المشروع الفكـري للدكتـور عبـد الحـسين شـعبان على اتسـاعه، وكثافته.. هـو مشروع يمضي في طريـق واحـد.. طريـق الإنسـانية العالمية، وإعادة بناء العالم على أسـس من الحوار والتسـامح، ونبذ الحـرب والعنف

لا أرى مشروع كاتبنا مشروعاً يسـارياً كلاسـيكياً غارقاً في غياهب الألفاظ المعقدة والأيديولوجيا الدائريـة والمكعبـة، ولكنـه مشروع منضبـط في آلياتـه المنهجيـة ومضامينـه الفكريـة.. واضـح في أهدافه ومبادئه الإنسـانية

لقـد جمـعَ الدكتـور عبد الحسين شـعبان كل ما يحمِل مـن أيديولوجيا، ووضعهـا في إناء واحد: العدل والسّلام

«الماركسية الجديدة» وأزمة اليسار العربي
قراءة في مفهوم د.عبد الحسين شعبان

د. أحمد بهاء الدين شعبان[1]

1- الأمين العام لـ«الحزب الاشتراكي المصري».

أظـنُّ، وبعـض الظـنّ من حُسـن الفِطَـن، أن ما قدمه الدكتـور «عبد الحسين شـعبان» من رؤى وتحلـيلات وأفـكار واجتهـادات، عميقـة وصادقة، في الحوارات والاشـتباكات الفكرية والسياسـية، التـي احتوتهـا صفحـات كتابه المُهـم، بل والبالغ الأهميـة، المعنون بـ»تحطيم المرايا: في الماركسـية والاخـتلاف»، حـوار وتقديـم: خـضير ميري، (الـدار العربية للعلـوم ناشرون، منشـورات الاختلاف، 2009)، يجعـل مـن مهمـة الاطلاع على محتـواه، وتـدارس مضمونـة، أمراً من ألـزم الواجبات على المناضـلين المُنتـمين إلى مُعسـكر «اليسـار» العـربي، وبالأخـص على القطاع الماركسي منه، فدروسـه المُسـتقاة مـن خبرات المُمارسـة العملية، والمُعانـاة الفعلية، والمبنية على تفاعلـه الواعي مع الفرق المُنتميـة إلى هـذا التيـار السـياسي المهـم، على المسـتويات الوطنيـة والإقليميـة والدوليـة، تجعـل مـن قـراءة أسـباب تراجـع هذا القطـاع الحيـوي، وتفسير مظاهر ومُسـببات نكوصه، دروسـاً على درجـة كـبيرة مـن القيمـة، وتوجـب الانتباه إلى مـا تضمنتـه مـن خبرات ودروس باعتبارها ضرورة مـن ألـزم الضرورات، إذا كان لفـرق اليسـار العـربي عامـة، والماركسي على وجه التحديـد، أن تأمل كما نتمنـى وتتطلـع إلى مسـتقبل أكثر إيجابيـة وتـأثيراً، وأشـد التصاقـاً بالمجتمـع، وأعظـم تعـبيراً عن همومـه وتطلعاته

ويُضـاف إلى هـذه الدواعـي الموضوعيـة دواعٍ أخـرى ذات أبعـاد ذاتيـة تخـص شـخص الدكتور «عبـد الحـسين»، لخّصها الأسـتاذ «مُحسـن العيني» الشـخصية اليمنية التاريخيـة المرموقة فأوجز وأنجـز حين، وصفـه بأنـه: «رجـل لم يفقـد بوصلته يومـاً»، وهو أمـرٌ باعـثٌ على الاحترام واليقين، في زمـن التراجعـات والقفـز بين المواقـع والأيديولوجيات، يفتح بوابات الثقـة بين الكاتب، المُمارس والمُفكـر، وجمهرة القـراء والمُطالعين

*****

يُمثـل اليسـار العـربي أحد أربـع ركائز أساسـية في البنيان السـياسي والفكري لشـعوب منطقتنا، مـع الركيـزة الإسلاميـة، والركيـزة القوميـة، والركيـزة الليبراليـة، وتُميـزه انحيازاتـه الاجتماعيـة والسياسـية للطبقـات العاملـة والكادحـة، ولقيـم المسـاواة والمواطنـة، وللعلم والمعرفـة والمبادئ الإنسـانية الرفيعـة، وغيابـه عن المشـهد العام، وتراجـع وتيرة ثقة الجماهير بـه وببرامجه الفكرية والاجتماعيـة، ينعكـس حـتماً بالسـلب والتردي على أوضـاع مجتمعاتنـا ومسـتقبلها، بـل وعلى

الفصائل الثلاث الأخرى، ومن هنا يُصبح اهتمام مناضل ومفكر رفيع المقام، من عينة الدكتور «عبد الحسين شعبان» بمسار ومصير الماركسية والماركسيين في الوطن العربي أمراً مفهوماً ومُقَدراً، وقد حالف التوفيق الأستاذ «خضير ميري» المُحاور ومُعد الكتاب، في استخدام وسيلة الحوار الفكري، لتوضيح رؤى الدكتور «شعبان»، وفهمه لتاريخ تطور الماركسية ومُشكلاتها وأزماتها في العالم وفي بلادنا، ما يُسَهِّلُ الوصول إلى غايته المُبتغاة، وإن كان يصعب في هذا الحيز المحدود تغطية كل ما تضمنته الحوارات من أفكار ورؤى بالعمق المطلوب، فلعل الإطلالة المُحدّدة على مجموعة من المحاور ما يُفيد ويدفع إلى القراءة المُتأنية لأصل الكتاب وتمعُّن مضامينه

أزمة الماركسية ومآلاتها

لا ينظر د.عبد الحسين للماركسية باعتبارها مُنجزاً أيديولوجياً فلسفياً نظرياً، كامل الأوصاف، وجامد الحدود، ونهائي الصيغة كما يفعل الكثيرون، وإنما يرى في «ماركس»: «بداية الماركسية، لا مُنتهاها»، وهو، أي «ماركس»، كان يرفض تحويل فلسفته إلى مذهب «كهنوتي» كالعديد من المذاهب: «كل ما أعرفه أنني لست ماركسياً»، وأن فضله الأساسي يعود إلى مُنجزين أساسيين؛ الأول: «قراءة التاريخ على أساس المراحل التاريخية، مُكتشفاً أن الصراع الطبقي هو الذي يحكمها»، والثاني: «اكتشاف قانون فائض القيمة»، وبهذا فقد قدَّم للإنسانية مفاتيح ذهبية لامتلاك منهج جدلي يُساعد على تحليل وفهم تعقيدات الواقع الاجتماعي المَعيش، وإدراك عناصر القوة المُتحكمة في مساراته، وصياغة برامج النضال في مواجهة قواعد الاستغلال الرأسمالي الطاغية فيه.

واعتبر د.»شعبان» أن الماركسية «الحقّة»، إن جاز التعبير، ليست محض وصفات جاهزة، أو سابقة الصُنع، أو «تعاليم سرمدية» غير قابلة للنقد، أو أن «شفاء» أوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتحقيق الرفاه الإنساني، سيتم لمجرد الأخذ بها، وإنما يتعامل معها «كإحدى أهم وأبرز نظريات علم الاجتماع السياسي، التي شغلت العالم أجمع، ووجدت طريقها إلى تطبيقات لنحو (ثلث أو رُبع) سُكّان البشرية، وهو ما لم يتحقق لأي نظرية غير الماركسية». لكن الماركسية، والتي كان بإمكانها، بُحكم طبيعتها الحيوية الديناميكية كمنهج وأداة للتحليل «تجاوز أخطاء التطبيق أو إخفاقات المُمارسة»، تحولت «على أيدي أصحابها،

وليس الأعداء، إلى نوع من العقيدة أو اللاهوت، وبفعل السكونية انتقلت من حراكها الداخلي الديناميكي إلى شيء أقرب إلى الجمود»

لقد قاد هذا الأمر، كما يرى الدكتور «عبد الحسين» إلى أن يرى البعض من الماركسيين الماركسية باعتبارها: «نهاية مطاف»، أو «حلقة ذهبية أخيرة في الفكر الإنساني، يُمكن اقتناؤها أو الاحتفاظ بها كما هي»، أي «متحفيتها»!

وهكذا، فقد «انقطع الاجتهاد على مدى نحو (ثمانية أو تسعة عقود من الزمان) باستثناءات محدودة كانت تُعتبر «مارقة» في الكثير من الأحيان أو دليلاً على «الانحراف»، وقاد هذا الوضع إلى أن تحوَّلت الماركسية إلى «تعليمات بيروقراطية يُصدرها الحزب باعتباره مُمَثلاً عن الطبقة العاملة، وفوق الحزب تجلس اللجنة المركزية، وعلى رأسها المكتب السياسي ويتربّع عليها الأمين العام، واضعاً العرش على رأسه فوق الجميع بصفته الأمين العام، الفيلسوف، الأديب الذي لا يُخطئ، والذي تُزكّي الحياة صحة وصواب سياسته باستمرار»

وقد صور الأديب والشاعر الداغستاني الكبير، «رسول حمزاتوف»، حامل وسام «لينين»، ساخراً، هذه النوعية من المُمارسات البيروقراطية عديمة القيمة لمؤسسات الدولة الحزبية، عبر قصيدة «التصفيق»:

«لقد صفَّقنا حتى تألمت أكُفنا / حدث في السنوات التي مضت / أن احمرّت أكُفنا كخدودٍ خجلاً / ضربناها بشدّةٍ ورغبةٍ / كم ضربنا أكُفنا بنشوة! / حماساً لكلمات المديح أو التسفيه / ولو كانت أكُفنا أجنحة / فما أنا إلّا غبي لوَّحَ بجناحيه!»

وكان طبيعياً، والحال هكذا أن يتم تسويغ اضطهاد، بل وإعدام الكثيرين من أصحاب الرأي أو الاجتهاد المُخالف، مناضلاً كان، أم سياسياً، أم مُثقّفاً، أم مُبدعاً، أم عالماً، أم عسكرياً.. إلخ، وإلى إقرار «عبادة الفرد» وانفراد قيادة «ستالين الدكتاتورية المُستبدة وقراراتها الارتجالية» على ما صاحبها من فواجع!

ويُقسِّم الدكتور «عبد الحسين» ماركسيي الوضع الراهن إلى مجموعة أقسام حسب توصيفاته الغالبة: فمنهم «الماركسيون الطقوسيون» المعنيون أساساً بالاشتراك في المناسبات والاحتفالات (ذكرى ثورة أكتوبر، عيد العُمّال، ميلاد لينين..)، و«الماركسيون المدرسيون»

المهتمـون بـالتراث الاقتصـادي والسـياسي المـدرسي المُتـوارث في المـدارس الحزبيـة الرسـمية، و«الماركسـيون المسـلكيون» الذيـن لا يعنيهـم مـن الأمـر، كجزء مـن الماكينة السياسـية والحزبية، إلا أداء وظيفتهـم الإداريـة الدعائيـة، و«الماركسـيون الذرائعيـون» الجاهزون لتبريـر كل خطوات الحـزب «باعتبـار النظريـة لا تُخطـئ»، و«الماركسـيون العولميـون» المتحولـون بعد انهيـار الاتحاد السـوفييتي، «حيـث اسـتبدلوا الـولاء مـن موسـكو إلى واشـنطن»، وسـوّغوا الخطـاب النيوليبرالي، وسـاهم بعضهـم في تـدمير العـراق..!

السعي باتجاه «الماركسية الجديدة»

ويبقـى «الماركسـيون النقديـون والمجتهـدون».. وهـم «القلـة مـن الماركسـيين العـرب»، كما يُحـدِّد د.»شـعبان»، ويُعَـوِّلُ على أن يتمكنـوا، رغـم تردُّد بعضهـم، من تكوين «نـواة صلبة فكرياً وسياسـياً» تُمـارس النقـد بصـوتٍ عـالٍ، حتـى لا يـأتي جيل جديـد من الماركسـيين «سـيدفع الثمن أيضـاً». وإلى هـذا القسـم من الماركسـيين المُجتهديـن ينتمي الدكتـور «عبد الحـسين»، فهو «يجد نفسـه قريباً إلى حد كبير من الماركسـية النقدية أو الوضعية النقدية الماركسـية، وهكذا أسـتخدم وأوظـف المنهـج ضمـن اجتهـاداتي وضمن دراسـتي للظـروف والأوضـاع الاجتماعيـة - الاقتصادية والثقافيـة للمجتمـع العـربي، بالاشـتباك مـع العلاقـات الدوليـة»، ذلـك أن الماركسـية مـن وجهـة نظـره، ومـن حيـث الجوهـر، «فكـرة مدنيـة حداثيـة تعنـى بدراسـة الظواهـر وتحليـل الأوضـاع ونقدهـا على حـد تعـبير ماركـس»، فـ»المثقـف الماركسي هـو مثقـف نقـدي بامتيـاز، فالنقـد هو وظيفتـه في القـراءة والبحـث والعمـل والتطبيـق، وهـو أقـرب إلى مفهـوم المثقـف العضـوي عند «جرامشي»، الذي شـعر منذ وقت مبكر بأهمية البحث في سيسـيولوجيا الثقافة، محاولاً تأسـيس نقـد ثقـافي لنظريـات البرجوازيـة القائلـة بالمُثقـف المُتعـالي الـذي جسَّـدته النزعـات الفرديـة، في الفلسـفات النفعيـة، كالبراجماتيـة والأداتيـة وبعض أطروحـات جون ديوي (عـالم التربية الأمريكي الكـبير) وبرتراند راسـل ووليـم جيمس، ولـذا فمن الطبيعـي أن يكون تعامله مع الماركسـية التي يؤمـن بصحـة منهجها»

إنهـا ماركسـية تُديـر الظهـر إلى «ماركسـية مـا بعـد ثـورة أكتوبـر (التـي) هـي نوع مـن تقنين وقولبـة للماركسـية، حيـث تحوّلـت بسرعـة غير عاديـة إلى شيء أقرب إلى اللاهـوت، انفصلت عن الماركسـية الرحبـة، التـي تضـم بين جنباتهـا عوالم متنوعـة وأطروحـات غزيرة (معرفية وفلسـفية

وإنسانية) بتحويلها إلى ماركسية مُقَنّنة سائرة ومأسورة بأجهزة الدولة وتميل مع سياطها ومُتطلباتها»!

ورغم عدم قبول البعض للفهم النقدي للماركسية، حسبما يرى الدكتور «عبد الحسين»، «أي نقد الماركسية بالماركسية، كما لو أنك تكتب عن نقد القرآن بقرآنٍ جديد»، فهذه الماركسية الحيّة «كأداة ومنهج تختلف عن الماركسية التلقينية الطقوسية، والماركسية لا يمكن أن تدجّن أو تروّض أو تخضع لطقوس وتأثيرات ريفية بما يخالف جوهرها، في محاولة للتوليف بينها وبين ما هو سائد، وقد جرت في عالمنا العربي بعض المحاولات لإيجاد مواءمة بين الدين والماركسية وبين الماركسية والفكر القومي التقليدي».

وإذا ما كان ماركس يريد للفلسفة أن تجمع التفسير والتغيير في يد واحدة، أفلا يكون بهذا التوجُّه حالماً كبيراً؟

يطرح هذا السؤال المنطقي نفسه على الدكتور «شعبان»، فيُجيب أنه «لا يشك في أن هناك طوباوية عالية في الماركسية الأصيلة ولدى ماركس تحديداً، وهي طوباوية لابدّ منها، لكل فكر يريد أن يكون إنسانياً، وإلا فكيف يمكن فصل العمل عن الأمل؟ وكيف يُمكن لنا أن نمشي قُدماً إلى الأمام دونما امتداد للطريق أمامنا؟».

ويستكمل: بدلاً من أن نرى ماركس مُفكراً حالماً غير صالح للتطبيق مثلاً (على اعتبار أن فشل تجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي تؤكد نهاية الماركسية، كما يريد البعض أن يقول، بينما فشل التجربة النازية والفاشية وهزيمة أمريكا في فيتنام وفشل الغزو الأمريكي للعراق وغيرها من الأمثلة) لا يمسّ جوهر الرأسمالية العالمية؛ ولا يُعَرِّضُ الإمبريالية إلى النهاية؛ أو يضع أمامها تلك الأسئلة الحارة التي تبحث عن إجابات في إطار الوضعية النقدية؟!

فإذا كانت الأيديولوجيا البرجوازية تُقَدِّمُ مفاهيم «للنهايات» من أجل ديمومتها، كـ«نهاية الفلسفة» و«نهاية الأيديولوجيا»، و«نهاية التاريخ»، و«نهاية الإنسان»، و«نهاية الكون»، لكنها لا تتحدث عن «نهاية الرأسمالية» أو «نهاية المجتمع الطبقي» أو «نهاية الأزمات الإنسانية»، كصورة من صور «الوعي الزائف في العالم المعاصر"، فالماركسية الجديدة المأمولة هي الماركسية المُهيأة للإجابة على «البشرية» حين «تضع الأسئلة القادرة على الإجابة عليها»، كما يقول «ماركس»، وهي الماركسية المُستعدة للتعاطي مع المستقبل، وللنظر والتفاعل

مـع «بدايـات» متجـددة دومـاً للمـسيرة الإنسـانية، مـع كل طـور من أطـوار التجـدُّد الاجتماعي والعلمـي والتكنولوجـي، مثـل عصر «الـذكاء الاصطناعـي» الزاحـف، على سـبيل المثـال.

ملحوظات نقدية

وانتقـالاً إلى الواقـع العـربي، فـإن الدكتـور «عبـد الحـسين» يـرى «عمـل الأحزاب الشـيوعية في العـالم العـربي غارقـاً في التذبـذب بين فهـم أيديولوجـي جاهـزي ورثتـه هـذه الأحـزاب، ولم يعـد مقبـولاً أو مُبرهنـاً على صحتـه في العمـل، وبين مُسـتجدات أو نزوعـات إنسـانوية ديمقراطيـة غير قـادرة على مجاراتهـا، وبالتـالي فهـي تـراوح بين الجمـود والانـحلال»

لقـد ورثـت أغلـب الأحزاب الشـيوعية العربية الانصياع لما كان قد اسـتقر عليـه التقليد والرأي في «المركـز» المُهيمـن في الاتحـاد السـوفييتي، ومـا كان لهـا أن تجتهـد بـرأي مُخالـف أو تتعلـق برؤيـة مُغايـرة! وهـو الوضـع الـذي أشـار إليـه «عامـر عبـد اللـه» الشـيوعي العراقـي المُـخضرم: «كنـا مثـل سـائر الشـيوعيين في العـالم قـد اعتمدنـا طريقة سـتالين في استشـارة لينين، مثـلما كان ليـنين هـو الآخـر يسـتشير ماركـس، وكنـا نُبرر بالاقتبـاس صحـة وصدقية الـرأي والموقـف، بل كنا نسـعى لتكييـف وتطويـع الواقـع أحيانـاً لنصوص وأحـكام النظرية التـي وصفها ليـنين بأنها كلية الـجبروت، وأنهـا قُـدّت مـن سـبيكة واحـدة مـن الفـولاذ، وهو مـا لم يقله مؤسسـا الماركسـية، أي ماركـس وإنجلز!»

الماركسيون العرب والتعاطي مع القضية القومية

وقـد شـلّت وضعيـة «التبعيـة» هـذه قـدرة العديـد مـن الأحـزاب الشـيوعية العربيـة على الاجتهـاد لإيجـاد إجابـات صحيحة للمُشـكلات العديـدة، وبعضها مصيري كموقف الماركسـية من «القضيـة القوميـة» والموقـف مـن «الدين»، رغـم التداعيات الخـطيرة المُترتبة على هـذا الموقف، وتقاعسـت عـن اجتراح حلـول ناجعـة لقضايـا مُلحـة مـا كان يُمكـن تأجيلهـا، بـل كان يتوجـب مُجابهتها!

ويلحـظ الدكتـور «عبـد الحـسين» أن «محـور اهـتمام «ماركـس» وجـلّ توجهـه كان الثـورة البروليتاريـة، ولذلـك لم يركّـز ماركـس على مبـدأ حـق تقرير المـصير، ويعود إبراز مبـدأ حق تقرير المـصير للأمـم والشـعوب، إلى «ليـنين» عشـية الثـورة الاشتراكيـة الأولى، ولعلـه هـو مَـن انفـرد في

فكـرة تكوين الدولة القومية المسـتقلة، مشـدّداً على نضال شـعوب المسـتعمرات ضـد الإمبريالية، وهـو مـن تنـاول حـق تقريـر المـصير باعتبـاره حقـاً ديمقراطياً، مـع أنه أخضعـه في نهايـة المطاف لمصالـح الصراع الطبقـي والـدور البروليتـاري، وكان أول من تحدّث عن حـركات التحرّر في الشرق، وربـط بين قضيـة التحـرر والثـورة الاشتراكيـة، وذلـك في كتابـه الـذي صـدر عـام 1913 المعنـون «ملحوظـات نقديـة حـول المسـألة القوميـة» واضعـاً فيه حـقين متعارضين مـتلازمين

الأول: الحـق في تأسـيس دولـة قوميـة، أي حـق الانفصـال وتكويـن كيـان مُسـتقل. وإنْ اعتبره مثـل حـق الـطلاق، أو كما نقـول: أبغـض الـحلال عنـد اللـه الـطلاق، ولا يتـم اللجـوء إليـه إلا إذا أصبـح العيـش المـشترك مُسـتحيلاً، مـع مُراعـاة مصالـح النضـال المشترك

الثـاني: الحـق في الاتحـاد الاختيـاري الأخـوي، بمـا فيـه إلغـاء الحواجـز القوميـة، وتكويـن دولة مركزيـة واسـعة وموحّـدة، وهو ما سـعى إليه بعد ثـورة أكتوبر يوم تم إعلان الاتحاد السـوفييتي «اتحـاد الجمهوريـات الاشتراكيـة السـوفييتية» العـام 1922، بتعظيـم وتقديـم الأمميـة وتقزيـم وتقليـل القومية

وفـيما يخـص القضية الفلسـطينية والصراع العـربي الصهيوني، يُشير الدكتـور «عبد الحسين» إلى أن تلّمـس الثغـرات الكـبيرة الفكريـة، النظريـة والسياسـية، والعمليـة في المسـألة القومية جعلت مهمـة الحركـة الماركسـية والشـيوعية في العـالم العـربي صعبـة، إضافـة إلى الموقـف مـن الديـن، ومكمـن هـذه الصعوبـة هـو أننـا «خالفنا المـزاج العـام، الشـعوري - الفطـري في كلتا المسـألتين، تحـت عناويـن أيديولوجيـة بتقديـم الطبقي والاجتماعـي، على الوطني والقومي، بـل إننا ازدرينا بعـض الأطروحـات القوميـة، ناسـبين إيّاهـا إلى البرجوازيـة، مُطبّـقين المسـطرة الأوروبيـة على المسـألة القوميـة، مُتنـاسين أننـا مازلنا نعيـش مرحلة التحـرُّر والانعتاق الوطنـي والقومي، وحتى الاسـتقلال السـياسي الـذي حصلـت عليـه الشـعوب العربيـة تقهقـر كـثيراً، فما بالـك بالاسـتقلال الاقتصـادي والتنمية؟!»

ويمضي الدكتـور «عبـد الحـسين»: «لقـد تعاملـت الأدبيـات الماركسـية العربيـة مـع المسـألة القوميـة باسـتخفاف كـبير، وكنّـا غالبـاً ما نتنـدّر على القوميـة و«القومجيـة» دون أن نميّز الفارق بين العروبـة، التـي هـي انـتماء شـعوري وفطـري ووجـداني، والقوميـة التـي هـي أيديولوجيـا أو عقيـدة، باعتبـار أن نماذجهـا هـم الحُـكّام الدكتاتوريـون، وكنّا نتغنـى بالأمميـة وفضائلها، في حين

إن نماذج حُكَّامها لا يقلّون دكتاتورية واستبداداً عن نماذج حُكَّامنا الدكتاتوريين»

ويكمل الدكتور «عبد الحسين» استعراض أخطاء الماركسيين العرب تجاه القضية القومية، فيذكر أننا «مثلما تركنا خزانة الكتب التاريخية والدينية، للقوى الإسلامية أو «الإسلاموية»، أدرنا الظهر للتراث العربي والانتماء التاريخي، واعتبرناه من اختصاص أحزاب قومية في الغالب أو قومية، وبعضها لم يكن بعيداً عن ترسانة الفكر الأوروبي، وقد استطاعت هذه الأحزاب والقوى تجيير مسألة العروبة لصالحها، بل إنها سحبت الشارع أحياناً إلى صفها، وهي بعيدة كل البُعد عن تحقيق مُستلزمات العروبة، أو الارتقاء بمتطلباتها، فما بالك إذا انفردت بادعاء الوعي التاريخي بأهميتها، كهوّية خاصة ومكوّن أساسي، لا يمكن إغفالها أو التنكر لها»

وتبلغ المسألة قمة الأزمة بالموقف من قرار التقسيم، ويشير د. «عبد الحسين» إلى «الموقف الستاليني، الذي تبدّل بين عشية وضحاها بالموافقة على قرار التقسيم بعد أن كان يدعو إلى دولة ديمقراطية يتعايش فيها العرب واليهود، وهو الموقف الذي لا أفهم أي تبرير له ماركسياً، إنْ لم يكن هو ضد الماركسية، فكيف لمن يدّعي أنه طليعة البروليتاريا العالمية يوافق على تقطيع أوصال بلد وتسليم ما يزيد عن نصفه إلى مهاجرين جاؤوا من أصقاع الدنيا وطرد سكان البلاد العرب الأصليين؟»

ولا شك أن هذا الموقف يصعب الدفاع عنه، مهما كانت الحجج، ناهيك عن الموقف الماركسي القويم، الذي يفرض الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني الكامل في أرضه السليبة ووطنه المُغتصب.. من النهر إلى البحر!

ولم يقتصر موقف الدكتور «عبد الحسين» الناقد على القوى والأحزاب الماركسية العربية وحسب، وإنما امتدت انتقاداته إلى: «نقد مواقف القوى القومية التي تعكّزت على مسألة فلسطين لتُصادر الديمقراطية وتُعَطِّل التنمية وتؤجل الاستحقاقات الاجتماعية الضرورية، ليس هذا فحسب، بل إن الهم الرئيسي لبعضهم أحياناً كان هو القضاء على الشيوعية بدلاً من اعتبار الصهيونية والإمبريالية الخطرين الأساسيين»

وأكملت النُظم العربية الحاكمة في الوطن العربي هذا الموقف المأساوي بشل قدرة الشعوب على مقاومة المشروع الاستيطاني العنصري الصهيوني، عبر التوجُّه «نحو التسلّح والعسكرة وتبرير أحكام الطوارئ والأوضاع الاستثنائية ومصادرة الحريات وانتهاك حقوق

الإنسـان، بحجـة الخطـر الخارجـي الذي يـدّق على الأبواب. ولعلها سـاهمت في تكريس سـلطات الاسـتبداد بحجـة تحرير فلسـطين تحت شـعار «لا صـوت يعلو فوق صوت المعركـة»، والذي كان عمليـاً يعنـي لا صـوت يعلـو فـوق صـوت الحُـكَّام وإرادتهـم ومصالحهـم»!

وكما لم يحالـف الصـواب موقـف الماركسـيين العـرب مـن القضيـة القوميـة المركزية، فلسـطين، لم ينجحـوا في اتخـاذ الموقـف الصحيـح المُناسـب في قضايـا الأقليـات الدينيـة والإثنيـة: الأكـراد والأمازيـغ والتركمان والنصـارى وسُـكّان جنـوب السـودان وغيرهـم، أو حـل هـذه القضايـا حلاً ديمقراطيـاً يـعترف بحقوقهم السياسـية والثقافيـة واللغوية والسُلالية، وهو مـا أدى إلى مفاقمتها، وزيـادة تعقيدهـا، وسـمح بتـدخلات خارجيـة لعبـت على وتـر الخلافـات بين الفرقـاء

على سبيل الخاتمة: و«قسا ليزدجروا»!

وإحقاقـاً للحـق، فمـن الضروري القـول بـأن أقسـاماً مُحترمـة مـن الماركسـيين العـرب عاكسـوا هـذا التيـار، واتخـذوا مواقـف متميـزة مـن القضايـا القوميـة وقضايا الأقليـات في الوطـن العربي، وقـد تعـرّض هـؤلاء إلى مواقـف عصيبـة إن لجهـة الأحـزاب والقيـادات التـي اختـارت الانحيـاز للخـط الماركسي الرسـمي، أو لجهـة النُظـم القمعيـة التـي اعتبرت الشـيوعية والشـيوعيين الأعداء الأساسـيين لهـم، وكـم مـن ضحيـة سـقطت تحـت ضرباتهـم المُميتـة، ومنهـم: «شـهدي عطيـة الشـافعي» (مصر)، و«فهـد» (العـراق)، و«فـرج اللـه الحلـو» (سـوريا) وغيرهـم

كما أنـه مـن الواجـب الإشـارة إلى الموقف المحترم للعديد من الشـيوعيين العـرب اليهود، الذين أسسـوا في مصر «الرابطـة الإسرائيليـة لمكافحـة الصهيونيـة» (أبريـل/ نيسـان 1947)، وقـد قامت حكومـة «محمـود فهمـي النقـراشي» بمنـع نشـاطها ومُطـاردة أعضائهـا، وكـذا «عصبـة مُكافحـة الصهيونيـة»، التـي أسسـها شـباب شـيوعي عراقـي (آذار / مـارس 1946)، والتـي أعلنـت: «نحـن نعتقـد إخلاصـاً بـأن الصهيونيـة خطـر على اليهـود مثـلما هـي خطـر على العـرب وعلى وحدتهم القوميـة، ونحـن إذ نتصـدى لمكافحتهـا علانيـة وعلى رؤوس الأشـهاد، إنمـا نفعـل ذلـك لأننا يهود ولأننـا عـرب بنفـس الوقـت» (عبـد الحسين شـعبان، عصبـة مُكافحـة الصهيونيـة ونقـض الرواية الإسرائيليـة، دار البيـان العـربي، الطبعـة الأولى، بيروت، 20234، ص: 7)

وأخيراً، فأسـتطيع من واقع التجربة الشـخصية في أوساط اليسـار والحركة الماركسية والشيوعية المصريـة، على امتـداد نحـو سـتة عقود التأكيـد على أنه منذ كارثـة 5 يونيو 1967، تلاشـت أغلب

-إن لم يكـن كل- هـذه الملحوظـات، ولم يعـد لهـا مـن وجـود يُذكـر، فقد بـرزت أجيـال منذ جيل السـبعينيات المصريـة مـن الماركسـيين والشـيوعيين المصريين رفعـت رايـة النضال ضـد الإمبريالية والصهيونيـة، ونشرت ثقافـة المقاومـة في ربـوع الجامعـات المصريـة والمواقع العمالية والسياسـية والثقافيـة، في طـول الـبلاد وعرضهـا، رغـم مـا نالهـا مـن عسـف السـلطة وبطشـها، والمُـبَشِّرُ أن الأجيـال الجديـدة مـن شـباب الأمة العربيـة، وفي القلب منهـا مصر، بل والأطفال الصغار في سـن الأحفـاد، يُمارسـون نضـال «المُقاطعـة» للبضائـع والشركات الأمريكيـة والغربيـة الداعمـة للعـدو الصهيـوني بـحماسٍ لاهب

فلنتسلح بالأمل.

مقالات المفكر عبد الحسين شعبان
دراسة في البناء الفني

أ.د. أحمد عبد المجيد[1]

1- رئيس تحرير جريدة الزمان طبعة العراق ورئيس قسم الإعلام في معهد العلمين للدراسات العليا – النجف

قبل أن أرتبط بعلاقة صداقة متينة بالمفكر والباحث البارز عبد الحسين شعبان، تعرفت على نتاجه الفكري المتنوع والنوعي. وخلال رحلة طويلة أمضيتها في مطالعة إبداعه المقالي، شخصت عندي جملة من الخصائص التي تطبع مقالاته المنشورة في الصحافة، ولاسيما في جريدتي (الخليج) و(الزمان). وكنت أقتطعها لأجعلها درساً تدريبياً لطلبتي في كلية الإعلام بجامعة بغداد، حيث درّست (فن المقال الصحفي) طيلة نحو عقد ونصف عقد من الزمان.

ولديّ أسبابي التي جعلتني أضع مقالات الأستاذ شعبان درساً في محاضراتي، فهي:

1. نماذجية، بمعنى أنها تصلح لأن تكون أنموذجيات فريدة في ترسيخ المادة النظرية، بحيث تنتقل إلى ممارسة قابلة للتطبيق، وهي الحالة التي يجب أن يحرص الأكاديميون على إشاعتها بين الطلبة بما يفتح أمامهم مغاليق فن المقال، بوصفه أصعب فنون الصحافة المعروفة وأرفعها.

2. تحتوي على طاقة إيجابية كامنة بحيث تجعل الدرس الأكاديمي حيوياً تفاعلياً غير رتيب، بحيث يسري وقته ناشراً الشغف، الذي هو عماد نجاح المواهب التي تتفتح بالفرص المتاحة وتنمو بالممارسات اليومية، حتى تغدو أسماء معروفة أو مشهورة، ثم تتقدم فتغدو في صلب اهتمام الرأي العام.

3. لغة مقالات الأستاذ شعبان بلاغية، لكنها تندرج تحت مسمى السهل الممتنع، وتلك صيغة لا تتوافر إلا لكاتب محيط بأسرار اللغة ومستوعب لطرق إيصال معطياتها ومعجمها باعتبارها وعاءً وبوصفها طريقة للتفاهم والتواصل البشري. وكنت كأستاذ يتحمل مسؤولية البحث عن أفضل الطرق التدريسية لإيصال درسه الأكاديمي، أحرص على الدفع باتجاه إمساك الطلبة بمفردات (اللغة الثالثة)، أو لغة الصحافة التي هي لغة وسط، ليست علمية معقدة وصعبة بالنسبة لغير أصحاب الاختصاص، مثلما هي ليست أدبية تنطوي على استخدامات بلاغية وتحمل على جناحيها خيالاً ومحسنات بديعية.

وقد أوضح الأستاذ شعبان أهمية هذه الصنعة أمام طلبة المرحلة الثالثة بكلية الإعلام بجامعة بغداد عندما استضفته للحديث عن تجربته المقالية، وهو تقليد حرصت على ترسيخه منذ العام 2001، بهدف إغناء الدرس الأكاديمي

لـكل ذلك اخترت مقالات الأسـتاذ شـعبان، لبسـط الدرس بشـأن المقال الصحفـي، أمام طلبتي. وسـاعدتني هـذه المقـالات على جبهـة الممارسـة الصحفيـة اليوميـة، في إيصـال جـزء أو معظـم سياسـة الجريـدة باعتبـار المقـال الأداة الأكثر أهميـة، التـي تـعبر عـن هـذه السياسـة أو عن آراء كتابهـا في الأحـداث اليوميـة الجاريـة وفي القضايـا التـي تشـغل الـرأي العـام المـحلي أو الـدولي. ويقـوم المقـال الصحفـي بهـذه الوظيفـة مـن خلال شرح وتفـسير الأحـداث الجاريـة والتعليـق عليهـا، بمـا يكشـف عـن أبعادهـا ودلالاتهـا المختلفة[1].

وعبر متابعة أسبوعية، تقريباً، حرص الأستاذ شعبان على أن تتصف مقالاته بالآتي:

1. تقديـم متابعـات تشـكّل، مـع بقيـة كُتّـاب الجريـدة، عقلهـا، بحيـث يجعـل الجريـدة قريبـة مـن الإنسـان، الـذي ميـزه الخالـق الكريـم بالعقـل، وبحسـب عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه فـإن أفضـل النـاس عنـد اللـه مـن أحيـا عقلـه وأمـات شـهوته وأتعـب نفسـه لصـلاح آخرتـه. ورأيـت أن الأسـتاذ شـعبان أتعـب نفسـه لصـلاح أمتـه منـذ أن شـب في مـدارس مدينـة النجـف المقدسـة والعائلـة التـي تولـت سـدانة الروضـة الحيدريـة فيهـا.

وإذا أجرينـا تحلـيلاً علميـاً لمحتـوى مقـالات الأسـتاذ شـعبان، فـإن باقـة منهـا فقـط تكشـف جملـة مـن الاهتمامـات والخصائـص المتميـزة التـي يتفـرد بها أسـلوبه مـن جهـة، ورؤاه الفكرية التـي تنعكـس على شرح الأحـداث الجاريـة وتفسيرهـا وبلـوغ فكـرة جديـدة أو تصـور مبتكر أو رؤيـة غير مطروقـة يمكـن أن تشـكل بحـد ذاتهـا قضيـة تشـغل الـرأي العـام، ولاسـيما إذا كانـت تمـس مصالـح القـراء أو تـثير اهتمامهـم لأي سـبب مـن الأسـباب.

جديـر بالإشـارة أن هـذه الباقـة مـن المقـالات تشـمل الدفعـة الأخيرة مـن نتاجـه المقـالي في الصحيفـتين المذكـورتين غـداة توقفـه عـن نشر المقـالات وانصرافـه إلى مشـاريع بحثيـة مؤجلـة.

2. تكمـن خصوصيـة اختيـارات الأسـتاذ شـعبان للموضوعـات في دفاعهـا عـن الإنسـان وحقوقـه الأساسـية، التـي وردت في المواثيـق الدوليـة والدسـاتير الوطنيـة. وقـد وجـدت في اسـتخدام أسـلوب أو طريقـة تحليـل المضمـون، وهـو أحـد أدوات المنهـج العلمـي في الدراسـات الإعلاميـة، وأفضـل مـا يمكننـي التقاطـه مـن فئـات الاختيـارات:

1- أحمد عبد المجيد – محاضرات في فن المقال الصحفي لطلبة المرحلة الثالثة – كلية الإعلام – جامعة بغداد - 2014.

- **الانشغال بالهويات والدعوة إلى الهوية العامة لتفادي تحديات الهويات الفرعية بوصفها عوامل تفرقة واختلاف، ويمكن رصد رؤى الأستاذ شعبان بشأنها في مقاله (الهوية بين النظرة التفريقية والمساواتية).**

- **دحض المزاعم السياسية لبعض المثقفين الغربيين، وقد تجسدت في رؤاه من خلال عدم إدانة هذا البعض لإسرائيل والابتعاد عن المعايير الإنسانية والانحياز الأعمى لممارساتها إزاء الشعب الفلسطيني. وقد تجلى هذا الطرح في مقالاته عن غزة ولاسيما اختياره لعنوان خاص عنها عبر البورصة. وقد بلغ اهتمام الأستاذ شعبان بموضوع محنة غزة التي دخلت حرب الإبادة عليها شهرها التاسع الآن، أنه عدّها الجرح النازف الذي تسبب في آثار سلبية على حرية التعبير والفكر، وأدى إلى اندلاع حرب أكاديمية، وانطلق في رسم صورة هذا المشهد خارج حدود الدمار اليومي، مستعيناً بقصيدة مشهورة لشاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري: (أتعلم أم أنت لا تعلم بأن جراح الضحايا فم). فتولى الأستاذ شعبان فتح هذه الجراح، ورسم أمامها طريق التعبير عن الألم والموت والإبادة.**

وثمة خصوصية أخرى تكمن في اختيارات الأستاذ شعبان المقالية، هي إضفاء اللمسة الإنسانية، لكن برفدها بوقائع شخصية ونقل الخاص إلى العام. ويمكن تلمس ذلك في مقالته النابضة بالحنين والوجع الوطني (أحنّ إلى خبز أمي)، وقد استعار عنوانها من مطلع قصيدة للشاعر الراحل محمود درويش. وفي مقدمة هذا المقال الذي يقدم فيه درساً في البناء الفني للمقال شرح الأستاذ شعبان قصة لقائه بدرويش ورحلة ذكرياته المفعمة بالشوق في دمشق ولندن. ولا يكتفي الأستاذ شعبان بالشواهد الشعرية فحسب، بل كثيراً ما تخلل تحليلاته أقوال مأثورة أو آراء حصيفة لكبار الفلاسفة العرب أمثال الفارابي وابن سينا، والأجانب كأفلاطون وأرسطو، فهو يغرف من ابن عربي وابن رشد وابن خلدون وعلي الوردي، فضلاً عن الحكماء الروس والأمريكان لتعزيز حضور الاعتدال والوسطية والموعظة الحسنة، بما يضاعف الإقناع في منهجه ويجعل الطريق إلى الحق سالكاً بكثرة، وهو لا يتوانى عن تنويع اقتباساته لتشمل مآثر في أدبيات عالمية، فيأخذ أحسن القول من البريطانيين وليام شكسبير وتشارلز ديكينز والإيطالي أمبرتو إيكو ليؤكد أن (العلاقات الدولية تكثفت في آخر نصف قرن، وأصبح لدى كل باحث علاقات صداقة مباشرة مع عدد من الشخصيات يفوق ما كان في السابق

بكثير)[1]

ومـن منطلـق نزعـة وطنيـة صادقـة يدعـو الأسـتاذ شـعبان في مقـال آخـر النخـب الثقافيـة المدنيـة والدينيـة إلى حـوار يشـمل أتبـاع الشرائـع، ولاسـيما المسـلمين والنصـارى، وهـؤلاء لديهم منزلـة عليـا في ضـمير الأسـتاذ شـعبان، فالمسـلمون يمثلـون الأرض التي انحـدر منها حيـث مدينة النجـف الأشرف التـي تضـم رفـات أشـجع الصحابـة ومـن أوائلهـم في الإسلام، علي بـن أبي طالب، والنصـارى الذيـن ارتبـط معهـم بعلاقـات ود واحترام وتفاهـم حضـاري، بحيـث خصهـم بكتابـه ذائـع الصيـت (أغصـان الكرمـة.. المسـيحيون العـرب).

وقـد اسـتمتعت جـداً وأنـا أطالـع هـذا المقـال المنشـور في (الزمـان) تحـت عنـوان (شركاء في الوطـن ومشـاركون باتخـاذ القـرار). وعنـدي أن الأسـتاذ شـعبان واحـد مـن أهـم الكتّـاب العرب الذيـن يحسـنون صياغـة العناويـن المقاليـة. وهـي مهمة شـاقة تحتاج إلى مهـارات إضافيـة. وأنا من أشـد الصحفيين الأكاديميين، الذين يلزمون أي كاتب بوضع عنوان مناسـب لمقالاته، انسـجاماً مـع حقيقـة أن العنـوان هـو قسـم لا يتجـزأ مـن أقسـام البنـاء الفنـي، وأرى أن العنـوان الناجـح ينطـوي على الخصائـص التالية:

1. التعبير عن المحتوى.
2. التكثيف.
3. قليل من الإثارة.

وبالنسـبة للبنـاء الفنـي للمحتـوى الصحفي، يحتـاج المدونـون أو المحررون أو الكتّـاب عموماً، إلى كفايـة لازمـة وبنـاء خـاص في التأهـل المهنـي لاسـتيعاب قواعد اختيـار العنـوان والتعرف على وظائفـه السـايكولوجية والاتصاليـة[2] وبعض لوازمه السـيميائية.

وينضـاف إلى هـذا الاتجـاه الذي أبدع فيه الأسـتاذ شـعبان، عنوانان اسـتوقفاني وأنـا أنجز هذه الدراسـة، أُخضِـع باقـةً مـن المقـال لتحليـل أولـهما (عن ظاهـرة الترامبيـة)، وهي ظاهـرة خطيرة في الفضـاء السـياسي الـدولي بحكـم انطوائهـا على مفاهيـم شـعبوية واتسـاع امتدادهـا المـكاني

1- أمبرتو إيكو – وقائع مجتمع سائل – ترجمة معاوية عبد المجيد – بغداد: دار المدى – 2023 – ص326.

2- أحمـد عبـد المجيـد – العنـوان ووظيفتـه المعرفيـة – تجليـات في الكشـف عـن المحتوى وتسـويقه – مجلة الكاتب العـربي – العدد 93 سـبتمبر/أيلول 2016 – ص123.

تمهيداً لاستوائها على سدة الحكم. وأما العنوان الثاني فهو (11 سبتمبر الروسية)، وينطوي على استعارة دموية مع مقاربة نفهم منها انتقامية الدور وصدامية القوة، التي تمثلت بعدد من العمليات الإرهابية التي تلجأ إلى الضرب العشوائي العابر للحدود. وبكلمات مصوغة بعيار الذهب، يقدم الأستاذ شعبان خلاصة أو خلاصاً لما يجب أن يفعله العالم لمواجهة هذا النوع من العنف الدموي، وذلك بسد (الثقب الأسود وفهم طبيعة الحركات الإرهابية وتفكيك منطلقاتها الفكرية).

إن الطبيعة الإنسانية للأستاذ شعبان، كمفكر ذي خلفية يسارية، تجعله يكتفي بالحل السلمي، المتمثل بتفكيك الفكر ومقارعة الحجة بالحجة وصولاً إلى ثقافة تنأى بنفسها عن تدمير المجتمعات وإهدار طاقاتها ومواردها والتفريط بفرص تقدمها وتنمية بلدانها. وجدير بالذكر أن الأستاذ شعبان، مساعد خفي لإدارات التحرير في الصحف التي تحظى بنشر مقالاته، لأن القائم في الاتصال داخل هيكل إدارة التحرير لا يحتاج إلى جهود مضنية أحياناً، لمراجعة المقال أو كشف ملابساته أو نزع الألغام منه، مثلما لا يحتاج إلى نباهة أو انتباه لتصحيح بعض مفرداته وأخطائه النحوية، فهو يأتي متكاملاً مكملاً. ويترجم خطوات تحرير المقال من حيث الإعداد وتنظيم المادة وأهم معالمها والكتابة والمراجعة، وفي كل خطوة من هذه الخطوات معالم[1]

وخلال جمع البيانات اللازمة لتحليل مقالاته، رصدتُ نمطاً جديداً من الكتابة المقالية للأستاذ شعبان ترجمها في مقدمة كتابه إلى كتاب الناشطة السعودية عالية فريد، وفيه سمات مقال صحفي، لكنه مبني بناءً لافتاً، فهو لا يخضع لقواعد التقسيم الدارجة التي يشترك فيها المقال مع البحث العلمي والمتمثل في العنوان والمقدمة والمتن (الجسم) والخاتمة (الخلاصة)، بل يطيح بالهرم المعتدل بحيث يبدو هرماً مقلوباً، وهي عملية لا يحسن تشييدها إلا ذو مراس وقدرة عميقة واقتدار نوعي.

وكرس الأستاذ شعبان هذا النوع المتميز من المقالات ذات النزعة السردية، في سلسلة نشرها في جريدة (الزمان) بعنوان: أنطولوجيا المثقفين العراقيين والعرب، وتضمنت تحليلاً معمقاً لمسيرة وأعمال عدد من الأدباء العراقيين كالجواهري ومظفر النواب ومصطفى جمال

1- للمزيد عن ذلك راجع: د.سليمان موسى فضالة – فن المقال الصحفي – عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع ونبلاء ناشرون – 2015 – ص 71-68

الديـن وعبـد الأمير الحـصيري، وقد أصـدر كتاباً تضمـن أنطولوجيا المثقفين العـرب كجورج حبش وغيره، إلى جانـب نحـو 48 شـخصية مـن طلائـع المثقـفين

ذات مـرة سـألني أحـد طلابي: هـل يمكـن أن نقلب بناء المقـال؟ فأجبته، بعد تأمـل: يجوز ذلك إذا توافـر الكاتب المقـالي المقتدر والكفوء.

وهـا أنـا أكتشـفه في شـخص الأسـتاذ شـعبان، المقـالي البـارز والمفكر الكـبير والمثقـف العضوي على حـد وصـف الفيلسـوف الإيطـالي غرامشي

رؤية الدكتور عبد الحسين شعبان إلى قضايا العصر ومشكلاته

د.أحمد نزال[1]

1- أستاذ جامعي والأمين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين.

تسعى هذه المقالة إلى تبيُّن رؤية الدكتور عبد الحسين شعبان إلى قضايا عصره، وكيفية تشكُّل هذه الرؤية عنده، ثم تجسُّدها في الحياة العملية

ولتبيُّن هذه الرؤية سوف نبحث في قضيتين:

الأولى: مصادر رؤية الدكتور شعبان ومكوِّناتها.

الثانية: تجسيد هذه الرؤية في أشكال عملية.

أولاً- مصادر رؤية الدكتور عبد الحسين شعبان ومكوناتها

لمعرفة مميزات هذه الشخصية العلمية والفكرية، نراجع ما ورد في كتب شعبان ومؤلفاته ومقالاته وحواراته وسيرته الذاتية، فنجد مكوِّنات أساسية يمكن أن نوردها كما يأتي

1. الانتماء إلى أسرة توارثت العلم أباً عن جد وكابراً عن كابر، مع رئاسة خدمة مقام الإمام علي رضي الله عنه في النجف الأشرف:

ولد الدكتور عبد الحسين شعبان في مدينة النجف الأشرف في العراق العام 1945 لأسرة عربية كبيرة، يعود أصلها إلى اليمن (جبل النبي شُعيب)، وهي بطنٌ من حمْيَر القحطانية التي نزحت من اليمن إلى بلاد الشام بعد انهيار سد مأرب، ونزلت فرقة منها إلى العراق باتجاه منطقة الفرات الأوسط، وسمّوا بالشعبيين الذين هم عشيرة (آل شعبان) الموجودة حالياً في النجف والكوفة وكربلاء والبصرة وبغداد

ولا يمكن لساكن النجف الأشرف إلا أن يتأثر بمكانتها العلمية والأدبية منذ القرون الأولى للهجرة، وخصوصاً مع ارتفاع جامعتها العلمية على يد الإمام الطوسي المتوفى 460 للهجرة، ومنذ ذلك الوقت شكَّلت ملاذاً لطلبة العلم، وغالباً ما تزيَّنت حلقاتها بالنقاشات الأدبية والفكرية والثقافية، وكانت محط أنظار الطلاب من مختلف البلاد الإسلامية، فغدت مدينةً مفتوحةً على الثقافات والحضارات والأفكار التي يحملها أصحابها

درس الدكتور شعبان وتعلَّم في مسقط رأسه، في بيئة عرفت الانفتاح والتلاقح الثقافي، يقول

في هـذا الصـدد: «في المنـزل الـذي وُلـدت فيـه في «عكَـد الـسلام» في النجـف، كان صـوت القـرآن الكريـم مدوّيـاً وهـادراً، حيـث يفتتـح والـدي نهـاره بقـراءة القرآن، وظـلّ على عادتـه تلك طوال أيـام حياتـه على مـا أظن. وشـكّل القـرآن أحد الروافد الروحية الأساسـية في تكوينـي وفي منظومة القيـم التـي تأثّـرت بها لاحقـاً خصوصاً: الـخير والمروءة ومسـاعدة الفقير ونصرة المظلـوم والدفاع عـن الحـق والانحيـاز إلى العـدل والرحمـة والتسـامح وغيرهـا. وفي مرحلـة نشـأتي الأولى تلـك، اطّلعـت على «نهـج البلاغـة» للإمـام علي، وهـو مـا دفعني لاحقـاً للاطلاع على المذاهـب الأربعة، وفـيما بعـد على الإنجيـل، إضافـة إلى البوذيـة وتعاليمها»

يميـل البيـت الذي نشـأ فيـه الدكتور شـعبان إلى الأفـكار الجديـدة، التقدمية، اليسـارية، حيث كان «ماركـس يعيـش معهـم» على حـد وصفـه، وكان المنزل أقرب إلى ورشـة عمل يومية تحتشـد فيـه الأوراق والصحـف والمـجلات والكتـب والمنـاشير السريّـة، ويلتقـي فيـه شـبّان مـن طبقـات مختلفـة، مثقفـون ورجال دين وشـيوخ ويسـاريون ويمينيـون، ومتدينـون وغير متدينين ومؤمنون وملحـدون، لكـن أجـواء النجـف بشـكل عـام والعائلـة بشـكل خـاص كانـت متعايشـة ويتجـاور فيهـا الأضـداد، وهـو مـا أكسـبه مرونة وسماحـة وتواصلاً مـع الآخـر. كما كان لعشيرة آل شـعبان في النجـف الأشرف رئاسـة الخدمـة في مقـام الإمـام علي رضي اللـه عنـه منـذ قرون

2. تكوُّن الشخصية في فضاء ثقافي وأدبي متميِّز:

منـذ نشـوئه، كانـت بين الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان والشـعر علاقـة حميمـة. وهـي، في تقديـري، علاقـة طبيعيـة بين العراقـي والشـعر، وعلاقـة متميِّـزة مع الشـعراء العراقـيين والعرب، وصلـت مـع الكثيريـن إلى صداقـة متينـة، كما كانت مع محمد مهـدي الجواهـري ومظفَّر النواب على وجـه الخصـوص، ومعرفـة عميقـة بالشـعراء المعاصريـن، مثـل: بـدر شـاكر السـياب، وعبـد الوهـاب البيـاتي، ونـازك الملائكـة، وبلنـد الحيـدري، ونـزار قبـاني، وكاظـم الـسماوي، ورشـدي العامـل، وسـعدي يوسـف، وأدونيـس، ومحمـود درويش، ويوسـف الصايـغ، وعبد الـرزاق عبد الواحـد، وسـامي مهـدي، وحميـد سـعيد، ومصطفـى جمال الديـن، ومظفـر النـواب، ولميعـة عبـاس عمارة، وعاتكـة الخزرجـي

هـذا فـضلاً عـن قـراءة معظـم النتـاج الأدبي العـربي لكـثير مـن الكتـاب، منهـم: جبران خليل جبران، والمنفلوطي، ويوسـف السـباعي، وإحسـان عبـد القدوس، ومحمد عبـد الحليم عبدالله،

ونجيب محفوظ، وآخرون.

ثم تفقَّه الدكتور شعبان في علوم الاجتماع والسياسة والقانون والحضارات والأديان، وموضوعات حول الوحدة العربية والقومية وحقوق الإنسان والديمقراطية والأديان والقوانين الدستورية والدولية بما فيها قضايا النزاعات والحروب والتّسامح واللاعنف، وقضايا فكرية متعدِّدة

كما كان للصراع العربي - الإسرائيلي نصيبٌ كبير من ثقافة الدكتور عبد الحسين شعبان، حتى غدا الحديث عن هذا الصراع وحقوق الشعب الفلسطيني محطَّ اهتمام كبير لدى الدكتور شعبان، تُرجم بالعديد من الإصدارات والمحاضرات والمطارحات النقدية

3. رحلة علمية متميِّزة بين بغداد والغرب:

كنا قد أشرنا إلى دراسة الدكتور شعبان في النجف الأشرف لمراحل الدراسة الأولى، ثم انتقل إلى جامعة بغداد، فتخرّج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وواصل دراسته العليا في براغ في جامعتين: الأولى جامعة 17 نوفمبر والثانية جامعة تشارلس (كلية الحقوق)، حيث نال درجتي الماجستير، في العلاقات الدولية والقانون العام، ثم واصل مشواره العلمي في أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية فحاز على درجة الدكتوراه (مرشح علوم) في القانون (دكتوراه فلسفة في العلوم القانونية) من «معهد الدولة والقانون»، واختصّ بالقانون الدولي

ثانياً- تجسيد هذه الرؤية في أشكال عملية

1. ممارسة نشاط طلابي فعَّال في النجف الأشرف:

بدأت علامات التمرُّد منذ كان صغيراً، خصوصاً عندما نعلم أنه نشأ في بيت يميل إلى الأفكار الجديدة، ويرفض التقاليد البالية، وهو ما أثر في شخصيته منذ الصغر، كما أن علاقته بمحمد موسى، البطل الشعبي، الذي يقتحم الميدان، وهو مدجَّج بسلاحه، يتحدَّى الشرطة، كان لها أثرٌ كبيرٌ خصوصاً بعد استشهاد محمد موسى العام 1963، والشاب شعبان في مرحلة الشباب المتحمِّس الثائر، وفي مرحلة كان العراق يغلي بالتداخلات الطلابية والثقافية والسياسية والاجتماعية

وفي هذا العام بالذات انطلق الشاب شعبان في فضاء النضال الطلابي والسياسي والمهني

والنقـابي، وتعـرَّض للملاحقـة والتعذيـب، وفُصـل مـن الدراسـة في الصـف الأخير مـن الثانويـة العامـة، ثـم أفلـت مـن الاعتقـال

كما تعـرّض للملاحقـة في العـام 1970 حيـث تـوارى عـن الأنظـار لبضعـة أشـهر، حينهـا كان يفـاوض عـن الحزب الشـيوعي مع حزب البعـث الحاكم في قطاعَين مهـمَّين هما: الطلبة وجمعية العلـوم السياسـية التـي اندمجـت بجمعيـة الحقوقـيين العراقـيين لاحقـاً، عـلماً بأنـه كان قد مُنح عضويـة شرف لنضالـه في صفـوف الحركـة الطلابيـة مـن جانـب الاتحـاد الوطنـي لطلبـة العـراق (الرسـمي)، لكـن ذلـك لم يمنـع مـن ملاحقته

أجبر شـعبان على اختيـار المنفـى لأول مـرّة في العـام 1970، واسـتثمر وجـوده في المنفـى لنيـل شـهادة الدكتـوراه، وعـاد إلى العـراق بعـد انتهـاء دراسـته في العـام 1977.

2. ممارسة نشاط حقوقي في قضايا العراق والأمة:

اعتُقـل الدكتـور شـعبان مـرةً أخـرى في العـام 1979، وتعـرّض خلالهـا للتعذيـب، واسـتدعي للاسـتجواب لأكثر مـن 5 مـرّات حيـث كان يـؤدي الخدمـة العسـكرية الإلزاميـة، وكاد أن يُعـدم، فاضطـرّ لمغـادرة العـراق إلى المنفـى في العـام 1980

وبعـد أن انتقلـت الحـرب إلى الأراضي العراقيـة 1983 كان مـن أوائـل الذيـن حـذّروا منهـا، داعيـاً إلى وقـف الحـرب فـوراً والجلـوس إلى طاولـة مفاوضـات والاتفـاق على حلول سـلمية وفقاً لقواعـد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وعلى أسـاس سياسـة حُسـن الجـوار وعدم التدخّل بالشـؤون الداخليـة والمصالـح المشتركـة والمنافـع المتبادلة

وقـد بلـور موقفه ذلـك بتحرّك عربي ودولي بالدعوة إلى وقف الحـرب فوراً والشروع بمفاوضات سـلمية للتوصـل إلى حلـول ومعالجـات للمشـكلات العالقـة بين البلدين، مع تأكيـده على حقوق العـراق في الماء واليابسـة، وإدانتـه لاتفاقيـة 6 آذار (مارس) لعام 1975 بين شـاه إيران محمد رضا بهلـوي وصـدام حـسين نائب الرئيـس حينها، والتـي عرفت باسـم «اتفاقية الجزائـر» التي قدّمت فيهـا الحكومـة العراقيـة تنـازلات لإيران لم يكن لها مـن مبرّر على الإطلاق بما فيها ما سـمي بخط الثالويـك بخصـوص شـط العـرب، وهو خط وهمي من أعمق نقطة في وسـط النهـر وحتى البحر، عـلماً بأنـه نهـر وطنـي عراقـي لا تنطبـق عليـه شروط الأنهـار الدوليـة، وقـد عـاد النظـام نفسـه

للاعتراف بذلك، الأمر الذي دفعه هذه المرة لشن الحرب، تحت عنوان «استعادة الحقوق»، وحصل ذلك بعد الثورة الإيرانية بنحو عام ونيّف، أي في 22 أيلول (سبتمبر) العام 1980.

أصدر بالتعاون مع عدد من رفاقه في بيروت، أواسط الثمانينيات صحيفة باسم «المنبر» الشيوعية، وكان محرّرها الأساسي والمشرف على إصدارها، وضمّت نخبة مهمّة من مثقفين وأكاديميين حاولوا تقديم قراءات جديدة للماركسية بما ينسجم مع التطوّر وروح العصر ومصالح الأمة العربية، ولذلك كانت دعوته لمراجعة بعض مواقف الحزب الشيوعي جريئة ومتقدمة، مثل الموقف من القضية الفلسطينية، ولا سيّما من قرار التقسيم بما فيه نقده المبكّر لمواقف الاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية من عدد من القضايا العربية، والموقف من الوحدة العربية والموقف من الديمقراطية عموماً والديمقراطية الداخلية خصوصاً، والموقف من التحالفات وأساليب الكفاح وغير ذلك، الأمر الذي استغرق منه إعادة قراءة الماركسية من مصادرها وتدقيق ما صلح وما لم يصلح منها، باعتبار أن كارل ماركس هو وليد حقبته الزمنية التاريخية، وأن آراءه واستنتاجاته تعود لعهده، وقد لا تصلح لزماننا، وعلينا استنباط الأحكام والاستنتاجات التي تنسجم مع التطوّر الحاصل في العلوم والتكنولوجيا ووسائل الاتصال وغيرها، مع تأكيده صلاح المنهج الديالكتيكي، وهو ما عبّر عنه في كتابه «تحطيم المرايا - في الماركسية والاختلاف» (2009)

وبعد توقف الحرب العراقية - الإيرانية قدّم هو ومجموعة من رفاقه مشروعاً يتضمّن أساساً لمصالحة وطنية، عبر بلاتفورم سياسي تضمّن عدداً من النقاط أهمها: إعادة إعمار ما خربته الحرب، وإحداث تنمية شاملة وإعادة المهجرين العراقيين إلى وطنهم وتأمين عودة سليمة لهم ولجميع المعارضين وعدم ملاحقة أي منهم، وحل القضية الكردية سلمياً بتلبية المطالب المشروعة للشعب الكردي وإطلاق الحريّات والتمهيد لفتح حوار وطني لإجراء تغييرات دستورية، وانتهاج سياسة عربية من شأنها تعزيز موقع العراق، لكن الحكومة لم تستجب لتلك المطالب وظلّت سادرة في غيّها متعالية ومتنكّرة لأي استحقاق سياسي جديد يقوم على الإقرار بالتعدّدية والتنوّع وإجراء إصلاحات دستورية وقانونية من شأنها تطبيع الحياة السياسية وتوسيع دائرة الحريّات والحقوق

وفي إطار العمل مع المعارضة فقد كانت بداياته في الشام، حيث كان ممثلاً للحزب الشيوعي ولحركة المنبر الشيوعية فيما بعد، وتقرّر نقل إصدار صحيفة «المنبر» إلى أوروبا

فصدر منها عدد واحد في «براغ» التي انتقل إليها، ثم أصدر عدداً آخر في لندن التي استقر فيها، وكان قد مكث في براغ عاماً وبضعة أشهر، وقرّر أن ينتقل إلى لندن بعد غزو القوات العراقية للكويت (1990)

وفي لندن، ومنذ أواخر العام 1990، كان أحد الشخصيات البارزة في المعارضة العراقية ممثلاً لحركة المنبر الشيوعية، وعندما تقرّر إيقاف إصدار الجريدة كان يمثّل شخصه باعتباره يسارياً مستقلاً، وشارك في العديد من المؤتمرات، وانتُخب عضواً في قيادة المعارضة المؤلفة من 17 شخصية في مؤتمر انعقد في فيينا (حزيران - يونيو) العام 1992، وبعد نحو 4 أشهر انعقد مؤتمر موسّع ثان في كردستان العراق، وانتخب فيه أميناً للسرّ، لما عرف بالمؤتمر الوطني العراقي، في (نوفمبر - تشرين الثاني) 1992.

وعلى الرغم من أنه هو الذي أعد التقرير السياسي للمؤتمر والبيان الختامي، لكن هذه الوثائق التي كانت تندّد بالحصار وبنظام العقوبات الدولي وُضعت على الرف، وتصرّفت الإدارة المتنفّذة بالمؤتمر بما كانت تمليها عليها أجندتها، وهو ما دفعه للاعتراض على هذا التوجّه سواء في اجتماعات قيادة المعارضة أو بالكتابة ضد الحصار وضد القرارات الدولية في تغريد خارج السرب -كما يُقال- واضطرّ بعد أشهر قليلة إلى تقديم مذكرة موسّعة في تموز (يوليو) العام 1993. وحين شعر بأنَّ الصراع بلا جدوى، ولاسيما أن هناك اصطفافات جديدة أخذت تتكوّن داخل المعارضة مثلما نشأت مصالح جديدة، اضطرّ لتقديم استقالته بعد بضعة أشهر، وكانت استقالة مدوّية، لأنها ندّدت بالتوجّه الممالئ للقوى الدولية، وشخّصت عِلل المعارضة التي أسماها بالتعويلية على القوى الأجنبية والعزلة عن الشارع العراقي، ولا سيّما في الموقف من الحصار الدولي، وذلك منذ وقت مبكر، الأمر الذي أحرج الكثير

ابتعد الدكتور شعبان تدريجيّاً عن العمل السياسي، وانصرف إلى العمل الحقوقي والفكري، وأصبح واحداً من روّاده في العالم العربي في العقود الثلاثة الماضية، وكانت له بصمة واضحة فيه، قراءةً وتنظيراً ونقداً وممارسةً، مؤكّداً الدور التنويري الذي يمكن أن يقوم به، ولا سيّما إذا كان مهنياً ومستقلاً وسلمياً بحيث يضع مسافة متساوية بين الحكومات من جهة والمعارضات السياسية من جهة ثانية، وبقدر ما ينتصر الحقوقي للضحية فإنه ليس بالضرورة يؤيّد أفكاره، وهو ليس ضد حاكم بعينه، بل إنه مع الحقوق والحريّات بشكل عام، ولذلك عليه أن ينأى بنفسه عن الصراع الأيديولوجي والفكري، الأمر الذي يتطلّب سد النقص الشديد

والفـادح في الوعـي الحقوقـي بشـكل خـاص والوعي بشـكل عام

3. ممارسـة نشـاط تنويـري وتثقيفـي تمثَّـل فـي عضويـة الكثيـر مـن المنتديـات العربيـة:

انتسـب الدكتـور شـعبان إلى الكـثير مـن الاتحـادات والجمعيـات واللجـان العلميـة والروابـط العربيـة، ولا سـيما تلـك المناهضـة للصهيونيـة والعنصريـة، وقـد رفدهـا جميعـاً بالعديـد مـن الأبحـاث والدراسـات والمقـالات، نذكـر منهـا

- **عضو اتحاد المحامين العرب (القاهرة).**
- **عضو جمعية المحامين الدولية (لندن).**
- **عضو مجلس أمناء منتدى الفكر العربي (عمان).**
- **عضو اللجنة العلمية للمعهد العربي لحقوق الإنسان (تونس).**
- **عضو اتحاد الكتّاب العرب (دمشق).**
- **عضو اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين (بغداد).**
- **عضـو اتحـاد الحقوقيـين العـرب (المكتـب الدائـم). (بغـداد - عـمان) وممثلـه السـابق في اليونسـكو (باريـس).**
- **عضو اتحاد الحقوقيين العراقيين (بغداد).**
- **عضو اتحاد الصحفيين العالمي (براغ).**
- **سـاهم في إعـادة بنـاء اللجنـة الوطنيـة للسـلم والتضامـن وكان منسـقاً لأعمالهـا في مطلـع الثمانينيات.**
- **الأمين العام الأسبق للجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية (دمشق).**
- **الأمين العام لمركز الدراسات العربي - الأوروبي (باريس)**
- **المدير العام السابق لقناة البغدادية الفضائية (القاهرة).**
- **عضـو سـابق في مجلـس أمنـاء المنظمـة العربيـة لحقـوق الإنسـان (القاهـرة) ورئيسـها سـابقاً في (لنـدن).**
- **مؤسـس الشـبكة العراقيـة لثقافـة حقـوق الإنسـان والتنميـة (كردسـتان - بـيروت - لنـدن**

- بغـداد) وأول رئيـس لهـا في مؤتمرهـا التأسـيسي (بغـداد - نقابـة المحامـين 5/11/2004).

- الأمين العام المساعد للرابطة العربية للديمقراطية (صنعاء).
- عضو المجلس الاستشاري لدار الخبرة (بغداد).
- مستشار مركز حمورابي للبحوث والدراسات (بغداد).
- عضو مجلس أمناء المركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة (بيروت).
- المدير العام للمركز الوثائقي للقانون الدولي الإنساني (عمان - بيروت).
- عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت).
- نائب رئيس جامعة اللاعنف وحقوق الإنسان (أونور) - بيروت.

4. ممارسـة نشـاط فكـري تمثَّـل فـي إنتـاج عـدد مـن المؤلَّفـات الفكريـة والأدبيـة والحقوقية:

أسـهمت أعمال الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان في رفـد الثقافـة العربيـة بالكـثير مـن الأعمال في مجـالات متعـددة، في القانـون والسياسـة الدوليـة، وفي الصراع العربي-الإسرائـيلي، وفي الأديـان والقضايـا الفكريـة، والثـقافة والأدب والتـرجمات والكتـب المشتركـة مـع مفكريـن ومثقـفين

ولـكثرة هـذا النتـاج الـذي لا يمكـن ذكـره في هـذا المقام، صـار مرجعـاً للباحـثين في الموضوعات التـي طرقهـا الدكتـور شـعبان، كما عـدَّت كتبـه مراجـع أساسـية لطلبـة الدكتـوراه في الجامعـات العربيـة والعالمية

5. النظرة إلى مختلف قضايا العصر وأهم مشكلاته:

لعـلَّ أهـم قضيـة كان مـن الضروري تحديد موقـف حيالها هـي القضية الفلسـطينية. والواقع أن موقـف الدكتـور شـعبان كان واضحـاً في هـذا الصدد، ففلسـطين جزء من الوطـن العربي وقلبه النابـض، وكان على الدكتـور شـعبان، مثـل حـال المفكريـن والمثقـفين، أن يواجـه خطـط الصهاينة ومشاريع الاسـتعمار الغربي

إن موقـف الدكتـور شـعبان كان متقدِّمـاً في هـذا المجـال، خصوصـاً مـن خلال كتابـه: «عصبـة مكافحـة الصهيونيـة ونقـض الروايـة الإسرائيليـة» الـذي يعـدُّ اسـتمراراً لمنهجيّتـه العلميّـة التـي اتّبعهـا في نقـض المزاعـم الإسرائيليّـة ودحـض سرديّاتها وكشـف زيفهـا، وهو ما عمل عليـه تحليلاً

وتفكيكاً ومعطياتٍ موثّقة، منذ عقودٍ من الزمن، خصوصاً مع صدور كتابه: «مذكّرات صهيوني» أواسط الثمانينيّات

وهذا الدور التنويريّ الذي انتهجه المؤلّف في كشف الدّعاوى الصهيونيّة الزائفة بتمثيل يهود العالم بمن فيهم يهود البلاد العربية، هو امتدادٌ لمنهجه البحثيّ في كتابه القانونيّ الرصين: «الصهيونيّة المعاصرة والقانون الدوليّ»

وهذا الكتاب يشكّل إضافةً معرفيّةً هادفةً للمكتبتين العربية والعالميّة، علاوةً على أنه إسهامٌ حقيقيٌّ في بلورة صورةٍ واضحةٍ لإحدى أهم قضايانا المعاصرة، ورفدٌ للرأي العامّ العالميّ برؤيةٍ تميّز بين الصهيونيّة واليهوديّة

ثم سعى الدكتور شعبان، وبمبادرة جليلة، بالاتفاق مع نخبة من الشخصيات الفكرية والثقافية العربية إلى توجيه خطاب إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة دنيس فرنسيس، حول القرار رقم 3379 الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من نوفمبر / تشرين الثاني 1975 القاضي باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، ثم أقدمت الجمعية العامة على إلغاء القرار في عام 1991.

وأكّدت الرسالة وجوب إلغاء الإلغاء، أي إعادة التصديق على القرار رقم 3379، حيث أثبتت الحرب الدائرة في غزة منذ أكثر من ثمانية أشهر، وما يتعرض له الفلسطينيون من حرب إبادة همجية، أن هذا الكيان يمارس أشد أنواع العنصرية والوحشية بحقّ الشعب الفلسطيني، ومقدسات الأمة وتراثها

وأشارت الرسالة إلى أن الكيان الغاصب ما زال يتنكر لقرارات الأمم المتحدة، ولا سيما القرار 181 عام 1947 والقرار رقم 194 عام 1948 الذي يضمن حق العودة، إضافة إلى حزمة أخرى من القرارات التي تدين ممارساتها العنصرية وإنكارها لحقوق الشعب العربي الفلسطيني

وبعد، فقد أسهم الدكتور شعبان في التنوير الثقافي والحضاري، فكانت كتبه ومحاضراته إشعاعاً أكيداً لكل الباحثين والمثقفين والقراء، ورسم للإنسان العربي طريق التحرُّر من القيود التقليدية، ومسار انفتاح العقول على الوقائع والأحداث، والتحذير من العلاقة بالغرب، التي تمثِّل الحداثة والاستعمار في آن واحد

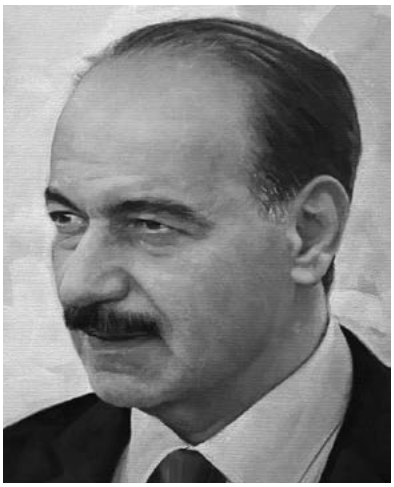

في يوم الوفاء.. شهادة وفاء

أمجد توفيق[1]

1- روائي وكاتب عراقي

في البـدء أقـول: إن تكريـم المفكـر العـربي الكـبير عبـد الحـسين شـعبان في يـوم الوفـاء الـذي تقيمـه دار سـعاد الصبـاح، يمثـل انتصـاراً كـبيراً على عـدة مسـتويات:

- إنه انتصار للقيم التي تفرزها مسيرة طويلة.
- إنه انتصار للجمال وقيمه التي تمنح الحياة سعة إضافية.
- إنه اعتراف بالجهد النوعي والإنجاز المتفوق للمفكر شعبان.

ومـا دام الأمـر كذلـك، فمـن حقنـا أن نعد التكريم شـارة نضعها على صدورنـا في موضع قريب مـن القلـب، فهـي حصتنا مـن الفرح في تكريم من يسـتحق ذلـك بجدارة..

- **عبد الحسين شعبان:**

للأشجار قوانينها.. فشجرة التفاح تنتج تفاحاً.. وشجرة البرتقال تنتج برتقالاً.. لكن شجرة الدكتور عبد الحسين شعبان شجرة عجيبة، فكل غصن من أغصانها الوارفة تنتج ثماراً مختلفة، ولكل ورقة من أوراق هذه الشجرة لون ونكهة مختلفة عما نعرفه من قوانين ومقومات وآليات اشتغال.

إنـه فيلسـوف، ومفكـر، وناقـد، وأديـب، ومحـاور جـدلي، وسـياسي لا يلبـث أن يتجـاوز فكـره فكـرة انتمائـه، فلا يتـورع عـن النقـد والتصحيـح.

رجـل متشـبث بحقـوق الإنسـان ومدافـع صلـب عـن الحريـة، فلا غرابـة أن ينـال وسـام أبـرز مناضـل لحقـوق الإنسـان في العـالم العـربي.

الدكتـور شـعبان يتنقـل بين العقل وفقـه الواقع، ويناقش جـدل الهويات، ودور المثقف وسـط الأزمـات، ويحطـم المرايـا الجاهـزة في مناقشـته للإرهـاب والدِّيـن والدولة والمجتمع، ثـم لا يلبث أن يفيـض لديـه الحـس الـجمالي، فيبحـث عنـه في كنـوز الشـعر العـربي، ليتحول إلى ناقـد مهموم بالاحتفـال بالقيـم الجماليـة، إنـه يحمل إزميلـه الماسي وينقّب بكـثير من الـصبر والكفاءة..

تتـوالى منجزاتـه الفكريـة لتتجـاوز الـثمانين كتابـاً في حقـول المعرفـة، والجوهـر الـذي ينبغـي التوقـف أمامـه هـو دوره المتصاعـد كمثقـف عضـوي فعـال باحـث عـن الجـذر الحـي المؤثـر في حركـة المجتمـع، فهـو لا يـولي اهتمامـه لما هـو عابـر أو غير أصيـل..

فضيلة الدكتور عبد الحسين شعبان أن جهده استطاع أن ينزل الفكرة التي يتحدث عنها من مدلولات سابحة في الفضاء إلى مدلولات لها جذرها في الأرض، وبذلك حقق نوعاً نادراً من الإنجاز قوامه الكشف والانتصار للقيم العالية أينما كانت وفي ظل أي ظرف.

- **التحديات:**

هل كانت مسيرة الدكتور شعبان يسيرة سهلة؟

أبداً، فهي مسيرة ملغومة بالمتاعب والملاحقات والمآسي، فمع بدء تشكيل وعيه النقدي أبى مغادرة إخلاصه له، ودفع أثماناً باهظة، تحمّلها بكثير من الصبر والتضحية..

كان معارضاً، ومعارضته لا تتوقف أمام نظام الحكم أو البحث عن الحكم الرشيد، إنه معارض أصيل يمارس معارضته بشكل تلقائي حتى ضمن صفوف من ينتمي إليهم، ما يؤشر إلى حالة مهمة قوامها أن المفكر شعبان أسقط القداسة عن الفكر والتوجهات وتعامل معها بعين ناقدة بحثاً عن الأثر الذي لا تكنسه هبّة ريح..

تتوالى انتقاداته، وتتوالى رؤاه في التصحيح ورسم معايير اختيار ما هو حي ومتحرك، يقوده في ذلك فهم ورؤية لا تعترف بالتحزب، لأنها مهمومة بالحياة الحرة الكريمة..

ولاؤه كان ومازال للإنسان في حالاته جميعاً، إنه يؤمن بأن أي جهد أو نشاط أو توجه لا يكون الإنسان محوره وهدفه، هو جهد مطعون وينبغي فضحه، والانتصار للإنسان كقيمة عليا..

لذلك فحين يكرس الدكتور شعبان جزءاً كبيراً من وقته وجهده في كل ما ينتصر لحقوق الإنسان والدفاع عنها وتنظيم المؤتمرات والفعاليات على مستوى دولي، وإلقاء مئات المحاضرات في الجامعات والمعاهد، فإن كل ذلك يؤكد حرصه الثابت على ولائه لقيمة الإنسان، وشرف الدفاع عن هذه القيمة..

وفي سبيل ذلك، تعرض شعبان لمحاولات تدجين، ومحاولات تخويف، ومحاولات حرفه عن الخط الذي انتهجه، ولم تكن نتيجة كل ذلك سوى المزيد من الإصرار على الانتصار للحياة بوجه كل ما يطعن سرها ومجدها وقيمتها..

- **تحولات واهتمامات الدكتور شعبان:**

الفلسـفة.. الفكـر.. الدِّيـن.. الثقافـة.. الأدب.. السياسـة.. المجتمع المـدني.. التاريـخ.. الحريات.. القمـع.. القانـون.. العقـد الاجتماعي..

محـاور بـرز مـن خلالهـا الدكتور شـعبان، وفي كل محـور كتـبٌ وأطروحات تنتظـم جميعها في قلادة عصيـة في جمـع محتويـات، وعصيـة على تصـور مكامـن جمالها إلا على مـن يدرك سر هذه الـقلادة الفريـدة، والقانـون والمعـايير التـي يمكـن اسـتنتاجها، وسر كل ذلك بسـيط جـداً، وعميق جداً؛ إنـه الإخلاص للحياة والإنسـان.

إنـه ينـتصر للإنسـان، وحين يخفـق المجتمـع الـدولي وقـواه المؤثـرة في تحقيق الحـد الأدنى من الكرامـة والحيـاة الكريمـة للشـعب الفلسـطيني، فـإن الدكتور شـعبان يعد أن الانتصار لفلسـطين وشـعبها وحقهـا في حياة كريمة شـغله الشـاغل، فلا يتوقـف عن إلقاء المحـاضرات وإصدار الكتب وتنظيـم التجمعـات والاجتماعـات بحثـاً عـن طريقـة أو أسـلوب أو لافتة تفضح العـري الأخلاقي لإسرائيـل ومـن يمدها بأسـباب العدوان.

إن الوعـي بحجـم الجرائـم المرتكبـة محنـة حقيقيـة، إنـه كالجمـرة، يحملهـا الدكتـور شـعبان وينقلهـا مـن يـد إلى يـد أملاً في تخفيـف ألمهـا، لكنها تبقى متقـدة تمد قلب وفكـر حاملها بالمزيد مـن الإصرار والثبات..

- **مفارقات:**

في حياتنـا الثقافيـة، والنشـاطات المرتبطـة بها، نفتقـد إلى الجمهور المتحمس الـذي يذكي شرارة الإبـداع ويمنحـه الألق الذي يسـتحقه..

غابـت الجمـوع التـي كانـت تنتظر أمـام أبواب القاعـات بعد امـتلاء مقاعدها، وغابت شـعلة الـحماس المـعبر عنهـا بالهتافـات والتصفيق والهلاهـل.. افتقدنا بهجـة كل ذلك..

والغريـب أن عبـد الحسين شـعبان برغم أنه ليس شـاعراً وليس فناناً، لكن محاضراته تسـتطيع إعـادة ما افتقدناه

في مدينـة صـغيرة عقـد الدكتـور شـعبان نـدوة تحـدث فيهـا عـن التحديـات التـي تواجـه مجتمعنـا، وتطـرق إلى موضـوع حقـوق الإنسـان ومـا يعنيـه في حياتنـا، وبرغـم جفـاف الفكـرة،

وصعوبـة إشـادة علاقـة تلـقٍّ ممتعـة مـع الجمهـور، فقـد بلغ الـحماس أشـده بعـد كل فقرة من فقـرات كلامـه، وأظـن أن ذلـك يرتبط بشـكل مـا أمام بصمـة الصوت والحركـة والإلقـاء، ما يؤكد قدرتـه على توصيـل مـا يؤمـن بـه إلى جمهـور السـامعين.

وفي كـثير مـن التجمعـات والمؤتمـرات كنت أشـاهد الدكتور شـعبان يلعـب دوراً كاسـحاً لألغام الشـكوك والمشـكلات، باحثـاً عـن حلـول، مركـزاً على الهـدف النهـائي، نافضـاً يديـه مـن التفاصيل التـي لا يهمهـا سـوى إبطـاء الحركـة وزرع اليـأس في القلوب.

- **أخطاء شعبان الذهبية:**

أمـام هـذا الثراء الروحـي، والغنـى المعـرفي، والمـسيرة المتخمـة بالإنجـاز، هـل كان الدكتور عبد الحـسين شـعبان بعيداً عـن الأخطاء؟

في تجربتـي الإبداعيـة تحدثـت كـثيراً عما أسـميته بالأخطـاء الترابيـة، والأخطـاء الذهبيـة، وفي مجـال الحديـث عنهـا كنـت أميـز بينهـا، فالأخطاء الترابيـة أخطاء صـغيرة لا تليق بـذوي النفوس الكـبيرة، أمـا الأخطـاء الذهبيـة وبرغـم مفارقـة الجمـع بين الأخطاء ووصفهـا الذهبي، أقـول: إنها حصـة ذوي النفـوس العظيمـة، حصـة المصلـحين الكبـار والأوليـاء والفلاسـفة العظـام، إنهـا تلـك الأخطـاء التـي لا تـعترف بالهـوى الجمعـي المنقاد، وتشـق طريقها وحيـدة يحدوها إيمـان مطلق بصدقهـا وجمال هدفها.

مـن أخطـاء الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان أنـه يحمـل قلبـاً لا يتعـظ، بإمكانه أن يرى فسـحة الـجمال في أشـد القلـوب قسـوة، ويـرد على ذلـك بالقول إن بعضهم يسـتحق أن نبـذل جهداً من أجل تفكيـك عقده وهلوسـاته.

ومن أخطائه أنه لا يفقد الأمل، فالإنسان لصيق بالأمل في حالاته كلها.

ومـن أخطائـه أنـه يتحمـس للعطاء، ولا ينتظر شـيئاً مـن الآخرين، إنه بطريقة ما يرضي نفسـه وهـي تمضي في طريقهـا لا يهمها ثناء أو عتب.

وحين يقـال لـه إن العقـد الاجتماعـي فقـد معنـاه، وهـو طريقـة لفـرض سـلطة الأقويـاء، وإن التاريـخ الـبشري تاريـخ إخفـاق، فمازالـت الإنسـانية تئنّ تحت وطـأة العدوان والمصالـح الضيقة،

يكتفـي بابتسـامته البريئـة التـي تقـول: لا شيء يفقـدني الأمل.

- **العقل المركب:**

مـن الاتهامـات التـي توجـه للعقـل العـربي أنـه عقـل بسـيط، ومـن يدّعـي ذلـك فإنـه يحتكر ميـزة العقـل المركّـب لبنـي جنسـه من الغـرب، ومهما كانت الشـواهد التـي تقاد في هذا الشـأن، فـإن النمـوذج الـذي يمثلـه الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان نمـوذج فريـد مـن نوعـه، بمواصفاتـه واتسـاعه وقدرتـه على التحليـل:

- **إنه عقل جدلي متعدد الاهتمامات.**
- **قدرته على الفهم تسبق قدرته على الحكم.**
- **عقل ينتصر للجمال والإبداع.**
- **منفتح على الثقافة الإنسانية، مؤمن بالحضارة.**
- **محارب عنيد في سبيل حقوق الإنسان.**
- **لا يتردد في مناقشة التابوات الدينية والاجتماعية.**
- **ما الذي يتبقى؟**

يبقـى الكـثير، فشـخصية الدكتـور شـعبان، وبنـاؤه الفكـري، ومواهبـه، تضطـره في كـثير مـن الأحيـان إلى الانتظـار كي يمنـح الفرصـة للآخريـن لفهمـه واسـتيعاب مقاصـده، ولأنـه لا يعـرف الكراهيـة في حياتـه، فإنـه يتحمـل تضحيـات الحـب..

هذا قدره..

وبعد، هل أنصفناه؟

شعبان موسوعة تمشي على قدمين، ومن الصعب حقاً رسم تخومها البعيدة..

داعيةُ اللاعُنف وذوّاقةُ الشِّعر

د.إلهام كلّاب[1]

1- أديبة وناقدة - رئيسة جامعة اللّاعنف – لبنان.

يـومَ افتتـاحِ جامعـةِ اللّاعُنـف وحُقـوق الإنسـان في لبنـان، اعـتلى المِـنبرَ خطيـبٌ، سُرعـان مـا اجتـذب الإنصـاتَ والإعجـابَ والتقديـرَ بأناقـةِ الحُضـور وتوهُّجِ الفِكر وسلاسـةِ الحديـثِ ورحابةِ الرؤى الإنسـانيّةِ.

تعـرّفَ الحُضـورُ في هـذا الالـتماعِ الفِكـري السريـعِ إلى د. عبـد الحسين شـعبان، وإلى شـخصيّةٍ فِكريّـةٍ مِحوريّـةٍ في هـذه الجامعـةِ الرائـدةِ، حيـث نعمتُ أنا بمُشـاركتِه، وحيث كان يعلـو ليُثمِر، ويَنحنـي ليُعطي

شـكّلَ د.شـعبان نموذجاً ريادياً مُنفتِحاً على كلّ إنسـانٍ وكلّ فِكرٍ، في سَـعيه إلى المُشترَك الإنساني للثقافـات والحضـارات، وكانـت تشِـعُّ منـه إنسـانيّةٌ فريـدةٌ في توقُّـدِه الذِهنـي وحلاوةِ خِطابـه، في نهَمِـه إلى ارتيـاد كلّ أفـقٍ معـرفي، في تجـذُّر معرفتِـه التُراثيّـةِ وأصالتِهـا، وفي حداثـةِ منهجيّتِـه وديناميّتهـا، في تسـاؤلاته المُتواصِلـة وإنجازاتِـه الفِكريّـةِ المُتوثّبـةِ، وبخاصـة، في توقِـه إلى صِياغـةِ رؤيـةٍ عربيّـةٍ إنسـانيّةٍ، مُنفتحـةٍ مُتجـدّدةٍ تواجـهُ رُكامَ الخيباتِ والخسـائر، ووحشـيّةِ الأصوليّات، ودمويّـة العُنـف، بالمُثابرةِ على خَصبِ الحِوار، وشـجاعةِ الموقِف، والتماعِ الأمَل، ووسـاعةِ القلب.

كان د.شـعبان داعيـةً للاعُنـف، عُنـف الـذات الذي هو انعـكاسٌ لفشَـلِ غريزةِ الحيـاةِ، وعُنف الآخريـن الـذي ينحو لتحويـل الضحيّـةِ إلى جلّادٍ آخر

دعـا د. شـعبان إلى اللّاعُنـف كمبـدأ فِكـري «في تناغُـم الأرواحِ البشريّـةِ وتعاونِهـا» حسـب قـول تولسـتوي، وكمِنهـاجِ عمـلٍ في تحفيـزِ طُلّابه على ابتـداع الحُلـول، وعلى جُرأةِ القيـامِ بِمسيرةِ المعرِفـةِ، كما حفّـز غانـدي مُواطنيـه الهُنـود على «مـسيرة المِلـح» التاريخيّـةِ التـي أضحـت مِثالاً.

إن مـا يسـتوقفُنا في فِكـر د.شـعبان ومسـارِ حياتِـه هـو الخيـطُ السـحريُّ المـرِن الـذي يربُـطُ بإبداعيّـةٍ وتجـدُّدٍ بين مـا عانـاه، ومـا تـاقَ إليـه، ومـا أنتجَـه، وما درَّسـه، ومـا لاحقَه مـن أحداثٍ وتحـوّلات، وبمـا أصـدرَه مـن كُتـبٍ وأبحـاثٍ ودراسـات.. هـذا الخيـط المُشـابه في الميثولوجيـا اليونانيّـة لخيـطِ «آريـان» الأُسـطوري والـذي كان يُشـاركُها في مُعاركـةِ المصاعِـب، كما في هزيمـةِ الوحـشِ الرابِـض في كلّ شرّ.

كان د.شـعبان في دعوتـه اللّاعُنفيّـة يسـعى إلى إعـادة الإنسـان إلى إنسـانيّته، وإلى ابتـداع رُدود

الفِعـل، وإلى اسـتقراءِ البُعـد الإنسـاني في شـجاعةِ الموقِـف ورقّتِه.

ومـن صلابـةِ جُـذوره إلى ارتيـادِ آفاقِ الإنسـانيّة تنوّعت كتابات د.شـعبان وتجلّت في وجه طلّي آخـر، في محطـاتٍ تقـعُ بين القانـونِ والثقافـة، بين السياسـةِ والشِّـعر، بين إعمال العقـلِ وروعـةِ الذائقـة، بين وشـمِ قـوانين حمـورابي وذائقةِ ملحمـةِ جلجامش

يعـرفُ د.شـعبان أن مـا تكتنِـزُه ذاكـرةُ الإنسـانيّة بـإجلالٍ وفخـرٍ ليس صـورةَ البطـلِ المُقاتلِ في معـاركِ التاريـخ، قـدر مـا هـو مُعانـاةُ شـاعِرٍ وصرخـةُ قصائـد تسـمو على الجِـراحِ، تُعانِـدُ المـوتَ وتُرسّـخ بُطولـةَ الحياةِ.

هـو الذوّاقـةُ بامتياز، والذي حاول الوصولَ إلى أعماق النصّ الشِّـعري بأبعـاده وإيقاعِه ووقعِه، في انجـدالِ القصيـدةِ بشـاعِرها، والـجمالِ بالمُعانـاة، والتـذوّقِ بالمُشـاركةِ والصداقـة. توقّـف عنـد القصيـدةِ المُتمـرّدةِ التـي تنسُـج من عُمـق عذاباتِهـا وقَطرات عرقِهـا، الصرخةَ الصادقـةَ للحياة في مُقاومتهـا لعُنـف الواقـع، الصرخةَ الصادقة للشِّـعر.

في آخـر إصدارتـه يسـتعيدُ د.شـعبان ذكرى صداقـةٍ مديدة مع الشـاعِر مظفّر النوّاب، الشـاعِر الـذي أطلـقَ قصائدَه بلهجـةٍ محكيّةٍ شـعبيّةٍ مُضمّخةٍ بـالألمِ والمُعاناة.

هـو شـاعرٌ حُـرّ، قـاسى كلّ أنـواع العُنـف، حُكـم عليـه بالإعدام، حفَـر نفقـاً للهربِ من سِـجنِه وتشرّدَ على مـدى أربـعين عامـاً بين شرقٍ وغـربٍ، وكان ينشُـدُ وطنَـه وشـعبَه وهـو يُعـاني مـن الغُربـة، صادِحـاً بِصوتِـه العفـويّ الصـادِق ضـدّ الاسـتبدادِ والعُنـف.

في كتـاب «رحلـة البنفسـج» يسـتعيدُ د.شـعبان عُنـوانَ قصيـدةٍ مـن ديـوان الشـاعِر مظفّـر النـوّاب ويُسـهم في صياغـةِ غِلاف الكتـاب الـذي يبـدو كقصيدةٍ مُفاجئـة، قد تكون تعريفـاً وثيقاً بالشـاعِر والمؤلِـف معـاً وبعَلاقـة الصداقـة والمُعانـاة والذائقةِ التـي ربطتهُما خلال خمسـة عُقود مـن الزمن.

ينحـازُ هـذا العُنـوان الموحـي إلى البنفسَـج، أي إلى زهـرةٍ توحـي بالرقّـة والـجمال، تجمـعُ بين تواضُـعِ الموقـع، وكبريـاءِ اللـون الـذي يُقاربُ أرجـوانَ صور، وتفـوحُ بعطرٍ أليف هو ضوعُ الشِّـعر الـذي لا يحبِسُـه زمـانٌ أو مـكان، أكان سِـجناً أو منفى.

لكـنّ الشـاعِرَ الـذي انجدلَـت حيـاةُ د.شـعبان بحياتـه ومواقفِـه، وقصائـدُه بذائقتِـه، وتقديرُه

بمحبّتـه، هـو الجواهري.

كان الجواهري رائداً في القصيدة الكلاسـيكية وظاهرةً في جزالةِ الشِّـعر ورقّةِ الإحسـاس وجُرأةِ الكلمةِ المُدوّية.

مـع هـذا الشـاعِر العراقـي، تحالفت معـاركُ الحياة مـع الصداقةِ، مـع الذاكرةِ، مـع الذائقةِ، في تاريـخٍ نضـاليٍ لا ينفصـلُ عـن تاريـخِ العـراق. فهـو ابـنُ مدينتِـه النجف وشريـكُ منافيـه المُتنوّعة ورفيـقُ كلّ أحـداثِ حياتِه.

عايشَـه طـويلاً وسـاجلَه طـويلاً، وأصـدر عنـه حتـى الآن ثلاثـةَ كُتـبٍ عميقـة الغَـور، مُرهفـة الإحسـاس ورائـدة في انجـدال الصداقـةِ بالشِّـعرِ والنضـالِ والمُعاناة والعـذابِ والوطنِ والشـجاعةِ ومُقاومـةِ الظُلـم والطغيـان. هـذه الكُتب هـي «الجواهري في العيـون من أشـعاره»، «الجواهري جـدل الشـعر والحيـاة»، و«جواهـر الجواهـري»، وهـذا العُنـوان الأخير يسـمو بحقيقتِـه عـن أي تطابُـق لُغوي.

وأسـتعيد هنـا مـا قلتـه في تقديمي لمفكرنا الكـبير د.شـعبان في المركز الثقـافي العراقي في بيروت في العـام 2013 بمناسـبة الذكـرى الـ16 لرحيـل الجواهري: سـأجتزئ وأقول: كيـف لحفيد حمورابي أن لا يكـون قانونيـاً حقوقيـاً عـادلاً عـالماً؟ وكيـف لسـليل ملحمـة جلجامـش أن لا يتسـاءل عـن الـخير والشر وقلـق الإنسـانية؟ وكيـف لنجفـي، مشـهدي، أن لا يكـون فقيهـاً متمرسـاً باسـتنباط الأفـكار والمفاهيم؟

بـل، وكيـف لمـن ولد في النجـف الأشرف لأسرة عربية عريقة ودرس في بغـداد وتخصص في براغ، وأدار مكتبـاً قانونيـاً في لنـدن وبيروت، كيـف لـه أن لا يكـون مواطـن العـالم ومحامي الإنسـان في كل موقع؟

مـن تجـذره في بيئتـه إلى ارتياد آفاق الإنسـانية، تنوّعـت كتابات عبد الحسين شـعبان.. ليس في الفكـر والسياسـة والقانـون.. بل تجلّت في وجـه طلي آخر، في محطات تقـع بين القانون والثقافة، بين السياسـة والشـعر.. بين إعمال الفكـر وروعـة الذائقـة، وهـو مـا سنسـتمع إليـه الليلـة تحـت هـذا العنـوان الثاقب: جدلية الشـعر والحياة

أخيراً.. لا تختلـفُ مُقاربـةُ د.شـعبان للّاعُنـف عـن مُقاربتِـه للشِّـعر، في عالمِـه الانفعـالي وعُمقه

الوجـودي ورسـالتِه الإبداعيّـةِ والإنسـانيّةِ وتوقِـه إلى الحريّـةِ والتآخـي ومُواجهـةِ الظُلـم وابتـداعِ الفـرَح، وتكريـسِ الـجمال.. «الـجمال الـذي يُنقِـذُ العـالَمَ» حسـب قول دوسـتويفسكي.

هـو المُفكّـرُ والقانـونيّ والمنهجـيّ المُجدّد وذوّاقةُ الشِّـعر والإبـداعِ، لا يسـتوقفُه إلا المُبدعُ الذي وقّـع شِـعرَه بتوقّـد حياتـه، فانبثقَـت قصائـدُه مـن دمـاءٍ تسـمو على جِراحِهـا ومـن نضـالِ أمَـلٍ وفرح.

يلـحُّ د.شـعبان على مُواجهـة العُنـف باللّاعنـف. كمـن يـدرّب عُقـولاً على المعرفـةِ والمُواجهـة والإبـداع، ويلـحُّ على مُلامسـةِ الشِّـعر برقّـةٍ وقوّةٍ كمن يقف تحـت رِتاج الانفعـال.. وكمن يصقُل ماساً.

كم هو مُضنٍ أن تحبِسَ الألقَ في مقالٍ.

شعبان..
شذرات من فكره القانوني والدستوري

امحمد المالكي[1]

1- أستاذ باحث وعميد سابق لكلية الحقوق بجامعة السلطان قابوس في سلطنة عُمان، مدير مختبر الدراسات الدستورية والسياسية، محكم بهيئة مراكش

I

في نص سابق كتبت عن الصديق د.عبد الحسين شعبان أقول:

عرفت د.عبد الحسين شعبان عبر إطلالاته المتكررة على شاشة قناة الجزيرة محللاً ومناقشاً قضية حقوق الإنسان، والإشكاليات الفكرية والسياسية المرتبطة بها، وأعترف أنني لم أكن قد قرأت أعماله البحثية بعد، ولا اطلعت على تفاصيل تجربته السياسية والاجتماعية والفكرية، كل ما تمكنت من معرفته وقتئذ عن طريق آرائه أنه عراقي الأصل والانتماء، يعيش حرقة الاغتراب، ويتوق إلى رؤية بلده يخرج من شرنقة الضيق السياسي أيام الاستبداد والديكتاتورية والاحتلال الأجنبي والانقسام الطائفي لاحقاً، ويحافظ على وحدته متكاملاً، متسامحاً، وقوياً. بيد أن الظروف حكمت أن أتعرف عليه عن قرب، وأن نشارك سوياً في أكثر من مناسبة، وأن نتقاسم الأفكار والآراء، وأن نُقارب، اتفاقاً واختلافاً، قضايا كثيرة بدت مستعصية على الحل والاستقامة في المجال السياسي العربي، من قبيل: الحرية، والإصلاح، والديمقراطية، والتسامح، والتنمية، وما إلى ذلك من الإشكاليات التي ضغطت على العقل العربي مع مستهل الألفية الجديدة

حدث ذلك في مناسبات عديدة، حضنتها عواصم كثيرة، مثل بيروت، وعمان وصنعاء وتونس وأوكسفورد ولارنكا في قبرص، والمغرب، ولاسيما في عاصمة ابن رشد الحفيد مراكش، والحقيقة أنه كلما سنحت مناسبة جديدة بالالتقاء كنت أقترب أكثر من د.عبد الحسين شعبان «المفكر والإنسان»، والأهم كنت أطل على بنات أفكاره، إما من خلال النقاشات التي كانت تجمعنا، أو عبر الإصدارات التي كان يمدني بها بشكل يكاد يكون منتظماً، حصل ذلك مع عمله الحواري «تحطيم المرايا: في الماركسية والاختلاف»، واستمر لسنوات مع كوكبة من إنتاجاته الفكرية الغزيرة، التي أعتمدها في هذه المقالة لاستخلاص شذرات من فكره القانوني والدستوري

II

يجد القارئ نفسه، وهو يتفحص الإنتاج العلمي لعبد الحسين شعبان، أنه أمام شخصية متفردة اجتمعت فيها غزارة الكتابة، حيث تُعد مؤلفاته بالعشرات، دون احتساب مئات

الدراسات والمقالات، وتنوع المجالات المعرفية، وإن كانت منتظمة في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهو تنوع يمتد من المنجز العلمي والمادة الفكرية، ليصل أشكال الإبداع الأدبي والفني، اهتماماً وتحليلاً وتعليقاً، كما يتميز رصيده الوافر بالاهتمام بالشخصيات التي بصمت الفكر العربي والإسلامي، وبعضها العالمي، واللافت للانتباه في هذا الاهتمام، الذي يصل حد الولع، أنها شخصيات جد منتقاة، لا يختلف اثنان حول جدارتها العلمية والفكرية، وتأثيرها البالغ في مسيرة الفكر والثقافة، وأستطيع القول، من دون تردد، إنه أكثر المفكرين اهتماماً وكتابة عن الأعلام المضيئة في حياتنا العربية الفكرية والأدبية والثقافية، علاوة على ذلك، يُعد عبد الحسين شعبان صاحب مقالة صحفية جامعة بين وضوح المبنى والمعنى، وجمال اللغة وسلاستها، وعمق المرامي والمقاصد، فهو من الذين يمتلكون جرأة القلم دون أن تخرج جرأته عن عقالها، وتتحول إلى معاول للهدم، فهو يروم البناء باستمرار، ويتجنب الهدم، مبتغاه في ذلك المساهمة في إعادة صياغة التفكير العربي ليس إلا

في سيرة د.عبد الحسين شعبان جانب آخر يتكامل مع إنتاجه الفكري، ويعزز إسهاماته الثقافية والإبداعية، ونميل إلى الظن أنه عمّق ويعمّق نظره باستمرار فيما يتعلق بنشاطه العملي وممارسته الميدانية، حيث خبر المهاجر، واكتوى بحرقة البعد عن الوطن)العراق(، وإن ظل متمسكاً بأصوله، ومدافعاً عن حق بلده في أن تكون له مكانة تحت الشمس، يرفل أبناؤه بحرية القول والكلام، وكرامة النفس وعزة الضمير، وعدالة العيش المشترك بين كافة أبناء وطنه، بغضّ النظر عن اختلافاتهم الدينية والمذهبية واللغوية والعرقية والمجالية.

لذلك، ظل حضوره وازناً في الواجهات القانونية والحقوقية والمدنية، وفي المنتديات المناهضة للعنف والداعية إلى السلم والتسامح، وفي الروابط والأندية التي تتوخى الإعلاء من قيم الحرية، والتعايش، والعدالة الاجتماعية، والانتقال السلمي إلى السلطة. فبصفتي أحد أصدقائه، أشهد بمشاركته الدائمة والفعالة في الحوارات والنقاشات التي احتضنتها أكثر من عاصمة عربية لمقاربة هذه الكوكبة من القيم الإنسانية والعالمية، فقد كان حضوره على الدوام مفصلياً، ومؤثراً بشكل بالغ في الاتجاه الإيجابي والبناء.

لذلك، مثّلت مشاركته باستمرار قيمة مضافة، من زاوية إغناء النقاش، وتعميق الحوار حول أبرز الإشكاليات وأعقدها، كما بصمت اجتهاداته مخرجات اللقاءات التي كانت تتشرف بمساهمته، يُضاف إلى ذلك تفكيره الوسطي، الذي دون أن يجرده من التحليل والنقد

والاعتراض، جعل منه شخصية مسموعة لدى أقرانه، حتى الذين اختلفوا معه في التقييم والنظر، وغالباً ما تكون اقتراحاته وحلوله مقبولة، وذات تقدير عال

يصعب في الواقع حصر مناقب عبد الحسين شعبان ومجالات اهتمامه الفكري والعلمي والثقافي، فهو حاضر في قلب القضايا العربية والإسلامية، ومنغمس في تضاريس النظام الدولي وتحدياته، باحثاً مجتهداً، ومفكراً مجدداً، ومدافعاً دون كلل عما يسمح للناس وللبشرية بالعيش الكريم، والتمتع بنعمة الحرية وطيبة أخواتها. فغزارة إنتاجه العلمي والفكري، وثراء أبحاثه ومقالاته في كل ما له صلة بالإنسان من زاوية العقل والتفكير، تؤهله، في تقديرنا، لأن يوضع في خانة «الموسوعيين» الذين زخر بهم تراثنا العربي الإسلامي، وتمنحه، بكل موضوعية، أحقية الانتماء إلى دائرة المؤثرين عن جدارة في فكرنا العربي الحديث والمعاصر

III

تحفل السيرة العلمية للدكتور عبد الحسين شعبان بغزارة الإنتاج، وديمومة التفكير والاجتهاد، فمن خلال أكثر من ستين عنواناً حملت اسمه، وكانت عصارة بنات أفكاره، يمكن استخراج الموضوعات المفصلية التي شغلته، ونالت من جهده وعمره عدة عقود. فهو، كما أسلفنا، موسوعي في اهتماماته، مهموم بقضايا أمته، وفيٌّ بالكتابة عن الأعلام الذين أثّروا في مسيرة البلاد العربية وإشكاليات تطور أوطانها. فمن خلال الرصيد الغني الذي قدمه عبد الحسين شعبان، تطالعنا، بشكل بارز، قضايا «الدولة» و«الهوية» و«الديمقراطية» و«الانتقال السلمي إلى السلطة» و«التسامح وفقه السلم» و«حقوق الإنسان» و«المسالة الدستورية»، وقد كتب في كل هذه المجالات، وقدم اجتهادات جديرة بالتقدير، كما ساهم، بشكل عملي، في تجارب كتابة الدساتير، وترسيخ قواعد حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني

1. فمما كتب عنه واجتهد فيه موضوع «الدولة والدولاتية والدستور والدستورانية في العراق»، حيث قدم د.عبد الحسين شعبان أفكاراً جوهرية لافتة عن قصة الدستور وعلاقة العراقيين به، وكيف بقيت المسألة الدستورية قضية معلقة، ولم تنبث في المجتمع العراقي إلا قليلاً خلال العهد الملكي، واستمرت عصية على التوطين في الثقافة القانونية والسياسية لدولة العراق.

أ ــ ينطلق عبد الحسين شعبان من ملاحظة مفادها أن «العراقيين لم يعرفوا في تاريخ

دولتهـم جـدلاً دسـتورياً مثـلما عرفوه بعـد الاحتلال الأمـريكي لبلادهـم في العـام 2003»، مرجحاً تفـسير ذلـك بسـبب غيـاب الدسـتور الدائم عـن وطنهم منذ ثـورة 14 تموز / يوليـو 1958، حيث تواتـرت الدسـاتير المؤقتـة، بصـدور الدسـتور المؤقت الأول في 27 تمـوز/ يوليو 1958، ليسـتمر إلى غايـة 8 شـباط/ فبرايـر 1963، ليُسـتبدل بقانـون المجلـس الوطنـي، أي الدسـتور المؤقـت الثـاني، الصـادر عقـب انـقلاب حـزب البعـث الأول، قبـل أن يحـل محلـه الدسـتور المؤقـت الثالـث إثـر انـقلاب 18 تشريـن الثـاني/ نوفـمبر 1963، الـذي نصـب عبـد الـسلام محمد عـارف رئيسـاً للبلاد، والـذي أطيـح بـه هـو الآخـر في 17 تمـوز/ يوليـو 1968 بعـودة حزب البعـث من جديـد وإصدار الدسـتور المؤقـت الرابـع في أيلـول / سـبتمبر 1968، قبـل أن يلغـى هـو الآخـر ويوضـع دسـتور مؤقـت خامـس محلـه سـنة 1970، ليعمّـر 33 سـنة إلى غايـة دخـول الاحـتلال في 2003

لذلـك، سـجل عبـد الحـسين ملاحظـة جوهريـة ثانيـة مفادهـا أن عمـر الدسـتور المؤقـت ظل مسـاوياً للدسـتور الدائـم، أي 33 عاماً، فـالأول رأى النور عام 1925 بـإشراف بريطانيا، واعتبر أول دسـتور للدولـة العراقيـة المعـاصرة، والدسـاتير المؤقتة تواتر على وضعها العسـكر وحـزب البعث.

ومـن المفارقـة أو مكـر التاريخ، أن الدسـتور الذي وُضـع تحت الاختلال الأمـريكي بعد الإطاحة بصـدام حـسين في 9 نيسـان/ أبريـل 2003 عَامـر 13 سـنة، حيـث تـم سـن «قانـون إدارة الدولـة للمرحلـة الانتقاليـة» في العـام 2004، الـذي اعـتبر وقتئـذ خطـوة نحـو بنـاء الدسـتور الدائـم في العـراق، إلا أنـه واجـه كما واجـه الدسـتور محمـل المشـكلات العميقـة التـي حالـت دون النجاح في تـوطين فكـرة الدسـتور، ومنهـا قضايـا نظام الحكـم، والدولـة الاتحادية أو المركبـة والعلاقة بين الإسلام والدولـة ومشـكلة كركـوك، علاوة على ملـف الحريـات والحقـوق. وفي 15 تشريـن الأول 2005 تـم تنظيـم الاسـتفتاء الشـعبي على دسـتور دائـم غير مختلـف في جوهـره عـن نـظيره في عهـد صـدام حـسين، فبقـي العـراق يتخبـط في سيرورة البحث عن حل لقضية الدسـتور والمسـألة الدسـتورية بشـكل عام

يُشـدد عبـد الحـسين شـعبان، وهـو محـق في ذلـك، على أن دسـتور 2005 (خيـب الآمـال والطموحـات التـي ينتظرهـا العراقيـون فحمـل في طياتـه ألغامـاً عديـدة تـكاد تنفجـر عنـد أي احتـكاك أو حساسـية بين مـا اطلق عليه اسـم «المكونـات»، موعزاً ذلـك إلى أن صياغته تمت وفق «رؤى وتصـورات الحاكـم المـدني الأمـريكي بـول بريمـر ومصالـح الولايـات المتحـدة، وعلى أسـاس قانـون إدارة الدولـة للمرحلـة الانتقاليـة..). ثـم إن هـذا الدسـتور على علاتـه ومكامـن الخلـل في

أحكامه، لم تتم كتابته بالحبكة المألوفة في صياغة الدساتير، حيث جاءت لغته «ضعيفة المبنى ومتناقضة المعنى»، كما أن الغموض الذي لفّ أحكامه حال بينه بين ضمان حلول متوازنة لكثير من القضايا التي أرهقت العراقيين، من قبيل «حدود الفيدرالية وسقفها»، وقضية تعديل الدستور أو إبطاله، ومشكلة توزيع الثروة والمياه والموارد الطبيعية، ولاسيما النفط والغاز. ففي نفس المنحى من النقد، لاحظ د.عبد الحسين شعبان، على أن دستور 2005، وهذه ثغرة أخرى من ثغراته، لم يتوفق في تحديد العلاقة بين الدين والدولة، حين نص في مادته الثانية على أن «الإسلام دين الدولة الرسمي.. وهو مصدر أساس للتشريع»، ليضيف: «لا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام». فالإشكالية هنا، في تقدير عبد الحسين شعبان، أن صيغة المادة الثانية تفتح الباب واسعاً أمام تأويل المؤولين واجتهادات المجتهدين، ولاسيما في بلد متعدد الأديان والمذاهب، وقد تصل درجة التأويلات المذهبية والسياسية إلى تعميق الفرقة والانشقاق داخل المجتمع، وربما جعل البلاد عرضة لحرب أهلية داخلية. لذلك، اقترح، باعتباره باحثاً حقوقياً ومدافعاً عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية، الاكتفاء بالتنصيص على أن «الإسلام دين الدولة» وكفى، تجنباً للجدل الذي يمكن أن تسببه صيغة المادة الثانية في دستور العراق لعام 2005، ليخلص إلى أن هذه النصوص تعكس «ارتباكاً حقيقياً في الصياغة وترضية متناقضة للفرقاء، ناهيك عن عدم وجود فهم مشترك للأطراف المعنية المؤتلفة والمختلفة، ما يدل على ضعف الثقة بينها وانعدامها في أحيان كثيرة..»

ب. من الإشكاليات التي اعترضت، باستمرار، المجتمع العراقي شكل الدولة العراقية، وما كان مجدياً في ضوء تركيبته الأخذ بالدولة البسيطة أم الدولة المركبة، أي الفيدرالية؟ علماً أنه حتى سقوط بغداد عام 2003 ظل الشكل البسيط للدولة هو السائد، ولم يقع الانتقال إلى الأخذ بالشكل الفيدرالي إلا مع الدستور المؤقت «قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية» والدستور العراقي الدائم، حيث تم التنصيص صراحة على أن «جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي ديمقراطي..».

هكذا، تولت أحكام الدستور دسترة المقومات الأساسية للدولة الفيدرالية، ومنها التعدد اللغوي، حيث تم تكريس اللغتين العربية والكردية رسمياً في التكلم والمخاطبة والتعبير، أما مجال تطبيقهما فيشمل كل التراب العراقي على اعتبار سمو الدستور وعُلويته على الجميع أفراداً وجماعات وهيئات محلية ووطنية، ويمنع بالنتيجة مخالفة الدساتير الإقليمية لأحكامه،

كما قضت بذلك المادة 13، علاوة على تحديده، أي دستور 2003، المؤسسات الفيدرالية من قبيل السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ومن الأحكام اللافتة في الدستور الجديد لعام 2003 تمييزه الواضح بين مفهوم الفيدرالية وصيغة التقسيم، التي تم اعتماد أنها ستضر لا محالة بوحدة البلاد وتماسكها، وهو ما أكدته المادة 109 بالقول: «تحافظ السلطات الاتحادية على وحدة العراق وسلامته واستقلاله وسيادته ونظامه الديمقراطي الاتحادي..».

ويختم د.عبد الحسين شعبان رأيه في المسألة الدستورية العراقية بالتأكيد على أن الدستور العراقي الدائم -وإن اختلفت وتعارضت وجهات النظر بشأنه- لكنه على الرغم من جميع مساوئه، وهي كثيرة، وكل مثالبه وهي ليست قليلة، وبكامل ألغامه وقنابله الموقوتة وهي متشعبة، بل ومعقدة، إلا أنه احتوى على بعض الإيجابيات التي تتعلق بالحقوق والحريات وقواعد الديمقراطية والمواطنة وفصل السلطات واستقلالية القضاء

2. من الكتابات الدستورية والقانونية المميزة للدكتور عبد الحسين شعبان، تخصيصه بحثاً كاملاً للدستور العراقي تحت عنوان: رؤية في مشروع الدستور العراقي «الدائم»[1].

يذكر الباحث، في مستهل دراسته، بسياقات كتابة دستور 2005، والملابسات التي اكتنفت سيرورة صياغته، والجدالات الكثيرة والمتضاربة التي صاحبت إصداره من قبل كل مكونات المجتمع العراقي، وفي علاقة هذه الأخيرة بالحضور المؤثر للإدارة الأمريكية، ودرجة انغماسها في إعداد دستور العراق، الذي أريد له أن يكون بصفة نهائية وثيقة دائمة لكافة العراقيين.

فهكذا، ظلت النخبة العراقية الاجتماعية والسياسية منقسمة حول الانخراط الكلي في إعداد مسودة الدستور، ولم تستوف الشروط المطلوبة، كي تقدم إلى «الأمم المتحدة حتى 14 كانون الأول/ ديسمبر 2005، تماشياً مع قرار مجلس الأمن رقم 1546، الصادر في حزيران/ يونيو 2004»

أ. جمع الدستور، في صيغته النهائية، 139 مادة «توزعت على ديباجة، و6 أبواب تناول أولها المبادئ الأساسية، أما الباب الثاني فخُصص للحقوق والحريات، في حين تناول البابان الثالث

1- يراجع نص البحث في «الحوار المتمدن» بتاريخ 22 ـ 10 ـ 2008، في الموقع: m.alhewar. org

والرابع موضوع السلطات الاتحادية واختصاصاتها، وكرس الباب الخامس سلطات الأقاليم، أما الباب السادس والأخير فبحث الأحكام الختامية والانتقالية»

تُسجل رؤية د.عبد الحسين شعبان لدستور العراق لعام 2005 أنه تناول «الكثير من التفاصيل غير الضرورية»، وغرق في «جزئيات وفرعيات ليس مكانها الدستور، وربما لا مبرر لذكرها، ناهيك عن شروحات كان يمكن تنظيمها بقانون..»، وبهذا يُشير شعبان إلى ملاحظة بالغة الأهمية تتعلق بدرجة حبكة صياغة الدستور وقوة تماسك أحكامه، وهي من النقائص التي تعاني الكثير من الدساتير المقارنة منها.

أما مصدر هذه العلة في دستور العراق، فيردها الباحث إلى رغبة كل طرف في وضع «بصماته على الدستور»، مما جعل الوثيقة الدستورية حاملة هذا «الخليط من المفاهيم والأفكار المتعارضة دون وحدة موضوع أو توافق مضمون، وانعكس ذلك على لغة الكتابة، فجاءت في بعض الأحيان ضعيفة المبنى ومتناقضة المعنى، وخصوصاً لجهة دلالاتها»..

ومن جهة أخرى، يعزو د.عبد الحسين شعبان أسباب هذا الارتباك في كتابة الدستور إلى ضغط الوقت وسعة اللجنة وتعدد مشارب أعضائها وعوامل الجذب والشد، ناهيكم عن الضغوط الأمريكية المباشرة وغير المباشرة على بعض الأعضاء، وما كان يقرره قانون إدارة الدولة.

يضاف إلى كل هذا، وعلى الرغم من الانتهاء من مسودة الدستور، ظلت قضايا عديدة عالقة من دون حل حددها عبد الحسين شعبان في الآتي: «قضية الأقاليم، من غير إقليم كردستان، وقضية كركوك، وتوزيع الثروة والمياه..»، بل وحتى القضايا التي تم الاتفاق عليها، فإن « لكل فريق تفسيراته، لعله ينظر إليها من زاويته..»، ولعل ذلك ما زاد من تعميق الفرقة في المجتمع العراقي وشجع على شيوع روح الطائفية والاثنية وانبثاثها بين صفوف العراقيين.

لم ترصد رؤية د.عبد الحسين شعبان الجوانب السلبية في دستور العراق لعام 2005، بل استدرك متسائلاً: «هل هذه الصورة الكاملة للدستور؟»، ليجيب قائلاً: «هناك وجه آخر مهم علينا أن نمعن النظر فيه. فعلى الرغم من تلك المخاطر والمخاوف، فقد حمل مشروع الدستور بين طياته مواد ونصوصاً بالغة الرقي والتقدم قياساً بالدساتير العراقية السابقة وبالدساتير

العربيـة، سـواء مـا يتعلـق بقضايا الحريات وعدم سـن نص يتعـارض مع مبـادئ الديمقراطية.. أو بمـا يعـزز اللامركزيـة ويمنع تغـول السـلطة التنفيذية على بقية السـلطات..».

يُضـاف إلى ذلـك تكريسـه مبـدأ «السـيادة للقانـون والشـعب مصـدر السـلطات وشرعيتهـا، وإخضـاع القـوات المسـلحة لسـلطة مدنيـة، وحظـر تشـكيل ميليشـيات عسـكرية، وتأكيـد مبدأ المسـاواة وعـدم التمييز لأي سـبب كان..»، وقائمـة الحريات والحقوق الأساسـية طويلة وواضحة. لذلـك، اعـتبر الباحـث أن هذه النصوص المكرسـة في الدسـتور الجديـد، وبغض النظـر عن الألغام والقنابـل الموقوتـة الـواردة فيـه، فإنـه أفضـل من جميـع النصـوص الـواردة في الدسـاتير العراقية السابقة..».

ب ــ تضمنـت رؤيـة د.عبد الحسين شـعبان لدسـتور العـراق ملاحظات بالغة الأهميـة، ونقداً واضحـاً لجوانـب التقليـد والمحافظة في دسـتور 2005، ومـا يمكن أن يترتب عليها من آثار سـلبية، وانعكاسـات مُعيقـة للتطـور الديمقراطـي في العراق، وأسـاس ما يمكن أن يُولد من أضرار بالنسـبة لتماسـك المجتمـع العراقـي وتعايـش مكوناته وطوائفه. ففـي تقدير الباحث ثمـة تناقض والتباس في أحـكام مشروع الدسـتور الدائـم، بسـبب ثنائيـة القديـم والمحافظـة والرغبـة في إمـداد العراق بمبـادئ وقواعـد ومؤسسـات عصريـة، والخـوف كل الخـوف، يؤكـد د.عبـد الحـسين شـعبان، من أن «تضيـع دلالات بعـض المبـادئ الإيجابيـة»، وتكـون ضحيـة «الرغبـة في دسـتور مـدني، والرغبة التـي تسـتبطن اتجاهـاً أو نصوصـاً دينيـة أو توحـي بذلـك وكُتبـت بطريقـة إنشـائية غير قانونية أحياناً..».

فَسّر د.شـعبان تنـازع هـاتين الرغبـتين بوجـود ثلاثـة اتجاهـات داخـل وخـارج لجنـة صياغـة الدسـتور. أراد الاتجـاه الأول تغـيير معادلـة الدولـة العراقيـة التـي مضى على تأسيسـها أكثر مـن ثمـانين عامـاً، ويسـعى بمعاونـة المحتـل أو مـن دونـه عبر كتـل جماهيريـة هائلـة تذكـر «عصر المدخـن» لفـرض الـرأي وترجيـح الحلـول لتغـيير شـكل وهويـة الدولـة وطبيعة نظامها السـياسي وصلاحيـات سـلطاتها، وهـو مـا انتقـده الباحث واسـتبعد تحققـه في الواقع، بقولـه: «إذا كان ثمة مشروعيـة لإعـادة النظـر ببعـض الأسـس الخاطئـة للدولـة العراقية، باتجـاه إبرام عقـد اجتماعي سـياسي جديـد»، فـإن مسـألة «التطييـف» و«الأثننة» سـتكون عائقـاً مركزيـاً أمام اتجـاه التغيير.

أمـا الاتجـاه الثـاني، فسـعى إلى «إبقـاء القديـم على قِدمـه ويريـد أن يحـول دون أي تغيير من

شأنه أن يعيد النظر في العقد الاجتماعي السياسي، ولعل هذا الاتجاه هو من خارج دائرة الحوارات المشاركة في العملية السياسية، ويعود قسم منه إلى النظام السابق وبعض القوى المتشددة». يتكون الاتجاه الثالث ممن شاركوا في الحوارات الرسمية وحاولوا أن يقدموا بعض وجهات النظر التي تلتقي بالاتجاه الهادف إلى التغيير ومنع تغول السلطة المركزية... لذلك لم يتردد الباحث في التشديد على أن «العراقيين الدبن لم يصوغوا دستورهم في الماضي» ستكون معركتهم من أجل الدستور «شرسة وشديدة خصوصاً في ظل الاستقطاب الطائفي»، ومما لا شك فيه أن الدافع إلى ذلك سعيهم إلى التعويض عن «فترة الغياب السابقة عن ممارسة حق مفقود»، وللبحث الدؤوب عن «امتيازات أو تنحية أو إقصاء هذه الفئة أو تلك، وبالتالي التحكم بمسار الدستور والعملية السياسية ككل»

ج ــ تسترجع رؤية د.عبد الحسين شعبان للدستور العراقي تاريخ قصة الدستور في العراقيين، والتجارب التي خبرها العراقيون منذ صدور الدستور الأول أو القانون الأساسي عام 1925، وحتى سقوط بغداد ودخول الاحتلال الأمريكي، ليؤكد أن «قانون إدارة الدولة» مثل «بروفة أولية للدستور الدائم أو تمهيد له»، خصوصاً أنه «استثار الفاعليات والأنشطة الثقافية والحقوقية والسياسية والدينية والاجتماعية، رفضاً أو تحفزاً أو تأييداً».

ناقش د.عبد الحسين شعبان في إطار تعميق رؤيته للدستور العراقي مصفوفة من القضايا بالغة الأهمية انطلاقاً من أحكام الدستور وتأسيساً على مقتضياتها، وهي من الأمور التي ترتهن استقامة الحياة الدستورية العراقية بها سلباً أو إيجاباً، بل إن حلها بالحوار والتوافق والبحث عن المشترك أفق لازم بالنسبة لمجتمع مركب، كما هو حال المجتمع العراقي. فمن هده القضايا ديباجة الدستور وما انطوت عليه من مظاهر العسر وجوانب اليُسر، ولاسيما من زاوية لغة الصياغة، وطبيعة المبادئ المنبثة فيها، ومقدار توحيدها لمكونات المجتمع العراقي، أو بالعكس التحريض على تفرقته، وتحويله من جسم متكامل ومتماسك إلى طوائف ومذاهب وفرق. ثم إن القضايا الأساسية المطروحة في ثنايا هذا الدستور، والتي يرتهن مستقبل تطور العراق بمدى مساهمة أحكام الدستور في إيجاد حلول دستورية متوازنة لها، قضية «الدين والدولة وطبيعة العلاقة بينهما»، في مجتمع عراقي موسوم بكثافة دينية ومذهبية لا جدال فيها، وقد سبق للباحث إثارة مناقشتها في دراسة «الدستور والدستورانية»، كما أسلفنا أعلاه.

وإلى جانب الدين والدولة، هناك قضية «العروبة»، التي نعتها الباحث بـ»المنبوذة أو المستباحة»، والتي كان الهدف منها تعويم هوية العراق، التي تم ربطها بالنظام السابق ورئيسه صدام حسين. أما موضوع «الأحوال الشخصية» فمثّل قضية لا تقل أهمية عن القضايا سالفة الذكر، وقد ذكر د.عبد الحسين شعبان بالمادة 39 من مشروع الدستور الدائم، وكيف أرجعت أحكامها العراق إلى سابق عهده، في الوقت الذي من المفروض التقدم إلى ما هو أحسن، بخصوص حقوق المرأة وحرياتها مقارنة مع شقيقها الرجل

ختم د.عبد الحسين شعبان رؤيته النقدية لدستور العراق بثلاث ملاحظات جوهرية، تساعد بشكل عميق على تفسير أسباب استعصاء حل المسألة الدستورية في العراق، على الرغم من التغييرات الحاصلة في رأس السلطة، وانتقال البلاد من دوامة الدساتير المؤقتة إلى السعي إلى إقرار دستور دائم.

أكد في أولها أن «مشروع الدستور الدائم جاء أقرب إلى الانقطاع عن الدساتير السابقة، في حين يقتضي التراكم والتواصل للدولة العراقية أن يأتي إضافة وتنقيحاً وتجديداً وتغييراً بما يتناسب وطبيعة المرحلة الجديدة وعلى أساس التوافق الوطني وليس استناداً إلى استحقاقات انتخابية». وفي الملاحظة الثانية شدد على أن «مشروع الدستور هو نتاج التوازنات لمرحلة ما بعد الاحتلال، ولكنه يُقر بالتغييرات الدستورية والقانونية البنيوية التي أجراها المحتل والتشكيلات التي استندت إليه..»

وفي الملاحظة الثالثة ذهب الباحث إلى أن «مشروع الدستور من خلال عدد من المواقع حاول تديين وأسلمة الدستور بل وتطبيقه، وعلى العكس من ذلك حاول تعويم عروبة العراق..».

أما الملاحظة الرابعة فنبه من خلالها إلى أن «مشروع الدستور جنح بعيداً في موضوع الفيدراليات، ولعل ذلك كان صفقة سياسية للقائمتين الشيعية والكردية»

3 ــ أشرنا في صدر هذه الورقة إلى النزع الشمولي في تفكير د.عبد الحسين شعبان، كما لفتنا الانتباه إلى الطابع الموسوعي لهذا الأكاديمي والباحث المتميز. لذلك، لم يتوقف إنتاجه القانوني والدستوري عند بلده العراق، بل تجاوزه إلى دائرته العربية والقومية، فصاغ مسودة لـ«مشروع دستور دولة الاتحاد العربي» في فاتح أغسطس من العام 2017، هادفاً من ذلك

إلى تنوير الشعوب العربية ودولها بطبيعة الدستور القادر على تمكينها من تنظيم دولتها الاتحادية في حالة تحقيق هذا الطموح، وهو في الواقع أفق فكري راود الباحث باستمرار، ولم يتردد في الكتابة عنه والدفاع عن مشروعيته في أكثر من مناسبة ومقام.

تُقنع قراءة هذه المسودة بأن الباحث استلهم باقتدار المبادئ والقواعد المأخوذ بها في الدساتير العصرية والديمقراطية، ولاسيما في البلدان ذات الطبيعة المركبة أو الاتحادية، المؤسسة تحديداً على مبدأي «الاستقلالية» و«المشاركة». لذلك جاء تصدير مسودة الدستور واضحاً من حيث الأبعاد والمرامي، حين نص على الآتي: «نحن شعوب الأقطار العربية المتحدة في دولة الاتحاد العربي.. رغبة منا في تأليف اتحاد أكمل وفي تحقيق الحرية والمساواة والعدالة وتهيئة سبل الدفاع المشترك عن الأمة العربية ومصالحها، وللإسهام في إقامة سلم عادل وطيد، فقد قررنا إعلان هذا الدستور كمبادرة مفتوحة للأقطار العربية التي ترغب في الوقت الحاضر وفي المستقبل بالانضمام إليه، وخصوصاً دول المشرق العربي، إضافة إلى مصر والسودان»

أ ــ توحي قراءة هذه الديباجة بملاحظة أولية مفادها أن مشروع الاتحاد مقتصر على بلاد المشرق العربي ودولتي مصر والسودان، مما قد يُفهم منه أن الجناح الغربي للوطن العربي، أي بلاد المغرب، من موريتانيا وحتى ليبيا، ليست معنية بمشروع دولة الاتحاد العربي، وإن جاءت صيغة الانضمام مفتوحة، حاضراً ومستقبلاً.. وإذا كانت كذلك فلماذا التخصيص والاقتصار على الجناح الشرقي من البلاد العربية؟!

ب ـ تضمنت مسودة مشروع الدستور ستة أبواب موزعة على 103 مواد، وهو حجم إجمالي يدل على أن المسودة من نوع «الدساتير القوانين» constitution loi، التي يميزها الفقه الدستوري عن «الدساتير البرامج» constitution programme من ناحية أنها أكثر حبكة من حيث الصياغة، وترجح التركيز على المبادئ والقواعد، عوض الاستغراق في التدقيقات والتفاصيل، وفعلاً عند قراءة مسودة مشروع الدساتير نلاحظ انطواء مجمل أحكامها على القواعد والمبادئ الدستورية المألوفة في النظم الدستورية المقارنة، من قبيل فصل السلطات، وتنظيم توزيعها بين الهيئات الفيدرالية والولايات، والحقوق والحريات، واستقلال السلطة القضائية، وغيرها من القواعد.

خُصص الباب الأول لـ«القواعد والمقومات الأساسية»، موزعاً على 14 مادة، أما الباب

الثـاني، المكـون مـن 25 مـادة، أي ربـع العـدد الإجمالي لمسـودة مشروع الدسـتور، فنظـم مسـألة «الحقـوق والحريـات»، مما يعكـس في الواقـع أهميـة هـذا الجانب بالنسـبة للباحث. أمـا الباب الثالـث فتنـاول اختصاصـات الاتحـاد، وأفـردت لـه المسـودة 12 مـادة، يليـه الباب الرابـع الخاص بـ «سـلطات الاتحـاد»، أي مؤسسـاته الدسـتورية، وقد تـوزع على 27 مادة، وهـو الأكبر كمياً من حيـث المـواد في مسـودة مشروع دولة الاتحـاد. وفي الباب الخامس تم تنظيـم «الهيئات الإقليمية والمحليـة»، مـن خلال 12 مادة

ج ـ خُصـص البـاب السـادس، الموزع على 8 مـواد، لتعديل الدسـتور والأحـكام الانتقالية، وقد جـاءت الصياغـة واضحـة ودقيقـة لأحـكام هـذا البـاب، سـواء التعديـل ومـن لـه صلاحيـة القيام بـه، والنسـبة المطلوبـة لقبولـه، أو بالنسـبة لحظر المسـاس بالحقـوق والحريات والانتقـاص منها، أو بضرورة الالتـزام بأحـكام المعاهـدات والاتفاقيـات النافـذة الموقعـة مـن قبـل الـدول أعضـاء الاتحـاد، أو فـيما يتعلـق بـ»المرحلة الانتقالية»، المحددة بخمس سـنوات، وكذلـك تأليف المجلس الاتحـادي، وطـرق التصويـت بداخله

IV

يصعـب في الواقـع الإلمام بـكل مـا أنتـج المفكـر عبـد الحسين شـعبان من نصـوص واجتهادات في المجـال القانـوني والدسـتوري، فحيـز الورقـة لا يسـمح بـالإلمام بـكل مـا أبدعتـه بنـات فـكاره، وهـو كـثير، حسـبنا أننا اكتفينا بتقديم شـذرات عن فكـره القانوني والدسـتوري، وركزنا على ثلاثة نصـوص خاصـة بالدولـة والدسـتور والدسـتورانية ومشروع دسـتور دولة الاتحـاد العربي.

بيـد أن سـجل عطـاء د.عبـد الحـسين شـعبان حافـل، ويختـزن رصيـداً كـبيراً مـن المؤلفـات والدراسـات والأبحـاث ذات العلاقـة المبـاشرة بهـذا الجانـب الحقوقـي، أو بصفـة غير مباشرة من خلال إصـدارات كـثيرة ليسـت بعيـدة عـن دائـرة هـذا الاهـتمام

فالناظـر في سيرتـه الذاتيـة العلميـة والفكريـة، يلمـس غـزارة إنتـاج د.عبد الحسين شـعبان في مجـالات لا تبتعـد عـن فكـره القانـوني والدسـتوري، فقـد ألف وكتب عـن ثقافة حقوق الإنسـان، وحريـة التعـبير، وسـؤال التسـامح، والمواطنـة، والانتقـال الديمقراطـي ومداخله، والسـيادة ومبدأ التدخل الإنسـاني، والقائمـة طويلة.

ثـم إن عطـاءه العلمـي وافـر ووازن في موضـوع الصراع العـربي الإسرائـيلي، وقضيـة احـتلال فلسـطين، والوجـود الإمبريـالي في المنطقـة العربيـة..

والباحـث، علاوة على كل هـذا، شـغوف بـالأدب والإبداع وفن الصورة، ومحبـة الأعلام والنوابغ والوفـاء لهـم بالكتابة عنهـم والتعريف بهم..

إنـه المفكـر عبـد الحـسين شـعبان، المجـدد والمجتهـد، عاشـق الحـرف والكلمـة العربيـتين، والشـغوف بـكل مـا هو جميـل في الفضاء الحضاري والثقـافي لأمته، والمدافع، عن الرفعة والسـمو والشـموخ لأبنـاء منطقتـه وجلدته.

عبد الحسين شعبان واللاّعُنف

د. أوغاريت يونان[1]

1- مفكِّرة تربويّة، مؤسِّسة جامعة اللاعنف وحقوق الإنسان AUNOHR.

اعتدتُ أن أقول «حسين شعبان»، بمحبّة واحترام. وهكذا سأفعل في كتاب الوفاء.

بدعوة من دار سعاد الصباح للنشر، وبمبادرة كريمة من صاحبة الدعوة الشيخة الدكتورة سعاد الصباح، التي اختارت عنواناً وجدانيّاً «يوم الوفاء»، لتكريم شخصيّات أعطوا فأعطتهم هذا اليوم ومعانيه، اخترتُ أن أكتب عن جانبٍ في مسيرة المكرَّم، لا أعتقد أنّ لسواي معرفة عنه بقدري، فأنا التي دعوتُه للإبحار في رحلة حياة مع جامعة اللاعنف في لبنان منذ أربعة عشر عاماً.

كتبتُ أكثر من مرّة تحيّة للصديق الدكتور حسين شعبان. وسألتُ نفسي، ماذا سأكتب بعد! ووجدتُ أنّ من مسؤوليّتي أن أُخبر عن رحلته معنا، مع اللاعنف، هذه العلامة الفارقة برأيي، والتي باتت الصِّفة التي لم يعُدْ يودّ في الفترة الأخيرة أن يتمّ التعريف عنه إلّا بها وفق ما كان يخبرنا. سأكتب عن حسين شعبان واللاعنف، ليس توثيقاً وسرداً شاملاً بل محطّات وذكريات ومن كتاباته بالذات

بدايات

في «بوحٍ متأخِّر، شذرات من تجربة شخصيّة»، كما أسماه، كتب حسين شعبان أنّه لم يكن قد «اختار اللّاعنف تماماً كفلسفة وطريق للوصول إلى الحقيقة والعدالة»، لكنّه كان يعرف أنّه «شديد النفور من العنف، بل أزدري مع نفسي في الكثير من الأحيان من يستخدمه أو يلجأ إليه، أو على أقلّ تقدير لا أشعر إزاءه بالاحترام. بقي المفهوم مشوّشاً في ذهني وملتبساً إلى حدود غير قليلة، ولاسيّما ثمّة أهواء عديدة كانت تتنازعني ويشدّني بعضها إلى درجة الانجذاب، خصوصاً حين يتمّ تبرير اللجوء إلى العنف دفاعاً عن الحقوق والحريات والمستقبل المنشود، ولاسيّما في مواجهة العنف بالعنف.. وأستطيع القول إنّ الوضع السائد آنذاك والمستوى الثقافي والفكري لم يجعلني أتحوّل تماماً إلى اللّاعنف، على الرغم من أنّ بذوره كامنة، لكنّه لم يشكّل قطيعة نهائيّة بالنسبة لي مع العنف، بِحُكم وجود مبرّرات أخرى لاستخداماته لأغراض أيديولوجيّة وسياسيّة، وذلك تحت ذرائع ومسوّغات مختلفة»

التقينا بدايةً في مؤتمرات ولقاءات حقوق الإنسان العربيّة، في أكثر من بلدٍ عربي، وبدا دوماً

كأنّه يحمل على كتفيه (حقوق إنسان العراق)، ولو أنّه يحمل بالطبع نظرة إنسانيّة تشمل المنطقة والعالم. وفي أحد اللقاءات المصغّرة في تونس، التي دُعي إليها حصراً مؤسِّسو هيئات حقوق الإنسان العربية الأولى في المنطقة، في أوائل التسعينيّات، وكنتُ المرأة الوحيدة في ذاك الاجتماع، وكان د.شعبان حاضراً بالطبع، هناك طرحتُ خيار اللاعنف. كان جديداً وربّما غير مألوف بالنسبة إلى معظم الحاضرين، مع ذلك عبّرت أكثر من شخصيّة في اللقاء، عن «أنّها أول فكرة جديدة ومُبهِرة تُطرَح أمامنا منذ ثلاثين سنة».

لا حقوق إنسان من دون فلسفة اللاعنف

جذريّة اللاعنف هي في أنّه فلسفة وفِعل معاً. فلسفة شاملة واستراتيجيا عمليّة للتغيير. من دون الفِعل والعمل التغييري الاستراتيجي، يفقد اللاعنف معناه الجوهري، حيث إنّه ليس رفض العنف وحسب بل مواجهته لإحقاق العدالة وإزالة الظلم

اللقاء في جامعة اللاعنف

في عام 1983، وكانت الحرب الأهليّة في لبنان على أشدّها، انطلقنا، وليد صلَيبي وأنا، في مسيرة مشتركة، رفقة عمر ونضال، امتدت إلى أربعين سنة، يوماً بيوم، من أجل زرع ثقافة اللاعنف واللاطائفيّة والعدالة وحقوق الإنسان والوسائل المبتكرة للتغيير المجتمعي، وبالأخصّ مأسَسَة كلّ ذلك في نسيج المجتمع في سائر مجالاته، وصولاً سنة 2009 إلى تأسيس جامعة أكاديميّة بعنوان اللاعنف بالذات، أولى من نوعها في المنطقة وفريدة في العالم لاختصاصات رياديّة ودراسات عليا غير مسبوقة. وليد صلَيبي، المفكِّر الرائد و«الشخصيّة التي لا تتكرّر» كما يقول عنه كلّ عارفيه، رحل العام الماضي تاركاً إرثاً لأجيال ولاستمراريّة الجامعة ودعماً للمقاومة اللاعنفيّة التي كان له الفضل في بناء استراتيجيّات ومجموعات ناشطة باسمها في أكثر من بلد عربي

.. ثمّ مرّت سنوات ولم ألتقِ العزيز حسين شعبان، إلى أن أسّسنا الجامعة. فاتصلتُ به، ونحن في السنة الثانية في مشروع الجامعة، ضمن تجربة نموذجيّة لدراسة كاملة بمستوى ماستر، مع طالبات وطلاب أتوا إلى لبنان من ستّة بلدان عربيّة على مدى ثلاث سنوات، وأنجزوا بالفعل أول دراسة علميّة في اللاعنف. وبعد نجاح التجربة الأولى، حصلت الجامعة على الترخيص الرسمي.. وألقى الدكتور شعبان كلمة الأساتذة في الحفل، الذي توّجنا في خلاله

انطلاقـة هـذا الحلـم، والـذي أحياه الفنان اللبناني الأسـطورة وديـع الصـافي. حين دعوتُه في صيف 2010، قلـتُ للدكتـور شـعبان: هـذا مكانك، وهـذه إضافة نوعيّـة في مسيرتك. وجاء بـكلّ اندفاعٍ وسرور وتواضـع، وأصبـح عضـواً في مجلـس الجامعـة ومحـاضِراً بهـا في مجـالات حقـوق الإنسـان والعدالـة الانتقاليّـة، وأسـتاذاً ينتظـره الـطلاب ويتأثـرون بخبراتـه وبشـخصيّته. وكان اللقاء الأول لـه مـع المؤسِّـس وليـد صلَيبـي، وحلّ الانسـجام الـودّي بينهما مـن (أول نظـرة) كما كانـا يردّدان بفـرح. سـبق أن قلتهـا لـك، وأقولهـا هنـا اليـوم: إنّ البسـمة كانـت ترتسـم على وجه وليـد بمودّة صافيـة كلّما أتى على ذِكـرك.

اعـتبر الدكتـور شـعبان أنّ هـذه الجامعـة هي «سـابقة مهمّـة في العالم العربي لهـا دلالاتها على أهميّـة فكـرة اللّاعنـف، خصوصـاً مـن خلال الدراسـة الأكاديميّـة والتجـارب الكونيّـة». ثـمّ كتـب لاحقـاً في أحـد مقالاتـه: «مـن بـاب العرفـان بالجميـل، علينـا الاعتراف أن أوغاريت يونـان ووليد صلَيبـي هما مـن أبـرز رواد اللّاعنـف في عالمنـا العـربي، حيث عـملا برفقة حميمة طـوال 4 عقود مـن الزمـان حتـى تمكّنـا من زرع بـذرة اللّاعنـف بمشـاركة كوكبة لامعة مـن المفكرين والنشـطاء اللّاعنفـيين، خصوصـاً أنّ طريـق اللّاعنـف، كما أكّـد غاندي أنّـه يمكن أن يغيّر مجـرى التاريخ، لأنّه يمتلـك قـوّة خارقـة، هي قـوّة الحقّ والـسلام والانتصار للإنسـان وإنسـانيّته، فإنّ حركـة اللّاعنف، وإنْ كانـت نخبويّـة ومحـدودة، لكنهـا يمكـن أن تكـون وبالتراكـم قـوّة التغـيير نحـو الأفضـل في عالمنـا العربي».

رحلة اللاعنف

منـذ عقـد ونصـف تقريبـاً، حجـز حـسين شـعبان لنفسـه رحلـة الغـوص العميـق في فلسـفة اللاعنـف واستكشـاف روّاده وتراثـه وأيضـاً مـواده الأكاديميّـة المبتكـرة في الجامعـة. تفتَّـح ربيـع اللاعنـف في دروبـه المتنوّعـة ثقافيّـاً، وراحـت مقالاتـه الملوّنـة بمفاهيـم اللاعنـف تُزهـر وتنتشر، ومـن خلالـه راح أصدقـاؤه وقـرّاؤه يكتشـفون ويتعلّمـون ويباركـون لـه

ويهمّنـي أن أسـتعيد هنـا، لقـرّاء هذا الكتاب الخـاص عنك، بعضاً ممّا كتبته أنـتَ عن اللاعنف في السـنوات الماضية، وفيه تكثيفٌ لمفاهيم ومبادئ رسَـت في قناعاتك.

تقـول: «يقـوم خطـاب اللّاعنف على إيقـاظ الضمائر والتأكيد على ضرورة عـدم مجابهة العنف بالعنـف، لأن اسـتخدام العنـف ضـدّ العنف يعطـي مبرّراً للآخر لكي يتمادى في عنفـه، وهكذا يلد

العنـف عنفـاً والتعصّـب تعصّبـاً والتطـرّف تطرّفـاً والإرهـاب إرهاباً.. الأسـاس في مفهـوم اللّاعنف هـو رفـض العنـف، سـواء عنـف الآخـر ضـدّ الـذات أو عنـف الذات ضـدّ الآخـر، فـكلاهما يؤدي إلى نـزع إنسـانية الإنسـان.. اللّاعنـف هـو خيـار مواجهـة من نـوع جديـد يعتمد وسـائل وآليّات جديـدة، مـن أجـل الوصـول إلى الغايـة المنشـودة، وطـالما يُـفترض في الغايـة أن تكـون شريفـة، فالوسـيلة هـي الأخـرى ينبغـي أن تكـون كذلـك، لأن الوسـيلة تكمـن في الغايـة، مثـلما تكمـن البـذرة في الشـجرة، حسـب المهاتمـا غانـدي، أي أن هنـاك ترابطـاً عضويـاً بينـهما لا انفصـام فيـه. وفي ذلـك نقـض للمفهـوم الماكيافـيلّي الـذي يذهـب إلى اعتبـار «الغايـة تبرّر الوسـيلة»، خصوصـاً أنّ هـذا المفهـوم أصبـح كثير الشـيوع في السياسـة والممارسـة العمليـة التي تبرّر اسـتخدام جميع الوسـائل، بمـا فيها غير العادلـة واللّاشرعية بزعم الغايات العادلة والشريفـة، وقد برّرت الكثير من الأنظمـة السياسـية أفعالهـا بادعـاء خدمـة الإنسـان وغاياتـه البعيدة المدى ومسـتقبله المنشـود، مضحيّـة أحيانـاً بحرّياتـه وحقوقه وحـاضره لغايات غامضة أو ملتبسـة أحياناً، حتـى وإنْ تغلّفت بخيـوط مـن ذهـب.. بقـي أن نقـول إنّ مفهـوم اللّاعنـف فعل مقاومـة من نـوع مختلف..»

وهـذا بالـذات مـا عـدتَ وذكّـرتَ بـه في كتابـك الصـادر مؤخّـراً، «مذكّـرات صهيـوني»، وعـن قضيّـة فلسـطين بالـذات: «طريقة التفـكير الصهيونية.. وسـائل ماكيافيلّية يتمّ فيها تبرير الوسـيلة بزعـم الوصـول إلى الغايـة، عـلماً أنّ الغايـة هـي مـن شرف الوسـيلة، ولا غايـة شريفـة إنْ لم تكن الوسـائل شريفـة، وحسـب المهاتمـا غانـدي، فالوسـيلة إلى الغايـة هـي مثـل البـذرة إلى الشـجرة، فـهما مترابطتـان عضويّاً..».

وبوضـحٍ تـامّ، أعلنـتَ في أكثر من مقال وحـوار إعلامي، مواقفك من الثـورة والعنف واللاعنف، وأسـتعيد هنـا بعـض عباراتك بـكلّ اهتمام: «العنف لم يلوّث الثورات فحسـب، بـل لوّث النفوس والضمائـر وجعـل كل مـا هـو لا إنسـاني طاغيـاً، ولاسـيّما.. بعـد أن اسـتمرأ القتل وسـيلة.. العنف لا يبنـي دولـة أو وطنـاً، إنّـه يـؤدّي إلى الفوضى ويفـكّك المجتمع، أيّـاً كانت أهدافه.. إنّ اسـتمرار ظاهـرة العنـف ومـن ثـمّ العنـف المُضـاد هما اللذان يجـعلان من الدعـوة إلى اللاعنـف ضروريّة وراهنيّـة بإلحـاح، خصوصـاً أنّ ثقافـة العنـف هـي السـائدة، ويتطلّـب الأمـر تسـليط الضوء على مخاطـر العنـف وردّ الفعـل «العنفـي» عليـه في ثنويّـة لا تنتهـي، كأنّهـا مصارعـة على الطريقـة الرومانيّـة، بحيـث يتـمّ القضـاء على أحـد المتصـارعين، في حين يصـل الثاني إلى حدود المـوت أيضاً، وهكـذا سـوف لا يكـون أحـد منـتصراً وهـو يمـارس لعبة العنـف التي سـتحرق الجميـع من دون

استثناء. ثمّ من قال إنّ العنف ملازم للثورات بالمطلق؟..»

تجربتنا معاً في الجامعة، وفي لقاءات الصداقة، انطبعتْ بأسلوبك الأنيق المنصرف إلى الحياة بسلاسة ومرونة. كلّنا نعلم أنّه ليس سهلاً على مَن انخرط باكراً في أيديولوجيّات مُحكَمة، ومُفعمة أحياناً كثيرة بخيارات العنف، أن يعود ويخرج إلى ضوء المرونة والتجدّد. خلال معرفتي بالدكتور شعبان، رأيتُ فيه هذا الصحافي، الكاتب، المحلّل، الباحث، المنجذب إلى ما هو لامعٌ في الفكر والتجارب، الراوي الحافِظ لذاكرة شاسعة بإبهارٍ كأنّ في نصوصه رزنامة زمن ودفتر أسماء وعناوين وحكايات وسرداً بكلّ الأحرف والأرقام، ومعها هذا الربط الشاغل باله بين السياسة والتاريخ والسوسيولوجيا والدين والنضال من النجف إلى الماركسيّة إلى القوميّة إلى حقوق الإنسان والحرّيات إلى اللاعنف.. وأعتقد أنّ إصراره على الشباب والحبّ والتنوّع والتثقّف والسلام، يكفي لكي نعرف من هو حسين شعبان. قلتُ له يوماً: شخصيّتُك تسير أمامك. وها أنا اليوم أستعيدها، وأضيف، أنّ شخصيّته تطلّ علينا في كلّ مرّة بباقة مكنوناتها معاً، طفلاً وشابّاً وفي نضج السنين، كما في ثمانينه التي سنحتفل بها السنة القادمة بألف خير.

اللقاء مع الفيلسوف مولِر

وفي رحاب الجامعة كان اللقاء الأول للدكتور شعبان مع فيلسوف اللاعنف المعاصر، الفرنسي جان-ماري مولِر، صديق وليد صلَيبي مذْ التقاه عام 1989 في باريس. مولِر، أحد أبرز مؤسِّسي حركة اللاعنف في فرنسا، كان لنا الفضل في إدخاله إلى العالم العربي على مدى ربع قرن منذ العام 1990، حيث دعوناه في خلال سنواتها المديدة لغاية العام 2015، إلى لبنان مراراً وبشكل خاص فبات بلده الثاني كما يقول، ثمّ إلى سوريا وفلسطين والأردن والعراق. وهكذا تعرّف الدكتور شعبان على كتابات مولِر في فلسفة اللاعنف، مترجمةً إلى اللغة العربيّة، بعد أن كان أطلق د.صلَيبي «سلسلة ترجمات اللاعنف إلى العربية»، منذ مطلع التسعينيّات، ومن ثمّ من خلال الجامعة بهدف بناء «المكتبة اللاعنفيّة العربيّة»، ومن ضمن ذلك تسعة كتب وعشرات النصوص للفيلسوف مولِر باتت بمتناول العالم العربي بلغته وفي خدمته.

وربّما تلخّص كلمة جان-ماري مولِر في افتتاح مشروع الجامعة في 19 آب/أغسطس 2009 في لبنان، معاني تلك العلاقة التي جمعتنا به ومعاني الفلسفة التي حملها وناضل من أجلها وقدّم لها فكره في 44 كتاباً.. حيث قال: «حين زفّ إليّ صديقاي أوغاريت يونان ووليد صلَيبي

خبر تأسيسهما جامعة اللاعنف للمنطقة العربيّة، خلال لقائنا في تموز/ يوليو سنة 2008 في بيروت، تلقّيت الخبر بفرح عظيم. إنّ انبثاق هذه الجامعة هو ثمرة عمل دؤوب ومثابر عبر سنين طويلة، حفر خلالها وليد وأوغاريت درباً عريضةً وعميقة، ونثرا فيها بذوراً من اللاعنف. اسمحوا لي أن أُعرب عن تقديري واحترامي لتصميمهما ومثابرتهما اللذين سمحا لنا أن نجتمع هنا اليوم. أتيتُ في المرّة الأولى إلى لبنان في أيلول سنة 1990. وأتذكّر حينها أنّ الحرب لم تكن بعد انتهت بشكل كامل. وقد نصحني عدد من أصدقائي الفرنسيّين بعدم قبول دعوة اعتبروها خطرة جداً. بالطبع، لم أندم أبداً أنّني لم أستمع إليهم. وخلال الأسابيع التي أمضيتها في لبنان، أُغرمتُ به ولا أزال.. أنا اليوم موجود بينكم بكثير من التأثر، تحرّكني عواطف قويّة. لا أشكّ في أن جامعة اللاعنف سوف تُسهم في رفع هذا الفجر الجديد على العالم العربي. واسمحوا لي أن أُسِرّ لكم بوجهٍ خاصّ، كمْ أنا سعيدٌ لكوني بقربكم أشارك في هذه المغامرة المثيرة..»

ومن الجميل أن أتذكّر هنا أيضاً زيارة وفد من جامعة اللاعنف وحقوق الإنسان إلى أربيل – كردستان العراق، وكان الدكتور شعبان المبادِر لها، وقد ضمّ الوفد الفيلسوف مولِر. زيارة مليئة بالاجتماعات واللقاءات المؤثّرة في الجامعات والمراكز الثقافية ومع المسؤولين السياسيّين الرئيسيّين إلى نقاشات مع مثقفين وإعلاميّين، واتفاق مع مدرسة تأثرت إدارتها واختارت تحويلها مدرسة لاعنفيّة، إلى دورة تدريب أكاديمي على اللاعنف أولى من نوعها هناك لكوادر عليا في وزارة الداخليّة وفي الهيئة الوطنية لمناهضة العنف ضدّ المرأة. وبالطبع، كان للفيلسوف مولِر محاضرة أساسيّة عن ثقافة اللاعنف. بعدها، نشرتَ في مقال لك ما استخلصته من كلام مولِر، في أنّ «اللّاعنف هو وسيلة نضاليّة وهو وسيلة كريمة بمقدورها تحقيق النصر حسب الفيلسوف مولِر. وأستحضر هنا ما قاله في محاضرته في أربيل حين أعاد تأكيد دعوة ألبير كامو للتمرّد ضدّ العنف «أنا أتمرّد إذن نحن موجودون»، لأنّ التمرّد يتغلّب على كلّ ضغينة وحقد، كما أنّه لا يريد ولا يتمنّى أن يشقى أيّ إنسان من الشرّ الذي يتكبّده. فالتمرّد برفضه للشرّ لا يستهدف جلبه لغيره.. إذن لا ينبغي الجزع أو قلّة الصبر بسبب عدم استكمال ظروف التغيير، فذلك أشرف ألف مرّة من العنف والقتل، الذي ستتزعزع به الحقيقة».

«نزع سلاح الآلهة» مع الفيلسوف مولِر

أمّـا موعـدك الآخـر الجميل مع مولِر، فـكان في صيف العام 2015، في الجامعـة في مبناها الأول في منطقـة جبليّـة رائعـة، حين احتفلنـا بإصـدار الترجمـة العربيّة لكتـاب مولِر «نـزع سلاح الآلهة - النصرانيـة والإسلام مـن منظـور فريضـة اللاعنـف». حفـل توقيع الكتـاب رافقته ندوة تشـاركنا فيهـا أنـتَ وأنـا، ثـمّ نشرتَ مقـالاً عـن تلـك المناسـبة، حيث اسـتعدتَ مفاهيـم جوهريّـة طرحها مولِـر: «نحـن مدعـوون إلى القطـع مـع العنـف وإلى الوفـاء لقيـم اللاعنـف.. هـذا ما أكّـده مراراً الفيلسـوف مولِـر في مؤلّفاته ولاسـيّما في كتابـه الأخير بعنوان «نزع سلاح الآلهـة»، الذي احتفلت الجامعـة بترجمتـه وإصـداره باللغـة العربيّـة السـبت الماضي، وهـو واحد مـن المراجـع والمواد في اختصـاص «ثقافـة اللاعنـف والأديان» الذي ابتكرته الجامعة وباشرت بتدريسـه بمسـتوى ماستر.. يقـول مولِـر بالتحديـد: لـئلّا يأخذنـا الميـل إلى رفـض عنـف الآخريـن وليـس عنـف الـذات أولاً، يجـب علينـا أن نبـدأ بالقطـع مع كلِّ مـا في ثقافتنا ممّا يشرِّع العنف ويقدِّسـه.. وهـذه القطيعة سـتكون موجعـةً لأنهـا يجب أن تجـري في العمق. وسنكتشـف أننا، لكي نقطع مـع ثقافة العنف، لا منـاص في النهايـة مـن القطـع مع ثقافتنـا.. نحن نعي تمامـاً المصالح المسـتبدّة والخطط المدبَّرة للمنطقـة لتفتيتهـا وارتهانهـا، ولاسـيّما بالارتـكاز إلى العنـف الدينـي؛ أصحـاب المصالـح والنفـوذ يعملـون لمصالحهـم، ونحـن، لمصلحة مـن نعمل؟ أفضّـل أن أتحدّث اليوم عن مسـؤوليتنا بالذات تجـاه أنفسـنا ومنطقتنا..».

وفي مقـالٍ آخـر لـك، عدتَ وتابعتَ بعضاً ممّا طرحه في هذا الموضـوع، حيث كتبتَ: «الفريضة أو الفضيلـة التـي يريـد مولِـر تعميمهـا، تمنحنـا هـذه القـدرة الاسـتثنائيّة، مـن الحـبّ والتطهّـر والروحانيّـة الإنسـانيّة، وتقرّبنـا مـن بعضنـا على نحـو يتّسـم بتعزيـز المشترك الإنسـاني، سـواء كنّا مـن أتبـاع الديانـة النصرانيـة أو مـن أتبـاع الديانـة الإسلاميّة، وسـواء كنّـا مؤمـنين أو غير مؤمنين، ومتديّـنين أو غير متديّـنين، لكنّنـا نجتمـع تحـت خيمة اللاّعنـف ذات الطبيعة الإنسـانيّة»

كتـاب الفيلسـوف مولِـر هـذا، هـو حصيلـة عشرين سـنة لـه في البحث حـول الأديـان والعنف واللاعنـف، ولاسـيّما في النصرانيـة والإسلام، أصـدره سـنة 2010 في 703 صفحـات. أمّـا محاضرتـه الأولى عنـه فكانـت في لبنـان، في العـام نفسـه، وفي جامعتنـا بالـذات، مـع ترجمـة أولى آنـذاك إلى العربيّـة لملخّـص عنـه، ومـن ثـمّ ترجمـة للكتـاب كاملاً وإصـدار للنسـخة العربيّـة في طبعتها الأولى عـام 2015. في تلـك المحـاضرة في صيـف العـام 2010، التـي حضرها الـطلاب بالطبع، وعدد مـن الأسـاتذة، وأصدقـاء مـن الباحـثين والمثقـفين، شـارك أيضـاً عـدد مـن رجـال الديـن النصـارى

والمسلمين، بينهم شيخان كانا جاءا لدراسة اللاعنف في الجامعة بكلّ تواضع، وباتا من دعاة اللاعنف في هذا العالم العربي

الموضوع الديني شغل حسين شعبان، وهذا ما تُظهره مؤلّفات ومقالات متنوّعة له في هذا الإطار، ضمن مبادئ التنوّع وحرّية الاعتقاد. وهنا يحضرني كتاب له بشكل خاص، كان أهداني إيّاه وشاركت في ندوة عنه في بيروت، حمل عنوان «أغصان الكرمة.. المسيحيون العرب». برأيي، إنّه كتابٌ عن العنف والإشكاليّات التي تواجه النصارى في وجودهم في المنطقة، حيث أعاد د.شعبان المفاهيم إلى جذورها، في التاريخ والمنطق وفي الطِّيبة، فكأنّي به قد أعاد النصارى والمسلمين وأهل المنطقة كافّة إلى حقيقتهم وحقيقة ما يتوجَّب أن نكون، إلى جذور العدالة والمواطنة وحرّية الاعتقاد. يدلّنا كتابه هذا على عدم إمكانية أيّ حلّ وأيّة استعادة لإنسانيّتنا في علاقاتنا بعضنا إزاء بعض كمواطنين متساوين - أهل هذه المنطقة، من دون استعادة قيم اللاعنف والقطع مع جوهر العنف. لذا نراه يدلّ على الجرح، ويذكِّر بـ«المِلح» لتطييب الحياة ونسيجها المجتمعي في بلداننا، من جديد، ويقول «المسيحيّون مِلحُ العرب». ومعه، نقول للمواطنين الفاعلين في المنطقة بفكرٍ منفتح وخياراتٍ إنسانيّة، إنّ مسؤوليّة قيام مجموعات من المواطنات والمواطنين الملتزمين خيارات اللاطائفيّة وعدم التعصّب والتطرّف، هي في عهدتنا، وإنّنا نحن أغصانٌ بالطبع، مزهرة ومثمرة وينبغي أن تثمر أكثر، على أنْ لا تتخلّى عن أغصانٍ رفيقاتٍ لها كُسِرت أو اقتُلِعت أو هُجِّرت أو اضطُهِدت.. فالألم موجودٌ، صحيح، لكنّ الكرمة التي نادى بها حسين شعبان موجودة ومعطاءة بالتأكيد.

حديثُ اللاعنف

رحلتك مع جامعة اللاعنف، معنا، باتت حديثك الدائم أينما حللت، وأنتَ في ديناميّة لا تتوقّف «ويتهيّأ لي أنّ كثيرين ربّما (يغارون) منها لجماليّتها وتنوّعها». في كلّ الأمكنة التي يحلو لك أن تنثر فيها ما راكمته من خلاصات: في أسفارك، والندوات والمؤتمرات، والتكريمات، وفي الكتب والمقالات وعالم الصحافة، وفي المحاضرات الجامعيّة، والمقابلات الإعلاميّة، واللقاءات الأدبيّة والثقافيّة، وفي الهيئات المحليّة والعربيّة التي أسهمت في تأسيسها و/أو شاركت فيها، وبطبيعة الحال في جلساتك وسهراتك.. أينما ذهبت وحللت، باتت كلمة اللاعنف رفيقتك،

والجامعـة عنوانـاً دائمـاً تـنشر إنجازاتـه وفرادتـه وتدعو إلى أهميّـة دعمه.

دورك كان أساسـيّاً في جعل شـخصيّات ومسـؤولين سياسـيّين وأكاديميّين يتعرّفون على الجامعة وعلى ثقافـة اللاعنـف مـن خلالـك واحتراماً لمكانتـك في قلوبهـم، حيـث عقـدتَ العديـد مـن الاجتماعـات في هـذا البلـد العـربي وذاك، وبالأخـص في بلـدك العـراق، وحفّـزت الجميـع على اكتشـاف هـذا الفكـر وهـذا الإنجـاز لمجتمعاتنـا. وأذكـر كـمْ كان فرحـك كـبيراً خلال احتفـال الجامعـة بـإطلاق «تمثـال اللاعنـف العالمـي» في بيروت، أول عاصمـة عربيّـة تحتضـن هـذا الرمـز المنـتشر في ثلاثين مكانـاً في العـالم وأمـام مقـرّ الأمـم المتحـدة في نيويـورك. كان ذلـك في 2 أكتوبـر مـن العـام 2018، حيـث دعـوتَ سـفير العـراق في لبنان وجلسـتُما بجانـب حفيد المهاتمـا الكاتب والمحـاضِر العالمـي آرون غانـدي، ضيـف الحفـل في زيارتـه الأولى إلى لبنـان بدعـوة مـن الجامعة، والـذي راح يدنـدن بالهنديّـة، مـع الفنّانة عـبير نعمة التي أحيـت الحفل، أغنيـة كان يحبّها جدّه المهاتمـا غانـدي ويردّدهـا في صلواتـه.. تلك ذكريـات جميلة ومؤثّـرة، كنّا نعلم معاً مـدى أهميّتها في تأسـيس سـاحاتٍ عامّـة باسـم ثقافـة اللاعنـف، لتنـتشر بين النـاس، وليس فقط في المسـتويات الفكريّـة والأكاديميّة.

الثقافة والنقد

ركـنٌ آخـر في مسيرتـك، والعلامة الأسـاس فيهـا، هو الثقافة ومعهـا النقد. لقد كتبـتَ وحاضرتَ مـراراً وطـويلاً عنـهما وعـن واقعـهما ورموزهما كما عـن العوائـق والمحدوديّة في عالمنـا العربي. في كلمتـي هنـا عنـك وعـن اللاعنف، سـأكتفي بأن أسـتعيد مـن كتابك الصـادر مؤخّراً تحـت عنوان «الغرفـة 46 سرديّـات الإرهـاب»، سـؤالك حـول «العنـف والثقافـة هـل يلتقيـان؟ الضفّتـان هـل تلتقيـان؟». حين أجبتـك، في نـدوة تكريميّـة لك في بيروت في فبرايـر الماضي تناولت هذا الكتاب لك وسـواه ربطـاً بقضيّـة فلسـطين، قلـتُ لـكَ إنّ جوابنـا معاً هـو واحد، وإنّـه بالطبـع لا، لا يلتقيان. فالثقافـة هـي زرعٌ، بيـنما العنـف تـدمير. الثقافة بنـاءٌ وتواصل، أمّـا العنف فأذىً وقطْـعُ صِلات. وبرأيـي، إنّ مـن أولويّـات المثقّـف، بالأخـصّ المثقّـف العضـوي المناضـل المحـبّ للحيـاة، إعـادة النظـر في العنـف. إنّهـا المهمَّـة التـي على عاتق كلّ منّا، ولاسـيّما في ظلّ تنشـئة ومفاهيـم وتقاليد وأيديولوجيّـات وتبعيّـات دينيّة وسياسـيّة وسـواها، مجّـدت العنف من حولنـا أو جمّلته أو حتّى جعلتـه نهجـاً لا مجـرّد وسـيلة ظرفيّـة. العنـف والـخير خطّـان لا يلتقيـان، فـكلّ منهما مـن طينة

نقيضة للآخر. القضايا المحقّة تحتاج إلى القوّة والشجاعة، إلى جرأة المقاومة. والقوّة ليست العنف. هذه العبارة التي لفتتكَ، حين سمعتني أقولها أول مرّة في جلسة في الجامعة. نحن نحتاج أن نكون أقوياء لكن ليس عنيفين. ويتوقّف على الثقافة أولاً أن تساعدنا في إعادة النظر للتمييز بين القوّة والعنف، في سائر مجالات الحياة. في آخر كتاب أصدرناه، وليد صلَيبي وأنا، عام 2020، بعنوان «أقوال في اللاعنف»، نشرتُ هذا القول توضيحاً لفكرتي: «لقد شوّهوا القوّة حين دمجوها بمعاني العنف. لقد جمّلوا العنف حين أضفوا عليه معاني القوّة. وها نحن نرتكب الإعدام ونقول (عدالة)، نرتكب جريمة عائليّة وعاطفيّة ونقول (شرف)، نعلن (السلام) ونرتكب الحرب، نعلن (اللجوء إلى القوّة) ونرتكب العسكرة، نقول (ثورة) ونرتكب القتل، نقول (تربية) ونرتكب صفع الطفل والطفلة.. إنّ مسؤوليتنا الثقافيّة الأولى هي في إعادة معاني شجاعة اللاعنف إلى القوّة، وجعل العنف مكشوف الاسم والمعنى كما هو».

كتابنا هذا الذي أهديتُك إيّاه، وكان موضوع مقال لكَ نُشِر في أكثر من صحيفة وموقع إعلامي، أردناه احتفاءً بمرور قرن على مصطلح «لاعنف» NON-VIOLENCE (1920–2020)، مُذ أطلقه غاندي لأوّل مرّة بعد أن اختمر عمقه الفلسفي في مسيرته الذاتيّة والفكريّة والنضاليّة (وكان ذَكر الكلمة في منتصف العام 1919). لم يبتكر غاندي المصدر السنسكريتي لهذا المصطلح، المألوف في الهندوسيّة والجاينيّة والبوذيّة، «آهيمسا ahimsa: لا لأذيّة أيّ كائن حيّ»، بل ابتكر انطلاقاً منه كلمة جديدة في التاريخ، (لاعنف)، لتُضاف كفلسفة شاملة إلى التراث العالمي. إنّه كتابٌ مرجعيّ يبسّط الفكر والفلسفة عبر أقوال وعبارات مأثورة في اللاعنف، وكلُّ قول باللّغة العربيّة وبالإنجليزيّة أو الفرنسيّة. اكتفينا بمئة وثمانية وسبعين قولاً، نتعرّف من خلالها إلى واحد وتسعين من الفلاسفة والمفكِّرين والعلماء والأدباء والمناضلين الروّاد من سائر أنحاء العالم، كيف تكلّموا في اللاعنف، عن: القوّة، الحبّ، العدالة، التربية، السعادة، الضمير، العصيان، المقاومة، التغيير الاجتماعي، الاستراتيجيا، التحرّر الوطني، التمرّد، الطبقيّة، الفقر، التمييز، التعصّب، الحرّية، الحرب، السلام، الغاية والوسيلة، التواصل، الأنا الأصيل.. ولا يسعنا بمناسبة هذه المئويّة الأولى لمصطلح (لاعنف)، إلاّ أن نهنّئ مجتمعاتنا بتنوّع شعوبها، ومجتمعات العالم، بالرغبة المتزايدة فيها، رغبة اللاعنف، ثقافةً وتربيةً ونضالاً. نعم، اللاعنف ينتشر بصدق وتُفتَح أمامه الأبواب، ولو أنّ البعض يتّخذه شكليّاً وآخرون لأغراضٍ ملتبسة ومؤسفة. في البداية يهزؤون منه، يرفضون، يشكّكون، يضلّلون مَن يقترب من

اللاعنـف، يخوّنـون ويهـدّدون، لكـنّ حيّز اللاعنف يكبر ومعـه بات اللاعنفيّون فاعـلين أكثر فأكثر.

يقـول وليـد صلَيبـي: «نحـن لسـنا في عـالم انـتصر فيـه العنـف؛ نحـن في عـالم لم ينـتصر فيـه اللاعنـف كفايـة بعـد». أمّـا مارتـن لوثـر كينـغ فنبّـه باكـراً بالقـول: «لم يعـد الخيـار بين العنـف واللاعنـف، بـل بين اللاعنـف واللاوجـود»

كتبُـك عزيـزي الدكتـور شـعبان التـي صـدرت مؤخـراً، وقـد أهديتنـا إيّاهـا، حملـت توقيعـك وفيـه كتبـتَ: «إلى جامعـة اللاعنـف، هديّتـي مع الاعتـزاز بزمالـة الفكر ورفقة العمـل والإخلاص للّاعنـف». كتبـك هـي بالفعـل كشـفٌ لأسرار ومعلومـات مـن مصادرهـا، أعطيـتَ لهـا الكثير من وقتـك وجهـدك وحسّـك البحثـي وتنـوّع علاقاتك وأسـفارك ومقابلاتك مـع الشـخصيّات الصانعة تلـك الأحـداث، ومـن كلّ هـذا اسـتخلصتَ مواقف تُدين عنـف الخارج وتـشير إلى هلاك الداخل، وتضيـف توضيحـات تسـاعد على الوعـي ونشر الوقائـع، كما تتيـح الحُجـج بوجـه السياسـات المهيمِنـة والقـرارات المضلِّلـة. فتحيّـة لـك على توثيـق التاريـخ للعدالة.

لا بدّ من التوقّف أيضاً عند النقد

بالنسـبة إلى د.شـعبان «النقـد هـو «فكرٌ تعايشيّ تسـامحي»، أو بتعبير آخـر (لاعنفيّ)،لا يبغي اسـتعراضاً للأنـا ولا تربّصّـاً بالـغير، بل خطـوة إلى الأمام». اسـتعدتُ هذه العبارة مـن النص الذي أسـهمنا فيـه، وليـد صلَيبـي وأنـا، في كتـاب عبـد الحـسين شـعبان «تحطيـم المرايـا.. الحبر الأسـود والـحبر الأحمـر» الصـادر عـام 2013. نتذكّره هنا، لكون النقـد، بهذا المعنى بالـذات، رافق حسين شـعبان في سيرتـه الشـخصيّة والفكريّـة والسياسـيّة، مـا أتـاح لـه أن يُبحِـر في التجـدّد وإنْ تناقض مـع مـا كان قـد انتمـى إليـه. وهـذه ميـزة إنسـانيّة بالدرجـة الأولى. في مسـاهمتنا هـذه، كتبنـا أيضـاً: «يقـول عـن الماركسـيّة إنّها «ثورة كبرى»، لكـن دون الذوبان في حرفيّة مـا كُتِب أو تكريس مرايـا يعيهـا هو مسـطّحة. وهـذا ما جعله ينـادي رفاقه والماركسـيّين عموماً إلى «تحطيـم المرايا» بغيـة إعـادة إضـاءة جوهـر هـذه الثـورة بفلسـفتها الإنسـانيّة..». الهـمّ الأسـاس عنـد د.شـعبان، هـو الدعـوة إلى وضـع حـدّ للصنميّـة والطقوسـيّة ومحدوديّـة المعرفـة، أكان في الأيديولوجيّـات السياسـيّة كما الدينيّـة على حدٍّ سـواء. بالنسـبة لـه، الدعوة إلى «التحطيم» هـي دعوة إلى «النقد والتطويـر» والإبـداع، لا بمنطـق الهـدم والعنـف، بل بمنطـقٍ بنّاء لاعنفـي بالذات. أمّـا عن الحبّ فيقـول: «أنـا في حـبّ دائـم.. الحـبّ هـو معيـار أنسـنة الإنسـان.. ما أعرفه هـو أنّ الحـبّ نقيض

التسلّط.. أنا أعيش الحياة كما هي، وأتمنّى أن يعيش الآخرون حياتهم كما يريدون، لكنّ مؤشّري، في هذا المجال، هو حقوق المرأة التي لا تزال مهضومة..».

ويحلو لي هنا أن أعبّر عن تقديري وعاطفتي تجاه الصديق حسين شعبان، حين عرّفني على ابنتيه سوسن وثناء، وفهمتُ مذّاك بوضوح أكثر هذا التجسيد الفعلي لنزعته نحو اللاعنف، بالأخصّ سلوكاً وترجمةً لأفكاره في الحبّ والمرأة واحترام الخيارات الذاتيّة. جميلٌ جدّاً أن نراه في جلسة مع ابنته الحقوقيّة المتميّزة وابنته الصحفيّة الشاعرة، علاقة أنسنة للجمال وللفكر لا «مرايا» تقاليد وثقافة عنفيّة معادية للفرح.

الإعدام

ومن القضايا التي شغلتك وهي في صميم الفلسفة الإنسانيّة وثقافة اللاعنف: مناهضة عقوبة الإعدام. أنتَ تعلم أنّنا أسّسنا أول حملة مدنيّة في لبنان والمنطقة من أجل إلغاء عقوبة الإعدام، منذ العام 1997، حملة وطنية شاملة وُصِفت بأنّها غير مسبوقة. وقد سُررنا حين قرأنا بحثك الموسّع المناهض كليّاً لهذه العقوبة وخلفيّاتها القانونيّة والسياسيّة وحتى الأيديولوجيّة، حيث كتبتَ تقول: «الإعدام عنف، وهو وسيلة عنفيّة للعقوبة، وهذا العنف قتلٌ، فهل القتل الثاني هو التعويض عن القتل الأول أمْ أنّ الهدف هو العدل والحقّ وتعويض الضحايا أو عوائلهم وردع الجريمة؟ تلك هي الفلسفة وراء المطالبة بإلغاء عقوبة الإعدام، بحسب وليد صلَيبي المفكِّر اللّاعنفي الذي أطلق في كتابه «عقوبة الإعدام تقتل» (1997) قوله الشهير «جريمتان لا تصنعان عدالة». وعلى غرار ذلك، سبق لي أنْ قلتُ «رذيلتان لا تنجبان فضيلة»، و«حربان لا تولّدان سلاماً» و«عنفان لا يحقّقان أمناً» و«انتهاكان لا يوفّران كرامة»، وعلينا البحث عن أسباب الجرائم والمسؤولين عن وقوعها اجتماعيّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً وقانونيّاً، ومن خلال الثقافة السائدة بأبعادها الفكريّة والدينيّة والطائفيّة، فضلاً عن منظومة التربية والتعليم والقيم المتوارثة.. ولعلّ مثل هذه المسألة جديرة بأن تجعلنا نُعيد التفكير بإنسانيّتنا ولأجلها.. قد تطول مسألة اتّخاذ قرار بإلغاء عقوبة الإعدام، لكنّ الحاجة إلى إعادة النظر بالنظام التربوي والتعليمي لنشر ثقافة اللّاعنف كفيل برفع وتعزيز الوعي بالقانون وبالثقافة الحقوقيّة، انطلاقاً من القيم الإنسانيّة والضمير.. وهذا يمكن أن يولّد قناعة فرديّة وأخرى مجتمعيّة، حتى لعوائل الضحايا الذين يمكن أن ينخرطوا ضدّ عقوبة الإعدام،

علماً بأنّ الإيمان بالدين ينبغي أن يكون أخلاقيّاً ولعمل الخير لا لتبرير القتل، فالأديان هي للسلام وليست للعنف أو لمباركة القتل..»

بيروت

.. ذكرتُ في البداية أنّ سنوات مرّت بعد لقاءاتنا الأولى في أطر حقوق الإنسان.. إلى أن عرفتُ أنّك مقيم في بيروت. وكنتُ أعلم ما تعنيه لك هذه المدينة ولبنان منذ طفولتك. وها أنت تتّخذ بيروت منزلاً لك.. وكمْ سررتُ وأنا أقرأ كلمتك في حفل تكريمك في إطار المهرجان اللبناني للكتاب في سنته السادسة والثلاثين في «الحركة الثقافيّة – إنطلياس»، بتاريخ 5/3/2017، حيث قلتَ فيها: «لم يكن يفلتُ صيفٌ أو زيارة، إلا ويختارُ جدّي «حمود شعبان» مستقرّاً له بيروت، فخالي «ناصر شعبان»، ثمّ «جليل شعبان»، ثمّ «رؤوف شعبان»، ثمّ الدكتور «ناهض شعبان».. وأستطيع القول إنّني عشتُ المدينة بكلِّ جوارحي لسِتّةِ عقودٍ من الزمان، أي مذْ عرفتُها في مطلعِ السّتينيات من القرن الماضي، وكنتُ أتردّدُ إليها باستمرار بما فيها فترة دراستي في أوروبا في مطلع السبعينيات وحتّى خلال الحرب الأهليّة في لبنان. كنتُ أبحثُ في المدينةِ عن المختلفِ واللامألوفِ من الكتب والصحفِ إلى المُغايرِ واللّاتقليدي من الأفلام، فأجد متعتي في هذا التنوّعِ المتجانسِ والاتّساقِ المتمايز، وفي التعدّدِ والوحدةِ وفي طريقة الحياة اللبنانيّة.. حين انتهت الحرب الأهلية وأُبرمَ اتّفاق الطائف، تكرّرت زياراتي لبيروت، وعندما قرّرتُ أن أترك لندن لم أفكّرْ أن أستقرَّ في أيّ مدينة عربيّة غير بيروت، مع أنّ علاقتي بدمشق فيها الكثير من الحميميّة مثلما هي علاقتي الودّية مع القاهرة. وبغداد التي تسكنني.. مازالت بعين العاصفة.. إذن هي بيروت ذاتُ الأوتار الخاصة، وحيثما يشعر المرء بالحريّة فذلك وطنه. وكما يقول الكاتب المسرحي اليوناني **أريستوفان:** «**الوطن هو حيث يكون المرء بخير**»، وبيروت دائماً تجعلني بخير».

الصديق

أُنهي كلمتي بتحيّة منك إلى صديقك، الذي كان آخر ما كتبتُه له وعنه، بمناسبة زرع شجرة أرز باسمه تكريماً لذكراه، أرزة حملت الرقم 8141، فكانت عنوان مقالك الذي قلتَ فيه: «وجدتُ عبارة كارل ماركس «هنا الوردة فلنرقص هنا»، في كتابه «الثامن عشر من برومير»، الاستعارة الأجمل والانسجام الأمثل، وأنا أشارك في وقفة الاستذكار، لزرع شجرة أرز في محميّة أرز الباروك في الشوف، (16 أيلول/ سبتمبر 2023)، باسم د.وليد صلَيبي المفكّر اللاعنفي

المناضـل الشـجاع طوال مسيرتـه، الحائز على جائزة غانـدي الدوليّة وجائزة الجمهوريّة الفرنسـيّة لحقـوق الإنسـان.. حضـوره اللّامـرئي كان مؤثّـراً وفـاعلاً بـكلّ رقيّـه وقناعاتـه وفكـره وتفاصيلـه الصـغيرة ومرحـه أيضـاً. زراعـة شـجرة الأرز تعني زراعـة الأمل والمحبّـة والسلام، وهـي دعوة إلى المجتمـع اللبنـاني والعـربي لنبذ العنـف والطائفيّة.. دعوة إلى اللاعنف الـذي لا يعني المهادنة على الحـقّ أو المسـاومة على العـدل، بـل إنّـه تمسّـك بـهما.. ولعـلّ كلّ مـن عـرف وليـد صلَيبـي، وجد فيـه شـيئاً مـن شـجرة الأرز بصلابتهـا وشـموخها وجمالهـا.. وطفـرتْ دمعـة سـاخنة مـن عينـيّ، وكنـتُ قـد انتحبـتُ مـرّتين عند رحيـل الصديق وليد في 3 أيـار/ مايو 2023، فقد شـعرتُ أنّ جزءاً منّي غـادر هذا العـالم..»

إلاّ فلسطين!!

د. إياد البرغوثي[1]

1- رئيس الشبكة العربية للتسامح - رام الله – فلسطين.

يبـدو لي أن للمـكان، إضافـة إلى أمـور أخـرى بالطبـع، دوراً مـهماً في بلورة شـخصية الصديـق الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، المركّبـة المتعـددة والموسـوعية والسلسـة والمنطلقة والإيجابية في نفـس الوقت

فماذا ننتظـر من إنسـان ابتـدأ الحيـاة في النجـف، ثـم تتابعـت محطاتـه، فكانـت في بغـداد ودمشـق وبيروت وبـراغ ولنـدن، غير أن يكـون إنسـاناً متعـدد المواهـب والاهتمامـات، ومطلعـاً على الكـثير مـن الثقافـات، وعـقلاً منفتحـاً متسـامحاً يـرى في وجـود الآخـر جـزءاً مـن وجـوده، ويـرى في الحقيقـة ذلـك الشيء الـذي لا بـد من الوصول إليـه، وفي الوقوف إلى جانـب الحق غاية الغايات؟!

لكنـه يعـرف في نفـس الوقـت أن الوصـول إلى الحقيقـة والوقـوف إلى جانـب الحـق لا يمـر بـالضرورة مـن طريـق واحـد كما يؤمـن كـثيرون، بـل هنـاك طـرق مختلفة لذلـك، وزوايـا عديدة يمكـن النظـر مـن خلالهـا. يميز تمامـاً بين الهدف والوسـيلة، يـدرك أن الهدف واحد لكن الوسـائل إليـه متعـددة، لذلـك وقـف إلى جانـب أصحـاب المبـادئ الـكبرى، وفي نفـس الوقـت لم يقـع في الأصوليـة التـي سرعـان مـا تذهـب بأصحابهـا إلى تغييـب الهـدف، وتأليه الوسـائل

كانـت النجـف البدايـة «المحاطـة» بالإيمـان، الشرارة الأولى التي لا بد منها للانـطلاق في تجربة مركّبـة ومعقـدة بأبعادهـا المختلفة وتعرجاتها العديـدة، صعودها ونزولها، عنفوانهـا وانحناءاتها، ثـم كانـت بغـداد الشـباب والسياسـة والنشـاط والأحلام، ودمشـق الحضـارة والأصالـة والعمـق والثـورة، وبيروت الانفتـاح والثقافـة والحريـة والانـطلاق، وبـراغ الجذريـة والتحـدي والأمـل، ثم لنـدن المطلـة على العـالم، ببعدهـا الأرسـتقراطي وجوهرها الإمبراطـوري «الإمبريـالي»

هـذا جعـل مـن صديقنـا الدكتور عبد الحـسين متعدد المرجعيـات وإن بدت متناقضـة، القرآن والماركسـية، الإمـام علي وفلاسـفة التنويـر، أخلاق الشرق وديناميـة الغـرب. كما جعلـه متصالحـاً مـع نفسـه في كل الحـالات، مـن الإيمـان «الفطـري» في البدايـات، مـروراً بالثـورة إلى الإصلاح. لم يشـعرك بـأي تناقـض بين هـذه وتلـك، بـل ينتقل من حالـة إلى أخرى بانسـيابية ملفتـة، ويوظف كل حالة باتجـاه أهدافـه السـامية التـي تتغير

هـذه المرجعيـات المتعـددة، والحيـاة الحافلـة المركّبـة جعلـت مـن الدكتـور شـعبان «خبيراً» في مـد الجسـور مـع الجميـع، ومـن مختلـف الأوسـاط أمـراء ووزراء، إلى العـاديين والبسـطاء من النـاس. أصدقـاؤه مثقفـون وناشـطون مـن كل البلـدان العربيـة، بـل وكذلـك مـن جـوار العـالم العـربي، منهـم كبـار العلمانـيين ورجـال الديـن بمختلـف دياناتهـم وطوائفهم، كبـار السياسـيين والماركسـيين وكبـار الإصلاحـيين، كبـار رجـال الدولة وكبـار نشـطاء منـظمات المجتمـع المـدني

اللافـت للنظـر، وقـد كنـت شـاهد عيـان في كـثير مـن اللقـاءات والمؤتمـرات، أنـه يتحـدث مع الجميـع بلغـة واحـدة، فيهـا الكـثير مـن الاحترام والتفهـم للجميـع، رغـم الفـوارق والاختلافـات بينهـم، إنهـا لغة الإنسـانية والتسـامح والتقـارب والأمـل، وهذا ما جعلـه يحظى بـاحترام الجميع أيضاً

يلفـت انتباهـك صدقـه في التعامـل مـع كل هـؤلاء، لدرجـة تشـعر فيهـا بأنـه ليـس غريباً عن أي منهـم. إنـه عـربي وكـردي وعلماني ومتدين وسـني وشـيعي وثـوري وإصلاحي؛ رغـم كل ما قد يحملـه ذلـك مـن تناقـض، تلمـس أنه حقيقـي، السر فيـه المنطلقـات الإنسـانية والتسـامح الذي يعنـي احترام الاخـتلاف واحترام حريـة الآخريـن، وحـق تقريـر المـصير، وكذلـك خلـو خطابـه من أي بعد طائفـي أو «أيديولوجـي» وأيـة نبرة فوقيـة أو ضغينـة، وكل شـكل مـن أشـكال التعصب

الدكتـور عبـد الحـسين كاتـب غزيـر الإنتـاج كما هـو معـروف، «نتنـدر» أحيانـاً مـع بعـض الأصدقـاء المـشتركين: مـن أيـن يأتي بالوقـت والجهد الكافيين لكتابـة كل ذلك؟! يهيأ لـك أحياناً أن مـا يكتبـه قـد" خلـق» معـه منـذ الـولادة، وأنه مـا عليـه إلا أن يختار المقـال المناسـب والموضوع المناسـب ويـنشره في الوقت المناسـب.

في إحـدى المـرات وصلنـا معـاً في وقت متأخر من الليـل إلى العاصمة الأرمينيـة يريفان، وقضينا وقتـاً ليـس قلـيلاً مـن الليـل في انتظـار إجـراءات الفنـدق، وفوجئنـا في صبـاح اليـوم التـالي بمقال جميـل وغنـي للدكتور عبـد الحسين حـول يريفـان وأرمينيا

بتجربتـه الغنيـة، واطلاعاتـه العديـدة والمتعـددة، تـدرك أن الدكتـور عبـد الحـسين ليس فقط كاتبـاً غزيـر الإنتـاج، بـل هـو مخـزن للمعرفة في مواضيـع كثيرة، منها ما اسـتند إلى مـا اطلع عليه مـن دراسـات ووثائـق، ومنهـا أيضـاً وهـو الأهم، ما عايشـه شـخصياً مثـل موضوع الشـيوعيين في العـراق، وكتاباتـه حـول الكثير مـن المثقفين كتاباً وشـعراء في العراق والعالم العـربي، ومؤخراً وضع

المجتمع المدني في العالم العربي الذي شغل به صديقنا مناصب رفيعة، وكان ومازال مقرباً منه إلى الآن

ولم يكن الدكتور شعبان كاتباً غزيراً فقط، وليس باحثاً موسوعياً فقط أيضاً، بل هو كذلك مثقف مسؤول، ولا يمكن للمثقف أن يكتمل إلا إذا كان مسؤولاً. المثقف المسؤول هو مثقف «رسولي» من ناحية، يهدف لإيصال رسالته إلى كل من يعينهم الأمر. وهو مثقف مسؤول ثقافياً ومعرفياً من ناحية أخرى، وذلك عن ضرورة أن ينقل تجربته ومعرفته إلى أجيال الشباب في الأمة، الذين يعول عليهم الكثير في إنقاذها من كل ما تعاني منه، ولا يكف عن دعمهم وتشجيعهم للانخراط في العمل المدني المثمر، وكذلك في العمل السياسي والأدبي

ربما أهم رسالة يوجهها الدكتور شعبان لشباب الأمة هي ضرورة الحوار. فهو يدرك أن هذه الأمة تتكون من مكونات عديدة، يحب أن يسميها مجموعات ثقافية، وأن لكل واحدة من هذه المجموعات ظروفها وتجربتها وطموحاتها وتطلعاتها، تلك التي بحكم الواقع والتاريخ، وكذلك المؤثرات الخارجية، لا تنسجم في كل الأوقات مع تجارب وتطلعات المجموعة الأخرى، بل تبدو متناقضة أحياناً. في هذه الحالة يدرك صاحبنا أن الحوار يكف عن كونه حاجة تكميلية، بل ضرورة لإيقاف ما قد يترتب عن غيابه من مشكلات وتناقضات وربما صراعات وحروب، كما حدث في حالات عديدة، في العراق وفي بلدان كثيرة في المنطقة أيضاً

وما يؤمن به نظرياً في هذا المجال سعى إلى تطبيقه عملياً. لذلك دعا إلى الحوار بين الأمم الأربع في منطقتنا (العرب والكرد والأتراك والفرس)، وتبنى ذلك عملياً من خلال منتدى الفكر العربي الذي أقام حواراً بين مثقفين من هذه الأمم، فكان ذلك في عمّان أكثر من مرة، وكذلك في بغداد في الآونة الأخيرة

ومثلما كانت صفات صديقنا الدكتور عبد الحسين متعددة ومتنوعة، كذلك كانت اهتماماته؛ لقد جمع بين السياسة والقانون والثقافة والفلسفة والأدب معرفياً وعملياً. مارس السياسية والقانون، وتثقف وثقف في الفكر والأدب. من يراجع مؤلفاته يجدها في كل هذه المواضيع. كتب في تجارب الأحزاب السياسية وبخاصة في العراق، وكتب في سير السياسيين البارزين وبخاصة الماركسيين منهم، وكتب عن المثقفين البارزين وعن الشعراء العظام، عن الجواهري الذي كان يلتقيه في مقهى سلافيا الشهير على شط النهر في براغ، وعن مظفر النواب

صديق الوطـن والمهجـر، الـذي كتـب عنـه كتاب عنوانـه" رحلـة البنفسـج»، أصرّ صديقنا على أن يتـم توقيعـه في أكثر مـن مدينـة في العـراق، وفي أكثر مـن عاصمـة عربيـة، لما للنـوّاب مـن مَعـزّة وتقديـر خـاص. كأني مـن متابعـة مـا يكتـب مـن سير ذاتيـة ودراسـات حول شـخصيات سياسـية وثقافيـة في العـراق وفي العـالم العـربي، أدرك أن ذلـك ما هـو إلا إقرار بدورهـم ورغبة في تكريمهم باسـمه أولاً، وباسـم الأجيال اللاحقة التي اسـتفادت أو عليها أن تسـتفيد من تجاربهم. وفي ذلك أيضـاً مـا يمكـن اعتبـاره شـيئاً مـن الاعتذار لهـؤلاء عن عـدم إيفائهـم حقهـم خلال حياتهم

مـن خلال كتابـات صديقنـا حـول تلك الشـخصيات، واعتماده الملحوظ على الذاكرة الشـفوية، وتجربتـه الشـخصية في معظـم الحـالات، أعطـى صـورة حقيقيـة عـن أولئـك الذين كتـب عنهم، كما ألقـى بالضـوء على الحيـاة السياسـية والثقافيـة، وعلى التاريـخ المعـاصر للعـراق وللمنطقـة العربيـة إجمالاً

اسـتناداً إلى اهتمامـات الدكتـور شـعبان المتعددة، وإلى شـخصيته الجامعـة والجاذبة، كانت له حيـاة عمليـة حافلـة، وأنشـطة متنوعـة ومواقـف لافتـة. في الجانب المهنـي عمـل في القانون وفي الأكاديميـات حيـث درّس في جامعـات عديـدة في العـراق وخارجه، وشـغل منصـب رئيس جامعة اللاعنف في بيروت

في الجانـب التطوعـي والعمـل" المـدني» غير الحكومـي للدكتـور شـعبان كان التنـوع والتعـدد أيضـاً. لقـد كان عضـواً مؤسسـاً وأحيانـاً كـثيرة المبـادر لتأسـيس الكثير مـن النقابـات والجمعيات والمنتديـات. أبـرز تلـك النقابـات نقابة المحـامين العراقيين. وفي مجال حقوق الإنسـان كان رئيسـاً للمنظمـة العربيـة لحقوق الإنسـان، وعضـواً مؤسسـاً في العديـد مـن شـبكات المجتمـع المـدني العربي مثل الشـبكة العربية للتسـامح. كذلك كان عضواً في إدارة مركز دراسـات الوحدة العربية، وناشـطاً في منتـدى الفكـر العـربي ومجموعـة الـسلام العربي، وغيرهـا الكثير

امتزجت نشـأة صديقنا وصفاته واهتماماته والمواقع الرسـمية التي عمل فيها أو غير الرسـمية، في تحديـد مواقفـه مـن الأمـور التي تواجه الإنسـان كفـرد، أو تلك التـي تواجه الشـعوب العربية وحتـى الإنسـانية ككل، فكانـت مواقفـه الواضحـة والحاسـمة مـن الحريـة، وآمـن أن الإنسـان لا تكتمـل إنسـانيته إلا إذا كان حـراً. هـذا يصـح على الأفـراد كما يصـح على الشـعوب. لذلـك هـو بوضـوح مـع حريـة الشـعوب في تقريـر مصيرهـا. هـذا بالنسـبة لـه ينطبـق على كل الشـعوب

والأمـم، وهـذا مـا جعلـه يقـف إلى جانـب حـق الكـرد في تقرير مصيرهـم في بلـده العراق

وهـو يقـف إلى جانـب العـدل أيضاً، هذا مـا جعله ينـتصر للعدالة الاجتماعية وكذلـك للعدالة الانتقاليـة حيـثما احتـاج الأمـر إلى ذلـك. هـذا أيضاً مـا جعله يقـف إلى جانب المواطنـة، حيث لا تكـون الدولـة دولـة طبيعيـة إلا إذا كان مواطنوهـا مواطـنين حقيقيين، تعاملهـم الدولة على قدم المسـاواة، وتتيح لهم المشـاركة في أنشـطتها وفي اختيار مسـؤوليها

كما يقـف صاحبنـا بحـزم ضـد الطائفية، وضد التعصب، وضد اسـتجلاب الماضي ليكون أساسـاً لصراعـات الحـاضر والمسـتقبل. لذلـك يدعـو للحـوار كما قلنـا لحـل المشـكلات البينيـة، بمـا فيهـا المشـكلات التـي تبـدو ذات طابـع طائفـي، ويدعـو لإبقـاء الاخـتلاف في العقـول بـدل الشـارع، ويقـول بـأن الحـوار حتـى لـو امتـد لخمـسين عامـاً فهـو أفضـل من قتـال سـاعة واحدة

ويعتمـد اللاعنـف منهجـاً لحـل المشـكلات بين المجموعـات وبين الأمـم. إنـه يصرّ على أن مـن يسـتخدم العنـف هـو الجانـب الأضعـف، واللاعنـف والتسـامح هما دليـل قـوة. هـو يؤمـن أن الأهـداف النبيلة تحتـاج إلى وسـائل نبيلـة لتحقيقهـا. هـذا مـا جعلـه لـفترة طويلـة محـاضراً في موضـوع اللاعنـف ونائـب رئيـس للجامعـة التـي تحمـل نفـس الاسـم

ومـن المواقـف الواضحة للدكتور شـعبان نقـده الواضح للنظام الدولي الحـالي، ودعوته لضرورة إقامـة نظـام دولي جديـد. رأيـه في النظـام الحـالي أنـه يفتقـر إلى العـدل والأخلاق، وأن القـوى المتحكمـة في النظـام الـدولي اعـتبرت الإسلام عدوهـا الأسـاس بعـد انهيـار الاتحـاد السـوفييتي فكانـت الإسلاموفوبيـا على اعتبـار أن الإسلام ديـن التطـرف والتعصـب.

الـرد على ذلـك بـرأي صديقنـا هـو إيجـاد وسـتفاليا مشرقيـة تهتـم بالسـيادة للدولة والحريـة للشـعب. واعـتماد المشرقـيين التقـارب والوحـدة واسـتخدام كل عنـاصر القـوة القائمـة مـن أجل التقـارب.. هـو في مـكان مـا شـخصٌ هاجسُـه الوحـدة

هنا ندرك كم كان د.شـعبان شـمولياً في تطلعاته، موسـوعياً في ثقافته، وثورياً في عمق أهدافه، وإصلاحيـاً في نهجـه واختيـار سـبله ووسـائله. كل ذلـك كان مسـتنداً إلى رؤيـة واضحـة للعلاقات الدوليـة، وعلاقـات القـوى المختلفـة بعضهـا ببعـض، ولوضـع الإقليـم والوضـع العالمـي وصراعاته وتفاعلاته

قد يلاحظ القارئ المحترم أني تركت موقف د.شعبان من فلسطين إلى آخر المقال، فعندما تحضر فلسطين يصبح صديقنا شخصاً «آخر»، فذلك «المتعدد» و«المناور» والدبلوماسي الحريص الذي يتقن اختيار كلماته، يصبح «أحادياً» واضحاً ومباشراً وتلقائياً، لا يشعرك بأنه بحاجة للتفكير كثيراً فيما يفكر وفيما يقول

يدرك صديقنا جوهر المشروع الصهيوني الإمبريالي بعمق، ومدى خطورة ذلك المشروع على فلسطين وشعبها وكذلك على المنطقة وشعوبها، بل وعلى السلم العالمي، وهو ملم بتاريخ نشأة المشروع الصهيوني وبأهدافه الاستراتيجية، وكذلك بالبعد الثقافي له كمشروع عنصري لا يريد أحداً غيره، وفي أحسن الأحوال يقبل بعضهم على شكل «مخلوقات "من درجات أدنى أو عبيد.

وانطلاقاً من فهمه للمشروع الصهيوني نجده ملماً بتفاصيل إسرائيل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فتحدث وكتب عنها، وعن مجتمعها المتعصب والمغلق الذي يسعى إلى «الترانسفير» للشعب الفلسطيني خارج وطنه.

لذلك كان د.شعبان ضد «الصهيونية» نظرياً وعملياً وبلا تردد. كان ضدها بحالاته المتعددة، كمثقف وحقوقي وسياسي واستراتيجي وإنسان، شارك بنشاط في لجان مناهضة الصهيونية، وأنجر كتاباً في هذا المجال بعنوان «عصبة مناهضة الصهيونية» الذي أوضح فيه خطورة تلك «الفكرة – المشروع» ليس فقط على الفلسطينيين والعرب بل وعلى اليهود كذلك

كما شارك د.شعبان بنشاط في إيصال صورة الطبيعة الإجرامية لإسرائيل والمشروع الصهيوني إلى الأمم المتحدة وإلى قانونيي العالم من خلال أنشطة كثيرة، كان آخرها المساهمة الجدية في تأسيس الرابطة العربية للقانون الدولي

وفي هذا المجال، كتب الدكتور شعبان حول العلاقة" الخاصة" بين إسرائيل والولايات المتحدة، وأشار إلى انحياز أمريكا الكامل لإسرائيل، وإلى تماهي المصالح الإسرائيلية والأمريكية، و«التخادم» بين الدولتين، والذي تمثّل في الآونة الأخيرة بالجهد الأمريكي الذي يمكّن إسرائيل من اختراق العالم العربي فيما يسمى بالتطبيع

فيما يتعلق بفلسطين، صرّح صديقنا في أكثر من مكان، وكتب كثيراً في موضوع الحق

الفلسطيني الذي يتمثل أساساً برأيه في حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وفي إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعودة اللاجئين. ووقف ضد التطبيع العربي مع إسرائيل، وأعرب عن ثقته بأن التطبيع لن يتمكن من إزالة فلسطين من الثقافة العربية ومن الوجدان العربي. لقد صارحني مراراً بأنه يتوق إلى زيارة القدس، لكنه لن يفعل ذلك ما دامت تحت الاحتلال، برغم أنه يحمل جوازاً يمكّنه من زيارتها إن هو أراد.

يقف الدكتور شعبان إلى جانب فلسطين ليس فقط نتيجة رؤية سياسية واستراتيجية لها، وليس فقط من خلال شعور قومي بضرورة الوقوف إلى جانب شعب شقيق، بل لما أعلنه مراراً وتكراراً من أن القضية الفلسطينية هي" أنبل وأعدل قضية على الأرض».

قلتها في السابق، وأرى من الضرورة أن أقولها الآن أيضاً: إن الدكتور شعبان المتعدد والمتسامح في علاقته بالجغرافيا والفكر والسياسة والأنشطة والرؤى في كل شيء، يتجاوز كل ذلك، ويصيح حاداً وواضحاً وجذرياً وثورياً ومؤمناً عندما يتعلق الأمر بفلسطين، كأني أتخيل أن الصديق الدكتور عبد الحسين يتبنى شعاراً غاية في الوضوح: «إلا فلسطين»

عبد الحسين شعبان.. اسم مُشرِّف في سورية

د. جورج جبور [1]

1- الأستاذ الدكتور جورج جبور، ولد في دار البرج - صافيتا العام 1938. نال إجازة في الحقوق وفي الفلسفة وماجستير ودكتوراه في العلوم السياسية. حاضر في أوكسفورد وكمبردج وهارفارد وأكاديمية العلوم في موسكو وغيرها من أبرز جامعات العالم. سمي عام 1970 مستشاراً في قصر الرئاسة بدمشق، كما اختير خبيراً مستقلاً لدى مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة. وعمل خبيراً من آسيا في لجنة من 5 خبراء لتحسين أحوال المتحدرين من أصل أفريقي في العالم بموجب قرارات دربان. صاحب فكرة يوم عالمي هو يوم اللغة العربية. أول من نادى بضرورة احترام الأمم المتحدة لعيدي الفطر والأضحى. مكرّم في صافيتا من قبل وزارة الثقافة بصفته صاحب فكرة يوم وزارة الثقافة. يعتبر المسؤول الأول عن الأسف البابوي عام 2000 بشأن حروب الفرنجة. له حوالي 40 عملاً منشوراً

حين وردتني الدعوة للكتابة عن الدكتور عبد الحسين شعبان لمناسبة تكريمه من مؤسسة د.سعاد الصباح، عدت إلى أوراقي القديمة فوجدت النص الذي كتبته عن الصديق شعبان حين كُرِّم في تونس من طرف المعهد العربي للديمقراطية ومنتدى الجاحظ والجامعة الخضراء، ما يزال صالحاً، بل وطازجاً، وهو ما وددت أن أقوله عنه بما يستحقه من شخص، وما تتطلّبه الأمانة العلمية والنزاهة الأخلاقية، ناهيك عن متطلّبات الصداقة المتجدّدة، والتي تقارب اليوم نحو أربعة عقود من الزمن، ولكي لا أكرّر نفسي وجدت من المناسب أن أتقدّم إليكم بهذا النص الذي يحتفظ براهنيّته وجِدّته، فضلاً عن أنه يلبّي مقتضيات الحاجة لكي يُضمّ إلى الكتاب الذي سيصدر عنه، وعند دعوتي للحديث عن صديقي في حفل التكريم يمكنني أن أشارك بكلمة مختصرة تستجيب للحدث نفسه.

لم تسمح لي ظروف قهرتني، ببدء كلمتي في تكريم صديق العقود الثلاثة الأخيرة «الأول»، إلا هذا اليوم السابع من الشهر العاشر عام 2016.

وحين أقول: صديق العقود الثلاثة الأخيرة «الأول»، أي من عام 1986 وحتى الآن[1]، فسيتوقع القارئ أن أبدأ حديثي عن مكرمنا باللقاء الأول الذي أتذكره معه. لن أفعل ذلك، سأستفيد من قدرة الأسطر الأولى على جذب الانتباه، لأبدأ الحديث عن هذا اليوم الذي به منحت جائزة نوبل للسلام إلى رئيس كولومبيا «خوان مانويل سانتوس».

لماذا مُنح الجائزة؟ لأنه استطاع الوصول مع معارضي الحكم إلى اتفاق ينهي هدر الدماء، وهؤلاء المعارضون أمضوا عقوداً في المعارضة، لكنه تمكّن في نهاية المطاف من التوصل معهم عبر الحوار الذي دام أربع سنوات إلى اتفاق ينهي العنف ويقيم السلام

وسيُقال: وما علاقة الأمر بمناسبة اليوم؟

1- وهو العام الذي التقينا فيه، في مؤتمر نظّمه الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في دمشق، وكنّا قد لفتنا النظر كلٌّ من موقعه بالقرار 3379 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 10 تشرين الثاني (نوفمبر) العام 1975، الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية واعتبرها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، ثم اتفقنا بعد لقاء قرب ساحة عرنوس بدمشق على دعوة نخبة من المثقفين والباحثين لتأسيس اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379، واخترت أنا رئيساً وعبد الحسين شعبان أميناً عاماً لها، وضمت اللجنة إنعام رعد، وناجي علوش، وعبد الرحمن النعيمي وغازي حسين وعبد الفتاح إدريس وغطاس أبو عيطة وصابر محيي الدين وسعد الله مزرعاني وعبد الهادي النشاش، ثم أصبحت لاحقاً «اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية» وترأسها إنعام رعد

كان لعبد الحسين شعبان جهد في محاولة وضع أساس للوصول إلى اتفاق ينهي هدر الدماء في بلدي، سورية. هو أساس حاولناه معاً، نطقناه معاً، وكتبه بخطه. وأحبّ لهذا الجهد ألا يضيع، وعالمنا اليوم يحتفي بصانع سلام.

لم يأخذ منّا الجهد إلا ساعة أو أكثر قليلاً، لأن كلاً منّا كان قلبه وعقله في المكان ذاته. لم يتبلور الجهد إلا في قائمة أسماء تضمها صفحة أو صفحتان، لم أعد أذكر.

وفي هذا اليوم، السابع من الشهر العاشر، إذ أستمع إلى فوز رئيس كولومبيا بجائزة نوبل للسلام، وإذْ أحاول إقناع نفسي بأنني أتكلم في ندوة تنعقد في تونس التي فاز مجتمعها المدني بجائزة نوبل[1]، متناسياً أن الندوة عقدت وانتهى أمرها، إذْ أفعل ذلك، فإنني أحب أن أضع مكرّمنا في إطار لائق به كباحث جاد، وبنا كزملاء له، هو **العالمية**

أعود إلى موضوع **العالمية** بعد قليل.

أما الآن فأكشف عن جهد مشترك قمنا به، مكرمنا وأنا، في بيروت ذات يوم، في الهزيع الأول من ليل الأحداث السورية، جهد هادف إلى السير بالأحداث في طريق السِّلْم. لم نستطع التقدّم ولو خطوة واحدة في ذلك المعبر الصعب، إلا أن الروح التي كانت في الجهد ما تزال حيّة فيه وفيّ وفي كل من يحب أن يسود السلام في سورية، وفي كل بقعة من العالم ينتهك فيها حق الإنسان في الحياة.

ذات يوم قصدتُ بيروت واضعاً في الحسبان أن من الممكن لجهد يُبذل فيها أن يكون له أثرٌ خيّرٌ في الأحداث السورية. في الذهن اسم أول أفاتحه بجوهر القصد، دون خشية. جلسنا، «أبو ياسر» وأنا، في مقهى هادئ في شارع الحمراء ببيروت. لم يطل تداولنا حتى استقر على فكرة بدت لنا وجيهة، وكأنها جاهزة في أذهاننا، وكل منا كان قد فكّر بها، بل وأشبعها بحثاً

فلنضع إذن على الورق أسماء عدد من الشخصيات الفكرية والسياسية العربية، شخصيات

1- المقصود بمؤسسات المجتمع المدني التي حازت على جائزة نوبل: الاتحاد العام التونسي للشغل الذي يعتبر من أعرق المنظمات النقابية، وقد تأسس بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (العام 1946) أي قبل استقلال تونس العام 1956، وكان قائده الشخصية الوطنية فرحات حشّاد، والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، وهو منظمة مهنية تأسست العام 1947، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، التي تعتبر أول منظمة لحقوق الإنسان في العالم العربي، إذا استثنينا جمعية حقوق الإنسان في العراق التي تأسست في العام 1960، والهيئة الوطنية للمحامين التونسيين، وهي منظمة تضم المحامين ولعبت دوراً كبيراً ما بعد الثورة

تتمتع بتقدير سوري خاص مجمع عليه من الحكم ومن معارضيه، كما تتمتع بتقدير عربي كبير

ثم فلنسألها القيام بعمل مشترك، بمسعى صادق النيّة، قد ينتج خيراً. ليس في الفكرة ما لا يخطر في البال. هي واقفة في الشارع وعشاقها كثرٌ. احتضنها أقرباء وغرباء. ومع ذلك بدا لنا، صديقي وأنا، أننا نقوم بعمل رائع لم نسبق إليه، حتى وإن كنّا من أوائل المبادرين فيه

تناول عبد الحسين شعبان ورقة. أقنعته بأن يتولى الكتابة، هو النجفي أمضى في طفولته -لا ريب- وقتاً أطول مما أمضيت في دروس تحسين الخط، لم يعترض، شعرت بارتياح، لن تسقط المحاولة بسبب تلعثم خطي.

لماذا اخترت عبد الحسين شعبان؟ واختار نفسه هو لهذه المهمة؟

لي في بيروت من أحسب أنهم أصدقاء كثر. وفيها فيض من مؤسسات الثقافة ومن شخصيات الشأن العام التي سبق لي التعامل المرضي معها. لكنني فضلت البدء مع شعبان الصديق القديم المجرب المتحمس دائماً لمبادراتي

لعبد الحسين شعبان اسم مشرِّف في سورية، لدى مثقفيها على تنوع آرائهم، ولدى قياديي دولتها ومسؤوليها عن الشؤون الثقافية. يصح الاعتقاد أنه إذْ نعمل معاً في محاولة إخماد النار السورية، فلن يشكّك أحد في نبل المقصد وفي نزاهته الفكرية والسياسية. استمرّت جلستنا زهاء ساعة وأكثر. ولدي ما تزال قائمة بأسماء من توسّمنا فيهم أنهم من «حكماء العرب» الذين من الممكن التفكير بقدرتهم على القيام بدور

عدتُ بها، أي القائمة، إلى دمشق. رضى دمشق خطوة أولى لا بدّ منها قبل أن تكون خطوة ثانية. تحدثت مع معارف من ذوي الشأن العام، وبعضهم من ممارسي المسؤولية المعلنة المباشرة، عن فائدة وساطة عربية يضطلع بها مفكّرون مرموقون يتفاعلون مع الأحداث

حظيت باستماع عميق مريح متفهم إلى صوتي المعتدل. سمعت ثناء على النيّة، وعلى أسماء الحكماء، وعلى الشريك في وضعها، إلا أن صوت الأحداث كان أقوى من اعتدال صوتي بما لا يقاس

بهتت الورقة ولم تعد تصلح إلا لأزيّن بها هذه الكلمة، وسأفعل إن عثرت عليها بين أوراقي

المكدّسة دون ترتيب. نشرها قد يعيد إليها اخضرارها، وربما يتسرب الاخضرار منها إلى ربوع وطني الحبيب. ما تزال سورية تنتظر تفاعل «حلف فضول» معها، يصد الظلم عنها وعن أهلها

ما رأيك يا عبد الحسين شعبان؟ ما رأيكم يا منظمي هذه الاحتفالية؟ كيف نبني حلف فضول يضيء خطواتنا في ليالينا السورية المجنونة؟ ما رأيكم أنتم في تونس، بل بالأحرى: ما رأيكم أنتم في دمشق، يا أصحاب الرأي القابض على الأحداث؟ في دمشق قلت؟ بل في كثير من أرجاء الوطن المعذَّب، حيث هنا أمير، وهنا وهنالك سطوة وسلطان.

وإذْ نذكر حلف الفضول، فإنما بذلك نعود إلى عبد الحسين شعبان، ومعه إلى **العالمية** وحقوق الإنسان، وإلى **عالمية حقوق الإنسان**.

في مؤتمر عُقد في بيروت صيف 2003، هدفه تحديث الميثاق العربي لحقوق الإنسان، كنّا معاً، عبد الحسين شعبان وأنا. دفعنا باتجاه الإشارة إلى حلف الفضول في الديباجة. تمت كل الموافقات اللازمة وأدرجت في النص. ثم كانت لجنة صياغة الممولين، التي هي فوق لجنة الصياغة المُعلنة. خرج المشروع مجرداً من قلادته، «حلف الفضول». تداولنا، استقصينا. قيل لنا: في الإشارة إلى الحلف مظنّة البعد عن العالمية. ولكنه ميثاق عربي فلِمَ لا يزيّن بمنتج عربي؟

وكانت الإجابة الصاعقة: أتى التمويل من الاتحاد الأوروبي. أما جامعة الدول العربية وما في جعبتها من دول، وما في جعب دولها من مال، فضيوف. وانتهى الأمر عند ذلك الحد.

هنا في ندوة تكريمك يا عبد الحسين شعبان، أتساءل بما يشبه مراجعة الذات: أما كان علينا أن نكون أكثر حزماً، أن نصرخ في وجه المضيف الذي كان شبحاً لا نراه: ذلك تراثنا، ولن نرضى أن تبعدونا عنه، ولا سيّما أننا في بلدنا بيروت، أمّ الشرائع؟ لكننا لم نهدأ ولم نستكِن وبقينا نقبض على الجمر باستمرار المحاولة تلو الأخرى حتى يتحقق لنا ما نريد، على الرغم من معاكسة الظروف.

العالمية؟ ويحدثونك عنها؟ كأنه مكتوب لنا، بل علينا، أن نسلّم بأن لا عالمية إلا ما يأتي من عالم الأغنياء الأقوياء، أو ما يأتينا الإذن به من عالم الأغنياء الأقوياء

ما عمل أحد في محاولة نشر التعريف بحلف الفضول قدر ما عملت. بهذا يشهد شعبان في صفحة من كتاب له ترد إحداثياته بعد قليل، وفي أكثر من موقع ومقال. وأشهد بدوري، أنه استطاع أن يمضي قدماً، قبل نحو عقد وأكثر، في مشروع جليل هو محاولة إقامة «**مؤسسة للعدالة وحقوق الإنسان**» تحمل اسم الحلف. صحّ منه العزم. وتعلمون كيف ولماذا يأبى الدهر. ثم كانت له يد في «مؤسسة الحلف» التي أنشئت في بيروت قبل بضع سنوات. فوتحت بأمر المؤسسة بعد إنشائها. باركت وانضممت وغابت عنّي أخبارها

هي فرصة الآن أن أسأل مكرّمنا عن أخبارها، وما تزال في النفس ذكرى عطرة من سيدة من شبه الجزيرة العربية، مؤسستها ورئيستها، زارتني ذات يوم في بيروت، وما يزال في أذني حديثها الواثق الدقيق عما تعتزم المؤسسة القيام به. أما آخر ما أذكره عن شعبان وحلف الفضول فحديثه إليّ عن رسائله إلى المفوض السامي الحالي لحقوق الإنسان زيد بن رعد الحسين بشأن الحلف، وهأنذا أسأله: هل أجابك؟؟ ذات يوم خُضت المنافسة على منصب المفوض السامي لحقوق الإنسان، مشرعاً في برنامجي إشهار حلف الفضول ورعاية عالميته، وما أزال منتشياً لأن المفوضية، وبناء على إصراري، أشارت إلى الحلف، ولو بكلمات قليلة، في بيانها بمناسبة مطلع العقد السادس للإعلان العالمي. كان ذلك إنجازاً ما أظن أحداً أعاره اهتماماً في عالم عروبتنا، باستثناء اثنين. قلت: أشارت بكلمات قليلة. والحق أن القراءة المدققة تتيح المجال لشيء من الظن بسوء نية كامن، والله أعلم. «اجتنبوا كثيراً من الظن»، و«بعض الظن من حسن الفطن»

أيها السادة في ندوة تكريم عبد الحسين شعبان..

فلتكونوا «حلف فضول» يهبّ لإقامة العدل في بلاد العرب، ولتكن نقطة البداية من سورية. حزتم جائزة السلام مرة. حاولوا حيازتها ثانية في الطريق إلى دمشق، أليس الطريق إليها درب الحق، كما في الكتب؟

طال مقامي مع المكرّم، وأخشى أن يقول رئيس الجلسة: انتهى الوقت، أو يقول ناشر الكتاب: قد تكلّفنا هذه الصفحة ملزمة إضافية، فلنختصر

أعود إلى آخر ما بين يدي من كتب عبد الحسين شعبان، وهو الذي يصدر كتاباً في كل فصل من فصول السنة، حتى كأنه وزارة ثقافة برأسها. اسم الكتاب: أغصان الكرمة:

المسـيحيون العـرب (بيروت، مركـز حمـورابي، 2015). من عادتي وضع جـزازات ورق في أمكنة من الكتـاب تهمنـي على نحـو خـاص. في الصفحـة الأخيرة مـن الكتـاب، في فقرة ختـام الخاتمة، حيث يبـدو أن عبـد الحـسين شـعبان يتحـدّث عـن نفسـه بصيغـة الغائـب، نقـرأ: «وكان الباحـث قـد طـرح لأكثر مـن مـرّة أنه سيشـعر باطمئنان كامل لـو حصل وكان رأس الدولة في العراق مسـيحياً، وحبّذا لو كانت امرأة مسـيحية لتضفي لمسـة أكثر دفئاً وإنسـانية على هذه المواقع الرسـمية..»

إنـه يقـف مع المسـتضعفين. هو واحـد ممن تعاهـدوا: «أن لا يدعوا ببطن مكـة مظلوماً مـن أهلهـا أو ممـن دخلهـا مـن سـائر النـاس إلا كانوا معـه على ظالمه حتـى تردّ مظلمتـه». وكل مـكان عنـده مكة

والشـكر لكـم أيها الأصدقاء في تونس، إذ تكرمون الصديـق القديم المجرب، وإذْ تدعونني للإسـهام معكـم في التكريـم.

وإلى مزيد من العلم النافع يا أبا ياسر.

شعبان من خلال «المثقف وفقه الأزمة»

د.حامد الحمود[1]

1- كاتب وباحث اقتصادي من الكويت.

منـذ أن تعرفـت على الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، في مؤتمـر عقـد في بيروت عـام 2004، وتقديـري وإعجـابي بشـخصه واتسـاع معارفـه وثقافتـه يـزداد. ومـن حسـن حظي أن اختـار هذا الصديـق مدينـة بيروت ولبنـان موطنـاً لـه. هـذا بعـد النشـأة في النجـف والدراسـة في بغـداد ثم اضطـراره لتغـيير موطنـه، وليـس مقـر إقامتـه. ذلـك أن الدكتـور شـعبان عندما يعيـش في مدينة ومـن علاقاتـه الإنسـانية وشـغفه وفضولـه يحولهـا إلى وطـن، فيألـف المـكان بـل ويعـرّف أهـل المـكان ببعضهـم، هـذا إن كان في بـراغ أو موسـكو أو لنـدن أو بـرلين أو أربيـل أو السـليمانية.

واختيـاره لـبيروت ليـس مصادفـة، وإنمـا خيـار يجمـع بين العاطفـة والانـتماء العـربي والثقافـة والسياسـة. وقصـدي بالعاطفـة الحـنين إلى الذكريـات، فعندمـا أمشي معـه في الشـارع الرئيسي في بحمـدون، يـؤشر لي ثـم يعرّفنـي بصاحـب محـل الخياطة. لكـن وإن لم يخبرني بذلـك، فإنه عندما يمشي في بحمـدون يتذكـر والدتـه ويتذكـر والـده، فـكان والـده الـذي يأخـذه إلى محـل الخياطـة هـذا في أول الـستينيات مـن القـرن الماضي. وربمـا من أسـباب تآلفنـا وإعجابي به هو أننا نتشـارك بنـوع مـن الانـتماء العاطفـي لـبيروت ولبنـان. فأنـا أتـردد عليهـا منـذ طفولتـي، كما أني تلقيـت تعليمـي الجامعـي فيها.

عندمـا أقـرأ أو أسـمع عـن لقـاء يضم عراقـيين وعرباً آخريـن إن كان ذلك في مالمو بالسـويد أو في بـرلين أو بغـداد أو بيروت أو القاهـرة بالدكتـور عبـد الحـسين شـعبان أتسـاءل: مـا هـذا السر الـذي يجـذب هـؤلاء لـه؟ هـذا غير ثقافته الأدبية والسياسـية وبلاغتـه. ما الذي يدفـع هؤلاء وفي ظـل ظـروف هجـرة صعبة أو مواطنـة أصعب بالانتقال من مـكان إلى آخر للقائه؟ أسـأل وأجيب نـفسي بـأن عبـد الحـسين شـعبان بالنسـبة لهم هـو ذلك الـذي يجمـع بين الثقافة والسياسـة من جهـة، وسـمو الأخلاق والسـجل السـياسي الناصـع البيـاض الـذي افتقدنـاه أو نادراً مـا وجدناه في مجتمعاتنـا، إن كان ذلـك في الكويـت أو العـراق أو لبنـان أو مصر أو سـورية أو باقي أقطار العالم العـربي. فكنـا دائمـاً نصبـو ونأمـل وربمـا نتوسـل لوجود شـخصية تجمع تلـك الصفات فـيما بيننا. كـثير منـا نحـن العـرب عانينـا مـن العمل السـياسي وتعرضنـا للاضطهاد لنـدرة أمثال هـذا الرجل بيننـا، وهـو ليـس بغريـب عـن هـذه التجربـة، بـل إنـه مـن إنتاجهـا لذلـك يفهمها، ولذلـك نجد ضالتنـا فيه

ومع مرور الزمن، يلتف العراقيون حوله أكثر، وأرى أحياناً أن وجودهم حوله يعكس حالة شكوى من حاضرهم، من موطنهم ومن منفاهم. وشكوى على وطنهم الموجود والمسلوب بنفس الوقت، فيجدون في تجربته السياسية تجربتهم ونضالهم في نضاله فهم يكملون الاثنين بلقائه. يجذبهم عبد الحسين باختلاف مشاربهم السياسية وباختلاف طبقاتهم السياسية وباختلاف طوائفهم وأعراقهم. فعبد الحسين لجميع العراقيين، حتى لمن عانى من اضطهادهم. فحضور عبد الحسين شعبان بين العراقيين يعيد المحبة بينهم ويعطيهم الأمل.

هذا الرجل لا يعطي أجوبة ولا يقدم حلولاً وإنما يثير تساؤلات توجه العقل إلى المسارات المحتملة المقربة من الحقيقة المواربة والغامضة. فهو يرى «أن الحياة والكون والطبيعة وكل ما حدث فيها من مدخلات ومخرجات.. وغموض المستقبل وصعوبة التكهن به والموت وما بعده، وحتى مع تقدم الثورة العلمية قضايا تشغل الإنسان وتزيد من قلقه»، ويرى أن طريق التقدم مازال وعراً يحتاج لبلوغه تعاون مشترك بين جميع قوى المجتمع. لذا فهو دائم الإشارة إلى قول المتنبي:

على قلق كأن الريح تحتي أوجّهها جنوباً أو شمالا

وعندما طلب مني أن أكتب ما سيُضَمَّن في كتاب يصدر بمناسبة تكريم الدكتور عبد الحسين شعبان من قبل «دار سعاد الصباح»، فرحت كثيراً وتباطأت وأخذت أؤجل البداية لأن قربي ومحبتي لهذا الإنسان الكريم يصعب شرحهما للآخرين. والأمر كان صعباً كذلك لأني لست معتاداً على المشاركة بمثل هذه المناسبات. ولشحذ الأفكار، قررت أن أرجع إلى كتب نشرها الدكتور شعبان كنت قد قرأتها وتأثرت بها. وهذه الكتب هي: « كوبا الحلم الغامض» و«فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي» و«تحطيم المرايا في الماركسية والاختلاف» و«الجواهري جدل الشعر والحياة « و«دين العقل وفقه الواقع». والكتاب الأخير كنت قد نشرت عنه مقالين في «القبس». كما تمت مناقشته وتقديمه من قبل الكاتب في ندوة عقدت في «الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية» بالخالدية في الكويت. ولكن خلال تجوال عيني لأجمع كتباً نشرها صديقي المكَرَّم، وإذا بي أجد كتاب «المثقف وفقه الأزمة: ما بعد الشيوعية الأولى»، والذي اكتشفت أني لم أقرأه. وكنت قد اشتريته من مكتبة بيسان على شارع غاندي المتفرع من شارع الحمراء بـ21000 ليرة لبنانية -أي ما يعادل 14 دولاراً أمريكياً- وتاريخ تسعير الكتب أو أي سلعة في لبنان يعكس مدى تدهور أو متانة اقتصاد أي دولة. وعندما تصفحت هذا الكتاب وبدأت أقرأ فيه، وجدت أن هذا الكتاب

هو الكتاب الذي أبحث عنه، والذي يشرح ويعطي الأسباب لنمو وتدهور المجتمعات والثقافات، ليس من خلال بحث متكامل لنيل الدكتوراه، وإنما من خلال تجربة إنسانية وسياسية وثقافية عملية جمعت بين ما ناله من حب للثقافة والأدب أيام نشأته الأولى في النجف ثم جامعة بغداد، فالدراسة العليا في جامعة براغ، وتنقلاته وحياته في مدن مثل دمشق وموسكو ولندن وبيروت. والأهم في الكتب أنه يطرح تجربة إنسان مرهف الإحساس من ناحية، وقوي جداً من ناحية أخرى. انتمى للحزب الشيوعي العراقي في مرحلة مبكرة من حياته، واضطر بسبب هذا الانتماء لأن يغادر العراق، ويجمع بين التحصيل الدراسي والعمل السياسي الدؤوب، ويتأهل أكاديمياً وحزبياً وسياسياً مع احتفاظه بحاسة نقدية يفتقدها أغلب العاملين في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي.

ويأخذه حبه لوطنه وانتماؤه السياسي إلى جبال كردستان حاملاً السلاح ضد الطغاة ونصيراً للمضطهد. وهذا المثقف الذي حمل السلاح في شمال العراق في أول الثمانينيات يساهم في تأسيس «جامعة اللاعنف وحقوق الإنسان» في لبنان بعد أكثر من ثلاثين سنة. وكأنه يساهم في تقديم اللاعنف كسلوك أفضل على مسرح العمل السياسي. فالتجربة كفيلة بإعطاء قاعدة لانطلاق الأفكار. فكما هو الإبداع في الكتاب يتطلب أكثر من قضاء الساعات والأيام في القراءة، فإن الإبداع في العمل التنظيمي والاجتماعي يتطلب تجربة قد تغنيها المخاطرة. فللمخاطرة والحروب وقت لكن لا بد أن تهدف للسلام. وفي هذا المجال، تقتبس حنة أرندت في كتابها «في اللاعنف» باستعارة كرويز أوبريان من الفلاح الإيرلندي وليام أوبريان: «أحياناً يكون العنف الطريقة الوحيدة التي تؤمّن سماع صوت الاعتدال»، لكنها تحذر: وإن كان العنف يحقق أهدافاً على المدى القصير، لكن يكمن الخطر بتحول الوسيلة إلى غاية. والتجربة في العراق وسورية ولبنان وليبيا وأكثر من بلد عربي، وبعد المعاناة والحروب والتشريد، تحثنا على أن العنف قد استنفد كوسيلة لتحقيق الأهداف.

لعل أهم ما نتعلمه من كتاب «المثقف وفقه الأزمة: ما بعد الشيوعية الأولى» أن الدكتور شعبان قرأ في الماركسية والفلسفة والتاريخ الإنساني والأدب وهضم ما قرأ، مما جعله متمكناً من نقد الماركسية وما قرأ. وفي مقدمته الفلسفية والعميقة لهذا الكتاب، يميز بين الداعية والمثقف. فالداعية في أغلب الأحيان يقرأ قليلاً وإن قرأ لا يستوعب، وشعوره بضرورة الانتماء إلى جماعة، يجعله يبرر أخطاء جماعته، ويردد شعاراتها. وقد تكون هذه الجماعة تنظيماً

سياسياً أو قد تكون جماعة دينية. أما المثقف فلا يستطيع أن يتخلى عن حاسته النقدية، وعادة ما تكون طموحاته مثالية وليست رغبة في تحقيق طموحات تنظيمية. وعادة ما تكون معاناته كبيرة عند الالتزام السياسي بتنظيم أيديولوجي مثل التنظيمات البعثية والشيوعية والدينية. وهذا الالتزام المبكر في الحزب الشيوعي مع وجود شغف معرفي ساهم في نسج ثقافة عميقة ومتنوعة في عقل الدكتور عبد الحسين زاد من معاناته، وذلك لأن هذه الثقافة والشغف المعرفي محملان في عقل إنسان مرهف الإحساس وحيّ الضمير. فمع انتمائه الماركسي وإعجابه بما قدمته من فكر ومنهج إلا أنه أدرك في وقت مبكر أنه ما من فكر وما من منهج إلا ويخضع للنقد. وهذا لا يعيب الفكر وإنما يجدد حيويته، حاثاً الماركسيين على «قراءة الماركسية بروح القرن الواحد والعشرين وبمنهجية ماركس الذي لا يزال يمتلك حيوية، لا بتعاليمه التي تصلح لعصره، وعفّى الزمن على الكثير منها». فالفكر مهما كان حيوياً وعميقاً فإنه يخضع لمتغيرات الزمن، ومن دون نقد يتحول الفكر إلى أحفورة. لذا يستشهد الدكتور شعبان بما طرحه الشاعر التشيلي بابلو نيرودا من «أن تعاقب الحلم يجعل المرء يقوى على تحمل الكثير من المشقات»

وأستشعر من خلال قراءتي لهذا الكتاب أن الدكتور شعبان كان يعاني من الالتزام الحزبي، لأن هذا الالتزام كان يكبح حاسته النقدية، وبهذا يذكر الكتاب:

«كنت أشعر بثقل الوصاية، ولهذا حاولت البحث عن صيغ أخرى جديدة مهنية وحقوقية لخدمة الإنسان، ولاسيما في البحث عن الحقيقة خارج إطار اليقينيات السرمدية والحتميات التاريخية وبعيداً عن التهويمات العقائدية، بهدف التجديد الفكري وعبر عناوين وأسماء ذات حيوية وفعالية راهنة»

وعندما أقرأ في هذا الكتاب، أتذكر تجربتي البسيطة في العمل السياسي من خلال منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة في منتصف السبعينيات. ومع أن تجربتي تعتبر سطحية مقارنة بتجربة الدكتور شعبان العميقة والواسعة والطويلة، إلا أني كنت كذلك أحمل حاسة نقدية رفضت هيمنة الأحزاب السياسية العربية على إرادة الطلبة العرب. وبالذات كنت أرفض هيمنة تنظيم حزب البعث والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة فتح.

وما يميز صديقنا عن آخرين عملوا في الحقل السياسي بلاغته وحاسته الشعرية والذي

مكّنه من أن يكون قريباً من الشاعر العظيم محمد مهدي الجواهري. فعلى الرغم من أن هناك فارقاً بالسن بينهما يزيد على أربعين عاماً، إلا أن الحاسة الشعرية جعلته يستوعب شعر الجواهري، وأن يكون قريباً منه، مؤلفاً كتاب «الجواهري جدل الشعر والحياة». ولا شك أن الخلفية الاجتماعية والثقافية والدينية لمدينة النجف ساعدت كثيراً على نسج وشائج المحبة والتقدير والإعجاب بينهما. هذه المدينة «المحافظة شكلياً والتقدمية جوهرياً»

وعندما تقرأ الكتاب، تشعر وكأن عامر عبدالله الذي انتسب للحزب الشيوعي العراقي عام 1949 بتجربته الحزبية والقيادية وبتوليه منصباً وزارياً في حكومة أحمد حسن البكر، وبعلاقته مع المؤلف، قد ساهم بتوليد الطاقة النقدية للأخير. هذا وقد ولد عامر عبدالله في مدينة عانة عام 1924 وتوفي في لندن عام 2000. ولعل أبرز ما يميز الدكتور شعبان أن صداقاته وعلاقاته داخل الحزب وداخل العراق وفي الوطن العربي والعالم، غير مناطقية وغير طائفية وغير قومية، وإن كان قد نشأ في النجف، فقد نهل منها أفضل ما ينهل من هذه المدينة المقدسة. فقد تشرب بمثالية دينية وإن انتمى للحزب الشيوعي. وقد يختلف الكثير معي، لكني أعتقد أن المثالية الدينية قريبة من المثالية الشيوعية. لذا من الغريب أن نجد كثيراً من القيادات الشيوعية -إن كان في العراق أو سورية أو أي مكان آخر في العالم العربي- نشأت في بيئة مفعمة بالمثالية الدينية. وهذا يمتد إلى شيوعيي أوروبا وبخاصة شيوعيي إيطاليا وفرنسا وإسبانيا. وعندما أشرت إلى أن علاقات وصداقات المكرَّم لا تحدها الانتماءات القومية، فهذا لا ينقص من انتمائه العاطفي والثقافي للأمة العربية. وهذا ليس بغريب، فهو ضليع وخطيب وكاتب لأكثر من 50 كتاباً باللغة العربية. وهذا لا يخص د.شعبان فقط، وإنما كل مثقف مهما كانت جنسيته، ومهما كانت لغته، يشعر دون أن لا يشعر بأن اللغة هي وطنه. ويذكِّرُني هذا بما ذكره المؤرخ الأمريكي أناتول رابوبورت -الروسي الأصل- من علاقة اللغة في المواطنة، وذلك في مقدمة كتاب «حول الحرب» لفيلسوف الحرب الألماني كارل فون كلاوتزفيتز Carl Von Klauswitz، والذي كان يرى فيلسوفاً في الحرب وأديباً في كتابه علوم الحرب، وذلك حسب تعبير رابوبورت: «اللغة هي المقياس الأكثر أهمية الذي يتجسد فيه التعريف بالمواطنة. وحب الفرد للغته من مظاهر الإحساس النبيل الذي يتملك المفكر والمثقف وذوي الأخلاق الكريمة».

وتغير موقف المؤلف من الحرب العراقية الإيرانية يعكس مثاليته وانتماءه القومي العربي.

فعندما كان العراق معتدياً بشنه الحرب على إيران في سبتمبر 1980، وقف ضد نظام صدام، لكن بعد أن احتلت إيران العراق، وقف مع وطنه العراق. لذا يذكر في كتابه هذا: «الموقف المعارض لا يقدم الحزبي أو الطارئ أو المؤقت على حساب الوطني والثابت والاستراتيجي، فالوطن هو القضية الأكبر والأهم».

ويضيف: «لقد كنت من معارضي النظام السابق سياسياً وحقوقياً لاحقاً وبأعلى صوتي ودون أن أختفي وراء أسماء وهمية، وكنت ضد حربه مع إيران عام 1980، ولكن عندما سحب الجيش العراقي قواته من الأراضي الإيرانية لم يعد هناك مبرر لاستمرار الحرب التي كانت في البداية هجومية عدوانية من جانب العراق. وعند انتقال الحرب إلى الأراضي العراقية، كنت من أوائل الذين صرّحوا وعملوا في المحافل الدولية والعربية إلى الأخذ بنظر الاعتبار التغيرات التي طرأت على طبيعة الحرب، وأدت إلى أن تصبح هجومية عدوانية من ناحية إيران ودفاعية وطنية من جانب العراق».

وفي هذا المجال، كنت أنا من القلة من الكويتيين الذين تبنوا موقف المؤلف دون أن نعرفه. فالبشر أينما كانوا وفي أي وقت يمكن أن يتشاركوا في حاستهم النقدية. وأود أن أضيف في هذا المجال أنه عندما قصفت مدينة حلبجة في كردستان العراق بالغازات السامة، أو عندما نشر الخبر بالصحافة الأجنبية، أخذت أكثر من صورة لخبر الجريمة الكبرى من الإيكونومست البريطانية المؤرخة في 28 مارس 1988. وكان ضمن الخبر المنشور في المجلة صورة لرجل كردي سقط ميتاً ضاماً طفلته الصغيرة بسبب القصف بالغازات السامة. فأخذت صوراً من هذه المجلة للرجل الكردي وطفلته ووزعتها على بعض الأصدقاء. لكني لم أجد تعاطفاً يستحق الذكر، فكل الحماس والعواطف كانت متوجهة من أجل صمود الجبهة الشرقية

في القسم الثاني من الكتاب الذي يشرح فيه الكاتب السلوك المثالي لتعامل المثقف من الآخر، يمكن إدراج هذا الفصل «المثقف والموقف من الآخر» ضمن الأبحاث التي ينشرها علماء النفس الاجتماعيون Social Psychologists في مجال تنمية الذكاء العاطفي. وأرى أن ما يدعو إليه الكاتب من نبذ للحقد والضغينة ضروري ليس للعمل السياسي، وإنما لأي عمل وفي أي مجال: «السياسي والمثقف لا ينبغي أن يتعامل مع الأمور من موقع الانتقام أو الحقد أو الضغينة، لأن الكراهية إذا ما سيطرت عليه ستحكمه وتجره إلى مواقف لا يريدها، بل ستخلق ضرراً به. ولا أحد يدعي امتلاك الحقيقة كاملة ولا أحد لا يخطئ. وكل القوى

السياسية مارست الإقصاء والعزل والاستئصال. ولذلك كنت ضد الإلغاء والإقصاء والاستئصال والعزل تحت أي حجة كانت».

وللبيئة العائلية وظروف النشأة الاجتماعية والاقتصادية أثر كبير في تشكل العواطف النفسية نحو الآخرين. ولا أحد يخلو من تشكل مشاعر حب نحو البعض وكراهية نحو آخرين. لكن التحدي الإنساني الأهم في مسيرة الإنسان هو التمكن من التخلص من مشاعر الكراهية، بل وأن تتحول هذه المشاعر إلى مشاعر حب، وهذا ضروري لإكمال تحقيق السعادة. لكن هذا لا ينجز بتوصية أو بقراءة كتاب -وإن كان الأخير يمكن أن يساعد على ذلك- إنما يتحقق من خلال الخوض في تجربة نفسية وعملية. فالنفس تحتاج أحياناً إلى أن تبحر إلى اتجاهات مختلفة، وأحياناً من دون بوصلة، لكي ترسو في النهاية في مرسى المحبة. ومن معرفتي للدكتور شعبان على مدى أكثر من 20 سنة، لم أشعر أو أسمع منه مشاعر كراهية نحو أحد. وكان في منافيه يزور في المستشفيات من أساء له عندما يمرض، ويقدم العون لمن احتاج وإن كان من التنظيمات التي أضرت به أو أساءت إلى مجموعته. فهذا نضج إنساني يفوز به الفرد بعد معاناة. والحقيقة أنه قبل قراءتي لهذا الكتاب -ومع معرفتي به أكثر من عقدين- لم أكن أعرف مدى قسوة التهجير والغربة التي مرَّ بها هذا الصديق، ومع كل هذه العذابات لم يفقد حلمه:

«إن التنكيل بعائلتي واعتقال أفرادها جميعاً بمن فيهم والدي ووالدتي وإخضاعهم لرعب مستمر على مدى يزيد على عشرين عاماً لم يقف بيني وبين الموقف الوطني السليم الذي كان عليَّ اتخاذه رغم كل الآلام والعذابات»

وعذاباته لم تأتِ من مخابرات وشرطة النظام، إنما حتى من الحزب الذي انتمى إليه في سن مبكرة:

«في السبعينيات تعرضت إلى أكثر من عقوبة حزبية بعضها غير معلن، وفي الثمانينيات مُحيت من جميع المسؤوليات، وذلك بسبب الرأي. كان الشائع أن الذين يرفضون الذهاب إلى كردستان يعاقبون. أما أنا، فإن إصراري على العودة إلى كردستان –رغم مرضي آنذاك– كان سبباً في انفتاح الصراع على المكشوف مع القيادة الرسمية، رغم عدم قناعتي بما يسمى الكفاح المسلح، لكنني تلمست محاولات عزلي وتهميش دوري واستشعرت أمراً مبيتاً للحركة

تمهيداً لتصفية المعارضة الداخلية وعقد المؤتمر الرابع»

ولعل من أهم ما يميز د.شعبان أنه يعطي الثقافة وزناً كبيراً ويجعل وجودها ضرورة لإنارة مسار العمل السياسي. ولعل هذا من أهم أسباب تقديره للقيادي الشيوعي عامر عبدالله (1924 - 2000)، وذلك لأن عامر عبدالله «فهم السياسة باعتبارها تجسيداً أعلى للثقافة والفكر.. ولعل قليلين مَن جمعوا الفكر بالسياسة أو اجتمعت فيهم مزايا الفكر وبراعة السياسة».

وعند الحديث عن الشيوعية، فإننا نتحدث عن أحد التطبيقات للفكر الماركسي. لكن هذا لا يعني أن ماركس أرادها أن تكون كما انتهت إليه. فماركس نفسه هو مثقف أكثر منه سياسي. وأشك أنه كان سيختار العيش في الاتحاد السوفييتي أو الصين. فهو صاحب عقل حر، وما كان سيتحمل تكميم الأفواه. كذلك كان رفيق دربه إنجلز. وإقامة ماركس في لندن إلى وفاته كانت هروباً من المخابرات البروسية الألمانية، فلندن وبخاصة مكتبتها العامة منحته المحيط المناسب للتفكير ولكتابة «رأس المال». وإنجلز لا يقل عن ماركس في توقه إلى الحرية وتغليب الثقافة على السياسة. فعندما اشتكى إنجلز من قطع أجزاء من مقال له عند نشره، وأجاب المحرر بأنهم حذفوا ما لا يتناسب مع خط الحزب، ردَّ إنجلز وفقاً لكتاب د.شعبان على المحرر بقوله:

«ومتى علَّمْناكم أنا وماركس أن السياسة أهم من الفكر».

ويتطرق كتاب الدكتور شعبان «المثقف وفقه الأزمة: ما بعد الشيوعية الأولى» إلى العذابات المزدوجة التي عانى منها الشيوعيون اليهود العرب وبخاصة في العراق. فاضطهادهم عادة ما يكون مزدوجاً من السلطة والشعب، وحتى من الرفاق لكونهم من اليهود. وإن كان الشيوعيون العراقيون هم الأكثر نشاطاً في الحزب الشيوعي، فإن الشيوعيين المصريين عانوا إلى حد ما من نفس الاضطهاد. وقد نشر اليهودي الشيوعي المصري ألبير آريِّة (1930 - 2021) مذكراته التي تقدم أمثلة على ذلك. فقد دخل ألبير آريِّة السجن خلال فترة العهد الملكي وقضى سنوات أطول في السجن في عهد عبد الناصر.

وفي بداية كتابه الذي يروي فيه مذكراته، يقتبس آرية من المجري البريطاني آرثر كوستلر قوله: «لا أحد يختار السرير الذي يولد فيه»، بمعنى أننا لا نختار ديانتنا أو طائفتنا أو لوننا

أو لغتنا. هي حقيقة بسيطة يعرفها الجميع، لكن لا يدرك مغزاها إلا القليل. فإدراك معناها يعني نبذ التعصب لدين أو مذهب أو قومية. وحياة الإنسان منذ مولده إلى نهايته تخضع مساراتها لاحتمالات يفاجأ أو يفجع بها أو يسر.

يقول ألبير آريِّة في مذكراته:

«الحياة مثل لعبة الحبل المشدود بين قائمين، يجب علينا السير بحرص حتى لا نفقد التوازن ونسقط. وعلى الرغم من خطورة اللعبة، فإننا لا نفقد متعتنا وشغفنا بها، ونتمنى أن تكون الرحلة بلا نهاية»

ويصف الدكتور شعبان مشهداً يبين مأساة الشيوعيين العراقيين اليهود. فبعد ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 عرض على الشيوعيين المسجونين أن يطلق سراحهم مقابل تحولهم إلى الإسلام. وقد قبل كلهم ما عدا حسقيل قوجمان الذي كان نزيل السجن لعشر سنوات. وكما يروي الدكتور شعبان عندما طلب منه زميله الشيوعي هادي الأعظمي أن يتحول إلى الإسلام صرخ بوجهه

«أنا الذي كنت أدرسك الديالكتيك في السجن، تأتي إلي لتغيير ديني، وتزجني في قضية لستُ مؤمناً بها، ولا ناقة لي فيها ولا جمل!!».

وقد قضى قوجمان سنوات أطول في السجن، وبعد إطلاق سراحه، سافر إلى إيران، ثم أقام في إسرائيل لمدة قصيرة، مهاجراً إلى لندن التي أقام وتوفي بها. وقد كان من خلال الأدب والرواية بالذات، تمكن فيه بعض الشيوعيين من ذوي الحاسة الأدبية بالتعبير عن غربتهم واضطهادهم داخل التنظيم نفسه. وأعطى الدكتور شعبان مثالاً على ذلك برواية «ذئب وحيد في البراري» لسلام عبود وبرواية «مثل الدائرة» لسعدي يوسف.

هذا ولم يخطر ببالي أبداً أن أطلع يوماً على ما يثبت أن الحزب الشيوعي خارج السلطة قد استخدم نفس وسائل القهر والتعذيب على بعض أفراد الحزب. فحتى وهو خارج السلطة، استخدم أحياناً نفس الوسائل التي كان يلجأ لها حزب البعث الحاكم، وإن كان ذلك بدرجة أقل، فإن ذلك يرجع لأن إمكانياته على التحكم والبطش أقل. يقول الدكتور شعبان: «كيف يمكن السكوت عن حوادث قتل وتعذيب تمت في مواقع الأنصار؟ ولا يزال بعضهم يطالب

بالاعتـذار على أقـل تقدير».

ومما أثـار اهتمامـي في الكتـاب، أمـران يتعلقـان ببيئـة التنظيـم وتـأثير ذلـك على أدائه ومدى قدرتـه على تحقيـق الأهـداف، فالدكتـور شـعبان في أكثر مـن مـكان ينتقـد مـن يعـتبر التنظيـم أو المجتمـع نسـقاً مغلقـاً. وموضـوع النسـق المغلـق والنسـق المفتـوح درس مـن قبـل الفلاسـفة وعـلماء الرياضيـات والمجتمـع والهندسـة. والدكتـور شـعبان ينتقد مـن يعتبر الحـزب أو التنظيم نسـقاً مغلقـاً لا يتفاعـل مـع محيطـه ولا يجـدد أهدافـه. ولعـل أفضـل مثـال على النسـق المغلق محـرك أو ماكينـة السـيارة. فهـذا المحرك يجـب أن لا يتفاعل مع محيطه، وليـس له هدف يوضع مـن قبـل المحـرك نفسـه. بينما من الضرورة للتنظيـم أو الحزب أو الشركة أو الدولـة أو الوزارة أن يكوّنـوا نسـقاً مفتوحـاً، لـه هدف نهـائي، ويتفاعل مع محيطـه أو بيئته. ومـن الضرورة أن يتمكن هـذا النسـق المفتـوح مـن توليـد الطاقـة ضمـن محيطـه لكي يتمكـن من إدامـة أدائـه ليصل إلى أهدافـه المتفـق عليهـا ضمـن هـذا النسـق أو النظـام. وأهـم مـا يميـز النسـق المفتوح هـو أن له غاية.

وكما ذكـرت في بحـث عن نظرية الإنسـان نشرته في مجلة «المهندسـون» التـي تصدرها جمعية المهندسين الكويتية في سـبتمبر (أيلول) 1987، فإن النسـق (System) هو وسـيلة لتوحيد الأجزاء ضمـن نسـق كلي يكـون أكبر مـن مجموع الأجـزاء. فالتنظيم أو المؤسسـة أو الحزب تعتبر أنسـاقاً مفتوحـة، كل منهـا يتكـون مـن عـدة أنسـاق مفتوحـة، هـم الأفـراد الأعضـاء أو العاملـون ضمن النسـق. فهنـاك نسـق يتكـون مـن أنسـاق أصغـر متعـددة. وأهـم ما يميـز كـون النسـق مفتوحاً هـو أنـه يـسير نحـو غاية وأنه يتأثـر بمحيطه، ومن هـذا التأثر بالمحيط يقيم هذا النسـق مسـاره ويصلحـه. لذلـك فـإن المجتمعـات أو الـدول التـي يـحترم فيهـا الإنسـان ويمـارس حرياتـه ضمـن القانـون، تكـون مجتمعـات أكثر اسـتقراراً وأكثر قدرة على تطوير نفسـها لكونها أنسـاقاً مفتوحة. ولهـذا السـبب فـإن الحـزب -وهـو نفسـه نسـق مفتـوح- الـذي يعمـل ضمـن دولـة ومجتمـع يتمتـع أفـراده بالحريـة في النقـد. وعندمـا تكـوّن الدولـة والمجتمع نسـقين مفتـوحين، يكون هذا الحـزب أكثر قـدرة على تطويـر نفسـه. لـذا لم أتفاجـأ عندمـا قـرأت في «المثقـف وفقـه الأزمة: ما بعـد الشـيوعية الأولى» أن الحـزب الشـيوعي اللبنـاني كان أول حـزب عربي يتوجـه بالنقد للقيادة السـوفييتية. ويقتبـس الدكتـور شـعبان مـن كريم مـروة قوله:

«عوقبـت الأحـزاب الشـيوعية التـي تمـردت أو تمايزت بحـدود معينة عن المواقف السـوفييتية

بأشكال فعالة مارستها أجهزة المخابرات وأدت إلى تقسيم هذه الأحزاب وطرد عناصر قيادية منها». ويضيف مروة: «وكان الحزب الوحيد الذي انتقد القيادة السوفييتية هو الحزب الشيوعي اللبناني برغم التدخل الفظ لأجهزة المخابرات، وكان ذلك خلال ثورته التجديدية عام 1966». وقد كان أهم مظاهر هذا العقاب أن اتهم أمينه العام جورج حاوي بالعمالة للمخابرات الأمريكية.

وهذا ما قصدته بأن النسق المفتوح يتأثر ببيئته ويتفاعل معها. فما يقرؤه كريم مروة وجورج حاوي والكوادر الحزبية في لبنان غير متوفر لقيادة وكوادر أحزاب عربية أخرى. كما أن أعضاء أحزاب في مجتمعات يمكن وصفها بنسق مغلق مجازاً (لأنه لا يوجد مجتمع ينطبق عليه وصف نسق مغلق)، لا تختلط ولا تتفاعل مع أفراد آخرين. كما أنها لا تقرأ أو تسمع ما يقوله أو ينشره الرأي الآخر. فليس مصادفة أن يكون الحزب الشيوعي اللبناني أول الأحزاب العربية التي تتجرأ على نقد القيادة السوفييتية. فالنسق المفتوح لهذا الحزب في النسق المفتوح لهذا المجتمع أعطاه الفرصة بالتفاعل مع بيئته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما طور حاسة نقدية لدى قيادته وكوادره.

إن هذا الكتاب «المثقف وفقه الأزمة: ما بعد الشيوعية الأولى» يحفز القارئ على التأمل والتفكير، وربما يحفز البعض على كتابة كتب حول أزمة الوعي لدى الشعوب العربية. وقد يحفز آخرين على كتابة رواية. ولو قرأه مخرج سينمائي فقد يفكر بتحويل بعض أحداث الكتاب إلى فيلم درامي. أقصد بذلك ما جرى في بشتاشان في كردستان في أيار/ مايو 1983. ففيه من صبر وتضحية وشجاعة وتراجع وخذلان مما يشكل كنزاً لحبكة روائية قابلة لأن تحوّل إلى فيلم سينمائي. ومعظم أحداث هذا «الفيلم» تدور على جبل ارتفاعه 7800 قدم. فكان هناك قرار بالانسحاب للمقاتلين الذين كانوا قد صمدوا بالرغم من تواضع قدراتهم مقارنة بقدرات القوات المعادية. وهم أصلاً تأخروا بالانسحاب للمحافظة على أجهزة البث الإذاعي لـ«إذاعة الشعب العراقي»، وكان الانسحاب صعباً جداً وفي ظروف مناخية أصعب. لكنه كان «أفضل من الموت مستسلمين»:

«غادر الجميع المواقع.. ونحن إذ نتجه بصعود جبل قنديل، فإذا بنا نشاهد في الجهة الثانية موقع الإذاعة ينفجر والنار تختلط مع العاصفة الثلجية فيصل لهيبها إلى السماء في لحظة غروب حزينة، حيث كانت فيها السماء تسقط حبات من الجليد الماطر، وكأنها أرادت

أن تودعنا ونحن نعتصر ألماً لمغادرة مواقعنا في ظرف عصيب وحالة انكسار. وبعد لقائنا بصارم ومجموعته، شاهدنا عيونهم محمرة من البكاء على عزيز فقدوه، وهو إذاعتهم (إذاعة الشعب العراقي)».

ويضيف:

«وفي الطريق، التقينا برفاق كانوا قد انسحبوا قبلنا، فأبلغناهم أن بشتاشان تم احتلالها، وانتقلنا سوية إلى مواصلة السير لأكثر من يوم إلى أن وصلنا مناطق الحزب الديمقراطي الكردستاني فحملتنا سيارات كبيرة إلى قرية. وخلال بقائنا هناك، كنا نستمع إلى المدفعية المتقابلة، فهذه تطلق وتلك ترد، وبقينا في جامع لنصف ساعة، واكتشفنا أننا في الأراضي الإيرانية».

ولعل من المهم أن نرجع إلى مفهوم النسق المفتوح والنسق المغلق. فكما ذكرنا سابقاً، فإن التنظيم -أي تنظيم- يعتبر نسقاً مفتوحاً متفاعلاً مع محيطه. هذا إن كان حزباً أو شركة أو منظمة غير ربحية أو مجتمعاً، والذي يتكون من أفراد تتجمع مكونة عائلة وآلاف العوائل، أي عدة أنساق مفتوحة. لكن أفراد هذه العوائل يتجمعون كذلك خارج الأنساق العائلية، كل حسب توجهه أو خبرته. وقد يشتركون في الأنساق التي ينضمون إليها، وقد ينضمون إلى أنساق مختلفة من خلال عملهم أو توجهاتهم وأهوائهم. فقد يعملون من خلال نادٍ رياضي أو حزب أو شركة أو وزارة. فالمجتمع ما هو إلا نسق مفتوح، كل عنصر فيه (الفرد) يكون نسقاً مفتوحاً بذاته، لكن هؤلاء الأفراد يتجمعون وينضمون إلى أنساق متداخلة أحياناً، ومتنافسة أحياناً أخرى. ويبدو أن بيئة جبال كردستان تداخلت مع بيئة الحزب والعلاقات الفردية بين أعضائه، والذي أدى إلى أن يستبدل الرفاق:

«الثقافة الشيوعية المدنية والعصرية الحديثة والتقدمية بثقافة الحمداني والشروال وشد البغال كما عبّر أحدهم في الجبال النائية، وأصبحت هناك معايير جديدة مفروضة على الرفاق غير المعايير الشيوعية، فيها الكثير من القيود العشائرية والقبلية والاجتماعية وجوانب عديدة من التعصب والتطرف والمبالغات والدخول في مزايدات، ناهيكم عن معايير متخلفة لا يجمعها جامع مع الفكر الشيوعي».

ولاحظت أن كثيراً من الأفكار العميقة التي استقيتها من هذا الكتاب، كنت قد وجدتّها في

قـراءاتي لمفكريـن كبار مثل الألماني الأمريكي إيريك فروم وآرثر كسـتلر. والأول ينتمي إلى «مدرسـة فرانكفـورت للعلـوم الاجتماعيـة»، والتـي تكونـت فكرياً من أسـاتذة مـن جامعـة فرانكفورت في منتصـف الثلاثينيـات مـن القـرن الماضي. وقـد هاجـر الغالبية العظمـى من أعضائهـا إلى الولايات المتحـدة بعـد هيمنـة النظام النـازي على الحكم. وإضافـة إلى فروم ينتمي إليهـا هربرت ماركوزه وثيـودور أدورنـو وماكـس هوركهايمـر. أمـا يورغـن هابرمـاس والـذي يبلـغ مـن العمـر حاليـاً 95 عامـاً، فقـد بقـي في ألمانيـا، لأنـه كان أصغرهـم سـناً، ولم يكـن يهوديـاً. أمـا آرثـر كوسـتلر فـكان يهوديـاً هنغاريـاً عـاش في فيينـا ثـم لنـدن. وكان ماركسـياً في بدايـات حياتـه ثـم أصبـح صهيونياً، وفي النهايـة تخلـص مـن صهيونيتـه ونشر أكثر مـن روايـة أهمهـا «الـظلام في الظـهيرة». وهـذه الروايـة تتعلـق بتجربـة د.شـعبان في السياسـة والفكـر والأدب. بـل إن «المثقـف وفقـه الأزمـة» يـؤرخ للتجربـة السياسـية غير المسـتقرة التـي مرَّ فيها العراق خلال السـتين سـنة الماضية بطريقة مشـابهة لما أرَّخـه كوسـتلر في «الـظلام في الظـهيرة». إلا أن د.شـعبان يكتـب تاريخـاً بشـخصيات وأحـداث حقيقيـة بيـنما أرَّخ كوسـتلر للـفترة السـتالينية مختلقـاً حبكـة روائيـة خياليـة، لكنهـا قريبـة مـن الواقـع الـذي حدث في ثلاثينيـات القرن الماضي في الاتحاد السـوفييتي. فحتى مكسـيم غـوركي الـروائي والأديـب الكـبير الذي احتفـي به في بداية الثـورة الروسـية 1917، كاد يفقد حياته على يـد سـتالين في الثلاثينيات.

ومما أشـار إليـه د.شـعبان في هـذا الكتـاب -ويبقـى مـهمّاً- هـو أن المنفـى عـزل النشـطاء السياسـيين العراقـيين بمـن فيهم الشـيوعيون عن الشـعب. لذلـك أصبح حضور الحـزب ضعيفاً في المجتمـع العراقـي بعـد سـقوط نظـام صـدام. ويوضـح د.شـعبان:

«إننا الآن نبذل جهداً كبيراً عندما نريد التحدث مع مستمعينا أو من نلتقيهم أو نتحاور معهم في بغداد وعدد من المدن العراقية بسبب الانقطاع التنظيمي وابتعادنا عن ساحة الوطن».

ويضيف:

«لقد خرج الحزب بقضِّه وقضيضه تقريباً إلى المنفى دونما توجه معين».

هـذا ومـع أن الاضطهـاد والحـراب الـداخلي بين الأحـزاب السياسـية في العـراق فـيما بينهـا وداخلهـا، كان السـبب في القضـاء على نخبـة مـن القيـاديين الحزبـيين والمفكريـن في العـراق، إلا أن مـا حصـل في الـفترة السـتالينية في الاتحـاد السـوفييتي كان أعظـم. وأود أن أشير إلى بعـض

الإحصائيات التي أشار إليها د.شعبان في هذا المجال. فقَدْ فَقَدَ الاتحاد السوفييتي خلال الفترة 1930 - 1953 ما يقارب أربعة ملايين مواطن، إما رمياً بالرصاص أو من الجوع والبرد. ومن بين أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في جمهورية أوكرانيا قُتل مئتان باستثناء ثلاثة بقوا على قيد الحياة.

و«الظلام في الظهيرة» لآرثر كوستلر تصور -وإن بأسلوب خيالي- ما حدث لنيكولاي بوخارين (1888 – 1938) الذي كان محبوب الحزب ولينين، فاضطر تحت التحقيق والتعذيب لأن يعترف بشيوعيته «المشوهة»، ويشرح د.شعبان أن بوخارين صرح:

«بأنه يستحق الموت عشرات المرات، وقال زينوفيف عن نفسه إنه تحول من التروتسكية إلى الفاشية وطالب كامينيف المحكمة باتخاذ قرار بإعدامه لأنه يستحق ذلك، والمهم هو السير على طريق ستالين».

لذا فإن الالتزام السياسي في أحزاب تلجأ إلى العنف الثوري مخاطرة كبيرة. وإن لم يأتِ الخطر من خارج الحزب، فإنه يأتي من داخله، وبخاصة إذا استولى هذا الحزب على السلطة في الدولة. والأكثر معاناة هو ذلك الذي تدفعه حاسته النقدية إلى قول الحقيقة. ويستشهد الكاتب في هذا المجال بقول جان بول سارتر: «هل يجب أن أقول الحقيقة، فأخون البروليتاريا، أم يجب أن أقول الحقيقة بحجة الدفاع عن البروليتاريا؟».

هذا وعلاقة المثقف بالسلطة وعلاقة ذلك بالحرية من أهم العناصر التي يبحث فيها الكتاب. فالحرية ضرورة للإبداع. فهل يكتب الشاعر بطريقة لا تزعج السلطة على حساب الإبداع؟ وهل يسخّر الفنان التشكيلي قدراته الفنية لنحت تمثال، أو رسم لوحة يرضى عنها النظام، وعلى «حساب العملية الإبداعية وعلى حساب المستوى الفني والمعيار الجمالي». ويرى الدكتور شعبان أن الديمقراطية لا تخلو من ثغرات، لذا تمكن هتلر من الوصول إلى الحكم من خلالها، كما أنها أوصلت مؤخراً دونالد ترامب إلى الرئاسة. لكنه يقول في مقال نشره بتاريخ 4 يوليو 2019 بعنوان «عبء الديمقراطية»: «إن الديمقراطية تتطور وتتغير وتتراجع أحياناً، وأهم ما فيها قدرتها على إدارة التنوع باتباع آليات سلمية».

هذا ويُحَمِّل الدكتور شعبان قيادة الحزب الشيوعي أسباب فشل الحزب في تكوين قاعدة شعبية له بعد سقوط النظام الديكتاتوري، والذي يعزوه إلى قبول الحزب بصيغه بول بريمر

للتقاسم المذهبي وتبريرها. ويتساءل: كيف يتحول هذا الحزب الذي كان يضم نخبة واسعة من المثقفين العراقيين إلى تنظيم ضعيف معزول عن المجتمع؟ حتى إنه لم ينل أي مرشح نسبة أصوات تؤهله للوصول إلى مجالس المحافظات!

هناك وسائل عديدة للتعبير عن تقدير الدكتور عبد الحسين شعبان من خلال المشاركة في تكريمه من قبل «دار سعاد الصباح» في الكويت، وكان لدي أكثر من خيار للتعبير، ولكني اخترت أن أعرف أكثر عن ثقافته وتجربته السياسية وعمقه الفكري. وأعتقد أني وفقت بأن اخترت الحديث عن «المثقف وفقه الأزمة: ما بعد الشيوعية الأولى» الذي صدر في تموز (يوليو) 2016 عن دار بيسان للنشر في بيروت.

ولا بد من الانعطاف على «الجواهري، جدل الشعر والحياة» في ختام هذه المشاركة في تكريم هذا المثقف والمناضل

أَحاوِلُ خرقاً في الحياةِ فما أجرا ... وآسَفُ أن أمضي ولم أُبقِ لي ذكرا
ويُؤلمني فرطُ افتكاري بأنَّني ... سأذهبُ لا نفعاً جلبتُ ولا ضُرّا
مضتْ حِجَجٌ عَشْرٌ ونفسي كأنها ... من الغيظ سيلٌ سُدَّ في وجهه المجرى
وما أنتَ بالمُعطي التمرُّد حقَّه ... إذا كنت تخشى أن تجوعَ وأن تَعرى
ذممتُ مُقامي في العراقِ وعلَّني ... متى أعتزمْ مسرايَ أن أحمَدَ المسرى
لَعلي أرى شِبْراً من الغَدر خاليه ... كفاني اضطهاداً أنني طالبٌ شِبْرا

وكما بقي وسيبقى ذكراً لصديقك الجواهري، فإن المحبة والتقدير والتكريم يحيط بك أينما ذهبت في العالم العربي، أو حيث يعيش العرب، إن كان في مالمو في السويد، أو في لندن أو أمستردام أو ديترويت.

وهذا التكريم المقدم من «دار سعاد الصباح» يعتبر تكريماً للثقافة في العراق والعالم العربي، كما أنه دعوة للارتقاء بالوعي ولتقديم الثقافة والحق على السياسة

فشكراً للشيخة الدكتورة سعاد الصباح على هذا التكريم، وشكراً لها على جهودها الكبرى في دعم أرباب الثقافة في وطننا العربي الكبير

عبد الحسين شعبان..
المُتفرّد فكراً وسلوكاً

حسن عبد الحميد[1]

1- كاتب وشاعر وإعلامي - العراق.

مثـلما لا يمكـن فصـل اللهب عـن النار، لا يمكن فصل نقـاء وصفاء روح الإنسـانية المحضة التي تسـكن وتتغلغـل في تلافيـف عقـل المفكـر الكـبير د.عبـد الحسين شـعبان عن ملـكات وممكنات عبقريـات منجـزه الثرّ المحـض في عمـوم مُتّسـعات ومُخرجـات مـا نسـج وصـاغ ونَظّـر، أغـدق وأجـاد، أفلـح وحلـق في مختلـف فضـاءات المعرفـة ومناهـل الفكـر وتجلّيـات الثقافـة في قُدراتها على تحريـر الإنسـان مـن براثـن الجهـل ودهاليز الدجـل وألاعيب التجهيـل، فضلاً عن تسـامياته البـارزة والحائـزة على أعلى تقديريـات الإثابـة ورُقـيّ التكريمـات في مهـام ومجـال الدفـاع عـن حقـوق الإنسـان وأرى أبهاهـا وأوقعهـا أثـراً وحضـوراً في الذاكـرة الجمعيـة اسـتحقاق نيله وسـام وجائـزة أبـرز مناضـل لحقـوق الإنسـان في العالم العـربي - القاهرة عـام 2003 وغيرها من الراسـخ والمتواصـل والأكيـد مـن مُـوصلات إسـهاماته والتماعاته في مشـاغل قضايا القانون الـدوّلي والدين والإرهـاب ومشـكلات جـدل الهويـات والمجموعـات الثقافيـة كما يقترح د.شـعبان تسـميتها بدلاً مـن «الأقليات».

سـتطول قائمـة التـذكير بمآثره وشـواهق مواقفـه في قضايا كبرى وكـثيرة، ربما سـيتناولها باحثون ومتخصّصـون ممّـن سيسـهمون معنـا في بهـاءات هـذا التكريـم وهُـم يحتفلـون بكـرم وشرف الإشـادة ودواعـي التكريـم الـذي ارتـأت أن تطلـق عليـه دار سـعاد الصبـاح للثقافـة والإبـداع بـ»يـوم الوفاء»

الصوت ونبرة الوضوح

ربّما.. سـيبدو واضحاً وشـاخصاً، راسـخاً وأكيداً لمن يبغي ويتوق الدخول بطوع النفاذ لدراسـة وتحليـل جوانـب مـن شـخصية د.عبد الحسين شـعبان، أنـه -ومنذ وقـت مبكر من نبـوغ مراحل عمـره- قـد تمكّـن وانتبـه واسـتفاد من تـأطير وتسـوير أعماق ومناسـيب تجربته ونهج سـلوكياته المتصالحـة مـع ذاتـه والمتّسـمة بالتسـامح والاتّـزان وأُطـر المحبّـة الصافيـة النابعـة مـن نصاعـة ضـمير حـيّ ويقِـظ، وإنـك لتلمس صدق صـوت الهـدوء ونبرة الوضوح والثقـة عبر تتابع لغة فهم عميـق هائـم بشـعور صـادق ونبيـل في حتميـات وحيثيـات احترامـه للـرأي والرأي الآخـر بجنب فاعليـة تقديـس العدالـة وأحقيّـة الامتثـال لهيبة القانون متخـذاً من مقولة مونتسـكيو: «القانون مثـل المـوت، لا ينبغـي أن يسـتثني أحـداً» نسـقاً وسـعياً، سـلوكاً وادّعاء وفـعلاً متـواصلاً، لا حياد

عنـه ولا غمـط فيـه تحـت طائـل أي ظـرف وأي مدعى من تبريـر أو تسـويف وتخويف

يقـول عـالم النفـس التحلـيلي كارل غوسـتاف يونغ حول مفهـوم الحياة: «لا توجد شـجرة يمكن أن تنمـو إلى الجنّـة مـا لم تصـل جذورهـا إلى الجحيم». كم في ظنّي وتوقّعـي أن يلّخص هذا القول أو يجتـزئ بعـض أنسـاق لأبعـاد تتراءى في مسيرة شـخصيّة د.شـعبان، وقد تتّضـح خيوط ملامحها لتنسـج وعيـاً متقدّمـاً في نواحـي فهْمـه وخلقـه لحيـاة هـو مَـنْ شـارك فيهـا وسـعى إلى صناعتها وتحفيزهـا على أن تبقـى ثابتـة ركائـزه، حتـى في أقصى وأقسى الظـروف المعقّـدة التي عاشـها من اعتقـالاتٍ وتعذيـبٍ، فـضلاً عـن اضطراره مُكرهـاً لمغادرة بلـده العراق ومدينتـه النجف

أذكـرُ أننـي سـألت د.عبـد الحـسين -بشـكل مباغـت- في واحـدة من لقـاءات جمعتنـي به، أن كيـف كانـت العائلة ترى في طُرق معارضتك للنظام الديكتاتوري، الشـمولي وإدراك حجم المخاطر التـي وضعـت نفسـك أمامهـا كما هو حـال العائلـة برمّتها؟ ثم اسـتدركت لأضيف للسـؤال قائلاً: بالأخـص الأب عبدالعزيز شـعبان الرجل الميسـور الحال والسـاطع السـمعة والمعـروف بكونه من سـليل عائلـة لهـا حـق السـدانة في الروضـة الحيدريّـة (للإمـام علي) منـذ أكثر مـن خمسـة قرون من الزمـن وبـ»فرامين» سـلطانيّة عثمانيّة

اكتفـى بـأن أجـاب: «كان يشـجّعني، عبر كل مـا كان يصلنـي منـه، ولا يترددّ أن يقـول: إيّاك أن تتراجـع، نحـن فخـورون بـك، كُـن مرفوع الـرأس، ولكن بتعقّـل ودون اندفاع، ولا تـنسى أن يكون الوطـن والوطنية فـوق كلّ الاعتبارات».

نموذجية الصورة.. نقاوة الذاكرة

في إتمـام تقييـم عام لمراحـل معطيات ومنجزات هذا المفكر الكـبير والمثقف العضوي - الحيوي الناصـح والناشـط المـدني ذي العقـل الراجـح والمنفتح على مسـارب ونوافذ الحيـاة التي عاش كل تقلّباتهـا وعلى مختلـف مراحلهـا بمـا يخـصّ أوضـاع العراق والأمـة العربية، بل وعمـوم ما يحدث في العـالم، سـنصل -حـتماً- لضفـاف حيـاة وملامـس شـغاف قلـب شـخصية عامـرة بالنورانيّـة، مغمـورة بالتواضـع والمثـول منجذبـاً للحق وكل مكامـن الجمال

ومـن تسـنّى لـه تتبّـع مسـارات سيرة د.شـعبان بواسـع وتعـدّد فضاءاتهـا الأكاديميـة والبحثيـة ومجـالات القانـون الـدوّلي وحقـوق الإنسـان والمجاميـع الثقافيـة، بـل عمـوم مشـارب وشـؤون

الثقافة بواضح عناوينها الإبداعيّة، ستتّضح أمامه صورة نموذجيّة، خالصة الروح، صافية النوايا، نقيّة المقاصد تتواءم فيها وتتناغم استجابات سلوكياته وطبيعة براعات وامتدادات ما أنجز وأوجز طوال حياته في السياسة وخارجها فيما بقيت المعرفة ومشاغل الفكر والثقافة في مقام المرتبة الأولى والمتقدمة والأثيرة على نفسه وريح هواه وجُلّ تفكيره ومساعيه، حتى كانت «أي الثقافة، بحاصل جمع المعرفة» بمثابة القدح المُعلى في أنخاب جميع الفضاءات والمناخات التي عمل وانشغل فيها وخاض غمارها بولعٍ محسوب وتوادّ مُتقن وسعة ثقة انتماء وانتقاء، أسفر عن ذلك جلال وجمال وكمال ما جنى وأحتاز من حصاد ثمار يانعات ونواتج مسعى وجاذبية حضور آسر ومؤثر

وإني لأرى حين أتفحّص بالتدقيق وأتفرّس في شمائل شخصيّة د.شعبان ونبل ونصاعة مواقفها الوطنيّة والإنسانيّة وأُراهن على فعل -بل أفعال- عطاءاته، أجد فيه تطابقاً فريداً ما بين ذاته وخواص سلوكه الذهني ونهجه الفكري ومسارات تعامله اليومي والشخصي مع أي كان من معارفه ورفاقه والناس عموماً، حتى لتتّضح صيغ تعاملاته في المحيط الذي يوجد فيه وآثار ومآثر منجزاته مسكونة في قفص واحد، فيما تزدحم الأخْيلة وتكتظّ الذاكرة بصور لقامات وشخصيات فاعلة ومؤثرة في عموم المشهد الثقافي العربي التي كان قد مرّ عليها وتناولها بما يليق بها وحجم ما تستحق، وكان قد أصدر موسوعة لسردياته الفكرية ومحاوراته الثقافية وقراءاته النقدية لـ48 شخصية عربية ضمّها عنوان موحّد «الزمن والنُخب - في أنطولوجيا الثقافة العربية» وأجد بذكر قائمة طويلة من أسماء الشخصيات الفكرية والثقافية والسياسية العراقية التي تزهو بها ذاكرة شعبان لمعانيها وومض بريقها بدواخل وكوامن نبيلة، هدفها إعادة القراءة بروحٍ نقدية منفتحة لتقديم جزءٍ من تاريخنا برؤية استشرافية جديدة عابرة للأيديولوجيات والانغلاقات الحزبويّة

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر القيادي البعثي السابق والمعارض المعروف صلاح عمر العلي والفقيه الإسلامي الشاعر محمد بحر العلوم والمفكّر القيادي الشيوعي عامر عبدالله والباحث التراثي الكبير هادي العلوي والصحافي الريادي روفائيل بطّي والروائي غائب طعمة فرمان والروائي الساخر والصحافي شمران الياسري «أبو گاطع» والممثّلة المسرحيّة الرائدة ناهدة الرمّاح والشاعر مصطفى جمال الدين والشاعر شيركو بيكه س والمعماريّة المتميّزة وجدان نعمان ماهر الكنعاني والوزير والأديب سعد صالح والفقيه القانوني حسين

جميـل والسـياسي والأديـب الكـردي إبراهيم أحمد والسـياسي الليبرالي المعروف كامـل الجادرجي والزعيـم الكـردي الملّا مصطفـى البـارزاني وشـاعر الحداثـة الشـعريّة الجديـدة سـعدي يوسـف وصـولاً إلى مظفّـر النـوّاب في «رحلة البنفسـج»، ثمَّ شـاعر العـرب الأكبر محمّد مهـدي الجواهري الـذي أصـدر عنـه مؤخـراً كتابـاً بعنـوان «جواهـر الجواهـري» عـن دار سـعاد الصبـاح للثقافـة والإبـداع وصمّـم غلافـه الفنـان مكي حـسين، وهـو بالحقيقـة مجلّـد أنيـق ضخـم حوى مـا اختار د.عبـد الحـسين شـعبان مـن أشـعار ضمـن ذائقته الشـعريّة

ومـا يلفـت ويُضيء بهـذا المطبـوع البـاذخ الروعة والجمال بكامـل أبعاده ونُبـل مراميه الكلمة العميقـة والشـائقة التـي خطّهـا يراع الشـاعرة الدكتورة سـعاد الصبـاح حيث اجترحتهـا كمقدّمة للمجلّـد انضـوت بثريّـا عنـوان «ضـوءٌ غيرُ قابـلٍ للخفـوت»، فيما زهـا غلافه الأخير بصـورة تجمع الجواهـري بشـعبان مزيّنـةً بمـا قالـه شـاعر العـرب الأكبر (أبـو فـرات) بحـق شـعبان (أبي يـاسر) وهـو يرّتـل قـائلاً: أخـي العزيـز عبد الحسين شـعبان.

أبا "ياسر" أنــت نِعْــمَ الصحيب وقــلّ الصّحــابُ ونعــم الخدين
لقــد كنــت في محضرٍ والمغيــب ذاك الــوفي وذاك الأمين
وفي ذكــرياتي كنــت الصــميم سمير المــعنّى وســلوى الحــزين

في نقد التجربة

يتسـاير الحديـث ويتّسـق في تقديـر وتقييـم كل ما يتصادف مـن أحداث وظروف وملابسـات مـع معطيـات ونواتـج مـا يمليـه علينـا التاريـخ وما تشـفق بـه الجغرافية، وتجـور، لا فـرق، فثمّة وعـي مُدّخـر ومخـزون، عـادة ما يقع مـا بين حيّز الخبرة ومتّسـعات الذاكرة، فالشـعوب أو الأمم التـي تحيـا بلا ذاكـرة لا تغـدو بـأن تكـون غير جسـد بـارد بلا روح ولا قيمة أو معنـى، ولعل هذا مـا يضـادّ وينـافي العقـل وحجّة وصرامـة المنطق، في إهدائـه لي لأحد كتبه الصـادرة حديثاً خصّني بـه د.شـعبان يقـول فيـه: «بعد تسـاكب قطرات إشـادة وتوقير لاسـمي، هذا جزء مـن تاريخنا بما لـه ومـا عليـه وعلينا أن نقرأه بـروح نقديـة، فلا قيمة للتجربـة إلا بنقدها»

فما علاقـة ذلـك بمـا أنـوي وأبغـي الوصـول إليـه؟ أسـال وأجيـب وأنـا أُشـمّر عـن ذراع القـول لأقـول: مـا دواعـي الفهْـم الراسـخ والعميـق لما يجـب البـتّ فيه عبر مديـات وآفاق مـا هو ناصع

ونافـع وإنسـاني يـزن الوعـي بميـزان النظـر ويقـارن الأحـداث والمواقـف ومجريـات الأمـور عبر مرقـاب التحليـل والمراجعـة والفحـص والتصويـب، وصـولاً لما هـو عليـه اليـوم -وأريد بـه مفكرنا المُبّجـل د.عبـد الحـسين شـعبان ونحـن نحتفـي بـه في هيبـة ومحـراب يـوم تكريمـه- مـن رفعـة دماثـة خلـق ونبـل تواضـع وجمال روح واتّقـاد ذكاء أدنى للطُّهـر والنصاعة من مسـافة رفّة رمش لجفـن عين، وأنقـى مـن مـاء نبـع رقراق

أتـراني أزفّ كل هـذه الصفـات وأدفـع بعربـة هـذه التقيـيمات مُحـمّلاً إيّـاه على هـوادج مـن تطييـب خواطـر، أو شرارة همـس لمجاملـة بائسـة لا تُغني ولا تُسـمن، ولا تنـذر بشيء، أو منحى لمجـرد نثر كلام مـن زجـاج مـا بـرح يتـكسّر في جـوف فـراغ بلا طائـل ولا نفـع من أدنى حـوار بين اثـنين، أم مـاذا؟! وماذا؟!

العنف وفريضة اللّاعنف

الإجابـة لا تخـون صاحبهـا، إذا مـا أدرك الناطـق بهـا والمؤمـن بنفسـه وقدراتهـا فهـم وهضـم جوهـر معنـى قيمـة السـؤال، أوليسـت الأسـئلة مفاتيـح بحسـب ريلكَـه؟ إذن لنبُح بمـا احتاجت إليـه تلـك الأسـئلة مـن شرف إجابة تليـق لتحلّق بما أباح به د.شـعبان من «بوح متأخر» بحسـب مـا أسماه وأفـاد بـه مـدخلاً لعنـوان فرعـي من دراسـته المهمـة والكبيرة بـكل ثراءات مـا حملت وكشـفت أضـواء ثرياتهـا عن مكامن ما هو غاطس في عمق أعماق شـخصيته المُشـعّة والسـاطعة في نبـذ العنـف، وكيـف اختـار اللّاعنـف كفلسـفة وطريـق للوصـول إلى الحقيقـة والعدالـة، وهو لم يـزل فتـىً في مقتبـل العمـر، وكيـف واجـه العنف بشـكل مبـاشر لأوّل مرة حين حـدث خصام، تطـوّر إلى عـراك، فعنـف بين صديـقين لـه، وإن لم يكونـا مـن الأصدقـاء المقرّبين، لكنـه على علاقة طيبـة بكليـهما، أودى في الحـال إلى قاتـل ومقتـول، القاتل كان أقرب إلى معسـكر اليسـار والحركة الشـيوعيّة والمقتـول كان أقـرب إلى المعسـكر القومي

وهكـذا نشـب الصراع وانتهـى بفاجعـة، ظلـت تسـكن وتتراءى أمـام ذهـن وتفـكير الفتـى شـعبان، وبحسـب مـا يـروي ويكمّـل في متن تلـك الدراسـة التـي كنت قـد طلبت منه مـادة، هو مـن يُحـدّد موضوعهـا عن «ثقافة نبذ العنف»، حينها كان د.شـعبان يشـغل منصـب نائب رئيس الكليـة الجامعـة للّاعنـف وحقوق الإنسـان المعروفة باسـم «أونور» في العاصمـة اللبنانية بيروت، والتـي سـبق لي وثلاثـة مـن زملائي هـم الشـاعر منـذر عبد الحُـرّ والناقد السـينمائي مهـدي عباس

والإعلامـي الأكاديمـي د.نـزار عبد الغفار السـامرائي دخول دورة تمهيديّة مكثفة في دراسـة فلسـفة وثقافـة اللّاعنـف، كان طلبـي ذاك قـد جـاء بعد حصـولي على الموافقة لإعداد ملـف لمجلة «آفاق أدبيـة»، وهـي مجلـة فصليـة تعنـى بالإبـداع الجديـد تصدر عـن دار الشـؤون الثقافيـة في وزارة الثقافة والسـياحة والآثـار العراقية

حمـل الملـف -وهـو محـور العـدد- عنـوان «ثقافة نبـذ العنف»، أسـهم فيـه إلى جنـب د.عبد الحـسين عـدد مـن الأسـاتذة والمتخصـصين في علم النفـس والإعلام والسـينما والفنـون، وقد تكلّل طبـع المجلـة وتوزيعهـا على نطـاق واسـع في شـهري آذار ونيسـان مـن العـام 2017، وكانـت دراسـة د.شـعبان بمثابـة عين الـقلادة -كما يُقـال- لجميـع محتويـات الملـف، حيـث حملـت تلك الدراسـة المسـتفيضة عنوانـاً كـبيراً وذا دلالـة عميقـة وتـأثير لمتن أعمـق وأكثر تـأثيراً هـو «العنف وفريضـة اللّاعنـف / شـذرات مـن تجربـة شـخصية - بـوحٌ متأخّـر»، يتنـاول فيه جـذور مكوّنات فهمـه وهضمـه وقيمـة إخلاصـه للّاعنـف ونفوره الشـديد مـن العنف مـذْ كان فتىً يافعـاً، حيث تشـكلّت في نفسـه وسريرتـه بـوادر هـذه النزعـات والميـول التسـامحيّة واجتنـاب أي مـقترب مـن عنـف وبجميـع أشـكاله ومبرّرات اسـتخدامه، مـن جـرّاء تلـك الحادثـة التـي رواهـا وأثّـرت فيـه، وليعمـل منـذ ذلـك الـحين على تنميّـة خواصـه وتناميـات وعيـه ودراسـاته العليا للسياسـة والاقتصـاد والقانـون في أرقـى الجامعـات في كلٍّ من بغداد وبراغ، اللـتين حاضر فيهما وأشرف على الكـثير مـن الأطاريـح والدراسـات لطلبـة الماجسـتير والدكتوراه بما تجـاوز الأربعين عامـاً متواصلة وجديّة

الإنسانية بجوهرها

لعـلّ أنسـاغ وجـذور جوهـر الإنسـانية الحقّـة، كانـت قـد غـارت وتغلغلـت عميقـاً في خواص ونـوازع تنـوّع ونبـوغ ثقافة د.شـعبان عبر أسـانيد معارفه وخزيـن منجزاته على نحـو ما تعددّت بـه آفـاق تطلعاتـه ومديـات وعيـه الناصـع، الفريـد في العديـد من المجـالات التي خـاض غمارها بعوامـل سـمو الشـغف الواعـي والمُـدرك لطبيعـة وجديّـة دفاعـه الواثـق عـن حقـوق الإنسـان والسـعي إلى ترسـيم وتعميـق مسـارات مـا برع وجاء ينشـد وينـادي لمعنـى قيمة الحريّـة الحُرّة وفضـل قضايـا الثقافـة عبر دور المثقـف العضـوي في توسـيع مـدارك الحيـاة وتعزيزهـا بدواعـي الوعـي وأصـول المعرفـة، إلى جنـب نبـذ العنـف ومقت الإرهـاب وجوانـب فهم وتعليل لمناقشـة

متعلقـات الديـن مشـفوعة بتفويـض رجاحـة العقـل وتسـيّد المنطـق عبر توريـد مفاهيـم فقـه الواقـع وأهميـة الحاجـة إلى التسـامح وقبـول الآخـر وغيرهـا مـن نواهـل اهتمامـات وتطلعـات دأب هـذا المفكـر الكـبير على تـقصّي سُـبل الوصـول إليهـا، ولـو بعـد حين، تحت طائـل أي ظرف واضطـرار انتظـار، فـيما انبرى وشـاء د.شـعبان على نحـو مـا تـجلّى وتزّهـد وهـو ينـأى بنفسـه، بعيـداً، بعيـداً جـداً جـداً، عـن أي مـسٍّ مـن إغـواء أو إغـراء لعقـوق حلم قد يـراود الكـثير ممن يبرّرون للطمـوح بمقارنـة الطمـع بالمناصـب والظفـر بالامتيـازات بغـضِّ النظر عن الوسـيلة حتى لـو كانـت خسيسـة أو غير شريفـة

لقـد توافـق د.عبـد الحسين شـعبان وأعطى مـن عندياته وتسـاميات مواقفه وأحـكام مدركاته وتعزيـزات سـلوكياته المتّسـقة مـع ذاتـه وقناعاتـه، بكل ما يعـزّز ويقـوّم مع مقوّمات شـخصيته الجذّابـة بحضورهـا الآسر والمُسرّ لـكلّ مَـنْ جـسّ وتحسّـس وخـمّ أصـول وجوهـر معدنـه وعرف كنهـه عبر تعـارف أو قـرب وتعامـل، سـواء أكان ذلـك في مجـال التدريـس والتأليـف لمـن يقرأ له، أم في حيّـز ملكاتـه السـاحرة في الكتابـة والحوار والمحـاضرة والحديث

ومـا هـذا التكريـم الـذي تقيمـه الشـاعرة الدكتـورة سـعاد الصبـاح ودارهـا العامـرة للثقافـة والإبـداع ضمـن نهجهـا الحضـاري والإنسـاني بمـا أطلقـت «يـوم الوفـاء» عبر مهابـة تقليـد دوري ينـوء بـجمال الاحتفـاء تعظـيماً، تقديـراً وإثابـة لشـخصيّة أدبيّة عربيّـة مرموقة مثل الشـاعر نزار قبّـاني والأديـب ثـروت عكاشـة والمفكّـر عبد الكريـم غلاب والصحـافي والدبلوماسي غسـان تويني والـروائي إبراهيـم الكـوني وغيرهـم، إلا واحـد من تلـك الامتنانات التـي تهبها الحياة لمن يسـتحق ويسـمو بهـا، كما يحـدث الآن مـع الباسـق الكـبير المعـرّش المثمـر د.عبد الحسين شـعبان

أجـدني.. وبعـد كلّ هـذا وذاك، وإن جـاء بالنـزر الـيسر ممّا أحمـل مـن تصـورات وتفـهمات وتقيـيمات لهـذا المفكـر الفـذ والعقل المتفرد بسـلوكه الحضاري ونهجه الإنسـاني المتقـدّم والرفيع على كافـة الصُّعـد والمسـتويات.. وقـد وجـدتُ مخرجـاً لضالّتـي عسى أن يليـق ببعـض مـا يـداني أو يـوازي مـا أكـنّ لهـذا الرجـل، الأخ، المعلـم الأفلاطـوني وعـرّابي في الحيـاة والثقافـة وكل محافل الـجمال عبر نشري -هنـا- بهـذا المقـام والمقـال - هذا المقطـع، وهو الأخير من نصٍّ شـعري طويل نسـبياً مُهـدى إليـه، كما هـو واضـح مـن عنوانـه المنشـور مع ذلـك المقطـع، أوليس هو ابن رُشـد مـن كان يـرى في الشِّـعر أنـه أكثر حظّـاً مـن الفلسـفة، وأسـمى مكانـاً مـن التاريـخ؟ إذن نـصّ المقطـع الأخير مـن قصيـدة «مـا أورثتـه النسـاء إلى عبـد الحسين شـعبان»:

كذبَ منجِّموهُ
وما صدقوا
فما كان في القلبِ
مِنْ نبضْ..
سوى فيضْ
تمنّاهُ.. طيراً
يحطُّ بجَناحِ الليلِ
ما جاءَ.. يبغيهِ
على إرثٍ توارثَهُ..
تاقَ نزفاً.. يوزِّعُهُ
عزفاً
على أوتارِ ريحٍ
ما فتئتْ.. تئنْ
ما برحتْ تحنْ..
على ما فاتَ..
مِنْ غنجِ النِّساءِ
وما تمرجَ مِنْ شجونِ بقايا العمرِ
ما تناسلَ من أحلامٍ
ما سالَ...
مِنْ زمنٍ لزجٍ سيأتي
لا محالْ...
على هيئةِ حيفٍ
أو..
أشلاءِ سؤالْ
*****

وحدَهُ..
يرى الدُّنيا..
عطرَ مرايا
زخات مطرٍ..
مساءاتِ نبيذٍ
تشعُّ على أجسادِ قواريرِهِ..
فجراً عسلاً.. منقوعاً
بما لا يُحصى
مِنْ أمواجِ كتبِ
كُنَّ شواهدَ أحزانٍ
حقائبَ مِنْ قصائدِ شكوى

لا تقوى على..
أنْ تُباغتَ ثلثَ مراثيهِ
البلادَ...
بما يبقى.. مِنْ ثلثِهِ
الذي أدمنَ حزنَهُ
ورمَتْ بهِ خلف الحدودِ..
مِنْ براءةِ دمِ طينٍ
«جلجامش»
مِنْ أوهامِ الخلودِ
مِنْ سرِّ ما أهداهْ
«ماركس»[1]

1- في حوار أجريته مع الباحث والمفكر د.عبد الحسين شعبان لقناة NRT عربية ضمن برنامج «الشاهد» تشرين أول 2017، أفاد بأن روافد ثقافته وجذورها تعود إلى القرآن الكريم والشِّعر العربي بعامّة والجواهري بخاصّة والفكر الاشتراكي وفلسفة

ذاتَ شقاءِ ذكرى..
لم تزلْ تسري
هشيماً في مواقدِهْ
نارُ «الجواهري»[1]
شعراً... يُرديه برقاً
يرثيهِ... شرقاً
ويهديهِ... شوقاً
ما بينَ... شكٍّ
وشكٍّ..
سرابَ يقينْ

أربيل- عنكاوا

نيسان- مايس 2021

كارل ماركس.

1- محمد مهدي الجواهري... شاعر العرب الأكبر.

السياسة في مواجهة العنف

حسن المغربي[1]

1- مدير تحرير مجلة «رؤى فكرية» - بنغازي/ ليبيا.

يُعد عبد الحسين شعبان أحد فرسان الخطاب السياسي المعتدل في الفكر العربي المعاصر، بما أنجز من أعمال في مجالات النشاط الفكري والممارسة العملية، بالإضافة إلى اهتمامه بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان ومبدأ التسامح وقيم اللّاعنف، على امتداد خمسة عقود من الزمن، وقد ضمن ذلك انتشاراً واسعاً لإنتاجه الفكري داخل بلده وخارجه.

منصور الكيخيا

وكمدخل للحديث عن فكر د.شعبان وفلسفته الحياتية ومواقفه الحقوقية، نودّ أن نشير إلى دفاعه عن الحقوق والحريّات في الوطن العربي، وأخصّ هنا بالذكر مواقفه التي لا تُنسى بخصوص حقوق الإنسان الليبي، فقد ساهم بريادة في إطلاق حملة عربية دولية لإجلاء مصير صديقه منصور الكيخيا، داعية حقوق الإنسان والمؤمن بالحوار والمعارضة السلمية ذات البُعد الوطني، وقد كانا معاً أعضاءً في مجلس أمناء المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وحضرا اجتماع القاهرة (ديسمبر 1993)، الذي اختفى (اختُطف) بعده منصور الكيخيا قسرياً من فندق السفير بالدُّقي (القاهرة)، حيث كانا يقيمان

لقد شمّر شعبان عن ساعديه ليدير حملةً بدأت من لندن لإجلاء مصير الكيخيا، فنظّم 4 ندوات عن ظاهرة الاختفاء القسري والكيخيا نموذجاً، كما أسّس لجنةً ترأسها الشاعر الكبير **بلند الحيدري** لإجلاء مصيره، وألقى محاضرات عنه في لندن وبرلين وواشنطن والقاهرة، وتعاون مع **منظمة العفو الدولية** لمتابعة تطوّرات قضيّته

وساهم شعبان في إنتاج فيلم عنه، قام بإخراجه الفنان الليبي محمد مخلوف، عنوانه «اسمي بشر»، وجرى عرضه في المحافل التي نُظّمت للدفاع عن منصور الكيخيا، تضمّن شهادات للعديد من أصدقائه، إضافة إلى عائلته التي ظلّت وثيقة الصلة بشعبان، كما أصدر كتاباً عنه بالعربية والإنجليزية بعنوان «الاختفاء القسري في القانون الدولي - الكيخيا نموذجاً»، إصدار دار شؤون ليبية، 1998، وشارك بفاعلية في تأسيس لجنة قانونية في القاهرة لمتابعة قضيته

ونحن كليبيين نعرف كم كان ثمن ذلك باهظاً، إذْ إن السلطات آنذاك لم تكن تتورّع عن

إسكات أي صوت ينتصر للحريّات وحقوق الإنسان في ليبيا، فقد تعرّض الرجل إلى تهديدات عديدة، مباشرة وغير مباشرة، كما عُرضت عليه مُغريات كثيرة، لكنّه رفضها بإباء شديد، مفرقاً بين هدر حقوق الإنسان على المستوى الداخلي، وهدر حقوق الإنسان على المستوى الخارجي بفرض الحصار على الشعب الليبي، الذي كان الوجه الآخر لانتهاك حقوق الإنسان

وحين أُجليَ مصير منصور الكيخيا بعد ثورة 17 فبراير 2011، على أثر اكتشاف رفاته في العام 2012، وجّهت إليه رئاسة الوزراء الليبية دعوة عبر وزارة الخارجية كأحد أصدقاء ليبيا الكبار، الذين دافعوا عن شعبها في محنته خلال العهد السابق، وذلك في الاحتفال المهيب الذي نظّم لتكريم منصور الكيخيا، باعتباره يمثّل رمزيةً وطنية وحقوقية ليبية وعربية ودولية كبيرة، وألقى د.شعبان كلمةً في ذلك الاحتفال، إضافة إلى رئيس المؤتمر الوطني ونائبه ورئيس الوزراء وممثّل الأمم المتحدة في ليبيا، كما شارك د.شعبان في تشييع منصور الكيخيا في مدينة بنغازي إلى مثواه الأخير، باحتفال رسمي أقيم له، وألقى كلمة في «ساحة الحريّة»، التي انطلقت منها الثورة في بنغازي

إننا إذْ نستعيد هذه الحقائق، فإنما نريد أن نُظهر مدى تمسّك شعبان بالجانب الإنساني والأخلاقي غير هيّاب بالتحديّات والضغوط التي تعرّض لها دفاعاً عن قيمه، لذلك فإن تكريمه اليوم من جانب الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح، إنما هو تكريم للحقّ والعدل واعتراف وإقرار بدور الرجل التاريخي وجرأته في ظرف لم يكن الكثير من يجازف في مواجهة سلطات عاتية، سواء في بلادنا أو بلاده أو العديد من البلدان العربية، دون أن ينسى مواجهته للطغيان الخارجي، الذي يريد تطويع بلداننا باسم حقوق الإنسان. لقد وجدتُ هذه مناسبة لردّ الجميل للمفكّر شعبان، الذي سأتناول في هذه الشهادة عرضاً مكثفاً لكتابه المتميّز «فقه التسامح».

شيء للتعريف عن شعبان

ولد عبد الحسين شعبان بمدينة النجف في 21 مارس 1945م، لأسرة عربية كبيرة، تعود جذورها إلى عشيرة آل شعبان، المنتشرة في العراق وبلاد الشام. وأمضى سنوات تعلمه من المرحلة الابتدائية إلى التعليم الجامعي في العراق، حتى تخرج، بدرجة البكالوريوس، في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة بغداد، وواصل دراسته العليا في براغ؛ حيث نال درجة الماجستير في العلاقات الدولية والقانون العام، وحاز شهادة الدكتوراه في «فلسفة العلوم

القانونيـة»، مـن أكاديميـة العلـوم بتشيكوسـلوفاكيا.

واهتـم شـعبان بالعمـل الثـوري وارتبـط بالحركـة الشـيوعية في السـتينيات، لكنـه لم يتقيـد بتعاليـم ماركـس الكلاسـيكية، بـل انتقدهـا بشـدة، وحـاول أن يُعيـد قـراءة الفكـر الماركسي؛ من خلال إسـهامات متميـزة، تسـعى -على نحـوٍ واضـح- إلى تجديـد التيـار الاشتراكي اليسـاري بمـا يناسـب التطـور الحاصـل في العلـوم والتكنولوجيـا ووسـائل الاتصـال، وخلال عملـه السـياسي، تعـرض للملاحَقَـة والاعتقـال والتعذيـب عـدة مـرات، وفي إحـدى المـرات كاد يُعْـدَم؛ فاضْطُـرّ إلى مغـادرة العـراق سـنة 1980م، وأسـس في بيروت صحيفـة «المـنبر»، ذات التوجـه الشـيوعيّ. وكانـت لـه مواقـف وطنيـة جريئـة بخصوص القضيـة الفلسـطينية، وأزمـة الديمقراطيـة في العالم العـربي، والحـرب العراقيـة - الإيرانية؛ بحيث إنـه أدان مثلاً اتفاقية الجزائـر، التي قدمت بموجبها الحكومـة العراقيـة تنـازلات لإيـران، لم يكـن لهـا مـن مبرر على الإطلاق!

وفي لنـدن، ومنـذ أواخـر 1990م، كان عبد الحسين شـعبان من الشـخصيات البارزة في المعارضة العراقيـة؛ بحيـث شـارك في العديـد مـن المؤتمـرات، وانتُخـب عضـواً في قيـادة المعارضـة في مؤتمر فيينـا، لكـنْ، بعـد فـرض الحصـار والعقوبات الدوليـة على بلده، على عهد صدام حسين، انسـحب مـن المعارضـة رسـمياً، ونـدد بالتوجـه المُمالـئ للقـوى الإمبريالية وأجهزتهـا الأمنية، وشـخّص علل المعارضـة، التـي وصفها بالتعويليـة على القوى الأجنبية، والمعزولة عن الشـارع العراقي وهمومه؛ لكونـه يـرى أن نَصْـب العـداء للنظام أو الحكومة ليس مبرراً للاسـتقواء بالأجنبـي، أو للتعاون مع تلـك القـوى الخارجيـة، التـي لا تضمـر إلا الشّر للبلـدان العربية قاطبـة، مؤكِّـداً أنّ العنف يلوِّث القضايـا النبيلـة، سـواء كانـت باسـم الديـن أو القوميـة أو الاشتراكيـة، ويشـوّه غايتهـا الإنسـانية؛ فتكـون نتائجه مؤلمـة ومكلّفة وطويلة وملتَبِسـة.

ومنـذ ذلـك الوقـت، ابتعـد شـعبان عن العمـل السـياسي والصراعـات الأيديولوجيـة، وانصرف تدريجيـاً إلى قضايـا الفكـر، ليصبـح واحـداً مـن رواده في العـالم العـربي خلال العقـود الماضيـة؛ بحيـث كانـت لـه بصمـة واضحـة فيه نقـداً وتنـظيراً وممارسـة، وألـحّ على إعادة تصحيـح العلاقة بين أصحـاب القـرار والمثقـفين بتجـسير الفجـوة، بحيـث يكـون المجتمـع المـدني شريـكاً وراصـداً ومشـاركاً في عمليـة التنميـة.

وألقـى محـاضرات في مجـال حقوق الإنسـان بالمعهد العربي، وكتب عدداً كـبيراً من المؤلفات في

القانـون والسياسـة والأديان والفكـر والأدب، بالإضافة إلى الأعمال المترجمة والبحوث المنشـورة في كـثير مـن المـجلات العربيـة؛ مثل: المسـتقبل العـربي، والفكـر العربي، وشـؤون فلسـطينية، ومجلة «رؤى» الليبيـة؛ هـذه الأخيرة التـي شـارك في تحريرهـا منـذ صدورهـا في العـام 2012م.. وقـد امتـازت معظـم كتاباتـه بالتنويـر والدعوة إلى الإقـرار بالتنـوّع والتعدديّة والحـق بالاختلاف.

فقه التسامح: الكتاب والقيمة

ومـا دامـت هـذه المقالـة، التـي تـأتي في سـياق تكريـم الرجل بدولـة الكويـت، معنيـةً بمحاولة قـراءة مشروعـه الفكـري الغنـي، فإني سـأتطرق إلى أحد المباحـث، التي اعتنـى بمعالجتها في كتابه «فقـه التسـامح في الفكـر العـربي الإسلامي: الثقافـة والدولة»1، الصادر عـن دار النهار عامَ 2005؛ لِما لـه مـن أهميـة مؤكَّـدة، وتأثير واضح في كتاباته اللاحقة عن التسـامح الدينـي والتنوع الثقافي؛ مثـل: «المسـيحيون والربيـع العـربي/ 2012م»، و«المسـيحيون ملـح العـرب/ 2013م»، و«أغصـان الكرمـة - المسـيحيون العرب/ 2015م»

يقـع كتـاب «فقـه التسـامح في الفكـر العـربي الإسلامـي» في 180 صفحـة من الحجم المتوسـط، ويتألـف مـن خمسـة فصـول، بالإضافة إلى مقدمةٍ بقلـم **المطران جـورج خضر**، وخاتمة، والملاحق، وقائمـة المصـادر والمراجـع، والفهـرس العـام. وقـد فضّل المؤلِّـف أن يبـدأ كتابه بفقرة من دسـتور «اليونسـكو»، مؤدّاهـا أن السـلم يجـب أن يقـوم على أسـاس التضامن الفكـري والمعنوي بين بني الـبشر، باعتبـار هـذه الفقـرة تحمـل ثمـرة الفكـر الليبرالي، الـذي أخـذ ينـتشر في أوروبـا بفضـل الثـورة الصناعيـة، ومـا أتت بـه من حريـة اقتصادية وسياسـية.

ويناقـش المؤلـف، في الفصـل الأول، موضـوع «الراهـن والتاريخي في مسـألة التسـامح»، مشيراً إلى أن هـذا الأخير في الفكـر الغـربي، وعلى المسـتوى الدولي، تراجع بعد أحـداث الحادي عشر من سـبتمبر 2001م، غير المتوقعـة؛ إذ لم يكـن يتصـور أحـدٌ مهاجمـة الولايات المتحـدة في عقر دارها! وفي هـذا الصـدد يقـول: «لقـد اهتـزت صـورة التسـامح، التي كانـت تمثـل الطابع السـائد للحياة السياسـية الغربيـة.. وظهـر الطابـع الانتقـائي للسياسـة الغربيـة بخصـوص الإسلام؛ فالمسـلمون الأفغـان هـم (مجاهـدون) أيام الاحـتلال السـوفييتي، لكنهم (أبالِسَـة) عندما يتصدَّوْن للسياسـة

1- الصفحـات، المشـار إليهـا في الورقـة، مأخـوذة مـن كتـاب «فقه التسـامح في الفكر العربي الإسلامـي: الثقافة والدولـة»، للدكتور عبد الحـسين شـعبان، دار آراس للطباعـة والنشر، أربيل/ إقليم كردسـتان العـراق، ط.2، 2011م

الأمريكيـة، والمسـلمون الشـيعة في إيـران وجنـوب لبنـان (إرهابيـون)، وهم غير ذلـك إذا تعاونوا مـع الولايات المتحـدة» (ص50)

وليـس هـذا فقـط، بـل حتى بيـان المثقـفين الأمريكيّين السـتين، الـذي صدر في أعقـاب أحداث سـبتمبر، يؤكـد الصـورة النمطيـة، التي كرّسـها، في المخيال الغـربي، **صموئيل هنتنغتـون** في «**صدام الحضـارات**»، **وفرانسـيس فوكوياما** في «**نهايـة التاريـخ**».. وهـي أن الإسلام أحـدثُ تحَـدٍّ فكـري للنظـام الليـبيرالي الغـربي، بعـد سـقوط الاتحـاد السـوفييتي؛ ذلـك بأن المجتمـع الـدولي ينظر إلى الإسلام نظـرة مُريبـة، ولا يفـرّق -في أثنـاء ذلـك- بين الإسلامـيين والشـعوب الإسلامية.

وعليـه، كثُر الحديـث عـن «الخطـر الإسلامـي»، وكأن غالبيـة المسـلمين مجبولـة على الإرهاب! ولعـل السـببَ في ذلـك راجـع إلى أن الغـرب لم ينظـر إلى التيـار الإسلامـي المتعصـب بوصفه حالة موجـودة في جميـع المجتمعات الإنسـانية؛ فهو، مثل سـائر التيارات المتطرفـة النصرانية واليهودية وغيرهـا، لا يمثـل جميـع المسـلمين. ومن هذا المنطلق، حَرَص المؤلِّف على مناقشـة فكرة التسـامح في فلسـفة عصر التنويـر، التـي انـتشرت في أوروبـا إبّـان القـرنين السـابع عشر والثامـن عشر؛ بفضـل فلاسـفة كبـار؛ مـن أمثـال: **مونتيسـكيو** و**روسـو** و**لـوك** و**ديـدر** و**فولـتير**، الذيـن أسـهموا، بطـرق مختلفـة، في مواجهـة الغيبيـات، ودَعَوْا إلى الحريـة الدينية والعدالـة الاجتماعية والتعايش السـلمي بين البشر

وفي هـذا الصـدد، تحـدث عـن آراء فولـتير، التـي تنـادي بالأخُـوّة البشريـة؛ فقـال: «لا يسـتلزم الأمـر قـدرة فنيـة عظيمـة، أو فصاحة بلاغية متمرّسـة؛ للبرهنة على أن على المسـيحيين أن يتحمل كلٌّ منهـم الآخَـر. ومـع ذلـك، فإننـي سـأذهب لما هـو أبعـد.. علينـا أن نعـتبر كل الـبشر إخوتنـا. مـاذا؟.. التركي أخـي؟ الصينـي أخـي؟ اليهـودي؟ السّـيامي؟... نعم، دون شـك.. ألَسْـنا جميعاً أبناء الأب نفسـه؟ إننـا مِـنْ خلق الرب ذاتـه» (ص62). كما أكد أن أطروحة فولتير عـن الحرية الدينية أصبحـت مـن الأمـور المألوفـة في العـالم الغربي الحديـث، حتـى بين المؤمنين بالدين أنفسـهم.

ويتطـرق الفصـل الثـاني إلى بعـض إشـكالات التسـامح في الفقـه الـدولي المعاصر، ولاسـيّما لدى الأمـم المتحـدة؛ بحيـث انطلـق مـن تنـاوُل تطـور فكـرة التسـامح في الغـرب؛ بدايـةً مـن حظـر تجـارة الرقيـق، وُصـولاً إلى مـا بعـد الحـربين العالميـتين، اللـتين راح ضحيتـهما عشرات الملايين من الـبشر؛ حيـث تأسسـت هيئـة الأمـم المتحـدة عـام 1945م، في أعقـاب مؤتمـر سـان فرانسيسـكو؛

مـن أجـل وضـع حـدّ للحـروب بين الشـعوب، وتعميـم فكرة التسـامح وحُسـن الجوار والمسـاواة بين الـبشر. كما تنـاول «الإعلان العالمـي لحقـوق الإنسـان»، الـذي صـدر عـام 1948م، والوثائـق الدوليـة الخاصـة بالحقـوق المدنيـة والسياسـية والفصـل العـنصري والإبـادة الجماعيـة وحقـوق الطفـل ومسـألة الأقليات.

ولـدى حديثـه عـن مفهـوم «التسـامح» في الإعلان الصـادر عن منظمة اليونسـكو سـنة 1995م -الـذي يحـث على الاحتفـال بيـوم 16 نوفمبر من كل عام كيوم دولي للتسـامح- ذكر أن التسـامح يَعنـي الاحترام، وقبـول الآخـر، وتقديـر التنـوع الثري لثقافـات عالمنـا، ولأشـكال التعـبير المختلفة، وللصفـات الإنسـانية لدينـا، وكـذا الإقـرار بحـق الآخريـن في التمتـع بحقـوق الإنسـان، وحرياتـه الأساسية» (ص70)

إن الاخـتلاف في أسـلوب العيـش، وطريقـة الحياة، أمر طبيعـي بين المجتمعات البشرية، سـواء مـن الناحيـة الاجتماعيـة أو السياسـية أو الثقافية؛ وبالتـالي، فإن إلغاء هذا الحق يسـبِّب الجمود والجَـدْب في المجتمـع، ويـؤدي إلى حالـة مـن الاسـتبداد. وفي السـياق نفسـه، ذكـر أن «قبـول التعايـش والتسـامح يَعنـي الموافقـة على ما هو مشترَك، حتى وإنْ كان في نظـر الآخَر غير أخلاقي، أو ربَّمـا أقـرب مـن فكـرة الشر، وإن لم يكن شرّاً بالفعـل» (ص75)

ويبحـث الفصـل الثالث، الذي عُنْوِن بـ»الدين والتسـامح - الماضي والحاضر»، مسـألة التسـامح في الديانـتين النصرانيـة والإسلاميـة؛ ففـي الأولى، نجـد تحريمـاً واضحـاً، في «العهـد الجديـد»، لاسـتخدام العنـف، حتـى وإنْ كان دفاعـاً عـن النفـس، إلا أن الكنيسـة الكاثوليكيـة، بتـأثيرٍ مـن **القدّيـس أوغسـطين** ثـم **تومـا الأكْوِينـي**، قـادت حـملات شرسـة ضـد الآخَـر؛ مثـلما حـدث في الأندلـس أيـامَ محاكـم التفتيـش، وإعـدام الهراطقـة، وإحراقهم في أجـزاء كثيرة من العـالم الغربي، إلّا أن النصرانيـة في العصـور الحديثـة تـغيرت بفعـل الحداثـة. وفي هـذا الشـأن، يقـول المؤلِّف إنّ «المسـيحية، في فكرهـا المعـاصر، لا تدعـو فقـط إلى التسـامح، ولكنهـا تقـول بالتعـاون في الفكـر والاجـتماع، في ظـل المُواطَنَـة في البلـد الواحـد، أو مجموعـة مـن الـبلاد» (ص89)

وضرب عدة أمثلة -من موقعه الشخصي كرئيس سابق للمنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا- لدفاع الكنيسة عن المسلمين في بلدان المَهاجر، التي قصَدوها هروباً من الاضطهاد؛ إذ كان يتم إيواؤهم في الكنائس، والدفاع عن حقهم في اللجوء أمام سلطات البلد المستقْبِل... وقد

أتيح له أن يطّلع بنفسه على حالات ومواقف إنسانية كثيرة هناك، تستحق الإشادة والثناء.

أما مسألة التسامح في الإسلام، فقد ذكر المؤلف أن القرآن الكريم تحدَّث عن الحرية الدينية في أكثر من 100 آية، وهو ما يؤكد عدمَ الإكراه أو الإجبار في هذا الدين، واحترامَ الآخر، غير أن خطاب الإسلام السياسي السائد اليوم (الفئة السياسية) يقف عائقاً أمام مبادئ التسامح والحداثة؛ فظلت الثقافة الطاغية في المجتمعات الإسلامية هي ثقافة الإقصاء والعزل، مصحوبة بالتجريم والتحريم، على الرغم من أن للتسامح جذوراً في تاريخ العرب الجاهلي والإسلامي، وثمة معاهدات ووثائق تاريخية تثبت ذلك؛ من مثل: «حِلْف الفضول» عام 590م، و«دستور المدينة»، و«صُلح الحديبية»، و«وثيقة فتح القسطنطينية». وتستند هذه الوثائق -في نظر المؤلف- إلى فكرة مركزية أساسية، تعطي الحقوق، وتحدد الواجبات لبني البشر، مسلمين أو غير مسلمين

ويَعْرض الفصل الرابع من الكتاب نماذج من تسامح الرسول، صلى الله عليه وسلم، مع أعدائه في كثير من المعارك، التي دارتْ بين المسلمين والمشركين في بداية الدعوة الإسلامية؛ بحيث إنه تعامل مع الكفار بالرفق والعفو بعد فتح مكة، رغم ما تعرض إليه من اضطهاد وجحود بسببهم، ولكنه جابَهَ كل ذلك بغير قليل من التسامح، وقابل الكراهية بالمحبة، والإساءة بالإحسان.

ولا شك في أن ذلك التسامح كان إحدى وسائل ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. وهنا، يقول المؤلف: «تظهر العبقرية المحمدية، على نحوٍ ساطع، بإطلاق مبدأ التآخي بين المهاجرين والأنصار؛ حيث أصبح كلُّ مكي أخاً للمَديني، والسعي لترويض المتناقضات بين الأوس والخزرج، وبين اليهود والنصارى والمسلمين؛ بكفالة حرية العقيدة، والتعايش، والاعتراف المتبادَل بين ديانات متساوية الحقوق» (ص125).

ثم يعود المؤلف إلى العصر الراهن، ليناقش مواقف التيار الإسلامي المعاصر من مسألة التسامح، مركّزاً بشكل خاص على آراء بعض المفكرين الإسلاميين؛ من أمثال: **طارق البشري** و**فتحي عثمان** و**فتحي هويدي** و**رضوان السيد**، مشيراً إلى أن أفكارهم تبدو غريبة عن التيار الإسلامي السائد؛ إذ «مازالت الهُوة سحيقة بين الجمهور والنُّخَب القيادية والفكرية، ومازال تيار التجديد والإصلاح الإسلامي داخل التجمعات الإسلامية ضعيفاً» (ص133)

وفي الفصل الخامس، وهو الأخير، يواصل المؤلف الحديث عن التسامح، ولكن هذه المَرّةَ في علاقته بخطاب التنوير العربي؛ من خلال إطلالةٍ على الفكر الإصلاحي الديني والليبرالي العربي - الإسلامي؛ فتوقف عند مقاربة الكاتب اللبناني **فرح أنطون**، بوصفها أول خطاب عربي معاصر عن التسامح؛ بحيث دعا، في كتابه «**ابن رشد وفلسفته**»، إلى ضرورة خلق وحدة قومية تتعدى الفروق الدينية، يشترك فيها المسلمون والنصارى على قدم المساواة. وأشار أيضاً إلى محاولات التجديد في الفكر الإسلامي، التي قام بها أمثالُ الكواكبي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ورفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي. ولعل الذي جعل المؤلف يلقي نظرة سريعة على آراء هؤلاء المفكرين الإسلاميين هو رغبته في تقديم صورة عامة عن مسألة التسامح في الفكر العربي التنويري الحديث.

وفي خاتمة الكتاب، يعترف المؤلف بأنّ العالم الإسلامي يعيش محنة كبيرة، على الصعيد الدولي، إزاء قضايا التسامح وحقوق الإنسان؛ ذلك بأن العديد من التيارات الإسلامية ما تزال تعيش في التاريخ الغابر، ولا تريد أن تخرج من الماضي! علماً بأننا لا يمكننا ولوج تيار الحداثة، وعالم اليوم، ونحن مكبَّلون بسلاسل القديم، ولغة التمجيد التجريدية، بل لا بدّ في المقابل من نبذ ما عفا عنه الزمن، وتجاوزته الحياة

«إن استلهام مثل التسامح يتطلب الاعتراف بالآخر المختلِف، وبالحق في الاختلاف، كما يتطلب قسطاً وافراً من الحرية للمرأة ومساواتها مع الرجل، واعترافاً حقيقياً بدور الأقليات وحقوقها العادلة والمشروعة» (ص153)، ونشرَ العدالة الاجتماعية، والإقرار بالخصوصية الثقافية والقومية والدينية

الاجتماع الديني وثقافاته
في خطاب المفكر العربي الكبير
الدكتور عبد الحسين شعبان

حسين أحمد شحادة[1]

1- مفكّر إسلامي وفقيه وأديب - لبنان.

مدخل

في كتابه «**دين العقل وفقه الواقع**»، يقارب الدكتور عبد الحسين شعبان أهم المقومات التي تُقام عليها فلسفة الاجتماع الديني، فيكاشفنا بتعقيدات النمط الثقافي السائد بين الأعراف والتقاليد وصلتها بالحقبة المظلمة من تاريخنا والقيم الأخلاقية والجمالية، وما لقيته من كبد وعناء في طريق البحث عن معنى الوجود الإنساني

ومن وجهة نظري فإن إشكالات هذه المقاربة العميقة ستبقى رهينة لسؤال: أي دين وأي عقل؟ فالدين له عقلياته التي لا يتجاوزها، ولفهم الواقع عقل مختلف بملحوظة لفتنا إليها الدكتور شعبان بحديثه عن العقيدة التي تتقدّم دائماً على العقل ولا تحابيه

والسجال ما يزال مطروحاً منذ تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت، وفي هذا يلجأ الدكتور شعبان إلى شرعية النقد الحي لتحرير موجبات التغيير الاجتماعي من سلطة الجهل والخرافة والجمود

الدين والتديّن

إن الدين في أقوى صوره، هو التديّن الثابت بموروثاته التي لا تقبل النقاش، والسؤال: هل التوتّر القائم هو بين العلم والدين أو بين العلم والتدين؟

هذا السؤال كان بمثابة رؤية نتجت عنها دعوة الدكتور شعبان إلى أن يكون نقد التراث الديني، هذه المرّة، ثمرة من ثمرات التفكير المشترك والعمل المشترك بين مفكرين علمانيين وعلماء دين حداثيين

كنّا ذات حوار نصراني - إسلامي في بيروت نتحدّث عن معوّقات الحوار المتأزّم بسلبيات رجل الدين، واتفقنا الدكتور شعبان وأنا على أن ظاهرة السلبية لا تقف عند منابر المتكلمين باسم الدين، فهي ظاهرة تتفشّى في نظامنا الاجتماعي، فتجدها عند المتكلمين بالحداثة والعلمانية ودعاة فصل الدين عن الدولة، وعليه فإن أزمة الثقافة العربية مركوزة في بيئتها الدينية وغير الدينية، ما يعني أن مسألة دين العقل وفهم الواقع، هي مسألة حريّة التفكير

وحريّـة الاخـتلاف وحريّـة المعتقـد قبـل أي شيء آخر

وإذا كان الفيلسـوف الإنجليـزي **تومـاس هوبـز**، يـرى أن أي إصلاح مفتاحه الفكـر الديني، فإن المفكـر العـربي الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، يـرى أن **الإصلاح مفتاحـه الحريّـة**. وهـا هنا نقف على تداعيـات التداخـل السـلبي بين المجـال السـياسي والمجـال الدينـي، ومـن هنـا تـأتي أهميـة إصرار الدكتـور شـعبان على المنـاداة بالدولـة المدنيـة الحديثـة بنظرة متدبّرة تحسـم الجدل حول القانـون والقيـم، ويترتـب عليـه معالجـة شـجون الضبـط الاجتماعـي وكرتـه المتقاذفـة بين تديّن الفـرد وتديّـن الجماعة

وهـو مـا يسـتلزم الحديـث عـن **الهويّـة الدينيـة المطمئنـة** و**الهويّـة الدينيـة القلقـة**، ويـكاد شـعبان يقتفـي أثـر ابـن عـربي في الحديـث عـن جـدل العلاقـة بين الهويّـة والهـدى، فيسترجـع الدكتـور كلام **ابـن عـربي** «**الهـدى في الـحيرة والـحيرة حركـة والحركـة حيـاة**»

وكلمتـه دائمـاً مـن القلب حول النزعة الإنسـانية للدين مـع التأكيد والإشـارة إلى عمق الفوارق بين الديـن الرسـمي والديـن الشـعبي، بين ديـن الفقـراء وديـن الأغنيـاء، وتاليـاً بين ديـن العنـف والتطـرّف ودين التسـامح والسلام

الطريق إلى الله

وفي طريـق سيرنـا إلى المطلـق وجمالـه تتعـدّد القبسـات والنـور واحـد. وعندمـا تتـغيّر الحيـاة وتلتبـس علينـا الشـبهات بين صفـاء الديـن ونقائـه وبشـاعة الانحـراف عـن الإحسـاس بالـجمال الروحـي، يقبـض الدكتور شـعبان على الحلقة المفقودة بين الطريـق ومقاصده «**كلما كان الطريق إلى اللـه جمـيلاً ازداد الإنسـان جمالاً وطمأنينـة**»، ذلك أن المشـكلة ليسـت في نظافـة الطريق ولا في نظافـة المقصـد، بـل في **نظافـة الإنسـان**. فلـو كنـا جاديـن فـيما نطرحه مـن شـعارات الإصلاح الدينـي، لوجدنـا مشروع الدكتـور شـعبان قـد اقترب أكثر مـن الاكتمال

لقـد قـال المسـيح عليـه الـسلام عمـن تـوارى عـن النـاس اسـتصغاراً لنفسـه، مـا معنـاه: لماذا تخفـي سراجـك تحـت الغطـاء؟ لقـد أرادك الله سـبحانه أن تكـون للدنيـا، وأرادك صـورة جميلة تمشي على سـطح الأرض وتسـعى في مناكبهـا، فـلماذا احتجبـت عـن شـعاعك؟ ولـو شـاء ربـك أن يبقـى مصباحـه في الـسماء لما أنزلـه عليـك

الاجتماع الديني بين نزعتين

هكذا تدور حالة الاجتماع الديني المركّب والمزدوج بين نزعتين، **إحداها** وضعت السراج تحت الغطاء، و**الثانية** كسرت السراج فجرحت أصابعها وأصابع أمّة كاملة، فتفرّقت الأهواء والتناقضات، وعند هذا المنعطف الغائم، يقارن شعبان بيننا وبين الاجتماع الديني في اليابان، حيث لا يوجد إله واحد، بل آلهة متعدّدة، وهم ليسوا معنيين بالجنة والنار، لكنهم مسالمون، ومن أكثر الشعوب احتراماً للقانون والنظام، ومن أكثرهم إيماناً بالحريّات من دون أن تصيبهم لوثة الانزلاق إلى الفساد الذي أوغل عندنا، واستشرى في العالمين العربي والإسلامي

النجف والمشروع النهضوي الإنساني لشعبان

يرتبط اسم الدكتور عبد الحسين شعبان بالثقافة الدينية من خلال نشأته في كنف واحدة من كبريات العوالم الثقافية في العالم العربي والإسلامي، في النجف الأشرف بمختلف أطيافه الاجتماعية والسياسية والروحية، وقد عكست أعماله النقدية للاجتماع الديني وثقافاته جانباً مهماً عن شخصيته كمثقف ديني اجتماعي سياسي من جهة، وحوامل ذاكرته الغنية بالبعد الروحي من جهة ثانية. لقد وضعته بيئته النجفية في سجال لا مع ثقافتها الشعبية فحسب، بل مع مرجعية هذه الثقافة ونماذجها النخبوية كما تشير بعض أبحاثه ومؤلفاته

يسعني القول بأن اهتمام المفكر العربي الدكتور عبد الحسين شعبان بالتعدّدية الثقافية الدينية في وطنه العراق، كان بمثابة المدخل لمشروعه النهضوي الإنساني المرتكز على رؤيته العميقة لسلام الثقافات، بجديّة كشف عنها كتابه عن «**فقه التسامح**»، بمقدمة مثيرة لدهشة القارئ، كتبها المفكّر اللّاهوتي **المطران جورج خضر**.

وانتقل بنا من «فقه التسامح» ليقارب بالمناقشة والتحليل سيرة عدد من الرموز الدينية فيما يظهر من كتابيه عن **الإمام محمد الحسني البغدادي والعلامة حسين شحادة**، ولهذا سنرى خطابه منصباً على أطر الثقافات الدينية، ليقف من خلالها على ترتيب المقارنة بين مختلف القيم الدينية، بحيث تقوده إلى بلورة مشروعه الفكري في نسيج يصعد من موجبات البحث عن الذات الدينية إلى فضاءات البحث عن الذات الإنسانية

شعبان ورجال الدين المتنورون

وتـأتي أهميـة خطـاب الدكتـور شـعبان مـن موقعـه كناقـد وباحـث ملتـزم بقضايـا أمّتـه، فآثر بنهجـه المتميّـز أن يبتعـد عـن نقاد الفكـر الديني ممّن ضاقـت صدورهم بالديـن وأهله، فاقترب مـن رجـال الديـن التنويـريين أمثـال العلامـة المرجـع **سـيد محمـد حـسين فضـل اللـه**، وقـد لمـع اسـمه في مؤتمـرات الحـوار الـنصراني – الإسلامـي كواحـد من علمائهـا الأكاديميين، وحظـي بتقدير واحترام لـدى الطوائـف الدينيـة في الوطـن العـربي، وهـو ما لفتهـا إلى دوره الإيجـابي على ما بينها مـن فـوارق في الموقـف مـن شروط النهضـة العربيـة، ولطـالما اهتمّـت بعـض المرجعيـات الدينية البـارزة بمعرفـة رأيـه في شـؤون التقريـب بين المذاهـب والأديـان، مـع قناعتـه بـأن الانفتـاح بين الأديـان يتطلّـب تغـييراً جذريـاً في النظـرة إلى الحداثـة الدينيـة وموجباتها

ولم يكـن الدكتـور شـعبان مقتنعـاً بـأن معجزة دينية سـتهبط علينـا لتوحيد الثقافـات الدينية، لكنـه كان مؤمنـاً كأشـد مـا يكـون الإيمـان بضرورات العيش السـلمي بين الأديـان، وكان يعرف أن بعـض الأصوليـات الدينيـة، كمثـل الأصوليـات اليهودية، نموذج لـن يطمئن إلى هـذا التعايش على خلفيـة موروثاتها العقديـة والتاريخية

ويـكاد يكـون الدكتـور شـعبان مـن قلـة قليلة نظـرت إلى الثقافـات الدينيـة بـعين التفرقة بين المدونـات الشـعبية للديـن والمدونـات الرسـمية، فالاجـتماع الدينـي عنـده هـو اجـتماع مركّـب يدافـع عـن ذاتـه بالتعصّـب لتقاليـده وخصوصياتـه، فينـزع إلى تسـفيه الآخـر المختلـف بذهنية جامـدة تـفضي إلى القطـع، وخبيئاتـه التـي سـاهمت بنشـوء حـركات التطـرّف والعنـف باسـم الدين

مـع تسـليمه بهـذه الحقيقـة المـرّة، يتابـع الدكتـور شـعبان أبحاثـه ومقالاتـه لإدانـة الإرهـاب بجميـع أشـكاله ومصـادره ليطـل على الثقافـات الدينيـة ومحنتهـا مـن مدخـلين

أحدهما- **المدخل الأخلاقي**.

وثانيهـا- **المدخـل الفلسـفي الاجتماعـي** الناظـم لقضايـا الاخـتلاف وحريّـة المعتقـد واحترام حقـوق الإنسـان

وكـثيراً مـا كتـب عن الخزائـن الروحية للمواطنة الكاملة والمتسـاوية، داعيـاً إلى وجوب تصحيح

العلاقـة بين ثقافـة السـلطة وثقافـة المجتمـع الدينيـة بقلـق يتطلّـع دائمـاً إلى ردم الفجـوات بين النخـب الثقافيـة والسياسـية، منظـوراً إليهـا من باب تحريـر الهويّة الوطنية من سـيئات الانغلاق على ثقافـة دينيـة مقفلة

وفي ضـوء مقارباتـه العميقة لمشـهديات الاجتماع الديني العربي وثقافاته المتنوعة، كان شـعبان يرسـم ملامـح مشروعه النهضوي بريشـة التمييز بين مفهومنا للوطن ومفهومنـا للثقافة الدينية

العقلانية الفكرية

لعـلّ أخطـر المراحـل التاريخيـة التـي عصفـت بالثقافـات الدينيـة انتقالهـا من طـور التعصّب المذهبـي والطائفـي إلى التطـرّف وليـده الشرعـي كما يقول، وامتـدّت هذه إلى التحزّب السـياسي، تحـت لافتـات وشـعارات حجبـت عـن عـالم الاجـتماع الدينـي اجتراح رؤيـة معياريـة للنهـوض والإصلاح، وبـات مـن الواضـح أن الثقافـات الدينيـة في بلادنـا تعاني بمـا يتفشى فيها من سياسـات طاغيـة، ومـن مشـكلة الاندمـاج بعضها مع بعض، ومن مشـكلة الوعـي بعناصر ثقافتهـا الدينية، ولاسـيّما بعـد بـروز ظاهـرة التبايـن الحـزبي والسـياسي بين مرجعية هـذه الثقافة أو تلـك، كما لو أنهـا خنـادق وأرخبـيلات لا تمـتّ بأية صلـة للديـن ولا لثقافته

وكذلـك تفـرّد الدكتـور شـعبان بنهوضـه الفكري العـقلاني بين اتّجاهـات ثقافية حزبية شـديدة القسـوة على بعضهـا، وشـهد ألـد الخصومـات بين الثقافـة الدينيـة وسـواها مـن الثقافـات، وكـم كنـت أتمنّـى لتجربتـه الفريـدة أن تقـوم ببغـداد كصرح مؤسسـاتي يعـود بثقافتنـا إلى عصورهـا الذهبيـة المسـكونة بالهواجـس الحضاريـة وقلق المعرفـة بجوهر الدين، أيكون الإنسـان من أجله أم أن الديـن كلّـه عقيـدة وشريعـة هـو مـن أجل الإنسـان وبنائـه النبيل؟

لم يكـن خطـاب الدكتـور شـعبان منفـصلاً عمّا يحيـط بمشـهدنا الثقـافي الدينـي مـن تحديّـات كبرى تركـت آثارهـا الداميـة في عواصمنـا، ومـا برحـت بمغامراتها تلعـب بتعكير الينابيـع الصافية لثقافتنـا بنـزوع عابـث بأسـئلة الوجـود والمصير

اهتـم الدكتـور شـعبان، وقبـل ظهـور الربيـع العـربي، بطرح اسـتشرافاته عـن مسـتقبل الثقافة الدينيـة، وجاهـد بأدواتـه المتواضعـة مـن أجـل صياغـة رؤيـة تنهـي، وإلى الأبـد، عصر تصنيـم العلاقـة بالديـن لصالـح الكشـف عـن إشـعاع أنسـنة الثقافـة الدينيـة وتصويـب حواراتهـا نحـو

ضرورات الفصل بين الإلهي والبشري من الدين، وكثيراً ما كان يردّد لي في لقاءاتنا الخاصة عن حاجة الاجتماع الديني للتنمية، وكانت الفتن الملبّدة بالجهل المقدّس، تلحّ عليه وعليّ بنقد المؤسسات الثقافية وتطوير عملها من خلال الاستثمار في نظام المعلوماتية الدينية

خلاصة

إن الثقافة الدينية ليس مصدرها الدين فقط، فهي تمتد بجذورها العميقة إلى منابع قومية وحضارية قديمة، وهو ما سمح بنشوء عنصريات دينية اشتغل الدكتور شعبان على تفكيكها كمدخل موضوعي لفهم القيم المشتركة من جهة، وتسليط الضوء على عوامل الصراع الثقافي بين الأديان من جهة ثانية

كاشفاً في السياق نفسه على منجزات القانون الدولي في مواجهة استحقاق قضية المساواة بين الشعوب وضرورتها الكونية والإنسانية، وبهذا استطاع شعبان في إطار مشروعه التنويري أن يكشف عن مرجعيتين لسلام الأديان

إحداهما- مرجعية القانون الدولي الإنساني.

الثانية- مرجعية الأخلاق والقيم الروحية المشتركة ذات البعد العالمي.

«الأقليات» والتوظيف السياسي

ولعل أهم المسائل المرتبطة بهذا التحدي هي مسألة الأقليات الدينية وتوظيفاتها السياسية، التي عكست اهتمام شعبان بمنظومة الحرية والمواطنة والمساواة، رافضاً استخدام هذا المصطلح، أي «مصطلح الأقليات الدينية» مفضلاً عليه مصطلح «المجموعات الثقافية»، لأن الأول يستنبط مفهوم الاستتباع مقابل الهيمنة، موضحاً أن فكرة المواطنة ليست طارئة وغريبة على أدبيات الثقافة الدينية الأخلاقية، برغم الضبابية الكامنة في جذر كلمة مواطنه بين مصطلحها الغربي ومصطلحها الديني.

ما اضطر شعبان إلى الفصل بين ثقافة دينية مرجعيتها العقدية النظام السياسي الديني، وثقافة دينية مرجعيتها شرعة الأخلاق، غير أن الأنظمة السلطوية ذات المنزع الديني لم تنجح في تثبيت مفهوم المواطنة وحقوقها الكاملة وذلك لارتهانها إلى فقه تاريخي تأسس على

نزعتين

إحداها نزعة الاستبداد.

الثانية نزعة الامتيازات المحكومة لفروض الولاء وطاعة السلطان.

الإصلاح السياسي قبل الديني

وعليه، فإن الإصلاح الديني يجب أن يكون مسبوقاً بإصلاح سياسي يقوم هذه المرة، بمعزل عن الانتماء الديني للمواطن، وهو ما يتعارض مع ذهنية حركات التدين السياسي، وبذلك بقيت معضلة الثقافة الدينية عاجزة أمام الفكر الإصلاحي المتعثر بأفكار غير قابلة لترجمتها وتطبيقها في الحياة السياسية المقيدة باعتبارات فقهية متراكمة وعصية على التجاوز

ولهذا أصبح اعتماد الدكتور شعبان على التنوير، لا على الدين كأساس لمشروعه، ربما كي يتجنب التعقيدات الناجمة عن الفقه السلطاني السائد وحتى اليوم في كثير من الدساتير الإسلامية، وليس بوسع شعبان سوى أن يستقوي بمنظومة حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المواطنة بشكل خاص، وقد أظهرت كتبه ومقالاته المنشورة ميلاً نحو هذا الفضاء الرحب، وتركت تأثيرها الإيجابي داخل المؤسسات الدينية الإصلاحية نفسها، إلى الحد الذي أصبح فيه نقد الثقافات الدينية مألوفاً لها دون شعور باهتزاز الخصوصيات المذهبية والطائفية، وما من شك في أن العولمة الثقافية، وبغضّ النظر عن تداعياتها في الصراعات الإثنية والدينية، ألقت بظلالها على مشروع شعبان، وساهمت عنده بالوقوف على مساحة مضيئة تتوحّد على قيم الاعتراف بصورة الآخر كما هو، والانطلاق من هذه الصورة الواقعية والموضوعية لبلورة الملامح العامة للمشهد الثقافي الديني العالمي

وبعد جهود مضنية استمرّت لسنوات، أصبح بمقدور شعبان الحديث عن الروابط المشتركة بين الثقافات الدينية، وهي جوهر ما يصبو إليه في طريق سيره إلى التنوير، حتى ولو لم تكن كافية في الإفصاح عن تمامية مشروعه واكتماله كما أسلفت

يستمر شعبان في هذا المجال بحثاً عن الحلقة المفقودة في أساسيات التضامن بين الثقافات الدينية، ويراها ليست بعيدة المنال فيما لو اقترب الخطاب الديني من تحقيق التوازن بين الدين والدنيا، وهذا يعني فتح الآفاق على ضرورات تنظيم العلاقات الثقافية الدينية في واقع

مـأزوم يطـرح اليـوم معادلـة صعبة وخـطيرة ومعقدة قوامها: إمـا تنظيم هذه العلاقـات أو كارثة تصيب الجميع بلا اسـتثناء

شـاهدنا في القـرن الماضي جانبـاً مـن أثـر الثقافـات الدينيـة على العلاقـات الدوليـة، وكتبـت ألـوف الدراسـات والأبحـاث حـول أنمـاط العلاقـات بين التجمعـات البشريـة، والهواجـس ما تزال على حالهـا حـول إمكانيـة تغـيير تلـك الأنمـاط مـن عدائيـة إلى سـلمية ومـن وحشـية إلى مدنيـة وحضاريـة ومـن حـدود داميـة إلى ابتـكار حـدود للتعـارف بعيـداً عـن التقوقـع الثقافي

ومـن هنـا انطلـق خطـاب الدكتـور شـعبان في مطارحاتـه مـع مقـولات صِـدام الحضـارات، وخلفياتـه الدينيـة والثقافيـة متفـائلاً بمشروع مسـتقبلي معطـوف على محطات مضيئـة في تاريخ الأديـان التوحيديـة، وتوظيفهـا في تمـثلات مشروعـه الخـاص، واعـداً بأمـل الانتقـال بالثقافـات الدينيـة مـن أصوليـات ومحميّـات ومعتـقلات إلى فراديـس وعـي دينـي أجمـل وأكمـل، يحافـظ على خصوصيتـه الروحيـة مـن دون التـورط بنفـي الآخـر وإقصائـه وشـيطنته.

عبد الحسين شعبان ونظريته في تعظيم المشتركات

د. خالد شوكات[1]

1- كاتب وروائي تونسي، وزير ونائب برلماني سابق، رئيس المعهد العربي للديمقراطية

ثمّة هاجسان يشغلانني دائماً عندما يتعلّق الأمر بتقييم مسار كبار الكتّاب والمفكّرين من أبناء أمّتنا العربية، **أوّلهما، مدى تطابق القول مع الفعل**، مصدقاً للعبارة القرآنية التي تقول: "يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما تفعلون" (الصف/2)، والعبارة الثانية التي تقول: "أتأمرون النّاس بالبر وتنسون أنفسكم" (البقرة/44)، **وثانيهما**، وهو غير بعيد عن الهاجس الأوّل، أو هو شقيقه، ويتمثّل في **مدى التزام صاحب النظرية بتنزيلها على أرض الواقع**، أي أن لا يكون من ذاك الذي يقدّم "علماً لا ينفع"، فكثير من أصحاب الفكر والبحث معتصمون بأبراجهم العاجية متعالون عن النّاس، فلا يؤثرون تأثيراً مباشراً في العامّة باعتبارهم من الخاصّة، ولا يختبرون أفكارهم في مجتمعاتهم على نحو يساعدهم على تقويمها وتصحيحها، خصوصاً إذا كان مبحثهم من العلوم الإنسانية التي تقتضي النقد والمراجعة من خلال التطبيقات العملية والتجارب الاجتماعية

ومن منطلق هذين الهاجسين، كانت نظرتي التقييمية لمسيرة الدكتور عبد الحسين شعبان الطويلة، التي لا تضمّ ما يقارب المئة كتاب فحسب، فضلاً عن آلاف المقالات والدراسات التي نشرها طيلة عقود من العطاء الفكري الخصيب لهذه الأمّة، حتّى وصفته ذات مرّة في الاحتفالية (احتفالية العرفان) التي أقمناها له في تونس سنة 2016، بأنّه "**رجل بمثابة مؤسسة**"، بل تشمل كذلك **سيرة عملية عامرة بالأنشطة والإنجازات**، ساهم من خلالها في تأسيس عشرات المنظمات والمؤسسات في المجتمع المدني، بالإضافة إلى مئات المبادرات والبيانات والمواثيق والرسائل والدعوات التي ساهم في تأليف المثقفين والنشطاء والعاملين حولها، من جميع التيارات والمشارب الفكرية والسياسية، هذا إلى جانب لمساته الشخصية المحبّة والتفاتاته الودّية الراقية نحو أصدقائه من المعروفين والمهمّشين على السواء، فقد أرشد تواضع العلماء الأصيل في شخصيته "النجفية الحمراء" إلى الكتابة التكريمية عن شخصيات مغمورة ومشهورة على السواء، غير آبه بغير المعنى الإنساني العميق، وبـ"الوفاء" الذي هو أعظم ما يمكن أن تتحلّى به الشخصية البشرية، في زمن قلّ فيه الوفاء، تماماً كما أن "التواضع" أفضل ما يمكن أن يسم سلوك العلماء الأجلاء، كما هو حال عبد الحسين شعبان.

لقد عرفت الدكتور عبد الحسين كما أشرت في مجالات اهتمامنا المشتركة، وفي مقدّمتها قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان والوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وهو معلّم كبير

فيها جميعاً، قولاً وفعلاً، وتنظيراً وتنزيلاً. ومن الأهمّية القول في هذا السياق، بأنني التقيت هذا المعلّم الكبير، وأنا قادم من الضفّة الفكرية المقابلة للضفّة التي أتى منها، لكنّنا التقينا في "دار الوسط" كما يقول المثل الشعبي عندنا في تونس

لقد جاء الدكتور عبد الحسين إلى هذه الدار من ضفّة "الماركسية" التي قام بـ"تحطيم مراياها" كما لم يفعل مفكّر عربي يساري مثله من قبل، من حيث القيمة النقدية وعمق المراجعات الفكرية، فيما جئت أنا من الضفّة الإسلامية المحافظة، بعد أن نزعت عنّي رداء الجماعة الضيّق ولبست عباءة الناقد المعتصم بالحرّية، هكذا سرت مع الدكتور شعبان طيلة ثلاثين عاماً معاً دون أن أشعر يوماً بأنّه "شيوعي سابق" أو يشعرني هو بأنني "إسلاميّ سابق"، فكلانا مؤمن على نحو لا يتزعزع بأن الرابطة الإنسانية أقوى من أي رابطة ثانوية أخرى، وعلى هذا النحو قمت معه بـ"تعظيم مشتركاتنا"، وهي أكثر بكثير من "مختلفاتنا"، وهي أولى بالعناية والرعاية والتعهّد لو يعلم أبناء جلدتنا

لقد وجدت الدكتور عبد الحسين شعبان منذ عرفت في مدن اللجوء الأوروبية أوائل تسعينيات القرن الماضي، يفعل فعلاً ما يقول، فهو داعية ديمقراطية وحقوق إنسان حقيقي، يمارس دعوته في سلوكياته تماماً كما نظّر لها في كتبه ومقالاته. يدافع عن حقوق الشيوعيين والإسلاميين والليبراليين والقوميين والبشر أجمعين، لا ترى في دفاعه ما يجعلك تشكّ في إخلاصه، كما يفعل كثيرون، ممن نراهم يكيلون الكيل بمكيالين، ويزنون الأمور بحسب القرب الأيديولوجي والسياسي، أما تطبيقيّاً، فسيلاحظ كل منصف أن للرجل أصدقاء مع نشطاء وقيادات في جميع هذه التيارات، وهو أمر نادر ربّما، فالدكتور يملك صداقات عميقة وثابتة مع مكوّنات الطيف الفكري العربي، يستحقّ الإشادة والاقتداء، في تحدٍّ كبير لهذا الواقع العربي الخاضع كلّياً للانقسام والتشرذم والتناحر والصراع، فكيف وفّق الرجل بين تناقضات المشهد العربي في لوحته السوريالية التي هو بصدد رسمها منذ ما يزيد على نصف قرن، ذلك سرّ من أسرار طويّته المحبّة للخلق الباحثة عن بناء الجسور معهم بصدق، ولولا صدقه ما صدقوه أو صادقوه.

إن هذه الشخصية العراقية العربية ذات الأفق الإنساني الرحب، هي المفسّر أيضاً لهذا التعايش السلمي في ذاته، بين الرجل الذي ولد في الحضرة "النجفية" حيث يزور الناس من كل حدب وصوب أضرحة الأئمة من آل بيت النبي العربي، ثم عاش في الغرب بقسميه الاشتراكي

والليبرالي، بكل ما تعنيه هذه العيشة من تشبّع واضح بقيم العقلانية والحرّية والعدالة الاجتماعية، ثم رجع إلى الشرق من حيث أتى، أين نراه "شرقياً" بكل ما تعنيه "روحانية" الشرق من معنى، وذلك في اهتمامه صادقاً بمباحث "**التصوّف**" و"**العرفان**" و"**التسامح بين الطوائف والأديان**"، التسامح الذي يمارسه عمليّاً أيضاً، في سيرته اليومية، من خلال تواصله المحبّ مع أهل الكنائس والرهبان، وحرصه على نصارى أمته الذين وصفهم بـ"**ملح الأرض**"، بل كذلك على صابئتها المندائية ويزيديّيها وسريانييها وعلوييها وسائر مكوّنات فسيفسائها البديعة، إذ يحرص الدكتور شعبان أشدّ الحرص على التعريف بأصدقائه لدى أصدقائه وعموم النّاس، مديراً أجندته المتنوّعة في تشبّث استثنائي بالوحدة، وكأنّه يقول لتلاميذه، وأنا من بينهم، و"**ماذا تعني الوحدة دون تنوّع؟**" أيّها السالكون طريق الحبّ والمعرفة.

أما قوميّاً، فقد كان الدكتور عبد الحسين كما عرفته، من أحرص مفكّري الأمّة العربية على وحدتها، فقد كان وما يزال عضواً فاعلاً في كثير من المؤسسات الوحدوية العربية، حرصه على المساهمة في تأسيس الجديد منها، إيماناً منه بأن "التجديد" هو الذي ينهض بالأمم، وما من أمّة جدّدت نفسها إلّا وضمنت لها موقعاً في "لعبة الأمم"، لكن هذا الحرص لا يتناقض برأي المفكر المجدد مع السعي الدؤوب إلى "**التكامل الإقليمي**"، فالعرب برأي الدكتور شعبان لا بديل لديهم عن تمتين علاقتهم مع شركائهم الأصليين -لا الدخلاء- من أبناء المنطقة الشرقية، وفي هذا السياق تتنزل دعوته النظرية والتطبيقية دائماً إلى "**الحوار بين الأمم الأربع**"، وعلى هذا النحو اشتركنا معاً طيلة العقد الماضي في عقد جولات حوار بين مثقفي هذه الأمم، العربية والكردية والإيرانية والتركية، في تونس و**أربيل** و**عمّان** و**بغداد** و**بيروت**، وفي كل مدينة لا تمانع في إقامة حوار بهذا المضمون، وإن اختلفت عناوينه أحياناً، سواء كان حواراً ثنائيّاً أو حواراً جامعاً

وتجدر الإشارة مجدّداً إلى أن صداقات الدكتور عبد الحسين وعلاقاته المتميزة مع مثقفي الأمم الأربع، كانت خير عون لنا في تنظيم هذه الحوارات واللقاءات، وخير مساعد على تجاوز العقبات والهنات والإشكالات التي عجزت عن تجسيرها دول وأنظمة وحكومات، فتعظيم المشتركات عند الدكتور عبد الحسين ليس مجرّد نظرية أو شعارات، بل هو تطبيقات عملية تجسّدت في عشرات الندوات الجامعة والمؤتمرات الحوارية الناجحة في عواصم ومدن الإقليم المشرقي الواسع

إن الكتابة عن صديق حميم ورفيق مخلص، ليست بالمهمّة السهلة، فأنت مطالب من جهة بأن تفي الرجل حقّه، ورجل كالدكتور شعبان يصعب أن تفيه حقّه في أسطر وجيزة مهما طالت، كما أنّك مطالب بالتزام الموضوعية والعقلانية في تناول السيرة الشخصية، لأننا كبشر لسنا معصومين عن الأخطاء، بل إن الأخطاء هي ما صنعتنا، ولهذا فقد اتبعت في كتابة هذه الشهادة سبيل الصدق، وأردتها شهادة تجمع بين اطلاعي على ما كتبه هذا المفكّر المثابر طيلة عقود، وما عشته معه كصديق ورفيق يزعم أنه يعرفه، معرفة تجمع بين السيرتين الفكرية والسلوكية، وهما في واقع الأمر سيرة واحدة متطابقة، وهو يشكّل "**فرادة**" الشخصية "**الشعبانية**" أو "**المدرسة الشعبانية**" إن صحّت العبارة، مدرسة "تعظيم المشتركات" والربط بين الفكر المتجدد والممارسة المخلصة في إقامة الوصل بين الحرية والعدالة، وبين العقلانية والعرفان

فيض فكري في عصر القحط الثقافي

د. رولا دشتي[1]

1- وزيـرة سـابقة – الأمينـة التنفيذيـة للجنـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة لغـربي آسـيا (الإسـكوا) – الكويـت

مقدّمة

بكثير من الغبطة والاعتزاز، تلقّينا خبر تكريم الدكتور عبد الحسين شعبان في يوم الوفاء الذي تقيمه «دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع» بشكل دوري

هذه الجائزة المرموقة ليست بمستغرَبة على الدكتور شعبان، فلطالما كان مؤثّراً في النسيج الفكري والثقافي للمنطقة العربية، ورائداً من روّاد العلوم السياسية والدراسات الثقافية وحقوق الإنسان، وذا باعٍ طويل في النهوض بالمجتمع العربي.

وهذه الجائزة هي تتويج طبيعي لمسيرة إنسانٍ نشأ على قيم الانفتاح والتسامح والخير والمروءة ونصرة المظلوم والانحياز إلى العدل، وانشغل بقضايا المجتمع والأديان والنزاعات والحروب وحقوق الإنسان.

كما أنّ هذه الجائزة ليست إلا واحدةً من جوائز حازها تتويجاً لمسيرته الحافلة ولمؤلّفاته التي تناصِر الإنسان العربي وحقوقه، وتدعو إلى تفكيك الخلافات بين العرب وإلى نبذ الطائفية والإرهاب والعنف، وتعكس تفانيه في تطوير الفكر العربي.

في تكريم الدكتور شعبان، نحتفي أيضاً بالمُثل التي يجسّدها، فتكريمه ليس شرفاً له هو فحسب، بل احتفاء بالقيم الدائمة للعدالة والمساواة والغنى الثقافي.

رحلة استثنائية

رحلة الدكتور شعبان المتنوّعة المعالم هي خير دليل على قوّته الفكرية والتزامه الراسخ بالعدالة. وقد امتدّت هذه الرحلة لتطال مجالات عديدة، منها العلوم السياسية والدراسات الثقافية وحقوق الإنسان، ولتؤثّر على السياسات العامة وتدفع قدماً إلى تحسين المجتمع

لقد حظيت مجموعة واسعة من أعمال الدكتور شعبان ودراساته ومقالاته بمكانة متميّزة في الأوساط الأكاديمية والفكرية. ومن أكثر مؤلّفاته جدل الهويات في العراق «الدولة والمواطنة والهوية» و«المواطنة البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة». ففي هذه الكتابات، ومن خلال دراسة الأطر الدستورية والديناميات السياسية، يقدّم الدكتور شعبان رؤية شاملة حول سبُل

تلبيـة احتياجـات المجتمع المتعـدد الأعراق، ويدعو إلى تحقيق التوازن في السـلطة بين الحكومات المركزية والإقليمية لإحلال الحوكمة الرشـيدة والاسـتقرار السـياسي في المنطقة. وتشـدد دراسـات الدكتـور شـعبان على أهميـة الحـوار والفهـم المتبـادل بين أبنـاء العـراق من عرب وأكـراد، وتدعو إلى أطـر دسـتورية تـحترم حقـوق المواطـنين جميعـاً وترتقـي بالعلاقـات العِرقيـة وتسـهم في حلّ النزاعات

ما وراء الحدود العراقية

تجـاوز الدكتـور شـعبان حـدود بلـده الأم بفكـره ورؤيتـه، ليبلـغ المنطقـة العربيـة ككلّ. فقـد انكـبّ على دراسـة النسـيج الغنـي لـلتراث الثقـافي العـربي، وسـبُل تجديـده، وعلاقتـه بالهويـة العربيـة. وفي كتاباتـه عـن النهضـة الثقافية والوحـدة العربية، يناقش الدكتور شـعبان دور التراث الثقـافي في تعزيـز الشـعور بالهويـة العربيـة المشتركـة وتوطيـد أواصر الوحدة بين الـدول العربية، حـاملاً رايـة نهضـة ثقافية قوامُهـا التقاليد والحداثـة في آنٍ واحد. ناهيك عـن تخصّصه في القضايا الاستراتيجيـة العربيـة التـي تمـسّ المنطقـة العربيـة ككلّ، وفي القضايـا الدولية.

الإسهام في الرؤية العربية 2045

لعـلّ أهـم مسـاهمات الدكتـور شـعبان في السـنوات الأخيرة تكمن في المشـاركة بإعـداد الرؤية العربيـة 2045 التـي تمـسّ الحاجـة إليهـا، والتـي ترمـي إلى رسـم خارطـة طريق لتحقيـق التنمية المسـتدامة والنهضـة الثقافيـة في العـالم العـربي بحلـول عـام 2045. ولا شـك في أنّ الأفـكار الـنيّرة للدكتـور شـعبان وتوصياتـه كانـت محوريـة في إرسـاء المبـادئ الأساسـية للرؤيـة وضمان تكاملها.

أمـا هـذه المبـادئ، فتتضمـن تحقيـق الأمـن والسلامـة، وتعزيـز العدالـة والإنصـاف، والنهوض بالابتـكار والإبـداع، ودفـع الازدهـار والتنميـة المسـتدامة، والاحتفاء بالتنـوع والحيويـة، وتجديد التراث الثقـافي والحضـاري في المنطقـة العربيـة.

تعكـس إسـهامات الدكتـور شـعبان في الرؤية العربية 2045 التزامه بتحقيق مسـتقبل يتشـابك فيـه الغنـى الثقـافي والعدالـة الاجتماعيـة والتنمية المسـتدامة بشـكل متّسـق ومتناغـم. والجدير بالذكـر أنّ الدكتـور شـعبان لطالما دعا إلى سياسـات تنموية شـاملة تقوم على نمـو اقتصادي عادل يعـود بالمنفعـة على قطاعات المجتمـع جميعها

حقوق الإنسان

لم يكتفِ الدكتور شعبان بدراسة قضايا حقوق الإنسان، بل توغّل في تطوير الفهم المتجدّد لهذه القضايا، وساهم عملياً في التخفيف من انتهاكات حقوق الإنسان في مناطق الصراع، من خلال توجيه انتباه المجتمع الدولي إليها وتوثيقها، ولاسيما في صفوف النازحين واللاجئين. وأسهم ذلك في حشد الدعم الدولي للتدخلات الإنسانية والإصلاحات القانونية للسكان المعرّضين للخطر في مناطق الصراعات.

وفي كتاباته عن حقوق الإنسان في العالم العربي، يقدّم الدكتور شعبان تحليلاً نقدياً لممارسات حقوق الإنسان في المنطقة العربية، ويرسم خارطة طريق للإصلاحات القانونية والمؤسسية لحماية هذه الحقوق، ويحثّ، بلا كلل، على تعزيز الإصلاحات القانونية الكفيلة بالنهوض بحقوق الإنسان وحمايتها.

لم تقف جهود الدكتور شعبان لصالح حقوق الإنسان عند حدّ نظريّ، بل عمل على تطبيق ممارسات حقوق الإنسان من خلال مشاركته مع المنظمة العربية لحقوق الإنسان، مدافعاً عن حرية التعبير، وحقوق الأقليات، والقضاء على التعذيب والمعاملة غير الإنسانية. ولعب دوراً محورياً في صياغة وتنفيذ العديد من المواثيق والإعلانات الخاصة بحقوق الإنسان في المنطقة العربية.

وشارك الدكتور شعبان في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية، حيث قدم أوراقاً حول قضايا حقوق الإنسان وشارك في مناقشات مع خبراء حقوق الإنسان العالميين. لقد كانت جهوده أساسية في تسليط الضوء على أهمية الأطر القانونية التي تضمن حقوق الأفراد وتكفل المساءلة

المشاركة في المشهد الثقافي

لقد أثرى الدكتور شعبان، من خلال برامج ومبادرات ثقافية متنوّعة، الحياة الفكرية والثقافية العربية، مقدّماً أفكاره ورؤاه حول شتى القضايا، انطلاقاً من التزامه بتعميق الفهم العام للهويّة والثقافة العربية.

إن قدرته على التواصل مع جماهير متنوعة، والتزامه بتعزيز الحوار والتفاهم جعله شخصية

مقـدّرة في المجتمـع الفكـري العـربي. ويذكرنا عمل الدكتور شـعبان بأهمية تعزيـز ثقافة الفضول الفكري والاحترام العميق لكرامة الإنسـان

مصدر إلهام

كانـت أعمال الدكتـور شـعبان ورؤاه، ولا تـزال، مصـدر إلهـام للكثيريـن. فلطـالما كان لالتزامـه الراسـخ بالسـعي وراء المعرفـة تـأثير عميـق على المـسيرة الفكريـة لمواطني المنطقـة بأسرها. وهو يـرى أن السـعي وراء المعرفـة هـو رحلـة غير متناهيـة، وأن العمـل على تحقيـق العدالـة نضـال يتطلـب التزامـاً ثابتـاً لا هـوادة فيه. تلخـص هذه الكلمات فلسـفته وعمله طـوال حياته، وتعمل كمبـدأ توجيهـي لـكل من يسـعى إلى إحـداث تـأثير إيجـابي على المجتمع

اقتباسات عن فلسطين ومقاومة الاحتلال

يقـول الدكتـور شـعبان: «إنّ مـا يحدث في غزة هـو جريمة مكتملة الأركان، وحـرب إبادة جرت فيهـا انتهـاكات سـافرة ضـد الإنسـانية»، مشـدّداً على أنّ «الشـعب الـذي لا يقـاوم محتلّيـه إنمـا هـو شـعب مـن العبيـد»، وداعيـاً إلى المقاومة الثقافيـة «لفضح الروايـة الإسرائيليـة وتأكيد زيفها وبطلانهـا، ولاسـيما في المحافـل الدولية».

اقتباسات عن العروبة

مـن أقـوال الدكتـور شـعبان المأثـورة: «إنّ العروبـة هـي مشروع بحاجـة إلى عمـل مسـتقبلي خـارج دوائـر الأيديولوجيـا والسياسـة»، وإنّـه «لا بد من مصالحـات تاريخيـة، ونشر ثقافة الحوار والتسـامح والـسلام وقبـول الآخـر وتعميقها»

ويؤكّـد الدكتـور شـعبان أنّ «الدولـة التـي نحتـاج إليهـا في العـالم العـربي هـي التـي تقوم على قاعـدة المواطنـة السـليمة والمتكافئـة وحكـم القانـون، وأنّـه بالطبـع لا مواطنـة حقيقيـة دون حريات وشراكة ومشـاركة ومسـاواة وعدالة، ولاسـيما عدالة اجتماعية في حدها الأدنى. وسـتكون المواطنـة ناقصـة ومبتـورة مـع الفقـر، وتمثّـل هـذه المعـايير بالتـدرّج والتراكـم والتطـوّر السـبيل لتحقيـق الدولة-الأمـة، فثمّـة فـوارق كـبيرة بين السـلطة والدولـة، فالسـلطة متـغيّرة، أمّـا الدولة، فهـي باقية»

وكما يقول: إنّ «العرب ليسوا بحاجة إلى الديمقراطية، بقدر حاجتهم إلى التنمية».

خاتمة

في ظلّ القحط الفكري الذي يعيشه العالم العربي نتيجة لعوامل تاريخية بدَهية ولخضّات متتالية على مختلف الصعُد، يبرز الدكتور عبد الحسين شعبان قامةً شامخةً جديرة بكل تقدير واحترام، ومِثالاً يُحتذى للتقدم بالمنطقة العربية على مسار التنمية الإنسانية والثقافية والفكرية والاجتماعية

أمسية البنفسج

د. ريم عبد الغني[1]

1- روائية ومهندسة معمارية - اللّاذقية - سوريا.

استقرّت عيناي عند اسمها في نهاية الرسالة، وازداد إعجابي القديم بها حين وجدتُ الشيخة د.سعاد الصباح تدعوني إلى المساهمة في الكتابة عن الدكتور عبد الحسين شعبان، لتكريمه من قبل مؤسستها في برنامجها المُعَدّ لتكريم كبار المثقفين العرب في حياتهم، كما فعلت مع نزار قباني وثروت عكاشة وغسان تويني وغيرهم من الأدباء والمفكّرين

وجدتُ في اختياري لهذه المهمة تقديراً، وقررتُ أن أكتب. صحيح أني لم أتعرّف شخصياً على د.شعبان، إلّا في السنوات الأخيرة، لكن هل تُقاس المعرفة بالزمن؟ هناك من لا تحرك سنوات معهم أقلامَنا، بينما تُشرق شموس أرواحنا لمن يلهموننا في وهلة وحي أرواحهم المتوهجة، فتجرّنا بعض تفاصيلهم إلى الدَّرْك، فيما يُحلّق بنا بعضها إلى أقصى «درب التبّانة».. وأحسبُ الدكتور عبد الحسين من هؤلاء

مذ خطَونا -زوجي وأنا- داخل تلك الشقة الدافئة في منطقة الجناح في بيروت، تلبيةً لدعوة كريمة من الدكتور شعبان، تذكرت مقولة مارغريت ثاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا: «أفكارك تشكّل واقعك ومستقبلك وقدرك»، أو بحسب نظرية كتاب «السر»، نحن نشكّل ما يحيط بنا بما تبثّه عقولنا. وعلى الرغم من أنّ الدكتور عبد الحسين استثنائي في نواحٍ كثيرة، ولكنه ليس استثناءً لتلك القاعدة، فعالمه أيضاً يشبهه.. على الأقل بيته.

لوحات متنوعة تملأ الجدران، بعضها لرسامين معروفين، وبعضها لأصدقاء أهدوه رسومهم تعبيراً عن المحبة أو العرفان، كالسيدة جواد التي تعيش اليوم في إسبانيا، والتي رسمت له لوحة تجريدية جميلة، ولوحة عبد الإله لعيبي، باب الذهب لمرقد الإمام علي.

«هناك تحت الباب نفسه مرقد جدي»، أخبرني حين وجدني أتأمل هذا الباب بدهشة وإعجاب. «فقد كان لعشيرة آل شعبان رئاسة الخدمة في حضرة الإمام علي (رضي الله عنه) منذ قرون. وعائلتي يعود أصلها إلى (جبل النبي شعيب) في اليمن»

من اليمن! لا عجب إذن أن نلتقي. فقد آمنتُ منذ زمن بأنّ قدري يختبئ بين حروفها. تأملتُ رسم لوحة شجرة العائلة بإعجاب. عشرات الأجيال تعود إلى عدة قرون، لكنها جميعاً أسماء ذكور.

مـهلاً، مـا هـذه الإضافـة باللـون الأزرق في أعلى يسـار الشـجرة؟ يد رسـمت فرعاً إضافيـاً انبثق مـن اسـم عبـد الحـسين، ليتفـرع إلى اتجـاهين، كُتـب على أحـدهما سـنا، وعلى الآخـر سوسـن، وفهمـت أنّ ابنتيـه أضافتـا اسـميهما باليد. هذا إنصاف، لماذا تنقطع شـجرتنا ويقـف امتدادنا إذا لم نُنجـب ذكـوراً؟ سلالـة سـيد الخلـق وآل البيت جميعاً، أليسـوا مـن فاطمة رضي اللـه عنها ابنة الرسـول الـذي لم يعـش له أبنـاء ذكور؟

جُلـتُ بالـبصر بين ضيوفـه، فكـرت أنهـم يشـبهونه أيضـاً. رجـال ونسـاء مـن مختلـف الأعمار والمشـارب، مـن دول متعـددة يجمعهـم هـواه الأسـاسي، الشـعر والأدب والفن في جوٍّ مـن الأُلفة والحميميـة، أتابـع مضيفنـا يحتفـي بالجميـع، بتواضـع فيـه رقـيّ، قـلما يتكلـم، يمنحـه صمتـه هالـة إضافيـة مـن غمـوض، كذلـك مسـحة الحـزن المتـواري في عينيه.. هـل هي سلسـلة المعارك والعواصـف التـي خاضتهـا سـفينته مستكشـفةً طريقهـا الأسـلم بين الصخـور إلى «مُبتغـى» وعاه مبكـراً؟.. أم أنّـه بعـض إرثـه العراقي منـذ جلجامش ومحاولـة الخلود، أو ربما هـو «وعي المثقف الشـقي» كما أسماه في أحـد كتبـه؟ ذاك الـذي «يشـقى في النعيـم بعقلـه»؟

الإعلامـي اللبنـاني الشـاب في الكـرسي المجـاور يقرأ في عينـيَّ فضولي. «أعرف د.شـعبان منذ أكثر مـن عقديـن». قـال بإعجـاب: «إنّ هذا الرجل السـهل الممتنـع بئر عميقـة لأسراره وأسرار معارفه الـكثر في كل مـكان. سـاعدني كـثيراً، فهـو جاهـز دومـاً لمـدّ يـد العـون، وخصوصـاً للشـباب، لأنـه يؤمـن بهـم. رجـل يتدفـق بالمحبة، ويفتـح ذراعيه دائمـاً للآخر، حتى نال وسـام الصداقـة العربية - الكردية»

أعجبتنـي عبـارة: «ويفتـح ذراعيـه دائمـاً للآخـر». تذكّـرتُ قـول مولانـا جلال الديـن الرومـي: «أولئـك الذيـن يملكـون قلوبـاً مليئـة بالمحبّـة.. تكـون أياديهـم دائمـاً ممـدودة».

ألمـحُ في الرُّكـن مكتبـة ضخمـة وغنيـة أهداهـا كاملـة إلى الجامعـة، جامعـة اللّاعنـف (أونـور) AUNOHR التـي ينـوب رئاسـتها. فكـرت بإعجـاب في الكـمّ الـذي قـرأه والكمِّ الـذي كتبه، فهو أكاديمـيّ وباحـث ومفكّـر وكاتـب، ألَّف عشرات الكتب في القانون والسياسـة والفلسـفة والتاريخ والاقتصـاد والفكـر الدينـي، في إطـار التجديـد والتنويـر والحداثـة والثقافـة والنقد، وانشـغل منذ وقـت مبكّـر بقضايـا المجتمـع المدنيّ والأديـان، والفهـم المتجـدّد لقضايا حقوق الإنسـان.

بالنسـبة إليَّ، فأنـا أحترم د.عبـد الحـسين. يُـثير إعجـابي تنـوعُ ثقافتـه ومشـاربه. خليـط مـثير

للاهـتمام، ابـن النجـف الـذي نشـأ على صـوت القـرآن في بيـت طفولتـه، ممّا شـكَّل أحـد الروافد الروحيـة الأساسـية في تكوينـه وفي منظومـة قيمـه، ثـم نمـا معتـاداً على التنـوع الفكـريّ في بيـت أسرتـه التقدميـة المفتـوح للضيـوف على اختلافاتهم، ثم تبنّى فكراً متسـامحاً لانتماء يسـاري، بناه بألـوان قـوس قزح

فتـح عقلـه المجبـول بالحضارات ليتقبـل النور الإلهي.. ويمسـح الغبار الذي رُمـي على الأديان، فهـو بـاعتراف النقـاد لا «يـعصرن» القرآن، بل يأخذ نفسَـهُ بمـا فيها من حداثة إليـه، وكذلك درس الإنجيـل، فوصـف النصـارى بـ»ملح العـرب». تحدث عن النصرانية وتسـامحها وتاريخهـا، و«كأنّ مسـيحياً كان واقفـاً وراءه ليعـرف عدلـه»، على حـدّ تعـبير النقـاد وفي مقدّمتهـم المطـران جـورج خضر. ثـم درس البوذيّـة وتعاليمهـا. فهمـه العميق هـذا، صبّه لاحقاً في كتب كـ»الإسلام وحقوق الإنسـان: المشترك الإنسـاني للثقافـات والحضارات المختلفـة»، وكتاب «دين العقـل وفقه الواقع»، وكتـاب «فقه التسـامح في الفكر العـربي الإسلامي».

كانـت السـهرة واحـة حريـة ومحبـة، توالت الأصـوات تُدلي فيها بما تحبه في عالم الشـعر، شـعر قديـم أو حديـث أو بالبدويـة. فكّـرت بمتعـة كـم افتقـدتُ هذه الأوقـات في قطـاري السريع بين محطـات لا تشـبهني، الليلة أنـا في محيطي.

شـدَّني فجـأة إلقـاءُ شـعبان -اسـتجابةً لطلـب بعـض الحاضريـن- بعـض أبيـات الجواهـري بإحسـاس جليٍّ وصوت رخيم مميّز. طبيعي أن يتلو شـعبان شـعر ابن مدينته اليسـاري، الشـاعر الكـبير محمـد مهـدي الجواهـري، بعـد أن قضى ردحـاً مـن عمـره يوثـق بدقـة وعلميـة أجمـل قصائـد الجواهـري، التي تجسـد برأيه «جدل الشـعر والحياة»، وجمعها في كتـاب أسماه «جواهر الجواهـري» بلغـة بسـيطة وسلسـة لا يسـتعرض فيهـا ثقافتـه الواسـعة وعلمـه الغزيـر، وليـس الجواهـري فحسـب، بـل اهتـم بتوثيـق عطـاءات نخبـة مـن المبـدعين، كمظفـر النـواب وأمين الريحـاني وعبدالرحمـن النعيمـي وعامـر عبداللـه وسـعد صالـح وغيرهـم.

عرفـتُ مـن سيرتـه الحافلة التي سـمّتها الحركـة الثقافية في إنطليـاس يوم كرّمتـه كأحد الأعلام الثقافيـة العربيـة الكـبيرة (بيروت 2017) «سيرة تمـرد»، أنـه خـبير في مجـال حقـوق الإنسـان، واستشـاري وعضـو في عـدد مـن المنـظمات العربيـة والدوليـة، وفي هـذه الـسيرة تلخيـص لمسيرة د.شـعبان وجـزء مـن قصـة حياتـه منـذ أن تخـرّج في كليّـة الاقتصـاد والعلـوم السياسـيّة (جامعة

بغـداد)، ونـال درجتـي الماجسـتير، وحصـل على درجـة الدكتوراه في فلسـفة العلـوم القانونيّة من تشيكوسلوفاكيا.

تـروي الـسيرة والمـسيرة قصـة مناضل من هـذا الوطن، تمـرّد على بيئته المتدينة، وآمن باليسـار. حقوقـي تمـرّد على الخـوف، وامتهـن الدفـاع عـن حقـوق الإنسـان، تمـرّد على التعصـب، عـروبي وقومـي وإنسـاني تمـرّد على التحيّـز والتخلـف والطائفيـة، وتمـرد على العنصريـة. يؤمن د.شـعبان بعمـل الفريـق، لذلـك نجـده مسـاهماً في العديـد مـن الكتب والمقـالات المشتركـة. ويؤمـن أيضاً بأهميـة التعريـب والترجمـة انطلاقـاً من مبدأ تبـادل الثقافات وتفاعلهـا، كما أن حضوره فعّال في الملتقيـات الفكريـة والمنتديـات الثقافيـة والمؤتمـرات الحقوقية العربيـة والدولية

أقترب مـن الخزانـة الزجاجيـة في الركـن.. أتملى في شـارات وأوسـمة عالميـة حازهـا في مـسيرة نضالـه، توقفـت أمـام جائـزة أبـرز مناضل لحقوق الإنسـان في العـالم العربيّ، اقتربـت أدقق النظر في التفاصيـل.. مـن خلفي سـمعت صوت الشـاعرة السـورية اللطيفة التي ألقـت قبل قليل بعض شـعرها: «شـعبان هـو مناضـل إنسـاني وقومـي وعراقـي مغـرم بالعـراق»، ألم تري تلـك؟ وتتبعتُ اتجـاه إشـارة يدها إلى حيث نُقشـت بعض أبيات شـعر الجواهـري بأناقة أعلى الأبواب الخشـبية الداكنة

أنا العِــراقُ لســاني قلبــهُ ودمي فراتُــهُ وكيــاني منــهُ أشــطارُ

أضافـت: عراقـي دفعـه العشـق لكتابة كتب وأبحاث حـول بلاده التي أسماها «بلاد الشـمس» بـروح وطنيـة وقّـادة لا تسـاوم في الثوابـت، وهـو يقـول: «مُـوالٍ أو معـارض، لا يهـمّ. فالموقـف المعـارض لا يكون على حسـاب الوطني والثابت والاستراتيجـي، الوطن هو القضية الأكبر والأهم».

يتنقّـل للاهـتمام بضيوفـه حـول مائـدة فيهـا أيضـاً مـن تنوعـه وتسـامحه، أطباق فلسـطينية، وأخرى عراقية وسـورية، ولبنانيّة. ألتقط رقاقة من طبق المسـخن الفلسـطيني، وأسـتمتع برائحة الـسُّماق، طبـق فلسـطيني على مائـدة شـعبان؟ بالتأكيـد ليـس مصادفـة. فقد عُرف عـن مضيفنا على الـدوام أنـه كان مـن بين المحـامين التقدّمـيين، وأنه مسـاند لقضايـا التحرر وكفاح الشـعوب. وعُـرف مدافعـاً بشـكل خـاص عـن القضيـة الفلسـطينية، فكتـب في مختلـف شـؤونها: القـدس، الانتفاضـة، الحـرب على غـزة، والعنصريـة الصهيونيّـة، حتـى مُنـح العضويـة الفخريـة لاتحـاد الكتّـاب والصحفـيين الفلسـطينيين، ولأنّ عقلـه الشـمولي متسـامح ومـرن، فقـد ميّـز بين اليهودي

والصهيـوني، وأشـار إلى مسـاهمة يهـود عراقـيين تقدمـيين معاديـن للصهيونيـة في تاريـخ الكفـاح الوطنـي العراقـي، تحـت لـواء الحـزب الشـيوعي العراقـي آنذاك.

«لم تتنـاولي شـيئاً»، عاتبنـي الدكتور بلطف. بالنسـبة إليّ، كنتُ قد نسـيتُ الطعـام، بل والمكان كلّـه. كنـتُ في إحـدى لحظـات التـجلّي. كأنَّ الرجـل العراقي قد فتح لي السـتارة فجـأة «فرأيتُ». كنـتُ أراقبـه.. يجامـل ضيوفـه ويضحك، تلتمع عيناه لتعكِسـا فيض انفعالاتـه. جليّ أنه قرّر أن لا يشـيخ أبـداً. المـوت والحيـاة يكمنان في داخلنـا، ففي بداية عقـده الثامن مازال «شـعبان» واحداً مـن أنشـط مفكـري الوطـن العـربي وألمعهـم. يتابـع بنفسـه يوميّـاً مجموعـة هائلـة مـن القضايا والنشـاطات. يـقضي وقتـاً كثيراً في السـفر بين بلدان العـالم لحضور المؤتمـرات والاجتماعات. إيمانه الحقيقـي وشـغفه بما يفعل وحماسـته الهـادرة لقضاياه الكبرى، سرّ نجاحه الكبير وشـبابه الدائم.

أجـل، اسـتمتعتُ جـداً بتلـك الأمسـية التـي ذكّرتنـي بعنـوان كتابـه الذي أهـداني إيّـاه مؤخّراً: «رحلـة البنفسـج». صحيـح لم يكـن مظفـر النـواب الذي أضـاء الكتاب على رومانسـيته المشـفرة حـاضراً، ولا شـعره، لكنهـا كانـت أمسـية بنفسـجية الرقة

بعـد أن غـادرت، في هـدوء ليـل بيروت وظلام السـيارة، بقـي معـي صوت قويّ الـنبرات ينضح بالكبريـاء، وابتسـامة مهذبـة لا تغيـب. وعينان تبثّان تـأثيراً عجيباً.. تفيضـان ذكاء.. وتغرقان حزناً. وجدتُنـي أدنـدن، ومازلـت طـربى بنغمات العود الذي زاد الأمسـية جمالاً، بـكلمات بيرم التونسي: «ليـه يـا بنفسـج بتبهج وأنت زهـر حزين؟»

شعبان.. من ثِمارِه تعرفونه

زياد شبيب[1]

1- قاض ومحافظ بيروت السابق ومدير دار النّهار للنّشر والتّوزيع- بيروت.

يصعب الحديث عن الدّكتور عبد الحسين شعبان وصفاته ومزاياه الشّخصيّة الّتي يُجمِع عارفوه على وفرتها، ولكنّ المهمّة تسهل حين تُدرك أنّ الكلام عنه يبعث على الشُّعور بالرّضى مهما كان قاصراً عن إيفاء الرّجل حقّه.

هذا ولأنّ الخوض في قراءة الشّخص وتجربته الغنيّة تُشكّل فرصة للتّعبير بموضوعيّة عن أهمّيّة المزايا الشّخصيّة في تكوين الحالة التي يتحوّل إليها الإنسان الغزير العطاء وأهمّيّة هذا المزيج المُميّز بين المُكوّنات الدّاخليّة والشّخصيّة.. وعطاءات الإنسان المُبدع وثماره، فتتكشّف لك كيفيّة تحَقُّق مقولة: «مِن ثمارهم تعرفونهم»

عبد الحسين شعبان من هؤلاء المبدعين الّذين إذا التقيتهم شخصيّاً بعد أن تكون قد تعرّفت إليهم من خلال أعمالهم تفرحُ وتُسرّ لِتَطابُق الصّورة والانطباع المُتَكوّنَين عنه مع حقيقة شخصه الّذي يفيض لطفاً ودماثةَ خلقٍ وسلامَ نفسٍ وأناقةَ حديثٍ واتساعَ علمٍ وموسوعيّةَ اطّلاعٍ ومعرفةٍ

لا حاجة لك أن تعرف الرّجل منذ زمان طويل لتكتشف حقيقته وتعرف فوراً أنّه صاحب رسالة سوف يُؤدّيها حتّى آخر نفس.

وبالفعل، إنّ ثمار عبد الحسين شعبان تعكس حقيقة تكوين هذا الرّجل الغزير العطاء، والغزارة عنده لم تنتقص من ثراء المضمون أو جِدّته ولم تُوقِعْهُ في التّكرار أو الرّتابة، إنّما أَثْرَت أعماله تَنَوُّعاً وعمقاً وشُمولاً. فمن الحقوق والدّساتير والمواثيق الضّامنةِ السّلام واللّاعنف، إلى فقهٍ لا يهتمّ إلّا بما هو أَبْقَى وأكثر إلحاحاً للنَّوع البشريّ واستمرارِه وهو فقه التّسامُح، إلى قضايا العرب والعالم من مُنطلَق غِنى التّجربة العراقيّة وجراحِها المفتوحة، إلى الرّسالة القائمة على تحديث الحقبة الّتي نشأ فيها ونقلها إلى من سوف يتولّون النّهضة المستقبليّة، وكأنّه يتولّى مُنفَرداً رُبّما التّأسيس لتلك النّهضة المأْمولة، وهذا عبر تجديد فِكر تلك الحقبة والاستمرار بالخَوض فيه دون الاكتراث إلى الشّعور السّائد بعدم الجدوى، وعبر إعادة الاعتبار إلى كبار المُفَكّرين والمُبدِعين والشُّعراء الّذين صنعوا فِكر القرن المُنصَرِم وإبداعاتِه

من هذا المُنطلَق ينبغي الخوض في تجربة عبد الحسين شعبان ومن باب كَوْنِه صاحبَ

رسالة تَنَكَّبَ عناء حملها مُنفرداً. وانفراده في ذلك الحمل لا يعني بالضّرورة أنّه وحيد في المِضْمار ولا يعني غياب الآخرين، إنّما هو حالة ذاتيّة أو شعور داخليّ عميق إذا ما وُجد في إنسان معيّن أحسّ بأنّه صاحب رسالة دُعي إلى تحقيقها في هذا الاتّجاه.

وأصحاب الرّسالة يتولّون تَأْدِيَتَها بِصَرف النّظر عن وجود المُؤيّدين والمُساعدين أو عن أعدادهم. وما يدفعهم إلى تكريس الذّات لتحقيق الرّسالة هو ذلك الصّوت الدّاخليّ الّذي لا يعرفه إلّا من يحمله، والّذي يجعل منه مسكوناً به وحاملاً همّ تحقيقه بحيث تتحوّل الدنيا إلى ميدان ويقتصر الوجود على المعركة الّتي يخوضها لأنّها يجب أن تُخاص بغضّ النّظر عن حسابات الفوز، وإذ به يُحقّق فوزاً عظيماً قد يحصده في حياته أو تأتي ثماره لاحقاً بعد الغياب

يعتبر كثيرون أنّ المرحلة الرّاهنة هي مرحلة انحطاط بسبب الخَيْبات الكثيرة الّتي آلَمَت العالم والمنطقة، والّتي أصابت أكثر ما أصابت أصحاب الفكر والطّموحات الكبرى في البلاد العربيّة والشّرق عموماً.

وإذا كان النّقاش في مسألة الانحطاط مطلوباً ومشروعاً لتحديد معايير التّوصيف وقواعد المُقارنة مع الحقبات الماضية، ولفهم أسباب الانحطاط إذا ثبت وقوعُهُ وأسباب وشروط الخروج منه إلى نهضة جديدة، وهو نقاش دائر في دار النّهار للنشر في بيروت وورشة قائمة فيها ومع كتّابها، فإنّ التّأسيس لنهضة جديدة أو الإسهام في إطلاقها يكون بِرَدم الهُوّة بين الماضي والقادم، ولا سيّما على مستوى المفاهيم، وعبر العمل على إبقاء أعمال مَن سبقوا حيّةً وجاهزةً لتكون المنبع الّذي سينهل منه نهضَوِيّو العصر القادم

هذه المهمّة يتولّاها الدّكتور شعبان، ويعتبر أنّه مسؤول عنها شخصيّاً وذلك بطريقتين: الأولى تقوم على إعادة إحياء أَعمال كِبار العصر المُنصَرِم وإعادة الاعتبار إلى من يحتاج منهم إلى ذلك وتقديمهم إلى الجيلَيْن الحاليّ والقادم؛ أمّا الثّانية فتتعلّق بتجربته بحدّ ذاتها، والّتي تتمثل بالمثابرة على العطاء المُستمرّ والمُتواصِل، وإقامة جسر ما بين حقبتَيْن مُنفصلتَيْن يمتدّ من منتصف القرن الماضي على الأقلّ ويصل إلى العقد الثّالث من القرن الحاليّ على أقلّ تقدير، ويمتدّ إلى سنين عديدة قادمة، هو بِحدّ ذاته جسر بين نهضة سابقة ونهضة قادمة. وهذا ما يجعل تجربة الدّكتور شعبان ودوره على درجة عالية من الأهمّيّة، وما يجعل العمل

معه في مجالَي الفكر والنّشر يتخطّى المهنةَ وظروفَها وقواعدَها الرّاهنة وينتمي إلى حَيّز الرّسالة المُشتَرَكة

في المرّة الأولى الّتي حلّ فيها عبد الحسين شعبان في دار النّهار، نشرت له عملاً من أهمّ نتاجاته حول «فقه التّسامح في الفكر العربيّ الإسلاميّ». كان ذلك في العام 2005 أي في مرحلة عرف فيها عالمنا العربي عموماً، والعراق خصوصاً، فُصولاً من السّواد قلّ نظيرها في التّاريخ، فكان كتاب عبد الحسين شعبان عن فكر التّسامح شمعة أمل في ظلام هائل. وفي مُقدّمة ذلك الكتاب قال المطران جورج خضر إنّ «عبد الحسين شعبان لا (يخترع) إسلامه ولا يبتدع. هو لا (يُعَصْرِن) القرآن، ولا يُسقط عليه أُفهومات ليست منه، بل يأخذ نفسه بما فيها من حداثة إليه، وهذا ليس بالتّوفيقيّة الرّخيصة، إنّه سعي إنسان يفتح عقله المجبول بالحضارات ليتقبّل النّور الإلهي الّذي يقذفه الله فيه»

بعد تلك التّجربة المُميّزة عاد اليوم الدّكتور عبد الحسين شعبان المُتعدّد الاهتمامات الفكريّة والثّقافية إلى دار النّهار ليكون حاضراً في نُهوضها المُتَجدّد، فأصدرت له كتاباً عن صديقه الشّاعر العراقيّ الرّاحل مُظفّر النّوّاب بعنوان: «مظفّر النّوّاب – رحلة البنفسج». وأتى هذا الكتاب ليكون أوّل كتاب يجمع شتات مُظفّر النّوّاب. وبالنّظر إلى فرادته وأهمّيّة موضوعه، أُقيمت حوله ندوات ومناقشات، وكُتِبت عنه دراسات ومقالات كثيرة

في ذلك الكتاب، كما في كُتب أخرى مُتعدّدة، صدرت عن دُور نشر مُختلفة، حقّقَ عبد الحسين شعبان هذا الجسر بين حقبتَيْن؛ إذ لم يقتصر الكتاب على رواية سيرة صديقه الشّاعر مظفّر النوّاب أو علاقته به أو علاقة الأخير بالسّياسة والفكر والشّعر والعراق والعُروبة واليسار أو غير ذلك، بل إنّه استعاد تلك الجوانب كُلَّها ووَلَجها من مفتاح عقله «المجبول بالحضارات» والمُطِلّ على العصور الآتية مُشْبَعاً بثقافة الماضي الجميل، بحيث أتاح لهذه الثّقافة أن تُصبحَ آنيّةً مُجدَّداً، وأن يُستحضَر مظفّر النواب بإبداعه وآلامه ومَنْفاه وخَيْباته وآماله الّتي ليست سوى آمال ونضالات وخيبات العراقيّين وكثيرين من العرب، لِيُقدّمه نموذجاً حيّاً الآن وهنا، في بيروت وبغداد وجنوب العراق وحيثما حلّ في المدن والعواصم، وأن يُثْبِت أنّ قضيّة النوّاب، وهي أيضاً قضيّة شعبان نفسه، لم تنتهِ، ونضاله ونضال أمثاله إلى جانب المظلومين والفقراء ولأجل العدالة الإنسانيّة، لم تنطفئ شعلتُه، وأنّ مدرسته الشّعريّة لم تنضب ولن تنتهي، بل سوف تنتقل إلى جيل نهضويّ قادم بدأ التّأسيس له عبر كتابات شعبان وسواه من المُبدعين

المُخَضرمين.

بعد النجاح الكبير لهذا الكتاب أعادت دار النهار نَشْر كتاب «فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي» في طبعة ثانية في العام 2024، تأتي في تَوْقيت ذي أهمّيّة كبيرة في لبنان وفي العالم، حيث تتراجع فكرة التّسامح وتبرز أشكال جديدة من الكراهية وعدم قبول الآخر ورفض العيش المُشتَرَك

يُشدّد الدّكتور شعبان على المَعنى المُعاصر لفكرة التّسامح، والّتي لم تَعدْ واجباً أخلاقيّاً وسُلوكيّاً أو مبادئ ودعوات دينيّة أو سياسيّة فحسب، بِقَدْر ما هي واجب قانونيّ لإقرار التّعايُش والتّعدُّديّة والتّنوّع وحقّ الاختلاف والدّعوة للمُشترك الإنساني. وهنا تَكْمن أهمّيّة هذه الفكرة الّتي يجب أن تكون أساساً لتكوين المجتمعات وللدّساتير الّتي تحكمها، وشرطاً مِن شروط العمل العامّ وتَوَلّي السّلطة للقوى السّياسيّة المُتَنافسة على الحكم في المُجتمعات المُتنوّعة

الحُرّيّة وفِكر التّسامح ضمانة أساسيّة مطلوبة في كلّ المجتمعات بما فيها الّتي تبدو بظاهرها من لون واحد، لأنّ كلّ المجتمعات تعَدُّديّة في الواقع، وهذا ما يشرحه أديب صعب صاحب النّظريّة في فلسفة الدّين، ويعتبر أنّه «حتّى في الحكم المذهبيّ الواحد حيث يقوم اليوم، نجد ما يُسمّى خطّاً مُنفتحاً أو مُتحرّراً وخطّاً مُتشدّداً أو مُنغلقاً، مع ما بينهما من خطوط تميل ذات اليمين أو ذات اليسار». ويُضيف أنّه «لا إكراه في الدّين»، فلا إكراه أيضاً في نظام حُكم قائم على الدّين». (وَحدة في التّنوُّع، دار النّهار)

صحيح أنّ فلسفة التّسامح أو قبول الآخر عرفت مذاهب مُتعدّدة، منها من قال، كإدوارد كوبر، إنّ المجتمع المُتسامح يجب أن يكون قبولُه الآخَرَ المُختلفَ مَحدوداً، وبالتّالي قائماً على شرط هو أن يكون هذا الآخر من النّوع الّذي يقبل الرّأي الآخر أيضاً، وإلّا كان مصير هذا المجتمع أن يُنهي نفسه بنفسه؛ ومنها من قال إنّ قبول الرّأي الآخر يجب أن يكون مُطلقاً وغير مشروط كما نادى نعوم تشومسكي وآخرون. لكن في بلادنا، أيّ من المذاهب ليس مُعتَمداً، وقبول الآخر مُرتبط بإخضاعه أو تَخَلّيه، صدقاً أو نفاقاً، عن رأيه المختلف وبالتّالي زَوال كَوْنِه آخَرَ

في لبنان مثلاً يرتبط رفض الآخر بتكوين القوى السّياسيّة فيه، والّتي تشترك كلّها في صفات

عديـدة تجعـل منهـا ذات طبيعـة مشتركـة، ولا يُمكنهـا التعامـل مـع الآخـر إلّا من بـاب التّعايش لأنّهـا كِيانـات دينيّـة و/أو طائفيّـة على أقـلّ تقديـر، والاختلاف معهـا يعني الاخـتلاف مع عقيدة دينيّـة أو مـع جماعـة دينيّـة بكاملهـا، ومـن هنـا يـأتي ردّ الفعـل عندهـا جميعـاً أقـرب إلى تَكْفير الآخـر المُنتَقِـد لها

إنّ أيّ أمـل بنهـوض قـادم يرتبـط بوجـود ظـروف مؤاتيـة، أوَّلهـا منـاخ الحرّيّة وفِكر التّسـامح تجـاه الـرّأي المُختلـف، وبوجـود من يؤمن بهذه الثّوابـت ويعمل على تحقيقها لا بل ينذر نفسـه وعمـره لهـذه الغايـة النّبيلـة، وعبد الحسين شـعبان رائد في هـذا المجال

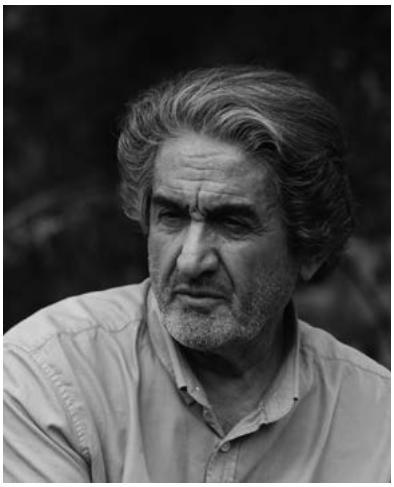

المفكّر عبد الحسين شعبان.. نظرة شخصيّة

سرو قادر[1]

1- مدير معهد الدراسات والتنمية – أربيل.

قضايا ومواقف

ستّ قضايا ومواقف يمكنني التوقّف عندها في حفل التكريم المهيب، الذي تنظّمه **الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح** للمفكّر العربي الكبير الدكتور عبد الحسين شعبان، الذي عرَفْته منذ مطلع الثمانينيّات، حين كان مسؤولاً للإعلام في قاعدة ناوزنك - نوكان ومن ثمَّ في بشتاشان (كردستان)

أوّلها- فكر شعبان النقدي التجديدي، فهو حتى مع التزامه الماركسي السابق، كان يحاول وضع مسافة بينه وبين الرأي الرسمي، سواء على الصعيد الفكري أو على الصعيد العملي - الممارساتي. وقد ساهمت تلك الاستقلاليّة الفكريّة في تكوين رؤية نقدية استشرافيّة للمسار النظري - الفكري من جهة، وللسياسة القائمة من جهة ثانية

وكان له باعٌ طويل في تقديم قراءات جديدة للماركسيّة، خارج الأطر السائدة والمعروفة المتأثّرة بالمدرسة السوفييتيّة، وهو وإنْ ترك العمل الحزبي والتنظيمي، وابتعد عن العمل السياسي المباشر والروتيني، إلّا أنّه ظلَّ يعتزّ بيساريّته مع الانفتاح على المدارس الاجتماعيّة الأخرى، وقدّم اجتهادات جريئة ومعالجات موضوعيّة للقضايا المطروحة، ومنها القضيّة القوميّة، حيث كان أحد أبرز المبشّرين بفكرة **حقّ تقرير المصير** للشعب الكردي، تلك التي عكسها على وثائق المعارضة العراقيّة التي كتبها في التسعينيّات من القرن الماضي

وثانيها- دوره في حركة المعارضة العراقيّة، حيث كان أميناً عامّاً للسرِّ في المؤتمر الوطني العراقي INC، وساهم بشكل مباشر في تجميع المعارضة، لكنّه تميَّز عنها بموقفه المناوئ للحصار الدولي المفروض على الشعب العراقي، وفي العلاقة مع القوى الخارجيّة، وحين لم تنسجم رؤيته مع الاتجاه السائد، قدّم استقالته، وظلَّ معارضاً على طريقته، وهو ما كان يلقى احترام وتقدير الآخرين. وحتّى حين اختلف مع قيادة الحزب الشيوعي تعامل مع الأمر من باب الاجتهاد الفكري ومن زاوية اختلاف الرؤى والتصوّرات

وثالثها- دفاعه عن حقوق الإنسان، وقد ساهم في رفع لواء هذه القضية في التسعينيات، حتى أصبح أبرز روّادها في العراق والعالم العربي، ولهذا مُنح في القاهرة وسام أبرز مناضل

لحقـوق الإنسـان في العـالم العـربي 2003. وقـد ظـلَّ مخلصـاً لهـذه القضيـة وسـاهم في تدريـب وتأهيـل الـعشرات والمئـات، سـواء في كردسـتان بعـد العـام 1991 أو في عمـوم العراق بعـد العام 2003، كما تتلمـذ على يديـه أكثر مـن جيـل، وتشـبّعوا بالكـثير مـن الآراء والأفـكار التـي حملهـا، كمثقّـف حقوقـي وعضـوي يربـط النظريّـة بالتطبيـق. وقـد كان حتـى أيّـام انخراطـه في العمـل اليسـاري ناقـداً لبعـض توجّهـات البلـدان الاشتراكيـة، إزاء مسـألة حقوق الإنسـان

ورابعهـا- علاقتـه المتميّـزة بالحركـة الكردية، فهو من الشـخصيات العربية البـارزة التي لا تزال على قيـد الحيـاة، والتـي التقت **الزعيم الخالـد الملّا مصطفى البـارزاني** 1970، وكان وفياً لصداقته مـع الشـعب الكـردي ومدافعـاً عـن حقوقـه، وقـد نظّم أوّل **حـوار عربي - كـردي** في العـام 1992 ودعَـمَ وسـاندَ تأسـيس "**جمعيـة الصداقة الكردية العربيّة**" التي أسسـها ونشـط فيهـا **صلاح بدر الدين** و**د.شيرزاد النجار** وعشرات من القيادات الكرديّة الوطنيّة، ولذلك اسـتحقَّ **وسـام الصداقة العربيّـة - الكرديّـة** (2004) في أربيـل، ويعـتبره الكـرد الصديـق الثابـت لهـم والمؤمـن بقضيّتهـم، ويقـدّرون مواقفـه كعـربيّ يعتـزّ بعروبتـه، مثل موقفـه المبدئي من القضيّـة الفلسـطينيّة، لكنّه في الوقـت نفسـه ينتصر للشـعب الكـردي المحروم من حقوقـه ليس في العراق فحسـب، بل في **تركيا وإيران وسـورية**، ولعموم قضايـا المضطهدين

ومثـلما يدعـو إلى **وحـدة الأمّـة العربيّـة**، فهـو يدعـو إلى **وحـدة الأمّـة الكرديّـة**، باعتبـارهما حركـتين تحرّريّـتين لابـدّ لـهما مـن التحالـف ضـدّ عـدوّهما المـشترك، وعلى أسـاس حـقّ تقريـر المـصير. وقـد عمـل في المحافـل العربيّـة والدوليّـة على اسـتصدار العديـد مـن القـرارات لصالـح الشـعب الكـردي في مؤتمـرات دوليّـة وعربيّـة وإقليميّـة

المفكّـر **شـعبان** مصـدر احترام مـن جانـب جميـع القيـادات الكرديّة التـي تعتـزّ بعلاقتها معه، لأنّـه نـصير حقيقـيّ بعيداً عـن المصالح الخاصة، فهو صديق في جميع الظـروف في السرّاء والضرّاء، يعمـل وبـكلّ أريحيّـة إيماناً منه بقِيَم حقوق الإنسـان وبحـقّ الأمم والشـعوب في تقرير مصيرها. وقـد عمـل خلال فترات الاحتراب الكـردي - الكـردي على رأْب الصّـدع، وخاطـب الفريـقين داعيـاً للحـوار وحلّ الخلافات سـلميّاً.

خامسـها- امتيـاز شـعبان **بالتواصـل مـع الآخـر**، سـواء على المسـتوى الشـخصي أو العـام، فهـو شـخص يؤمِـن بقيَـم الصداقـة ويدافـع عنهـا، ولذلـك تـراه المبـادر في التواصـل مـع الحفـاظ على

مسافة واضحة بما فيها الحقّ في الاختلاف، في إطار القيَم التي يؤمن بها وهي التنوّع والتعدّدية والتسامح والسلام واللّاعنف

وعلى الرغم ممّا تعرّض له في حياته السياسيّة والثقافيّة من حرمان واضطهاد وتشريد، لكن ذلك لم يؤثّر على علاقته مع شخصيات كان لها أدوار في ذلك، مشيراً إلى أن تغيير الظروف يستوجب تغيّر المواقف، انطلاقاً من قاعدة يردّدها "**تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان**". وانطلاقاً من هذه النظرة كانت علاقته طيّبة مع العديد من الفرقاء، وحاول إصلاح ذات البيْن أحياناً على المستوى الشخصي أو في الصراعات السياسيّة، خصوصاً حين قرّر منذ من عقود من الزمن تجنّب الانخراط المباشر في السياسة، وإنّما ممارسة السياسة بوسائل ثقافيّة وفكريّة، حيث عمل على تقديم رؤية فكريّة جديدة وخطاب جديد، لخلق وعي جديد، ودائماً ما كان يدعو إلى خلق هذا الوعي ليشمل الدولة العراقيّة، والذي ينبغي أن يتبلور بصيغ قانونية، تأخذ مبادئ المواطنة بنظر الاعتبار لتكون بالصدارة بأركانها الأساسية، والمقصود بذلك الحرّيات والمساواة والعدالة والشراكة والمشاركة في اتخاذ القرار. وهذا هو جوهر كتاباته بشأن الهُويّة وخصوصيّاتها وسُبل التعبير عنها وفقاً لقناعاته بالتعدّدية والتنوّع والحق في الاختلاف، وهو ما تناوله بالبحث والتدقيق في كتابه "**الهويّة والمواطنة - البدائل الملتبسة والحداثة المتعثّرة**"

سادسها- مراجعاته المستمرّة للتجربة الفكريّة، وقد ظلَّ يكرّر: ألّا قيمة لتجربة إلّا بنقدها، وكان يمارس هذا الأمر بكل أريحيّة، مقدّماً نقداً ذاتيّاً شجاعاً لتجربته وإرثه وأفكاره، بالوقوف عند بعض جوانبها، مخطّئاً بعضها، ومشيراً إلى أنّ بعضها الآخر فَقَدَ مبرّراته، فضلاً عن أن العديد من التعاليم والآراء والأفكار تجاوزها الزمن، ومن ذلك الصراعات الحزبيّة، وهو ما توقّف عنده في كتابه "**تحطيم المرايا - في الماركسية والاختلاف**". وحسب وجهة نظره لا يمكن قياس صحّة وصواب أيّة فكرة أو أيديولوجيّة أو تعاليم فلسفيّة أو دينيّة إلّا بالتطبيق والممارسة، فلا غاية شريفة دون وسائل شريفة، وشرف الوسيلة من شرف الغاية، ولا يمكن تحقيق الغايات النبيلة بوسائل خسيسة

مع التجربة الكردستانية

أختتم بالقول إذا كان الدكتور عبد الحسين شعبان معروفاً لديكم كأكاديميّ وكاتب ومفكّر عربي، فهو معروف لدينا كنخبة كرديّة أيضاً، بنشاطه الفكري والعملي لنشر ثقافة حقوق

الإنسـان والتعـاون بين المكوّنـات العراقيّـة. لقـد كان أيضـاً منـاصراً موثوقـاً بـه لـكلّ المكوّنـات العراقيّـة الأخـرى، التـي تعيش في كردسـتان وأجزاء أخرى مـن العراق. وقد شـارك الحركة الثورية الكردسـتانية في جبـال كردسـتان لـفترة طويلة باعتبـاره مثقفاً كبيـراً وداعماً لنضال الأمّـة الكرديّة ضـدّ الدكتاتوريّـة والفاشـيّة. وظـلَّ على اتصـال دائـم بإقليـم كردسـتان منـذ ذلـك الـحين، يقـدّم المقترحـات والأفـكار والمشـاريع التـي تنفـع الشـعب الكـردي، والتـي تقدّرهـا القيـادات الكردية حـقّ تقدير

تأسّـس إقليـم كردسـتان في أواخر عـام 1991 في ظلّ التدخلات الإقليميـة والدولية، وكان بأمسِّ الحاجـة إلى التواصـل مـع المجتمـع العـربي في العـراق وبقيـة البلـدان العربيـة والعـالم بأجمعـه. وكان عبـد الحـسين شـعبان مـن الذيـن يـزورون إقليـم كردسـتان بانتظـام، ويسـاعدون جامعاته ويُلقـون المحـاضرات، ويشـاركون في الفاعليات والأنشـطة الفكريّة والثقافيّـة والإعلاميّة المختلفة، وكان لي شرف تنظيـم بعـض النـدوات والمؤتمـرات التـي حضرهـا المئات من الأشـخاص

وهـو مـن الشـخصيات التـي أثّـرت في تطويـر مبادئ حقـوق الإنسـان والتعاون بيـن المكوّنات العراقيـة. كما حـاول إشراك المثقـفين والأكاديمـيّين والسياسـيّين الأكراد في مؤتمـرات عربية ودولية في الخارج. وكان هو مَنْ اقترح تأسـيس وزارة لحقوق الإنسـان في كردسـتان، تلك التي أخذت بها القيـادة الكرديّـة، ووضَـعَ أسـبابها الموجبـة وأهدافها ووسـائل تحقيق تلـك الأهـداف ومديريّاتها وهيئاتهـا، والعلاقـة بينهـا وبين المجتمع المدني

ترجمة كردية لكتب شعبان

وقـد تُرجمـت كتابـات الدكتـور عبـد الحسين شـعبان، وبخاصة بعـض كتبه إلى اللغـة الكردية، منهـا كتـاب "**فقـه التسـامح في الفكر العـربي الإسلامي - الثقافـة والدولة**"، ولأن كردسـتان قارئة للغـة العربيّـة أيضـاً، فـإنَّ كُتُبـه موجـودة في المكتبـات وبيـوت المثقـفين. لذلـك يمكـن القـول إنّ عبدالحسين شـعبان ليس مناضلاً فحسـب من أجل إنقاذ الشـعب العراقي بشـكل عام والشـعب الكـردي بشـكل خـاص، في فترة غير طبيعيّـة وظالمة، عـاش العراق تحت وطأتهـا لنحو ثلاثة عقود مـن الزمـن، ولكـن أيضـاً في **خلـق الثقافـة المدنيّـة والمعـاصرة** في كردسـتان، وفي هذا الصـدد فهو شـخص محبـوب، وكلّما زار مـدن كردسـتان تلتـفّ حوله النخبة الكردسـتانيّة الأكثر شـهرة وتأثيراً

لعـب الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان دوراً مؤثّـراً في خلـق **ثقافة التفاهـم بين إقليم كردسـتان**

والحكومة العراقية كمثقّف، ويعمل باستمرار على تعزيز الجسر بين إقليم كردستان والحكومة العراقيّة، ويدرك الدكتور شعبان إشكالية الحكم في العراق منذ تأسيسه، من جرّاء عدم الاعتراف بحقوق الشعب الكردي، وازداد الأمر تعقيداً في ظلِّ الدكتاتوريّة والأنظمة المتعاقبة، وحتى مع الحصول على بعض الحقوق، فإن حالة حرب ضدّ الشعب الكردي ظلَّت قائمة، فقد تعرّض الكرد إلى عمليات تعريب وحرب إبادة وجرائم ضدّ الإنسانية، كما حصل في عمليات الأنفال وحلبجة في الثمانينيّات

ويبدو أن الدكتور شعبان يفهم هذا الجرح الذي يعود إلى قرن من الزمان جيّداً، لذا فهو يحاول خلق ثقافة مفادها، أنّ هاتين الأُمّتين تستطيعان التغلب على التاريخ الدموي والمؤلم داخل دولة فيدراليّة، يتعاون فيها الشعبان كي يصبح العراق عراقاً اتحادياً متنوّعاً، يتمتّع الجميع فيه بمواطنة متكافئة ومتساوية، وهو ما حاول شرحه في مناظرته مع سيّد **أحمد الحسني البغدادي** في كتابه "**دين العقل وفقه الواقع**"

دور المثقّف

لذلك أفهم دور المثقف المؤثّر في حياة مجتمعه، مثل شعبان، الذي يسعى إلى طرح الأسئلة وإثارة النقاش حول القضايا الإشكالية وتقديم رؤى وتصوّرات في البحث عن الحلول، وليس الجلوس في الصومعات أو المراكز الوظيفية، والتعالي على الهموم الشعبية، وهو ما يرفضه شعبان، لذلك عُدّ من أكثر المثقفين تأثيراً في العراق، عرباً وأكراداً، لا يبحث عن مغنم شخصي أو مكسب خاص، وإنما هدفه الخدمة العامة والإخلاص لمثله وقيمه.

وأخيراً، عندما أرى الدكتور عبد الحسين شعبان، أشعر دائماً بالفخر لمعرفتي به، التي تعود إلى ثمانينيّات القرن الماضي كما أشرت، عندما تحمّل الكثير من الألم والمعاناة إلى جانب البيشمركة في جبال قنديل في كردستان العراق

تحية للجهة المنظمة لهذا التكريم المستَحق، ولاسيّما الدكتورة سعاد الصباح، وتمنياتنا بطول العمر للصديق د.شعبان، وإلى المزيد من التألّق والإبداع والصحّة

الإنسان والمفكر

سعاد العلس[1]

1- أديبة وكاتبة يمنية.

حين تـمّ اختيـاري للكتابـة عن هذا السـامق، اجتاحتني ربكـة البدايات الصعبة، التي لا تشـبه كل البدايـات، مـاذا أكتـب؟ ومـن أيـن أبـدأ؟ وخلافـاً عـن كل الكتابـات، هـذه تحديـداً لا طـرف يلـوّح بنهايتها

صدقـاً الكتابـة عنـه مرهقـة ومؤرقـة، مرهقـة في تتبـع غـزارة إنتاجـه ونضاله على كافـة الأطر، ولاسـيّما تلـك المتعلّقـة بحقوق الإنسـان، هـذا الباب الذي سُـدّ بإحكام عن وعـي وإصرار في وجه الإنسـان، فـكان شـعبان هـو اليـد التـي لا تكلّ عـن الطَّرْق، عـلّ أحد الأبـواب الـصمّاء يُفتح ذات انفراج

ومؤرقـة مـن حيـث الوقـوف في وجـه هـذا الفيـض في محاولـة للسـيطرة على اتجاهاتـه، لـذا آثـرت الكتابـة عنـه مـن خلال تجربتـي في العمـل معه، مـن حيث اشـتغاله بكتابـة مقدمة كتابي عـن الـدور التنويـري والوطنـي لنسـاء عدن.

بـاذخ ذاك الوقـت الـذي قـادني إليـه لأعـرض عليـه فكـرة كتابي «نسـاء عـدن تنويـر وتحرير»، الـذي كنـت قـد شرعـت في إعـداده عـن دور المـرأة في عـدن إبـان الاحـتلال البريطـاني (1839م /1967م) تنويـراً وتحريـراً، الـدور الذي لم تسـبق الكتابة عنـه والتطرق إليـه ونشره، فظلّ حبيس الذاكـرة لـكل مـن عـاصر تلك الـفترة، وبالتالي أسـدلت سـتائر العتمـة على هذا التاريـخ المتوهج. جملـة مـن الصعوبـات كانـت تعترضنـي، منها عـدم وجـود وثائق أو كتـب مرجعيـة لتوثيق دور المـرأة، فـكان اللجـوء إلى المنهـج الشـفوي هو السـبيل الـذي سـلكته في الكتابة مـن خلال لقاءاتي بالمنـاضلات أنفسـهن وقياداتهن.

وللولـوج في هـذا الخـط الشـائك، كان عليّ البحـث عـن رمـوز عاشـت هـذه الفترة، وصـولاً إلى مـا بعـد مرحلـة الاسـتقلال، التي شـهدت فيه عـدن انفتاحـاً على التجربـة الاشتراكيـة التي كانت تمـوج فيهـا آنئـذ، وكان اسـم د.عبـد الحسين شـعبان في مقدمتهم، هـذا الرجل (الكـثير) والمهموم بالحـق الإنسـاني المطلق

اسـتوقفني الاسـم لـكثرة مـا تـردّد أمامي من خلال ما شـاهدت له من لقاءات شـتى، تراوحت بين اشـتغاله على الكتابـة عـن رمـوز أدبيـة وسياسـية واجتماعية، وأخـص تحديداً لقـاءات الضدّ،

تلـك التـي تتطلّـب سياسـة النفـس الطويـل الذي تسِـمَهُ، الأمـر الذي يسترعـي الانتبـاه إليه حين التحـدث معه

كان بالنسـبة لي أمـر غـالى في صعوبتـه مـن حيـث اقتناعـي بالمجازفـة بالتواصـل معـه وعـرض فكـرة الكتـاب واختيـار مـن يكتـب التقديـم لـه، في وقـت انطفـأ فيـه بريـق (عـدن) الحاضنـة للتجربـة الاشتراكيـة، أو كما أسماهـا الشـاعر الكـبير سـعدي يوسـف بـ»عاصمـة الأمـل العـربي»، لكـن فكـرة الكتابـة عـن دور المـرأة في التحريـر من الاسـتعمار البريطـاني بحدّ ذاته أمـر محفوف بالصعـب، فليكـن التواصـل مـع د.شـعبان فاتحتـه، و«فـاز باللـذة الجسـور»

حين يكـون الحديـث عفويـاً غير مكبـل بقيـود الديباجية وفواصـل الضبط ونقـاط الفصل، ولا يلـوّح أحـد طـرفي الحديـث بهـراوات المنـع أو كوابـح الـكلام تنسـاب الـكلمات ببسـاطة وعذوبة مما يسـهل إقصـاء الصعـب، هكـذا كان الحديـث معـه من المـرة الأولى.

وجـدت نـفسي أتحـدث إليه ببسـاطة عن صعوبـات الكتابة في هذا الشـأن في وسـطٍ خالٍ من أي توثيـق أو دراسـات تتعلـق بتاريـخ الثـورة إجمالاً، ناهيـك عن دور المرأة في النضـال الميداني في فترة انـدلاع الثـورة.. واتخاذي منهج التاريخ الشـفوي سـبيلاً لتسـجيل شـهادة المناضلات.

مـن هـذه النقطـة تحديداً اسـتيقظت أحلام هذا الثائـر، الذي كان شـاهداً على قطوف النضال في دولـة عربيـة اشتراكية اسـتقطبت كل حـركات التحرر العربية

كان بصدق مشجعاً لي على مواصلة الكتابة، رغم العديد من الصعوبات التي واجهتها، لكن قبوله كتابة مقدمة الكتاب، أمدّني بقوة خارقة كي أضاعف همتي لأنتج كتاباً، هو المرجعية الأولى لتاريخ الكفاح النسوي ببصمة الثائر والحقوقي والمفكر د.عبد الحسين شعبان على مقدمته.

كان حماسـه لكتابـة المقدمـة قـد جاء كجـزء لا ينفصم عن اهتمامه بالدفاع عـن المرأة بالمطلق وصـولاً إلى منحها حياة متسـاوية مـع الرجل خالية من أشـكال النقص والتهميش

يملـك د.شـعبان مقـدرة على جعـل الأمـور الصعبـة أكثر مرونـة واحـتمالاً، وهـذا مـا لمسـته حيـنما أسررت إليـه بمخـاوفي في الكتابـة بالأسـلوب الأدبي الـذي اعتـدت الكتابـة بـه، فأجابنـي: فليكـن تجربـة جديـدة وخروجـاً عـن النمطيـة، وفوجئـت بـه يـشير إلى ذلـك في مطلـع مقدمته للكتـاب «بلغـة أنيقـة وقلم يسـيل منـه حبر الأديب تبدأ الكاتبـة اليمنية سـعاد العلس مشروعها

البحثي.. إلخ»، وكأنما كانت هذه العبارة بالنسبة له صكّاً يشرعن لي الكتابة بالتعبير غير المقيد بطبيعة الكتاب

الصعوبة الأخرى التي كانت تؤرقني هي منهج الكتابة، هل سيتقبل القارئ أن يكون المرجع ذاكرة شفوية قابلة للمحو السريع؟ فإذا به يجيبني بوصفة الحوارات التي تمّت مع المناضلات «بالعمل البانورامي»، ووصفه الكتاب بأنه «أول بحث شامل وجاد لتاريخ الحركة النسائية بفسيفسائها الاجتماعية وموزائيكتها الثقافية»

وأسمى هذا التاريخ النسوي «بالتاريخ المهمل أو المسكوت عنه والنظر إليه كجزء مكمل في أكثر الأحيان».

وهنا يبرز دور د.شعبان الحقوقي المدافع عن الحق الإنساني والمرأة في صدارته، حيث تزدحم كتاباته ولقاءاته بالحديث عن الدفاع عن حق المرأة وحمايتها من العنف والتهميش، كل هذا وجدته في سطور ما خطّه في المقدمة.

ملمح آخر لم يغفله -وهو المعايش للتجربة الاشتراكية في جنوب اليمن- هو إشادته «بقانون الأسرة والأحوال الشخصية»، الذي صدر في شهر يناير 1974م، الهمّ الذي اشتغل عليه د.شعبان في معظم كتاباته ومطالباته بتحقيقه، وهو منح المساواة للمرأة عبر تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحمّل أعباء الحياة، ونفذ د.شعبان إلى عمق قانون الأسرة وتفصيلاته وأشاد به باعتباره من القوانين المتقدمة عربياً، حيث كانت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية من أوائل الدول العربية التي وقّعت على الاتفاقية الدولية لإلغاء كافة أشكال التميّز ضد المرأة، وهي المعروفة باتفاقية سيداو 1979م

ولم يتوقف في تناوله لمزايا قانون الأسرة على النواحي الدستورية والقانونية، بل كشف أيضاً عن اتخاذه جوانب عملانية ومجتمعية من خلال المنظمات الشعبية والإدارية الحكومية

حقاً تغلغل في تناوله لقانون الأسرة بكونه الحلم الذي أضحى سراباً اليوم، لكن المتتبعَ للنشاط الكتابي والميداني الأكاديمي لـ د.شعبان سيجد أن للمرأة ازدحاماً في أطروحاته، وخصوصاً تلك التي تحمل صبغة حقوقية وقانونية ونضالية، نجده يغرز قلمه في موطن الخلل في

القانـون، مسـتعرضاً آثـاره السـلبية على البنيـة المجتمعيـة وعلى وضعية المرأة بدرجـة أولى، ذلك الكائـن المزدحـم بالشـقاء الإنسـاني والكينونـة بلا معنى

لمسـت ذلـك مـن خلال تحمّسـه وتشـجيعه لي لإكمال بحثـي والكشـف عـن موقـع النسـاء في الحركـة الوطنيـة عبر كتـاب يحفـظ هـذا الـدور الوطنـي كمرجـع مكتـوب، عوضاً عـن حفظه في ذاكـرة قابلة للنسـيان

كانت مقدمته للكتاب تحتوي على 10 صفحات، شـملت كل نقطة تناولها بالطرح المسـتفيض، لم يترك شـاردة ولا واردة إلا وتناولهـا بالفحـص والتمحيـص، وهو المعايش لفترة ما بعد الاسـتقلال، خلتـه لايـزال هنـاك في عدن لم يبارحهـا، وما يزال يرعى الحلم العربي بسـقيا حرفه المضيء.

لم ينتـه دوره حـدّ كتابـة المقدمـة، بـل رافقنـي في يـوم الإشـهار 15 فبرايـر 2023م في حضـور افتراضي عبر برنامـج زووم مـن بريطانيـا، شـارك فيـه بإلقـاء كلمـة كانـت فاتحـة الإشـهار، وهـذه دلالـة على اهتمامـه بـسيرورة الكتاب والبيئة المحيطة بحرفه شـخصياً، والكشـف عـن دور لعبته المـرأة في النضـال الميـداني، مطالبـة برحيـل الاسـتعمار وتحقيق الاسـتقلال.

وقـد كان، صدقـاً، عرسـاً ثقافيـاً، مازلـت أختـال بزهـو نشـوة نهايتـه حـدّ اللحظة، ومـا ظننته اختيـالاً بفـرح النهايـات، مـا كان إلا بـدء مشروع ثقافي في مسـاراتي القرائية بأبعـاده المختلفة على المسـتوى الاجتماعـي والسـياسي والثقـافي، حيث حرص د.شـعبان، مشـكوراً، على إحاطتي بمقالاته ولقاءاتـه التـي عـززت مـن توسـيع قـراءتي بموضوعات تهتم بانتشـال المـرأة من واقـع متدنٍّ.

وأكثر مـا يلفـت النظـر في أطروحاتـه، ربطهـا بقـوانين وتشريعـات وقـرارات دوليـة تسـيّج النسـاء وتحميهـن مـن الظلـم والتعنيـف والسـبي كظاهرة جديـدة جاءت على ظهر مسـتجدات ضاعفـت مـن معانـاة النسـاء، أفرد لها د.شـعبان العديد من المقـالات والمحـاضرات، كلها لا تخلو مـن الأمـل بيـوم تتحرر فيـه المرأة من كافة أشـكال الظلم، بيـد أن صناعة القـرارات والتشريعات المدنيـة التـي تكفـل للمـرأة حيـاة كريمة جلّهـا صناعات دوليـة، بينهـا وبين بلداننـا النامية فجوة يصعـب ملؤهـا في الوقـت الراهـن، حيث تشـهد معظم الـبلاد العربيـة تدهوراً ملحوظـاً لا يؤمل تحسنه

كنـت قـد قـرأت في أحـد مقالاتـه عـن قانـون الأحـوال الشـخصية في العـراق (القانـون 188

لعـام 1959 في فترة حكـم الرئيـس عبدالكريـم قاسـم)، الـذي ينـصّ على منـح المرأة كافـة الفرص المتسـاوية مـع الرجل، وأنصـف المرأة في تناوله لقضايا الزواج والـطلاق والحضانة والإرث وتحديد سـن الـزواج بــ18 سـنة، وبهذا يكـون القانـون 188 متماشـياً مـع المادة الثانية في اتفاقية سـيداو 1979م، كما أشـار لذلـك في مقالـه الموسـوم بـ»حقـوق المـرأة والـخلاف في الجوهر»

وتجـري اليـوم محـاولات لإلغائـه أو تسـويفه (القانـون 188)، حيـث تتعالى أصـوات المعارضين لـه، كما سـقط قانـون الأسرة اليمنـي بفعـل التـغيرات السياسـية، وآلـت بلداننا إلى وضع يؤسـف عليه .

لا أجـد أفضـل مـن اختتـام كلمتي عنه خيراً مـن قوله في خاتمة المقدمـة: «إن الهدف من عرض صـورة الماضي ليـس اسـتعادة تلك الصور بقـدر ما هو تجاوزها للحاضر تفكيراً بالمسـتقبل»

نموذج المفكر الراقي.. نموذج الفكر النشط

سمير الحباشنة[1]

1- مهندس ووزير داخلية ووزير ثقافة سابق – عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية.

الدكتور عبد الحسين شعبان صديق كبير لي، لذا فإن شهادتي به سوف تحمل بعض الانحياز، مع تأكيدي بأنه انحياز موضوعي ومحاولة لإعطاء الرجل حقه في عالم الفكر والمعرفة، ذلك العالم الذي يحلق به منذ عقود، حتى طاول مكانة أرفع المفكرين المعاصرين، على الصعيدين العربي والإنساني

إن ميزة فكر عبد الحسين شعبان بأنه فكر تتماهى به العناوين النظرية مع إمكانات تطبيقها وتحقّقها واستجابتها لمتطلبات الواقع العربي، فهو فكر حي نشط متحرّك له أرجل وأيدٍ، فكر لديه قابلية لأن تتولد منه اشتقاقات عملية، قادرة على الارتقاء بالحالة العربية، من حال إلى حال أرقى وأفضل، على المستويين القومي والقطري سواء بسواء

عرفت الرجل منذ ما يزيد على عقدين من الزمن، وطوال تلك الفترة وحتى الآن ونحن في حالة من الاشتباك الفكري والسياسي الحميد. وأستطيع القول ومن تجربتي تلك، فإن فكر شعبان يمتلك أساسات مبدئيّة ثابتة وقويّة، إلّا أنه، وفي ذات الوقت، فكر متجدّد ومتطوّر، لم يتوقف عند مرحلة سياسية ماضوية أو فكرية ما، مثل الكثيرين من المفكرين والسياسيين المعاصرين، الذين توقفت حياتهم عند مرحلة تاريخية معينة، سمتها الانحياز الأعمى إلى مرحلة يمثلها رجل ما أو تنظيم سياسي بعينه. وبالتالي فإن كل واحد من هؤلاء حبس نفسه طوعاً داخل "صَدَفة"، صدفة بلا أوكسيجين، حيث توقف العالم لديه وأصبح "أسير الصَدَفة هذه"، لا يرى ولا يسمع شيئاً من يوميات الحياة الراهنة، مثله مثل سجين وضع بالانفرادي منذ عقود طويلة، فانقطع عن العالم تماماً، ولا يزال في زنزانته يعيش ذكريات الماضي بكل تفاصيلها وكأنها هي الحاضر!! فـ"أسير الصدفة" ليس له حاضر، وبالتالي فإن مساهمته باستشراف المستقبل تكون معدومة

وفي ذات السياق فإن الدكتور شعبان يتميّز عن الكثير من السياسيين، ممن انتموا إلى الحركة القومية أو اليسارية أو الإسلامية بتفرعاتها المتعدّدة، هؤلاء مازالوا في جدل بيزنطي لا ينتهي..! كل واحد منهم متمترس في بقعه معينة، يدافع عن مرحلته التليدة، مع أن تلك المرحلة السياسية قد انتهت فعلياً "بعُجَرها وبُجَرها"، ورموزها جميعهم في ذمة الله، وهي الآن ملك للباحثين ليتوغلوا فيها ويتمعّنوا بتفاصيلها، عسى أن يقدّموا تقييماً موضوعياً

تستفيد منه الأجيال القادمة لتتجنب النواقص والهنات وتستثمر الإيجابيات والنجاحات. وإن ميزة عبد الحسين شعبان عن هؤلاء أن أدواتهم للقياس قديمة، أما أدواته فهي معاصرة ومتجدّدة، تحاكي العصر ومتطلباته، تماماً مثل الفرق بين من يصرّ على الحصاد بالمنجل، في زمن التطور العلمي والآلات الحديثة

مدرسة فكرية رشيقة

الدكتور شعبان من مدرسة فكرية رشيقة وعملية، تضع تلك المحطّات التاريخية وأنظمتها السياسية ورموزها في مكانها الطبيعي، وتعطيها قدرها الذي تستحقه، فهو يعاينها بفكر متّقد نقدي ثاقب وموضوعي، ليعطيها ما لها وما عليها من نجاح وإخفاق، بما يمتلكه من قدرة على رصد الفكر القومي واليساري، واللحظة الفارقة التي شهدت انحرافه أو تحريفه. وهذا ما يضع فكر الدكتور شعبان وكل من يحذو حذوه في مكانة مثمرة ومطلوبة بإلحاح، لإمكانية وضع معالجات بنّاءة للحالة العربية بهدف البناء عليها لمستقبل أفضل.

إن الدكتور شعبان ممن يؤمنون بالفكرة الأصل وسلامة مقاصدها دون التخلي عنها، لكنه يبحث عن إمكانيات جديدة لإحيائها لكي تصبح عملية وواقعية وقادرة على إحداث التغيير المنشود، وذلك وفق فهم دقيق للحظة الراهنة، وكذلك مراجعة أسباب إخفاق تلك الفكرة، والبحث عن سبل خروجها من مأزقها المركّب، الفكري والاقتصادي والاجتماعي المتراكم، عبر عقود مضت تفصلنا عن مرحلة الاستقلالات الوطنية للأقطار العربية

هارموني الروحانية واليسار

كنت والدكتور عبد الحسين شعبان مؤخراً، ضمن وفد مجموعة السلام العربي بزيارة إلى النجف الأشرف على هامش مشاركة الوفد في ملتقى حول علاقة العرب بالأكراد، وضمّ الوفد **د.مريم الصادق المهدي**، وزيرة خارجية السودان سابقاً والأستاذ **عاطف المغاوري**، النائب في البرلمان المصري ونائب رئيس حزب التجمّع الوطني الوحدوي التقدّمي.

ومدينة النجف الأشرف هي الحاضنة الأولى للطفولة والتكوين الأولي لشخصية الدكتور شعبان، حيث وقفنا عند قبر جدّه الشيخ جابر شعبان، الذي يقع عند مدخل مرقد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد علمت من هذه الزيارة أن عائلة الدكتور شعبان

تسلمت سدانة مرقد الإمام علي لأكثر من أربعمئة عام، ولَكم أن تتخيلوا المناخ الروحي المرهف الذي ولد فيه صاحبنا وترعرع.

وإلى جانب تلك الحالة الروحية وبخط موازٍ فإن "النجف" في فترة الخمسينيات والستينيات كانت إحدى المراكز المهمة للحركة اليسارية، وبالتالي نشأ الرجل بين هاتين المتضادتين؛ **الإيمان بأعلى درجاته** وقدسية المكان وتراجيدية النجف وكربلاء، و**الفكر اليساري** بفلسفته التي تقف على الجانب الآخر

ومع ذلك فإن هاتين المتضادتين لم تخلقا تنازعاً في شخصية الدكتور شعبان، ولم يكن في طرف في مواجهة الطرف الآخر، وأخذ الدكتور شعبان من الأولى **البعد الروحي للنجف الأشرف:** الأخلاق الرفيعة والصدق والكياسة، حتى يبدو هذا الرجل بمسلكيته العادية، وكأنه قد تمّت تربيته وفق برنامج كومبيوتر محسوب "بالميللي على مقياس الأخلاق"، وأخذ من الأخرى أي **الفكرة اليسارية، تفكيراً نشطاً نقدياً جدلياً**، ليس الجدل بمعنى السفسطة، إنما الجدل الذي يقوم على إعادة الأشياء إلى أصلها، وبالتالي إعادة بنائها وفق ما يخدم اللحظة الراهنة ببعدها المستقبلي

إنه شخص أخذ من محيطه أفضله، ولم يكن مآله في خضم هذا التضاد الفكري الحاد، أن ينحاز إلى جهة ويصبح عدواً أو رافضاً للجهة الأخرى. وهذه ميزة الدكتور شعبان، الذي حمل في روحه وسلوكه السمات الحميدة للإيمان إلى جانب عقل منفتح غير قابل للانغلاق

إنها ثنائية الأخلاق إلى أقصى مداها إلى جانب الإبداع المتجدّد الذي لا يتوقف. وهكذا فإن خطوط اتصاله مع الآخر مفتوحة مهما تباينت القناعات، فتراه يتحدّث مع اليساريين ومع القوميين ومع رجال الدين بإيجابية، واحترام قناعات الآخر دون الاستهانة أو التجريح بها، بل السعي إلى تصويبها ما أمكن، من خلال البحث الدائم عن إمكانية إيجاد قواسم مشتركة معه

البحث عن المشترك الإنساني

شعبان من الشخصيات التي تراكم نقاط اللقاء مع الآخر بغضّ النظر عن خلفيته أو حتى مدى تطرّفه، وتحاول بالمقابل إبعاد نقاط الخلاف أو تهميشها أو تأجيل البت فيها، كي لا تؤثر

على مبـدأ اللقـاء وافتراش أرضية مشتركة للعمل.

وهـذا مـا ألمسـه في مجموعة الـسلام العربي، فنحـن مجموعة من الشـخصيات "نسـاءً ورجالاً" جئنـا مـن خلفيـات فكريـة متباينـة، وأحياناً متعارضـة، ومع ذلك فـإن الدكتور شـعبان من فريق يسـعى إلى تغليب الهدف، وتحشـيد القدرات لخدمته، دون أن تؤثر عليه الاختلافات البينية بين أعضـاء المجمـوع، وكنـا ومازلنـا في مجموعـة الـسلام العربي نسـعى إلى بلـورة مبادرات من شـأنها حفـز النُّخـب العربيـة على أن تغـادر صفـوف المتفـرجين، وتنخـرط في ميدان العمـل، وتحاول أن تضـع كتفـاً في محـاولات حل إشـكالياتنا في أقطارنا العربية التـي ابتليت بالحـروب والدمار، الأمر الـذي فسـح المجـال لمشـاريع إقليميـة ودوليـة أن تتدخّـل فيهـا لتزيد مـن عمق الأزمـة وتصعّب من إمكانيـات حلها

إن مجموعـة الـسلام العـربي، والتـي يُعـتبر الدكتـور شـعبان مـن أبـرز واضعـي دليلهـا النظري وصياغـة مبادراتهـا، إنمـا تسـعى إلى إطفاء نيران تلـك الحروب، وبث روح الإخـاء والمصالحة محل روح الكراهيـة والعـداء، تلـك التي سـادت في اليمن وسـورية وليبيا والسـودان والصومال وغيرها. والسـعي لمحاولـة لملمـة أطـراف معادلاتهـا السياسـية المؤثـرة، في كل بلـد وفـق مشروع وطنـي تشـاركي يتّسـع للجميـع، ويعيـد الأمـن والـسلام إلى هـذه الأقطار، لتسـتأنف مسيرتها مـع التقدم والتنميـة، بحيـث تشـكل، وفي مرحلـة لاحقـة، مجموعة هـذه المشـاريع الوطنية، مشروعـاً عربياً إنسـانياً ديمقراطيـاً واحـداً، يسـتطيع ملء الفـراغ في السـاحة العربية

لقـد أصبـح الوطـن العـربي اليوم، ومع الأسـف الشـديد، مسرحاً للتنـازع بين مشـاريع إقليمية، فهنـاك مشروع إيـراني وآخـر تركي، وبالطبع فإن المشروع الأخطر هو **المشروع التوسّـعي الصهيوني المعـادي**، إضافـة إلى مشـاريع القـوى العظمـى مثـل **أمريـكا** و**روسـيا** وغيرهـا، وهـذه المشـاريع تتصـارع على امتـداد وطننـا، بعضهـا يطمـع لقضـم قطعـة أرض من هـذا الوطن أو سرقـة مياهه أو احتلالـه أو السـيطرة على ثرواتـه، إمـا بالهيمنـة العسـكرية المبـاشرة أو الهيمنـة الاقتصادية أو السـيادية أو الثقافيـة، فالوطـن العـربي اليـوم وجماهيره وقـواه كلهـم في صفوف المتفـرجين، وإذا مـا وصـل الصراع بين هـذه المشـاريع الإقليميـة والدوليـة إلى مسـتوى الاحتراب، فـإن الـدم الـذي يسـيل مع الأسـف هـو الـدم العربي

كنـا كما ذكـرت في بغـداد في ملتقـى علاقـة العـرب والأكـراد، هذه العلاقـة غير المسـتقرة، رغم

ما تحتوي من صفحات تاريخية مشرقة، فإنها في واقعنا المعاصر علاقة متأزّمة مليئة بمحطات الاحتراب والشك، ما بين السلطة المركزية في بغداد وإقليم كردستان، وذات الحال علاقة الأكراد بالدولة السورية. وإن هذا الملتقى الذي صممه الدكتور شعبان، وإذا ما أخذ صفة الديمومة، قد يشكل واحدة من أدوات ترتيب علاقة العرب والأكراد، وإعادة الثقة بين الأمتين الشقيقتين التوءمين، ذلك أن الثقة هي الأساس في أي علاقة مرشحة لأن يُكتب لها النجاح.

النخب العراقية والعربية

لقد لمست في هذا الملتقى تلك المكانة الخاصة للدكتور شعبان في الحياة العراقية، وما يتمتّع به الرجل من احترام، سواءً في أوساط النخب العربية والكردية أو حتى الناس العاديين الذين قابلونا في شوارع بغداد والنجف وكربلاء، وبعضهم أناس لم يلتقوا الدكتور عبدالحسين شعبان، لكنهم قرؤوا له أو سمعوا عنه أو شاهدوه على المحطات التلفزيونية، وكان الجميع يشيدون بالرجل على أساس أنه من الأشخاص الذين يُراهَن عليهم لإعادة الألق والوحدة للشعب العراقي، وهو نفس الاحترام للدكتور شعبان في عمّان وبيروت والقاهرة وبقية أقطار الوطن العربي، فالرجل شخصية مطمئنة، وهو من طراز الشخصيات التي نحتاجها في حياتنا العربية، في هذا الزمن الصعب

كتب الدكتور عبد الحسين شعبان ما يزيد على ثمانين كتاباً، وكان لي الشرف بالتعقيب على ثلاثة منها، فالقاسم المشترك في نتاجه الفكري، هو الانفتاح على الآخر ومحاولة الوصول معه إلى قواسم مشتركة، وإعلاء قيم حقوق الإنسان، وترسيخ الديمقراطية الحقيقية التي قوامها العدل والمساواة، وتعزيز المواطنة كأساس لنجاح الدولة واستمرارها وتقدمها، واحترام الأعراق والأديان والمذاهب والطوائف والاعتراف بها جميعاً، دون التدخل في تفاصيل معتقداتها أو التأثير فيها. كذلك أن تكون الكينونات الثقافية التي تعيش بين ظهرانينا مثل الأكراد والأمازيغ والسودانيين من غير العرب، هم على قدم المساواة، لا تمييز بينهم ولا عليهم.

إن التحدي الأكبر أمام الأمة العربية ونخبها، هو ما يحوز على جانب من المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها الدكتور شعبان، هو تحويل الاختلاف إلى تنوّع بدلاً من عداء، فالاختلاف إذا ما اتّسم بالتعصّب يصبح سلبياً، وقد يقود إلى الكراهية والتمييز بين الناس وفقاً لدينهم أو عرقهم أو مناطقهم، وينجم عنه مناخ مساعد لكي يتحول إلى عنف وصراعات دموية.

وعلى الجانب الآخر فإن التنوع إيجابي، يحول الاختلافات إلى طاقة إيجابية في المجتمع، وينهي أي إمكانية للنزاعات بأشكالها. وانطلاقاً من هذا فإن عبد الحسين شعبان يدعو العرب إلى "**ويستفاليا عربية**"، وهم في أشدّ الحاجة إليها، ولعلّ بلادنا العربية، في أغلب أقطارها، تعيش بحالة شبيهة بتلك التي حصلت في أوروبا، والتي تم وضع حدّ لها بالاتفاق على **صلح أو اتفاقية ويستفاليا**، فأوقفت الحروب الطائفية الدموية، وأعلت من مكانة المواطنة واحترام العقائد وحق ممارسة الشعائر بحريّة، وهكذا نشأت القاعدة التي تأسست عليها النهضة الأوروبية.

وفي ختام هذه الورقة فإن ضيفنا هو من مدرسة تحاول إعادة توظيف الفكر وإحيائه ليحاكي مصلحة الناس، بوضع اليد على نبضهم، للتعرف على احتياجاتهم. وهذا ما أهّل الدكتور عبد الحسين شعبان لأن يضع مشتقات نظرية فعّالة في خدمة المجتمع العربي بأقطاره كافة. وللرجل تصوره لموضوع وحدة العرب، ليس تلك الوحدة التي تقوم على العواطف أو التي قامت في السابق على عجل وفق حسابات الربح والخسارة لهذا التنظيم أو ذاك، بل الوحدة التي تهدف إلى تحقيق مصلحة العرب جميعاً بعيداً عن هيمنة بلد عربي على آخر.

مدرسة جديدة

وبعد، فإن عبد الحسين شعبان يؤسس مدرسة فكرية قوامها المصالحة بين الأصالة والمعاصرة، وذات أبعاد إنسانية أساسها الديمقراطية وعناصرها التي ذكرناها، والاعتراف بالآخر وقبوله وتأسيس حالة عربية من شأنها تجسير أقطارنا بعضها ببعض، وتوظيف إمكانياتها لما فيه خير الجميع، وإبعاد عناصر الشك والتوجس بين العرب على قاعدة احترام خيارات كل شعب عربي داخل بلده. إن من شأن ذلك أن يبعد عنا شبح الوقوع مرة ثانية في إخفاقات المشاريع الوحدوية العربية السابقة.

أدعو للدكتور عبد الحسين شعبان بطول العمر والعطاء الدائم، ليبقى من حملة شعلة الفكر العربي البنّاء ليضيء القناديل التي يستفيد منها من يتسلّم المسؤولية في الوطن العربي

وأشكر **الأستاذة الشاعرة المرموقة سعاد الصباح** على هذه المبادرة بتكريم شخصية فكرية تضيف للفكر العربي لبنات مثمرة، منوهاً بالبصمات الإبداعية المتميّزة للدكتورة الصباح في الأدب والشعر العربي، وهو ما نفخر به جميعاً

أرادنا نسخة أفضل من أنفسنا

سنا شعبان[1]

1- ابنة المحتفى به - شاعرة وكاتبة - لندن/الرياض.

منـذ أن كنـت طفلـةً، كان والـدي دائمـاً ما يحثّنـي على القراءة، ومـن خلالها علّمني الشـجاعة والمغامـرة والشِّـعر والتاريـخ والتعاطـف والإلهـام. توسّـع افتتاننـا بالكُتـب مـع مكتبتنـا الكـبيرة، وعندمـا كبرت أنـا وأختـي سوسـن قلـيلاً، كان هنـاك درس علينـا أن نتعلّمـه مـع كلّ كتاب جديد اقتنينـاه، حيـث تـم التوصّـل إلى اتفـاق مـع الوالـد الذي أصبـح بالنسـبة لنا **عبد الحسين شـعبان أو د.شـعبان** كما هـو معـروف، مقابـل كل كتـاب اشتريناه كان من المفترض منّـا أن نكتب ملخصاً عنـه لنظهـر لوالـدي مـا تعلّمنـاه منـه أو ما اسـتمتعنا بـه، أو مـا لم يعجبنا فيه

كان والدنا دائماً ما يتحدّانا لنكون نسـخة أفضل من أنفسـنا، وذلك بتعليمنا تحمّل المسـؤولية وتقديـم الاحترام والتعامـل بدبلوماسـيّة وإنسـانيّة منـذ الصغـر. كان تعليمنـا مهماً للغايـة، وأوّل شيء أن نسـعى جاهديـن لفهْـم الآخريـن بـكل مـا تحمـل هـذه الكلمـة مـن معنى؛ ومـن وجهة نظرنـا، لتنميـة الشـعور بالتعاطـف والتضامـن معهـم، بمـا يمنحنـا القـوة وينمّـي فينـا الجانـب الإنسـاني، وذلـك عبر الاحترام المتبادل.

ولا يـزال يلهمنـا حتـى اليـوم، بقدرتـه الفائقـة على الـسير في هـذا الطريـق الذي اختـاره ومن خلال تأليـف الكتـب والتعليـم والتعلّم المسـتمر، فعقله مازال يشـعّ ويتدفّق، وقوّة ذاكرته أشـبه بموسـوعة تاريخيّة

وفـيما يلي سـأتناول جوانـب مختلفـة من شـخصية عبد الحسين شـعبان، ليس باعتبـاره والدي وحسـب، بـل كمثقّـف يفيض معرفة وإنسـانية، عبر هذه الـكلمات المختصرة

كلمـة عـن الإصرار والانضبـاط: يتمتّـع والدي بقوة كـبيرة وانضباط عال، حيث يبـدأ يوم عمله في تمام السـاعة السـابعة صباحاً، ويكتب حتى المسـاء. إصراره ومثابرته يغذّيان تركيزه، مما يتيح لـه الوصـول إلى أهدافـه وغاياتـه. فـإذا كان غارقـاً في أفـكاره، فإنّه سـيطلب منّي الانتظار بإشـارة معيّنـة مـن يـده (أفهمهـا أنـا وأختـي أنَّ علينـا عـدم الـكلام معـه) حتـى ينتهـي، ثـم ينظـر إلينا بابتسـامة أقـرب إلى الاعتذار عـن انتظارنا

كلمـة عـن الفضـول: دائمـاً مـا يقـوم بتغذيـة مخـزون مفرداتـه في اللغـة الإنجليزيـة بشـكل ثابـت، حيـث يكـرر الكلمـة لعـدّة أيـام مـن أجل حفظهـا، ويسـتمتع بالتحـدي المتمثـل في تعلّم

مصطلحات ونظريات وممارسات جديدة، ويطلب منّي باستمرار أن أختبره بذلك وأن أبقي عقله نشطاً باسترجاع ما اكتسبه من معلومات

كلمة عن الصبر: عندما يكتب، يكون لديه دافع للتفاني فيما يعمل. إنه دقيق في بحثه، ولا يتسرّع في إصدار الأحكام بما توصّل إليه، بل يعود مرّات ومرّات للتأكد من دقّة المعلومات وصحّتها، أو في تدقيق قواعد الكتابة (اللغة). ويأخذ وقته للتأكد من صحّتها، ويقوم بالتعديلات والتصحيحات، حتى يصل إلى الكمال. كأب، أظهر دائماً حماساً للأبوة وللقيام بالأنشطة العائلية، وغرس الشعور بالبهجة والالتزام في الحياة الأسرية. لقد أظهر صبراً في توجيهنا ورعايتنا، مدركاً أن النمو والتطور يستغرقان وقتاً

كلمة عن الصمود: واجه في عمله عدة عوائق وتعقيدات في الحصول على مراجع معينة، لكنه لم يستسلم. لقد بحث لأكثر من 30 عاماً لإكمال أحد أبحاثه، وفي حالة أخرى أمضى ربع قرن في إجراء المقابلات، وجمع الأبحاث بشكل مكثف لتجميع كتاب، حتى يحين الوقت المناسب لنشره. ومن خلال مرونته في الحياة، علّمنا أن نتعامل مع الفشل والتحديات بموقف إيجابي وحازم

كلمة عن الإبداع: من الضروري أن يحافظ الكاتب على عقلية إبداعية. لذلك يتمتع والدي بإبداع منطقي، حيث يوظّفه في البحث عن حلول مبتكرة للمشكلات باستخدام أساليب منظمة وتفكير عملي، يتيح له هذا الإبداع المنطقي التعامل مع التحدّيات بشكل منهجي مع الاستمرار في الحفاظ على الأصالة

كلمة عن الأخلاق: كتابات والدي متأثّرة بشدّة بأخلاقياته العالية، وهي التي توجهه في تصويره للشخصيات والموضوعات التي يستكشفها. وهو يعتقد أن الكتابة بنزاهة تعني معالجة القضايا المعقّدة بأمانة، مع الأخذ بنظر الاعتبار وجهات النظر المتنوعة

كلمة عن الثقة: تلعب الثقة دوراً أساسيّاً في عملية الكتابة لدى والدي، حيث يثق قراؤه به في تقديم روايات أصيلة ومقنعة، مدركين أنه يتعامل مع كل كتاب بتفان وإخلاص

كلمة عن القيادة: يُظهر والدي روح القيادة من خلال التزامه الثابت بعمله وقدرته على إلهام وتوجيه الآخرين. سواء من خلال توجيه الطلاب كأستاذ في الجامعة الأكاديمية للّاعنف

وحقـوق الإنسـان، أو مـن خلال اعتبـاره قـدوةً عبر نهجه المنضبط، فهو يغـرس في الآخرين أهمية المثابـرة، وضرورة اعـتماد المعـايير الأخلاقيـة العاليـة والسـعي لتحقيـق التميّـز. لقـد أرشـدني أنـا وأختـي، ليـس فقـط مـن خلال نصائحـه واعتبـاره مـثلاً يحتذى بـه، ولكـن مـن خلال تمكيننا من أخـذ زمـام المبـادرة واتخاذ قراراتنا الصائبة بأنفسـنا. ويشـجعنا نهجـه على القيـادة بنزاهة وثقة، مما يعكـس قيمـه ومبادئه

كلمـة عـن التسـامح: لقـد علّمنـا التسـامح مـن خلال منهجـه المنفتـح على وجهـات النظـر المتنوّعـة، وتعاملـه المـحترم مـع الأشـخاص مـن خلفيـات مختلفـة. لقـد شـجعنا على احتضـان الاختلافـات والتعامـل مـع الصراعات بالتفاهـم والرحمة. إن قدرته على الاسـتماع والتعلم والفهم تثبـت إيمانـه بـأن التسـامح يخلـق الانسـجام. وهنـاك العديد مـن كتبه تتناول مسـألة التسـامح

كلمـة عـن التعاطـف: بصفتـه كاتبـاً أكاديمياً يُعنى بشـكل كبير بحقـوق الإنسـان، يُظهر والدي التعاطـف مـن خلال الفهـم العميـق والتركيـز على التعقيـدات التـي تواجـه القضايـا الاجتماعيـة والتجـارب الفرديـة. وتعكـس كتاباتـه احتراماً عميقاً لكرامة الإنسـان والتزاماً بتسـليط الضوء على الأصـوات المهمشـة، مما يتيـح للقـراء فهـم هـذه المواضيـع المهمة بشـكل عميق. لقد أظهـر دائماً تفهماً لمشـاعرنا ووجهات نظرنا واختلافاتنا. وشـعرنا بالتقدير والتشـجيع بفضل حُسـن اسـتماعه ودعمـه الدائم لاسـتقلاليّتنا في اتخـاذ قراراتنا

كلمـة عـن القـدرة على التكيّـف: يُظهـر والدي القـدرة على التكيّـف من خلال التنقـل الفعال بين التغـييرات والتحديـات في عملـه وحياتـه، سـواء قـام بتعديـل أسـاليب بحثـه أو تبنّـي أفـكار جديـدة، فهـو دائمـاً ما يحافـظ على مرونته وانفتاحـه، بما يضمن قدرته على الاسـتجابة للتطورات بشـكل فعّـال، مـع الحفاظ على معـاييره وأهدافـه العالية

في الختـام، إن إصرار والـدي وانضباطـه وإبداعه وتعاطفه وأخلاقه وقدرته على التكيّف، ترسـم بشـكل دقيـق أسـلوب عملـه وتفاعلاتـه الشـخصيّة مـن خلال تجاربه الغنيّـة في الحيـاة والعمل، ونضالـه وتضحياتـه واهتمامـه الحقيقـي بالآخريـن، ممّا يترك أثـراً دائمـاً عليهـم، فهـو يُلهـم مـنْ حولـه ويكـون قـدوة ومثالاً يُحتـذى به

عبد الحسين شعبان بما يمتاز به من شجاعة لا يتردّد عن الاعتراف بأخطائه أمامنا، ويطلب منّا أن نعترف بأخطائنا حين تحدث، بما يُطهّر النفس ويفتح آفاقاً للتفاهم حتّى عند أعقد المشكلات

واحة اسمها شعبان

د. سناء شامي[1]

1- كاتبة إيطالية من أصل سوري - مسؤولة التعاون الدولي الاقتصادي والثقافي - (جمعية البندقية - الصداقة الإيطالية - العربية)

تمهيد

عندما نتحدّث عن ضرورة تأسيس عقلانية حديثة للبحث في أزمات المجتمع وأزمات الفكر والثقافة، فلا بد من الحديث عن المفكرين العرب المعاصرين المنهمكين بإشكالية العقل والعقلانية، ومنهم المفكر العريق عبد الحسين شعبان

إن ما يميّز د.شعبان عن غيره من المفكرين المعاصرين، هو أن بعضهم يسعى إلى القطيعة النهائية مع التراث، وبعضهم الآخر يعمل على ضرورة العودة إليه، أما مفكرنا المُدرك لواقع الحال وتشعّب المواضيع والأزمات، فهو وبهدوئه المعهود يستدعي التراث بالنقد البنّاء ويربطه بلغة الحكمة مع قيمة العقل والعمل العلمي معاً من أجل الحفاظ على التراث كجذور وتقليم كل فرع يابس لا يورق ولا يُثمر، لأن شعبان مقتنع بضرورة العمل على غربلة وتنمية وتطوير المشترك المعرفي بين تراثنا الجامد وحاضرنا المضطرب

إن وقوف الأمة العربية والإسلامية على مفترق خطير، حوّل وجدان شعبان إلى ميزان لا تكفّ كفتاه عن معادلة التوازن بين مساحات الاختلاف في مفاهيم الماضي ومصادرها المعرفية، وضرورة صيانة وإعادة تكوين العقل العربي من أجل جعله قادراً على تحديد مواقفه ممّا يحدث في العالم اليوم من التغيرات المصيرية.

مغامرة الحوار مع المفكر الكبير

ليس بالأمر البسيط أن تقوم بنقد مفكر كبير مثل عبد الحسين شعبان، ومع ذلك لم أخش الخوض في هذه المغامرة من خلال قراءتي لكتبه التي غالباً ما تجعلني شديدة الدهشة والانبهار إزاء منظومة الأفكار التي يطرحها والرؤى الاستشرافية التي يبلورها، وذلك ضمن مشروعه النهضوي التقدمي، ومن ذلك كتابه «**دين العقل وفقه الواقع**»، والذي تضمّن مناظرات مع الفقيه أحمد الحسني البغدادي

التمست في العنوان ذاته فضاءً واسعاً لحريّة الفكر والتعبير، وللجدل الذي خاضه بمهارة معرفية مع أحد الفقهاء الإسلاميين الكبار، والذي شمل مواضيع متنوّعة بعيداً عن الجمود والصنمية والمفاهيم المحنّطة، خصوصاً أنني أؤمن بأن فقه القرآن مرتبط بالواقع والزمان

والمكان، وبأن عدم معرفة فقه الواقع يعود إلى عدم معرفة القرآن، وتكييف تعاليمه بما يستجيب لمتطلّبات العصر، وهذه وتلك مرتبطة بمصائب حياتنا بجميع أوجهها.. لذلك ما إن قرأت عنوان الكتاب «دين العقل وفقه الواقع»، حتى شعرت بأنه كتاب فكري جدلي حواري جريء وغير دعائي أو تجاري مثل العديد من الكتب، التي تحفل بها الأسواق التجارية - الدعائية الأيديولوجية هذه الأيام. ومن عنوان الكتاب ومن معرفتك بالكاتب تستطيع أن تعرف أن الكتاب -وكاتبه- منشغل فعلاً في تأسيس معرفي جدّي وجديد.

ومنذ أشهر حاورت صديقي د.شعبان في **مدينة فينيسيا** (البندقية)، التي استضافته برحابة صدر وتسلّمتْ رئاسةُ المجلس البلدي بكل اهتمام نسخة من كتابه «فقه التسامح في الفكر العربي - الإسلامي: الثقافة والدولة» باللغة الإنجليزية، وقد نتج عن حوارنا قرار بأن أدرس كتاب «دين العقل وفقه الواقع» دراسة تحليلية بروح المغتربة، التي اطلعت على ثقافة الغرب وتاريخه، وتشربت في الوقت نفسه منذ الطفولة ثقافة عربية وإسلامية من أجل معالجة نفس مفاهيم كتابه، ولكن من جوانب غربية، وقد شجعني على هذا المشروع زوجي المهندس **باولو كابوتسو** الملم بالتاريخ والمعجب بشخصية وفكر شعبان الذي تحاور معه مطولاً عندما حلّ ضيفاً علينا في فينيسيا.

اليوم اكتمل مشروع كتابي «دين العقل وفقه الواقع، إطلالة من نافذة غربية»، وقريباً سيكون بصدد الطباعة والنشر باللغة العربية، وسيتبعه نشر آخر لذات الكتاب ولكن باللغة الإيطالية.

الشغف المعرفي مع شعبان

اهتممت أكثر بكتاب شعبان هذا، لأنه من خلاله زادت معرفتي به حتى تحولت إلى صداقة عائلية نفتخر بها، بالإضافة إلى أنه كتاب شديد الواقعية وثري بالمفاهيم المتعددة انطلاقاً من عنوانه، وكما يُقال فإن المكتوب يُقرأ من عنوانه لأن العنوان هو خلاصة المادة التي يتحدث عنها الكتاب وهو تحريض على الخوض فيه.

في ثقافتنا العربية يسهم العنوان في فتح باب التأويل ويكون بمثابة بداية لقراءة شمولية للكتاب.. وعنوان هذا الكتاب مثّل هويّة معرفية تدعو القارئ والمتخصص على نحو أشد للغوص في تفاصيل وقضايا إشكالية برؤية نظرية حديثة وتقدّمية وبأسلوب مقنع ومنهجي، وقد جمع هذا الكتاب بين القضايا ذات البُعد الفكري والقضايا ذات البُعد العملي.

وإذا كان عنوان الكتاب موحياً إلى هذه الدرجة، فإن نصوصه تفصح عن أهمية كبرى لأفكاره، والذي يمكن أن يكون مفتاحاً أساسياً لاستكشاف أغوار محتواه. هذا العنوان المميز والذكي والنصوص والمقتبسات والسرديات تتمتّع بطاقة حيوية وتوجيهية تُخبر الذي لم يقرأ الكتاب الكثير من الأمور عن النص.

طبعاً، لا عجب من اختيار د.حسين شعبان مفردات كتابه ومناظراته القيّمة التي اعتمد في أساسها على الحوار، لأن حسين شعبان في كل ما يكتب وما يقول يُجيد انتقاء مفرداته وعناوينه لإدراكه العميق بأهمية الكلمة، ولاسيما أن هدف المفكر كان دائماً السعي لصناعة الوعي.. ومن هنا ربما تأتي صعوبة نقد هذا الكتاب لأنه يطرح ويناقش ويحاور مفاهيم متعلقة بالأيديولوجيا والحرية، والدولة، والعقل والتاريخ

نقد المفاهيم

إذن هو ليس سرداً معروفاً، بل مواجهة لمفاهيم راسخة وتحتاج إلى تجديد ونقد، ومن أصعب الأعمال نقد المفاهيم ومحاولة إعادة قراءتها من أجل صياغة مفاهيم جديدة عبر حواره مع الفقيه أحمد الحسني البغدادي، فقد عرف كيف يحاوره وكيف يجد مساحات مشتركة بأناقة هدفها صناعة وعي جديد يشترك فيه السائل والمجيب ويدفع القارئ إلى تحليل الواقع الحالي الذي تمر به الأمة العربية وإن صح القول الأمة الإسلامية أيضاً.

لذلك نرى شعبان منذ الصفحات الأولى لكتابه يسلّط الضوء على تمسّك القوى المتطرّفة بقشور الدين وإهمال لبّه، وتحاول حصره في ثنائيات متناقضة ومتناحرة. ولم يتناول شعبان هذا الموضوع الحساس بعقلية العالم التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والمشاهدة والتجربة، والتي تعني رصد تحركات الحاضر وتحليلها على أسس معرفية ومنطقية وعملية فحسب، بل نراه يطرح فكرة **الإسلاموفوبيا** من وجهها السياسي، محاولاً إبراز خطورة المتطرفين الإسلاميين وخطابهم الغرباوي السلطوي المبني على الاستبداد وإقصاء الآخر، ولعلّ هؤلاء المتطرفين لا عقلية حوارية لديهم ولا يقبلون النقد ولا يقرّون بحق الآخر، وهو بالنسبة لهم إمّا كافر أو خائن أو مرتد أو عدو لله ورسوله.

حاول شعبان تسليط الضوء على هذا النمط الفكري من الإسلامويين، والذي بات أكثر وضوحاً بعدما انفتح العالم أجمع، مثل ممارسات داعش والقاعدة وجبهة النصرة (جبهة فتح

الشـام) وغيرهـا مـن التنظيمات الإرهابية، وكشـف شـعبان الازدواجيـة الفعلية بين الشـكل الذي يقدمـون فيـه أنفسـهم وحقيقتهـم، أمـا عقليتهـم فهـي عقليـة خـطيرة لا تـعترف بالقانـون ولا تحترمـه، بـل إن فكـرة القانـون تخيفهـا، وبالتالي فهي عقلية غير مؤسسـاتية، بل تقـوم على ادّعاء امـتلاك الحقيقـة، بغـضّ النظر عـن الواقع

التمييز بين الدين والتديّن

لقـد دعـا شـعبان الجميـع للتمييـز بين الديـن، الـذي هـو منظومـة قيميـة إنسـانية، والتديـن الـذي هـو ممارسـات وشـعائر وطقـوس، والتـي لا علاقة لهـا بالقيم الدينيـة السـمحة، لأنه يدرك حساسـية المرحلـة التـي تمـرّ بهـا جميـع الشـعوب العربيـة، وأول الـعلاج يبـدأ بتشـخيص المرض والتمييـز بين مصـدره وأسـبابه، مركّـزاً على مفهـوم العقـل الـذي لا يكـف عـن الجـدل مع منطق القـول.. فالمفكـر شـعبان يعلـم بـأن الـعلاج في الحداثـة، والفكـر لاعـب أسـاسي في صناعتهـا لأن الحداثـة مـع أخـذ خصوصيـات مجتمعنـا بنظـر الاعتبـار فعـل وممارسـة، وإننـا لكي نتحدث عن الحداثـة، لا بـدّ أن نتحـدث عـن اللّاحداثـة، تلك التي تملك الشـوارع والمقاهي والعقـول الخاملة

شـعبان الـذي أصـدر العديـد مـن الكتـب التـي تتنـاول الإسلام وقضايـاه مثـل كتـاب «**أمريكا والإسلام**» وكتـاب «**الإسلام وحقـوق الإنسـان**»، وكتـاب «**الإسلام والإرهاب الـدولي**»، وكتاب «**فقه التسـامح في الفكـر العـربي الإسلامـي**»، والعديـد مـن كتـب ومقـالات أخـرى في هـذا الصـدد.. ويقـرّ كتابـه «ديـن العقـل وفقـه الواقـع» (ص24) بـأن الحديث عـن الإصلاح الدينـي أمر معقد وخصوصـاً في ظـل مفاهيـم الحداثـة ونقض القديـم والتقليدي والدعـوة لحرية التفـكير، والعمل على التقليـل مـن سـلطات المقـدّس، الـذي قـد يكـون لفئـة مقدسـاً ولغيرها مـن الفئـات الأخرى غير مقـدّس، إن لم يكـن مدنّسـاً

شـعبان الجـريء يُـدرك بأنـه يمسـك الجمـر بكلتـا يديـه حيـنما يدعـو إلى إطـار التقليـل مـن سـلطات المقـدس في مجتمـع عقلـه الجمعي رافض للحـوار وللتحليل. فكيف لنا يا سـيدي المفكر أن نواجـه هـذا العمـل دون أن نقـع في الهاويـة؟ لكن الباحث يـدرك أن صناعـة الحداثة تتطلب أولاً إدراك الحـق في الاخـتلاف، وهـذا يعنـي قبـول التعددية، فالتعددية والاخـتلاف هما قاعدتان أساسـيتان تبنى عليـهما الحداثة.

الإصلاح الديني رديفاً للإصلاح السياسي

وقبل الحديث عن إصلاح المجال الديني، لا بدّ من البدء بالإصلاح السياسي، وجوهره الحريّة، فلا إصلاح حقيقي دون الحريّات، ولاسيّما حريّة التعبير والتفكير والتنظيم والاعتقاد والشراكة والمشاركة. كيف يُمكن أن يحدث الإصلاح الديني في ظل منظومات تربوية وتعليمية مشتّتة ومثقلة بقيود لا علاقة لها بالدين أحياناً، بل بقشوره، ناهيك عن أن القسم الأكبر فيها غارق في الطيف المذهبي، بعيداً عن مستلزمات علم الاجتماع الحديث، ومبادئ علوم الاقتصاد والجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية والجغرافيا السياسية وغيرها من العلوم

والسياسة وإن كانت تعني الخير العام، فهي تحتاج إلى إعادة هيكلتها، بما ينسجم مع هذه المبادئ بهدف عدم التعارض بين مفاهيم الدين ذات الطبيعة الإنسانية ومبادئ السياسة والعلوم الحديثة، فبالعلم فقط يكون الإصلاح، في هذا السياق، ومن أجل التأسيس للعلوم وإعادة استنباتها في حقل الثقافة العربية، فلا بد من المقارنة مع ما هو مختلف

مفكرون عظماء

علينا التوقّف عند مفكّرين عظماء، أضافوا إلى الفكر الإنساني عصارة أفكارهم وتجاربهم ورؤاهم، وقدّموا ذلك خدمةً للبشرية مثل **مونتيسكيو**، الذي قارن بين تقدم المجتمع الإنجليزي النصراني وتخلف الأمم الآسيوية، التي كانت تنضوي تحت لواء الإمبراطوريات الشاسعة من عثمانية وصفوية ومغولية وصينية. و**ميكافيلي**، الذي قارن بين الجمهورية الإيطالية والنظام الملكي في فرنسا وإنجلترا، أما **عبدالرحمن بن خلدون**، فقد أسس علم العمران (علم الاجتماع العربي)، وهو يقيس مجتمعات الحضر على مجتمعات البدو، ويقارن بين عصبية العرب والبربر وانفتاح الأتراك. أمّا **شعبان** فهو امتداد معرفي لقراءة الواقع واستخلاص أحكام واستنتاج قواعد تنسجم مع درجة تطوّر المجتمع، وتستشرف تقدّمه إلى الأمام، متوصّلاً إلى أن الإسلام السائد، ما يزال يحمل الكثير من الأثقال التي تحول دون المشاركة الفاعلة، خصوصاً أن القوى المتعصّبة والمتطرّفة تحاول أن تكبح جماح التفاعل مع التطوّر العالمي مثلما تفعل القوى الدولية المهيمنة للحدّ من دور الشعوب العربية والإسلامية في الإسهام بالتطور العالمي، خصوصاً بغرض الهيمنة عليها واستغلالها ونهب ثرواتها، الأمر الذي جعل مساهمة العالمين العربي والإسلامي محدودة، بل لا تُذكر في التاريخ المعاصر، وهو ما أشار إليه شعبان حين اعتبر القرن الحادي والعشرين قرن العولمة والثورة العلمية التكنولوجية وتكنولوجيا الإعلام

والطفـرة الرقميـة (الديجيتـال)، والطـور الرابع للثـورة الصناعية

وأجـد نـفسي متّفقـة تمامـاً مـع د.شـعبان بحتميـة التواصـل والتفاعـل بين الضفـتين بشرط اسـتئناف الصلـة الحيّـة بتراثنـا وبعثـه مـن جديـد بممارسـة متوازنة وبنظرة شـمولية على أسـاس مشروع نهضـوي حضـاري، وكيـف لنـا أن نعارض فكر شـعبان اليقظ والباحث دائمـاً عن الحقيقة في عمـق جميـع جوانـب الحياة بما فيهـا الجانب الديني، فشـعبنا ذو النظرة الشـمولية والمتوازنة يؤمـن أبـداً ويدعونـا للإيمـان بالخالـق مـن خلال تنميـة الحضـارات والدفاع عـن ديمومتها.

وهـذا مـا أكـده الحسـني البغـدادي في حواره مـع د.شـعبان، حين أكـدَّ ضرورة مواكبـة الحوار الحضـاري بشرط اسـتئناف الصلـة الحيّـة بتراثنـا وبعثـه مـن جديـد بممارسـة متوازنـة وبنظـرة شـمولية، وهكـذا التقـى الفقيـه بالمفكّـر لإدراكـهما أن الفكـر الإسلامـي صـار راكـداً، ولا بـد مـن تحديثـه، باسـتعمال العقـل في الديـن، وحسـب شـعبان، الإيمـان دون عقـل يقـود إلى التعصّـب، والعقـل يأخـذ الواقـع بنظر الاعتبـار، ويحاول التكيّف معـه، وتلك هي القـراءة الواقعية للتعاليم الدينية

العلمانية

ونتسـاءل: هـل مـن الممكـن التحديث بعيداً عـن العلمانية؟ ومـا العلمانية في مفهـوم الثقافة العربيـة؟ هـل مـن الممكن أن تتحول العلمانيـة إلى نزعة دوغمائية متطرفـة على غرار الأصوليات الدينيـة والعقائديـة؟ ونقـول: في الغـرب يتحدثـون عـن «إسلام متطـرف» وعـن «إسلام معتدل»، ألا يحـق لنـا أن نميّـز نحن أيضـاً بين «علمانيـة غربية متطرفـة» و«علمانية شرقانيـة معتدلة»؟

ثـم مـا المقاييـس التـي تحـدّد مفهوم الديـن المعتدل؟ هـل فقط عندما يسـاير الديـن المصالح السياسـية للغـرب، يصبـح دينـاً معتـدلاً؟ أليـس اليـمين المتطـرف في الغـرب الداعـم للعلمانيـة، هـو أول الطارديـن لمـن اختلـف معهـم فكـراً وعقيـدة؟ ألم تفشـل العلمانيـة والعلمانيـون في اجتثـاث الفكـر العنصري الاسـتعلائي المتطرف في المجتمع؟ أليس أسـباب فشـلها ناتجـة عن ادّعاء الأفضليـات وعـدم قبـول التعدديـة ومحـاولات الهيمنـة؟ كما يذهـب إلى ذلـك شـعبان؟

إن التطـرق لموضـوع واحـد مـن مواضيـع كتـاب «ديـن العقـل وفقـه الواقـع»، يطـرح علينـا العديد من الأسـئلة والتسـاؤلات، سـواء ما يتعلّق بقراءتنا للماضي أو رؤيتنا للحاضر أو اسـتشرافنا

للمستقبل، لأن طبيعة الحياة ترفض الجمود، وهو ما يتوقّف عنده شعبان كمفكّر غزير الإنتاج كتابةً وتأليفاً ونقداً وترجمةً

الجهاد

يفرد د.شعبان قسماً خاصاً من كتابه المذكور لمناقشة قضية إشكالية، تلك التي تتعلّق بمفهوم الجهاد، والتي تتراوح بين الحق في المقاومة وممارسة الإرهاب، وذلك استناداً إلى القرآن الكريم، الذي تجري تفسيراته على نحو مغرض ومسيء أحياناً إلى تعاليم الدين السمحة. فبعد أن يناقش قضايا الحداثة والتقليد وموضوع الإيمان واللّاإيمان، الدين والعنف، الفتنة الطائفية، الشيعية السياسية، والسنية السياسية، الفيدرالية والتقسيم وما بينهما، الهويّة والمواطنة، فإنه يذهب لمناقشة موضوع الجهاد بكل توازن وموضوعية، حيث يرفض الجهاد الابتدائي لأنه مخالف للقوانين الدولية (والذي يعني شنّ الحرب)، وهو استعادة موروثة من السلف، بينما وافق على فكرة الجهاد الدفاعي عن النفس والأرض، وهو ما يتوافق مع النصوص والقوانين الدولية، وبذلك يكون شعبان قد فسّر النصوص القرآنية تساوقاً مع روح العصر، فالجهاد في القرآن له مفهوم أوسع وأشمل من مفهوم القتال: الجهاد قد يكون بالعمل، بالفكر، بالكلمة، بالتبرعات.. إلخ، كما في قوله عز وجلّ

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

(وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا).

إذن الجهاد لا يعني القتال، وليس محصوراً بمفهوم القتال من أجل إكراه الناس على اتباع دين معين أو الإيمان بالله (لا إكراه في الدين) (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا)

إذن يمنع الله في كتابه القتال من أجل الدخول في الإسلام، ويسمح به بشروط محددة من أجل الدفاع عن الوطن والحق ومنع الظلم، فالله لا يرضى أن يُظلم إنسان واحد على وجه الكرة الأرضية حتى وإن كان كافراً، والآيات كثيرة على ذلك: (كُتب عليكم القتال وهو كره

لكـم وعسى أن تكرهـوا شـيئاً وهـو خير لكـم وعسى أن تحبـوا شـيئاً وهـو شر لكـم واللـه يعلـم وأنتـم لا تعلمون)

أحيانـاً يكـره المـرء أن يبـدأ بقتـال العـدو، وقـد يكـون تأجيـل قتالـه أمـراً مضرّاً كما حـدث في فلسـطين مـع العـدو الإسرائيلي-الصهيـوني، لـو اتفق العـرب على قتال هـذا العدو منـذ البداية لما اسـتفحل اليـوم شره. كذلـك الخائـن، فهـو عـدو داخلي يجـب وقـف ضرره قبل أن يـؤذي الناس. ثـم ذكـر اللـه بعـد ذلك مباشرة السـلم والـسلام (**وإن جنحوا للسـلم فاجنح لها وتـوكل على الله إنـه هـو السـميع العليـم**)، إذن لا داعـي للقتـال أو اسـتمراره إذا تـم الحـل عـن طريـق السِـلمْ، وهـذا ما يحـدث عـادة بين الـدول اليوم.

العـدو عنـد اللـه هـو العـدو عند الإنسـان ألا وهـو **الطغيـان**.. والعدو قـد يكون مسـلماً يريد سرقـة أرضـك، لهـذا فهو عـدوك وجبت محاربتـه، ومحاربة العدو تسـتلزم الاسـتعداد كما يحدث في جميـع دول العـالم: (وأعـدّوا لهـم مـا اسـتطعتم مـن قوة ومـن ربـاط الخيل ترهبـون بها عدو اللـه وعدوكـم وآخريـن مـن دونهـم لا تعلمونهم اللـه يعلمهـم)، إذن يجب إرهاب العـدو الظالم إن كان يؤمـن أو لا يؤمـن، إن كان مسـلماً أو غير مسـلم.. وبعـد الاسـتعداد للقتـال تـأتي الآيـة الكريمـة التـي تأمـر بالعـدل حتـى مـع العـدو (وإن عاقبتـم فعاقبـوا بمثـل مـا عوقبتـم بـه ولئن صبرتـم لهـو خير للصابريـن)، (فمـن اعتـدى عليكم فاعتـدوا بمثل ما اعتـدى عليكم واتقـوا الله)، إذن فاللـه يدعونـا لأن نتقـي اللـه في عبـاده، وأن نطبـق قواعـد الأخلاق مـع العـدو (وقاتلـوا في سـبيل اللـه الذيـن يقاتلونكـم ولا تعتـدوا إن اللـه لا يحـب المعتدين)، في سـبيل الله أي في سـبيل الحـق وضـد الطغيـان، فالعـدو هـو الطغيان، لذلـك أمرنا اللـه بقتال الطغـاة الذيـن يقاتلوننا كي لا يغتصبـوا حقوقنـا، وليـس القتـال -كما أفهـم- مـن أجـل إجبار الآخريـن على الإيمـان بالله.

الآيـات كـثيرة في القـرآن التي توضح الفرق بين الجهاد والقتال، وقد نظمت الفروق المؤسسـات الدوليـة واتفاقيـات جنيـف لعـام 1949 وملحقاهـا لعـام 1977، والتـي لا تمنـح الحـق لأي طرف بالاعتـداء على سـيادة دولـة أخـرى، وهـذا ما سـعى إليـه المفكر شـعبان وعمل على إبـراز أهمية الـسلام واللّاعنـف، وتنقيـة المفاهيـم الإسلامية من جميع شـوائب الماضي والحـاضر ونبذ التطرف

حامل الشعلة التنويري

شـعبان هـو أيضـاً رجـل حقوقي يعرف كيـف يعكس نور القـرآن على القـوانين الدولية، وكيف

يقيس أهداف القوانين الدولية بمقاييس السلام الذي هو في النهاية غاية الإسلام الذي يستند على رسالة الحق والعدل، وعلينا نحن البشر أن نختار الوسائل الشريفة والعادلة وصولاً إلى الغايات، ولا يمكن أن يكون العنف هو الوسيلة الحقة لتحقيق غايات شريفة. وكان روبن هود يسرق ليُطعم الفقراء، فهل الغاية الشريفة لروبن هود تبرر وسيلته الخاطئة؟ واليوم هناك من يسرق باسم الفقراء، فهل وسائلهم القانونية تبرر غاياتهم الجشعة والظالمة؟ لذلك لا بدّ من ربط الوسيلة بالغاية، ومن يُدرك هذه الحقيقة أكثر من المفكر الفذ، فقيه الواقع والملم بخبايا النفوس وما بين سطور القوانين، الدكتور عبد الحسين شعبان؟

إن صداقتي مع د.شعبان وحواراتنا المختلفة، جعلتني أقترب أكثر وأكثر من مخاوف شعبان وقلقه، في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة، على مصير الأمة العربية والإسلامية، لذلك نراه لا يكل ولا يمل من الدفاع عن ضرورة عدم الاكتفاء بالنصوص وفسح المجال أمام التجربة والعقل البرهاني، والبحث في سببية الأمور وعدم التوقف عند الفاعل فقط، لأن ذلك سيعطل الاجتهاد، ليس فقط في الدين، وإنما أيضاً في اللغة والعلم.

لقد عرفت شعبان إنساناً راقياً، صديقاً حاضراً ومفكراً حاسم الرأي، وبخاصة فيما يتعلق بتحرير العلم، وتوظيف المعرفة والعلم لتعميق الإيمان وتفعيل دور الدين المهم في المجتمع. إن شعبان شخصية استثنائية تعرف كيف تضع العقل والدين في كفتين متوازيتين لإدراكه بعلاقتهما الأزلية التي مازالت تبحث عن التوازن.

شكراً لك أيها المفكر الكبير على عطائك الذي لا ينضب.

حين توجد إرادة توجد طريقة

سوسن شعبان[1]

1- ابنة المحتفى به - محامية – لندن.

كَمْ أنا سعيدة الحظّ لأنّني أدعو هذا الرجل الذي اسمه **عبد الحسين شعبان** «**بابا**»، فقد علَّمني القوّة والشجاعة والمرونة والمعرفة. والمعرفة هي أهمّ شيء بالنسبة له. ودائماً ما يردِّد بأنَّ «المعرفة قوّة»

عندما كبرتُ، بدأ (**بابا شعبان**) كما يسمّيه أصدقائي بتثقيفي حول قضايا حقوق الإنسان، وعن فلسطين، وعن بلدنا العراق، وعن كلِّ الحروب في الشرق الأوسط. فقد دَرَسَ والدي القانون وأردتُ أنْ أتبَعَ خطاه وأتعرّف على أنظمة العدالة

لم يكن والدي مثل باقي الآباء.. فلمْ يكن من الموظَّفين الذين يذهبون إلى وظيفة من الساعة 9 صباحاً إلى الساعة 5 عصراً، ويرتدي بدلته ويقدِّم تقريراً إلى المدير. عمله ومكتبه كانا دائماً في ذهنه، يستيقظ كلّ يوم في الساعة السادسة صباحاً، ويبدأ الكتابة من الساعة السابعة صباحاً حتى المساء. وكان دائماً متحفّزاً ومنضبطاً. لم يتنازل أبداً عن أخلاقيّات عمله، على الرغم من أنّه كان رئيس نفسه. وحتى اليوم، والدي يحافظ على هذا الانضباط

«**حيث تُوجد الإرادة، تُوجد الطريقة**»، شِعارٌ آخر علّمه لي والدي أثناء نشأتي. في البداية، لم تكن الكلمات تعني لي شيئاً. ثمَّ أدركت أنّ لها دلالات عميقة، يمكنك أن تحقّق أي شيء تريده.. إذا وضعت جهداً كافياً لإنجازه، فالخيارات غير محدودة، ولديَّ القدرة لتحقيق ما أريد

لقد بدأتُ بتطبيق هذه الحكمة عندما بدأتُ أحلم بأنْ أُصبح محاميةً. التحقت بكلّيّة القانون، ثمَّ بدأتُ العمل على الفور بعد تخرُّجي، لكن لم أمارس وظيفتي كمحاميّة، إلّا بعد بضع سنوات، بسبب النظام المتّبع في المملكة المتحدة، ولكنّني لم أستسلم، لأنّه حيث **توجد الإرادة، توجد الطريقة!**

لقد خضعتُ لمزيد من الاختبارات في القانون بسبب التغيير في الأنظمة، وفي النهاية أصبحتُ محامية يحقُّ لي الترافع أمام المحاكم البريطانيّة، وعندما زاد وزني 22 كغ، لم أستسلم، كنت أعلم أنّ لديَّ الإرادة والقدرة لخسارة هذا الوزن

لقد واجه والدي العديد من التحدّيات في حياته، لكنّه واجهها دائماً بالمثابرة والصمود

والإصرار. الأمـر الـذي أظهَـرَ لي مـرّة أخـرى أنّـه لا ينبغـي لي أن أستسـلم أبـداً، بغـضِّ النظـرِ عـن مـدى صعوبـة الأمـور. إذا كنـت تعرفنـي، فأنتَ تعلـمْ أنّني أواصـل الكفاح والضغـط من أجل ما هـو صحيـح، ومـا يسـتحق ذلـك. وأنـا مدينة بـكلّ ذلـك لوالدي

والآن.. والـدي ليـس مجـرّد مثقـف عـادي، بـل هـو رجل ثقافـة. كنّا نذهـب في أيّـام العطلات كل عـام ونختـبر ثقافـاتٍ وأشـخاصاً جُـدداً منـذ الصِّغَر. لقـد شـاهدت البراكين، وتجوّلت في المدن المزدحمـة، وحضرت الحـفلات الموسـيقيّة الكلاسـيكيّة، وزرت المعابد البوذيّة، في وقـت مُبكِر جداً مـن حيـاتي، ممّا جعلنـي امـرأة مرنـة وقـادرة على التكيُّف والتأقلـم مع كلّ مـا هو جديد

العيـش في لبنـان مـع **بابـا** كان أيضـاً بمثابـة اختبـار لشـخصيّتي. لقد تمكّنـتُ أخيراً مـن العيش في بلـد يتحـدّث العربيّـة، وتجربـة واحتضـان ثقافة الشرق الأوسـط والشـعور بما يعنيـه أن أكون مـن أصـول عربيّـة. وفي لبنـان تعلّمتُ أن أكون امرأة مسـتقلّة، وأن أفكِّر بطريقـة مبتكرة خارجة عن المألوف والسـائد

في لنـدن كنّـا دائمـاً نتّبـع القواعـد والأنظمـة ونمشي بطريـق مسـتقيم، بيـنما كان لبنـان بلـداً مختلفـاً تمامـاً. كان كل شيء مختلطـاً فيـه، ممكناً وغير ممكن، وعليك أنـتَ أنْ تختار، وكان هناك دائمـاً حـلّ لأيّـة مشـكلة مـهما كانـت، والغريـب أنّـه لم تكـن هنـاك طريقة واحـدة فقـط لحلّها! هـذا هـو المـكان الـذي تعلّمـت فيـه أن أتعاطى مـع الأشـياء بذهنٍ منفتـح، وأن لا أتّبـع القواعد بشـكل أعمى

والصِّفـة المحببّـة لـديّ في والـدي هي روحـه المرحة التي يتمتّـع بها، حتى في أصعـب الأوقات، علّمنـي أهميّـة الضحـك بدلاً من إضاعـة الوقت في البكاء، إذْ علينا أن نجـد الفرح في كلّ المواقف مـهما كانـت غير سـارّة، بـل وحزينة، وأن ننظـر إلى الجانـب المُشرق من الأشـياء. كان والدي يردّد دائمـاً أغنيـة مـعبّرة ومضحكة عن رجل كان سـعيداً لكنه فـقير، ومطلعها

"I am happy I am poor" «مفلس وقاعد بالسّور»

وكان يلحّـن ذلـك ضاحـكاً، موضحـاً أنّ الرّجُـل كان فـقيراً لكنّـه لا يزال سـعيداً. لذلك يجب أن نكـون سـعداء دائمـاً رغم الظروف المؤسـفة في بعـض الأحيان

لقـد علّمنـي **بابـا** الكـثير مـن الـدروس في الحيـاة، لكـن تـأثيره لم يقـتصر عليّ فحسـب، فـأيّ

شـخص يقابلـه يقـع تحـت تأثيره. وهو ما كنت ألمسـه لـدى العديد من أصدقـائي الذين يعتبرونه والدهـم أيضـاً. إذا تعرّفت عليه فسـتلاحظ مدى جاذبيّته وسـحره. **لبابا** تـأثير فكري على المجتمع العـربي، وهـو ركيزة مهمّـة لفَهْم السياسـات المعقّدة في الشرق الأوسـط

والأهـمُّ مـن ذلـك أنّنـي كبرت وأصبحَـتْ علاقتـي معه علاقـة صداقة وثيقـة، وأعتزُّ بها بشـدّة. لقـد رأيـت والـدي يتطـوّر ويتكيّـف على مَـرِّ السـنين مـع مختلـف الأوضـاع. إنّـه رجُـلٌ عصريٌّ متجـدِّد لا يسـتكين لعاداتـه القديمـة مثـل معظـم الرِّجـال في عمره

بابـا، أشـكرك على ثقتـك بي ووقوفـك إلى جانبـي ودعمـي لأكـون المحاميـة والمـرأة التـي كان مـن المـفترض أن أكونهـا.. أشـكرك لكونـك مُرشـدي، وصديقـي. لقـد سـاهم دعمكـم ولطفكـم وحكمتكـم في تكويـن كلّ مـا أنـا عليـه اليـوم... أُحِبُّـك

المثقّف العضوي وهموم الناس

د.شيرزاد النجار[1]

1- مفكّر كردي عراقي - مستشار رئيس وزراء إقليم كردستان العراق للتعليم العالي سابقاً

تمهيد: المثقّف العضوي

المثقّفون هم مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين الذين يشملهم مصطلح (العضوي) في تعريف **غرامشي** لـ المثقف العضوي The Organic Intellectual.

لا تشمل فئة "المثقّفين" عند غرامشي العلماء والفنّانين أو بمصطلحاته الخاصة "**منظّمي الثقافة**" فحسب، بل تشمل أيضاً الموظفين الذين يمارسون قدرات "تقنيّة" أو "توجيهيّة" في المجتمع. ومن بين هؤلاء الموظفين نجد الإداريين والبيروقراطيين. علاوة على ذلك، يُصنّف **غرامشي** هؤلاء المثقفين إلى بُعدين: **البُعد الأفقي** و**البُعد العمودي**

على البُعد العمودي نجد "**المتخصّصين**" و"**الخبراء**"، أولئك الذين ينظّمون الصناعة بشكل خاص للرأسماليين (بما في ذلك مديرو الصناعة ورؤساء العمال). وفي هذا البُعد نجد أيضاً "الموجّهين" أي منظّمي المجتمع بشكل عام. وعلى البُعد الأفقي، يصنّف **غرامشي** المثقّفين إما **كمثقّفين** تقليديّين أو **كمثقّفين عضويّين**. المثقّفون التقليديّون هم أولئك المثقّفون المرتبطون بالتقاليد الذين لا يرتبطون بشكل مباشر بالبنية الاقتصاديّة لمجتمعهم. وفي الواقع، يتصوّرون أنفسهم على أنهم ليس لهم أساس في أيّ طبقة اجتماعيّة، ولا يلتزمون بأيّ خطاب طبقي معيّن أو خطاب سياسي. من ناحية أخرى، يرتبط المثقّفون العضويّون ارتباطاً مباشراً بالبنية الاقتصاديّة لمجتمعهم بسبب حقيقة أن "كل مجموعة اجتماعيّة تنشأ في تحقيق مهمّة أساسيّة للإنتاج الاقتصادي" تخلق مثقّفاً عضويّاً خاصّاً بها

وهكذا، فإنّ المثقّف العضوي "يمنح طبقته التجانس والوعي بوظيفتها، في المجال الاقتصادي وعلى المستويين الاجتماعي والسياسي"

ومع ذلك، في صراع الطبقة الطامحة إلى الهيمنة، يعمل المثقّفون العضويون الذين خلقتهم تلك الطبقة على مستوى السعي إلى الإجماع المباشر، وبالتالي لا يشغلون أي موقع في الهياكل السياسيّة القسريّة للعمل على أساس قسري. ومن ثم، يبدو أنه في النضال من أجل الهيمنة الاجتماعيّة، يجب على هؤلاء المثقّفين العضويين أن يجادلوا الجماهير وأن ينخرطوا في "حرب مواقع" حاسمة لتعزيز الوضع المهيمن للطبقة التي يتقاسمون مصالحها

وفقاً لـ **غرامشي**، فإن المثقّفين العضويين هم الأكثر أهميّة لأنهم هم الذين يطوّرون وينشرون الأيديولوجيّة العضويّة. تكمن الأهميّة السياسيّة لهؤلاء المثقّفين أيضاً في حقيقة أن المثقّفين العضويين المنتمين إلى طبقة تقدميّة تاريخيّاً وواقعيّاً سيكونون قادرين على فرض "هيمنتهم" على مثقّفي الطبقات الأخرى، وبالتالي سيكونون قادرين على خلق "هيمنتهم" على مثقّفي الطبقات الأخرى. "نظام التضامن" يتم الحفاظ عليه طالما ظلت الطبقة التقدميّة

وأخيراً، يلعب المثقّفون العضويون دوراً فعّالاً للغاية في صراع الطبقة من أجل الهيمنة. "إنّ إحدى أهم خصائص أي مجموعة تتطوّر نحو الهيمنة هي كفاحها لاستيعاب المثقّفين التقليديين وقهرهم أيديولوجيّاً". إن المثقّفين التقليديين يمكن أن يكونوا عوامل داعمة في السعي للحصول على موافقة "تلقائيّة" على النظام الاجتماعي

وهكذا، يبدو أيضاً أنّ النضال من أجل استيعاب المثقفين التقليديين هو شرط مهم آخر لنضال الطبقة الشامل من أجل الهيمنة. وعلى وجه التحديد، فإنّ هذا النضال من أجل استيعاب المثقّفين التقليديين سيكون جزءاً من "حرب المواقع".

وفي هذا الإطار فإن توضيح وتفسير العلاقة بين **البنية الاقتصاديّة التحتيّة** و**البنية الفوقيّة** قدم **غرامشي** مصطلح الكتلة التاريخيّة، والذي يشير إلى التناسق بين البنية الاجتماعيّة (الطبقات الاجتماعية) والبنية الفوقيّة (الأيديولوجيّة والسياسة)، وبالتالي فإنهما منصهرتان انصهاراً عضويّاً، وإن المثقّفين العضويين هم الذين يتكفّلون بإدامة الترابط العضوي بين البنيتَين

إحدى المشكلات التاريخيّة الكبرى التي طرحها **غرامشي**، والتي لها أهميّة عمليّة كبيرة للبروليتاريا في البلدان الرأسماليّة المتقدمة هي حقيقة أنه "على الرغم من أنّ كل مجموعة اجتماعيّة تعمل على تطوير مثقّفيها العضويين، إلّا أنّ البروليتاريا الصناعيّة اعتمدت في الغالب على المثقّفين التقليديين "المستوعبين" للقيادة". بالطبع، اقترح **غرامشي** حلاً لهذه المشكلة

كتب **غرامشي** في "**دفاتر السجن**" أنّ الحل هو تزويد العمّال، مباشرة في المتاجر، بالتعليم الفنّي والصناعي بالإضافة إلى التعليم في العلوم الإنسانيّة بحيث من العمل الفنّي يصل إلى العلوم التقنيّة والآراء الإنسانيّة التاريخيّة. ومن الواضح أنه عندها فقط يمكن للطبقة العاملة أن تطوّر وعياً أعلى بنفسها وبالطبقات الاجتماعيّة الأخرى

المفكّر **شعبان** حاول أن يجد مكانه في هذه التصنيفات حيث مَرّ على أفكار **غرامشي** وحدّد بأن المثقف العضوي يتماهى مع الطبقة العاملة ويصبح عقلها المفكّر وقلبها النابض، ولكن في نفس الوقت دور المثقّف العضوي تحوّل عمليّاً إلى نوع من الاستلاب للأغلبيّة وشكل من أشكال البيروقراطيّة ونمط واضح من الاستبداد في إطار نظام توتاليتاري

مع ذلك كان **غرامشي** رائداً في أفكاره عندما دعا إلى وحدة المثقّفين في كل مجتمع من مجتمعات العالم وأن العضويين من ضمن هؤلاء المثقّفين عليهم مسؤوليّة الكاملة في تحقيق أهداف المجتمع، وهؤلاء هم النخبة أو الصفوة Elite.

والمفكّر شعبان هو واحد من هذه الصفوة يهدف إلى تغيير المجتمع نحو مجتمع حرّ إنساني ملتزم بحقوق الإنسان والديمقراطيّة، ولذلك هو مثقّف عضوي في تصنيف غرامشي

الوعي الأولي

أوّل تساؤل مهمّ يتبادر إلى الذّهن هو: من أين بدأ المفكّر **شعبان** وعيه الأوليّ وانفتاحه للحياة؟

يجيب بنفسه على التساؤل ويقول: "بدأ الوعي الأوّل ينفتح في أجواء العائلة ومحيطها، وكانت هذه الأجواء شيوعيّة ويساريّة وثقافيّة وأدبيّة.. ولم يكن لنا من مصدر معرفي سوى الكتاب، الذي كان رفيقنا وجليسنا وصديقنا وزميلنا ومعلّمنا. لقد عشت في بيت، وقلْ بيوت من الكتب والمجلات والصحف، وكل ما حولي كان له علاقة بالكتاب موضوعاته ومحتواه"

هذه البيئة دفعته مبكّراً للعمل السياسي الذي كان، بحكم صغر سنّه، يجهل دروبه الوعرة وبناءه الفكري المعقّد، المتمثل بالفلسفة الماركسيّة، لذا نراه يقول: "لم يكن أحد منّا قد قرأ حينها الماركسيّة لكي يقول إنّه اهتدى إليها، كان إحساساً سليقيّاً وجدانيّاً بالظلم من جهة، وبالرغبة في تحقيق العدالة والمساواة والرفاه والتطلّع إلى العصرنة والحداثة من جهة أخرى، هو ما دفعنا للانخراط في العمل السياسي الماركسي"

وهكذا وجد **عبد الحسين شعبان** نفسه وهو ينخرط في العمل الجماهيري ويشارك في المظاهرات ويلقي أشعاراً وهتافات ثوريّة معبّراً فيها عن آلام الشعب ومعاناته ومطالبه بـ"إسقاط النظام"، وهكذا تكّونت له هُويّة خاصّة هي الهُويّة "الماركسيّة"

ولكـن عـدم التعمّـق في الماركسـيّة كان مـن النواقـص والثغـرات التـي اتّصفت بها "**الشـيوعيّة العراقيّـة**"، فقـد كانـت قراءتهـا أقـرب إلى المحفوظـات المدرسـيّة التـي كان التلاميـذ يحفظونهـا عـن ظهـر قلـب. وهـؤلاء هـم، كما يؤكد المفكّـر الثوري الفـرنسي **ريجيـس دوبريـه**، "العاطفيّون الداخلـون في الشـيوعيّة دون أدنى معرفـة بالماركسـيّة". ولذلـك طرأت تشـويهات على الماركسـيّة، سـواء على الصعيـد الفكـري أو على الصعيـد التطبيقـي

وهـذا مـا حـدا بالمفكّر **شـعبان** إلى أن يوجّـه انتقاداته إلى "حالة الماركسـيّة في العراق"، وهنا يقـول: "أعتقـد أننـي أمـارس دوري ضمـن منهـج نقـدي، وهو ليـس بعيداً عـن الماركسـيّة، بل في صلبهـا. وقـد اعـتبر **ماركـس** أن المثقـف ناقـد اجتماعـي، وبالتـالي فإننـي أحلّـل الظواهـر في ضوء المنهـج الجـدلي، وأنقدها اسـتناداً إلى الواقـع"، واعتبر النقد واجباً على المفكّرين الماركسـيين حيث يقـول: "وإنْ لم تتمكـن قـوّة صلبـة فكريّـاً وسياسـيّاً مـن ممارسـة النقـد، وبصوت عال، فـإن جيلاً جديـداً من الماركسـيّين سـيدفع الثمـن أيضاً"

إذن، مـن دون النقـد لا يمكـن مواصلـة المـسيرة وتصحيحهـا وتعديلهـا، وعليـه يـرى الدكتـور **شـعبان** نفسـه ضمـن الماركسـيّة النقديّـة أو الوضعيّـة النقديّـة الماركسـيّة، وهنـا نلاحـظ نوعـاً مـن التقـارب في الأفـكار مـع الأفـكار العامـة لمدرسـة فرانكفـورت التي ركّـزت على نقـد المجتمع البرجـوازي انطلاقـاً من الفكر الماركسي والنظريّة النقديّة لتجديد الطاقات الراديكاليّة للماركسـيّة، وهـذا الشيء يتـم فقـط، حسـبما يؤكـد الدكتـور **شـعبان**، عبر القـراءة الحـرّة والمتحـرّرة لماركـس مـن ماركسـيّته، وهـذا يعنـي اسـتخدام الماركسـيّة كمزيـج للنقـد والنقد الضـدّي. وهـذا الموقف النقـدي يمثّـل اللّـذة الفكريّـة لديـه ولكـن، وهنـا القـول لـ **روجيـه دوبريـه**: ".. تحتـاج اللّـذات الفكريّـة إلى دفعـات مسـبقة.. كـمْ يتطلـب أدنى تفكير من شـقاء؟ كـم تتطلّب فكـرة واحدة من ميتـات حقيقيّـة؟ كـم يتطلّـب كتـاب فلسـفة مـن دمـوع؟ لا وجـود لفكرة سـعيدة (هنـاك على الأكثر، في نهايـة المطـاف، اغتباطـات بفكـرة)"

لقـد اختـار الدكتـور **شـعبان** هـذا الـدرب الصعـب، ولكنـه مغتبـط بطـرح فكـرة يؤمـن بهـا وتكـون أداة "لكشـف الواقـع بـكل عيوبـه ومثالبـه بهـدف تقويمـه وإعـادة بنائه وفـق منظومة فكريّـة سـداها ولحمتهـا تحقيـق المسـاواة وقيَـم الـجمال والحـق". في هـذا الإطـار، فـإن المفكّـر **شـعبان** هـو المثقّـف العضـوي النقـدي الـذي يبنـي مواقفـه وآراءه بحـذر ويحتـاط في أمـر بنـاء أحـكام نهائيّـة أو في التعاطـي مـع الآراء الجاهـزة ولا يوجـد لديـه ما هـو بجـواب وردّ جاهز، بل

بالأحـرى لديـه مجموعـة مـن أسـئلة وتسـاؤلات يطرحهـا على نفسـه باحثـاً عـن أجوبـة مقنعة، وبهـذا فهـو **مثقّـف قلـق، بـل مغـرق في قلقـه المعـرفي بالإضافـة إلى كونـه مثقّفـاً عضويـاً نقدياً.**

الديمقراطية

وكمثقّـف عضـوي نقـدي وقلـق معرفيّـاً، يبحـث الدكتور **شـعبان** عـن مواضيع قلقـة ومُقلقة، ومنهـا موضوعـة "الديمقراطيّـة" التـي أخـذت مـن تفـكيره الحيّـز الكـبير وأقلقتـه كـثيراً إلى الحدّ الـذي أصـدر كتابـاً مـهماً حـول "**جـذور التيـار الديمقراطـي في العـراق** (**2007**)"، يتنـاول فيـه القضيّـة الديمقراطيّـة في العـراق، ولماذا تبـدّد التيـار الديمقراطـي فيـه بعـد أن كانـت لـه غصـون كـثيرة وجـذور قويّـة وتـأثيرات غير قليلـة؟

هـذا القلـق على مـصير التوجـه نحـو الديمقراطيّـة في العـراق نابـع مـن فهمـه وإدراكـه أن لا سـبيل إلى البنـاء والتقـدّم في العـراق سـوى محاولـة بنـاء نظـام ديمقراطـي يحقّـق المسـاواة والعدالـة، حيـث ناضل الدكتور **شـعبان** في سـبيلهما عقوداً مـن حياته وتحمّل الكـثير من المعاناة لبلـورة ونشر آرائـه في هـذا الميـدان الفكـري والتطبيقـي

وفي إطـار الدولـة يتحـدّث **شـعبان** عـن الديمقراطيّة، بعدما رأى مـا آلت إليه الدولـة في النظام الاشتراكي مـن التضخّـم ومـن ثـمَّ الانهيـار، حيـث يكتـب مـا يـأتي: "أعتقـد أنّ الدولـة هـي أعظم منجـز بشري، إذْ إنّ وظيفتهـا الأساسـيّة هي حماية أرواح وممتلـكات المواطنين (الناس، البشر وما يملكـون) وثانيـاً، الحفـاظ على النظـام والأمـن العـام، إذْ إنّ غيابها يـؤدي إلى الفـوضى والاحتراب، كما أنّ تقديسـها يـؤدي إلى الطغيان".

ويضيـف: "وقـد تحوّلـت الدولـة، في ظـلِّ التطبيقـات الماركسـيّة، إلى أوامريّـة بيروقراطيّـة اسـتبداديّة وأداة القمـع، ليـس فقـط للخصـم الطبقـي، كما قيل، وإنّمـا لعموم الشـعب.."، ولكن في مواجهـة ظاهـرة طغيـان الدولـة ليـس أمامنـا سـوى فكـرة الديمقراطيّـة التـي تتميّـز بكونهـا نقيضـاً للطغيـان وتقـف أمـام ظاهـرة تضخّـم مؤسسـات الدولـة

وهنـا يكتـب الدكتور **شـعبان** ما يـأتي: "ولعّل النظـام الديمقراطي، كميكانيـزم حديث ومعمول بـه في تـداول السـلطة بصـورة سـلميّة قائمـة على إقـرار التعدّديّـة والتنـوّع ومبـادئ المسـاواة والمواطنـة الكاملـة وفصـل السـلطات والقضاء المسـتقل، يحدّ من تغوّل السـلطة وتراثهـا العنفي

عبر التاريخ".

إنَّ **مسألة الديمقراطيّة في العراق** تمثّل إشكاليّة حسّاسة وخطيرة، حيث إن التمهيد لها في مجتمع يعتبر حاضنة للولاءات العائليّة والجهويّة والعشائريّة والمذهبيّة هي الطاغية والمسيطرة والمهيمنة في عقليّة وإرادة الإنسان (عدا قلّة من المؤمنين بإرادة الإنسان الحرّة وانعتاقه عن كل ما له صلة بالاستعباد والطغيان)، وأدّى إلى نشوء أنظمة استبداديّة شموليّة سلبت إرادة الإنسان العراقي ومازالت

العديد من الباحثين يشيرون إلى تجربة العراق في "الانتقال إلى الديمقراطيّة"، ويستندون في هذا الموقف إلى عدد من الانتخابات التي جرت بعد 2003. وهذا يعني أن هناك علاقة بين الديمقراطيّة والانتخابات، فما رأي الدكتور **شعبان** في هذا الشأن؟

يقول الدكتور **شعبان** ما يأتي: "الانتخابات أحد مظاهر النظام الديمقراطي، إذْ لا ديمقراطيّة من دون انتخابات وتداول سلمي للسلطة وتعدّديّة ومساواة واحترام الحقوق والحرّيات، فتلك مؤشرات على وجود النظام الديمقراطي، ولكن الانتخابات وحدها فقط لا تجّسد الديمقراطيّة، حتى وإنْ كانت حرّة ونزيهة، خصوصاً بغياب أو ضعف حكم القانون، وكذلك شّح الحقوق والحريات السياسيّة"

حقوق الإنسان

وعندما ينهمك المفكّر **شعبان** مع هموم ماركسيّة وما آلت إليها من تشويهات وتحريفات وجمود في "البراكسيس"، فإنه لا ينسى كذلك الانشغال الفكري والتطبيقي مع موضوعة مرتبطة مع تطور الفكر الإنساني: حقوق الإنسان. ويؤكّد "أن ثقافة حقوق الإنسان لا تزال متدنّية في عالمنا العربي إلى حدود مريعة وخصوصاً في العراق"، وهذا يعني أن هذه الثقافة وعلى المستوى الدولي متقدّمة جداً عن تلك المستويات الموجودة في المجتمعات المتخلفة. إذن ".. أصبحت حقوق الإنسان واقعاً عالميّاً بحيث بلغ مداها وتأثيرها حدّاً يثير دهشة مَنْ صاغوا إطار المشروع الدولي لحقوق الإنسان"، وهذا الواقع يفسّر مكانة حقوق الإنسان في العالم المعاصر. هنا يبرز تساؤل مهم حول دور الدكتور **شعبان** في نشر ثقافة حقوق الإنسان وتعميق الممارسات حول ترسيخها؟

يقـول المفكّـر **شـعبان** بهـذا الصـدد إنه ومنـذ عقود يسـعى لتكييـف مواقفه في إطـار حقوقي وقانـوني، ولذلـك سـاهم في نشـاط "**المنظمـة العربيّـة لحقـوق الإنسـان**" التـي تأسّسـت في عـام 1983 واسـتمرّ في هـذه الجهود بتأسـيس "الشـبكة العراقيّـة لثقافة حقوق الإنسـان والتنمية" في أربيـل ولنـدن وبعـض بلدان أوروبا عام 2000، وعقدت الشـبكة مؤتمرهـا الأول في نقابة المحامين ببغـداد العـام 2004 وانتُخـب كأوّل رئيس للشـبكة، ولم يقبل مطلقاً بإعادة انتخابـه للمرّة الثانية إيمانـاً منـه بوجـوب تطبيق قاعدة التداول السـلمي في رئاسـة الشـبكة

في كل هـذه النشـاطات، كان الدكتـور **شـعبان** يؤكـد مسـألة "نشر ثقافـة حقـوق الإنسـان بين النخـب السياسـيّة الحاكمـة وغير الحاكمـة، وخصوصـاً مـن خلال تأكيد سـيادة القانـون وتطبيقه على الجميـع دونمـا اسـتثناء أو تمييـز لأي سـبب كان".

مفاهيم الدين والعقل والواقع

المفكّـر **د.عبـد الحـسين شـعبان** أصـدر كتابـاً مـهماً تحـت عنـوان "**دين العقـل وفهـم الواقع**" عـن مركـز دراسـات الوحـدة العربيّـة في بيروت عـام 2021، وهـذا الكتاب من الكتـب ذات قيمة فلسـفيّة إجتماعيّـة – سياسـيّة ومـن ضمـن حقـل "علـم الإجـتماع السـياسي" حسـب تصنيـف بروفيسـور **جـورج جبور**.

في هـذا الكتـاب يحـاول **د.شـعبان** أن يقدّم صـورة جديدة للدِّيـن كظاهرة إنسـانيّة، اجتماعيّة – سياسـيّة، حيـث بـدأ كتابـه بحديـث "مقلـق" عـن الدِّيـن والتديّـن والعلـم والقانـون بالقـول: "مازالـت الحقبـة المُظلمـة تسـكن الكـثير مـن عقولنـا.. تتحكّـم في سـلوكنا وتُهيمـن على عاداتنـا وتقاليدنـا لتفـرض الركـود والرتابـة.. لتجرّنـا إلى الماضي بـدلاً مـن التطلع إلى المسـتقبل."

إذن، الكتـاب يبـدأ بإشـارة محـدّدة: نحـن نعيش في الحقبـة المُظلمة، وهـذه الحقبة هي عصر مـن عصـور التأريخ بسـقفٍ كئيـب يعكس أوضـاع الإذلال الديني والسـياسي والأخلاقي

هـذا الوضـع يسـميه **د.شـعبان** بـ"الوضـع الاغترابي" يواجه المجتمـع وبالذات الوسـط الديني، ويواجـه العـالم الـذي يتعـرّض إلى تغـييرات هائلـة نقـف أمامهـا "مذهـولين" لا حيلة لنـا تجاهها سـوى الخضوع

أمـام هـذه الصـورة القاتمـة، فإنّنـا بحاجـة إلى الانفتاح والاسـتعداد الفكـري لتفهّم واسـتيعاب

وتقبّل ما يجري الآن بعد عقدين ونيّف من القرن الحادي والعشرين. وهذا يعني أنّه علينا أن نفهم "**روح العصر**" واختيار الطريق الصحيح للتفكير والمتمثل بالعقلانيّة والتحليل

ومن هنا، إذن يتناول **د.شعبان** ككاتب ناقد ومُنظّر ومُحلِّل في كتابه بالدرس والتحليل مفاهيم الدين والعقل والواقع، أي أنه يبحث عن دين العقل لكي يفهم الواقع، فهل للعقل دين؟

لا يُصنع الدِّين تبعاً لإرادة الإنسان، أو بعمل عقلي محض. فالدِّين في شكله التقليدي ينتج عن ظواهر خارجة عن تلك الإرادة، اللحظات التأريخيّة هي التي تعمل على ظهوره. الدِّين ينطلق من تجربة عميقة فيها معاناة إنسانيّة وجدانيّة وعاطفيّة. إذن، ينطلق من أرضيّة بحث الإنسان عن معنى لوجوده

في تاريخ الفلاسفة الكبار في نهاية العصر الوسيط، اندلعت تجربة اجتاحت أوروبا في وقتها، وهي تجربة النقاش الجدلي بين أصحاب المعتقدات الفلسفيّة. أصحاب المدارس الفلسفيّة المختلفة لم يتركوا أيّ جانب في الحياة دون مناقشة أو جدل وسِجال يتحوّل في أحيان كثيرة إلى صراع حادّ بين المفكّرين، من أصحاب الاجتهادات المختلفة، ومن جرّاء ذلك ظهرت دراسات ومعلومات أثّرت وبِعُمق في حياة المجتمعات وتطورّها

من الممكن الادعاء، بأنّ **د.شعبان** من خلال كتابه (دين العقل.. وفقه الواقع) يحاول إعادة تلك التجربة ويخوض جدالاً فلسفيّاً - دينيّاً بين الدِّين والعقل، وقد يكون في ذهنه ما طرحه الفيلسوف **إمانويل كانت** (1724 - 1804) حول الدِّين في حدود العقل

وفي الربط ما بين الدِّين والعقل، فإنه ابتداءً من القرن السابع عشر تحرّر العقل الحديث من مؤثرات خارجيّة، رغماً عن أنّ الدِّين (سواء النصرانية أم الإسلام) أذِنَ للعقل في العمل على كشف أسرار الطبيعة، ولكن دون أن يتعارض ذلك مع العقيدة الدينيّة. فالعقل والعقيدة هما من أشكال المعرفة يتكاملان تدريجيّاً للوصول إلى الوحدة

وطيلة القرون الوسطى (أو الحقبة المُظلمة كما يسمّيها **د.شعبان**) كانت **العقيدة تتقدم على العقل**، ولأجل تغيير هذا الترتيب، أعلن **ديكارت** (1596 - 1650) الخطوة الأولى عندما أكد أنه من الممكن تفسير كل ما يحدث تفسيراً ميكانيكيّاً، وهذا يعني أن العقل بدأ يفسّر

كل مـا يحـدث واقعاً تفـسيراً محضاً

وطـرح **فيورباخ** (1872-1804) فكرتـه الثلاثيّـة: اللـه، العقـل، والإنسـان. وهكذا رجـع العقل إلى وجـدان الإنسـان، وقـد لاحـظ **ماكس شـيلر** (1874 - 1928) وجود قانون عـام يؤمن كل عقل بموجبـه بإلـه. وكما كتـب **باكـونين** (1814 - 1876) مـرّة حـول الدِّيـن بأنـه "يجـب أن لا تعمـل سياسـيّاً فقـط، بـل دينيّـاً في السياسـة، دينيّاً بمعنـى الحريّة"

وبالعـودة إلى **د.شـعبان**: في كتابـه حـول "**الدِّيـن والواقـع**" يقـدّم مشروعـاً فكريّـاً مفتوحاً لأنه يبقـى مشروعـاً غير مكتمـل ويحتـاج إلى اسـتمراريّة متفاعلـة مـع الزمـان والمـكان لإنجـازه، وإنّ عـدم اكتمالـه لا يعنـي أنّـه ناقـص كما قـد يتصـوّر البعض

د.شـعبان لا يُـشير إلى عـدم الاكـتمال لمشروعه، بـل عمل على الدفاع عنه لفتـح أبواب حوارات وسـجالات جديـدة بشـأنه بهـدف إغنائـه. إنّ عـدم الاكـتمال ليس عيبـاً، وإنّما يعنـي أنّ مشروعه مـازال محافظـاً على حيويّتـه وطاقتـه، ولم يتوقف أو يسـتنفذ، لذا يكتب **د.شـعبان** "وعلى الرغم مـن أهميّـة المشـاريع الفرديّـة في نقد الفكر الدينـي، فإنّني أعتقـد أنّ مشروعاً كـبيراً كهذا يحتاج إلى جهـد جماعـي ومثابـرة حثيثة وتراكم طويل الأمد وشـجاعة اسـتثنائيّة لتحقيقه، مثلما يتطلّب فتـح قنـوات متعدّدة ومتنوّعـة تصبّ فيه وتصـل إلى جوهره."

وفي هـذا المشروع يتكلـم **د.شـعبان** عـن دين العقل وهدفـه هو إصلاح المجـال الديني بإضفاء **صفـة العقـل والعقلانيّـة عليـه**، وخصوصـاً لا يوجـد فهْـم واحـد موحّد للدِّيـن، فإننـا إذن بحاجة للعقلانيّـة لكي يصبـح الدِّيـن ديـن المعرفة والعقـل لا دين الجهـل والخرافة

ويعتبر **د.شعبان** هذا التحديد ردّاً على أي فهْم خاطئ للدِّين.

إذن، مـا يقدمـه **د.شـعبان** في كتابـه "**ديـن العقـل وفقـه الواقـع**" هـو مشروع نقـدي جديـد متنـوع باختصاصـات مختلفـة، ويحـاول فيـه أن يجـد مخرجـاً للأزمـة وتفكيكهـا. هـذه الأزمـة المواجهـة للأمّـة هـي أزمـة عميقـة ومرّكبـة وطويلـة في ظـلّ قناعـات لا تتزعـزع رغماً مـن كل التغـييرات التـي طـرأت على العـالم

هـذا المشروع التنويـري يُطـرح في وقـت تـمّ فيـه إفـراغ الدِّيـن مـن إبداعـه الـدلالي وواقعيّتـه السياسـيّة والإجتماعيّـة. وقـد اتخـذ **د.شـعبان** مـن إحـكام العقـل انسـجاماً مـع فقـه الواقع عبر

الوعـي بالتأريـخ كمدخـل عـام لمشروعـه، الـذي فيـه يُفَـرِّق **د.شـعبان** مـا بين الدِّيـن والتديّـن، فالدِّيـن هـو منظومـة قيميّـة إنسـانيّة، بيـنما التديُّن هـو عبارة عن ممارسـات وشـعائر وعادات

وفي مشروعـه يؤكـد د.شـعبان **العدل** الذي سـيكون ضامنـاً للدفاع عن الوطن والإنسـان، حيث إن هـذا العـدل يمثّـل محتـوى المواطنة وجوهرهـا في الدولة الدسـتوريّة والقانونيّـة الحديثة التي هـي دولة المواطنـة والحق

ولكـن يظهـر أنـه لحـدِّ اليـوم لم يقـف أحـد ناقـداً وفاحصـاً ومناقشـاً، وذلـك لأنّ العقـل، كما يقـول **هابرمـاس** في مشروعـه الـذي لم يكتمـل أيضـاً "لـه مَـعين لا ينضـب لا مـن الطاقـة ولا مـن الخيـال ولا مـن الطمـوح، ولأنّ حركـة العلـم التراكميّة لا تتوقـف، وهكذا حركة الزمـن لا تتوقف كذلـك، هـذه هـي العنـاصر الأساسـيّة المكونة لبنيـة الحداثة، ومادامـت هذه العنـاصر لا تكتمل فـإنّ الحداثـة لا تكتمـل كذلـك، فالحداثـة يمكـن أن تنتكـس لكنهـا لا تكتمل"

إن مشروع **د.شـعبان** يمكـن تصنيفـه كـمشروع فكـري تنويري ضمـن حركة الحداثـة التي هي مشروع لم يُنجـز بَعدُ، حسـب رؤيـة **هابرماس**.

في هـذا المشروع التنويـري اسـتخدم **د.شـعبان** منهجاً نقديّـاً (يماثل منهج **ديـكارت**) هدفه هو بيـان القواعـد والإرشـادات التـي ينبغي أن نتّبعهـا، وكيفيّة اسـتخدام مَلكاتنا العقليّـة على الوجه الأشـمل، ويؤسّـس على دعائم الشـكّ الذي سـيصل إلى اليقين

المنهـج النقـدي العـقلاني قاد إلى اكتشـافات علميّة، ولأجل تحرير السياسـة من الدِّين وتخليص المجتمـع مـن الخرافـات، ينبغـي اعـتماد العقلانيّـة، ونقـد كل القضايـا بمـا فيهـا القضيّـة الدينيّة. لكـن هـذا الشرط يحتـاج إلى ترسـيخ الحريّـة الفكريّـة. إذن، المشروع التنويـري لــ **د.شـعبان** هو دعـوة لتجديـد الفكـر الدينـي، وتقديـم تفـسير جديـد للنصـوص الدينيّـة المقدّسـة وفـق أسـاس عـقلاني. وفي هـذا المنهـج العـقلاني يهـدف **د.شـعبان** إلى إقامـة مجتمع إنسـاني وحرّ

مـن المفيـد أن نجـري مقارنـة هـذه الأفـكار للمفكّر **شـعبان** مع مـا طرحه **ماكس فـيبر** (1860 -1920) قبـل أكثر مـن قـرن أفـكار حـول الدِّيـن في كتابه الشـهير (**الاقتصـاد والمجتمـع**). ويترتب على ذلـك أن التفـسير الاجتماعـي للظواهـر الدينيّـة والمعتقـدات الدينيّة كأيّة ظاهـرة اجتماعيّة، يـأتي مـن الطريقة التفسيريّة المسـتندة على الميثولوجي، حيث إن سـبب معتقـدات الفرد يتطابق

مـع المعنـى الـذي تحملـه هـذه المعتقـدات بالنسـبة له أو لهـا. وفقاً لـ **فـيبر**، فإن فئـة معيّنة من النـاس تلتـزم بمعتقـد مـعيّن هـو إظهـار أن هـذه المعتقـدات منطقيّة بالنسـبة لهؤلاء الأشـخاص. لـذا تظـلّ كتابـات **فـيبر** حول علـم اجـتماع الدِّين ذات صلـة بسـبب إطارها المنهجـي والنظري

على الرغـم مـن أنّ **فـيبر** يطبّـق نظريّـة الفهْـم لتحليـل المعتقـدات الدينيّـة بطريقـة واعيـة ومنهجيّـة: التمسّـك بـأي معتقـد، دينـي أو علمـي وكذلـك قانـوني، يـفسّر مـن خلال حقيقـة أن الموضـوع لديـه أسـباب قويّـة للاعتقـاد بـه

لم يكـن **فـيبر** وحـده مـن يتبنّـى هـذا الإطـار النظـري، المفكّـر والمـؤرخ الفـرنسي الثـوري **دي توكفيـل** (1805 - 1859) قبلـه يشترك في نفـس المبادئ النظريّة والمنهجيّة. ويوضح أن الاختلافات العيانيّـة التـي لوحظـت بين الولايـات المتحـدة وفرنسـا في محتـوى وتوزيـع المعتقـدات الدينيّـة "مفهومة"

يقـول **فـيبر**: إنّ الدِّيـن يشـبه حالـة السِّـحر، الـذي تجنّـب دائمـاً النقـاش غير المجـدي إلى حـدٍّ مـا -والـذي يزخـر بـه الأدب الأنثروبولوجي الكلاسـيكي- حـول العلاقـات بين الدِّين والسِّـحر: هل أحـدهما سـابق على الآخـر؟ إذا كان كذلـك؛ أيّـهما؟ وهل يكمّـل أحدهما الآخـر أم يتناقض معه؟ لأن الدِّيـن، بالنسـبة إلى **فـيبر**، يحتـوي حـتماً على جرعـات أكبر أو أقـل مـن السِّـحر. علاوة على ذلـك، يسـعى كلّ مـن الدِّيـن والسِّـحر إلى أهـداف محـدّدة جيّـداً ويحـاولان تحقيقهـا بالوسـائل القائمـة على النظريـات التـي يجدهـا المؤمـن مقبولة

بهـذا الصـدد يكتـب **د. شـعبان** أن هنـاك "ثمّـة فـوارق كـبيرة بين الدِّيـن، الـذي هـو منظومـة قيميّـة إنسـانيّة، والتديُّـن الـذي هو ممارسـات وشـعائر وعـادات بعضهـا أقـرب إلى ميثولوجيات وخرافـات يـشترك فيهـا الكـثير مـن الأديـان". ويضيـف: "وإذا كان الأمـر قـد اقـتصر في كـثير مـن الأحيـان على تفـسير العقائـد الدينيّـة، التـي يتعلّـق بعضهـا بالظواهـر الغيبيّـة وتعطّـش الـبشر الروحـي للشـعور بالطمأنينة الداخليّة، ولاسـيّما في ظلِّ عجز الإنسـان عن تفـسير وحلّ الكثير من الأسـئلة التـي تواجهـه..". إذن لجـوء الإنسـان المتديِّـن للغيبيّة (وفي السِّـحر الكثير مـن المفارقات الغيبيّـة) هـو لكي يطـمئن على وضعـه ويرتاح

في السـطور الأولى مـن الفصـل الخـاص بعلـم اجـتماع الدِّيـن في الاقتصـاد والمجتمع، يستشـهد **فـيبر** بالتثنيـة: نحـن نتبع تعاليـم الدِّين "حتـى إذا كان الأمر جيّداً معـك.. ولكي تطيل أيامك على

الأرض". وفي الفصل الافتتاحي للاقتصاد والمجتمع حول الدِّين، يشير **فيبر** إلى أن المعتقدات التي تبدو غريبة بالنسبة لنا والتي نسمّيها "غير عقلانيّة" تبدو كذلك بسبب ما أطلق عليه السايكولوجي السويسري **بياجيه** (1896 - 1980) "مركزيّة المجتمع"

في رأي **فيبر** تظهر عقلانيّة الفكر الديني أولاً وقبل كل شيء في حقيقة أنّ المؤمن "مزيّف". ويختفي الإله الذي لا يؤدي الخدمات المتوقعة منه. إنّ الفلاح متردّد في قبول التوحيد، لأن وحدة الإلهام التي نتوقعها من إرادة إلهيّة فريدة لا تكاد تتوافق مع تقلبات الطبيعة التي يواجهها

تبدو إحدى النظريات، التي وفقاً لها تعد الظواهر هي في الواقع إرادة في منافسة مع بعضها البعض، أكثر اتّساقاً مع ما يراه كل يوم. هذا هو السبب في أنّ كلمة "وثني" تأتي من تبادل الإهانة: أولئك الذين ظهروا متمرّدين تجاه التوحيد كان يُطلق عليهم اسم الوثنيّة. أصبح القدّيسون جزءاً أساسيّاً من الكاثوليكيّة لأنهم سمحوا للنظريّة الدينيّة بالتوافق مع الواقع في نظر الفلاحين. يؤكد **فيبر** أن تفسير النبوءات يبدو أنه يتكيّف باستمرار مع الواقع

إذن، تترجم عقلانيّة الفكر الديني إلى حقيقة أنّ المؤمن يتبيّن أنه "تَحقَّق". منذ **كارل بوبر**، كان للتحقّق من سمعة سيّئة في فلسفة العلم: لا يمكننا التحقّق من صحّة نظريّة، يمكننا فقط "تزويرها". لكن هذا ينطبق فقط على النظريات التي تتّخذ شكل افتراضات عالميّة. وبصدد العلم يستشهد **د.شعبان** بالفيلسوف **برتراند رسل** (1872 - 1970) الذي يقول إنّ العلم لا يستهدف إنشاء حقائق ثابتة وعقائد أبديّة، بل هدفه الاقتراب من الحقيقة، وهذه الأخيرة ليست نهائيّة. وعند المحاولة في كشف العلاقة بين العِلم والدِّين، فإنّ المعرفة بهما تختلف، حيث إن العلم يتحدّد بمقدّمات وتجارب ونتائج، بينما الإيمان مرتبط بالقلب وبالعلاقة بأسماء أو الغيب أو الماوراء

لماذا المناظرات؟

في كتابه "**دين العقل وفقه الواقع**"، يلجأ المفكّر شعبان إلى مناظرات ومناقشات لاكتشاف حقيقة العلاقة بين الدِّين والعِلم والواقع، وذلك من خلال علاقته بالفقيه أحمد الحسني البغدادي، وهكذا تبدأ المناظرة بين العلمانيّة والدينيّة، ولكنّها مناظرة هادئة أساسها الإقدام وعدم التخوين والبحث عن المشتركات

ومـن هنـا يؤكد **د.شـعبان** على "علاقة عضويّة سوسـيوثقافيّة بين الدِّين والتديُّن أساسـها جهل الإنسـان بذاته وبالآخـر، إضافة إلى جهله بالطبيعة وغموض المسـتقبل".

هـذه القضايـا تشـغل بـال الإنسـان وتزيـد مـن قلقـه، والمسـألة هـذه غير محصـورة بالفرد أو الأفـراد، بـل إنهـا تشـمل كذلك الجماعـات والمجتمعـات خالقة قضايا معقـدة منها قضيّـة الهُويّة إلى جانـب قضايـا مهمّـة مثل الـسلام والعدالة والمسـاواة

هـذا الوضـع يفسـح المجـال لـلصراع والجـدل الذي سـيتحوّل نحـو صراع كوني، حيـث تراكمت عبر السـنين أفـكار ومعتقـدات وقناعـات اتّخـذت بعضها صفـة "العلويّة المقدسـة".

ولذلـك يدعـو **د.شـعبان** إلى تعـاون ومشـاركة ونقـد متبـادل بين مدنـيين حداثـيين ودينـيين مؤمـنين، حيـث يجـب على الجميع الإيمان بحـقّ الاختلاف والحقّ في النقـد واحترام الخصوصيات

وفي كل هـذا وفي إطـار المناظـرات يحـاول **د.شـعبان** أن يلجـأ إلى النقـد كوسـيلة مـن وسـائل التواصل

ما محتوى هذه المناظرات؟

يُركّز د. شعبان على ثلاث قضايا مهمّة هي:

- **العلاقة المركبّة بين الديني والعلماني.**

- **العلاقـة بـين الدِّيـن والدولـة، وكيـف يمكـن حـلّ التناقـض، وهـل يصلـح الدِّيـن لـكل زمـان ومـكان، وهـل الإسـلام فعـلاً ديـن ودولـة؟ ومـا ملامـح الدولـة الدينيّـة؟ وكيـف نفرّقهـا عـن الدولـة المدنيّـة؟ ومـا موقعهـا مـن الحداثـة؟**

- **العلاقة بين الاجتهاد ولغة الفكر أو الاجتهاد وفكر اللغة.**

هـذه القضايـا الجوهريّـة في مناظـرات **د.شـعبان** أثـارت جـدلاً واسـعاً، وخصوصـاً عنـد تناولـه مسـألة الدِّيـن - العقـل، مـشيراً إلى حـوارات مهمّة لفلاسـفة كبـار ومنهم **هيغـل** (1770 - 1831) الـذي يـفسّر الدِّين بوصفه الرغبة في السـموّ الإنسـاني، نحـو الأعلى والأكمل، ومن خلالها يتجسّـد الإلـه. وعلى العكـس قـام **فيورباخ** بنقـد ذلـك، ومنه اسـتمدَّ **ماركـس** رؤيته في شـأن الدِّين

لقـد اسـتند **د.شـعبان** على حقائـق مهمّة في مشروعـه التنويـري، والتي (الحقائـق) تدور حول سـلبيات رجـال الدِّيـن وخشـيتهم في محاولـة توعيـة النـاس واسـتبدال المفاهيـم القديمـة البالية بمفاهيـم وسـلوكيات واقعيّة تنسـجم مـع التحوّلات الـكبرى في العالم والقائمـة على الحقّ والعطاء والحريّـة، وهـذا يخلـق بيئـة مضادّة وكارهـة للأفـكار التنويريّة

لذلـك يكتـب "مـن أجـل أن يكـون عـنصر تحـرّر وتغـيير لا عـنصر سـكون وخضـوع، وعليه لا يمكـن قـراءة النـص الدينـي والقـرآني تحديـداً قـراءة ماضويّة محـدّدة وتـأويلاً واحـداً، ففي ذلك إسـاءة إلى حريّـة الفكـر والتفـكير، وهـو مـا فعلنـاه مـع **الفـارابي وابـن سـينا وابـن رشـد** الذيـن قرأناهـم بطريقـة دوغمائيّـة، وحتى القـراءات المتأخّرة لهـؤلاء ولنصوص دينيّة تحاول حبسـها في فهْـم خـاص وضيّـق، مثـلما تحـاول حبس إدراكنـا وقراءتنا لهـا، إلى درجة أن القـرآن أصبح للتلاوة والترتيـل والإعـادة والحفـظ، في حين إنـه أهـم كتـاب إسلامـي جامـع ومفتـوح وقابـل للتأويـل والقـراءة المفتوحـة، وهـو ليـس مُلـكاً لأحد، لفقيـه أو عالِم دين أو شـيخ أو قـارئ أو مرتّل، بقدر مـا هـو مُلك الإنسـان الـذي يسـتطيع قراءتـه وفهْـم معانيه وتمثـل قيمه الإنسـانيّة"

في الختـام أخلـص إلى القـول إنّ هـذه المناظـرات والنقاشـات، فضلاً عـن إنتاج شـعبان الفكري تؤكّـد أنـه مثقّف عضوي نقدي بامتياز، اسـتخدم النقد كوسـيلة من وسـائل التواصـل والتجاذب، وكما يؤكـد، يُعـتبر أفضـل أداة تنمويّـة وتطويريّـة اكتشـفها الإنسـان، وهو نقد يقـوم على التمايز والخصوصيّـة مـن جهـة والقِيَم الإنسـانيّة مـن جهة أخرى

وضوح الرؤية وروح الوفاق

د. الصادق الفقيه[1]

1- كاتب وأكاديمي سوداني وسفير وأمين عام منتدى الفكر العربي – الأردن، وأستاذ العلاقات الدولية والدبلوماسية، جامعة صقاريا، تركيا

في البدء:

يعرف وضوح الرؤية عموماً بأنه جلاء وحدة الإدراك، أو الفهم، مما يمكن الأفراد من تَبَصُّر وفهم جوهر محيطهم بأقصى قدر من الدقة والوضوح. والإدراك، وهو عملية معرفية متعددة الأوجه متشابكة بشكل معقد مع تجربتنا الواعية، وهو بمثابة قناة يختار من خلالها الأفراد ببراعة، وينظمون بدقة، ويفسرون بشكل مدرك، تدفق المدخلات الحسية، التي يتلقونها، ويدمجونها بسلاسة لإنتاج صورة نابضة بالحياة ومتماسكة وذات مغزى للعالم، الذي يقيمون فيه. وهذه العملية المعقدة من الإدراك، التي تتأثر بعمق بمزيج الفرد الفريد من تجارب الحياة، تشكل وتنظم بعمق أفكارهم وعواطفهم وأنماطهم السلوكية اللاحقة. وتشير الرؤية، بجمالها المتنوع، إلى قدرة الأفراد على التفكير والتأمل والتخطيط ببراعة للمستقبل، مما يؤكد قدرتهم على تصور مسار يتجاوز حدود الحاضر. إنها كلية رائعة تمكن الأفراد من تسخير قوة حكمتهم وخيالهم وبعد نظرهم، وبناء خارطة طريق شاملة تحدد تطلعاتهم وأهدافهم وطموحاتهم. ومحور مفهوم الرؤية هما ركيزتان لا غنى عنهما؛ الوضوح والتركيز. ويضمن الوضوح، باعتباره حجر الأساس للرؤية الحازمة، أن بانوراما الأفكار والأفكار والرغبات محفورة بشكل لا لبس فيه في عوالم الإدراك، لا يشوبها الشك، أو الغموض. إنه يولد حالة من الوضوح البكر، مما يسمح للأفراد بإدراك الاتجاه، الذي يرغبون في اتباعه بحدة وتصميم لا يتردد. ومن ناحية أخرى، فإن التركيز، الذي يعمل كمنارة إرشادية، يجسد الشدة والدافع الثابت، الذي يدفع به الأفراد أنفسهم نحو أهدافهم المحددة مسبقاً. إنه يدل على عقلية مدفوعة بالهدف، والتزام لا يتزعزع، وتفانٍ أحادي التفكير لتحقيق تطلعات الإنسان.

ومن خلال تنمية تركيز لا تغيبه الحادثات، يتأكد الأفراد من أن أفعالهم تتماشى مع رؤيتهم، وتعزز عزمهم، ودرء الانحرافات، التي قد تحجب طريقهم. ومن خلال هذا التكامل المتناغم للوضوح والتركيز، يصل الأفراد إلى حالة من الإضاءة العميقة، حيث يصبح الغرض من مساعيهم وأهميتها واضحاً تماماً. لذلك، فإن أحد الجوانب الرائعة للرؤية الواضحة هو قدرتها التي لا مثيل لها على اختراق الامتداد الشاسع لأفكار الفرد، واجتياز آفاق وعيه بتصميم حازم. إنه يضفي على كل خطوة وكل قرار وكل مسعى معنى عميقاً، مما يؤكد

الأهميـة الأوسـع في السـعي لتحقيـق أهدافـه. علاوة على ذلـك، فـإن الرؤيـة الواضحـة تحصـن الأفـراد بفهـم راسـخ لما يجـب إنجـازه وبنفـس القدر مـن الأهميـة إدراك لماذا يجب إنجـازه. إنه يعـزز الشـعور بالاقتنـاع، الـذي لا يتزعـزع، وهـو اعتقـاد لا يقهـر، يدفع الأفـراد إلى الأمـام، حتى في مواجهـة الشـدائد، أو عـدم اليـقين. ولذلـك، مـع رؤية واضحة، يتجـاوز الأفراد حـدود الحاضر، ويشرعـون في رحلـة تحويليـة تتشـابك بشـكل متناغـم بين الإدراك والهدف والعمـل. إنه يدفعهم نحـو مسـتقبل مشـبع بإمكانـات غير مسـتغلة وإمكانيـات لا حـدود لهـا، مما يمكنهم مـن التنقل في تعقيـدات الحيـاة المتاهـة بحكمـة وشـجاعة ومرونـة لا مثيـل لهـا. وأثنـاء تنقلهـم في النسـيج المعقـد لوجودهـم، يسـتمتع الأفـراد المجهـزون بوضـوح الرؤيـة بـإشراق تطلعاتهـم، ويحتضنـون القـوة التحويليـة لأفكارهـم وأفعالهـم ومسـاعيهم. لذلـك، فـإن وضـوح الرؤيـة يوفـر الإرشـاد والتوجيـه، وهـو عامـل محفـز. بالنسـبة للفـرد، فإنـه يوفـر التوجيـه للنمـو الشـخصي والتطـور. بالنسـبة للمجتمـع، فإنـه يوفـر الأسـاس للتقـدم والتنميـة. يحدث التغـيير باسـتمرار في العالم من حولنـا، ونحـن وكلاء هـذا التغـيير. ولدينا الوعـي والقـدرة على تحديد نوع المسـتقبل، الذي نريد أن نخلقـه لأنفسـنا وللآخريـن. وإذا أهملنـا هـذا الـدور الحاسـم، فـإن الآخريـن سـيأخذون زمام المبـادرة ويشـكلون المسـتقبل وفقاً لرؤيتهم الخاصة. ويمكن لأي شـخص مـن دون رؤية أن يكون أنانيـاً، ويعطـي الأولويـة لمصالحـه الخاصـة دون النظـر في الضرر، الـذي قـد يسـببه للآخريـن

سيرة حافلة:

كـثيراً مـا نبـدأ حديثنا ونحن نتجرد للتعريف بشـخصية إنسـان؛ مثل عبد الحسين شـعبان، بأن نضـع في مقدمـة تركيزنـا تفاصيـل سيرتـه الذاتيـة؛ نزينهـا بتاريخ المولـد، ومراتع النشـأة، ومراحل التعليـم، ونؤرشـفها بـكل مـا أحـاط به مـن مؤثرات العائلـة والزمان والمـكان، وما انشـغل به من هوايـات وانـتماءات. ويقينـي أن كل ذلك مهم ومطلوب، لكن ذات اليـقين يحملني على التواضع أن هنـاك مـن هـم أقـدر منـي على رصـد دقائق هـذه المعلومـات الموضوعيـة، وتثبيـت حقائقها المكانيـة وتعـيين مراحلهـا الزمانيـة بدقـة لم تتوفـر لي جميعهـا، ولا أحسـب أنهـا ضروريـة لقولـة حـقٍّ في صديـقٍ لا يُعَـرَّفُ بمثـل هذه القياسـات. لكن مـا يعنيني قصداً هو أهمية الإدلاء بشـهادة أمـام مـن يعرفونـه، ولا ينتظـرون منـي مزيـد معلومـة هـم لهـا أحفظ، ولـن أكـون أصرحهم، ولا أفصحهـم في التعـبير عـن جماع معارفهـم حـول شـخصيته، وإن شـاركتهم الحب له. ومـا أسره في نـفسي مـن ودٍّ قـد أتفـوق فيـه عليهـم بـه تجاهه، لأننـي مفـتتن بتفـرده في وضوح الرؤيـة وروح

الوفـاق. وعندمـا أحـاول أن أقـول كلمـة عـن وضوح هـذه الرؤية وتجلياتهـا في روح الوفـاق، فأنا لا أقـدم عرضـاً لـسيرة حياتـه ومسيرته المهنية والثقافية والسياسـية، ولا أسـطرها كدراسـةٍ وتقييمٍ منهجـيٍ مقيـدٍ بمراجعـه ومراجعاتـه، وإنمـا هـي ملمح أخطّـه ببـصيرة القلب لا بصر الـعين، التي تُشـاهد بمشـاعر الود نبض الإنسـان ونضح الأخلاق. ولا شـك عندي أن من يقوم بتسـليط الضوء على سيرة حياتـه منـذ طفولتـه ونشـأته العائليـة والتعليميـة، سيستكشـف تـأثير هـذا الوضـوح، وهـذه الـروح، على نظرتـه الشـخصية والمجتمعيـة، وكل قيمه الأخلاقيـة الإنسـانية. ولكن تحليل ملمحنـا ينصـبّ على مفهـوم وضـوح الرؤيـة وروح الوفـاق، وأهميتـهما في التـأثير على التصرفات الشـخصية، وانعكاسـهما على كل تجمـع خالطـه بمشـاركاته، أو مجتمـع عـاش فيـه. ومـن خلال هـذا التحليـل، نحـاول الإطلال على شـذرات ولُمَـعٍ مـن تجـارب وأفـكار عبـد الحـسين شـعبان، التـي أعانتـه على تحقيـق رؤيته الشـخصية، وتعزيز روح الوفـاق بينه وكل الأفـراد، الذين عرفهم وعرفـوه، وعمـل بجـدٍّ وهمـةٍ على بنـاء العلاقـات الإيجابيـة والمثمرة معهـم. وهي مجـرد إطلالة بلا إطالـة، تَشِـفُّ ولا تصـف، لأننـا نُـدرِك أن مـن يقـوم بمسـح لأعمال الدكتـور شـعبان السـابقة والحاليـة في مجـالات متعـددة، بمـا في ذلك أدواره، التي قَـلَّ ما تحدث عنها، في القيادة السياسـية والحـض المسـتمر على التنميـة الاقتصاديـة والثقافيـة والقانونيـة والعدليـة، وكل مـا ارتبـط بهذه مـن حقـوق وقيـم الكرامـة الإنسـانية، سَـتصعب عليـه المهمـة. ولأن هدفنـا النهـائي هـو تقديـم «حكايـة» شـخصية عـن عبـد الحـسين تسرد شـيئاً يـسيراً عـن تـأثيره علينـا كأعضـاء في مجتمـع عُـرِفَ بـه، وذِكْـراً عرضيـاً لبعض إسـهاماته في تحقيـق العدالـة الاجتماعية والتعايش السـلمي بين الثقافـات والمجتمعـات المختلفـة، وتمثلـه لـكل إيجابيات ذلـك في حياته وآرائه وأفـكاره وأحاديثه ومحاضراتـه وكتاباتـه ومؤلفاته وأعمالـه المتنوعة.

لهـذا، فـإن أبسـط مـا يمكـن أن نقـول بـه إن عبد الحـسين شـعبان رأى النور في يـوم فرحت به أسرتـه، حيـث نشـأ وتَرَعَرع في بيئة محافظـة ملؤُها القيَم والتقَاليد العراقيـة الغنية. وبدأ تعليمه الأولي حيـث أرادت لـه عائلتـه أن يكـون نموذجـاً في المـدارس النموذجية العالية المسـتوى، حيث حظـي بتعليـم متميـز، وتعهدتـه منهجيـة تعليميـة شـاملة قوامها الجـودة والاعتماديـة. وذهب بعدهـا إلى الدراسـة الجامعيـة، حيـث ترسّـخت فيـه المعرفـة والتصـورات الفلسـفية العميقـة، التـي كانـت تصـوغ افتتاحيـة طريقـه العلمي والفكـري. وقد جعلـت تجربته المميـزة في التعليم والتربيـة منـه شـخصية مميـزة مليئـة بالعقلانيـة والتميـز الفكري، وقـد كانت مصدر إلهـام له في

فهمه العميق للحياة والعالم. وعمل بجدية شديدة على تطوير رؤيته الفريدة وتحويلها إلى واقع تطبيقي فعّال. وبفضل حصيلته المعرفية الواسعة وقدراته العقلية الاستثنائية، أصبح عبد الحسين شعبان رمزاً للاستقلالية الفكرية والإبداع العلمي في العراق وفي العالم العربي بأسره. وربما يكون التسامح والوفاق وتطهير الروح البشرية من الغيرة والكراهية والأفكار الشريرة أكثر الخطوات إلحاحاً للسلام، إلى جانب عملية اجتماعية وسياسية صادقة لتوفير جميع الاحتياجات الإنسانية الأساسية. في هذه المجالات، كان الدكتور عبد الحسين شعبان نشطاً للغاية. وقام بإنتاج العديد من الموضوعات والمساهمات الفكرية وتقديمها ونشرها في أوقات مختلفة خلال مسيرته الأكاديمية. ومثل جميع المفكرين والمثقفين الآخرين، لا تزال مساهمات شعبان تأتي موضوعية وفي الوقت المناسب

وضوح الرؤية:

إن وضوح الرؤية عند عبد الحسين شعبان هي القدرة الفائقة على رؤية الأهداف والتوجهات بشكل واضح ودقيق، وهي أمر بالغ الأهمية والضرورة في الحياة الشخصية والمهنية. فعندما يكون الشخص قادراً على تحديد رؤيته وتحقيقها بوضوح، يستطيع اتخاذ القرارات الصائبة، وإنجاز المهام، ومجابهة التحديات بثقة ودقة. ويمكن للوضوح أن يكون كالشمعة، التي تنير طريق النجاح والتفوق. وفي حياة عبد الحسين شعبان، قد لعب وضوح الرؤية دوراً بارزاً وحاسماً، كما أسلفنا، في توجيهه وتصميم مسار حياته المهنية والشخصية. فقد قام عبد الحسين بتحديد رؤيته بشكل دقيق وواضح منذ البداية، حيث وجه جهده نحو تحقيق أهدافه بقدراته ومواهبه الفذة. وبفضل هذا الوضوح الفائق، استطاع عبد الحسين إنشاء خطة متقنة للتطور والنجاح، والعمل على بناء مستقبل مشرق ومستدام لنفسه ولمن حوله. بالإضافة إلى ذلك، أدرك أن وضوح الرؤية يساعد في تجاوز التحديات والعقبات، التي قد تواجه الفرد في رحلته نحو تحقيق تطلعاته الخاصة والعامة. فعندما يكون هناك وضوح في الرؤية، يصبح من الممكن تحديد الخطوات اللازمة واتخاذ القرارات الملائمة لتجاوز الصعاب وتحقيق التفوق. وهذا ما حدث بالضبط في حالة عبد الحسين شعبان، حيث استطاع تجاوز التحديات المختلفة بفضل وضوح رؤيته هذه، وقدرته على التركيز على الأهداف وتحقيقها بشكل متميز. لذا، فإن وضوح الرؤية لا يمثل بالنسبة له مجرد مفهوم فلسفي، بل هو مفتاح النجاح والتحقيق الشخصي والمهني. إنه العامل الرئيس، الذي يُمَكِّنُ الفرد من الوصول

إلى أعلى المراتب، وتحقيق طموحاته، وأهدافه، بكفاءة وفعالية. ولذلك، يدعو بحرص شديد أنه ينبغي على الجميع أن يسعوا لتحقيق وضوح الرؤية في حياتهم وأعمالهم، وأن يعملوا بكل جد واجتهاد على تحقيقه والاستمرار في تنميته وتطويره. فالوضوح هو المفتاح لتحقيق النجاح والرضا الذاتي والتفوق المستدام

ولا تقف شخصية عبد الحسين عند تعريف الرؤية بالمعنى الاصطلاحي، إذ يعني الأمر له القدرة الفريدة والاستثنائية، التي لا مثيل لها على تحديد الأهداف، والقفز فوق الطموحات الشخصية، أو المهنية، بشكل تام وكامل؛ وضوحاً ودقة وتحديداً فائقاً. وتكمن أهمية رؤيته الاستراتيجية الرائعة في قدرتها الخارقة على إلهام غيره من الناس وتشجيعهم بشدة وحماسة للتحرك نحو تحقيق أحلامهم وطموحاتهم العظيمة، وتطلعاتهم العالية، بكل تأكيد وإخلاص وأمانة. ففي حياة الشخصية الاستثنائية عبد الحسين شعبان، كانت الرؤية تلعب دائماً دوراً حيوياً وأساسياً وفاعلاً في بناء شخصيته القوية، وتحقيقه للنجاح الباهر في حياته، والمتفوق بصورة كبيرة على أقرانه، حيث تتميز شخصيته بقوة الإرادة والثقة العالية جداً بالنفس والمثابرة غير المتناهية في تحقيق أهدافه غير المحدودة والمشرقة بوضوح على نحو لا يمكن لأحد أن ينكره، أو يتجاهله

وضوح الرؤية في القيادة هو سمة مميزة أخرى للدكتور عبد الحسين شعبان. تهدف رؤيته العميقة والملهمة إلى تحسين وتسخير الإمكانات الهائلة للقدرات البشرية، وتجاوز حدود الأفكار والمعرفة. يتصور الدكتور شعبان عالماً يدفع فيه التقارب المتناغم بين التخصص والتقنيات الحاسوبية المتطورة وأدوات الاتصال المتقدمة البشرية نحو آفاق غير مسبوقة من التقدم والابتكار. وما يميز الدكتور شعبان حقاً ليس فقط أفكاره البصيرة، ولكن أيضاً تفانيه، الذي لا يتزعزع في تحقيقها. وبعزم لا يتزعزع، يحتضن رؤيته بكل إخلاص، رافضاً أي شكوك، أو عقبات قد تعيق تحقيقها باعتبارها مجرد إلهاءات. هذا المستوى الاستثنائي من الالتزام الواضح في النجاح الملحوظ الذي لا مثيل له عزز التأثير العميق لتفانيه الفريد والحازم. لا تقتصر القيادة الحكيمة للدكتور شعبان على سياق محلي. إنه يتجاوز الحدود وله أهمية عالمية. وهو يدافع بنشاط عن القوة التحويلية للأفكار، ويلخص جوهر التعاون والتآزر بين الناس. من خلال التزامه الثابت بالتميز، يعزز الدكتور شعبان بيئة يزدهر فيها التعاون متعدد التخصصات، ويتجاوز الحدود والاختلافات الثقافية لخلق نسيج من الأفكار

المبتكـرة والاكتشـافات الرائـدة. في سـعيه لتعزيـز فهمنـا لوضـوح الرؤيـة، يدفـع الدكتور شـعبان بلا هـوادة حـدود المعرفـة إلى الأمـام، ويدفع باسـتمرار حدود ما يعـتبر ممكناً. وكقائـد ذي رؤية حقيقيـة، لا يشـكل الدكتـور شـعبان الحاضر فحسـب، بـل يصوغ المسـتقبل أيضاً. إنه يـدرك تماماً القـوة الهائلـة، التـي يتمتـع بهـا القـادة لإلهـام التغيير وإشـعاله، ويسـتخدم هذا التـأثير بحكمة. ويرعـى الدكتـور شـعبان ثقافـة الابتـكار والفضـول، ويشـجع من حولـه وزملاءه على استكشـاف مناطـق مجهولـة بلا خـوف وتبنّـي عقليـة مدفوعـة بالتعلـم المسـتمر والنمـو. ففـي عـالم يـكثر فيـه عـدم اليـقين والتعقيـد، يقـف وضـوح رؤيـة الدكتور عبـد الحسين شـعبان، الـذي لا يتزعزع كمنـارة للأمـل والإلهام. تجسـد رؤيته، التـي يغذيها التفـاني، والإمكانات التحويليـة للقيادة، التي يسترشـد بالتـزام لا ينضـب بالتميـز والتعـاون والسـعي الـدؤوب للمعرفة

روح الوفاق:

تجـدر الإشـارة إلى أنـه إذا كان وضـوح الرؤيـة يعنـي للدكتـور شـعبان كل مـا تقدم، فـإن روح الوفـاق تعنـي بالنسـبة لـه، ولنا، القـدرة العظمى على التفاهـم والتوافق مـع الآخرين والمحيطين بـه، سـواء في الحيـاة الشـخصية، أو في أقضيـة الحيـاة الاجتماعيـة المتنوعـة. وتعـتبر هـذه الصفة الأساسـية، والضروريـة بلا شـك، معينـة لـه في بناء علاقات صحيـة ومجتمعات مزدهـرة ومتوازنة، تجعلـه يحظـى بـالاحترام والتقديـر العالي. فالوفاق المرن يسـهم بشـكل كبير في تقليـص النزاعات وتجـاوز الخلافـات العابـرة، ويعـزّز بالتـالي التعـاون والتكافـل الطيـب بين أفراد المجتمـع، ويعين على تشـكيل صلات راسـخة وقويـة. ومـن ثـم، فإنه يعزز بشـكل كبير نمـو الـذات ورفاهيّة الحياة الباهـرة للشـخص ولمـن حولـه. ولهـذا السـبب، فمـن الضروري اختيـار عبـد الحـسين بلا منـازع ليكـون هـو النمـوذج، الـذي مـارس مـن خلال حياتـه التركيـز الجـاد على فهـم مفهـوم الوفـاق الشـامل، وأهميته المتعالية في تشـكيل سـلوكيات الأفـراد الحميدة، ومواءمـة تفاعلاتهم المتناغمة مـع المحيـط الاجتماعـي، وكذلـك التـآزر مـع المجتمعـات العابـرة لتكويـن فضـاءات مجتمعيـة صحيـة، وعابـرة حقـاً لهمـوم راهنهـا، مـن دون التغاضي عـن البحـث في معالجاته

وتعنـي ترجمـة روح الوفـاق، في طبيعـة عبـد الحـسين، القـدرة العاليـة على التلاحـم والتفاهم المتناغـم مـع الآخريـن مـن دون الحاجـة إلى الصراعـات والانقسـامات. فهي تُعد إحـدى السمات الحيويـة والجوهريـة في حياتـه الفرديـة والاجتماعيـة، حيـث تسـهم بشـكل كبير في خلق سـمت

معين لعلاقاته الشخصية، ومحيطه العام. بالإضافة إلى ذلك، فهو يسعى للوفاق دائماً أملاً في أن يؤدي إلى تعزيز كل العلاقات الاجتماعية، وبناء روح الفريق والتعاون بين الأفراد والجماعات المختلفة. ومن المهم جداً فهم تفسير مفهوم الوفاق عنده، إذ يأخذه بشكل شامل ومتكامل، حيث يسهم بجهوده، التي لا تكل ولا تمل، في تحقيق التفاهم البنّاء، وتقبّل الاختلاف، واحترام الرأي الآخر، وتعزيز قيم العدل والمساواة، والدعوة لضمان الحقوق الإنسانية. ويوجب علينا نموذجه الفريد أن نواصل العمل على تعزيز روح الوفاق في سلوكياتنا اليومية، واتخاذ القرارات الصحيحة، التي تعكس روح هذا الوفاق، وتسهم في تعزيز التفاهم والسلام والازدهار في المجتمع بشكل عام، إذا أردنا أن نتمثل حياته كحالة اقتداء بمعانيها الرفيعة. باختصار، يعلمنا الدكتور شعبان أن الوفاق هو القوة الحقيقية، التي تساهم في تحقيق الأهداف الشخصية والجماعية، وتمثل الأساس الصحيح لبناء المجتمعات المزدهرة والمستقرة

آراؤه الوفاقية:

يُظهر عبد الحسين شعبان آراءه ووجهات نظره الوفاقية من خلال تفهمه العميق لآراء الآخرين واحترامه الكامل لتنوع الأفكار والثقافات. ويواجه القضايا المثيرة للجدل بروح وفاقية، ويحرص دائماً على البحث عن الحلول المشتركة والمساحات، التي تجمع بين مختلف الآراء وتعزز الفهم المتبادل. ويتفهم تماماً أن الوحدة والتضامن هما مفتاح النجاح في الحياة الشخصية والمجتمعية. ولذلك، يسعى دائماً إلى تعزيز روح الإيجابية والوفاق وبناء جسور التواصل بين الناس بكلماته القوية وأفعاله الإيجابية ومشاركته النشطة في الحوارات والمبادرات الاجتماعية. وتعكس قيمه الوئام والتعايش وتحترم الاختلافات الثقافية وتعتبرها ثروة ومصدراً للإلهام والابتكار. ويسعى دائماً لتوطيد العلاقات بين الأفراد والمجموعات المختلفة وتحقيق التفاهم المتبادل. ويحظى بإعجاب الناس بسبب تواضعه وصدقه وقدرته على الاستماع، وإيلاء الاهتمام الفعلي لرؤى الآخرين والتعاطف مع مشاعرهم وجبر خواطرهم. ويعتبر الإنفاق الواعي والعمل الخيري واجباً إنسانياً ورسالة منه للتعبير عن رغبته الصادقة في تعزيز العدل والمساهمة في تحسين الحياة للجميع

إننا عندما نتحدث عن الأهمية الكبيرة للوضوح في الرؤية والوفاق، التي صارت صفةً وسمةً لعبد الحسين شعبان، نعي تماماً كيف تؤثر هاتان الصفتان الحميدتان بشكل حاسم

في شخصية الفرد، وتلعبان دوراً حاسماً في قراراته وعلاقاته. ولو كان المجال مجال بحثٍ وتقصٍّ لكان باستطاعتنا أن نقدم للقارئ الكثير من الأمثلة العملية، التي توضح كيفية تحقيق الوضوح في الرؤية وروح الوفاق، وهما ميزتا حياة الدكتور شعبان، وأهميتهما في تحقيق النجاح الشخصي والمهني، وما كان له منهما من حصاد وفير وكسب كبير. فقد انطبقت روح الوفاق على الحياة الشخصية لشعبان، وكيف أهّلته لأن يساهم في تحقيق السلام والتفاهم، الذي يجمع بين الأفراد والمجتمعات. فكان في كل حركته ومشاركاته يقدم العديد من المعلومات المفيدة والنصائح العملية لتحقيق الوضوح والوفاق في جميع جوانب الحياة الشخصية والمهنية الخاصة بكل من ينصتون إليه، أو يستمعون لمضامين محاضراته، أو فحوى كتاباته. وكثيرون جداً قد وجدوا أنفسهم ملهمين للبدء في رحلة تحقيق هذا الوضوح والوفاق، بغضّ النظر عن مكانتهم في الحياة. فقد حدثهم عن أهمية تبني نهج إيجابي تجاه الوضوح والوفاق، وكيف يمكن لذلك أن يطور من جودة حياتهم وعلاقاتهم بالآخرين، وهو النموذج الشاخص أمام ناظريهم. وما أكثر ما يردد؛ قولاً وسلوكاً: دعونا نعمل جميعاً لتحقيق الوضوح والوفاق، الذي يحتاجه العالم في الوقت الحاضر، ونحقق نجاحاً مشتركاً في بناء مجتمع أفضل

التصرفات والقرارات:

يتميز عبد الحسين شعبان، إلى جانب وضوح رؤيته وروحه الوفاقية العالية، وبسبب منهما، بالحصافة في تصرفاته وقراراته، حيث يظهر هذا بوضوح شديد في خططه المستقبلية والأهداف، التي يحرص على تحقيقها بشكل مثالي وفعّال. إن قراراته هي دائماً مبنية على تحليل دقيق وفهم عميق واسع للمواقف المختلفة، ويظهر تسامحه وروح الوئام العميقة في تعامله مع الآخرين، مما يعكس روح الوفاق الحقيقية في تصرفاته. بالإضافة إلى ذلك، يظهر وضوح رؤيته اللافت في اتخاذ القرارات الصعبة والمهمة على كلا المستويين الشخصي والمهني، مما يبرز قدرته المتميزة على التفكير بشكل واضح واتخاذ الخطوات الصائبة في كافة الظروف وتحديات الحياة. يعد عبد الحسين شعبان قدوة حقيقية للعديد من الأشخاص الذين يسعون لتحقيق النجاح والتفوق في حياتهم المهنية والشخصية. ينمو وجوده العظيم ويتطور يوماً بعد يوم، وهو ما يجعله صوتاً ملهماً يسمو بالجميع لتحقيق أحلامهم وتحقيق إمكاناتهم إلى أبعد الحدود

ويتجلى وضوح الرؤية بشكل فعَّال ومتفرد في العديد من الكتب والمقالات المتعلقة بالقضايا الاجتماعية والسياسية والقانونية، التي كتبها وألَّفها. فهي تتميز بعمق التحليل، وشموليته الفذة في تناول هذه القضايا المعقدة والمتشابكة، التي تمثِّل تحدياً كبيراً للكثيرين غيره. إلا أننا يجب أن نذكر أن جلاء ووضوح الرؤية لا يوجد في هذه الكتب والمقالات فقط، وإنما يمتد أيضاً ليشمل أحاديثه ومحاضراته الملهمة، التي تعتبر صوته النقدي الجامح لكل إشكاليات المجتمع المعاصر والدولة الحديثة. ففي هذه الأحاديث والمحاضرات، يبيِّن ويبذل جهوداً متعمقة وجبَّارة لتحليل المواضيع المطروحة، مما يسهل بشكل لا يصدَّق فهم الفكرة الأساسية، التي يرغب في إيصالها واستيعابها بأقصى درجة من الدقة والوضوح. ومن خلال الموضوعية والمنطقية الملموسة والواضحة في العروض، التي تتجلى بها كتبه ومقالاته، نستطيع أن نلمس بسهولة واضحة جداً تفكيره الأصيل ورؤيته النقدية المتقدمة. فهي في الواقع تعكس على نحوٍ مبهر تلك القدرات العقلية الراقية، التي يتمتع بها. ليس هذا فحسب، بل يتجلى وضوح الرؤية بشكل فعَّال أيضاً في نبرته الملهمة أثناء التحدث وقدرته المدهشة على نقل الفكرة بوضوح وموضوعية عالية تشدُّ الانتباه وتثير الدهشة. وبفضل هذه العوامل المجتمعة، لا يمكن إلا أن نتوصل إلى أن وضوح الرؤية هو سمة متميزة ولافتة في عمله وتفكيره وحتى في طريقة إلقائه للكلمة الملهمة والمفعمة بالعمق

شعبان أمة:

ظل الدكتور شعبان عربياً قومياً ملتزماً، فرفاهية ومصير الشعب العربي ذات أهمية قصوى في ذهنه، وعواطفه تجاه الأمة الإسلامية راسخة للغاية. وبقي د.شعبان مهتماً جداً، ومليئاً بالتعاطف مع شؤون شعبه، ومتحمساً للفقراء والمهمشين في كل مكان. وبسبب مشاعره القومية العربية والإسلامية القوية، فهو يتعامل بأريحية مع قادة الجيل العربي القديم، بمن فيهم المرأة والشباب. ويعتقد الدكتور شعبان أن روح الاهتمام والشعور الهادف والصادق بين الأمم يجب أن تستند إلى أرضية واقعية، أو ينبغي أن لا تكون موجودة على الإطلاق. إن تفانيه في خدمة القضايا العربية لم يعرف حدوداً لأنه يناضل بلا هوادة ضد الظلم والقهر. ويكرس كل جزء من كيانه للنهوض بالشعب العربي، وضمان سماع أصواتهم وحماية حقوقهم. وبعزم لا يتزعزع، يدافع عن حقوق المهمشين، ويدافع عن المحرومين ويناضل من أجل إدماجهم في المجتمع. ويعمل بلا كلل من أجل تحسين الظروف المعيشية لجميع العرب،

بغـضّ النظـر عـن خلفيتهـم الاقتصاديـة، أو الاجتماعيـة. ويمتـد تأثير الدكتـور شـعبان إلى ما وراء حـدود وطنـه، حيـث ألهـم وحفّـز عـدداً لا يـحصى مـن الأفـراد في جميع أنحـاء الشرق الأوسـط. وكان لكلماتـه صـدى عميـق في قلـوب أولئـك الذيـن سـمعوا حديثـه، مما أشـعل شرارة الأمـل والوحـدة بين الشـعوب العربيـة. وكانـت رؤيتـه لعـالم عـربي موحـد، حيـث يمكـن لـكل مواطـن أن يتطـور ويزدهـر، بمثابـة ضـوء إرشـادي للأجيـال القادمـة. ولا يزال جهـد الدكتور شـعبان قائماً وإرثـه حيـاً، ويذكرنـا بقـوة الرحمـة والتصميم والتفـاني، الـذي لا يتزعزع من أجـل مجتمع عادل ومنصـف. ومـن خلال أفعالـه ومعتقداتـه، يضرب مثـالاً يحتـذي بـه الجميـع، ويحثنـا على إعطاء الأولويـة لرفاهيـة إخواننـا مـن بنـي الـبشر والارتقـاء بهـم. ولا يـزال تـأثير عملـه يمضي، وسـيظل يتردد صـداه في جميـع أنحـاء العـالم العربي، تـاركاً بصمة لا تمحى على الوعـي الجماعي للناس. إن التـزام الدكتـور شـعبان الثابـت بالقضيـة العربيـة المركزيـة؛ فلسـطين المغتصبة، بمثابة تـذكير بأن التقـدم الحقيقـي لا يمكـن تحقيقـه إلا مـن خلال الوحدة والتعاطف والشـعور المـشترك بالهدف. لـكل ذلـك، يبرز العـالم العراقـي الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، وهـو شـخصية بـارزة في حياتنـا المعـاصرة، كشـخصية راقيـة بشـكل ملحـوظ، وروحـاني خـبير، ومسـلم أصيـل ومخلـص، وباحـث ومؤلف اسـتثنائي، وأسـتاذ جامعي رائع من أعلى المسـتويات، ومتطوع متفان في الأعمال الخيرية الاجتماعيـة والمسـائل المتعلقـة بتحـسين المجتمـع الـبشري. إن تـأثير الدكتـور شـعبان لا يوصـف في حـدود عـرض موجـز، لكننـي سأسـعى لإلقـاء القليل جـداً من الضـوء على مسـاهماته كمحفز للتوجيـه نحـو رؤيـة أوضـح، ووفـاق أمثـل وجهـد مكثـف، وشـعور مرتفـع بالنزاهـة الأخلاقيـة والروحيـة اسـتجابة للاحتياجـات الملحـة للمجتمـع وضرورة الوقـت الحاضر

انطباعات جلية:

تأكيـداً على كل مـا مضى، أُقِـرُّ بـأن أيـة محاولـة لتقييم شـخصية عبد الحسين شـعبان، سـتُظهر الوضـوح الفائـق في رؤيته من خلال تصرفاته وقراراته المدروسـة بعناية. ويتمتع بقدرة اسـتثنائية على تحديـد الأهـداف بشـكل لا مثيل له، ورسـم الخطـط اللازمة لتحقيقها بدقـة فائقة. بالإضافة إلى ذلـك، يظهـر وضـوح الرؤيـة اللافـت للنظـر في طريقـة تعاملـه مـع الصعوبـات ومواجهتـه للمشـكلات بشـكل فعـال ومـحترف. أما بالنسـبة لـروح الوفـاق، فإن شـعبان يظهر تفـهماً عميقاً غير عـادي لآراء الآخريـن ويبـدي اسـتعداداً رائعـاً للتعـاون والتفاهـم في جميـع المواقـف، حتـى في أصعـب الظـروف. وتتـجلى هـذه الـروح في تفاعلـه المتفهـم والمـرن مـع المحيطين بـه، وقدرته

الفـذة على بنـاء علاقـات وثيقـة وطيبة مـع الآخرين بصـورة موضوعيـة وواعيـة ومتوازنة. وليس هـذا فقـط، بـل يتمتع شـعبان أيضاً بمهـارات قيادية رائعة تسـاهم في إلهام الآخرين وتشـجيعهم على تحقيـق أعلى إنجازاتهـم الشـخصية والمهنيـة. ويعـتبر شـعبان قائـداً محفـزاً وكاريزمياً، حيث يسـتخدم مواهبـه الاسـتثنائية لتحفيز الناس وتشـجيعهم على تجاوز حدودهـم وتحقيق تفوقهم الـذاتي. لذلـك، فإن شـخصية عبد الحسين شـعبان تمتاز بالوضوح الشـديد في رؤيتـه، وروح الوفاق الملفتـة، والقيـادة الفـذة الملهمـة. إنـه شـخص ذو قـدرات اسـتثنائية بمعنـى الكلمـة، يجعـل من المهـام الصعبـة أمـوراً سـهلة، ويتألـق في المواقـف الصعبـة. ولا عجـب أنـه يعـتبر قـدوة للكثيرين ومصـدر إلهـام للنجاح في مختلـف المجالات

إن الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان شـخصية متـحضرة ومتزنـة، ويتمتـع بقـدر كبير مـن الوعي والتفـكير العميـق. وتمثـل وضـوح الرؤية في تصرفاتـه الحكيمة وقراراته المدروسـة، التي أسـهمت في بنـاء الثقـة والاحترام في دوائـر علاقاتـه المختلفـة. وبفضـل تفـكيره العميـق، اسـتطاع أن ينمّي روح الابتـكار والتجديـد في مجـال عمله وتحقيق نجاحات هائلـة في نتاجاته الفكرية. وعلاوة على ذلـك، يتمتـع بشـخصية قياديـة اسـتثنائية حيـث يتمتع بالقـدرة على تحفيـز الآخريـن وإلهامهم لتحقيـق الأهـداف المشتركـة. فهو يعتبر نموذجـاً يحتذى به في مجال الريـادة والإدارة الفعالة لكل نشـاط ينتـدب نفسـه لإنجازه. كما تجلـت روح الوفاق في آرائـه ومواقفه السياسـية والاجتماعية، حيـث يسـعى دائمـاً إلى تحقيـق التوازن والتفاهـم بين جميع الأطـراف المعنية. ويتبنـى نهجاً بنّاءً يؤكـد ضرورة وجـود حـوار مفتـوح وبنـاءٍ بين الجميـع مـن أجـل تحقيـق الـسلام والاسـتقرار في المجتمـع. مـن الجديـر بالذكـر أن عبـد الحسين شـعبان يُعتبر أحد أبـرز الشـخصيات العامة ذات الثقـل والتـأثير في المجتمـع. فهـو يُعَـدُّ رمـزاً للعـدل والإنصاف، ويسـعى دائمـاً للارتقاء بالمسـتوى الأخلاقـي والثقـافي للمجتمـع مـن خلال تطويـر القيم والمبـادئ النبيلة.

باختصـار، يمكـن القـول إن شـخصية عبـد الحـسين شـعبان تتمتع بشـمولية فريدة مـن نوعها. فهـو ليـس مجـرد شـخصٍ مثقـفٍ ومتـزنٍ ومـرنٍ، بـل يمثـل قـدوة حقيقيـة في قيادتـه الحكيمـة والاعتداليـة وروح التفاهـم، التـي يتمتـع بهـا. تُعَـدُّ شـخصيته تحفيـزاً للآخريـن لبـذل الجهـود الإيجابيـة والسـعي نحـو الرقـي والتقـدم في جميـع جوانـب الحيـاة

لقـد أتاحـت لنـا الإطلالـة على شـخصية عبـد الحـسين شـعبان، وتـأثير وضـوح الرؤيـة وروح الوفـاق العاليـة في حياتـه ومسـاره الرائـع، أن نظفـر بانطباعـات مهمـة وقيّمة. فقـد أظهرت كل

مساهماته أنه هو الشخص، الذي يتمتع برؤية إلهامية واضحة جداً وقدرة ممتازة على اتخاذ القرارات الحكيمة بناءً على تلك الرؤية المتألقة، مما جعله شخصية بارزة ومؤثرة بشكل استثنائي في المجتمع، الذي يعيش فيه، أو المجتمعات، التي يتنقل بين رحابتها وترحابها. وبفضل روح الوفاق العالية، التي يتمتع بها، استطاع بناء جسور المحبة وتحقيق التناغم والاستقرار في كافة جوانب حياته، سواء كان ذلك في المستوى الشخصي، أو علاقاته الاجتماعية الخاصة والعامة. وبالتالي، يمكن القول إن وضوح الرؤية المدهشة وروح الوفاق الاستثنائية، التي يتمتع بهما، قد أسهمتا بشكل كبير وفعّال في بناء شخصية فذة وملهمة وفاعلة في المجتمع ولتشكيل المستقبل بأفكاره الجريئة ورؤية المتميزة. فعبد الحسين شعبان هو حقاً قدوة رائعة ومثال للتفوق والنجاح

الأربعاء، 17 يوليو 2024

أيقونة اليسار العربي

د. عاطف مغاوري[1]

1- عضو مجلس النواب المصري ونائب رئيس حزب التجمع الوطني التقدّمي الوحدوي - مصر

يوشك أن يكمل عامه الثمانين، وخلال مسيرته الفكرية والسياسية والأكاديمية، تأثر بالميلاد والنشأة، حيث كان لهما الأثر الواضح في تكوين شخصية **المفكر المجدد عبدالحسين شعبان** لكل ما آمن به، وبخاصة منهج الماركسية، حيث صنع توليفة فكرية عقائدية لم تعانِ من تناقض أو تصارع أو نفي أو إقصاء، مما مارسته واعتقدت به بعض التنظيمات الماركسية العربية، حيث جعلت منها حركة تبشيرية يقينية، مما أوقع الكثير منها في أخطاء، دفعت مقابلها أثماناً غاليةً من كوادرها وفرص تأثيرها

رؤية مبكّرة

وكانت من عبقرية الدكتور عبد الحسين شعبان أنه دمج ومزج بين العمل الفكري والممارسة العملية والعمل الأكاديمي والنضال مع البعد الحقوقي والمسحة القانونية، التي ميّزت أعماله وأنشطته، وظهرت بوضوح جليّ باعتماده منظومة أخلاقية للمراجعة والنقد والنقد الذاتي، وفي الوقت نفسه مزج بين الثقافة والسياسة من جهة، والأدب بفروعه من جهة أخرى، ولاسيّما الرواية والشعر، فتشكّل وعيه مبكراً في بيئة ناضجة حية تنبض بالأضداد.. الرأي والرأي الآخر

وتأثرت مسيرة الدكتور شعبان بالتفاعلات الحيويّة في الحياة الثقافية والسياسية في المجتمع العراقي والمنطقة العربية بمراحلها المختلفة، بتأثيراتها المتبادلة بين المدارس الأدبية والثقافية من العراق مروراً بالشام وصولاً إلى مصر، مثلما ساهمت قراءاته الثقافية للمدارس الفكرية والأدبية في الشرق والغرب، إضافة إلى أعلام الفكر والثقافة العالمية في أن يكون على ما هو عليه من انفتاح وتسامح وقبول للتنوّع والحق في الاختلاف

ويمكنني القول إن شعبان لم ينفصل عن أصوله العربية والدينية طوال رحلته وتمرّده، حيث ربط ربطاً عبقرياً بين الدين، الذي هو منظومة قيمية كما يقول، والانفتاح على الثقافة والفكر الإنساني، والسعي من أجل تحقيق العدالة والمساواة، ولذلك أعمل الفكر في التواصل مع الثقافة الكونية، وأصبح ابناً باراً ملتزماً بالنجف ومجتمعها، بكل ثرائه وعمقه وتواصله الإنساني بين مختلف اللّغات والإثنيات، في جو تسامحي تسوده المشاعر الروحانية، والقبول بالآخر وتعظيم المشتركات.

كما عـاش الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان فترات التطـورات السياسـية للعـراق، الوطـن والبيت الأول مـن حيـث النشـأة والتطـوّر، والـذي تشرّب ثقافتـه وأعاد إنتاجهـا بمفهـوم عصري ومتنوّع، وهـو الـذي أثـرى تجربتـه مبكراً، فما كان من الشـاب المتطلّع للتجديد، إلّا أن يطرح السـؤال بعد السـؤال، ويـثير الموضوع تلـو الموضوع في جدوى اسـتمراره في الأطر التنظيميـة التقليدية، وكانت تلـك بدايـة الإرهاصـات الأولى، وخلفيـةً للتمـرّد التـي أتاحـت له فرصـة المراجعة والنقـد والنقد الـذاتي، وقـدراً كـبيراً مـن الاسـتقلالية، عـلماً بأنه يعيش، بـكلّ جوارحـه، معارك الوطـن وصراعاته الداخليـة أو معاركـه الإقليميـة بحكـم الجغرافيـا والتاريـخ، مـدّاً وجزراً، اقترابـاً وابتعاداً، مشـاركاً ومفارقـاً، لكنـه، وفي أشـد مراحـل الـخلاف والصـدام، لم يقـع في الفـخ الـذي وقع فيـه البعض من المعـارضين والسياسـيين العـرب عندمـا تحالفـوا مـع العـدو، والـذي مثّـل إسـقاط للقانـون الأزلي للتناقضـات الثانويـة والتناقضات الرئيسـية في إدارة الصراع

لقـد حـرص الدكتـور عبـد الحسين، وانطلاقاً من وعيـه ووطنيته على عدم نسـيان تلك القوانين الخاصـة بالتناقضـات الرئيسـية والثانويـة طـوال مسيرته السياسـية والنضالية، وهو مـا جعل منه بمثابـة الجامعـة التـي نشـأ وتـربى فيهـا لتأسـيس وعـي وطنـي جديـد، ينطلـق مـن ذات المبادئ مـع أخـذ التطـورّات والمسـتجدّات بنظـر الاعتبـار، وهـو مـا تأثّـر بـه الكـثير مـن شـباب التيـار اليسـاري العـربي، حتـى غدا شـعبان أيقونة اليسـار العربي، بـل الحركة اليسـارية العربية بمختلف تنويعاتهـا، وجعـل منـه الشـخصية العربيـة التقدمية، التي يلتقـي عندها ويلتـف حولها ويعتنق مبادئهـا، ويـسير على دربهـا العديـد من الشـخصيات والقـوى اليسـارية العربية

إبداعات مستمرّة

وكان مـن أبـرز إبداعـات شـعبان دعوتـه التـي باشرهـا عمليـاً منذ سـنوات إلى حـوار بين الأمم الأربـع، ولاسـيّما مثقّفيهـا (الترك، الفـرس، العـرب، الكـرد)، مؤكّداً تعظيـم المشترك الإنسـاني بينها، وصـولاً إلى التكامـل والتلاقـح والتمازج والتعاون بديلاً عن الصراع واسـتنزاف القـدرات والطاقات في ميادين لا جـدوى منهـا، إذْ يقـتضي الحال التنسـيق والتعـاون في ميادين البنـاء، وفقاً للمصالح المشتركـة والمنافع المتبادلة لشـعوب المنطقـة وأممها

وبذلـك أصبـح الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان اليسـاري المجـدّد والناقـد المبـدع، دون إخلالـه بالثوابـت، بـل العمـل بمرونة لتعزيـز الجوامع وتقليص الفـوارق، وهو الذي يحظـى بثقة العديد

من مثقفي المنطقة، فهو شخصية متألقة في عالم السياسة والأدب، إضافةً إلى انشغالاته بالكتابة عن المثقفين العرب ومثقفي المنطقة، الأمر الذي يزداد فيه معرفةً وقبولاً من الآخر.

لقد مزج شعبان بعبقرية بين عقائد «الأمة»، وتأثيراتها المتقاطعة بحكم النشأة والمحيط الجغرافي والجوّ الانفتاحي الذي عاشه، وتمكّن بمهارة من أن يتحسّس آلام الآخرين ويدافع عن حقوقهم، ويدعو إلى التسامح وحلّ الخلافات بين التيارات السياسية بالحوار والتفاهم، وليس اللجوء إلى العنف أو القوّة، ولعلّ من آخر إبداعاته وعطاءاته الفكرية العمل على إنجاز التلاقي والتكامل، المتمثل بالحوار الثقافي العربي الكردي، والذي ظلّ يدعو إليه منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن للتخلص من الثنائية العدائية

ويُعتبر المفكر شعبان أحد رموز مدرسة اللّاعنف في إدارة الصراعات والتناقضات العربية - العربية، أو ما بين العربية ومحيطها الإقليمي والتاريخي. لذلك كان من أول المبادرين إلى تأسيس وإعلان وتفعيل مجموعة السلام العربي - العربي لتحقيق الأمن والسلام الأهلي بين الأقطار العربية وداخل القطر العربي الواحد.

ويسجل للدكتور عبد الحسين شعبان أنه يرعى حقوق الآخر الذي لم يغتصب حقوق الأمة، لذلك كان موقفه على مدى مسيرته السياسية حاسماً تجاه العدو الصهيوني، ولم يسقط في مستنقع التطبيع بدعوى القبول بالآخر، الذي سقط فيه البعض، فالآخر بالنسبة له، هو الذي لم يغتصب حقوقك ولا ينفي وجودك، أو تحكمه عنصرية صهيونية تقوم على الاقتلاع والإبعاد والنفي والاحتلال وسياسة الفصل العنصري والتطهير العرقي

لذلك كُتب لفكر الدكتور عبد الحسين شعبان وإنجازاته الفكرية والسياسية الاستمرار والخلود، تلك التي يرى فيها العديد من شباب الحركة السياسية العربية أنفسهم، وكأنه يتحدّث عنهم أو ينطق باسمهم

إن شعبان، وهو على مشارف عامه الثمانين، هو عبد الحسين شعبان الشاب المجدد، المتمرد الباحث عن العدل والإنصاف، والمدافع عن حقوق الغير وجميع مكونات الأمة الثقافية والدينية، المؤمن بأن التنوع سرّ من أسرار الثراء، لذلك يحتفظ فكره ورؤاه بالحيوية والاستمرار والقبول، وبذلك يستحقّ -وعن جدارة- لقب أيقونة الحركة اليسارية العربية، بما يمثّله من رمزية فكرية شامخة، وقامة أخلاقية سامقة

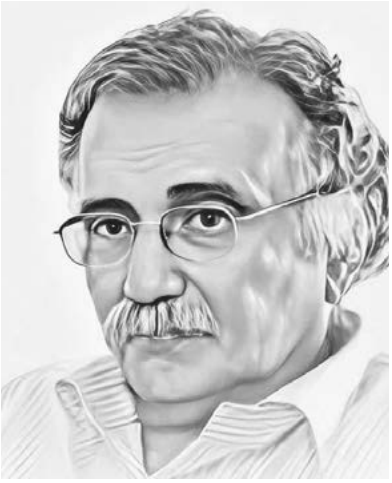

عبد الحسين شعبان.. وتواضع العلماء

د. عبد الباري طاهر[1]

1- كاتب وصحافي - نقيب الصحافيين سابقاً - وعضو اللجنة التنفيذية لاتحاد الكتّاب اليمنيين – صنعاء

استهلال

الدكتـور عبـد الحسين شـعبان من المفكّريـن العرب. انتمى منذ بدايات سـتينيات القرن الماضي للفكر الماركسي. انتسـب للحزب الشـيوعي العراقي، واحتفظ بمسـتوى من الاسـتقلالية والرؤية

تـربّى في بيئـة تقـرأ القرآن، وتحافـظ على القيَم والمُثُـل الإسلاميّة، وتُوْلِي التعليـم والتعلّم أهميةً كـبيرة. فهـو ابـن النجف موئل الفكر الشـيعي. بقيـت تلاوة والده والقـرآن حاضرَين معه

انفتـح على الحيـاة، وانتمـى باكـراً للـعصر الحديـث. درس في جامعة بغـداد الاقتصـاد والعلوم السياسـية، كما درس القانـون في تشيكوسـلوفاكيا

كدكتـور، واصَـلَ درس القانـون، والشرعـة الدوليّـة، والصكـوك، والمواثيـق، والإعلانـات، ليصبح خـبيراً في حقـوق الإنسـان، وعضـواً فـاعلاً في العديـد مـن المنـظمات والمنتديـات المدافعـة عـن الحرّيـات والحقـوق، وذا بـاعٍ طويـل في الإعلانـات الدوليـة والبيانـات، وصياغـة الدسـاتير

درس الفقـه الإسلامـي في المذاهـب المختلفـة، كما درس العهـد القديم والجديـد، واحتفى كثيراً بتيـارات وعقائـد الحضـارات الإنسـانيّة، كما تشرّب أفكار الـعصر وتياراته الحديثة.

عبـد الحـسين شـعبان مثقـف عضـوي ومتعـدّد. قـرأ الفكـر الماركسي؛ الكتـب التأسيسـيّة عنـد ماركـس، وإنجلـز، وبليخانـوف وغيرهـم.

ثقافتـه المتنوّعـة والمتعـدّدة والمنفتحـة على تيـارات الـعصر أكسـبته المهـارة والقـدرة على نقد "الـدوغما"، و"الإيمانيـة"، وتحويـل الأفـكار إلى إيمـان ومعتقدات

الماركسي الناقد للماركسيّة

يُعـدّ شـعبان ضمـن قلائـل من الماركسـيين العـرب الذيـن امتلكـوا الـذكاء والشـجاعة المعرفية لنقـد الجوانـب الشـائهة والشـائخة في الماركسـية، وبالأخـص في طبيعتهـا الدولتيّـة، ونسـختيها "السـتالينيّة"، و"الجدانوفيّـة"، شـديدتي القمـع والعدوانيـة

اتّسـاع وعمـق معـارف شـعبان جنَّبتـاه الوقـوع في حبائـل الجمـود والتحجّـر والولـع بالأدلجة

والجمل الثوريّة الميتة، وأبعدتاه عن بؤر العداوات والصراع التي حاقت بقوى وتيارات وزعامات عديدة

لعلّ الميزة العظيمة والرائعة له هو الاهتمام بالقضايا الإنسانيّة والدفاع عنها، والنزول إلى المواقع والفعل؛ ليسجل صفحةً ناصعةً في عديد من القضايا الوطنية العراقية والقومية العربية وقضايا الإنسانية في غير مكان.

ومن ذلك، الانفتاح على الفكر الإنساني، وعلى وقائع العصر وأحداثه وتياراته المختلفة، وتعلّقه بالأدب والشِّعر والشعراء، وعلاقاته الحميمة بكبار المبدعين **كالجواهري**، و**البياتي**، و**مظفر النواب**، و**عبد الأمير الحصيري**، و**هادي العلوي** و**علي الوردي** وعشرات غيرهم، وقد أجرى العديد من المقابلات وكتب عن بعضهم.

وهو أيضاً دارس للفقه الإسلامي، وحواراته مع العلّامة المجدّد والمجتهد **أحمد الحسني البغدادي** تدل على تمكّنه، وسعة اطلاعه، وموسوعيّة معارفه؛ وهو إلى جانب كل ذلك ناقد أدبي، ومثقف سياسي، وناشط في عدّة ميادين حقوقية وأدبية واجتماعية وثقافية

في العام 2015 وفي إحدى زياراته إلى صنعاء، كانت شهرته سبقت وصوله؛ فقد التقى بالدكتور **عبد العزيز المقالح** وبالعديد من الأدباء والكتّاب والمثقفين، وأجريت معه حواراً يومها؛ فاندهشت لسعة اطلاعه، وعمق معارفه وخبرته بالحياة وأوضاع أمته وعالمه.

كتبت عنه حينها: «إنسان بسيط تجلس إليه؛ فتحسّ لغة مديدة لقرون متطاولة. القلوب جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وتستمع إليه فتستشعر عمق: وفيك انطوى العالم الأكبرُ»

تحار أيهما يتفوق: تواضعه، أم علمه؟! ولكنه تواضع العالم. ومن ازداد عِلماً، ولم يزدد هدىً، لم يزدد من الله إلّا بعداً. فهو ابن العراق؛ أحد أهم وأكبر معاني الحضارة الإنسانية. والإنسان وارث حضارة.

نشأ في بيئة فكرية وثقافية لها مذاق المعارضة لآماد متطاولة. انتمى لليسار الإسلامي، والفكر الإنساني بعامة. عشق القديم؛ فقتله بحثاً. قرأ الثقافة العربية والإسلامية؛ فهو تلميذ نجيب **للكندي**، و**الفارابي**، و**ابن سينا**، و**الحلاج**، و**ابن عربي**، و**الملا صدرا الشيرازي**، و**الخيام**،

و**السهروردي**، و**المعري** و**التوحيدي**، و**ابن مسكويه**. وانفتح على الفكر الإنساني والعلمي؛ فهو رفيق درب **لهادي العلوي**، و**الجواهري**، و**ناظم حكمت**، و**عبدالرحمن منيف**، و**سعدي يوسف**، و**محمود أمين العالم**، و**حسين مروة**، و**حيدر إبراهيم علي**، و**عبدالله العروي**، و**أبو يعرب المرزوقي**

انتماؤه لليسار لم يحجب عن بصره ما أصاب تياراته الفلسفية والفكرية والأدبية من مظاهر الدوغما، والعصبيات الأيديولوجية، والجمود، والممارسات القامعة؛ فهو أديب وناقد أفاد كثيراً من تعدد مواهبه، وسعة اطلاعه، وهو مفكر غزير الإنتاج مزج أو وَحَّد بين معارفه الواسعة، وانغماسه في الدفاع عن الحريات والحقوق والديمقراطية والعدل، وسجل مواقف زاكية في مجال الحقوق، ومنافحة العنصرية والدكتاتورية، وقد ترك ثروة علمية فكرية وأدبية وسياسية تربو على الستين مؤلفاً، مع عشرات الدراسات والأبحاث، ومئات وآلاف المقابلات التي تتوزع على كثير من المجلات والصحف العربية والأجنبية، كما حاز العديد من الأوسمة والتكريم لمكانته وعطاءاته الثرة، ومواقفه الرائعة.

المفكر شعبان ناقد بامتياز؛ فقد نقد الجوانب الشائخة في الفقه الإسلامي في المذاهب المختلفة: سنية، وشيعية بعد القراءة والحوار.

انتمى للحزب الشيوعي العراقي، ودرس بعمق الفكر الماركسي -كما سبق القول- وقدم نقداً للماركسية في طبيعتها الستالينية الشائهة، وللاستعارة العمياء من قبل الأحزاب الشيوعية العربية، والاعتقاد الإيماني، وتحويل الماركسية إلى إنجيل.

انتقد الكثير من مواقف الأحزاب الشيوعية، وتجربة الاتحاد السوفييتي الذي نُظِر إليه كمطلق ومقدس، كما نقد غياب النقد والديمقراطية في تجارب الرفاق في العراق تحديداً، وفي بلاد الشام (سورية)

كمثقف عضوي وضعي ومتعدد ينتقد رؤية ما بعد الحداثة للثقافة، ويرى -مُحِقّاً- أن الثقافة تعبير عن الوعي الإنساني. وحقاً، فإن الجذر اللغوي للثقافة يعطي الأولوية للبعد العملي. ثَقَّفَ السيف: صقله. ثَقَّفَ الفَرَس: رَوَّضَها. ثَقِفَ الإنسان: تهذّب. فالثقافة في دلالتها الأنثروبولوجية ترتبط بالحياة، وبالجوانب العملية، وبالفكر والوعي والممارسة العملية في آن

كما ينتقد فكرة الثقافة المتعالية على واقع الحال، وأتى على فكر هادي العلوي ذي المنحى الصوفي، وشاعرية عبد الأمير الحصيري المتمرد حد الفوضوية والصعلكة.

كمثقف منفتح واسع الاطلاع يدرس الهوية مرتبطةً بالثقافة، ويقرأ من الزوايا القانونية والفكرية موضوع الهوية، والجنسية، والمواطنة.

والمفكر شعبان عدوّ لدود للتخوين، والعنف، والتكفير في التجارب الثورية، ابتداءً من الثورة الفرنسية، مروراً بثورة أكتوبر الاشتراكية 1917، وثورة إيران الإسلامية، والثورات القومية العربية. والملحظ الأهم موقفه من القومية، والعروبة، والدين

الأمة والقومية في ضوء منهجه النقدي

في كتابه «**عامر عبدالله: النار ومرارة الأمل**» يدوّن ما ورد في تقرير الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي (1956) في تعريف الأمة: «فالأمة العربية أمة واحدة تمتلك جميع الخصائص القومية للأمة الواحدة من حيث كونها جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخياً، وتسكن أرضاً مشتركة برغم الحدود المصطنعة القائمة، وتتكلم بلغة مشتركة، ولها مقومات الوحدة الاقتصادية، ولها تكوين نفسي مشترك يجد له تعبيراً في الثقافة، والتقاليد العربية المشتركة، وفي الطموح المشترك الحار نحو الوحدة». **(عامر عبدالله، ص 278 - 279).**

وهذا هو التعريف الستاليني للأمة. أما المفكر القومي ساطع الحصري، فيحصر تعريف الأمة باللغة، والتاريخ؛ وهو ما ينتقده إلياس مرقص مقدماً نماذج حية في العالم للتدليل على فشل التعريف

ويرى مرقص أن اللغة لا تُفسَّر من دون الأرض والاقتصاد والدولة والدِّين، ويرى أنها تعجز عن فهم التاريخ القومي، وعن تفسير اللغة القومية، ويربط فاعلية اللغة بالعوامل الجغرافية والديمغرافية والاقتصادية والسياسية والمعنوية. **(نقد الفكر القومي، ص 218).**

ويشير الدكتور **شعبان** في **كتابه** «**تحطيم المرايا - في الماركسيّة والاختلاف**»، (ص 191) بالقول: «وإذا كان ساطع الحصري تحدث عن نشوء الفكرة القومية، وميشيل عفلق تناول القومية بشيء من الرومانسية في كتاباته الأولى مطلع الأربعينيات مثل: القومية حب قبل كل شيء، والقوميّة قدر محبَّب، لكن ما واصله **عبدالله عبد الدائم**، و**عبدالعزيز الدوري،**

و**عبدالرحمن البزاز**، و**شبلي العيسمي**، و**إلياس فرح**، وقبل ذلك **قسطنطين زريق** كان شيئاً مختلفاً أكثر عمقاً وشمولاً»

وحقاً، فإن تطوراً ما قد حصل في فكر بعض الرموز القومية، وحصل أيضاً نكوصٌ راعب في الفهم العرقي لمفهوم الأمة في الممارسة الواقعية للبعث الحاكم في العراق وسورية. ويبقى الدكتور قسطنطين زريق بما تركه من إرث كبير وتنظير مائز في سُلَّم أولويات الفكر القومي العلمي.

يتتبع الباحث والناقد شعبان البدايات السلمية الصائبة للأحزاب الشيوعية حول القضية القومية، والربط الجدلي بين القومي، والأممي. ويحدد بدقة بداية الانحراف من الموقف السوفييتي من قضية فلسطين، والاعتراف بالتقسيم، وخطاب **غروميكو** في الأمم المتحدة، والاعتراف بإسرائيل

ويقدم الدكتور شعبان نقداً علميّاً للتبدّل في موقف الأحزاب الشيوعية العربية؛ مستثنياً الحزب الشيوعي السوداني، وبعض الرموز في الأحزاب الشيوعية، وما تعرّضت له من فصل وإرهاب، ويُدين مُحقّاً **خالد بكداش** الذي حمل لواء الستالينية.

يدرس بدايات الانحراف في الموقف السوفييتي الممالئ -حد التواطؤ- مع الإمبريالية الأمريكية، ووجود رهان على اليسار الصهيوني الذي انقلب ضد السوفييت بـ180 درجة، ويرى أن **للحزب الشيوعي الفرنسي** وصحيفته «اللوموند» دوراً في هذا الانحراف الخطير.

الانقسام الخطير الذي حصل في حركة التحرر الوطني العربية، وتحديداً بين التيارات القومية: البعث، حركة القوميين العرب، الناصريين، وبين الأحزاب الشيوعية العربية كان قضية القبول بالتقسيم. ولا يستبعد -ومعه حق- في أن تكون المكيدة صهيونية

ولابد من الإشارة إلى أن الأنظمة العربية التي رفضت التقسيم لم تكن بعيدة عن اللعبة، ولم تكن قضية تحرير فلسطين واردة إلا بعد هزيمة 1967، بينما كانت إسرائيل -ولا تزال- هي الرافض الحقيقي للتقسيم، وهي مع دولة صهيونية من البحر إلى النهر. كانت الرؤية الصهيونية اعتقادية واستراتيجية، بينما اتخذت في الجانب العربي طابع الدعاية والتكتيك

وفي حين يحدد شعبان فهمه وموقفه لوجود **أمّة عربية**، فهو في نفس الوقت يعترف بوجود

الأمّـة الكرديـة التـي مزقهـا الاسـتعمار، ووزعهـا على أكثر مـن دولـة. فهو يـرى أن العـراق مكون مـن مكـونين: عـربي، وكـردي. ويديـن الباحـث شـعبان الاسـتعلاء العرقـي والشـوفينيّة القوميّـة والتعـالي على المكـون الكردي.

ويقينـاً، فـإن مأسـاة العديـد من البلدان العربيـة تتمثّل في رفـض الاعتراف بالإثنية، وبالمكونات العرقيـة الأخـرى في العـراق، وسـورية، والسـودان؛ وهـو مـا تنبـه لـه الدكتـور في كتبـه الكاثـرة وأبحاثـه ودراسـاته؛ حيـث يعطـي أهميـة كـبيرة فيهـا للتآخـي بين القوميـتين: العربيـة والكردية في العـراق، وينتقـد مواقـف التعـادي بين العـرب والكـرد، ويـدرس المواقف والممارسـات الخاطئة للحكومـات العراقيـة المتعاقبـة، كما ينتقـد بنفـس الحـرص مواقـف بعـض الزعامـات في الأحزاب الكرديـة، إضافـةً إلى دراسـته مواقـف الحزب الشـيوعي العراقي من القضية الكرديـة؛ ناقداً بعض الانحرافـات، وخطـل المواجهـات؛ فالعـداوات القوميـة ترتـد إلى عـداوات طائفيـة وقبليـة وحتى أسريـة؛ وهـو مـا يحـدث اليـوم في العديد مـن البلـدان العربية.

وعندمـا يُسـأل عـن القوميـة العربية؟ وكيف يراهـا؟ يجيب -بتحرج- عن قصـور فهم الماركسي للقوميـة، ويعيـب عـدم الانشـغال بهـذا الجانـب المهـم مـن البنيـة التكوينيـة للعقـل العـربي الوضعي، والتعويل على الفهم الأوروبي المبسـط للمسـألة القومية، ولاسـيّما الاسـتعانة بخطوطها المعرفيـة كما هـي دون التفـكير بالاجتهـاد النقـدي، أو التجديـد النوعـي. **(انظـر: تحطيـم المرايا، ص 174)**

وينتقـد النقـل الميكانـيكي للقـوانين الماركسـية في تشـكيلاتها الاجتماعيـة وتعاقبهـا وتأصلهـا ثم تحولهـا دون أن يُفهـم المكـون الوضعـي التاريخـي لهـا، وبـأي معنـى يمكننـا تجاهـل الشروط البنيويـة لتاريـخ الأمـم والشـعوب وحركتهـا. **(تحطـم المرايـا، ص 176)**

ويقينـاً، فـإن تعميـم نظريـة المراحـل الخمـس على جميـع أمـم وشـعوب الأرض فيـه قدر من **المركزيـة الأوروبيـة**. وهنـاك رسـائل كـثيرة متبادلـة بين **ماركـس** و**إنجلز** و**لاسـال** وآخرين تتحدث عـن النمـط الآسـيوي، وقدم دارسـون مهمـون نقداً للاسـتعارة من النقـل من الفكـر الأوروبي من دون معرفـة حقيقيـة بالأوضـاع الاجتماعيـة والتاريخيـة والثقافيـة للبلـدان الأخـرى؛ وهـو جهـل يـؤدي إلى تغريـب الواقـع؛ وهـو مـا أدركـه المفكر شـعبان في كتابـه «تحطيـم المرايا»

يفـرد شـعبان مسـاحة واسـعة لفلسـطين، والقضيـة الكرديـة، ويقـرأ القضيـتين في ضـوء الرؤية

الماركسية الوضعية النقدية، والقراءة المغايرة والمختلفة للسائد، ويدرس القضيتين كقضيتي حركة تحرر وطني

القضية الكردية

يربط نشأة القضية الكردية -أكراد العراق- بتأسيس الدولة العراقية. وقد اهتم بها منذ الانتماء للحزب الشيوعي العراقي، ويتناول المعاهدات: «**سيفر**»، و«**لوزان**» بين الحلفاء، وتركيا، ويشير إلى تأثيراتها السلبية على العراق ودول المنطقة. ويدرس التجزئة التي طالت الأكراد؛ رافضاً دعوات الحل العسكري، ومائلاً إلى الحل السياسي.

لقد عمل الباحث على دعم القضية الكردية طويلاً، وقد صدرت عدة قرارات دولية وعربية تناصر الشعب الكردي، وحقه في تقرير مصيره عبر المقترحات التي دعا إليها، وعبر نصوص كتبها بقلمه، ويعرفها القادة الأكراد. **(انظر: تحطيم المرايا، ص 205، وص 214)**

ويأتي في الكتاب المشار إليه أعلاه على تناول التدخل الإقليمي والدولي في القضية الكردية، وموقف الحركة الشيوعية، والمسألة الكردية بعد الاحتلال، وتحديات العلاقات العربية - الكردية، والماركسية، والفيدرالية، والعدالة، والديمقراطية.. إلخ.

قضية فلسطين

يفرد شعبان عنواناً للتنظير الماركسي للقضية الفلسطينية في كتابه «تحطيم المرايا»، ويشير إلى أنه منذ ربع قرن وهو يعلن موقفه، الذي استكمله بالدراسة والبحث؛ منددّاً بالخطيئة الستالينية؛ رابطاً ذلك بالمصالح السوفييتية، ووجود موظفين يهود في الخارجية السوفييتية ربما يتعاطف بعضهم مع الصهيونية، وللأمر ارتباط بمزاج ستالين

ويشير إلى أن مفكراً سوفييتيّاً معادياً للصهيونية يدعى **يفسيف** توافقت آراؤه مع آراء شعبان في مقابلة نُشِرَ الجزء الأول منها في صحيفة «الثورة» السورية.

وشهد عهد **أندروبوف** تأسيس «**اللجنة الاجتماعية السوفييتية المناهضة للصهيونية**»، وقد بذل جهداً ومعه الدكتور **جورج جبور** فتقدَّما بمقترح لمؤتمر اتحاد الأدباء والكتّاب الفلسطينيين المنعقد في دمشق لتأسيس اللجنة العربية لدعم «**قرار الأمم المتحدة 3379**»

الخاص بمساواة الصهيونية بالعنصرية، الصادر في 10 تشرين الثاني / نوفمبر 1975، وضمّت نخبة من المثقفين والمفكرين العرب بينهم: **ناجي علوش**، و**إنعام رعد**، و**عبدالرحمن النعيمي**، و**سعد الله مزرعاني**، و**صابر محيي الدين**، و**غازي حسين**، و**عبد الهادي النشاش**، و**عبد الفتاح إدريس**، وآخرون، واختير الدكتور عبد الحسين أميناً عاماً، والدكتور جورج رئيساً لها.

ويشير إلى أن القرار الذي صدر عن **قمّة الكويت للمؤتمر الإسلامي** العام 1987 بخصوص دمغ الصهيونية بالعنصرية، واعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، كان باقتراح منه. وقد طلب من الرئيس **حافظ الأسد** التكرم بالإيعاز للخارجية السورية لعرض الاقتراح على المؤتمر باسم الوفد السوري، وقد وافق المؤتمر على المقترح

ويذكر العديد من الشخصيات العراقية من التيار الماركسي التي تشاطره الرأي في الموقف من القضية الفلسطينية، والكردية، منهم: **عزيز شريف**، **وهادي العلوي**

ويرى -محقاً- أن الموقف من **الوحدة العربية** يمثل عنصر ضعف لدى الحركة الشيوعية بشكل عام، مثنياً على موقف الحزب الشيوعي السوداني الراعي الوحيد للوحدة العربية، ويُصدم بموقف **كريم مروة** المندد بالوحدة.

ما يميز رؤى ومواقف المفكر شعبان من القضايا القومية العربية: قضية الوحدة العربية، وقضية فلسطين، والقضية الكردية، وضوح ودقة التحليل وصدق الموقف. ويقيناً، فإحدى نقاط الضعف في موقف الأحزاب الشيوعية العربية، والأحزاب القومية، وحركات التحرر، والأنظمة القومية.. الرؤى العمياء، والممارسات اللّاديمقراطية في فهم وبناء التجربة الوحدوية، أو التجارب العديدة الخائبة، والمصيبة أيضاً أنها تطول البناء الوطني داخل هذه البلدان؛ فقد غاب إدراك التنوع والتعدد، وتفاوت التطور، والاختلافات المتجذرة، والتعامل معها بتعالٍ وعصبوية؛ وهو ما أدى -مع وجود عوامل أخرى- إلى الحالة البائسة

حواراته الدينية ورؤيته للإصلاح

كتابات ومناظرات ومواقف الباحث عبد الحسين شعبان تدلّل على امتلاكه أفقاً مفتوحاً، وقيماً حداثية، ورؤىً تتسع لما هو مؤتلف ومختلف، وتتقبل وتحترم الرأي الآخر.

في كتابه «**دين العقل وفقه الواقع**»؛ وهو مناظرات مع الفقيه **أحمد الحسني البغدادي**،

والكتـاب مـن ألفـه إلى يائه حوارات ونقاشـات وجدل فكـري وفقهي حول أعقـد القضايا وأكثرها حساسـيةً واستشـكالاً في الفقه الإسلامـي، والفكر الديني.

يـأتي المتحـاوران على: الحداثـة، والتقليـد، والوعـي بالتاريـخ، والاجتهـاد، والعـلماني، والدينـي، وهـل الإسلام ديـن ودولـة؟ وعـن فكـر اللغـة، ولغة الفكـر، وعلاقة الفكـر بالدين، ومـن أين يبدأ الإصلاح؟

كما يـدور التحـاور حـول الإيمـان واللّاإيمـان، والديـن والإرهـاب، والديـن والعنـف، والمقـدس والمدنـس، ونقـد التقليـد والطائفيـة والتشـيع (الأيديولوجـي) وصناعـة الفقـه وحكـم المرتـد والموقـف مـن المـرأة والعصمـة والمعصـوم وعلـم الغيـب وغير ذلـك

والكتـاب (المناظـرات) يقـع في أكثر من ثلاثمئة صفحة، ويعم ويشـمل مختلـف جوانب القضايا الدينيـة، وتفاصيل التفاصيل فيها

الديني والعلماني

سـوف أحـاول تنـاول قضايـا **الدينـي** و**العـلماني**، ورؤيتيـهما كمتحاوريـن، وباقتضـاب شـديد. وبشـكل خـاص علاقـة الإرهـاب بالديـن، والفتنـة الطائفيـة التـي تـؤرق الوطـن العـربي والعراق بشـكل خـاص، وقراءتـهما للتشـيع، وفكـرة العصمـة، وموضـوع المـرأة

قبـل ذلـك لا بـدّ مـن الإشـارة إلى الطـرف الثاني في الحـوار؛ وهو المرجـع العلامـة الفقيه المجدد والمجتهـد أحمـد الحسـني البغـدادي. وهـو مـن أبـرز عـلماء الشـيعة الذيـن على قيـد الحيـاة، ويُصنِّـف نفسـه كيسـاري إسلامـي، دارس لـلتراث الإسلامـي، والأحـزاب والتيـارات الحزبيـة، والانتفاضـات الشـعبية، مؤيـد وناقـد للثـورة الإيرانيـة، وخصوصـاً دعمهـا للجماعـات الإسلاميـة، وهـو في الوقـت نفسـه ضـدّ الاحـتلال الأمـريكي، مثـلما هـو ضـدّ الرأسماليـة وذيولهـا الرجعيّـة والإقطـاع كما يقـول

في تمهيـده الموسـوم «**على سـبيل التمهيـد**» ينقـل شـعبان عـن **إليـوت** قولـه: ثلاث قضايـا لابدّ مـن اجتماعهـا لتطورنـا: المعلومة، والمعرفـة، والحكمة. وقول **كونفوشـيوس**: الحكمة تعني معرفة النـاس. أمـا الفضيلة، فهـي حبهم.

ويصـف المناظـرة مـع البغدادي بأنهـا متعة وذات فائدة؛ مشيراً إلى الهوية التي تضيق وتتسـع.

ويديـن قرب رجل الدين من السـلطة، والتـأثير على العامة.

ينقـل عـن هيجـل تعريفـه للحداثـة، واسـتخدامه لها في سـياقات تاريخيـة للدلالـة على حِقبة زمنيـة محـددة؛ معـتبراً أن الحداثـة بـدأت مـع عصر التنويـر. ويقـول: إن الحريـة مكـون عظيـم الأهميـة للحداثـة، وهـي بمنزلـة الـروح. ويضيـف: ومـرت فكـرة الحداثـة بتطورات متعـددة من ديـكارت صاحـب الحداثـة الفلسـفية إلى ماكس فيبر الـذي ربطها بتطور العقلانيـة والبيروقراطية في الرأسماليـة. تلـك التـي مهـدت لمنجـزات كبرى في إطار الثـورة العلميـة التقنية

وبعـد عـرض شـامل يقول شـعبان: «وفي ضـوء هذه المقدمة تداخل السـيد الحسـني البغدادي قـائلاً: لهـذا يجـب على الفقيـه المجدد أن ينتقل نقلـة نوعية في فضاء العـنصر المتحرك الذي يمثل المتـغير مـن خلال اسـتئناف تحريـر الفقـه من جديـد؛ حتى تكون المتـون الفقهية مواكبـةً للواقع المعـاصر؛ بحيـث يُحـسُّ الإنسـان المكلـف أنـه يعيـش عصره في الفقـه الجديـد؛ ليحـل معاناتـه ومشـكلاته وأزماتـه التـي ترافقـه باسـتمرار على مسـتوى التفـكير والتصـور الإسلامـي؛ أي للأفراد والجماعـات؛ داعيـاً إلى نظريـة معرفية عامـة في العلوم الشرعية كلها، وكذلك في العلوم الإنسـانية والاجتماعيـة». (ص 45 باختصار).

ورداً على سـؤال نظريـة «منطقـة الفـراغ التشريعـي»، وعلاقتهـا بالقضايـا الاقتصاديـة، يتوقّف المتحـاوران ليسـلّطا الضـوء على كتـاب باقـر الصـدر «اقتصادنا».

كما يتبـادلان الرأي بتوافق شـديد بشـأن القضية الفلسـطينية وارتباطهما العاطفـي والتاريخي بهـا. وينقـل شـعبان عـن البغـدادي رأيـه الداعـي إلى تصعيـد الكفـاح المسـلح، وضرب المصالـح الإسرائيليـة، وإسـقاط الحكومـات العربيـة المسـاندة للحلـول الاسـتسلامية. (ص 52 بتصرف)

من أين يبدأ الإصلاح؟

يتطـرق الباحـث إلى أن العديـد مـن المفكريـن العـرب راوحـوا بين فئـتين؛ **الأولى**: تميـل إلى **التقليـد**. و**الثانيـة**: تميـل إلى **الإصلاح**.

الأولى: مغلقة ومحافظة، **والثانية**: مفتوحة ومجدّدة.

ويـورد سـؤال التقـدم والتأخـر عنـد **شـكيب أرسلان**، ويتسـاءل قبلاً تحـت عنوان «فكـر اللغة ولغـة الفكـر»؛ مـشيراً إلى وجـود كوابـح وعقبـات تعيـق إرادة التجديـد تتخـذ لبوسـاً طائفيـاً، أو

مذهبيّاً سوف أشير إليها باقتضاب شديد.

1. **عدم القناعة بالتجديد.**
2. **انخفاض درجة الوعي بأهمية التجديد.**
3. **الخشية من الانفتاح على الآخر.**
4. **تعارض التجديد مع المصالح والامتيازات التي يحصل عليها بعض رجال الدين.**

وقد عقب الحسني مؤيداً ومضيفاً سبباً خامساً بأن هناك نهجاً لإبقاء الفقه الإسلامي بجميع مذاهبه ومشاربه على ركوده وجموده.

ويرى أن **المشكلة ليست في الدِّين، بل في فهمه الخاطئ**، وتوظيفه لأغراض أنانية، وينتقد بعض أشكال التديّن التي تتعارض مع قيم التقدم والتمدن؛ **فكلّما كان الطريق إلى الله جميلاً ازداد الإنسان جمالاً وطمأنينة**؛ ولذلك قيل: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق. **(ص 70).** ويقول بعض أتباع الصوفية: الطرائق بعدد الخلائق. **(الكاتب)**

الدِّين والعنف

تحت هذا العنوان يتناول شعبان الجهاد الأكبر، والجهاد الأصغر. والواقع أن الفقه الإسلامي كله يقسم الجهاد إلى: دفعي، وطلبي. يتناول الباحث الدفعي؛ الدفاع عن الأرض، والعرض، والمال، والوطن، والقاطنين فيه، وما عليه من خيرات.

والواقع أن الفقه الإسلامي كله مع هذا التقسيم، ولكن التمذهب والوقائع التاريخية تبين أن الفهم السائد للجهاد هو الجهاد الطلبي؛ وهو ما يشترك فيه الفقيه التقليدي، وداعية "**الفريضة الغائبة**"

ثمّ إنّ تعظيم الاستشهاد يتشارك فيه **سيد قطب** صاحب كتاب "**معالم على الطريق**"، وصاحب كتاب "**الشهادة**" **علي شريعتي**، ويسود هذا الفهم في الأحزاب العربية الحديثة بما فيها بعض الأحزاب اليسارية: (الحزب الشيوعي العراقي)، و(الحزب الاشتراكي اليمني) المتباهي بأن حزبيهما حزبا الشهداء؛ وهو ما انتقده الأستاذ عبد الحسين شعبان. (الكاتب).

في المناظرة الرابعة: "**الدِّين بين المقدّس والمدنّس**" ينتقد الكتاب المذكور بعض رجال الدين،

وإضفاء نوع من القداسة على تصرفاتهم؛ وهو ما ينتقده المفكر علي شريعتي، وذلك من قبيل الأوصاف التي يطلقونها على أنفسهم: "**ثقة الإسلام**"، "**حجة الإسلام**"، "**آية الله**"، "**آية الله العظمى**"

ويرى أن لقب آية الله آتية من رجال الدين أنفسهم، أو من طلبتهم. ويقرأ بدقة وانتقاد شديد سهم الإمام (الخُمُس)، وإساءة التصرف فيه، كما ينتقد بشدة مدرسة الإخباريين ورموزهم، ويتلقى إجابة مهمة من السيد الحسني حول نشأة التقليد، الذي لا أساس له.

في **المناظرة السادسة** في «**نقد مبدأ التقليد**» يتناول اختلال المصطلح المولود في حضن السلطات، كما يرى المفكر الإسلامي **عادل رؤوف**. ويعرض المناظر مثالب التقليد، وقيم الاجتهاد، ويأتي على ذكر التقليد باعتباره ليس أصلاً من أصول الدين، وليس فرعاً من فروعه. ويقول: الأصول هي: **التوحيد**، و**العدل**، و**النبوة**، و**الإمامة**، و**المعاد**. ويتناول الفروع: **الصلاة**، و**الصوم**، و**الزكاة**، و**الخُمس**، و**الحج**، و**الجهاد**، و**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، و**التولي للنبي وآله**، و**التبرّي من أعداء النبي وآله**. **(ص 99)**

الباحث يتناول الأصول كما هي عند متكلمي الاثنا عشرية. ومعروف أنها نقاط خلاف بين السنة والشيعة، وهي موضع انتقاد شديد لدى بعض علماء الشيعة المجددين وأصحاب «نظرية المشروطة»، ومنهم كتّاب مثل **النائيني**، و**المرزا حسين خليل**، و**عبدالله مازندران**؛ وصولاً إلى **محمود طالقاني**، وتيّار طويل عريض في الثورة الإيرانية.

أُدركُ تماماً أن الباحث عبد الحسين شعبان في نفس الكتاب، والعلامة الجليل أحمد الحسني البغدادي ليسا مع رأي سلفيي الشيعة من أنصار **الإمام الغائب**، وأصحاب **ولاية الفقيه**؛ فهما أبعد ما يكون عن ذلك، ولكن لما تركته هذه الاعتقادات من إشكالات فكرية وعملية وصراعات وخلافات، وددت الإشارة إليها مستشهداً بما يقوله **الشهرستاني** عن الإمامة أنه: ما سفك دم على قاعدة دينية كما سفك على الإمامة؛ فأحببت الإشارة. **(الكاتب).**

ينتقد البغدادي الفتاوى، والشهادة الثالثة في الأذان؛ مؤكداً أهمية الاجتهاد، رابطاً بين التجديد والاجتهاد. ويشدد على إدانة الفتنة الطائفية في العراق؛ مشيداً بروح المقاومة. ويعود لمعالجة هذه القضية المتعلّقة بالإمامة؛ معلناً أنه مع الإمام العادل مهما كان دينه، واتجاهه السياسي وعرقه؛ لأن **العدل هويّة**. ويضيف: وعلى المسلمين قبول العادل مهما كان؛

فهـو خير مـن مسـلم ظـالم. **(ص 130).**

الإمامـان **جعفـر الصـادق**، و**أحمـد ابن تيميـة** يريان أفضليـة الدولة «الكافرة» مـع العدل على الدولـة الإسلاميـة مـع الظلـم، والقـرآن الكريـم يسـمي الشرك ظـلماً «إن الشرك لظلـم عظيـم». (سـورة لـقمان - الآيـة 13). **(الكاتب)**

ينتقـد المتناظـران الطائفيـة، ويريـان فيها كل مآسي ومصائب الشـعب العراقـي والأمة العربية والإسلاميـة، وأن المسـتفيد منهـا أمـراء الطوائـف مـن الفريـقين، وينتقـدان قيـام الحكـم على التقاسـم والمحاصصـة في العـراق، ويـورد الباحـث شـعبان مقولـة عـالم الاجـتماع العراقـي **علي الـوردي**: «طائفيّـون بلا دِيـن».

ويتنـاول شـعبان حملـة التهجير الواسـعة عـام 1980 (بحجة التبعيـة الإيرانيـة)، ويوثّق موقفه برسـالته القانونيـة الموجهـة إلى الأمـم المتحـدة، وأمينهـا العـام **كـورت فالدهايم** باسـم المهجرين العراقـيين، الذيـن سـاعدهم في تأسـيس جمعيـة، وأشرف عليهـا وصـاغ بيانهـا الأول. وحقـاً، فـإن التهـجير لعـب دوراً خـطيراً في إذكاء الصراع الطائفـي، وأعطى إيران سلاحاً اسـتخدمته ضدّ العراق في الحـرب العراقيـة - الإيرانيـة (1980 - 1988) ومـا بعدها.

المناظرة العاشرة: الشيعة السياسية.. «البيان» و«البيت»

يتحـدث شـعبان عـن أنـه عرض على السـيد البغـدادي العودة إلى مشـكلة الطائفية السياسـية منـذ تأسـيس الدولـة العراقيـة عـام 1921. ويـشير الباحـث إلى دور بريطانيـا في سَـنِّ **القانـون الأسـاس عـام 1925** وقبلـه (قانـون الجنسـية العراقيـة) عـام 1924؛ عـملاً بسياسـة: فـرِّق تسـدْ، والـذي اسـتمرّ التمييـز بسـببه، بـل زاد تعقيـداً عشـية الحرب المشـار إليهـا وخلالها ومـا بعدها. ويتوقّـف الباحـث عنـد قـوانين الجنسـية العراقيـة الغريبة عـن غيرها مـن القـوانين التي تشترط على المواطـن الحصـول على شـهادة الجنسـية بعـد الجنسـية، حيـث تـمّ تقسـيم المواطـنين إلى فئـتين: ألـف (مـن التبعيـة العثمانيـة) وبـاء (مـن غير التبعيـة العثمانيـة). ولعـلّ هـذه المسـألة مسـتمرّة في بعـض جوانبهـا، ولم تُحـل نهائيـاً، على الرغـم مـن إلغـاء بعـض قرارات مجلـس قيادة الثـورة المنحـل والخـاص بعمليـة التهـجير، الأمر الـذي يتطلّـب اعتماد مبـادئ المواطنـة المتكافئة والمتسـاوية دون تمييـز.

ويـشير المناظـر إلى موقـف متقـدم للإمـام **محمد مهدي شـمس الدين** نشره عـام 2002، وقدم لـه **غسـان توينـي**؛ تحـت عنـوان «**الوصايـا**»، دعـا فيـه الشـيعة إلى أن ينخرطـوا في مجتمعاتهـم وشـعوبهم ودولهـم إذا مـا أرادوا أن يخدمـوا آل البيـت، وأن لا يسـعوا لإنشـاء مشروع خاص، بل عليهـم الاندمـاج في نظـام المصلحـة العامـة، وأن يكونـوا متسـاويين في ولائهـم للنظـام وللقانـون والاسـتقرار وللسـلطات العامـة على أسـاس الشراكـة مـع الأقـوام والشـعوب والجماعـات التـي ينتمـون إليها

ويـوصي الشـيعة في كل مجتمـع مـن مجتمعاتهـم، بـأن لا يبنـوا علاقاتهـم على أسـاس التمايز الطائفـي والمذهبـي، وأن يتجنّبـوا في كل موطـن لهم شـعار «حقوق الطائفـة»، والمطالبة بحصص في النظـام. ويعلـق الباحـث: وبتقديـري أن في ذلـك دعـوة جريئـة للإقـرار بالدولـة الوطنيـة، والمطالبـة بالمواطنـة المتسـاوية، وعـدم التمييـز كأسـاس للمشـاركة والشراكـة في الوطـن مع بقية الشركاء. **(ص 173)**

ويـرى -محقـاً- أن إعلاء شـأن **مرجعيّـة السيسـتاني** ترفعـه إلى مرتبـة ولايـة الفقيـه، وتجعلـه فـوق مرجعيـة الدولـة، أو إحـداث نـوع مـن التراتب بينـه وبين الدولـة؛ حتى وإن لم يُنـص عليها في الدسـتور صراحـة، لكـن ذلـك جـاء في ديباجتـه التـي وضعهـا بمنزلـة عُليـا. **(ص 182)**. ويقـدم الباحـث نقـداً صارمـاً لولايـة الفقيـه. ويـشير إلى تبـادل رسـائل بين السيسـتاني وبريمـر تتجـاوز الـثلاثين رسـالة لم يفصـح بريمـر عـن مضمونهـا، وهـو ما جـاء في كتابه «**عـام قضيتـه في العراق**»، كما يمكن الاطلاع على مقالة شـعبان المنشـورة في جريدة النهار «**السيسـتاني أو ولاية الفقيه غير المعلنـة**»، والتـي يـعبّر فيهـا عن الطبعـة السيسـتانية لولايـة الفقيه.

ويـرى الباحـث المناظـر أن مـكان رجال الدين من الفريقين: الشـيعة، والسـنة، وبوجه عام: من المسـلمين، والنصـارى وغيرهـم، هو المسـاجد، والجوامـع، والكنائس، ودُور العبـادة والعلم، وليس الانخراط في العمل السـياسي. **(ص 186)**

المناظرة الحادية عشرة: الفيدرالية والفدرلة والتقسيم

يناقـش شـعبان، السـيّد الحسـني البغـدادي حـول مشروع الفيدراليـة، ويقـول لـه: إن مـا ورد

في الدستور الدائم لا علاقة له بالنظام الفيدرالي، وإن في الدستور ألغاماً كثيرة؛ لانبنائه على أُسس المحاصصة المذهبية، ويقوم على الزبائنية، وتوزيع المغانم، ويرى البغدادي أن فيدرالية الدستور العراقي لا تستهدف وحدة العراقيين، وإنما تمزيقهم. وقد طرح بايدن نائب الرئيس الأمريكي عام 2007 مشروع التقسيم، ووافق عليه الكونجرس: ثلاث فيدراليات: شيعية، وسنية، وكردية

ويشرح شعبان لمناظره الفرق بين الفيدرالية والتقسيم، ويحدد بدقة طبيعة النظام الفيدرالي وقوانينه العامة مع خصوصية الوضع العراقي، ولا علاقة لها بالمظلومية؛ أو الغبن التاريخي أو النسيج المذهبي أو التمييز، تلك التي تندرج عادةً في الدساتير في باب الحقوق والحريات. **(ص 190).** أمّا الفيدرالية فتتعلّق بنظام الحكم المطبّق في أكثر من 40 بلداً، ومعظمها تجارب ناجحة، إذا ما اقترنت بطائفة من الإجراءات والقوانين السليمة وبممارسات صحيحة وشفافة

المناظرة الثانية عشرة: مصادر التشريع: الإجماع والشهرة

يشير الباحث إلى أن البغدادي في كتابه المهم «**التفسير المقاصدي**»، يتناول مسألة الإجماع بوصفه أحد مصادر التشريع الإسلامي، وهي: القرآن، والسنة النبوية (أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المعتمدة، وأفعاله، وإقراراته المؤكدة)، والإجماع، والقياس

وقد عدّ الشيعة الإماميّة **العقل** و**الاجتهاد** مصدراً أساسياً، ويستدلون بقصة **معاذ بن جبل** في جوابه على سؤال الرسول في حال عدم وجود نص فماذا يفعل؟ فأجاب: أجتهد رأيي. فزكَّاه الرسول. ومعروف في المذاهب السنية وجود خلاف حول حجية الإجماع، والقياس. **(الكاتب)**

المناظرة الثالثة عشرة: الردّة والمرتدّ ومَنْ في حُكمهما

بعد فذلكة يسأل شعبان، البغدادي: هل صحيح أن حكم الفقه الشيعي على المرتد الذي يتم تكفيره أشد قسوة من الفقه السني؟ ولماذا؟

يفرق البغدادي بين الارتداد والتكفير؛ مذكِّراً بتكفير الشيوعيين الذي قام به **محسن الحكيم**، وأن رأيه مختلف، ويقسم الشيوعيين إلى ملاحدة فلسفياً ومؤمنين وهم الغالبية. ويحترم قناعاتهم؛ خصوصاً دفاعهم عن الفقراء. **(ص 218-217)**

ويسأله هل ناكر الإمامة كافر؟

فـردّ البغـدادي: إن العـدل الإلهـي، والإمامـة الشـيعية مـن أصـول المذهب، ومـن أنكرها ليس شـيعياً إماميـاً، لكننـا لا نقـول بكفـره، فنحـن لا نكفّر أهل السـنة والجماعة منكـري الإمامة (هذا اجتهادهم)

ويتنـاول الباحـث مواقـف الوهابيـة، والتيـارات التكفيريـة، وتكفير السـنة للشـيعة. بـل تكفير السـنة للسـنة؛ وهـو موجـود بين مختلـف المذاهـب السـنية، وأحيانـاً داخـل المذهـب الواحـد، والأمثلـة كـثيرة، أبرزهـا تكـفير الدواعـش لعمـوم المسـلمين. **(الكاتـب)**

المناظرة الرابعة عشرة: هل المرأة عورة وناقصة عقل ودين؟!

يتناول الباحث المناظر موقف النصوص الدينية الممتزجة بالقيم والتقاليد القبلية والسـلطوية، وهيمنـة الذكوريـة، والمجتمعات التقليدية، والأحاديث، ومدى إيمان العلامة البغدادي بها

ويـأتي المناظـر على قانون الأحوال الشـخصية العراقي لعام 1959، وردود الفعل إزاءه، ولاسـيّما في قضيـة الميراث وتحديـد سـنّ الـزواج وتسـجيله مدنيـاً عبر المحكمـة، وإلّا فسـيكون غير معترف بـه، ويـرد البغـدادي بـأن المـرأة تـرث في أكثر مـن ثلاثين حالـة مثـل نصيـب الرجل، ويعـدد هذه الحالات

ويتنـاول الباحـث قضيـة المسـاواة التـي طرحهـا الرئيس التـونسي **القائد السـبسي**، وتكفيره من قبـل الإسلامـيين، وناقش موضـوع تعدد الزوجات، وقـوانين الأحوال الشـخصية، والقانون التونسي المتقـدّم بهـذا الخصـوص (1956)، والقانـون اليمنـي (1974)، ويعـتبر البغـدادي أن للتشريـع الإسلامـي منهجـاً خاصـاً في قضيـة تعـدد الزوجـات، وبـأن الرجـل ملزم بتطبيـق العدالـة؛ وبالتالي الـزواج مشروط بشروط لا تتحقـق في الأمـور الطبيعيـة الاعتياديـة؛ وهـذا -بحسـب الظاهـر- سـحب للتعدديـة؛ يقصد تعـدد الزوجات لا تجويزه. انتهى كلام الحسـني البغـدادي. **(ص 235)**

ويسـأله عـن زواج القـاصرات؟ ويكون الجواب متمدنـاً ومتحضراً، ويتفق مـع الاعتراضات التي ذهبـت إلى اتفاقيـة مكافحة التمييـز ضد المرأة

ويـرى الباحـث أن هـذا الموضـوع مثـار جـدل في الفقـه منـذ تأسـيس الدولـة العراقيـة؛ حيث تصـدرت معركـة السـفور والحجـاب، وتعليـم المـرأة عناوين السـجال الدائم في هـذا الحقل. **(ص**

(137

ويتناول **حقوق المرأة كمقياس لا يخطئ لمعرفة تقدّم أي مجتمع**، وخصوصاً مساواتها مع الرجل. ويتناول قضايا الزواج والطلاق والقانون رقم 188 لعام 1959، الذي اعتبره البعض خطوة متقدمة، ومطالبة البعض بإلغائه.

المناظرة السابعة عشرة: العصمة والمعصوم

يسأل المناظر: هل هناك بشر معصومون؛ أي أنهم فوق البشر؟ وهل انتهى عهد العصمة، أم ثمة بشر يرتقون اليوم إلى هذه المنزلة، ومنهم بعض الفقهاء الذين يطلق عليهم اسم المرجعية، أو آية الله، أو المرشد الأعلى، أو الشيخ؟ والموقف من العصمة والمعصوم؟

ويتناول المناظر معنى «العصمة» في اللغة والاصطلاح، كما يقرأ عصمة الرسل والأنبياء، ويتناول العصمة في الفقه الشيعي والسني.

ويرى المناظر انفراد الاثنا عشرية بالقول بعصمة الأئمة الاثنا عشر، ويعدّون من جاء من نسل الإمام علي وفاطمة معصومين، وينسب إلى الحلي القول بأنهم لا ينسون ولا يخطئون.

ويرد البغدادي بأن العصمة موهبة إلهية يتفضل بها الله على من يشاء من عباده الصالحين. ويفسر العصمة بالصيانة في الفكر والعزم. فالمعصوم المطلق من لا يخطئ في حياته، ولا يعصي الله في عمره، ولا يريد العصيان، ولا يفكر فيه؛ مؤكداً أن الإمامة أصل من أصول الدين لدى الشيعة كحفظ لوظيفة النبوة والرسالة السماوية، والأئمة معصومون من الخطأ والهوى والزلل والمعصية؛ وهو ما يميزهم عن سائر البشر العاديين. وإذا كان الأمر يتعلّق بالأصل فهناك من يريد أن يسحبه اليوم إلى الفرع، أي نائب الإمام الغائب؛ وهذه مسألة تتعلّق بولاية الفقيه والحكومة الإسلامية ودور المرشد الأعلى، وهي مسألة سياسية اعتقادية يجري تهويلها والمبالغة فيها أحياناً. **(ص 267)**

ويتناول العصمة في كتاب «**منهاج السّنة**»، **لابن تيميّة** والذي ردّ به على «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة»، لابن المطهر الحلي. ويعتبر **الرازي** العصمة في إجماع الأمة، بينما يراها ابن تيمية في القراء والفقهاء والمحدثين

ويضيف المناظر: وهنا يشترط ابن تيمية العصمة لضمان حفظ مضمون الشريعة كما هي

الحـال عنـد الآخريـن مـن الشـيعة وغيرهـم. ويتسـاءل: فما الـذي أجازهـا لمجموعـة، ومنعهـا عن فـرد؟ **(ص271)**

ويتوافـق رأي المتناظريـن في هـذه القضية، والأهم اسـتدلال البغدادي ببشريـة النبي صلى الله عليـه وسـلم؛ مستشـهداً بالآيـة الكريمة: «إنما أنا بشر مثلكم» (سـورة الكهـف - الآية 110)

ويخلـص الباحـث المناظـر إلى أن العلامـة البغـدادي لا يريـد أن يخالـف الرأي السـائد والمألوف في خصـوص عصمـة الأئمـة الاثنـا عشر، وأنـه لا يريـد أن يغـرد خـارج السرب؛ فتلـك قناعتـه التـي ينبغـي أن تحترم

وأخيراً، تحيّة إعزاز وإكبار لـ «دار سـعاد الصباح للثقافة والإبداع»، وللأسـتاذة الجليلة الشـاعرة سـعاد الصبـاح باختيارهـا الموفـق تكريـم المعلّـم المفكّـر والإنسـان الدكتـور عبـد الحسين شـعبان المدافـع عـن الحرّيـات العامـة والديمقراطيّة وحرّيـة الرأي والتعـبير وقضايا أمّتـه العربيّة وحقوق الإنسـان في كل مكان

أنسنة المعرفة

د. عبد الباسط بن حسن[1]

1- رئيس المعهد العربي لحقوق الإنسان - تونس.

تتجسد الجوانب الاستثنائية في شخصية الدكتور عبد الحسين شعبان وخصوصية تجربته الإنسانية المهمة في قدرته على الربط المبدع بين أبعاد ثلاثة:

أولاً- في النضال من أجل الدّفاع عن الحقوق والحريات ومواجهة الانتهاكات والظلم والاستبداد.

ثانياً- في الإنتاج الفكري الثري بأبعاده الإنسانية.

ثالثاً- في الاهتمام المتفرد بنشر ثقافة حقوق الإنسان والتربية عليها.

لقد كتب الدكتور شعبان عن دولة القانون والحقوق والحريات والعدالة الدولية والقانون الدولي لحقوق الإنسان والإسلام وحقوق الإنسان والهوية والمواطنة ودور المثقف الإنساني. كما كتب عن التسامح ومواجهة العنف والتطرف والإرهاب ودور المجتمع المدني في بناء مجتمعات تحكمها مبادئ الحرية والعدالة والمساواة والكرامة

وتحضُر المقاربة الحقوقية ساطعة أنوارها في كل كتاباته، فهي ليست الهامش بل هي أساس تجربته الإنسانية وجوهر عمله المعرفي المرموق

ولقد اختار الدكتور شعبان رؤية لحقوق الإنسان كونيّة ومترابطة وغير قابلة للتجزئة تجمع بين الحقوق الشخصية والحقوق الجماعية، كما تجمع بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة، وتقيم الصلة الوثيقة بين الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إنّها الرؤية التي أسّست لحقوق الإنسان في معناها الحديث وجعلت من الدكتور شعبان وريث تقاليد إنسانية عريقة. إنّه ينتمي إلى جيل روّاد حركة حقوق الإنسان العربية، جيل خرج من ظلمات الاستبداد ومنظومات العسف واحتقار الكرامة البشرية ليؤسّس مع عدد من رموز مجتمعاتنا العربية مسارات تاريخية أرادت أن تؤصّل فكر حقوق الإنسان وتجاربه في عمق حضارتنا.

لقد أسّس جيل رواد حركة حقوق الإنسان العربية رؤاه ورسالته على تراث مدنيّ إصلاحي بدأ منذ القرن التاسع عشر في بلداننا العربية؛ تراث قام على التبشير بتغيير مجتمعاتنا

مـن خلال تحديـث الدولـة ومؤسّسـاتها وإخـراج السياسـة مـن الاسـتبداد وإقامـة دولـة القانون وتحريـر الفـرد مـن الجهـل والفقـر وتنميـة قـدرة الشـعب على التحـرّر مـن هيمنـة الاسـتعمار وتقريـر مصيره.

إنّهـا الرؤيـة الإصلاحيـة التـي تقيـم علاقـات وطيـدة بين العمل السـياسي والمـؤسسي والفكري، وتعـتبر أنّ التربيـة والثقافـة دعامتـان أساسـيتان لنهضـة مجتمعاتنا

ورغـم مـا تعـرّض لـه جيل روّاد حركة حقوق الإنسـان من عسـف وتنكيل وقمـع وتهميش من طـرف منظومـات الاسـتبداد والـرأي الواحـد فإنّه نجـح في أن يجعـل من خطاب حقوق الإنسـان ومفاهيمـه جـزءاً مـن الخطـاب السـياسي والثقـافي والاجتماعـي والاقتصـادي. كما نجـح الجيل في بنـاء حركـة مدنيـة واسـعة النطـاق تدافع عن الحقـوق والحريات وتسـعى إلى التـأثير في القوانين والسياسـات العموميـة والثقافـة الاجتماعيـة. ولقـد قـام الدكتور عبـد الحسين شـعبان بدور مهم في بنـاء هـذه الحركـة داخـل البلـدان العربيـة وفي المهجـر وسـاهم في انفتـاح هـذه الحركـة على الأفـق الكـوني بالمشـاركة الفاعلـة في أعمال المنظومـة الدولية لحقوق الإنسـان

ويمكـن أن نعـتبر الدكتـور شـعبان أحـد بناة حركـة عربية من أجـل نشر ثقافة حقوق الإنسـان والتربيـة عليهـا. لقد سـاعدت كتاباته ومحاضراته ومشـاركاته في عدد كبير مـن الدورات التدريبية على دعـم قـدرات آلاف مـن النّسـاء والرّجـال في كل البلدان العربية وتقريب حقوق الإنسـان إلى أفهامهـم وإدراك فنـون الدّفاع عنهـا وتأصيلها في مجتمعاتنا.

يمكـن أن نصـف العقـد الأخير مـن القرن الماضي بأنه عقد التربية على حقوق الإنسـان بالنسـبة إلى الحركـة الحقوقيـة العربيـة. إنهـا لحظـة أساسـية تميـزت بإنشـاء عـدد كـبير مـن المعاهـد والمراكـز المتخصصـة في التربيـة على حقـوق الإنسـان وبانفجـار هائـل في عدد الـدورات التدريبية والنـدوات والحلقـات الدراسـية وعـدد الكتب والمـجلات والأدلـة التدريبية التي تكاد تشـمل كل قضايـا نشر الوعـي بالحقـوق. وقـد وضعـت أغلـب المنـظمات الحقوقيـة التربيـة والتعليم صلب أجنداتهـا، وظهـرت تجـارب متخصصـة تتجـه إلى قضايـا دقيقـة مثـل التوثيـق والإعلام وإدمـاج حقوق الإنسـان في المناهج الدراسـية أو تسـتهدف فئات جديدة مثل النسـاء والأطفال واللاجئين والـعمال والمهمـشين. كما أن عـدداً مـن المنـظمات التنمويـة بـدأت تسـتعمل أدوات التربية على حقـوق الإنسـان في سـعيها إلى إدمـاج مقاربـة حقـوق الإنسـان في عملهـا التنمـوي وعنـد تقديم

خدماتها للفئات الاجتماعية الأكثر فقراً وتهميشاً

ولم يكن أحد يتخيل أن الاهتمام بالتربية على حقوق الإنسان سيطول أيضاً المؤسسات الحكومية في بعض البلدان العربية التي أصبحت تهتم بتدريب الموظفين الحكوميين المعنيين بحقوق الإنسان.

لقد أنزل الدكتور شعبان مفاهيم حقوق الإنسان إلى الواقع المعيش لمجتمعاتنا وساهم في التعريف بطرق ومناهج توثيق انتهاكات حقوق الإنسان والتحقيق وتعلّم القيام بالحملات من أجل إنقاذ كل من داهمهم الظلم والحيف

إنّ تجربة الدكتور عبد الحسين شعبان الرائدة تحضر رسالتها اليوم بقوة في ظل عالم تخترقه أزمات عديدة من عنف وحروب واستعمار لفلسطين وإبادة في غزّة وتغيّرات مناخية مرعبة واستشراء للفقر والتهميش والإقصاء. أزمات تطرح على ضميرنا الإنساني أسئلة كبرى وتفرض علينا جهداً تضامنياً واسعاً من أجل حماية الإنسان من الخوف والحاجة وإقامة مجتمعات أكثر إنسانية. إنّ حقوق الإنسان في معناها الكوني والشامل الحاضرة بقوة في تجربة الدكتور شعبان المتفرّدة هي إحدى الإجابات الأساسية التي يمكن أن تساعد مجتمعاتنا على المضي على طريق الحريّة والديمقراطية والتنمية الإنسانية المستدامة بدل الذّهاب نحو غياهب الانحطاط والتوحّش.

إنّها الرسالة التي ساهم بها جيل الروّاد، ومن بينهم الدكتور عبد الحسين شعبان في التأسيس لإنسان عربي يتمتع بكرامته وشعوب تعيش في ظل دولة قانون وعدالة اجتماعية يتمتع بها جميع النّاس على قدم المساواة

إن تكريم الدكتور عبد الحسين شعبان وتجربته الإنسانية الملهمة عمل رمزي عظيم يؤكّد الاعتراف الجماعي بتجربة مازلنا نتعلّم منها ونستفيد من زخمها الكبير

لقد أسّس الدكتور شعبان لتحرّر الفرد والمجتمع من خلال معرفة إنسانية مبدعة سيظل صداها يتردّد بقوة، وأثرها يتجدّد في أعماق كل المدافعين والمدافعات عن أنسنة مجتمعاتنا وكل المؤسسات التي ساهم الدكتور شعبان في إقامتها ورعايتها ودعمها، وعلى رأسها المعهد العربي لحقوق الإنسان

El Houssein CHAABAN,
La presencia noble, ausente o presente.

عبد السلام بوطيب[1]

1- فاعل سياسي وحقوقي مغربي، كاتب وروائي و رئيس مركز الذاكرة المشتركة للديمقراطية والسلام

عن العنوان:

ارتأيت أن أضع لشهادتي هذه عنواناً باللغة الاسبانية، فقط لأنها اللغة التي قرأت بها الأشعار في بداياتي الأولى، قبل أن أكتشف جمال اللغة العربية وعمقها، والتي جعلتني أن أكون اليوم ما أنا عليه، صديقاً للحسين، ومن سار على دربه من النساء والرجال من المدافعات والمدافعين عن كرامة الناس، كل الناس

رجاء لا تحاولوا ترجمته قبل الانتهاء من قراءة الشهادة، لأنكم لن تفلحوا في ترجمته ترجمة أمينة، لأنه عنوانٌ كُتِب من محبرة التقدير والمحبة، وما كُتِب من هذه المحبرة، يمكن أن يُعبَّر عنه بكل لغات البشرية، لكنه لا يترجم إلا بإدراك المقاصد واستكناه المظان.

عنّي كتب يوماً الدكتور الحسين شعبان وهو يقدم روايتي ما قبل الأخيرة المعنونة بـ«الشجرة الهلامية»: **بعد ساعتين، ومن أول لقاء لي معه اكتشفتُ أنه صديق عتيق، جرّب الحب مثلي، وامتلأ رأسه بالأحلام، وفاض كأسه الذي ظل مترعاً.. هكذا تخطت علاقتنا بسرعة فائقة الشكليات، والبعد الجغرافي، والسنين، فوجدنا أنفسنا دفعةً واحدة بجذور متشابكة وممتدة عميقاً مثل «الشجرة الهلامية»**

وأنتم تقرؤون هذه الشهادة ستتعرفون كذلك على «الشجرة الهلامية»، وامتداد جذورها فينا: الحسين، أنا، وجميع أصدقائنا من المدافعات والمدافعين عن عالم يتسع لنا جميعاً. فكتابتي لهذه الرواية جعلتني أفهم أكثر طبيعة علاقاتي مع كثير من الأصدقاء، ومنهم الدكتور الحسين شعبان

التقيت بالدكتور الحسين شعبان أول مرة في البدايات الأولى لمسلسل الإنصاف والمصالحة في بلدي المغرب، آنذاك كنت نائب رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف، أي نقابة ضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي عرفها المغرب من تاريخ إعلان استقلاله إلى غاية تولى الملك محمد السادس الحكم بالبلد، أنا المنحدر من إحدى المناطق الأكثر تضرراً من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، أنزف ألماً وحزناً من جراء بشاعة ما عشته من عذاب خلال سنوات الاعتقال التعسفي الطويلة

عندما التقيت بالحسين كنت مستعداً لأتحول إلى الحطب النبيل من أجل الديمقراطية ودولة الحق في بلدي، عازماً على جعل كل الألم الذي كان ينخرني من أجل خدمة ذلك. وكنت متعطشاً لمزيد من المعرفة الحقوقية، ولاسيما في مجال العدالة الانتقالية. أي منهجية المعالجة الحقوقية والسياسية للانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وكان الحسين شعبان، الذي رافقنا في المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف خبيراً، من خيرة معلمينا في مجال العدالة الانتقالية، ومن كبار موجهينا في حركة الضحايا للمساهمة في إنجاح تجربة الإنصاف والمصالحة بوضوح حقوقي وسياسي تام. مما ساعدنا في الانتصار على المشككين في التجربة، وبخاصة الذين كانوا يرددون أن هيئة الإنصاف والمصالحة ما هي إلا خدعة من الدولة لاستمرار النظام في الحكم وللإيقاع بالحقوقيين ومعارضيه

وبعد تأسيس هيئة الإنصاف والمصالحة، استمر الدكتور الحسين في الاشتغال معنا في حركة الضحايا، ورافق كذلك هيئة الإنصاف والمصالحة، والحركة الحقوقية المغربية التي تفاعلت مع التجربة، كأحد الخبراء الكبار في مجال العدالة الانتقالية وبناء الديمقراطية، مُلحّاً على تعميق المعرفة التاريخية والمعرفة الحقوقية، ولاسيما في مجال أخلاقيات حقوق الإنسان، والاطلاع الواسع على التجارب العالمية في مجال العدالة الانتقالية، ولاسيما الأفريقية منها والأمريكية اللاتينية، واضعاً كل علاقاته ومعارفه رهن إشارتنا. لذا فهو بالنسبة لنا في الحركة الحقوقية المغربية ممن أسدوا خدمات جليلة للتجربة المغربية، وجعلوا منها تجربة رائدة عالمياً في مجال الإنصاف والمصالحة، ومعالجة ملفات الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وكان الحسين، طيلة مدة اشتغال هيئة الإنصاف والمصالحة، يوصي، وهو العارف بكنه العدالة الانتقالية، وهشاشة الأطراف المشاركة في مسارات الإنصاف والمصالحة بضرورة التسلح بالصدق تجاه كل المتدخلين في التجربة، ولاسيما تجاه المؤسسة الملكية، المبدعة للتجربة المغربية رفقة قيادات من الضحايا، والراعية لها، والضحايا، الذين يأملون بمعالجة جراحهم، ورد الاعتبار لهم، وتصحيح وضعياتهم الاجتماعية والمهنية والمادية والإدارية

وعند انتهاء هيئة الإنصاف والمصالحة بإصدار توصياتها التاريخية، المؤسسة فعلاً للمغرب الديمقراطي الذي كنا نحلم به ونحن شباب، كان الحسين يلح بالقول، وهو الخبير بعمق التناقضات التي يمكن أن تخترق أية دولة تشجعت واشتغلت على منوال العدالة الانتقالية:

«الآن بـدأتْ معركتكـم الحقيقيـة مـن أجـل دمقرطـة بلدكـم».. إذ كان يعـرف بالتجربـة، وبذكاء الباحـث المنصـت بعمـق للمخـاض المجتمعي المغـربي، أن انتكاسـة المسلسـل واردة في كل لحظة وحين، وهـذا الأمـر طبيعـي جـداً في كل مسـلسلات المصالحـة. لـذا كان يـوصي بالهدوء السـياسي الضروري، وجعـل اللحظـة لحظـة انتصـار الجميع، وبضرورة تعميـم ثقافة الحـوار، ونشر الثقافة الديمقراطيـة وثقافـة حقـوق الإنسـان في المدارس والثانويـات والجامعات وفي الأحـزاب والنقابات والجمعيـات المدنيـة، كما ظـل يـوصي بضرورة التفـكير بمؤسسـة لتحـصين مكتسـبات المصالحـة لصالـح صيرورة البنـاء الديمقراطـي. ومـن أجـل ذلـك لم يبخـل أبـداً لا بوقتـه، ولا بـأي شيء يمكن أن يسـاهم بـه مـن أجـل تنوير المجتمع، ولاسـيما الفاعـلين فيـه بضرورة بقاء الحـوار مفتوحاً بين جميـع المتدخـلين في الشـأن السـياسي بالبلـد، لـذا تراه صديقـاً للسياسـيين والحقوقيين الرسـميين، وصديقـاً للفاعـلين المدنـيين، وصديقـاً لأشرس المعـارضين، وغاضبـاً غير مقاطـع لكل مـن يسيء إلى انفتـاح الأطـراف بعضهـا على بعـض مـن أجل المسـاهمة الهادئـة لبنـاء الديمقراطية.

ومـا دام مسلسـل المصالحـة، بطبيعتـه، صيرورة معقـدة وطويلـة، مـازال الحـسين على نفـس النهـج، مسـاهماً فعـالاً مـن أجل أن يرى أبنـاء بلده الثاني، المغرب، يسـاهمون في بنـاء البلد الذي يتسـع لهـم جميعاً.

عندمـا قـررت، بمعيـة نخبـة مـن الأصدقـاء الحقوقـيين والسياسـيين، تأسـيس مركـز الذاكـرة المشتركـة مـن أجـل الديمقراطيـة والسـلم، بغيـة تكييـف آليـات العدالـة الانتقالية للاشـتغال بها لمعالجـة الدَّيـن التاريخـي الاسـتعماري، ولاسـيما معالجـة الجرائـم غير القابلـة للتقـادم التـي قام بهـا الاسـتعمار ببلـدي، كان الحـسين شـعبان حـاضراً بقـوة في كل نقاشـات التأسـيس، حـذراً مـن المنزلقـات المنهجيـة والسياسـية والحقوقيـة، حريصـاً على أن لا نسـقط فيما يمكـن أن يثير البغض والكراهيـة بيننـا نحـن المغاربـة، وأبنـاء شـعوب البلـدان التـي اسـتعمرتنا، وهـم لا يتحملـون أي نصيـب مما اقترفـه أجدادهـم الاسـتعماريون، منبهـاً لنـا إلى الطـرق المـثلى التـي علينا اسـتعمالها لاسـتمالة الحقوقـيين، والإنسـانيين منهـم، وبخاصـة أن أثـر الجرائـم الاسـتعمارية التـي مارسـها المسـتعمر في حقنـا مازالـت قائمـة، وإذا كان علي أن أذكـر هنـا واحـدة فقـط، فأفظـع مـا مـورس ضدنـا مـن قبـل مسـتعمرينا هو قصفنا بقنابل كيماويـة لمدة طويلة، مما تسـبب لأهالينا بأمراض سرطانيـة كـثيرة مازلنـا نعـاني منهـا اليوم.

لم يكـن بإمكاننـا في مركـز الذاكـرة المشتركـة مـن أجـل الديمقراطيـة والسـلم إيصـال رسـالتنا

الإنسانية الحقوقية إلى أبناء مستعمرينا القدامى، ولا إلى الأوروبيين عامة، ولا إلى العالم، ولا حتى إلى أبناء شعبنا بالنظر إلى أن ما نشتغل عليه في مركز الذاكرة المشتركة من أجل الديمقراطية ليس سهلاً، ويتطلب تكويناً كبيراً وعميقاً في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولا سيما في السياسة والتاريخ وحقوق الإنسان، ذلك أننا أول تجربة في العالم تحاول تكييف آليات العدالة الانتقالية للاشتغال بها على سؤال الدَّين التاريخي الاستعماري. لذا عندما استشرنا في الأمر مع الدكتور الحسين شعبان وافقنا الرأي على أن ننقل جزءاً من هذه الإشكالات التي نطرحها إلى مهرجان سينمائي حقوقي سياسي دولي، يبتغي الحفاظ على دور السينما كفن نبيل، وينشر عبرها وعياً حقوقياً بثقافة العدالة الانتقالية وثقافة المصالحة بين الشعب الواحد، وكذلك بين شعوب مختلفة ورثت مشكلات سياسية وحقوقية من فترات مضت، ولاسيما الفترة الاستعمارية، هكذا أسسنا معاً، ومنذ ثلاث عشرة سنة، تجربة المهرجان الدولي لسينما الذاكرة المشتركة الذي ينعقد كل خريف بمدينة الناضور، شمال المغرب، وهو المهرجان الذي حضره الدكتور شعبان منذ تأسيسه إلى آخر دورة، ولم يغب عنه إلا خلال دورتين أو ثلاث دورات، وعندما كان يغيب فإنه يكون أكثر حضوراً، حيث إن كل الضيوف يبدؤون بالسؤال عن صديقهم اللبناني، قبل أن يصحح لهم آخر: إنه عراقي، وثالث: إنه فلسطيني، ورابع: إنه سوري.. وخامس: إنه كويتي، وسادس: إنه عماني، وفي العادة ما كان يحسم هذا السؤال صديق إسباني مشترك لنا بالقول

- El Houssein CHAABAN, La presencia noble, ausente o presente.

- الحسين شعبان، الحضور النبيل، غائباً أو حاضراً.

هكذا كان الحسين يؤشر بحب نبيل عن حضوره، حاضراً كان أم غائباً.

رافقنا الدكتور الحسين متطوعاً في المهرجان الدولي لسينما الذاكرة المشتركة محاضراً في ندوات المهرجان، مكوناً للشباب في ثقافة العيش المشترك الإنساني، رئيساً للجنة تحكيم الأفلام الوثائقية، منسقاً للأنشطة الفكرية للمهرجان، ورافقنا غيابياً خير سفير للمهرجان، مساهماً في أن يكون أول تجربة سينمائية تشتغل على ثيمة الذاكرة في علاقتها بالعدالة الانتقالية.

لم يكن الحسين يدفع ثمن بطاقة سفره للحضور إلينا من ماله الخاص فقط، بل كان في العادة ما يكون محملاً بهدايا لبعض ساكنة المدينة ولجل ضيوف المهرجان ممن تعرّف إليهم

في الـدورات السـابقة، لـذا كان يشـكو دائمـاً مـن الـوزن الزائـد الذي كلفه كـثيراً، ويقـول: الكتب، عزيـزي، تـزن كثيراً.

اشـتغل الحـسين معنـا طـويلاً في مركـز الذاكـرة المشتركة من أجـل الديمقراطية والسـلم رئيسـاً للجنـة العلميـة، وداخـل هـذه اللجنـة بلورنـا معـاً، ولا سـيما مـع الوزير عبـد الـسلام الصديقي، الأب الروحـي لتجربـة مركـز الذاكـرة المشتركة، والطبيـب الدكتور محمد النشـناش، الأب الروحي للحركـة الحقوقيـة المغربيـة، فكـرة إبـداع جائـزة حقوقيـة – سياسـية نكـرم مـن خلالهـا النسـاء والرجـال الذيـن سـاهموا في ترسـيخ قيم العيش المـشترك الإنسـاني بين الأفراد والـدول والثقافات؛ والمدافـعين عـن حقـوق الإنسـان وكرامـة الـبشر والقضايـا العادلـة للأمـم والشـعوب، ومبدعـي الممارسـات الفـضلى في مجـال بنـاء دول الحق والمؤسسـات.

وعندمـا كلفنـي الإخـوة صياغـة مقدمـة للورقـة التـي نشرح فيهـا إقدامنـا على هـذه الخطوة، كنـت، على الرغـم مـن أننـي رئيـس للمؤسسـة، كتلميذ نجيـب، لكنـه لا يثق بمؤهلاتـه، وعكفت على كتابـة مقدمـة الورقـة لليلـتين مسـتمرتين، حتـى أنتجت هـذا النص

«اقتناعـاً مـن مركـز الذاكـرة المشتركـة مـن أجـل الديمقراطيـة والسـلم بأهمية الاشـتغال على إشـاعة قيم الديمقراطية والسـلم وثقافتهما؛ وتأكيداً منه على ضرورة نشر ثقافة حقوق الإنسـان والثقافـة الديمقراطيـة وثقافـة الاعتراف لترسـيخ القيـم الإنسـانية الإيجابية في أبعادهـا الكونية؛ ودفاعـاً منـه عن أهمية التعايش بين الشـعوب والثقافـات والأفراد، وتجـاوز الاختلافات الدينية واللغويـة والهوياتيـة، وتسـوية الاختلافـات بواسـطة الحـوار والتواصـل والتفاعـل؛ وتقديـراً منه للـدور الإيجـابي الـذي يلعبه المدافعـون عن الديمقراطيـة وحقوق الإنسـان، والعاملون على نشر ثقافتهـا (أفـراداً، وجمعيـات، ومؤسسـات)؛ واعترافـاً منـه بـالأدوار الإيجابيـة التـي تسـاهم بهـا شـخصيات اعتباريـة، ومؤسسـات رسـمية ومدنيـة في ترسـيخ قيـم العيـش المـشترك بين الأفـراد والـدول والثقافـات؛ وتكريمـاً منـه للمدافـعين عـن القضايـا العادلـة للأمم والشـعوب، ولاسـيما المتعلقـة منهـا بوحدتهـا الترابيـة، وبالإنهـاء مـع الإرث الاسـتعماري بالاعـتماد على القانـون الـدولي والقانـون الـدولي الإنسـاني، والممارسـات الفضلى في مجال بنـاء دولة الحق والمؤسسـات، وبالاعـتماد على الأدوار التـي يلعبهـا المغـرب مـن أجـل إعلاء القيـم الإنسـانية النبيلـة باعتبـاره أرض الوحـدة، والمصالحـة، والإنصـاف، والحـوار، والمسـاواة بين بنـي الـبشر..»

وعندما بعثته إلى الحسين قبل أي عضو آخر في المركز أو لجنته العلمية، أجابني: لهذا النص فقط لن يرفض أيٌّ كان جائزتنا.

وهكذا كان، وكان لنا الشرف في منح هذه الجائزة حضورياً لقادة من كل بقاع العالم، من رئيس الحكومة الإسبانية خوسي لويس رودريغيس ساباتيرو، إلى الرئيس الكولومبي الأسبق خوان مانويل سانتوس الحائز على جائزة نوبل، إلى الزعيم النقابي التونسي الحسين العباسي الحائز كذلك على جائزة نوبل، إلى الوزيرة الفرنسية ذات الأصول المغربية السيدة نجاة بلقاسم، إلى وزير خارجية البيرو الأسبق ميغيل أنخيل مكاي، وإلى مؤسسة الثقافات الثلاث المغربية الإسبانية لاشتغالها على التقارب الثقافي بين المؤمنين من الشرائع السماوية الثلاث.

لكن المشكلة لدينا اليوم هي كيف يمكن لنا أن نقنع الحسين، الزاهد، بقبول جائزتنا، التي يستحقها بجدارة، وهو الذي أشرف على ولادتها؟

للحسين كذلك بصمة واضحة فيما أنجزناه في مركز الذاكرة المشتركة من أجل الديمقراطية والسلم من طروحات في مجال بناء العيش الإنساني المشترك، إذ لم يغب الرجل عن أي لقاء سنوي من اللقاءات التي كنا، ومازلنا نعقدها بمناسبة حلول السنة الأمازيغية على أمازيغيي المغرب والعالم وعلى كل الإنسانية كل سنة في الثاني عشر من يناير، وهي اللقاءات الثقافية – الحقوقية - السياسية المعروفة بمنتدى مكناس، إذ عمل منذ اللقاءات الأولى على دفعي لدعوة وجوه متنورة من منطقتنا، وهي وجوه، وعقول مسكونة ببناء العيش المشترك الإنساني على قواعد الاعتراف المتبادل، وعلى قواعد حقوق الإنسان كما هي متعارف عليها بين حقوقيي العالم، وعند تقدمنا في منتدى مكناس لاحظت أن أصدقاء المنتدى هم من الأعمدة الفكرية والسياسية لمنطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، وهم من العرب والأمازيغ والأتراك والأكراد والأقباط.. ينتمون إلى مختلف الموجات البشرية القاطنة اليوم في المنطقة، وباستطاعتهم المشاركة في بناء حلم جميع أبناء المنطقة، أي بناء وطن سياسي كبير يحضنهم جميعاً تحت سماء الكرامة والاعتراف الثقافي واللغوي المتبادل، دون إعلاء جنس منهم على آخر، أو طمس هوية لحساب أخرى

ويحق لنا اليوم في مركز الذاكرة المشتركة من أجل الديمقراطية والسلم أن نفتخر بالاشتغال جنباً إلى جنب مع الحسين، ومع كافة أصدقاء الحسين الذين يحملون قضايا الإنسانية بنفَس

حقوقـي تقدمـي. كما يحـق لنـا أن نفتخـر بأننـا جميعـاً سـاهمنا في الوثيقـة المرجعيـة المعروفـة اليـوم بــ»إعلان مكنـاس» التي توجت عن ندوة «حوار الثقافات وسـؤال الهويـة»، التي انعقدت بمناسـبة احتفـال المغاربـة وكل أمازيغيي العالم بحلول السـنة الأمازيغيـة الجديدة 2968

وقـد تـم تصديـر الإعلان، الـذي أشرف الحـسين على صياغتـه باعتبـاره رئيسـاً للجنـة العلميـة للمركـز رفقـة نخبـة مـن المفكريـن والأكاديميـين، مـن المنطقـة، بالتأكيـد على أنّ حـوار الثقافات حاجـة مجتمعيـة ومطلب حقوقـي، وضرورة حضاريـة للمجتمع الواحد، والمجتمعـات المتقاطعة ثقافيـاً، وتلـك المختلفـة ثقافياً.

وأوصى الإعلان باسـتحضار التجارب البشرية التي تعتبر الحوار نقيضاً للصدام ومانعاً للتعصب، وداعماً للإقـرار بالحق في الاخـتلاف، ورافضاً للهويات المنغلقة، بهدف تحقيق التعايش

وقـد ركـز الإعلان آنـذاك بنفَـس مسـتقبلي على الإصلاح الدينـي في منطقتنـا، وعلى إعادة كتابة تاريخهـا، إذ تـم التأكيـد في المجـال الأول على أن ثمّـة حاجـة ماسـة إلى إنجـاز إصلاح في المجـال الدينـي، تسـاهم فيـه النخـب المتنـورة بجـرأة وشـجاعة، وفـق منظـور يخـوض في الإشـكاليات الـكبرى التـي يمكنهـا المسـاهمة في الدفع بالتصـورات إلى حدها العقلاني المتنـور. وفي مجال إعادة كتابـة التاريـخ تـم التأكيـد على أهمّيـة إعادة النظـر في التاريخ بروح علمية منصفـة لا تخدم فئة أو جهـة أو طائفـة أو عرْقـاً، والتأسـيس لهويـة جامعـة ومنفتحـة، كما أكـد اعتبار التعـدد الثقافي مصـدر غنـى ينبغـي اسـتثماره إيجابيـاً مـع جعـل قيـم المواطنـة معيـاراً للحكـم بين الثقافات في ظـل رؤيـة ديمقراطيـة عادلـة وتوافقية

إلا أن هـذا الاشـتغال حـول اختلافاتنـا في منطقتنـا بشمال أفريقيا والشرق الأوسـط لم ترق كثيراً مـن رفاقـي القدامـى من «التقدميين القوميـين»، وبخاصة الذين لم يسـتوعبوا التطورات السريعة التـي عرفهـا العـالم بعـد انهيـار كـثير مـن الأيديولوجيـات، ولم يسـتوعبوا تشـبثنا بخصوصياتنـا الثقافيـة والحضارية، والاشـتغال على ذاكرتنا، والتفكير في إعـادة كتابة تاريخنا بعيداً عن المؤثرات العرقيـة والدينيـة والعقديـة، ولانحيازنـا إلى حقـوق الإنسـان كما هـو متعـارف عليهـا دوليـاً على حسـاب الأيديولوجيـا، وتخلينـا عن وهـم الثورة لفائدة الإنصـاف والمصالحـة والإصلاح، فاجتهدوا بالبحـث في اشـتغالنا على تناقضـات، لعلهـم يجـدون فيهـا ما يترافعـون به من أجـل إخراجنا من «زمـرة» المشـيعين للقضايـا العادلـة في منطقتنـا، ولا سـيما القضيـة الفلسـطينية، وقضيـة الوحدة

على أساس عرقي، أو ديني. إلا أن الحسين الذي عرف كيف يبقي على المسافات القديمة مع كل من اشتغل معه في تاريخه النضالي على الرغم من تبدل شروط النضال وتغيرها الذي كاد يكون تغيراً جذرياً، لم ير فيما نشتغل عليه، ولا في طريقة اشتغالنا أي تناقض مع مبادئنا وقيمنا المشتركة، ولا أي تنكر للقضايا العادلة التي اشتغلنا عليها سابقاً، وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي تظل بالنسبة لي شخصياً، ولنا في مركز الذاكرة المشتركة من أجل الديمقراطية والسلم، قضية محورية وعادلة، لكنها تحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى، إلى كثير من العقل والذكاء والشجاعة لحلها حلاً عادلاً ودائماً.

وقد كشف لي الحسين عن موقفه مما يقال عنا هنا وهناك حول تبدلنا، وتغيير مواقفنا غداة قراءته لروايتي ما قبل الأخيرة رواية «الشجرة الهلامية» التي طرحت فيها القضايا التي أشتغل عليها بنفَس روائي، عبر حديث مطول مع شجرة نبتت مصادفة بشارع جون جوريس بالعاصمة الفرنسية باريس، إذ قال: «**عالَم عبد السلام بوطيب لا ينفتح بسهولة على الرغم من بساطته، ولكنه يبقى غامضاً ومبهماً وهو بحاجة إلى جهود استثنائية وإلى محفّزات، فأقفاله مصنوعة بدقة لأن خزانته تحتوي على أسرار وخفايا وخبايا ومشاريع وتكوينات بصرية وسمعية وطموحات سياسية ومساومات وتحالفات مختلفة، وقد تبدو متناقضة، فهذا هو عبد السلام، وعلينا أن نأخذه كما هو بتناقضاته وتضاداته واجتهاداته**

وكما يقول الجواهري شاعر العرب الأكبر:

ولم أر في الضدائد من نقيضٍ إلى ضدٍّ نقيضٍ من ضريبِ».

هكذا استمر الحسين شعبان في «تحملي»، مدافعاً عني، وعن «تناقضاتي»، لأنه يعرف بذكائه الخارق، وحسه الإنساني المرهف والرفيع أننا شربنا من ماء نهر واحد؛ ماء نهر الدفاع عن كرامة الإنسان بهدوء، وذكاء، وعلم، ومعرفة، وبأقل الألم، وأقل الأحزان، وأقل الحروب، وأقل الضحايا

لذا لو كان الحسين شاعراً لسبق بابلو نيرودا إلى كتابة قصيدته الخالدة:

يموت ببطء..
من لا يسافر..

من لا يقرأ..
من لا يسمع الموسيقى..
من لا يعرف كيف يجد شيئاً..
بفضل عينيه..
يموت ببطء..
من يحطم كبرياءه..
وأتخيل أنه لن يغير منها إلا الأسطر الخمسة الأخيرة، قائلاً:
ناضل الآن،
ارفع صوتك عالياً،
انظر إلى العلا،
بادر بقلبك وعقلك،
لا تترك أحلامك تمت ببطء!
لا تحرم نفسك من الدفاع عن كرامة الناس.
وأنا على يقين أنه سيضيف إليها هذين السطرين قائلاً:
بالحب،
وبالهدوء، وبالهدوء، وبالهدوء.

انتهى..

شعبان والماركسية النقدية العربية

د. عبد الله ولد أباه[1]

1- فيلسوف وباحث وكاتب وأكاديمي موريتاني.

كتب المفكر المغربي الراحل محمد عابد الجابري في كتابه «الخطاب العربي المعاصر» أن الماركسيين العرب يستخدمون الماركسية ليس بصفتها منهجاً للتطبيق، بل عقيدة مطبقة.

لعل هذه الهفوة النظرية الخطيرة هي أحد الأسباب الرئيسية لفشل الأحزاب والحركات الشيوعية العربية، وإخفاق مقاربات تطبيق المقاييس الماركسية على النصوص والممارسات الاجتماعية في عالمنا العربي، رغم مرونة وخصوبة هذه المقاييس.

ولا شك أن كتابات المفكر العراقي البارز عبد الحسين شعبان تشكل استثناءً كبيراً بالنسبة لهذه الاتجاهات السائدة في الحقل السياسي والثقافي العربي. فالرجل الذي خبر عن قرب التنظيمات اليسارية والأوساط الشيوعية والماركسية، انتبه مبكراً إلى خطورة انتزاع الأفكار والمفاهيم من سياقها ومرجعيتها الأصلية، وأكد خصوصيات الثقافة العربية من حيث مقومات النظر وطرق الاجتماع ونظام القيم والممارسات. ولقد أهّلته لهذه الميزات ثقافته القوية المتنوعة واطلاعه الواسع في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والسياسية، وخبرته الميدانية التي لا تضاهى على صعيد النضال الوطني والحقوقي

لقد بدأ شعبان مبكراً نقده للماركسية، مميزاً بين عدة أنواع من الماركسيين العرب هم: «الماركسيون الطقوسيون» الذين لا يرون في الماركسية سوى طقوس وشعائر ومناسبات احتفالية، و»الماركسيون المدرسيون» الذين لا يعرفون من الماركسية سوى نسختها الأيديولوجية السائدة، و»الماركسيون المسلكيون» الذين هم جزء من الماكينة الإدارية والتنظيمية للمؤسسات الحزبية الشيوعية، و»الماركسيون العولميون» الذين انتقلوا بعد سقوط الاتحاد السوفييتي إلى أمريكا وأصبحوا من مروجي مشروعها في المنطقة. أما الفئة القليلة من الماركسيين العرب التي اختارت نهج «النقد والاجتهاد» فليس لها موقع حقيقي وفاعل في الساحة الثقافية والفكرية العربية[1]

الماركسية التي يدافع عنها شعبان هي «فكرة مدنية حداثية تعنى بدراسة الظواهر وتحليل الأوضاع ونقدها». في هذا المنحى يذهب شعبان إلى رؤية قريبة من نظرية عبدالله العروي في «الماركسية الموضوعية» التي تختزن كل الموروث التنويري والحداثي بما فيها الأفق

1- راجع كتاب: «تحطيم المرايا من الماركسية والاختلاف»، نشر الدار العربية للعلوم.

الليبرالي الديمقراطي

لا بد من الإشارة هنا إلى أن عبد الحسين شعبان كان سبّاقاً إلى اكتشاف الوجوه الفلسفية والفكرية التي جددت دماء الماركسية، مثل المفكر الإيطالي غرامشي والفيلسوف الفرنسي لويس التوسير، كما كان سبّاقاً إلى إغناء الفكر الماركسي التقليدي بالأطروحات الفلسفية الجديدة من مناهج أبستمولوجية وتأويلية وتاريخ أفكار ومفاهيم.

الحصيلة الإيجابية لهذه المراجعات العميقة تكمن في مقارباته الجديدة لمسائل جوهرية في وضعنا العربي الراهن مثل الموقف من الدولة والمطلب الديمقراطي والالتزام المدني والحقوقي والمسألة القومية والنضال التحرري.

على عكس النظرية الماركسية التقليدية التي راهنت على اختفاء الدولة بصفتها أداة من أدوات الاستغلال والهيمنة الطبقية، يرى شعبان أن هذه النظرية تتسم بالطوبائية المثالية الحالمة «إذ إن تاريخ البشرية سار باتجاه تعزيز وتقوية الدولة، سواء كانت دولة حماية أو دولة رعاية أم دولة رفاه»

يعي شعبان أن التجربة اللينينية بتطبيقاتها العديدة في العالم أدت إلى تكريس حالة الاستبداد الحزبي الأحادي والتسلط القمعي، بما يعني أن الدولة بدلاً من أن تختفي أو تتقلص قد تغولت وتضخمت، والمطلوب ليس القضاء على الدولة من أجل حل الصراع الطبقي، بل بناء دولة المواطنة الحرة والعادلة التي هي الأفق الجديد للحدس الماركسي.

إن الخطأ الذي وقع فيه الماركسيون العرب هو التبني الميكانيكي لأطروحة ماركس حول الدولة التي كانت مقيدة بالتجربة التاريخية الأوروبية وما اتسمت به من ضغط المسألة الطبقية. لقد أهمل هؤلاء المسألة الوطنية والقومية كما تشكلت في مقاومة السياسات الاستعمارية باعتبارها ضرورة قصوى لا تقل من حيث الأهمية عن المسألة الاجتماعية.

وبالإضافة إلى هاتين المسألتين، يتعين الاهتمام بالمسألة الديمقراطية والإنسانية، من منطلق تكامل حرية الوطن والأمة مع حرية الإنسان ونيله حقوقه الجوهرية كاملة[1]

لبناء هذه المنظومة النظرية بأضلاعها الثلاثة (الدوائر الوطنية القومية، والاجتماعية،

1- راجع كتابه: «الصوت والصدى»، الدار العربية للعلوم.

والديمقراطية الإنسانية)، يوظف عبد الحسين شعبان مدونة منهجية واسعة تستند إلى أحدث وأدق النظريات الاجتماعية والفلسفية.

في هذا السياق، يقف شعبان عند فكرة «المواطنة» التي هي المقولة الناظمة للفكر السياسي الحديث، رافضاً اختزالها في اعتبارات الهوية والجنسية والانتماء الديني والعرقي والتاريخي.

المواطنة كما يعرفها هي «مجموع القيم الإنسانية والمعايير الحقوقية والقانونية المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، التي تمكن الفرد من الانخراط في مجتمع والتفاعل معه إيجاباً والمشاركة في إدارة شؤونه»

يطلق شعبان على المواطنة بهذا المعنى «المواطنة العضوية»، التي تختلف عن الرابطة القانونية والسياسية، وتتجاوز حيز الولاء للدولة لتشمل حقوق الإنسان المدنية والسياسية، وفق معايير المساواة والعدالة والمشاركة في صنع القرار، بما يفرض قيام مجتمع مدني حي ونشط في مقابل الهياكل العصبية والطائفية المعيقة للمواطنة[1]

بالمنطق ذاته، يعيد شعبان تحديد فكرة «العروبة»، بمنأى عن التجاذب الأيديولوجي في الساحة العربية حول هذا المفهوم المركزي في الفكر العربي.

لا بد من التمييز هنا بين «الفكرة القومية كأيديولوجيا» و»الفكرة القومية كرابطة إنسانية - اجتماعية وجدانية». ما يهم شعبان هو الفكرة الثانية التي يتبناها التيار العروبي التقدمي من منطلقي الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية.

العروبة هنا تختزن معاني الوحدة والحداثة في أبعادها العقلانية والمدنية والديمقراطية التي هي ضمان المواطنة المتساوية دون تمييز إثني أو طائفي أو ديني.

ولذا فإن شعبان يعيد تصور مفهوم الهوية، باعتبار أن «الهوية العربية مثل غيرها ليست ثابتة، إنها متحولة مثل جميع الهويات، وهي ليست كاملة دون تغيير». وإذا كان الفكر القومي العربي التقليدي يركز على ثوابت اللغة والدين، فإن شعبان يرى من منظور فلسفي ثاقب أن هذه الثوابت تخضع للمسارات التأويلية التفسيرية، كما أن العناصر الاجتماعية

1- راجع «الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة»، مركز دراسات الوحدة العربية.

في الهويـة مـن تقاليـد وفنـون تتحـول بحسـب المعطيـات التاريخيـة المتـغيرة. وهكـذا يتـعين الخـروج مـن التصـور الأحـادي المغلـق الهويـة، ودفـع اسـتحقاقات التنـوع الثقافي الـذي لا يخلو منـه مجتمـع مـن المجتمعـات، وعدم اسـتخدام الانـتماءات الرئيسـية مسـوغاً لاسـتغلال وإقصاء الهويـات الفرعية.

في أعمالـه المهمـة حـول العـراق ومنهـا كتابـه «جـدل الهويـات في العـراق: الدولـة والمواطنة» يطبـق عبـد الحـسين شـعبان هـذه الرؤيـة على الحالـة العراقيـة، مدافعـاً عـن الهويـة المتنوعـة والديمقراطيـة للكيـان السـياسي العراقـي من حيث انتماءاتـه الوطنية والقوميـة ووحدة مجتمعه العضوية.

نقطـة الانـطلاق هنـا هـي الوضـع العراقـي بعـد الاجتيـاح الأمـريكي ومـا تلاه مـن مصاعـب الانتقـال السـياسي، والهـدف هـو تجـاوز التصدعـات الإثنيـة الطائفيـة والدينيـة التـي عصفـت بوحـدة وتماسـك الكيـان العراقـي الـذي تأسـس في شـكل دولـة حديثـة عـام 1921.

يدافـع شـعبان بقـوة عن عراق موحـد تكون «هويّته العامة الكبرى» مسـتوعبة لـكل الهويّات الفرعيـة، ضمـن أطر حقوقيـة فاعلة تضمن التنوع الثقافي وترفض كل أشـكال المركزية التسـلطية الاستعلائية.

يقـول شـعبان موضحـاً هذه الفكـرة: «إن الحق في الهويّة الثقافية للشـعوب يعطي للأشـخاص والجماعـات الحـق بالتمتـع بثقافاتهـم الخاصـة وبالثقافـات الأخـرى المحليـة والعالميـة، ذلـك أن إقـرار الحـق في الثقافـة يعنـي: حـق كل ثقافة لـكل أمة أو شـعب أو جماعة في الوجـود والتطور والتقـدم في إطـار ديناميتهـا وخصائصهـا الداخليـة واسـتقلالها، ودون إهمال العوامـل المشتركـة ذات البعـد الإنسـاني وقيـم التعايـش والتفاعـل بين الأمـم والشـعوب والجماعات»

لم تكـن هـذه مجـرد أفـكار نظريـة محضـة، بـل قـد التـزم بها عبـد الحسين شـعبان في مسـاره السـياسي والحقوقي، في إطار العمل السـياسي في السـاحة العراقية كشـخصية إجماع وطني قريب مـن كل الفئـات دون تعصـب قومـي أو طائفـي، أو كمفكر قومـي يؤمن بالعروبـة المنفتحة على الآخـر دون انـغلاق أو جمود

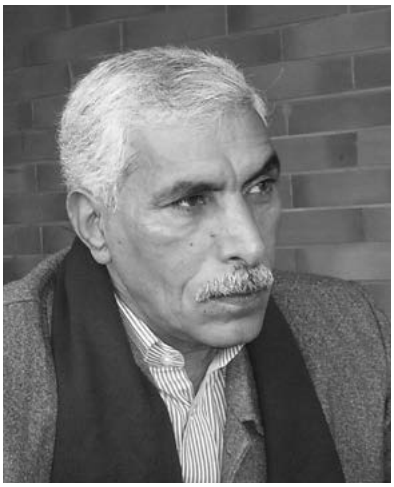

من عكد السلام.. إلى فضاء الكونيّة الانزياح الإنسانوي

د. عبد علي كاظم المعموري[1]

1- البروفيسور الدكتور عبد علي كاظم المعموري أستاذ الاقتصاد السياسي - كلية العلوم السياسية - جامعة النهرين - العراق

لابـدَّ من الشـكر للدكتورة سـعاد الصبـاح على هذا الصنيع الجميل والمبـادأة المتفردة في فكرتها وفعلهـا، والمتمثّلـة ببرنامـج الاحتفـاء بالمبـدعين والمثقـفين العرب، لكونه بـات تقليداً سـنوياً يكرَّم فيـه رموزنـا وقاماتنـا الفكريـة والثقافيـة مـن كل أرجاء أرضنـا العربيـة، والثناء في اختيـار عنوانه (**يـوم الوفـاء**)، فهـو يـوم يعـدّ رداً على زمـن مغمّـس بالانكسـارات والآهـات، التـي جبلـت عليها أجيـال مـن أمتنـا، بجغرافيتهـا الممتدة من الماء إلى الماء، وإشـاحة للعتمة التـي أريد لها أن تطول.

في البـدء أعترف كما أظـن وأزعـم وربمـا مثلي الكـثير، أن المتابعة والإلمام بسِـفْر الإنجاز الفكري والثقـافي والحقوقـي لشـخصية المفكـر الكـبير (شـعبان)، تُعـدّ صعبـة على الأقـل، ولا أقـول إنهـا غير ممكنـة، لكونهـا تتّسـم بغزارتهـا وتدفـق عطائهـا في شـتى المناحـي، وسـأحاول قـدر الإمكان، وبحـدود المقـام، أن أُقـارب شـعبان في حـاضره، وفي جـزء شـحيح مـن تاريخـه، لأننـي لا أسـتطيع معرفـة كل ذلـك التاريـخ المملـوء بالأسرار والأسـفار، وما احتضنتـه تجربته الشـخصية والإبداعية، الممتّـدة على مـدى أكثر مـن نصـف قـرن، ففيها محطـات كمحطات قطـار مظفر النـواب (**الريل وحمـد**)، وجميعهـا عُـدَّت مثابـات لحركتـه في التحديـث والتجديـد، بذارهـا كان أغبـش في رفض التكلّـس والجمـود، واسـتلاب حرّية التفكير تحت سـطوة الحفـاظ على العقيـدة والفكر المقدس.

هـذه الشـخصية قـد أتحفـت المكتبة العربيـة بأكثر من 80 مؤلفـاً متوزّعة على مروحة واسـعة مـن الثقافـة والمعرفـة والأدب والتاريـخ وسيره والفلسـفة والسياسـة والقانون والحقـوق، بجانب الكـثير مـن المحـاضرات والمقـالات الصحفيـة والمقدّمات للعديد مـن الكتب، فضلاً عـن الحوارات الفكريـة والنـدوات والمؤتمـرات، مـع خفايـا وقضايـا تمـسّ مـسيرة طويلـة مـن النضـال والهجـرة والانتقـال، ففيهـا معتقلات وسـجون، وهنيئات سـحر وعيون، وعشـق مسـتور.

وعندمـا تريـد أن تكتـب عـن شـخصية ثقافيـة ومعرفيـة بـوزن عبـد الحـسين شـعبان، تصبـح جـلّ الصعوبـة في مقدّماتهـا، فمـن أيـن تبـدأ لرحلـة طويلـة وممتـدة، متنوّعـة وثريّـة، مجادلـة ومجـدّدة، في واقعيتهـا ومثاليتهـا، فالمنجـز الـذي قدّمـه على مـدى أكثر مـن نصـف قـرن، مُتوزّع بطريقـة لا يفهمهـا إلا شـخصه فقـط، ففـي كتاباتـه نجـد قلمـه يدلف حينـاً نحو القانـون ببراعة التقاطـه لحـالات محـددّة، فـيما يذهـب حيناً نحو الأدب والشـعر، وسياسـياً في معالجة الكثير من الظاهـرات التـي شـغلت أو تشـغل فضاءاتنا، وفي التاريخ والسير لشـخوص كان لهـم دور ومكانة

في أحـداث كبرى، سـواء في العـراق بشـكل خـاص أو في عالمنـا العـربي بشـكل عـام. ومـا بينـهما كتابـات ومراجعـات فكريـة للفلسـفات والأيديولوجيـات والأديـان والمذاهـب والقوميات.

هـذه الـسيرة انمـازت بالدينامية التي لا تـكلّ عن الانـغماس في النص لحد التجريـد والتفكيك، لمعرفـة أسراره وخفايـاه ومقاصـده وتأويلـه، وتهتم باسـتنطاق الهوامش المتناثـرة، كما يفعل رائد التفكيكيـة (**جـاك دريـدا**)، فنجـده يتمـرّد أحياناً بإزاء قدسـية النص، وعلى بعضهـم في فهمه على عواهنـه، وجعلـه جامـداً وربّمـا أجوف، بـإزاء حركـة التاريخ وتفاعلاتـه، وأنماط التطوّر ومسـاربه، مـع أنـه يعـدّ مـن ذوي الاعتـدال كصفـة غالبـة في أطروحاتـه، التـي يريد منهـا أن تكـون مقتربة مـن العقلانيـة المشروطـة، فكان جـلّ حواراتنا الفكرية معـه، تأتي حيناً مفهرسـة وأخرى تصادفية، وفي خواتيمهـا تفـرز حـالات امـتلاء نتيجة شـمولية التشريـح، ودقـة التوصيف، وفيـض المعلومة، وهـي دلالـة تـعبر عـن كثافـة حضـوره في مـعترك فهـم الظاهـرة وحدودهـا، وموقعيـة تمظهرهـا وانزوائهـا، أو ديمومتها واسـتقرارها.

هـذه الانتقـالات الفكريـة والثقافيـة أكسـبته سـمة الموسـوعية بلا ضفـاف، مع توسّـم كتاباته بجزالـة اللفظـة، وبسـاطة الفكرة، وسـهولة التلقـي، حتى باتت موائـده الفكرية التـي يتحفُ بها أصدقـاءه ومحبّيـه ومتابعيـه، شـهية ونقيـة، طريـة وثريـة، ففـي مصاحبتي لـه ردحاً مـن الزمن، وجدتـه يدقّـق هـذا الموقـف، ويعيد النظـر في ذاك مع الأخـذ في نظر الاعتبـار بمجريات الأحداث مـن أربابهـا، أو ممـن عاصروها أو عايشـوها، لهاثـاً وراء دقـة المعلومة وموضوعيتهـا، فتراه يحط رحالـه أيـنما كانـت هنـاك حاجة لتوثيـق حادثـة، أو رأي قيـل أو موقف حدث.

وينبجـس مـن هـذا الحـنين الـذي يخبـو حينـاً ويتفجـر حينـاً آخـر، انشـداد خـاص لذكريـات لهـا خصوصياتهـا في صفائهـا ونقاوتهـا، وعقلانيتهـا وثوريتهـا، ليشـدّ رحالـه نحوهـا، بتلهـف جامـح، ليسـاكنها حينـاً مسترجعـاً جـزءاً مـن ذلك الزمـن الجميل، في أزقتها وشـوارعها، وسـاحاتها وملتقياتهـا.. إنهـا النجـف وبراغ ودمشـق ولندن وبيروت محطة تسـاكنه وهـدوءه، هذه الأماكن لهـا سـحرها عنـده وتشـدّه بهـا عظيم ذكريـات، والبعـد أو الغياب عنهـا يرفعان منسـوب الوجد عنـده، لمديـات تضعـه عنـد مسـتوى اللهفـة والشـوق، فلـكل منهـا فرادتهـا في وجدانه.

ولما كنـت قـد اخترت في عنـوان مسـاهمتي (**عكد السلام**)[1] في النجف، من هنا سـتبدأ الحكاية،

1- كلمة عكد في اللهجة النجفية الدارجة تعني زقاق.

في النجـف (**الصحـن الحيـدري والسـوق الكـبير**) رئتـان تتنفـس منـهما المدينة، تحتضنـهما الأزقة الضيّقـة والبيـوت المتراصـة والملتصقـة ببعضهـا، والعكد هـو زقاق صـغير بيوتاته متقابلة بشـدة، لا يـكاد يسـمح إلا لشـخصين مـروراً متعاكسـاً، وهـي قريبـة جـداً مـن مرقـد علي بـن أبي طالـب **رضي اللـه عنـه**، حيـث ولـد شـعبان في 21 مارس / آذار عـام 1945، وفي هذه البيئـة التي تحتضن المرقـد الشريـف بخصوصياتهـا وطقوسـها، كانـت النشـأة والخطـوة والمعانـدة، إذْ غالبـاً مـا يتجه أبنـاء البيوتـات التـي ترتبـط أنشـطتها وثقافتها بالمرقد الشريـف، نحو المدارس التـي تعنى بالفقه والشريعـة والـسِّيَر والأصـول واللغـة والنحـو والصرف، ولاسـيّما أن عائلة شـعبان كانت مخصوصة بتـولي الخدمـة فيـه (**سر خدمـة**)، وهـم المرشـدون منـذ زمـن الحكـم العـثماني للعـراق، إلا أنـه ذهـب نحـو الضفـة الأخـرى مندفعـاً إلى اليسـار والماركسـية، واختار لنفسـه اسماً حركيـاً (**سلام**)، وهو ليـس محـض مصادفة.

ومن المناسـب الإشـارة إلى أن البيئة النجفية ظلت تنقسـم إلى بيئتين؛ بيئة فوق الأرض وأخرى تحتهـا، وهـي مدينـة ثانيـة غير مرئية لمن هو خارجهـا، هاتان البيئتان تنفـصلان أحياناً وتندمجان حينـاً آخـر، بحسـب الحـالات والمواقـف والموضوعـات، فما هو على السـطح مما تموج بـه المدينة بحكـم القداسـة وخصوصيـة المـكان لا يفسر المشـهد الثقافي والفكـري برمّته، من طغيـان الثقافة الدينيـة والـدروس الفقهيـة والـدارسين، والاجتهـاد والمجتهديـن، وهـذا وحـده لا يعطـي عنوانـاً منفـرداً لطبيعـة الحراك والنشـاط الثقـافي والعلمي والمعـرفي، برغم ترميزاتـه البائنة.

وشـعبان شـأنه شـأن الكـثير مـن رمـوز هـذه المدينـة، هـم الأكثر إدراكاً بخبايـا الأمـور في مـا يطلـق عليـه (المؤسسـات الدينيـة) ورجالاتهـا وفضاءاتهـا، فهـو ابـن بار لهـذه المدينة، بمـا تحمله مـن حـوارات وثقافـات ومختلفـات وحتـى صراعات، سـواء أكانـت في (**البرّانيات**) فـوق الأرض أم في (**السراديـب**) تحـت الأرض، في العـائلات الدينيـة أم العلمانيـة، في الحـارات والأزقّـة والشـوارع أم في القاعـات والمنتديـات الثقافيـة، وهـذا الفعـل الثقـافي والفكـري لا يتلـوّن بلـون واحـد، بـل حامـل لـكل الألـوان، تبعـاً لـرؤى وتوجهـات المتحاوريـن، ومشـتملاً على مختلـف المسـارات بين الأيديولوجيـا والفلسـفة والأدب والسياسـة والديـن، ومعـه مختلف التوجهات القوميـة والأممية، واليسـارية والليبراليـة، والتقليديـة والحداثويـة، ومـا بينـهما، وعلى وقع ذلك سـطع نجـم العديد مـن الأفـذاذ مـن مثـل محمـد مهـدي الجواهـري والشـيخ محمـد رضـا المظفـر المصلـح والمجدد، ومحمـود الحبـوبي وصالـح الجعفري ومحمد رضا الشـبيبي ومـرتضى فرج الله، والقائـد التاريخي

للحـزب الشـيوعي سلام عـادل وغيرهم.

ومثـلما تظـل المدينـة مفتوحـة على الـدوام للوافديـن والمغادريـن، وأنشـطتها الاقتصاديـة عامـرة، والأمـوال تدخـل مـن شـتى البقـاع وتخـرج، كل بوجهتـه ومبتغـاه، هـذه لـن يدركها من لا يعـرف أسـارير هـذه المدينـة، التـي لا تماثـل باقي المـدن الأخرى، فهـي دينية ومدنيـة وثقافية وسياسـية. وعلى مـر الأزمـان كانـت أعين السـلطان أو الحاكـم والنـاس والمجتمع ترنـو إليها، فهي مطبـخ سـياسي خلفـي غير منظـور، وفي أحيـان أخرى هـي مصنع للقـرار.. هذا التراكـب والتنوع، والمتشـابه والمختلـف، الدينـي والعـلماني، كلـه يمـوج في فضـاء المدينـة، إلى حـد التناقـض أحيانـاً، حتـى إن العديـد من رموز وشـخصيات هـذه المدينة، كانـت متبنياتهم العقائديـة والأيديولوجية مفترقـة تمامـاً عـن صبغـة المدينـة، ومنهـم المحتفى بـه، فهـو العروبي الـذي هتـف في المظاهرات إبـان العـدوان الـثلاثي وهـو صبـي، والماركسي القائـد للحركـة الطلابية الشـيوعية

وكما يقـول شـعبان: لا تُذكَـر الشـيوعية في النجـف، إلا وهـي تـقترن بثلاثـة أعمـدة كـبيرة هم: **حـسين أحمـد الـرضي (سلام عـادل)** الأمين العـام للحـزب الشـيوعي العراقـي، و**حـسين محمـد الشـبيبي (صـارم)** عضـو المكتـب السـياسي، و**صاحـب جليـل الحكيـم (جهـاد)** سـكرتير محليـة النجـف، والمفارقـة أنهـم جميعـاً ينتمـون إلى عوائـل دينية معروفة، ولا سـيّما (**صاحـب الحكيم**) الـذي ينتسـب إلى عائلـة المرجع الديني الأعلى (**محسـن الحكيم**)، ومثلهم الكـثير من أبناء وبنات العوائـل النجفيـة المعروفـة (**آل الجواهـري، آل الشـبيبي، آل خرسـان، آل الرفيعـي، آل شـعبان، آل بحـر العلـوم، آل عجينـة، آل الدجـيلي، آل الحكيـم، آل سميسـم**.. إلـخ)، حتـى إن الشـاعر الحسـيني الماركسي عبـد الحـسين أبـو شـبع، كان يقـود خليـة مـن خطبـاء المجالس الحسـينية.

مـن هنـا نـدرك هذا التنـوع في الفكـر والأيديولوجيا والتوجـه، وهي مخرجات لتفـاعلات كثيرة منهـا مـا تجـري في البيئـة التحتانية وأخرى تطفو على السـطح.

لقـد أكسـبته تجربـة قيـادة الحركـة الطلابيـة الممثلـة للحـزب الشـيوعي، ومقارعتها أسـاليب النظـام في التهميـش والاختزال والاختراق والإلغاء، الظهور على سـطح التفاعلات المحتدمة آنذاك، كذلـك وفـرت لـه فرصـة التواشـج مع الحـركات الطلابيـة العالميـة، ومعه تعـززت المكانـة والدور والقـرب مـن قيـادات الحـزب الشـيوعي، وصـولاً إلى المسـاهمة في بنـاء التوجهـات والمواقـف في محطـات كثيرة.

ومع نهمه في قراءة المواريث الثقافية والفلسفية، فقد درس تراث الماركسية التقليدي منه والمحدث، وجال على أطروحات أغلب مفكريها، وهو ما أهله لنقدها لاحقاً، فالنقد عنده **(موقعة وملمة، وموضعة ومفهمة)** كما يقول عبد الملك مرتاض، ومن هنا بدأ منهج التجديد وخطه المفتوح بلا حدود، والذي أراد أن يسقطه على مفاصل حياة مجتمعاتنا العربية، ليتلامس بقوة معها بغية إخراجها من الماضوية التي تلبست بها.

هذه المشاكسة أو المعاندة أو المقاومة وأحياناً ينعتونها بالتمرّد، قد ساهمت بتقوية عضده، وشدته أكثر للمواجهة، متخذاً من مقولة (ألبير كامو): **إن الإنسان يصبح بتمرّده أقوى من المصير**، وهي أيضاً تمثّل لحظة **(وعي ومقاومة)** بحسب (مظفر النواب). حتى باتت تتساكن معه، ومعها بدأ التحرش بالأبواب الموصدة حتى فيما يظنه بعضهم بالمقدس في التدين والأيديولوجيا، وبروحه التواقة نحو فضاء إنسانوي منفتح، رسّخ تمسكه بمشروعه الفكري التجديدي، ليكرس اهتمامه بالتغيير والتجديد والحركة والخير، مهمازه رفض التحجر والتكلس والجمود، متفائلاً **(بقوة الإرادة لمواجهة تشاؤم الواقع)** كما يقول (جرامشي).

إن صدمة (بشتاشان) شمال العراق، والتي وثّق شهادته فيها بمطبوع وسمه **(بشتاشان خلف الطواحين.. وثمة ذاكرة، شهادة وليست رواية)**، قد عجلت بنضج المعمارية التي بنى شعبان توجهاته عليها لاحقاً، وأزعم أنها كانت نقطة مفصلية له، لهذا أعاد ترتيب المنطلقات توسم توجهاته ومنها: الغرامشية من حيث ولادة المثقف العضوي، وما يترتب عليها من ممارسة **(براكسيس)** ثورية متحررة فكرياً، والديكارتية في منهج الشك المنتظم لإخضاع الأشياء إلى منطق النقد وليس النفي، والحكمة كما جاء بها الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) ومبتغاها **(معرفة الناس)**، وجعل إظهار الفضيلة التي تعني **(حب الناس)** صنواً لها.

فالمعرفة بحد ذاتها **(قوة وسلطة)** كما يراها فرانسيس بيكون مؤسس المنهج التجريبي، **ومن يتنازل عن سلطته فهو يتنازل عن إبداعه**، وهذا له ترجمانه في التطبيق العملي عند المحتفى به، فمن خلالها يجد مساحة في الحوارات والصداقة والتوادد بحكم المشترك الإنساني. وهذا جزء مهم في سلوك التسامح، وهو القبول الشديد للمخالفة في الرأي، كما يعبر **(فولتير)**، فإذا كان رأي مخالفك غير صائب، فلا تكن أنت على خطأ عندما تتشبث برأيك.

والتسامح يعني القبول بمبدأ المساواة والتكافؤ، بقطع النظر عن الاختلاف القومي والديني

أو اللـون والجنـس والأصـل الاجتماعـي، (**فهـم صنفـان: إمـا أخ لـك في الديـن أو نـظير لـك في الخَلْـق**)، كما يقـول علي بـن أبي طالـب (رضي الله عنه)، لأن (**الإنسـان مقياس كل شيء**) بحسـب الفيلسـوف الإغريقـي بروتوغـوراس، وهـذا كلـه ينهـل مـن (**اللاعنـف**)، الـذي يضفي الـسلام بين الـبشر بـكل تنويعاتهـم، وهـو إدراك وتقدير وتأكيد عـن حاجة البشرية الآن إلى الـسلام، أكثر من أيّ وقـت مضى، كما جـاء عنـد المفكـر الألماني (**كارل بوبـر**)، وهذا جسّـده من نحتفـي به في كتابه الموسـوم (**فقـه التسـامح في الفكـر العـربي - الإسلامي**) والـذي قدّم له **المطران جـورج خضر**، وقد تمـت ترجمتـه إلى اللغتين الإنجليزيـة والكردية.

ولكي يتحقق هذا، لابد من أن تبنى أفكار وقيم وحوارات، توازيها صراعات ونضالات وكفاح لترسيخها، فالكلمة موقف وشرف وقضية وقيمة ورمزية، فالتسامح والسلام والتعايش، لها ديمومة أطول من السيف والبندقية، ومن العنصرية والهيمنية. فالكلمة الطيبة رسالة إبداعية في جماليتها، ومعبرة في ذاتها عن إنسانيتها، لهذا ظل شعبان حالماً في الارتقاء بالحق الإنساني والعدالة والتسامح والسلام، وقبول المختلف والتعايش معه، ومحاورته ومجادلته، إذ يرى فيها المشتركات المفضية للتطلع نحو الأمام، متخذاً من مقولة الفيلسوف الصوفي جلال الدين الرومي متكأ لتوجهه: (**عندما تضيء المصباح الخاص بك، فأنت لست فرداً، بل الآلاف**).

لهـذا حظـي بـاحترام لا حدود له في الاتفاق والاختلاف، فهو يُشـكل على الليبراليين كما يُشـكل على الشـيوعيين والقومـيين، لا يقبـل تسـويد الأشـياء، ولا يقفـز إلى الضفـة الأخـرى، فـكلُّ نتـاج عنـده هـو ابـن مرحلتـهِ التاريخيـة، وكلُّ شيء مرتهن بظروفـهِ ومحركاتهِ، فهو واقعـي ومتوازن في فهمـه لِكُنْـهِ الأشـياء، ويحسـب أن الأمـور جميعاً تخضـع لتطوراتهـا الطبيعية، ويجـد في التجديد نـزولاً إلى الأعماق، وسـباحة ربمـا فـوق التيـارات السـائدة، إنـه يعشـق أن يكـون مميـزاً ومثيراً في جدلياتـه، لأنـه يـرى **أن الجـدل والحـوار هما روح الفلسـفة ومحركاها مـن دون توقف**

وشعبان قارئ غير مقيد، فهو يرى بالقارئ والمقروء وثيقة ومدونة، لا تظهر قيمتها إلا بالقراءة، التي تعطي لهذا النص مضمونه وجسده، ومن دون ذلك مجرد ورق ومداد، والقراءة عنده تعني (**رمرمة وحوم ورصد وغوص**)، فمثلما قرأ لكارل ماركس، ولأبي الشيوعية (فريدريك إنجلز)، وروزا لوكسمبورغ (**صقر الماركسية المحلّق**) وغرامشي (**مفكر السجون**)، وكاوتسكي، وتولستوي ومكسيم غوركي، والنفري وابن عربي ومالك بن نبي، قرأ كذلك لشريعتي والبغدادي ولفضل الله وغيرهم، وأخرج كتابه (**المثقف وفقه الأزمة – ما بعد الشيوعية الأولى**)، وألحقه بكتاب (**تحطيم المرايا:**

في الماركسية والاختلاف)، ومن ثَّم (**الحبر الأسود والحبر الأحمر: من ماركس إلى الماركسية)**، وهذه تعدّ إضمامات متفردة وثرية للمكتبة الماركسية ولليسار العربي، عندما وقف على النقد رجلاً من داخل الحركة، لينفض الغبار عن وهن الشيوعيين في فهم الماركسية وتجديدها، وليتجرأ بقوة ويتصدى بأسلوب علمي رصين لنقد الخطاب الماركسي الذي تبنته الأحزاب الشيوعية وبخاصة العربية، وحولت الماركسية من (**منهج عمل وأداة تحليل**) ذات حيوية ديناميكية، إلى قطع أثرية يتم الاحتفاظ بها. لكي يعيد للماركسية روحها والاعتبار لها، معتمداً مقولة ماركس نفسه: (**كل ما أعرفه أنني لست ماركسياً**).

ومع فلسطين نجمته ظل وفياً لأعظم قضية في تاريخنا المعاصر، وأميناً على مواقفه إزائها، ويعبّر عن ذلك بقوله: (**القضية الفلسطينية أنبل وأعدل قضية في الكون**)، وما أودُّ الإشارة له هنا، هو ما قالته (**د.أوغاريت يونان**) مخاطبة شعبان: «**من هذا الركن (أيّ الدفاع عن القضية الفلسطينية).. أذهب معك إلى فلسطين**»، فيما ذهب الروائي مروان عبد العال عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالقول: (**نتشرفُ ونعتزُّ أنَّه رفيقُ وحبيب فلسطين والجبهةِ الشعبيةِ لتحريرِ فلسطين، منذُ انطلاقتِها بعد نكسةِ حزيرانَ عام 1967، وهو من صفوة حوارييها الخُلّصِ، وأشهد أنه كان بمثابة العقل المدبّر، الذي يستشار في مواقفها وقراراتها ووثائقها**)، هذه الشهادات بحقه جاءت بعد مواقف ترجمتها الوقائع والأفعال، إذ ساهم مع حقوقيين عرب في اعتماد الأمم المتحدة للمساواة بين (**الصهيونية والعنصرية**)، بقرارها ذي الرقم (3379) عام 1975، وكان مؤسساً وأميناً عاماً للجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة وعصبة مكافحة الصهيونية والعنصرية، ونشر كتابه (**عصبة مكافحة الصهيونية ونقض الرواية الإسرائيلية**)، الذي يساوي ما بين)**النازية والصهيونية**(فهما وجهان لعملة واحدة، مستندتين على أيديولوجيا الفكر العنصري الاستعلائي وإبادة الآخر.

وجاء كتاب (**مذكرات صهيوني**) ليكون مصداقاً لهذا التماثل بين)**النازية والصهيونية**(، ويعمل الآن على محاكمة دولية للكيان الصهيوني عن جرائم الإبادة التي ارتكبت بحق المدنيين الفلسطينيين في معركة طوفان الأقصى، وسبق أن أصدر كتاباً بعنوان (**لائحة اتهام: حلم العدالة الدولية في مقاضاة إسرائيل**)، وكأنه يدرك اليوم الذي تقاضى فيه إسرائيل في محكمتي العدل الدولية / الجنائية الدولية، ومن حسن الوصف قول الشيخ حسن شحادة: (**إن شعبان قدّيس حريّة الكلمة، وهو صانع اللّوبيات القانونية والحقوقية من أجل فلسطين**).

أما الشاعرة والإعلامية الدكتورة **نوال الحوار** فتعبّر عن مواقفه إزاء القضية العربية المركزية بالقول: (**كانت فلسطين جذره، ونجمته التي لا صباح من دونها**).

وحكايات شعبان واستذكاره لرموز ثقافية وسياسية واجتماعية وفنية كثيرة تصعب لملمتها، والتي لا تعني بمن هم يشاركونه التوجه أو الموقف بل حتى المختلف معهم، ولم تكن مقتصرة على بلده وبلدته، بل هي شعاع مفتوح على الفضاء الإنساني كله، كما مع الجواهري الكبير، وأبو كاطع (شمران الياسري)، وحسين ارخيص، وناهدة الرماح (الأيقونة التي أعطت للمسرح عيونها)، وفهد (**يوسف سلمان يوسف**)، وسلام عادل، وعامر عبدالله، وآرا خاجادور، وصلاح عمر العلي، وعبد الإله النصراوي، وبدر شاكر السياب، وغائب طعمة فرمان، وهادي العلوي، وسعدي يوسف، وشاكر السماوي، ومحمود البياتي، ومصطفى جمال الدين، ومحمد باقر الصدر، وبحر العلوم، ومن العرب نجاح العطار (السنديانة الثقافية السامقة)، وعبد الرحمن اليوسفي، وأمين الريحاني، وأحمد بن بلا، وهشام جعيط، وشيرين ميرزو، وفاطمة أحمد إبراهيم، والطيب صالح، والملك حسين، والأمير الحسن، وإيناس مرقص، ومحمد حسين الأمين، ومحمد حسين فضل الله، والمخفي قسرياً (**منصور الكيخيا**) ومثله (**العراقيان صفاء الحافظ ودارا توفيق**).. وغيرهم في العديد من الدول العربية، ليقدم بحقهم شهادته تاريخية على مستوى من الصدقية والصراحة والموضوعية كما يقول، ومباني الصراحة عنده هو البحث عن الحقائق.

والشعر والأدب له مكانة في التذوق والتفاعل الوجداني العميق لدى شعبان، فهو يحفظ الكثير من الأبيات سواء منها القريض أم الشعبي، وقدم قراءات في: الجواهري في العيون من أشعاره، الجواهري جدل الشعر والحياة، وجواهر الجواهري، رحلة البنفسج عن مظفر النواب وغيرها، إلا أن خصوصية الجواهري ومظفر النواب بائنة لا تخطئها العين، برغم اهتماماته بشعراء آخرين من مثل بلند الحيدري وسعدي يوسف وحميد سعيد.

والمرأة والحب حالة متراكبة لا تستقيم الحياة من دونهما، ولا يمكن أن نقيم توازننا إلا بهما، فالحياة من دون المرأة (كما يقول شعبان): ليست إلا قفراً موحشاً يابساً بارداً، فهي تضفي الدفء والإنسانية على الإنسان، المرأة نصفي الذي لا توجد حياة بغيرها، ولا يمكنني العيش دونها، ففيها تتأنسن روحي وتكتمل إنسانيتي، وتتعقلن خطوتي.

لهذا يقول: أنا في حالة حب دائم، ومن دونه ستصبح الأشياء مضجرة وخاوية، فهو تعويض

عـن كل الحرمانـات، ومكافـأة عن جميع العذابـات، وعندما أكون متيماً أنـام بهدوء كامل.

يمكـن القـول إن هـذا المتراكـم مـن الإنجـاز يؤسـس وعيـاً فلسـفياً ونقديـاً معـززاً بديالكتيـك مكثـف، يتـزاوج بدواخلـه مشروع فكـري وتنويـري، والنقد فيـه للبدايات أم للنهايـات لا يمثل إلا محطـات مراجعـة دائمة، لتشـكيل مسـارات سـهلة وواقعية وممكنـة، كما التي يعتمدهـا الماء في تدفقـه وجريانه.

ربما لم أحسن (**التكثيف لأنه أصعب من كتابة نص مطوّل**) كما يزعم إنجلز.

وعليـه أعتقـد أنـه مـا مـن قـراءة مثاليـة ونهائيـة تدّعـي كشـفها مسيرة مفكـر يقـول في مبنى تواضعـه: **أنـا مـازال تلميـذاً**، وتلـك مزية العـلماء الكبـار والمفكريـن المبدعين.

في الخواتيـم أتمنـى صادقـاً بـأن تكـون احتفاليتكـم بهيـة بكـم وبالمحتفـى بـه، شـكراً لوفائكم (**فالوفـاء تـوءم الصـدق**) كما يقـول علي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه، وفقكـم اللـه لما يحـب ويرضى..

والسلام عليكم

بغداد - العراق
2024 / 6 / 22

إنسانية وفكر

د.عروس الزبير[1]

1- مدير مخبر الأبحاث الاجتماعية - الجزائر.

المجد لا يُستمَدّ من موروث النسب المكتسب..

بل من مواقف جليل الأعمال[1]

جليـل الأعمال بالنسـبة للدكتـور عبـد الحسين شـعبان ومواقفـه المبدئية تجاه بنـي البشر، كل الـبشر، مُسـند بإنتـاج قلمـه البهـي وأفـكاره المعرفيّة المتعـدّدة، والمواضيـع والحقـول المتنوّعة في فلسـفة الحياة.

هـذا المخـزون بالنسـبة لـكل مدقّق متبصّر، يرقـى إلى درجة المصادر التي لا غنى عنها بالنسـبة للباحـث الأكاديمـي، وهـي سـند منهجـي نظري، ومنهـاج عملي تقني بالنسـبة للباحـث المتمرّس، يسـهّل عليه سـبل البحث، ويسـاعده على مقاربة قضايا المجتمعات المعقدة في الأصل، والمتشـعبة مـن ناحيـة رقعة الميـدان، فضلاً عن تعـدّد الثقافات

متـون هـذه المعـارف المتراكمـة تاريخيـاً في شـكل دراسـات معمّقـة كأوراق دراسـة أو كتـب موسّـعة المحـاور، تُعـتبر بمثابـة المصـادر المرجعيّـة، التـي تشـكّل خلفيـة لـكل باحـث موضوعـي يريـد التعمّـق في الإشـكاليات المجتمعية القائمة في بلداننا وعلى المسـتوى الكـوني، متجاوزاً النظرة الاختزاليـة الانتقائيـة أو التقديسـيّة التبشيريـة المنحـازة الصريحة أو المضمرة لواقـع مسيرة تاريخ محطـات منطقتنـا الحضارية المتخمة بـالآلام المتراكمة التي عانت وتعاني منها شـعوبنا على تعدّد انتماءاتهـا الثقافيـة القوميـة والدينية واللّغويـة وغيرها، والإنسـانوية بالمفهـوم الأنثروبولوجي.

بوصلة إرشادية

أقـول جازمـاً إن جـلّ أعمال المفكّـر شـعبان على تنـوع مواضيعهـا، تُعتبر بوصلة إرشـادية على المسـتوى النظـري والتطبيقي، وتتوافق من المقولـة الثابتة التي تفيد بأنه: من الضروري أن نجعل الغائـب حـاضراً، لأن القـدر الأكبر مـن الحاضر هـو في الغائب، ولعلّ المعنى العميـق لهذه المقولة يفيـد بأنـه لا يمكـن دراسـة مرحلـة من المراحـل دون التـبصّر بطبيعـة المرحلة السـابقة لها، وهو أمـر يـفسّر حجـة شـعبان عند إعـادة قراءته للماركسـيّة، ولاسـيما للماركسـية المطبّقـة على مدى

1- المقتبـس مسـتوحى مـن أبيـات قصيـدة الجواهـري عـن الزعيـم جمال عبـد الناصر، انظـر كتاب عبد الحـسين شـعبان «الجواهري – جـدل الشـعر والحيـاة» دار الكنـوز الأدبيـة، بيروت، 1997. دار الآداب، ط2، بيروت، 2009. ط/3، دار الشـؤون الثقافيـة، بغـداد 2010.

يزيـد على خمسـة عقـود، وذلـك في كتابـه (تحطيـم المرايـا – في الماركسـية والاخـتلاف)، خصوصاً حين يركّـز على ضرورة إعـادة القـراءة والغـور في الأصـول التفسيريـة التاريخيـة والسيسـيولوجية للمدرسـة التفسيريـة الماركسـية، مـع عـدم إهمال مـا يقابلهـا مـن المـدارس التفسيريـة الأخـرى المتدافعـة معهـا مـن حيـث المبـدأ والتفـسير، إن كان على مسـتوى مقاربـات العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية النظرية، أو على مسـتوى علوم الشرع وأدوات مناهجها التفسيرية النقلية و العقلية[1].

باقة أبحاث

هـذا المسـار المنهجـي المتـبصّر أصولـه نجـده تطبيقاً في جملة مـن أعمال عبد الحسين شـعبان، وخصوصـاً الصـادرة بين سـنة 2008 وسـنة 2013، وآخرهـا أكثر دلالـة، صـادرة سـنة 2024، نذكـر البعـض منهـا بانتقـاء قـد يكـون ترتيبهـا مـخلاً مـن ناحيـة تاريـخ الـنشر، لا دلالـة الموضـوع من الناحيـة المنهجيـة والمعنـى، ويمكـن التوقـف عند الأبحـاث الآتية

1. الماركسية والدين: التباسات العلاقة وأسس المصالحة.
2. سايكس - بيكو «الثانية» أو ما بعد الكولونيالية.
3. الاستشراق: الأنا والآخر.
4. جدل الهويّات في العراق: مقاربة للهويّة والمواطنة ومفاهيم الحداثة.
5. التغيـير والمـأزق الحضـاري وأسـئلة الديمقراطيـة المـشروع النهضـوي والعنـف والإسـلام السـياسي.
6. المسيحيون: ملح العرب، التغيير والمواطنة والتنوّع الثقافي[2].
7. الواقع العربي الجديد.. أين نحن الآن وإلى أين نسير؟

وتعكس هذه الطائفة من الدراسـات الواقع الأليم الذي نعيشـه بكل مآسـيه، وأرى أن محاولة تجاوزه كامنة في أسـئلة العنوان السـابع من باقة الأبحاث تلك، بإشـارته إلى الانقسـامات الحادة، ومحـاولات اختراق المجتمـع المـدني والديني التي تسـعى ماديـاً ومعنوياً إلى إلغـاء مبادئ المشترك

1- انظـر: عبـد الحـسين شـعبان: سرديـات الحداثـة الدينيـة في فكر السـيد فضـل الله، المؤتمـر الفكري الثـاني بعنوان: أنسـنة الدين في فكـر المرجـع الراحـل السـيد محمـد حسين فضـل الله، بيروت، 7 تشريـن الأول / أكتوبـر 2015. انظر كذلك: عبد الحسين شـعبان - ديـن العقـل وفقـه الواقـع، مناظـرات مع الفقيه السـيّد أحمد الحسـني البغـدادي، مركز دراسـات الوحدة العربيـة، بيروت، 2021.

2- حـول المسـيحيين العـرب ومسـيحيي الشرق، انظـر بالتفصيـل: عبـد الحـسين شـعبان - أغصـان الكرمـة: المسـيحيون العـرب، مركـز حمـورابي للبحـوث والدراسـات الاستراتيجيـة، بيروت - بغـداد، 2015.

الجامع والمنفتح ومن ثم تكريس التشرذم والطائفية والقبليّة ومذهبية القرون الوسطى، التي تشرعن للأصولية المتطرفة، والدويلات الطائفية الدينية والأحادية الإثنية واللغوية، بتكريس ممارسات تصورات أيديولوجيات النكوص معرفياً، حضارياً وثقافياً

دعوة مفتوحة

يحفّزنا عبد الحسين شعبان، بل ويدفعنا إلى المبارزة سلمياً، والتّماس معرفياً من خلال اتّباع أسلوب مناسب ومتبصّر بإعادة النظر في الكثير من مفاهيم التأسيس، التي وجهّت تاريخ انتكاسة أمتنا حضارياً، والتي أصبح من الضروري والمفيد واللّازم أن تقارب وتحلّل أوضاعها، بروح نقدية موضوعية مسؤولة، مسعاها بناء مستقبل واعد، هدفه الأسمى وحدة الانتماء الحضاري المتعدّد، الذي يتجاوز واقع التشرذم والفرقة الهالكة. ولعلّ هذا ما يدعو إليه شعبان من خلال العمل الجاد والمتعب والمضني، من أجل تأسيس تيار ثقافي عقلاني النظر، متسامح التوجّه، جامع للآخر المخالف، تيّار أسسه الفكرية الموجهة: القناعة الصلبة بمبدأ واقعية وضرورة التضامن بين المكونّات الثقافية لأمتنا الحضارية على تنوعها، شريطة صدق القناعة بوحدة أفق المصير المبني، وعلى التنوّع الثقافي ومرتكزات الديمقراطية وثقافة حقوق الإنسان المنسجمة مع هويّتنا الحضارية المنفتحة على قيم العصر الإيجابية.

لا شكّ أن هذا التصوّر تعبّر عنه جملة تصورات أعمال عبد الحسين شعبان الفكرية ونضاله من أجل المساواة بين مكوّنات مجتمعات منطقتنا الحضارية، مع الإصرار على أن لا يعلو شأن أحد مكوّناتها على حساب الأخريات، بل يتمّ التعامل معها على قدم المساواة، حيث يعتبر كل واحد في وجوده ضرورة للغنى الثقافي المؤطّر لهويّة مكونات ذوات أمتنا الحضارية المتفاعلة والمنسجمة

ولاشكّ أن تصوراً مثل هذا يحتاج منّا جميعاً القيام بتقييم موضوعي لمسار مراحل أمتنا التاريخية، من أجل إبراز -وبموضوعية- مكامن الأسباب التي أدّت إلى الانحدار والتشرذم الذي من مظاهره الأكثر بؤساً الصراع الطائفي أو بروز الهويّات الثقافية والإثنية المتناحرة المسندة بخطابات الأيديولوجيات التجزيئية، القائمة على الإقصاء والتنافر المدمّر للإنسان ووحدة الأوطان

ثلاثية شعبان

هـذا الواقـع لا يمكـن تجـاوزه إلّا إذا كان مسـعانا وهدفنـا المـشترك العمـل فـرادى وجماعـات بمـا ذهـب إليـه عبـد الحـسين شـعبان من رؤى ظنيـة وعمليـة متزنة أساسـها: العمـل الجاد وفق منطـق الفكـر العـقلاني التوحيـدي والتسـامحي، والتفاعـل الإيجـابي السـلس بين المتديـنين وغير المتديّـنين، والمؤمـنين وغير المؤمـنين، واليسـاريين واليمينـيين، على الرغم من الانـتماء لعوالم فكرية وسياسـية مختلفـة ومتجادلـة تاريخياً.

إنهـا ثلاثيـة عبـد الحـسين شـعبان التي تتطلـع إلى إعادة بنـاء الإنسـان الإيجابي بتنميـة ثقافته العقلانيـة، وتقويـة تطلعـه إلى الـسلام العـادل، دون التنازل عـن الحقوق، وتكريـس العدالة بكلّ معانيهـا الماديّـة والمعنويـة، فالثقافـة حسـب الـرؤى الكليـة لعبـد الحـسين شـعبان هـي ركيـزة أساسـية للتنميـة، وهـي مصـدر كلّ تنوّع، وينبـوع كلّ ازدهار، وهـي صمّام أمان لنجـاح التنمية، والانتقـال مـن التخلّـف إلى التقـدّم، لأنها تمثّل روح الإنسـان

أمـا الـسلام فهـو الحاضنـة التـي تزدهـر فيهـا عمليـة التنميـة، ولا تنميـة مـن دون سلام، لأن الحـروب والنزاعـات المسـلّحة تحـول دون إنجاز مشـاريع التنمية، وبالتالي تضـع عقبات وعراقيل كـبيرة أمامهـا. وهـدف التنميـة هـو العدالـة وتحـسين حيـاة النـاس، فلا تنمية حقيقيـة من دون عدالـة اجتماعيـة بحدّهـا الأدنى، والمقصـود بذلـك تـوفير مسـتلزمات حيـاة حـرّة كريمـة وعمـل مناسـب، والاسـتثمار في التعليـم والصحّة والـضمان الاجتماعي، فضلاً عن تـأمين المتطلّبات الأولية للحيـاة الروحيـة للنـاس بتوسـيع خياراتهم.

الصديق الصدوق

والقـول الفصـل في حـق عبـد الحـسين شـعبان، أنـه الإنسـان الصديـق الـذي عرفتـه بخصالـه الإنسـانية المتعـدّدة الأوجـه والمجـالات، أولهـا رفعـة الأخلاق واسـتقامة السـلوك على مسـتوى العلاقـات الاجتماعيـة، وتنـوّع حقـول الممارسـة الأكاديميـة واتسـاع رقعـة نضالـه الحقوقـي والسـياسي. رجـل يجعلـك في حيرة مـن تنوّعـه وقدرتـه على العطاء المعرفي، مما يجعـل الأمر ليس بالـهيّن عنـد محاولـة وضعـه ضمن خانـة محدّدة مـن خانات أطـر الملمح السيسـيولوجي لتركيبة النخـب العربية.

الحديـث مـع شـعبان يسـحبك إلى الحديـث عن مجـالات المعارف الإنسـانية المتنوعـة، ويبحر بـك في الفضـاء العـام لتراث منطقتنـا الحضاريـة المعـرفي العـقلاني، الـذي حـاول تطويعـه اجتهاداً وبعقـل نيّر يعـود إلى وظيفتـه التاريخية الجامعة من أجل مصلحة وانعتاق الإنسـان، كل إنسـان، مـن نوائـب الزمـان. وسـاهم كتابـه «ديـن العقـل وفقه الواقـع»، في سـدّ الكثير مـن الفراغات في العلاقـة بين الدينـي واللّادينـي، وبين الديـن والتديّن

إنـه عبـد الحسين شـعبان الذي بـدأت علاقتي به كباحـث في زمن نخبة التيه العـربي والحقيقة المغيّبـة، عرفتـه في بدايـة التسـعينيات وبلـدي الجزائـر في بدايـة عشريتهـا السـوداء والدمويـة، وأتخيـل جازمـاً أن عبـد الحـسين شـعبان يوافقنا الرأي، أن حـال معظم بلدان منطقتنـا الحضارية الآن هـي على نفـس الحـال الـذي كانـت عليـه الجزائر، فهل مـن همّة؟

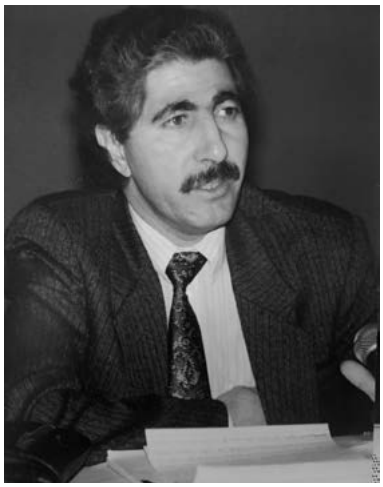

عيون من يوميات نصف قرن

عصام حافظ الزند[1]

1- باحث وأستاذ جامعي- براغ.

صدقاً لست أدري من أين أبدأ حديثي عن صداقة امتدت لأكثر من نصف قرن، وبخاصة إذا كان الحديث عن إنسان مثل **الدكتور عبد الحسين شعبان**، صداقة مستمرة بشدّة منذ الزمن الجميل الذي يصفه ذلك الصحفي والكاتب اللامع **سالسبرجر** بأنه عصر العمالقة، وهو حقاً كذلك، إلى زمننا هذا المأزوم، ذلك الزمن الذي تتلمذنا فيه والدكتور شعبان

عرفته قائداً طلابياً متميّزاً، وعرفته باحثاً نشطاً منذ إعداد أطروحة الدكتوراه في أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية، وعرفته سياسياً مخلصاً غير هيّاب في الدفاع عن أفكاره وآرائه وما يؤمن به، وعرفته كاتباً وباحثاً نشيطاً، زادت كتبه على 80 كتاباً في موضوعات شتّى سياسية وَفِكْرِيَّة، وفي الدِّين والسِّيَر وحقوق الإنسان وغيرها، وعرفته لامعاً، وذا علاقات تعجز مؤسسات وأحزاب، بل ودول، عن إقامتها في سعتها وتنوّعها، وعرفته محباً للمكان والزمان والحياة والمدن

ولا شك أن الكثير يعرف نتاجه الفكري عبر عشرات المقالات والندوات والمؤتمرات والمحاضرات وغيرها من مئات الفعاليات، وبالتأكيد فإنني في هذه المناسبة لست قادراً على الكتابة عن كل ذلك لامتدادها الزمني والمكاني وكثافة المشتركات اليومية والحياتية، وربما سأكتفي بالحديث عن جانب أو جوانب قد لا ينتبه لها من قرأ له دون أن يعرفه شخصياً أو بعض من الأصدقاء الذين لم يعايشوه بتلك الكثافة اليومية

لقد صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورَة ... فمَرْعَى لغِزْلان ودير لُرهبان
وبَيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ ... وألوَاحُ توراةٍ ومُصْحَفُ قُرآنِ
أدين بدين الحّبِّ أنى توجهت ... ركائبُه فالدِّينُ دِيني وإيماني

(ديوان ترجمان الأشواق لمحي الدين ابن عربي)

يعود شعبان غير مرة في كتاباته إلى **ابن عربي**، بل إنه يعتز بذلك التراث الفلسفي والفقهي والإنساني والأدبي، ولابن عربي قصائد ذات مذاق فلسفي خاص، والأبيات التي أتينا على ذكرها من ديوان ترجمان الأشواق قالها في حق **"نظام"** بنت الشيخ الأصفهاني، والملقبة **"بعين الشمس والبها"**، فعلاوة على جمالها الأخّاذ فهي شاعرة وأديبة وقع في حبها وتزوجها ابن

عـربي. والدكتـور شـعبان يؤمـن "أن في البـدء كان الحـب"، مسـتخدمين توصيـف الباحث **د.نصر حامـد أبـو زيـد** لابـن عـربي، وبالطبـع إذا كان الحـب أسـاس كل شيء، فـإن مفاهيـم وتصرفـات اجتماعيـة وحياتيـة سـتتّخذ عنـد الشـخص مسـاراً وفـق ذلـك، فنراه متسـامحاً حتى مـع أعدائه، ولا يميـل إلى اسـتخدام الـرد بالمثـل أو "العقـابي"، ولعـل مـا حـدث لـه في كردسـتان إبـان حركـة الأنصـار المناهضـة لحكـم صـدام حـسين خير دليـل على ذلـك، فقـد أجـاب عـن سـؤال: أي سلاح يفضـل؟ أجـاب: إنـه القلـم، وعندمـا أجبر على حمـل مسـدس سـلّمه في أقـرب مناسـبة إلى أحـد رفاقـه، وقـال لـه: لم أفتحـه ولم أتعلـم كيـف يرمي، ولـن أضطر مهما كلـف الأمـر إلى إطلاق النار على أحـد، وكان أن اعتـذر عـن تسـلم منصب رئاسـة المحكمـة العليا للأنصار، ومـن جملة ما ذكر مـن أسـباب: "إن مزاجـي لا يميـل إلى هـذا النـوع مـن العمـل"، نعـم، فإنـه يخاف مـن أن تؤدي العدالـة إلى الجـور وإلى الكراهـة، ولـذا نـراه كذلـك لم يـرد أو يجيـب على البعـض الـذي اسـتغل بعـض المنافـذ الإعلاميـة لكيـل التهـم أو الشـتائم عليه

الدكتـور شـعبان "شـخص لا ينتمـي إلى أي مَـكان؛ لأنـه ينتمـي إلى كل الأمكنـة.. لأن هـذا هـو الشرط الإنسـاني" على حـد تعـبير **ماريـو بارغـاس يوسـا**، وبـودّي في هـذا السـياق أن أشير إلى موقـفين مـن الدكتـور شـعبان وكيـف يقـرن بين القـول والفعـل

عندمـا أنهـى الدفـاع عـن أطروحـة الدكتـوراه في أكاديميّـة العلـوم التشيكوسـلوفاكيّة بـإشراف ومتابعـة أشـهر الأسـتاذة التشـيك من ذوي المكانـة الدوليّة في مجـال القانون الدوليّ، قـرّر سريعاً العـودة إلى الوطـن في وقـتٍ كانـت فيـه الأمـور تـسير مـن سـيّئٍ إلى أسـوأ، بـل إنّ الكـثير مـن السياسـيّين العراقـيّين شرعـوا بالخـروج والاختفـاء، وزادت عمليّـات الملاحقة والاعتقـال، وكان هو آنـذاك مـن أبـرز القيـادات الطلّابيّـة العراقيّة، وشـعار الاتّحاد المركـزيّ "التفوّق العلمـيّ والعودة إلى الوطـن"، وقـد حاولنـا آنـذاك -الـروائيّ والصحفـيّ المعروف **شـمران الياسري "أبـو كاطع"** وأنا وأصدقـاء آخـرون- ثنيـه عـن العـودة، أو على الأقـلّ التريّـث لمعرفة ما يسـفر عنه الوضـع، إلّا أنّه ورغـم معرفتـه بخطـورة تلـك الخطـوة قـرّر المضيّ بهـا؛ وهكـذا عـاد إلى العـراق، وترك لنـا القلق والخـوف عليـه مـن ذلـك القـرار، وفـعلاً فقـد كان الوضـع يسـوء بتسـارعٍ، ولم يقتنـع ويجبر على الخـروج، إلّا بعـد أن أعلـن النظـام العراقـيّ الحـرب العلنيّـة، واعتقـل أعـداداً غـفيرةً، بـل وأعدم وغيّـب عدداً كـبيراً مـن المناضلين.

أمّـا الموقـف الثـاني فهـو قـراره الانخـراط في الحركـة الأنصاريّـة المسـلّحة في كردسـتان لمناهضة

سـلطة صـدّام حـسين في بغـداد، والّتـي أعلنها الحزب الشـيوعيّ العراقـيّ، على الرغم مـن قناعته بـأنّ تلـك الخطـوة كانـت ردّة فعلٍ غير عقلانيّةٍ ولا مدروسـةٍ؛ وهكذا وصـل في النهاية إلى **ناوزنك** ثـمّ فـيما بعد **بشتاشـان**، حيث تولّى مسـؤوليّة منظّمـة الإعلام المركزيّ ومسـؤوليّاتٍ أخرى، وبقي فيهـا حتّـى الهجـوم الدمـويّ لقـوّات الاتّحاد الوطنـيّ، والّـذي أدّى إلى استشـهاد عشرات الكوادر، وانسـحب الباقـون باتّجـاه إيـران، كان هنـاك في مواجهـة يومية مع الموت، وقد كتب شـعبان عن هـذه التجربـة في مناسـباتٍ مختلفـةٍ توجّهاً عـام 2024 بإصدار كتاب "بشتاشـان خلف الطواحين **وثمّـة ذاكـرةٌ**"، عمـد فيه إلى تقييم تلـك التجربة، متنـاولاً تفاصيل كثيرة، تسـاعد الباحث والمعني بدراسـة تلـك التجربـة كمصدر أسـاسي وشـاهد عيـان، في حين ظلّ الحـزب صامتـاً إزاء ذلك، علماً بـأن تلـك الحادثـة المأسـاوية هـي جزء مهـم من تاريـخ الحزب وما تعـرّض له مـن انتهاكات.

واسمحوا لي بأن أستغلّ هذه المناسبة لأطرح بعض الآراء:

التكريـم أمـرٌ جليـلٌ وهـو اعترافٌ علنـيٌّ بفضـل المكـرَّم، والهـدف منـه ليـس إشـعاره بقيمـة إنجازاتـه بالنسـبة لنـا ولمجتمعاتنـا وحسـب، بـل إنّهـا فرصـةٌ مهمّـةٌ لإيصـال تلـك القيـم إلى أكبر عـددٍ مـن أفـراد المجتمع، للمسـاهمة في رفع المسـتوى المعرفيّ لأبناء المجتمـع، وكما تشير مختلف الدراسـات والأبحـاث، فـإنّ مسـتوى القـراءة في الوطـن العـربيّ متـدنٍّ جـدّاً، ومـن ثـمّ المسـتوى المعـرفيّ، وبمـا أنّ الغالبيّـة لا تسـعى إلى المعرفـة (الكتاب) بنفسـها فيجـب على المعرفة أن تذهب إليهـا، وبخاصّـة في مثـل مجتمعاتنا

أتذكّـر قبـل سـنواتٍ، أرادت إحـدى المنتديـات الأدبيّـة في بـراغ الاحتفـال بتكريـم أحد شـعراء المهجـر، وكان شـكل التكريـم قـراءاتٍ لشـعره اسـتمرّت 48 سـاعةً متواصلـةً في إحـدى قاعـات الجامعـات. تـرى طابـوراً طـويلاً رجـالاً ونسـاءً، كبـار السـنّ وشـباباً، عندمـا يـأتي دوره يصعـد إلى المنصّـة، ويقـرأ مـا تـيسّر لـه مـن ذلـك الشـاعر، وكان في القاعـة حتّـى في السـاعات المتأخّـرة مِن الليـل مَـن يسـتمع، في حين انشـغل جمـعٌ مـن الـطلّاب بإعـداد نمـاذج مـن شـعره يوزّعونها على المارّة والـطلّاب وعلى مـن يريـد المشـاركة، وقد شـارك الآلاف في ذلك بمن فيهم أدبـاء وطلّابٌ، بل وشـارك رئيـس الجمهوريّـة أيضـاً في قراءة بعـض الأبيات الشـعرية. وهكذا شـارك الآلاف في حفل التكريـم، وبالخصـوص الـطلّاب الذيـن تعرّفوا إلى الشـاعر وشـعره، بـل والأهم التعـرّف إلى القيم الجمالية والإنسـانية

لقد عرف الدكتور شعبان أهمّيّة نقل ذلك الوعي، وتلك المعارف إلى أوسع الفئات في المجتمع العربيّ والعراقيّ، سواءً عبر الإعلام أو من خلال المحاضرات والندوات في مختلف المدن العراقيّة، متحمّلاً مشاقّ السفر برّاً لمسافة تقترب من 400 كم تلبية لدعوة تجمّعاتٍ محلّيّةٍ شابّةٍ تتوق إلى المعرفة، وفي خضمّ ذلك النشاط كان لمسقط رأسه حصّة عزيزة له.. كيف لا وهي الّتي لعب في أزقّتها، ودرس في مدارسها، وسمع أوّل سور القرآن فيها، وقرأ أول الأبيات الشعريّة للجواهريّ فيها، وتحسّس فيها أول انحيازاته الفكريّة، وعقد فيها أولى الصداقات، تلك الّتي لا يزال الكثير منها مستمرّاً إلى يومنا هذا، بل إنّها امتدّت إلى أبنائهم وجمهورٍ آخر، ينظرون إليه كأحد أعمدة الثقافة العربيّة، يفاخرون به

ويا ليتكم شاهدتم الجموع الّتي وصلت من النجف إلى بغداد لاستقباله بعد عودته فور سقوط النظام في بغداد، حيث توافدت حافلات كبيرة ضمّت المئات تردّد الأهازيج والشعر ترحّب بفخرها "**عبد الحسين شعبان.. رمز حقوق الإنسان**"

وقفت حينها مشدوهاً أنا العائد من أوروبا بعد ثلاثين عاماً من الغربة، وقفت لأنّي لم أكن معتاداً على رؤية مثل تلك الحماسة ومثل ذلك الحبّ الساخن فعلاً، حتّى إن شعبان نفسه ارتسمت على وجهه عبرةٌ تقول: "إذن وصل حبّه إليهم، وإنّهم يبادلون حبّه بحبٍّ أكبر قد لا يقوى عليه". ومن يومها استعدت ذكرياتي الطفولية خلال زيارتنا إلى ذلك المرقد المهيب بصحنه الواسع، حيث نتّخذ أحد الإيوانات مستقرّاً، نلعب نحن الأطفال في الصحن متباهين بـ"العلگ" المربوطة على معاصمنا

أبناء العراق على اختلاف طوائفهم يجلّون ويزورون هذا المرقد، بل وحتّى في مراحل لاحقةٍ في الثانويّة والكلّيّة عندما نذهب في المناسبات، كان يشاركنا أحد أصدقائنا النصارى، وصدقاً، فلم نكن نشعر بأنّه من دينٍ مختلفٍ، ولا هو كذلك، بل إنّه وعندما يريد تأكيد كلامه يرفع صوته ليقسم بالإمام حين يقول: (وعليّ كان الأمر كذلك)

ومنذ 2003 وحتّى اليوم، فإنّ كلّ رحلاتي إلى بغداد لا بدّ أن تشمل النجف، وكثر لي فيها الأصدقاء والمعارف بمن فيهم رجال الفقه والأدب وأساتذة الحوزة، ولا أنسى **سوق الحويش**، ما يعرف بالسوق الصغير، ذلك المكان الأثير الذي تصطفّ المكتبات الخاصّة على جانبيه، حيث تجد بعض الكتب القديمة الّتي يعجز المرء عن العثور عليها في مكانٍ آخر، وقد اقتنيت منه

الكثير من الكتب، ومنها ديوان **محمّد سعيد الحبّوبي**، والّذي عني بتصحيحه وتذييله الشيخ **عبد العزيز الجواهري** (الأخ الأكبر للشاعر **محمّد مهدي الجواهري**)، والمطبوع عام 1913، وهو الديوان الأساس والوحيد للشاعر وعالم الدين والمجاهد، والّذي يفتخر شاعرنا الجواهريّ بأنّه أحد أهمّ من تعلّم منهم

يا غزال الكرخ وا وجدي عليك كاد سرّي فيك أن ينتهكا
هذه الصهباء والكأس لديك وغرامي في هواك احتنكا
فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك فلذيذ العيش أن نشتركا

إنّ تكريم شعبان إنّما هو تكريمٌ للنجف، تلك البقعة على تخوم الصحراء، والّتي سمّيت "بخد العذراء" لطيب هوائها، والّتي أنجبت عبر تاريخها الطويل المئات من المفكّرين في مختلف العلوم، فهي أحد أضلاع المثلّث الحضاريّ، كما يسمّيه الدكتور **حسن الحكيم** في كتابه **"الحيرة جذور الحضارة وأصالة التراث"**، والمتكوّن من الحيرة في عصرها الجاهليّ، "والأصحّ من وجهة نظرنا عصر ما قبل الإسلام"، والكوفة في عصرها الإسلاميّ، "وكانت تسمّى عاقولاء". وهنا أيضاً نرى أنّ الكوفة ومدنيّتها أقدم من العصر الإسلاميّ، بل إنّها كانت مركز النساطرة، والأمر ينطبق على النجف كذلك، وليس في العصور اللاحقة كما يقول، ولكنّ ذلك ليس موضوعنا الآن. إن نساطرة الكوفة هم من أوائل من ترجم الفلسفة اليونانيّة، حيث ترجمت أوّل الأمر إلى السريانيّة لغة الكتابة، ثمّ في أوقاتٍ لاحقةٍ إلى العربيّة، بل إنّ هؤلاء النساطرة استقبلوا الإمام عليّ عندما أتى الكوفة استقبالاً مهيباً

إن أردت وصف الدكتور شعبان فإنه فكر وقلمٌ بالاعتماد على العدد الكبير من الكتب الّتي نشرها في مختلف المواضيع ومئات المقالات والدراسات والأبحاث والإخوانيّات، ناهيك عن عشرات الندوات والمقابلات وغيرها من النشاطات الفكريّة، في مختلف البلدان العربيّة وغير العربيّة

أقول إنّ ذلك التوصيف يبقى لا يعبّر عن الحقيقة كلّها، فشعبان وفي خضمّ كلّ ذلك، يجد فسحة الوقت ليراسل ويكلّم ويلتقي بعشرات الأصدقاء والمعارف، فيدعو هذا ويزور ذاك ويتقصّى أخبار آخر، وفوق ذلك يجد الوقت ليسبر غور كلّ مدينةٍ يزورها، يحضر عروض

مسارحها وحفلات الموسيقى فيها، ويتذوّق طعام أشهر مطاعمها، ويكتشف زواياها السياحيّة

لا أغالي إذا قلت إنّ كلّ الحجارة في براغ القديمة (المدينة الأكثر قرباً إلى قلبه) تعرفه، ولا بدّ أنها تعرّفت على خطواتنا، وباختصارٍ شديدٍ: إنّ شعبان وإنْ كان العمل الفكريّ والبحثيّ والتنويريّ يحتلّ أبداً المكان الأوّل في يومه، إلّا أنّه لا يهمل الجوانب الحياتيّة الأخرى، فهو يعيش الحياة بكلّ تفاصيلها، وذلك كلّه في ظلّ يومٍ منظّمٍ إلى درجةٍ عاليةٍ، قد لا نمارسه في شرقنا، وليس بمقدور الكثير الاعتياد عليه

وقبل أن أختم وما دمنا في تكريمه في **الكويت**، لا بدّ لي أن أذكر ذلك اليوم العصيب في 2 آب / أغسطس 1990، وكنت على موعد مع شعبان، فوصلني والحزن والقلق يرافقه، وبدلاً من السلام بادر إلى الحديث: هل سمعت الأخبار؟ ماذا فعل هذا المجنون؟ إلى أي هاوية يسير بنا؟ وكيف يجرؤ على فعل ذلك؟ العالم لن يسكت على هذا الانتهاك لمبادئ القانون الدولي وحسن الجوار. وهكذا كان، فمنذ الساعات الأولى أدان شعبان تلك المغامرة الإجرامية لنظام صدّام تجاه الكويت

وفي الختام، لا أجد وصفاً أكثر انطباقاً على الدكتور شعبان مما كتبه الباحث الراحل **حسين مروّة** في حق **محمد شرارة:** "محدثاً بارعاً وشائقاً وممتعاً مرهف الذاكرة وحاضرها دائماً.. فهي حاضرة الاستجابة له لحظة يدعوها إلى فتح خزائنها الزاخرة بألوان المعارف والوثائق ومأثور الشعر وذخائر التراث، وهو ما يبدأ الحديث حتى تتدفق بكل ما يحتاج إليه موضوع الحديث من نصوص وشواهد، مهما تكن طولاً أو عسراً أو تعقداً". (د.حياة شرارة إذا الأيام أغسقت)

إن احتفاءكم بهذه النخب يعطينا القوة والأمل على أن جهودهم الإصلاحية ستساعدنا على الخروج من أزماتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهذه النخب اتفقت معها، أو اختلفت في قليل أو كثير من وجهات النظر، يجب تكريم جهدها البحثي والثقافي الإصلاحي في مجتمعاتنا، كما أحببنا وقدّرنا جهود الإصلاحيين الأوائل منذ بداية القرن الماضي، والتي أدت إلى تحولات كبرى فيما بعد في مجتمعاتنا

وتقبلوا فائق الشكر والاحترام على عملكم الجليل هذا.

مراجعات المثقف النقدي

علي حسن الفواز[1]

1- ناقد ورئيس اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

لا يمكن توصيف المثقف النقدي إلّا من خلال القضايا التي يطرحها، والأسئلة التي يُثيرها، على مستوى جدواها في التعاطي مع معطيات الثقافة الإشكالية، مثل الهويّة والحقوق والعدالة والحريّات والتعايش والعلاقة مع الآخر، أو على مستوى مرجعية صناعتها من قبل الأفراد أو من قبل المؤسسات، وهذا ما يجعل هذا المثقف يعيش محنة «**وعيه الشقي**» بوصفها محنة أسئلته الكبرى، وما تفترضه من مواقف تتطلب كثيراً من الجدّة والحيوية في إغناء فاعلية النقد، وفي تقعيد هويّة المثقف النقدي، ورهاناته على فاعلية ذلك الوعي، وممارساته في نقد وتحليل الأفكار والسياسات والظواهر بموضوعية ومهنية، وبأدوات تُجسّد حضوره في تمثيل قوة الخطاب الثقافي، وفي جعلها قوة للمراجعة النقدية، ولممارستها التواصلية في المجال العام بتعبير **هابرماس**، أو في المجال المدني وفي الهيئات الأكاديمية والثقافية، وبما يجعله أكثر قدرة على تبنّي الاستراتيجيات التي تجعل من الوظيفة الثقافية / النقدية محركة للحوار، ولطرح الأفكار عبر تمثلهما في مبدأي النقد الذاتي والاختلاف الإيجابي، حيث نشر ثقافة القبول بالرأي الآخر، وحيث توظيف الإمكانات الفاعلة من أدواتٍ وخبراتٍ ومهاراتٍ في إثراء المشهد الثقافي، وفي تحويل الأداة الثقافية إلى «سلطة» نقدية، لها وظيفتها في الإشهار والتعريف، وفي صناعة المنصات والمنابر، إن كان على مستوى الدرس الأكاديمي، أو الفضاء الثقافي أو ميادين الصناعات الثقافية، أو المجالات الإعلامية، وصولاً إلى التوظيف الأمثل في استخدام التقانات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي

مفهوم المثقّف النقدي

تضعنا التجربة الرائدة للباحث والأكاديمي د.عبد الحسين شعبان أمام قراءات ومراجعات مفتوحة لتداولية مفهوم المثقف النقدي، وقراءة تاريخه، على مستوى نقد التاريخ والسلطة والأيديولوجيا، أو على مستوى تجديد الآليات النقدية وفواعلها في المشروع الثقافي، بوصف أن النقد -كما يرى د.شعبان- هو الجوهر الإجرائي في العمل الثقافي، وفي صياغة أسئلته، ولاسيّما ما يتعلّق بنقد «العقل السياسي» و«العقل الأيديولوجي» و«الحداثة المتعثرة» والكشف عن التحديات النسقية التي يواجهها المشروع الثقافي، في بيئاته الثقافية والسياسية المضطربة، والغامرة بتشوهّات المناخ السياسي والصراعات الاجتماعية والإثنية، وما تُنتجه من مظاهر

تتعثر فيها فاعليات «الأمن الثقافي» وقيم «الوطنية» و«المواطنة» و«التعايش» و«إدارة التنوع» بوصفها تمثّلات إجرائية لذلك «الأمن الثقافي» بوصفه أمناً قانونياً وحقوقياً وأخلاقياً دأب الدكتور شعبان على تأطيره والدفاع عنه، من منطلق إيمانه بوظيفة النقد كـ«قوة» فاعلة في مواجهة الرثاثة، وفي تنامي النزعات الشعبوية للتطرف والعنف والكراهية والفساد، وهذا ما يجعل الفاعلية النقدية لخطابه لا تنفصل عن مشروعه الحقوقي والإنساني، ولا عن أطروحاته الثقافية، فقد كان من أكثر المفكرين العرب حرصاً على التلازم النقدي بين القيم الثقافية والحقوقية، وفي أن يؤدي المثقف النقدي وظيفة صانع الأسئلة، على مستوى ما يتعلّق بالصراعات المفتوحة، أو على مستوى ما يتعلّق بالقضايا الإشكالية الكبرى، الناتجة عن الصراعات السياسية، والحروب وعن العنف الأهلي والهويّاتي، والتي تتطلب كثيراً من المراجعات، على مستوى التوثيق والتوصيف، وعلى مستوى ضبط استعمال المفاهيم والمصطلحات والأفكار، بوصفها جزءاً من منظوره الفلسفي، ومن مشروعه النقدي، ولا سيما ما يتعلّق بمراجعة أزمات العنف وعلاقة الأنا والآخر، والتي يدخل فيها الاستشراق مجالاً واسعاً لتلك المراجعة

فبقدر ما وجد الدكتور شعبان غايته في نقد الاستشراق، عبر أنموذجه «الأنجلوسكسوني – الأميركي» وأطروحات برنار هنري ليفي، وهينتغتون، وفوكوياما وغيرهم، فإنه أدرك من خلاله أهمية مراجعة الأفكار التي أنتجتها «المركزية الغربية» ومنها الاستشراق، والنظرة النمطية للإسلام، ولحقوق الشعوب في السيادة والاستقلال، فقد كشف الباحث شعبان عن العلاقة بين أدلجة الاستشراق و«النظرة السلبية المسبقة، عبر محاولتها إسباغ نوع من الهيبة والمشروعية، بل والموضوعية الزائفة، بزعم أن الإسلام لا يتطوّر وأنه رسالة (بدو أجلاف) من دون حضارة، على عكس الحضارة الغربية الحداثية التي ستجد نفسها متصادمة، وربما لا محال حسب صموئيل هنتنغتون معها ومع الحضارات الأخرى، وفي ذلك محاولة متعمدّة لتشويه التاريخ العربي بما فيه تاريخ العلاقة العربية – الإسلامية مع بعض دول وشعوب أوروبا»[1].

دأب الدكتور شعبان على أن يجعل من أطروحاته النقدية رهينة بمواجهات مفتوحة، وإجراءات جيوثقافية، عبر اكتشاف الطابع الصراعي للثقافات المتنافسة والمتصارعة، وتأثيرها في المجالات الحقوقية والسياسية، ومناقشة أنماطها في الصياغة الثقافية للعلاقات الدولية، إذ تمثلها الباحث د.شعبان، عبر عدته النقدية، وبمرجعيات الناقد «الوضعي والماركسي» الذي يجد

1- إدوارد سعيد: الاستشراق وفيض الذاكرة - عبد الحسين شعبان - الصحيفة - 29 - 8 – 2022.

في نقـد أصـل الصراع -الطبقـي والسـياسي- المدخل الثقافي للكشـف عما يسـتبطن تلك الصراعات مـن مشـكلات وأسـباب، وعلى نحـوٍ يجعـل مـن فعل التمـكين الثقـافي ضرورة، في إعـادة توصيف الوظائـف الثقافيـة، وعلاقـة الثقافـة بالصراعـات الدوليـة والمحليـة، والتـي تتطلـب كـثيراً مـن المراجعـة، ومـن اسـتدعاء آليات العقـل النقدي وفواعله، وباتجاه التعرّف على أبرز المشـكلات، في وجوهها «المحليـة / الوطنيـة» ومعاينـة أسـبابها، والعمل على وضـع الخطـط العملياتية لعرضها في المحافـل الحقوقيـة الدوليـة، والسـعي إلى تجـاوز مـا تكـرّس فيهـا مـن تعقيـدات وصعوبـات، لهـا أسـبابها التاريخيـة و»الاسـتعمارية» والاجتماعيـة والسياسـية، وعلى نحـوٍ يجعـل مـن فكـرة الإصلاح والتغـيير هـدفين وطمـوحين يسـعى إليـهما الباحـث مـن خلال إنضـاج فاعليـة النقـد، عبر وسـائطه ووثائقـه، ومراجعاتـه، بوصفـه ممارسـة في النـزوع إلى وعي العقلانيـة النقدية، وإلى توجيههـا في تـأطير وتكييـف واعـتماد خيـارات التخطيـط والتنظيم، فـضلاً عن توظيـف الطاقات الماديـة والمعنويـة / الثقافيـة، في بنـاء شـبكات عمـل واسـعة، وفي ميادين متعـددة، مجتمعيـة وسياسـية ومدنيـة وإعلاميـة، ليس باتجاه صناعة جمهور مسـتهدف فحسـب، بـل بصياغة آليات عمـل ترتبـط بمناهـج وإجـراءات يكـون فيهـا ذلـك الجمهـور جـزءاً مـن المجـال العـام، وجـزءاً مـن برامجـه الاجتماعيـة والثقافيـة، وبهـدف يجعـل مـن المؤسسـات الأكاديميـة والمدنيـة وحتى الدينيـة مشـاركة بشـكل فعّـال في تأطير السـؤال النقدي، بوصفـه موجهاً للتعاطي مع المشـكلات القـارّة في حياتنـا العربيـة والعراقية بشـكل خـاص، واعتماد الآليـات والخطط التـي تكفل نقدها ومراجعتهـا، وإيجـاد مـا يشـبه التماهـي مـع أطروحـة **غـرامشي** حـول «**الكتلـة التاريخيـة**»، أي تـأمين وجـود القـوى الاجتماعيـة والسياسـية والثقافيـة والدينيـة الفاعلـة والمؤمنـة بمشروعـات التغـيير والاصلاح والتحديـث، حيـث اعـتماد استراتيجيـات وخطـط تهـدف إلى إنضـاج فاعليـات تلـك المراجعـة والنقـد، وعلى نحـوٍ يتطلبـه الزمـن التاريخي، بهدف إحـداث التحـولات الإيجابية في المجتمـع، مـن خلال وعـي ذلـك الزمـن وشروطـه الموضوعيـة، وتأهيـل الجمهـور المسـتهدف للقبـول بمـا تنتجه الممارسـة النقدية، على مسـتوى نقـد المركزية الميتافيزيقية، وعلى مسـتوى نقد النظـام الاجتماعـي والمؤسسـة السياسـية، وكذلـك على مسـتوى مراجعـة أسـباب الفشـل والعجز الـذي ارتهـن إليـه المشروع الإصلاحـي العـربي منـذ قرون.

المثقف النقدي والسلطة

تكمن أهمية المثقف النقدي الذي يبشّر به الدكتور شعبان، في فاعلية المشروع النقدي الذي يتبناه، بوصفه مشروعاً حقوقياً من جانب، ومشروعاً ثقافياً من جانب آخر، يهدف إلى تحويل المراجعة النقدية إلى فاعلية نقدية تقوم على مواجهة مظاهر الرثاثة الاجتماعية والسياسية، وأشكال الاستبداد والقمع، وبما يجعل الخطاب النقدي الذي يصنعه فاعلاً في نقد السلطة، وفي نقد الاجتماع والمؤسسة والتاريخ، وهذا ما يتطلب مراجعة متواصلة للمفاهيم والوظائف والأفكار، ولكلّ ما يتمخض عنها من معطيات تخصّ قراءة أنثربولوجيا الصراعات والتحولات الكبيرة التي عاشها المجتمع العراقي بشكل خاص، وهذا ما دأب عليه د.شعبان في سياق مشروعه النقدي، إذ وجد في محنة الظاهرة السياسية محنة مفهومية في قراءته لمفاهيم الدولة والأمة والحزب، وعلاقة هذه المفاهيم بتشكّلات ظواهر العنف السياسي والعسكرة والانقلابات والمركزيات العصابية والأيديولوجية، وتمدّد ذلك إلى استيهامات متعالية في صناعة «**الهويات القاتلة**» بتعبير أمين معلوف، وفي التعاطي مع مدونات التاريخ و»التراث» والقيم والأفكار، والعلاقة مع الآخر، وحتى على مستوى ذاكرة المدونة الأدبية وتمثلاتها الصراعية، حيث أشار **د.علي الوردي** في كتابه «**أسطورة الأدب الرفيع**» إلى ذلك الصراع الخفي بين الشعر والاجتماع، وأن أساطين الشعر لم يستطيعوا أن يمسّوا جوهر المشكلات الاجتماعية والسياسية التي كان يعاني منها المجتمع العراقي

لقد أدرك **د.شعبان** خطورة هذه المسؤوليات النقدية، فظل يتمثل فاعلية المثقف الرائي والمشارك في مقاربة كثيرٍ من ظواهر «التاريخ العراقي الحديث» ومعاينة ما حفل به من صراعات كثيرة، انعكست كثيراً على تمثيل هويّة الدولة العراقية الشائهة، فكانت تلك الصراعات رغم طابعها العنفي، تمثل تحولاً مهمّاً في وعي التاريخ العراقي، والكشف عما هو «مسكوت عنه» على مستوى المخفي من مظاهر الصراع الاجتماعي-الطائفي، أو على مستوى المفضوح من مظاهر الصراع السياسي-الثقافي، حيث تبدّى عبر هذه المستويات المتناقضة كثير من مظاهر «أزمة السلطة الوطنية» وهشاشتها، مثلما تمثلت فيها صور متعددة ومتقاطعة للمثقف الثوري والمثقف الأيديولوجي والمثقف الحزبي والمثقف الانتهازي، و»المثقف الداعية» كما يصفه د.شعبان، حيث يعيش هذا المثقف أوهام تزييف الوعي، وصناعة الأيديولوجيا القامعة، أو المقدسة، إذ بات نقد هذا المثقف منطلقاً لفاعلية نقدية تمثلتها تجربة د.شعبان

في مشروعـه النقـدي، وفي سيرتـه الثقافيـة والمهنية والحقوقيـة، وفي مواجهته لكـثير من التحولات العاصفـة في نضالـه السـياسي والاجتماعـي، وكذلـك في تحـولات مواقفـه الفكريـة، فأطروحـات «د.شـعبان كانـت ومازالـت مثاراً للجـدل في مواقفه الفكريـة العراقية والعربية، <بشـكل> عصيّ على التصنيـف أحيانـاً، ولاسـيّما في الاصطفافـات والاسـتقطابات السـائدة، ولعـلّ هـذا مـا حاولت إضاءتـه بحيـث نصغـي إليـه مفكـراً وناقـداً وإنسـاناً، اسـتثمر الفكـر بالعمـل وغامـر وجاهـر وانقلـب وتمـرّد لأكثر مـن مـرة، ومازال متمسـكاً بصميميتـه، وهاجسـه الأول والأخير هو الوصول إلى الحقيقـة»[1].

أحسـب أن هـذه التمظهـرات هي التي جعلت من د.شـعبان يتبنى أطروحـة الدفاع الحقوقي عـن **حـق النقـد، وحـق التعايـش، وحـق التسـامح**، ليـس بوصفهـا **أشـكالاً إنسـانية** وحقوقيـة أقرّتهـا مواثيـق الأمـم المتحـدة ومنظماتها الإنسـانية، بل لأن «المثقـف النقدي» هـو كناية رمزية لـ»المثقـف الحـر»، والمثقـف الذي يملك حق التعـبير عن ذاته، وعن مشروعه وفكـره، فكانت تلك الأطروحـات معينـاً أعطـى لهـذا المثقـف خصوصيتـه، واسـتثنائية، ليـس في التمثيـل الأيديولوجي لفاعلية هذا المثقف، ولوظيفته كما ورد في أطروحات **حسـن حنفي وإدوارد سـعيد ومحمد عابد الجابـري وعلي حـرب وعبداللـه العروي وصـادق جلال العظم** وغيرهم، بـل في اصطناعه لمواقف رافضـة، متعاليـة، رغـم مـا تعانيه مـن تهميش وتضييـق ومصادرة، فالاسـتبداد السـلطوي أخضع هـذا المثقـف إلى الرقابـة والتلصـص والتهميش والنفي، فعـاش اغترابـاته الخارجيـة والداخلية، عبر المجـازات، وعبر المنـافي، وعبر تحـوّل السـياسي / الأيديولوجي إلى قوة مفرطـة، عملت على تحويل الصناعـات الثقافيـة إلى صناعات مشـوهة، مؤتمـرات، برامج، مهرجانـات، دراما.

لم يحجـم فكـر شـعبان مـن الانـهمام بتلـك الإشـكاليات و»التخالق» معهـا واسـتخراجها ضمن فواعـل مشروعـه في «**وضعيـة نقديـة تحليليـة**» أقـلّ مـا يُقـال عنهـا إنها **تتمتـع بالجـرأة الذاتية والشـجاعة الموضوعيـة والضرورات العمليـة والمعرفـة العلميـة والـخبرة الوفيرة**، ولا يهمّ شـعبان إنْ اعتبرهـا مغامـرة، وتـراه يـردد: ألسـنا نغامـر حين نبحـث عن الحقيقـة؟ وهو ما رحنـا نفتقده في كتـب الفكـر الرائجـة ضمن تشـابكات الخطاب العـربي ووضعته بين الفكـر الترجمي والاجتهاد الشـخصي المحدود»[2].

1- عبد الحسين شعبان - تحطيم المرايا في الماركسية والاختلاف - خضير ميري - الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت 2009.

2- عبد الحسين شعبان - خضير ميري: ابتهالات آخر الصعاليك - الحوار المتمدن - العدد: 5046 - 16 - 1 – 2016.

عبد الحسين شعبان والمشروع الثقافي

اهـتمام الدكتـور شـعبان بالفاعلية الثقافية يرتبـط باهتمامه بمشروعه النقدي، وبالأسـئلة التي يُثيرهـا مـن خلال مقاربـة أقـرب ظواهـره، ورمـوزه، ومـن خلال معاينـة أزمـة الخطـاب الثقـافي في علاقتـه مـع السـلطة والأيديولوجيـا، وسياسـات التـدجين والقمـع، وفي علاقتهـا الإشـكالية مـع الأطروحـات المركزيـة للتاريـخ والريـادة وغيرهـا مـن المهيمنـات الثقافية

ارتهـان المشروع الثقـافي العراقـي للدكتـور شـعبان بـالمشروع النقـدي، تمثلتـه سيرتـه النضاليـة مـن جانـب، وتاريـخ علاقته بالحركات السياسـية العراقيـة، وبكل التحولات التـي عصفت بها من جانـب آخـر، فـكان مشروعه الثقافي تمثـيلاً واقعاً وعقلانيـاً لفاعلية النقد، ولأهمية ربط تشـكلات الوعـي النقـدي بالوعـي الحقوقـي، إذ شـكّل هـذا الـتلازم مرحلـة مهمـة مـن حياة د.شـعبان في إدارتـه كـثيراً مـن الملفات الحقوقية في العالم، من خلال مراجعـة ونقد تاريخ الحروب والصراعات، فجعـل مـن تمثيلـه للقانـون الـدولي نوعاً مـن التكييف الثقـافي لشرعنـة النقد، على وفـق مواثيق العـالم المتـحضر وقوانينـه، وفي أن يجعـل مـن النضـال الحقوقـي والأخلاقي مجـالاً موازيـاً للدفاع عـن «محنـة العـذاب» الـذي تواجهـه هويّـات ومكونـات وأسماء و»أقليـات» وثقافـات عاشـت محنـة الصراع وعصاباته

لقـد كان الـتلازم بينـهما تمـثّلاً سـيميائياً لذلـك الصراع الـذي عاشـه المثقف العراقـي كجزء من تلـك المحنـة، مـع السـلطة والانقلابـات والحروب والاسـتبداد والمنفـى، ومن يقرأ كتابات شـعبان حـول شـعرية الجواهـري وشـعرية مظفـر النـواب بوصفـهما رمزيـن شـعريين لما يمكـن تسـميته بـ»الوجـدان الوطنـي» سيكتشـف كـثيراً من إحالات «المقموع السـياسي» مثلما سـيُبرز حساسـية الناقـد إزاء مـا تحملـه قصائـدهما مـن توريـات ومجـازات ومكبوتـات، فـضلاً عما تكشـف عـن هواجـس نقديـة للتمـرد والثـورة والتـوق إلى الحـب والحريـة، فكانـت نظرته للجواهـري تنطلق مـن شـعرية الجواهـري ذاتـه، بوصفهـا تجربـة تسـتبطن «البصمـة الوجوديـة التـي تؤثـر وتتأثر بالعـالم، لكـن مـا قصدتـه هو عنـاصر الرّؤيا كما أدركهـا من عاصروا الشـاعر والتقـوه ووقفوا على طرائق تفـكيره»[1].

قراءة د.شـعبان لشـعرية الجواهري تكشـف عما يمكن تسميته بـ»**شـعرية النقد**»، فالجواهري

1- الإضاءة في المقدّمات وهوية الشعر في «جواهر الجواهري» - عبد الحفيظ بن جلولي - جريدة القدس العربي - 1 يوليو 2024.

كان مـن أكثر الشـعراء إثـارة للجـدل، ولمقاربـة الأحداث السياسـية والثورية والتحـولات العاصفة في الحيـاة العراقيـة، بوصفه شـاعر الحدث، الشـاعر الـرائي، والقارئ العميق لما يسـتبطنه الحدث السـياسي مـن حمـولات ثقافيـة، إذ كان يسـتقرأ من خلالهـا التشـكلات والاصطفافـات والهويات التـي تؤسـس ظاهـرة ذلـك الحـدث، فـكان حـاضراً في ثـورة 1920 وفي انـقلاب بكـر صدقـي، وفي أحـداث 1948 الداميـة التـي فقـد فيها أخـاه جعفر الجواهـري، وفي أحـداث 1958 وغيرها، وهو مـا أكدتـه **الشـاعرة سـعاد الصباح** بوضـع الجواهري في مسـتوى «العصر الشـعري».

النظـر إلى شـعرية الجواهـري يتسـق ومـا تصنعـه القصيـدة مـن شـغف بالحيـاة، ومـن فكـر يتعـالى بقوتـه وبدلالتـه كاشـفاً عـن علاقـة الشـعر بالحيـاة ذاتهـا، وبالأفـكار، وبالوعـي العميـق لـدلالات تلـك الأحـداث في التاريـخ، وفي الزمـن النفسي، بوصفهـا تُعبّر عن مواقـف وعن صراعات ومخاضـات، وعـن رؤى يصوغهـا الشـاعر بنـوع مـن البلاغـة والفخامـة التـي وسـمت قصيدتـه، فكانـت قرينـة بـه، في صخبهـا وفي هدوئهـا، في نقدهـا وفي تمردهـا، ليجـد فيها الباحث د.شـعبان مجـالاً ثقافيـاً لتسـويغ مقاربتـه عـن «المثقـف / الشـاعر النقدي» وعـن علاقة شـعرية الجوهري بمظاهـر النقـد السـياسي والاجتماعـي، إذ «تنفتـح الشـعرية عنـد الجواهـري على تلـك المواجهـة الهادئـة حينـاً والعاصفـة أحيانـاً مع الأشـياء، حتى إنه يجعل مـن القصيدة كينونـة وحدها تدوي في فضـاءات المحافـل بمعـزل عـن الشـاعر الـذي يرقـب في الوقـت ذاتـه عـودة القصيـدة إليـه، فالقصيـدة عنـد الجواهـري نضـال محايـث لوجـود الشـاعر في العالم»[1].

مظفر النواب وشعرية التجاوز

في كتابـه «**مظفـر النـواب.. رحلة البنفسـج**» يأخذنـا الباحث عبد الحسين شـعبان إلى فضاءات النـواب الشـعرية، ليكشـف مـن خلالهـا عـن هواجـس الشـاعر وهـو يوظـف أسـئلته النقدية في مواجهـة التاريـخ والسـلطة والأيديولوجيـا، فيكشـف عبر هـذا الكتـاب عما هو عميـق في السيرة، وعـن مرائـر لحظاتـه الوجوديـة والشـعرية، وعـن صـوت الشـاعر الـذي يسـتبطن وجـوده عبر القصيـدة، فالقصيـدة هنـا مجـال أنثربولوجـي يمنـح اللغـة طاقـة التمثيـل، مثـلما يتعالـق عبرهـا بعـوالم كانـت هـي العمـق الإنسـاني للشـاعر، في أسـفاره وفي منافيه الوطنيـة، وفي شـغفه بالحياة والحلـم والنضـال، فكانـت قصيدتـه هـي ذاته، مثلما هي انـتماؤه، حيث يمكث فيهـا على طريقة

1- المصدر السابق.

هولدريـن ليرى العـالم جيـداً، ولكي يحتـج مـن خلالهـا صارخـاً، منافحـاً، حـالماً، على حـد توصيفه بـ«**شـاعر الصراحـة الفـذ**» كما قـال الدكتـور عبد الواحـد لؤلؤة

لقـد وجـد الباحث عبد الحسين شـعبان في شـعرية النواب أنموذجه النقـدي، لتطبيق أطروحته حـول الشـاعر الـذي يتجـاوز المكان والزمـان، ليجد في اللغـة برهانه على الوجـود، فتكون الأمكنة جـزءاً مـن ثورتـه الوجوديـة النضالية والإنسـانية، ويكون الزمن سـائلاً، يتجاوز مـن خلاله التاريخ النمطـي إلى «تاريـخ آخـر» تصنعـه القصيـدة عبر بنيـات نسـقية تتمثلهـا أصـوات ويوميـات وأسـفار، تمـور بـالأسى والحـب وقلـق الوعي، وسـؤال الحريـة، فهو ليس شـاعراً كلاسـيكياً بالمعنى التوصيفـي، لكنـه الأقـرب إلى الشـاعر الـذي يجعـل مـن القصيـدة غنـاء ونـداء، وهاجسـاً نقديـاً يتجـاوز في «حكايـة الأجيـال» الشـعرية في العـراق، ليكـون أنموذجـاً خاصاً لتجربتـه، عبر الانوجاد العميـق في «الزمـن الشـعري»، حيـث يمـارس وظيفـة المثقـف / الشـاعر النقـدي، تمثـيلاً وانحيازاً لوعيـه، وكاشـفاً عـن فاعليـة التجـاوز، حيث يكـون التجاوز الشـعري تجـاوزاً وجوديـاً ونقدياً.

لقد «عاش النواب حياته زاهداً أقرب إلى قديس، مستقيماً وصادقاً وشجاعاً في مواجهة الزيف والكذب والخنوع» كما يقول د.شعبان، تتملكه رغبات عاصفة لرؤية العالم، ولمواجهة صراعاته، فهو وريث تاريخ من التعالي، مثلما هو قريب من تحولات عميقة، جعلته شغوفاً بالتجاوز والتمرد، وربما أكثر توقاً لفكرة «الثورة الدائمة»، تلك التي ظلّت ترافقه، وتساكنه في شعريته، وفي أسئلته التي لا تنفك تحاصره دائماً، فعاش الهروبات من السجون وفي المنافي، بحثاً عن الفكرة المتعالية لمفهوم الوطن، مثلما جعل قصيدته المحكية وكأنها محاولة لكسر إيهامات الغربة، والاقتراب من الناس الذين لا تهمهم الثورة بقدر ما تهمهم الحياة والحب والحرية..

كتب عن فلسطين، في لحظة سبيها، لتكون شيئاً عميقاً في مشروعه النقدي، باعتبار أن استلاب الأرض هو استلاب للإنسان، فوجد فيها «الأيقونة التي لا يكتمل الشعر دونها، وهي القصيدة الدائمة عنواناً للتحرر والعدالة، وهي أهم قضية إنسانية عادلة على مستوى الكون، وإذا كان البشر هم في صيرورة إنسانية واحدة، فالقلق الإنساني الذي يعيش في ذواتنا وفي كل ذات إنسانية هو العدالة، والعدالة لفلسطين باستعادتها دولة حرة ديمقراطية تتسع للجميع»[1].

هذا الكتاب ليس بعيداً عن مشروع د.شعبان النقدي، ولا عن أطروحاته في مقاربة التاريخ

1- مظفر النواب: الشاعر والإنسان في «رحلة البنفسج» - موسى إبراهيم أبو رياش - جريدة القدس العربي - 5 ديسمبر – 2023.

العراقي، إذْ يمثل مظفر النواب واحداً من أكثر تمظهراته الثقافية إثارة للجدل، ومن أنساقه الأكثر حيوية في تمثيل العلامات النقدية، والشفرات التي تخص ظاهرة التجاوز والمفارقة، وسؤال المثقف النقدي، وحتى المثقف العضوي في سياق دوره داخل الحراك العام، وفي تبنّي قضايا المجتمع وتوجيه نضالاته السياسية والاجتماعية، فبقدر ما يرى د.شعبان في ظاهرة النواب تمثيلاً لـ «**الشاعر الملتاع**» ولـ«**الشاعر المنفي**» فإنه يجد فيه أنموذجاً نقدياً لدراسة مفهوم الاغتراب الوجودي عبر الشعر، فكان يجده «مغترباً ليس مكانياً فحسب، بل كان اغترابه عضوياً أبعد من ذلك في وطنه وبين رفاقه وفي حزبه، وكان في الكثير من الأحيان يشعر بالانفصال والغربة عمّن حوله بقدر ما كان يشعر بالألفة والانسجام مع الناس البسطاء، فما بالك حين يكون مظفر مغترباً جسدياً وروحياً، سواء في الوطن أو في المنفى، في السجن أو في خارجه. وحين يكون في ذلك المحيط الاغترابي يستدعي خصوصيته وفردانيته، وحتى في سجنه كان يدفع حائط السجن ليُطلق العنان لخياله ليرى قلبه حراً طليقاً في عالم الغربة، فالسجن كمكان مغلق لم يتمكّن من حبس مخيلته»[1].

كما أن اهتمام الباحث د.شعبان بشعرية النواب، لا تعني محاولة كتابة سيرة علاقته الشخصية بالشاعر، وتتبع عوالمه عبر يوميات مشتركة، وربّما عبر زمن سياسي وثقافي وأيديولوجي مشترك، بل يتمثل اهتمامه في إبراز فاعلية مشروع النواب بوصفه جزءاً من اشتغالات الدرس الثقافي وفاعليته النقدية، على مستوى قراءة تجربته في مرحلة الريادة الشعرية فيما بعد السياب، وانفجار القصيدة الجديدة التي تمرد عليها النواب، ولم يطق المكوث في تجريبها الغرائبي، فانحاز إلى ما هو إنساني وحسّي وواقعي، حيث تلتصق القصيدة بالهمّ العام وبهواجس العشق الإنساني، ففي لغته «يطغى عنده حبّ اللغة لدرجة العشق والتولّه، فهو راصد وقارئ ومصوّر وموسيقي يحس بالأشياء ويشّمها ويسمع نبضها، ويقوم بتفكيك الظواهر وإعادة تركيبها لاستجلاء قدراتها وإظهار دلالاتها، بالمألوف واللامألوف»[2].

النواب.. الأنثروبولوجيا والقصيدة المحكية

لاشكّ أن الشعر ليس خزيناً لغوياً فحسب، بل هو مجال إيحائي ورمزي لتمثيل كثير من المخزونات والعلامات التي تجعل منه موضوعاً لاستبطان مكبوتات نفسية وتعبيرية، يتقوض فيها المركز اللغوي لصالح «هوامش» إبلاغية لها علاقة بالوجود الاجتماعي، وبالتمثّلات

1- مقاربة استهلالية مظفر النواب - صورة عن قرب - عبد الحسين شعبان - الحوار المتمدن - 23 - 9 – 2023.

2- مظفر النواب: الشاعر والإنسان في «رحلة البنفسج» - موسى إبراهيم أبو رياش - جريدة القدس العربي - 5 ديسمبر – 2023.

النفسية والطقوسية والعادات والتقاليد، حيث تكون اللغة هي المجال الأنثروبولوجي والنسقي الحاضن لما تُنتجه اللغة من علامات وممارسات، تكون القصيدة في مستواها المحكي أكثر تعبيراً عن «الهويّة العميقة» بتوصيف **فتحي المسكيني**، لأن الشعر الشعبي هو شعر الذات في وجودها، وفي تمثيل طقوسها، وفي التعبير عما تستبطنه استعاراتها ومجازاتها، فوجد النواب في هذا الفضاء الشعري عمقاً أنثروبولوجياً، قاده إلى التعرّف والكشف، وإلى ابتداع قاموس شعري تحوّل إلى مخزن حافظ لموروثات الجنوب العراقي، ولرموزه وبيئته وعاداته وخفايا عشقه وموروثاته الدرامية والتراجيدية.

قراءة الباحث عبد الحسين شعبان للقصيدة النوابية في هويّتها المحكية تجعل منه أكثر اقتراباً من تجربة النواب ليس الشعرية فحسب، بل مما هو أنثروبولوجي فيها، فالنواب عاش في مراحل نفيه السياسي في مناطق ريف العمارة في محافظة ميسان، فساكن عشائرهم، وتعرّف على عاداتهم، ونهل من قاموسهم الذي وجد فيه سوانح وعلاقات وصوراً أغنت مخيلته الشعرية المدينية، مثلما وجد فيها سهولة التطويع، فاصطنع منها بلاغة متعالية زاخرة باستعارات ومجازات، عدّ البعض صياغتها بأنها ثورة في الشعر العراقي، فكانت قصائده «**الريل وحمد**» و«**زرازير البراري**» و«**حجام البريس**» و«**البراءة**» و«**صويحب**» وغيرها علامات فارقة في التاريخ الشعري، وتجديداً للقصيدة المحكية التي لم تخرج عن مرجعيات الشاعر الحاج زاير.

لقد كانت مقاربة د.شعبان النقدية للقصيدة المحكية النوابية تأكيداً على حيوية رحلته العميقة في الشعر، وبياناً لوعيه في إدراك ضرورة التحوّل الشعري، إذ جعله النواب فضاء أسلوبياً وغنائياً وتصويرياً جديداً، فعدّ «القصيدة النوابية مرحلة جديدة من الحداثة الشعرية باللغة المحكية (الشعبية) وتميّز النواب بلغته الثرية ومفردات قاموسه المتنوعة وصوره الباهرة، فضلاً عن جمالية تركيباته المجازية، وتعتبر قصائده لوحات فنية يمكن قراءتها بتأويلات وتفسيرات واستعارات ورمزيات متنوعة. وشاعت في قصيدته المنبرية الشعاراتية التحريضية التعبوية؛ لأنها قصيدة مباشرة تخاطب العواطف والمشاعر والأحاسيس، وتجتمع في قصيدته صور مختلفة متداخلة ومتفاعلة، والصورة تولد صورة أخرى، بحيث تصبح القصيدة أشبه بحكاية وحبكة درامية»[1].

1- المصدر السابق.

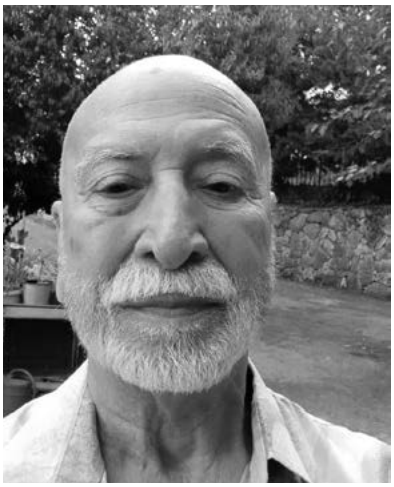

عن قلمٍ اسمُه عبد الحسين شعبان

د. عمران القيسي[1]

1- فنان وناقد وشاعر لبناني من أصل عراقي.

بمثابة تمهيد

يا لَها من مهمة صعبة أن تكتب عن المفكّر وفكره، وأن تتحوّل أنت بالذات إلى قلم يستلّ العبارة لكي يكشف عن هذا الجواب الذي يجيب على الأسئلة كلها

ترى كيف صار هو الراصد، أي (الصيّاد)، وأنا تعرفت عليه قبل 60 عاماً (طريدة)، هربت وإياه من تحت الرصاص، كان صيف بغداد لاهباً، وكنت قد هربت مع بقية المتظاهرين من ساحة السباع في شارع الكفاح، وكنّا لا نعرف إلى أين سنتّجه وإلى أين سنذهب؟ انسحبنا إلى زقاق في منطقة الفضل، لندخل جامعاً، وكان قد حان موعد الصلاة، فوقفنا مع الجموع لنصلي وعيوننا ترصد كلّ حركة، حتى زال الخطر

بعد ذلك كلّ اتّخذ منفاه، وكنّا نتصل ببعضنا مراراً، وكان شعبان المفكر الإنسان بمثابه الذاكرة اليقظة، وهو يتابع أوضاع المنفيين الذين وصل بعضهم حدود القطب الشمالي، وبعضهم وصل إلى البلدان التي تستقبل الشمس قبل الجميع، وكان يكتب ويكتب باستمرار، وكأنه وُلد وهو يحمل قلماً بيده وورقة يخطّ عليها أفكاره، كما وصفه أحد الأصدقاء، وكنت أسميه (بروليتار) الكتابة، وكنت أرسم وأمنحه أغلفة لكتبه، ولم يكن موت الصديق عنده سوى الحافز كي يعيد إحياء ذكراه، ذاكرة حية، هذا الذي اسمه شعبان، ولم يكن منذ أن خلق عبداً لبشر، بل كان يدرك بأن دوره هو الرصد والمتابعة، وأنه الوريث الشرعي للحق الإنساني

المدرك الثقافي

يقول الباحث الأكاديمي الدكتور (**ميشيل توماسللو**): «إننا كبشر كبار ناضجين إذ نبحث ونتناول الوجود البشري، لا نستطيع أن ننزع عن عيوننا نظاراتنا الثقافية ونرى العالم متجرداً من الثقافة، أي عالم غير مصبوغ بثقافتنا، وذلك حتى تتسنى لنا مقارنته بالعالم كما ندركه ثقافياً»

إذن إدراك العالم ثقافياً هو الهدف الذي يسعى إليه الدكتور عبد الحسين شعبان، أما الغاية بعد الإدراك، فهي تقرير الواقع كما يجب أن يكون، وليس كما هو كائن، فهل هذا الكاتب والثري بعطائه يصر على استمرار حلمه بوطن يتواطن مع الطموح الثقافي؟ ربما هو

حـالم بالديمقراطيـة والحريّـة وحقوق الإنسـان

وهـذه الأحلام ليسـت سـهلة التحقـق، ولا هـي جاهزة، فدونها الموت والسـجن وربمـا الإعدام، تـرى متـى نـدرك أننـا نعيش في هـذا العالم الذئبـوي أو المسـتذئب، الذي يفترس حتـى جرحاه؟

نعـم إن الـبشر يأخـذون المعـارف ويسـتخدمونها حسـب الأطـر والرمـوز، أي حسـب السـياق الثقـافي كما يقـول **نعـوم تشـومسكي**، ولكـن متى سـندرك أن الثقافة هي مصنوع فنـي اجتماعي، وهـي أيضـاً وأيضـاً أداة تكيّـف متطور مـع واقعها الاجتماعي؟ إنها الاسـتخدام الجيـد للتعبير عن وجهـة النظـر المبـاشرة، وهنـا يجـب أن ننتبـه لكتابـات الدكتور شـعبان، فهـي في أبـرز معطياتها تكشـف عـن مضمـون العلاقـة بين **اللغـة وفكـر الثقافـة**، فهـذا الرجـل مليء بالمعرفـة، وهـو من نسـل الملحوظـات الخـطيرة إزاء ظواهـر الخـارج، لذلك يجتهـد لكي يجيء كلُّ كتاب عنـده مغايراً لما سـيأتي بعـده، وكما جـاء قبلـه، إنـه لا يـرثي المتـوفَّين الذيـن رحلـوا، بـل يجعـل مـن موتهـم مهرجانـاً لاحتفاليـة الاسـتمرار بالحيـاة والحضور

وهـو وإن لم يعـش في زنزانـة سـجن الموقـف مـع مظفـر النـواب، ولم يهـرب معـه إلى الأهـوار، أو يعيـش الـدم في حرائـق (الكـحلاء)، ولا أُخْضِـع للتحقيـق في الـبصرة، فقد كان (مظفـر النواب) رفيـق سـجون وأشـعار بالنسـبة لي، لكنـه كان أبرع منـي حين كتب عنـه بلغة الياسـمين وبرائحة البنفسـج، هـذا هـو الوفـاء للرمز، إذ جاء مـوت مظفر النـواب ليحوله إلى رمـز (معمداني) يصرخ فيـه بريـة العـرب دون أن يعمدهـم بطهرانيـة أنهرهـم، التـي باتـت مسـتنقعات في هـذا الزمـن المسـلوب، نسـميه زمـن **الصهيود** أي جفـاف الأنهر

العلاقة مع الدين والموروث

يـرى الدكتـور نبيـل الراعـي في كتابـه -**الثقافـة العربيـة وعصر العولمـة**- «**أن حـوار الدين مع الفكـر سـيبدو مغرقـاً بالأخلاقيـات**، عـلماً أن الديـن هـو مـن العنـاصر الوثيقـة الصلة بالفلسـفة والعلـوم والفنـون، وهـو يوطـد علاقتـه بالتكنولوجيـا أيضـاً»، لذلك سـيبدو النقاش حول المسـألة الدينيـة ضروريـاً، لكـن هنـاك من يتصـور أن الضرورة ضرر، ويحصّن الدين بـكل ما في الممنوعات مـن مواقـع، لكـن لـو قرأنـا عبد الحسين شـعبان في كتبـه «**دين العقـل وفقه الواقـع**» أو في كتابه «**تحطيـم المرايـا في الماركسـية والاخـتلاف**» أو في كتابـه «**كوبـا الحلـم الغامض**» أو كتبـه الأخرى، وهنـا أود التوقّـف عنـد كتابـه «**الـحبر الأسـود والـحبر الأحمـر: مـن ماركـس إلى الماركسـية**»،

والـذي ضـمّ 40 مسـاهمة نقديـة لكتابـه تحطيـم المرايـا، والذي توقّف فيـه عند الديـن والتديّن، ومقاربتنـا الموضوعيـة للديـن بنظـرة جديـدة، فإننـا سـنجد حـواراً ذكيـاً ومعمقـاً حـول السـلوك الدينـي بالذات

إنـه يسـقط أوهـام المـوروث، وينهـض حقائـق التأويـل لأنـه يسـتند أساسـاً إلى رهـط مـن الفلاسـفة العقلـيين أمثـال الكنـدي والفـارابي وابـن رشـد، مسـتمداً ذلـك **الوعي الغنـوصي** كحاله تلبسـت العديـد مـن المفكريـن المسـلمين، وبخاصـة أولئـك الذيـن تلبسـتهم الـروح الأفلاطونيـة الحديثـة، إنـه العقـل الـذي سيتمسـك بـه شـعبان وهـو يكتـب عـن جوهـر الصراع بين مـا هـو منفتـح ومـا هـو إلغـائي، خصوصـاً في كتابه «**جـذور التيـار الديمقراطـي في العراق**»، زمـن ما قبل الانقلابـات، وسـيطل النـص الجـريء وهو يكتب عن رجـل دين علماني مـات دون أن يخلده أحد سـوى شـعبان، أو ربمـا يكتـب عـن الجواهـري الشـاعر المتمـرّد بلغـة متمرّدة

ولم ينـس حين دوّن علاقتـه الروحيـة بنحـو 48 شـخصية فكريـة وثقافيـة عربيـة وحملهـا في كتـاب اشـتمل على 16 بلـداً تحـت عنـوان «**الزمـن والنخـب - في أنطولوجيـا الثقافـة العربيـة**»، وهـو يدلـف اليـوم بإنتـاج «**أنطولوجيـا الثقافـة العراقيـة**»، مسـلطاً الضـوء على خيرة المثقـفين العراقـيين كجهـد معـرفي توثيقـي تاريخـي منصـف ومتميّـز

الاستمرار ومبدأ الشك

قلنـا إن أهـم مـا في حضـور حـسين شـعبان هـو الحالـة الاسـتمرارية، وهـي كما أعتقـد حالـه دفاعيـة أسّسـها بـذكاء المثقـف المثابر، لأن مبدأ الشـك الذي طلـع مثل نبتة بريّـة بين ثنايا عقله، جعلـه الباحـث الحقيقـي عـن الحقيقـة، ولم يجـد هـذه الحقيقـة أساسـاً إلّا في الرجـوع إلى سير الذيـن عاصرهـم مـن المفكريـن والقادة

ولم يكن شـكّه مرضياً، بل كان معرفياً **ديكارتياً**، لأن العالم الذي نعيشـه الآن يقوم على ركيزتين وركـنين: **مـدرك عـقلي**، و**مـدرك حسي**، فـإذا كان رواد المـدرك العـقلي وصلـوا إلى حـدود التجربة، فـإن رواد المـدرك الـحسي لم يبلغـوا الملمس الانفعالي للمدركات الحسـية، لذلـك كان بعض القادة مـن يسـاريي العـراق، يحلمـون بـأن يكـون لديهم وطن آخـر غير هذا الـذي يعيشـون فيه، وهو مـا كان يحلـم به شـعبان كنخبوي رومـانسي من اليسـار العراقي؟!

ولـو قرأنـا عـن محنة الحكـم في العراق كما يراهـا ويدوّنها المفكر عبد الحسين شـعبان، لأدركنا بأننـا يجـب أن نفكـر أولاً وآخـراً بمصـادر الالتـزام الأخلاقي الإنسـاني مـن الداخل، حتى نكتشـف أن قـوانين وأعـراف المجتمـع مسـتمدة مـن الخـارج أصلاً، وأن القيـم ليسـت منزّلـة، بـل هي من صنـع الإنسـان، وهـي صفات أضفاهـا الـبشر على كل شيء في الكون

إنني حين أريد أن أكتب عن كاتب ومفكر أعرفه جيداً، أضطرُّ لاسـتحضار فيلسـوفنا وأسـتاذنا **ابـن رشـد**، وبخاصـة في قولـه: «إذا كان الناس متفاوتين في الوصول إلى الحق فسـبب ذلك **اختلاف في مدركاتهـم العقليـة لا اختلاف في الحق، فالحق واحد**»

وبمـا أن الكتابـة هـي أسـمى صـور الحـق لأنهـا كالفلسـفة التي تسـعى إلى معرفـة كل موجود بمـا هـو موجـود، لذلـك يستحسـن أن نذهـب إلى معتقـد (محمد بن عبـد الجبار النفـري)، الذي يذهـب مـع (**المكابـيين**) الذيـن يـرون بـأن قـوّة النـص المكتـوب تكمـن في تفاعلـه الـخلّاق مـع العقـل الواعـي، وتـقترب كـثيراً مـن حالـه الاندمـاج في جوهـره الثقـافي، التـي رآهـا رجـل معاصر مفكـر وفنـان هـو أسـتاذنا الراحـل **شـاكر حسـن آل سـعيد** بأنهـا الكشـف عـن كل مـا هـو وراء اليـقين وصـولاً إلى يـقين اليقين

استدراك على النص الشعباني

إن اكتسـاب المهارات المعرفية يحتاج إلى اندماج الكائن المفكر في الحركة الاجتماعية الجياشـة، بحيـث يـصير جـزءاً لا يتجـزأ مـن ديالكتيكهـا الـخلاق، وهـذا التفاعـل الأبـدي بين كل النقائـض سـوف يـؤدي حـتماً بتحـول كل تراكـم كمّـي إلى تطـور نوعي، مـن هنا يمكـن التعامل مـع النص المكتـوب كنتـاج حقيقي ومكفـول لحركة تتجاوز التفـسير وترتقي إلى مسـتوى التفكيك الإبداعي للحـدث، وبالتـالي بنـاء الـعمارة النصيـة بمـا يمكن أن تصـل إلى معنى آخر يسـعى إليـه الكاتب

فعبـد الحـسين شـعبان لا يكتـب نصـاً جاهـزاً، بل يكتـب ذلك النـص المجبول بالمهـارة الفكرية والمعرفـة شـبه الكليـة، إنـه المليء بالمعنـى الآخـر للنصوص الموروثة أو المسـتمدة مـن الآخرين

هنـا التميّـز يأخـذ معنـاه الأوسـع عبر تنـاول المشـهد الـخبري بوسـائل رديفـة تـفسره وتمنحـه الحقيقـة، التـي تنحَّـت عـن جوهـره، فـأي مشـهد بلا حقيقـة لا يُمَكَّن للكاتـب الـذي تناوله لأنه سيكشـف عـن عـورة المشـهد الغـارب عـن التوثيـق والتحليل

شعبان كاتب ومفكر وليس عقلاً آلياً يرتكن على ميكانزم الكتابة السهلة، فنصه يكاد يكون مرصوداً بصعوبته وضروراته، إنه الصعب الضروري في زمن طغيان النصوص البدهية، سواء عبر النقد أو التحليل أو الرواية، إنه زمن السهولة المولودة من رحم الكسل الفكري، وهذا ما تجنبه شعبان في أغلب مؤلفاته، وذلك لكي تصير جزءاً من وجهها الأزلي، وعلى الكاتب كما يقول (**ماركيز**): أن يكون صياداً للنص القابل للتحليل، إنه يشيّد عمارة من الهندسة الافتراضية كما يفعل (سكاربا) أو (زها حديد)

أي كتاب أصدره شعبان هو حاله انتماء إلى هذا الزمن الذي هو عالم المقال، أو بلغة أوضح نطاق الفكر بكل ما يحفل من معطيات استدلالية توضح حقيقة العلاقات والتكوينات البنيوية للعالم

لتُكتب المزيد من هذه النصوص التي يمكن للفلسفة التفكيكية -مع الاعتذار من (**كارل بوبر**)- أن تجعل منها أنموذجاً لمعرفة العالم.. إننا نريد أن نعرف أنفسنا، وهذا ما يفعله شعبان

المفكر العربي

د. فرهاد محمد[1]

1- رئيس تحرير مجلة گولان - Gulan وعضو قسم الثقافة والإعلام للحزب الديمقراطي الكردستاني

أسلوب القراءة النقدية هو أفضل أسلوب للحديث عن الفكر والمفكرين وتقييمهم، وهو ما يعادل الورقة النقدية التي تحدد قيمة الشيء وكرامته، وينبغي أن أعترف من البداية بأنني لا أملك ذلك النقد لتحديد القيمة الفكرية للمفكر الكبير عبد الحسين شعبان الذي تبرع بمكتبته الخاصة لجامعة اللاعنف اللبنانية، لذا فإنني أقرؤها فقط من وجهة نظر الصحافة الكردية، ويتمتع كاتب هذه السطور بتجربة ثلاثين عاماً من المعرفة مع هذا المفكر والعديد من المفكرين العرب الآخرين الذين عملوا فعلاً من أجل الحوار الكردي - العربي، وبذلوا جهوداً مضنية في هذا المجال، ونحن كشعب كردي نكنّ لهم كل الاحترام ونفتخر بهم

بعد انتفاضة عام 1991 التي شارك فيها عموم الشعوب العراقية بما في ذلك إقليم كردستان، فقد أعاد نظام البعث السابق وللأسف السيطرة بالقوة على المحافظات الوسطى والجنوبية، كما احتل جيش البعث مرة أخرى محافظات أربيل والسليمانية ودهوك، وبسبب قيام معظم مواطني هذه المحافظات الثلاث بمغادرة مدنهم ووصلوا إلى حدود الدول المجاورة، وعددهم أكثر من مليون نسمة، أحدث ذلك كارثة إنسانية كبيرة هزت الرأي العام العالمي، واضطر المجتمع الدولي إلى إصدار **قرار مجلس الأمن الدولي رقم 688**، ووفق هذا القرار فقد تم تحديد منطقتي حظر الطيران، **الأولى** تمتد من الشمال ومن حدود الدول الثلاث «تركيا، سورية، إيران» إلى خط 36، وتم تحديد منطقة حظر الطيران لمحافظات إقليم كردستان، أما في الجنوب فلاحقاً تم تحديد منطقة حظر الطيران من خط 32 للمحافظات الجنوبية حتى حدود الخليج، ولم يتم تنفيذ منطقة حظر الطيران للمحافظات الجنوبية، وبسبب قيام نظام البعث السابق بسحب مؤسساته من المحافظات المذكورة، لذا قررت **الجبهة الكردستانية** إجراء انتخابات حرة لسد هذه الثغرات الإدارية، وكان ذلك عاملاً لتشكيل إقليم باسم «**إقليم كردستان**» كأمر واقع، وأصبح له برلمانه الخاص وحكومته المحلية، وبصيغة أكثر تحديداً فقد تم تحرير جزء من العراق من الدكتاتورية وحكم نظام البعث السابق، ويعتبر ذلك تحولاً كبيراً في تاريخ تأسيس الدولة العراقية على مستوى العراق والمنطقة

أصبح تأسيس إقليم كردستان كجزء من «**العراق الحر**» مكاناً آمناً لعموم قوى المعارضة العراقية وجميع المفكرين والمثقفين داخل العراق وخارجه، وفي هذه البيئة الجديدة، طُرحت مرة أخرى عام 1992 فكرة إعادة تفعيل «**الحوار العربي - الكردي**»، يُذكر أنّ الزعيم الكردي

مصطفى بارزاني دعا عام 1943 وفي بداية **ثورة بارزاني الثانية**، إلى «**حوار كردي - عربي**» جاء ذلك في رسالة تاريخية بعثها إلى السياسي العربي المصري **عبدالرحمن عزام باشا**، ومن ثم وخلال **ثورة أيلول** تواصلت الجهود لتعزيز هذا الحوار، وبخاصة مع العرب الشيعة، بين الزعيم مصطفى بارزاني وسماحة آية الله **محسن الحكيم**، وبعد **اتفاقية آذار 1970**، أُعيد رفع الشعار المعروف الذي نصفه كردي ونصفه عربي: «**هەربژی کرد وعەرەب رمز النضال**» (وهي أغنية من شعر زاهد محمد وألحان وغناء أحمد الخليلي - 1959)

إحدى الشخصيات البارزة في تفعيل الحوار العربي - الكردي المفكر العربي الكبير **عبد الحسين شعبان**، الذي مهّد لعقد أول «**مؤتمر للحوار العربي-الكردي**» في لندن (1992)، ثم شارك بفاعلية في المؤتمر الثاني الذي انعقد بالقاهرة (1998)، واستمر عقد تلك المؤتمرات فيما بعد في الأردن وتونس وغيرها، إضافة إلى إقليم كردستان

تتجاوز دائرة هذا الاهتمام في فكر عبد الحسين شعبان بـ»الحوار العربي - الكردي» أكثر من أنه مجرد الحوار بين العرب والكرد، فقد تم استخدام كلمة «**كردي**» في هذا العنوان كمرادف لإقليم كردستان العراق، هذا الحوار هو مع كافة القوميات والديانات المختلفة في كردستان، بما في ذلك الكرد والتركمان والكلدان والسريان والآشوريون، بالإضافة إلى الديانات مثل الإسلام بمذهبيه الشيعي والسني والنصارى والأزديين وغيرهم

وكما رأينا فإن هذا المفكر دافع عن حقوق جميع ضحايا إرهابيي داعش بشكل عام والإخوة النصارى بشكل خاص، وهنا أحاول تقسيم هذا الموضوع إلى عدة محاور

1. الحوار العربي-الكردي كعامل لبناء سلام دائم:

منذ قيام الدولة العراقية في العشرينيات من القرن الماضي، لم تكن هناك صراعات قومية ودينية بين الشعبين الكردي والعربي وجميع مكونات الشعوب العراقية، وفي عام 1943 أوضح الزعيم مصطفى بارزاني هذه الحقيقة لعبدالرحمن عزام باشا وكتب له: «إن ثورتنا ليست حرباً ضد الأمة العربية، بل هي ثورة ضد النظام الذي يضطهد الكرد والعرب معاً»، إن هذه السطور تحولت بعد اندلاع ثورة أيلول 1961 إلى شعار الثورة «**الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان**»

وكان مـن بين النخبـة والمثقـفين العـرب العراقـيين وفي الوطـن العـربي العديد من الشـخصيات البـارزة التـي كان لهـا نفـس القناعة بعـدم وجود تعصب دينـي أو قومي بين المكونـات العراقية، ولكـن مـا هـو موجـود ومنـذ قـرن هو أنـه لم يشـهد العـراق اسـتقراراً وسلامـاً، وكل ثـروات هذا البلـد ذهبـت للـسلاح ودُمـر بـه الوطـن في حـروب أهليـة، هـذه هـي سياسـة ورغبـة الأطـراف والقـوى السياسـية، التـي تسـعى للبقـاء في السـلطة بالقـوة والقمع

نفهـم مـن خلال فهـم الأسـتاذ شـعبان لأهميـة الحـوار العربي-الكـردي مـن وجهـة نظرنـا «**الصحافـة الكرديـة**»، أنـه لا وجـود لأيـة مشـكلة بين عمـوم الشـعوب العراقيـة في فكـر هـذا المفكـر، وبخاصـة بين الشـعبين الكـردي والعـربي، إذا أردنـا حلهـا عـن طريـق الحـوار، بـل هـو في الأسـاس وكما تـم إنشـاء العـراق بالقـوة وبـإرادة الإنجليـز، وتـم إنشـاؤه بطريقـة لا يشـهد معهـا الاسـتقرار والـسلام، وعلى نفـس المنوال فقد نشـأت مشـكلة بين مكونات المجتمـع العراقي وبخاصـة بين الكـرد والعـرب

إن هـذه المشـكلة المصطنعـة تتطلـب أن يتحـول مسـتوى الحـوار «مـن المسـتوى السـياسي ويتوسـع إلى مسـتوى نخـب ومثقفـي كل العراق»، هذا التفكير للأسـتاذ شـعبان هـو الذي يقصد بـه «المشـكلة الكرديـة في العـراق»، عـلماً بأنـه يـشير إلى حقيقـة هـي أن لا وجود لهذه المشـكلة على المسـتوى الشـعبي لـدى القوميـتين «الكرديـة والعربيـة»، لذلـك يجب أن يكـون هناك حوار صريـح ومسـتمر بين النخبـة والمثقفين من الجانـبين، من أجل أن تتحـول «إدارة الأزمة -conflict management الى تحـول الأزمـة- conflict transformation»، وهاتـان العمليتـان مختلفتـان كـثيراً مـن حيـث الآليـة والمضمـون، ففـي العمليـة الأولى «إدارة الأزمـة»، ميـزان القـوى يحـدد الحـل، وهـذا يعنـي أن المشـكلة تبقـى كما هـي، ولكـن ميـزان القـوى يفـرض نوعـاً مـن وقـف إطلاق النـار، أمـا في الطريقـة الثانيـة، فـإن «تحـول الأزمـة»، أي التفاهـم والحـوار الصريـح بين مختلـف المكونـات في الوطـن، يخلـق أرضية متينة للمصالحـة والسلام الدائم الـذي لن يفكر فيه أي طـرف بالعنـف والتعصـب الدينـي والقومـي ضـد الطـرف الآخر.

الأسـتاذ شـعبان يريـد أن يقـول لنـا وبنفـس أسـلوب فلسـفة إيمانويـل كانـت: إنه «لـن يكون هنـاك سلام واسـتقرار في هـذا الوطـن الذي يسـمى العـراق إلا إذا وضعنـا حداً لعقليـة التعصب والتطـرف، ولـن يكـون هنـاك تعايـش في هـذا الوطـن إذا لم نؤمـن بوجـود الآخريـن وحقوقهـم، ولـن تتـم حماية كرامة الإنسـان في هـذا الوطن إذا تـم التعامل مع الديانـات والمذاهب المختلفة

خـارج نطـاق العقل»

هـذا الفهـم الكـبير للتعايـش بين مختلـف الشـعوب والديانات، والتسـامح تجاه الآخـر يعيدنا إلى فهـم فولـتير الكـبير للتسـامح الـذي يقـول: «التسـامح يعنـي الاعتراف بأننـي كنـت مخطئـاً، وليـس المقابل»

وفي هـذا السـياق فـإن رسـالة الأسـتاذ شـعبان ليسـت فقـط للكـرد والعـرب على أن يكونـوا قادريـن على التسـامح بعضهـم مـع بعـض، بل موجهـة إلى جميع المكونـات المختلفـة في العراق، حيـث لا توجـد في الأسـاس أيـة مشـكلة، بـل هنـاك مشـكلة مصطنعـة منـذ عقـود، تتطلـب منـا التسـامح بيننـا، حيـث لم يتـم فهـم السـبب الرئيس للمشـكلة حتـى الآن، وهو التعصـب القومي والدينـي التـي خلقتهـا الأنظمـة الدكتاتوريـة المتعاقبة

2. الوجود في هذا الوطن.. إعادة تعريف القومية والدين:

عندمـا نتصفـح تاريـخ الدولـة العراقيـة، نجـد أن تاريخها كباقـي دول العالم، يحتـوي على عدد مـن «الصفحـات السـوداء والدمويـة»، ومـن ثـم لا يمكن الادعاء بـ»أن ما حدث قـد حدث وعفا الله عمّا سـلف»، وذلك لأن أحداث التاريخ لا تفنى وتبقى حية إذا لم نحدد من الأسـاس أسـباب هـذه المشـكلات ولم نحـاول حلهـا معـاً، فمنـذ 85 عاماً ترفـض الولايـات المتحدة بعـد إعلان بيان الاسـتقلال جميـع أشـكال العبوديـة، والعبوديـة كانـت موجـودة فعلاً، اكتشـف أبراهـام لنكولن أعظـم جريمـة في التاريـخ الأمريكي وعمـل عليها، بمعنى «الكفر الأسـاس لأمريـكا: العبودية وإرث تفـوق البيـض الكـبيرة»، وأنهـى نظـام العبودية، وهكذا أعـاد للعبيد معنـى «الوجود».

وفي تاريـخ الدولـة العراقيـة، إذا كانـت هنـاك محاولـة لتصحيـح صفحـات التاريـخ السـوداء، فإنهـا لم تنجـح، لأن الجهـود كانـت «سياسـية»، وكانـوا يبحثـون عـن حلـول سياسـية وليـس عـن حلـول جذريـة، وإضفـاء المعنـى بوجـود هـذا الوطـن كوطـن للجميـع، وإضفـاء المعنـى بوجـود الشـعب العراقـي كصاحـب لهـذا الوطـن

لقـد كانـت جهـود الأسـتاذ شـعبان وتفـكيره في المفاهيـم التـي تصبـح أساسـاً لقبـول البعـض الآخـر، هـي مـن وجهـة نظـر هـذا الموضـوع البحث عـن إجابة سـؤال «كيـف للوجـود معنى؟». هـذا السـؤال كما يقـول هايدكـر موجـه إلى كل شيء، أي «السـؤال عـن الشيء»، وفي فكر الأسـتاذ

شعبان فإن هذا السؤال موجه إلى كافة جوانب المجتمع وإلى معنى وجود الوطن

إذا نظرنا إلى وطننا العراق، نجد أنه موجود كعضو في منظمة الأمم المتحدة، لكنه ليس موجوداً كدولة قومية «Nation State» حديثة ذات سيادة، وعلى سبيل المثال، كنا رسمياً خاضعين للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة حتى عام 2010، ومنذ عام 2003 توجد في العراق بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (اليونامي)، ويتم تجديد مهامها كل عام، لأن الوضع في العراق لم يعد إلى طبيعته بعد، وهذا يعني أن «العراق موجود كدولة ولكنه ليس له وجود»

وعلى صعيد الوطن العربي من «المحيط إلى الخليج» والذي سمي الوطن العربي وتُعرّف جغرافيته بأنها قلب كوكب الأرض، فهو موجود كجغرافيا، ولكنه ليس له وجود كوطن عربي، فنحن نشهد الهجمات الإسرائيلية الوحشية على غزة، والتي تدمّر المستشفيات والمدارس على الأطفال، لكن لا توجد قوة تسمى الوطن العربي

ويحاول الأستاذ شعبان إعادة تعريف وجود العرب كأمة في خضم هذا الواقع المرير، ويثير تساؤلاً: «لماذا أصبحت الأمة العربية غريبة عن تراثها ودينها؟ لماذا نشعر الآن بأن هذه الأمة العظيمة، التي كانت لديها حضارة وإمبراطورية منذ آلاف السنين، معزولة بشكل من الأشكال عن بقية العالم؟ ما الذي جعل الأمة العربية تتراجع يوماً بعد يوم؟». وفي محاولاته للإجابة عن هذه الأسئلة، فقد عمل بشكل مكثف على «الهوية»، وحاول في هذا المشروع أن تكون للأمة العربية هويّتها، بحيث تكون قادرة على التكيّف مع شعوب العالم الأخرى ومع الوضع الجديد للتقدم التكنولوجي وأن تتّمتع بالابتكار والتقدم.

وعلى صعيد التعصب الديني والمذهبي الذي يسود المنطقة كلها والوطن العربي، وصل إلى حد تطهير بعضهم البعض على الهويّة الدينية والمذهبية، وأدت كذلك إلى «الإبادة الجماعية»، ويتساءل الأستاذ شعبان: لماذا يجب أن تصل الاختلافات الدينية والمذهبية إلى درجة يقوم فيها طرف بتطهير الطرف الآخر؟ ما العوامل التي تنتج الفكر المتطرف والإرهابي مثل داعش؟ كيف يطرأ التغيير على هذا الوضع وإعادة بناء ثقافة اللاعنف؟

في الإجابة عن تلك الأسئلة إلى جانب كونه أستاذاً في جامعة اللّاعنف، يعمل على نشر ثقافة اللاعنف والتسامح والسلام على الصعيد العربي، بل على الصعيد العالمي أيضاً، وكان قد قرر

وضـع مكتبتـه الكـبيرة في خدمة الباحـثين والطلبة للاسـتفادة منها

ونحن الصحفيين كيف نقرأ هذا الفكر السامي للأستاذ شعبان وماذا ننهل منه؟

رداً على هذا السؤال نقول:

- **يعلّمنا أن بداية حل أي مشكلة تبدأ بحسن نية السلام والتخلي عن نوايا الحرب.**
- **يعلّمنـا أنـه لا توجـد أمـة تتفـوق عـلى أخـرى، ولذلـك فهـو يصنـف الأمـم جنبـاً إلى جنـب، وليـس مـن الأعـلى إلى الأسـفل.**
- **يعلّمنـا أن الديـن «كل الأديـان»، والمذاهـب داخـل الأديـان «أي ديـن»، هـي الأسـاس الأخلاقـي لتنظيـم المجتمـع، فـلا يرفضهـا العقـل ولا يفضّـل دينـاً عـلى آخـر، ولذلـك فـإن الاختـلاف الدينـي والمذهبـي يمكـن أن يكـون سـبباً لقـوة المجتمـع، وليـس سـبباً للحـرب والدمـار.**

كان الهـم الأكبر للأسـتاذ شـعبان في مجمـل هـذه الأفـكار حـول أهميـة معنـى «الوجـود»، هو حـب وطنـه، وهـو العـراق، ويـرى أنّ العراق بلـد نموذجي على صعيـد الشرق الأوسـط والمنطقة، فهـو مهـد الحضارة وفسيفسـاء التعايش بين القوميـات والديانات المختلفة، ولذلـك فإنّ الطريقة الوحيـدة أمـام العـراق لكي يعيـد معنـى «الوجـود» كدولـة يجـب أن تـحترم حقـوق الكـرد كأمة تعيـش فـوق أرضهـا أيضـاً، وأنْ يكـون لمكونات العـراق المختلفة وجـود في مناطقهـا، فعندما يتم خلـق هـذا الوجـود، سـيكون لهويـة الشراكـة الوطنيـة وجـود حقيقي، وسـيكون للعـراق الوجود كدولـة نفتخر بهـا جميعاً.

3. المصير المشترك ومستقبل هذا الوطن:

كما قـال **ميشـيل فوكـو**، لـو جمعنـا الفكـر الإنسـاني كلـه في جملـة واحـدة، يصبح ذلـك إجابة عـن هـذا السـؤال البسـيط: «كيف يمكننـا أن نجعل من الفلسـفة فـن إدارة الحيـاة؟»، أو بعبارة أخرى يسـأل: «لماذا تعتبر الشـجرة، أو المصباح، أو الكرسي موضوعاً للفن، لماذا لا نحوّل الفلسـفة إلى فـن للحياة؟»

إنّ هـذه البدايـة تقودنـا إلى القـول إن «الفكـر أو المفكـر» في أفـكاره ومشـاريعه هدف واحد:

كيـف يحـوّل هـذا الفكـر إلى فـن وينظم بـه حياة أمتـه ووطنه

وفي هـذا الإطـار، كرّس الأسـتاذ شـعبان كل تفـكيره ومشـاريعه الفكرية وحضـوره في المؤتمرات الفكريـة والسياسـية لجعـل «الفكـر» أساسـاً لإعطـاء معنـى لـ»الحيـاة»، وكذلك لجعـل «الفكر» أساسـاً لحل المشـكلات، ومع أن إطار هذا التفكير واسـع وينبع من الإنسـانية، إلا أن الهدف هو إحلال الأمـن والاسـتقرار في العـراق والشرق الأوسـط والوطـن العربي وإنهاء الحـروب والصراعات ليحـلّ فيهـا الـسلام، ولكننـا سـنؤكد هنـا فقـط جانـب «فكـر» الأسـتاذ شـعبان الـذي يريـد أن يصبـح الفكـر هـو الأسـاس لحل كافة المشـكلات في العـراق والتعايش السـلمي الأخـوي بين كافة الشـعوب والديانـات المختلفة.

النقطـة الأساسـية في فكـر الأسـتاذ شـعبان بالنسـبة لـ»الوطـن» هـي أن الوطـن قـدر لجميـع مكونـات العـراق المختلفـة، مما يعنـي أننـا ككـرد وعـرب وعمـوم المكونـات المختلفـة لا نعـرف لماذا نعيـش في وطـن يسـمى العـراق، على سـبيل المثـال لو سـقطت الموصل في أيدي فرنسـا بعد الحـرب العالميـة الأولى بموجـب **اتفاقيـة سـايكس بيكو** وأصبحت جزءاً من سـورية، لكنّا سـوريين أو لم نكـن عراقـيين، وعلى نفـس المنـوال لـو كانـت الموصل تمنـح إلى تركيـا، لأصبحنا ككـرد أتراكاً، ولسـنا عراقـيين. وبيـنما الجغرافيـة هي نفسـها، ولكن الأسماء سـتتغير، وينطبـق الشيء ذاته على العرب السـنة والشـيعة

إذن عندمـا يكـون الوطـن «قـدراً» للمكونـات المختلفـة في الوطـن الواحـد، فـإن هـذا القـدر يجمعهـم في مـصير مـشترك، هـذا تمامـاً مثـل ركّاب السـفينة الذيـن قـد يحملـون هويّـات قومية مختلفة، لكن لهم نفس المصير في السـفينة، وإذا غرقت السـفينة فسـيغرقون جميعاً ولا يُنقذون

يـرى البروفيسـور شـعبان في هـذا الإطـار أنـه يجـب أن تكـون سلامـة السـفينة همنـا جميعـاً، عندمـا يقـع العـراق كدولـة في زوبعـة بحـر السياسـة الدوليـة، ولا تسـأل الزوبعـة هذا كـردي أو عـربي، سـني أو شـيعي، وعلى سـبيل المثـال، عندمـا احتـل نظـام صـدام حـسين الكويـت، قصـف التحالـف الـدولي العـراق بأكملـه، وقتـل مـن جميـع القوميـات والديانـات على حـد سـواء، بعد ذلـك عندمـا فُـرض الحصـار على العـراق، تـم فرضـه على جميـع مواطنـي العـراق بمـن فيهـم مواطنـو إقليـم كردسـتان، الذيـن لم يكونـوا تحت سـيطرة نظام البعـث، ولكن كجزء مـن العراق، كان الحصـار الـدولي يلاحقـه أيضـاً

إذن يخبرنا الأستاذ شعبان في هذا الإطار أن الوطن «في السراء والضراء» يجمعنا «القدر» في مصير مشترك واحد، بل وأكثر من ذلك إذا كانت هناك حروب ومشكلات على المستوى الداخلي، وهذا لا يعني أنه إذا كانت الحرب والمشكلات موجودة في جزء من العراق فإن الأجزاء الأخرى ستكون هادئة ومستقرة، ولن تؤثر على الأماكن الأخرى من العراق، وقد شهدنا التجربة المريرة للحرب بين الأنظمة العراقية والثورات الكردستانية. صحيح أن الجيش العراقي حارب البيشمركة في كردستان، ولكن كان كل أبناء العراق من الكرد والسنة والشيعة جنوداً حيث أصبحوا وقوداً لتلك الحرب.

إن رسالة الأستاذ شعبان لمستقبل هذا الوطن وفق هذه الخلفية التاريخية المريرة للعراق كدولة، هي أنه من المهم أن تغيّر جميع المكونات العراقية «طريقة تفكيرها»، وذلك لأن محاولة خلق حقبة جديدة، يسمونها في أوروبا «الحداثة»، لم تكن شيئاً آخر إلا تغييراً في «طريقة التفكير»

وبعد سقوط النظام السابق في عام 2003، تهيأت أرضية للمعارضة العراقية من أجل التفكير في عراق جديد وإنهاء تاريخ الحرب وسفك الدماء، شاركوا معاً في كتابة دستور وصوّت عليه الشعب العراقي في عام 2005، وللأسف تم اتباع الطريقة القديمة عند تنفيذ الدستور الجديد، ولم يتمكن من تغيير هذه الطريقة، ولذلك فإن نظام البعث قد انتهى منذ أكثر من 20 عاماً، ولكن على الرغم من أن العراق دولة غنية ويبيع حوالي 4 ملايين برميل من النفط يومياً، إلا أنه لا تزال هناك بعض الخدمات الأساسية يحرم منها المواطنون مثل «مياه الشرب والكهرباء». فإذا جعلنا من تفكير ونهج فكر الأستاذ شعبان نبراساً ينير الطريق لاتخاذ الخطوات لحاضرنا وللمستقبل، يتضح لنا:

- **اتفاق جميع العراقيين، بغض النظر عن القومية والدين والمذهب، على مبدأ «اللّاعنف»، وهو ما يعني طيّ صفحة ونية الحرب وإحلال نية الخير والسلام محلّها.**

- **الإيمان والاعتراف بحقوق ووجود الآخر، وهذا يعني أنّ الآخر: كردي أو تركماني أو كلداني أو سرياني أو آشوري أو عربي أو من مذاهب مختلفة مثل السنة والشيعة، فإنه يجب من منظوره أن تكون حقوقه ووجوده معترفاً بها ومثبتة.**

- **أن تختار جميع القوميات والديانات العراقية المختلفة هويّة مشتركة «للعراقية» ضمن ثقافاتها المتنوعة، وهذا يعني أنه ينبغي أن لا تكون هوية «العراقية» مبنية على هويات فرعية عرقية ودينية أخرى وبالعكس.**

- **إنّ نقطة الخلاف بين مكونات العراق خُلقتْ وهي غير موجودة أساساً، ولذلك يمكن القول إن كل الخلافات بين مكونات العراق المختلفة هي نقاط مشتركة بينها أواصر قوية ومترابطة، وأصبح مثل هذا الترابط نقطة قوّة للعراق كدولة، وللعراق كوطن مشترك، وأرضية متينة لإعادة بناء العراق بسرعة كبيرة.**

أخيراً، أود أن أقول وفي ضوء فكر الأستاذ شعبان: إن هناك قناعة لدى السياسيين من مختلف المكونات في العراق «الشيعة والكرد والسنة» في العملية السياسية الحالية، بأن الطريقة الوحيدة لحل جميع المشكلات والقضايا العالقة هي قبول المبدأ الذي أسماه الأستاذ شعبان مبدأ» اللّاعنف»، لخلق فهم جيد ووعي جديد، في إطار منظومة خطوات وقوانين وإجراءات وأنظمة لوضع حلول للمشكلات المطروحة سلمياً بصورة متدرّجة وأفق مستقبلي على أساس احترام متبادل لحق تقرير المصير والمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، ولاسيّما إذا استخدمنا الفلسفة كفن للحياة، حسب ميشيل فوكو، وهكذا يمكن أن يكون مبدأ «اللاعنف» فناً للعراق، لإعادة بنائه وتنميته وإسعاد مواطنيه وفقاً لقيم المواطنة المتساوية والمتكافئة وأساسها الحريّة والمساواة والعدالة، ولاسيّما الاجتماعية بحدّها الأدنى والشراكة والمشاركة، وكما يقول شعبان: «نحن شركاء في الوطن وينبغي أن نكون مشاركين باتخاذ القرار»، حينذاك نستطيع أن نفتخر بأننا ننتمي للعراق المتعدّد الثقافات والمتنوّع الانتماءات القومية والدينية واللغوية والسلالية، وطناً لنا جميعاً.

هذا ما رصدناه من مساهمات وكتب ودراسات عبد الحسين شعبان في الصحافة الكردية، التي لم يغب عنها منذ أكثر من 3 عقود من الزمن، وهو حاضر معنا في همومنا ومشكلاتنا، وشريك لنا في تطلّعاتنا وآمالنا كصديق وفيّ لشعبنا الكردي نعتزّ بصداقته ونقدّر مواقفه النزيهة حقّ التقدير، فقد كان إلى جانبنا في السرّاء والضرّاء

رحلة العطاء التي لا تنضب

د. فريدة العلاقي[1]

1- القائم بالأعمال الليبي لدى الاتحاد الأوروبي سابقاً، ناشطة سياسية ومدنية ومستشارة قضايا التنمية الإنسانية

تشرفت بدعوتي من دار الدكتورة سعاد الصباح لتوثيق شهادتي بشأن المفكر العربي الدكتور حسين شعبان لضمها في كتاب تصدره دورياً الدار في «يوم الوفاء»، والذي تم ترشيح الدكتور شعبان لهذا التكريم خلال هذا العام 2024، وقد سبقه إلى ذلك الشاعر الكبير نزار قباني والكاتب المعروف ثروت عكاشة والصحافي المبدع غسان تويني والمفكّر المغربي عبد الكريم غلّاب والمفكّر التونسي الحبيب الجنحاني والروائي الليبي إبراهيم الكوني

منذ ثلاثة عقود تقريباً، حظيت بالتعرف شخصياً على الأخ والصديق الدكتور شعبان، حيث جمعتنا مؤتمرات وندوات واجتماعات فكرية وسياسية وثقافية عربية ودولية، تعلّمت منه الكثير، وقرأت له العديد من الأبحاث والدراسات القيمة، والتي تقاطعت مع مجالات عملي ومع اهتماماتي الفكرية والسياسية والعملية، وبخاصة كتاباته عن قضايا المجتمع المدني والحريّات والديمقراطية وحقوق الإنسان، حيث كان داعيةً للتجديد والتنوير، فضلاً عن الدفاع عن حقوق المظلومين، إلى جانب انشغاله بقضايا النزاعات والحروب والتسامح واللّاعنف، وهي موضوعات حيويّة، قدّم فيها معالجات متميّزة على الصعيدين الفكري والممارساتي

وعلى مدى العقود الخمسة الماضية، كان د.شعبان في رحلة تنوّعت محطاتها، حيث انطلقت من مواجهة الظلم السياسي والاقتصادي والثقافي والدفاع عن الفقراء والمقهورين والمهمّشين والمعذّبين، إلى التركيز على أهمية نشر الوعي الحقوقي وثقافة الحوار والسلام وتعميمها، وتغليب قيم العقل والمعرفة والعلم وحب الوطن والتسلح بالشجاعة والصدق على الولاء والتحزّب والانتماءات الضيقة، سواء كانت السياسية أم الدينية أم الجهوية

وكان شعبان نموذجاً في إعلاء المشتركات والبحث عن الجوامع المشتركة وتقليص الفوارق في إطار هويّة موحّدة تقبل التنوّع، فهو عربي ومسلم وإنساني يعترف بالآخر وحقّه، يختلف أو يتّفق معه، فهو إنسان مثله، له ذات الحقوق التي وهبها إليه الله

وفي العديد من محطات مسيرته كان سبّاقاً في سبر أغوار قضايا ومواضيع تعتبر من ضمن الممنوعات التي صنفتها أنظمة سياسية تسلطت في السيطرة على شعوبها، وتشبّثت بكلّ الوسائل لبقاء في السلطة، لذلك سعت تلك الأنظمة حجب الحق في بحث مثل هذه المواضيع، محرّمةً الخوض فيها، ومحاربةً كلّ من يتصدّى لها، وبالطبع دفع الدكتور شعبان ثمن مواقفه

باهظاً، سواء بالسجن أو مغادرة الوطن والعيش في المنفى، وهو حال الآلاف من الوطنيين المعارضين على امتداد خريطة الوطن العربي، إلّا أنه حظيَ بثقةٍ غير محدودة من المظلومين الذين وقف إلى جانبهم، وأعرف شخصياً، كليبية، كم كان موقفه مشرّفاً من قضايا حقوق الإنسان الليبي في ظروف عصيبة، وكان بذلك رمزاً حقيقياً

تمكن الدكتور شعبان بكل مهنيّة وحرفية وابتكار من أن يجسّر الفجوة بين الفكر والتنفيذ، وبين التنظير والواقع، وبين المراجعات النقدية الشجاعة والمبادرات العملية المتميّزة، وعلى يده تخرّج المئات من النشطاء العرب، حيث شكّل مرجعيّة لهم في تنمية الوعي والتبصّر بالحقوق، مع مراعاة الخصوصية الوطنية وتراث أمّتنا وقيمها وشريعتها السمحة، فقد كان متصالحاً مع التاريخ والتراث، وسعى لنقد سلبياته واستلهام ما هو إيجابي منه لخدمة الحاضر والمستقبل، كما أنه ظلّ يؤكّد المصالحات الوطنية وتطبيق العدالة الانتقالية وبث روح التسامح والسلام وصولاً إلى المشتركات التي تُسهم في الانتقال الديمقراطي لتجنّب العنف وما سيتركه من آثار ضارّة على صعيد المجتمع والفرد والتنمية

وأظنّ أن على عاتق المفكّر شعبان، وغيره من المفكرين والحقوقيين العرب ومن بلدان الجنوب، تقع مسؤولية مراجعة الأفكار والآراء ووجهات النظر بشأن القيم الإنسانية المشتركة التي نلتقي فيها نحن والعديد من النخب والنشطاء الحقوقيين في الغرب، لأن ما حصل بعد عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 يتطلّب التوقّف بجديّة لقراءة الأجندات الغربية بدقّة بما فيها قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، والتي أثبتت الوقائع بما لا يدع مجالاً للشك ازدواجية المعايير التي يعتمد عليها الغرب، بل أحادية تلك المعايير التي تخدم مصالحه، وما عداها ليس سوى «إرهاب» و«تخلّف» و«عنف» و«تعصّب»، وهو ما لمسناه من سيل الدعاية الديماغوجية بعد عملية طوفان الأقصى، حيث تقاطر قادة الدول الغربية على تل أبيب معبرين عن موقفهم المؤيّد لها دون أي حرج لما يعانيه الشعب العربي الفلسطيني بشكل عام وسكان غزّة بشكل خاص من هدر سافر لأبسط الحقوق، بل التنكّر لحقّه في الوجود، مما يشكّل إدانةً لمواقف الحكومات الغربية، ويثير أسئلةً حول صدقية إيمانها بالدفاع عن قضايا حقوق الإنسان، تلك التي دائماً ما تثيرها بوجه منطقتنا وشعوبنا منزّهة نفسها من الارتكابات، بل مستخدمة دور القاضي في محاكمة أوضاع حقوق الإنسان العالمي، في الوقت الذي تغضّ النظر عن ممارساتها وممارسات حلفائها المنافية لأبسط حقوق الإنسان

لقـد أسـقطت عمليـة طوفـان الأقصى آخـر مـا تبقّـى مـن أوراق التـوت التـي حاولـت القـوى الغربيـة المتنفـذة التـستّر خلفهـا وانكشـفت عورتهـا اليـوم على نحو صـارخ، حيث افتُضـح زيفها وممالأتهـا للعنصريـة الصهيونيـة المنفلتـة من عقالها، وهي تقـوم بعملية حرب إبادة ضدّ سـكّان غـزّة العـزّل باللجـوء إلى تـدمير البنية التحتية وقطـع الماء والكهرباء والوقود والغـذاء والدواء عما يزيـد على مليـوني إنسـان أمام مرأى ومسـمع مـن العالم

أقـول ذلـك للأسـف، انكشـف نفـاق الغـرب وبهتـان مزاعمه التـي يبشّر فيهـا، والتي يسـتثني شـعوبنا منهـا، وإلّا فكيـف يؤيـد حربـاً شـعواء ضدّ سـكان آمنين.

هـذه وغيرهـا أسـئلة تواجـه المفكريـن العـرب وفي مقدّمتهـم د.حـسين شـعبان، تحتـاج إلى حـوارات مفتوحـة وجـادة، سـواء مـع الحكومـات أم مـع منـظمات المجتمـع المـدني العالميـة

إن تكريـم د.شـعبان هـو تكريـم لـكل مثقـف عربي سـاهم في عمليـة التقـدّم والتنويـر، وقدّم الكـثير على صعيد حقوق الإنسـان والتسـامح والـسلام واللّاعنف، وهو تكريم للثقافة والإنسـانية والخلـق الرفيع

العراق الذي في خاطري

لبنى بن عبد الله[1]

1- رئيسة نادي المثقفين العرب - محامية وناشطة حقوقية - تونس.

بمناسبة تكريم المفكّر العربي الدكتور عبد الحسين شعبان في «يوم الوفاء» من قِبَل سعادة الدكتورة الشيخة سعاد الصباح الموقرة داعمة الثقافة العربيّة، استذكرت يوم تكريمه في تونس سنة 2016 من قبَل المعهد العربي للديمقراطيّة والجامعة الخضراء ومركز الجاحظ، حين استهلّ كلمته صادحاً ببيت شعر للشاعر عبدالرحمن بن زياد الذي يقول فيه

ذكرت القيروان فهاج شوقي فأين القيروان من العراق؟

وقد صدرت وقائع حفل التكريم الكبير في كتاب بعنوان: «عبد الحسين شعبان - تونس والعرفان»، عن دار الفارابي (بيروت 2017)، وقدّم لها معالي د.خالد شوكات، رئيس المعهد العربي للديمقراطية

أبدأ حديثي كما بدأ د.شعبان من تونس، فهذه تونس المتوسطيّة الموقع والمنصهرة مع شعوبه وعاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم وفكرهم تماهت مع المشرق العربي الذي وصلنا بفتوحات عربية إسلاميّة، حيث تُعدُّ مدينتها القيروان منارة حضاريّة إسلاميّة حقيقيّة، ويمثّل جامع الزيتونة الذي شُيّد في القيروان صرحاً حضاريّاً حقيقيّاً، فهو شقيق الجامع الأزهر الشريف في مِصر، وزميل جامع القرويين في فاس المغربية، إضافة إلى الصلة الروحية بالمسجد الأقصى، وهذه جميعها تتداخل وتتفاعل مع النجف الأشرف ومدرستها الدينية المعمّرة التي مضى عليها ألف عام

والحديث عن شعبان لابدّ أن يجرّنا للحديث عن النجف، تلك المدينة العريقة التي يجتمع تحت لوائها الدِّين والأدب، فهي كما يقول شعبان مدينة دينيّة بامتياز مثلما هي مدينة تتطلّع إلى الجديد وفي داخلها جدل عميق، حيث تتجاوز فيها الأضداد على نحوٍ متميّز

إذا كان الشعب التونسي يحمل جينات المتوسط، فهو يتكلّم العربية أيضاً، ويُدين بالإسلام ويحمل هُويّتهما، ورغم قربه من الغرب ظلَّ لصيقاً بالمشرق العربي متطلّعاً إليه باعتباره عمقه الحضاري والتاريخي وفي توقه المشرقي غير المتناهي كان العراق أحد أقوى أعمدته الأساسيّة. والمشرق يقوم على دعامتين مركزيّتين هما مِصر والعراق وما بينهما سورية في ثلاثيّة حضاريّة متكاملة. ولا طريق إلى المشرق وفلسطين في القلب من دون ذلك.

المشرق بلاد الأنبياء والأولياء والأوصياء، حيث يجتمع كل ما هو أصيل، البحر بالنّهر والجبل بالوادي والعمران بالصحراء في طبيعة أقرب إلى التكامل والمثالية، حيث الطقس المعتدل، وكما قال عنها المفكّر شعبان في أحد كتبه نقلاً عن الرئيس الأمريكي آيزنهاور: إنها تمثّل أقْيَم قطعة عقار في العالم

العراق الذي لم أزره

العراق الذي في خاطري منذ أن قرأت عن زواج الرجل القوي باني بغداد أبي جعفر المنصور من أروى القيروانيّة، حتى شعرت بقرابتنا مع العراق، ولأني مولعة بالحضارة المشرقيّة زرت العديد من دولها، وكانت عيني على العراق دائماً أتسقّط أخباره وأتابع ما يحصل فيه وأرنو بعواطفي نحوه، على أنّني تعرّفت على العراق أكثر فأكثر من خلال كتب ومحاضرات ومقالات د.شعبان، وكنت قد كتبت مادّة بمناسبة تكريمه في تونس بعنوان «العراق الذي لم أزره"

ومنذ تعرّفي على المفكّر الصديق شعبان بعد الثورة التونسيّة بدأت بتدارك ما فاتني عن العراق من خلال مراجعاته الفكريّة الشجاعة في الأبحاث والمعلومات المنوطة، فضلاً عن معايشته الكثير من الأحداث والوقائع، وقد أخذت تتوسّع معرفتي بالعراق العظيم، ولم يدرْ بخلدي يوماً أنَّ الشيوعيّة وُلدت بجوار حضرة الإمام عليّ، وأن القوميّة العربيّة كانت قريبة من الدين، وأن المتديّنين كانوا يتحاورون مع المدنيين، وهم يسكنون في منزل واحد ويتعلمون في مدرسة واحدة، ويتبادلون الكتب والمناشير.

وكنت قد عرفت أن شاعر العرب الأكبر الجواهري هو من النجف أيضاً، وصديق للدكتور شعبان، الذي أصدر عنه أكثر من كتاب منذ أواسط الثمانينيات، وكان آخر إصداراته عنه «جواهر الجواهري» الذي قدّمت له الشاعرة سعادة الدكتورة سعاد الصباح، وكان كتاب شعبان «دين العقل وفقه الواقع» بمثابة إعادة قراءة ونقد وتجديد للفكر الديني، وقد اختار شخصية دينية كبيرة (أية الله سيد محمد الحسني البغدادي) ليحاورها، وهو ما فعله مع الفكر الماركسي بمراجعات نقدية جريئة في كتابه «تحطيم المرايا - في الماركسيّة والاختلاف"

العراق الواقعي وليس المتخيّل

مع غزارة إصداراته، بدأت مرحلة عميقة من التعرّف على العراق عبر شخصيات

عراقيّة خصّها الدكتور بكتب وأبحاث ودراسات ومقالات ومحاضرات في مختلف المجالات والاختصاصات المتنوّعة والمتعدّدة المنشأ والفكر والمرجع والانتماء في الشِّعر والسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والدين والآداب والفنون والمسرح والرسم والفن التشكيلي والهندسة المعماريّة من الكرد والعرب والتركمان، مسلمين ونصارى، تناولها بالدرس والتحليل والتوثيق والنقد وهي شخصيات عراقيّة متنوّعة من كل مدن العراق ومن جميع اتجاهاته الفكريّة والقوميّة ومناشئها الاجتماعية ومن كل أعراقها ودياناتها

ومن أبرزها مظفّر النواب الذي سافرنا معه في «رحلة البنفسج» و«أبو كاطع»، الروائي والصحافي «شمران الياسري» في كتاب «على ضفاف السخرية الحزينة»، والعلّامة علي الوردي، والشاعر الحداثي سعدي يوسف، والشاعر الكردي شيركوبيكه س، وشخصيات عامة أخرى مثل عامر عبدالله وسعد صالح وسلام عادل ووليد جمعة وطارق الدليمي وصلاح عمر العلي وشيرزاد النجار، الذي تشرّفت بمعرفته شخصياً، وبثينة شريف وخضير ميري وناهدة الرماح ووجدان ماهر ووالدته نجاة شعبان، وكأنّنا عشنا معهم.

لم يبخل شعبان في نشر نتاج صديق أو كتابة مقدّمة لكتابه أو تقديم تقريظ له، ويفعل ذلك بكل محبّة وتواضع وثقة بالنفس، ولا يهم إن كان الذي يكتب عنه كبيراً أم صغيراً، لكنه مميّز في نظره

كنت أكتشف وحدي ودون سؤاله عن أصول وديانات وأفكار مَنْ كتَبَ عنهم، ليظهر لي العراق واحداً موحّداً كأنّه قُدَّ من معدن خاص، حتى فطنت لاختلاف قوميّاتهم ومدنهم، فلم يفرّق يوماً بين العرب والكرد ولا بين أصولهم وانحداراتهم الدينية والاجتماعية ذكوراً أمْ إناثاً، وكلّهم أصدقاؤه الذين دافع عنهم وعن حقوقهم ومواطنتهم كما دافع عن الوجود النصراني، وكتبَ عدة كُتب بهذا الخصوص آخرها «أغصان الكرمة - المسيحيون العرب»، حيث اعتبر تضاؤل الوجود النصراني سيترك فراغاً رهيباً في الخبرات المالية والاقتصادية والحِرَفية والفنون، فضلاً عن الفداحة في المواطنة، وذلك في محاولاته لتأطير الهُويّة العراقية، وبعيداً عن التعصّب والتطرّف والغلوّ والطائفيّة والعرقيّة

ويعود له الفضل في تقديم مشروع يحرّم الطائفية ويعزّز المواطنة منذ أوائل الثمانينيات، وعاد وطوّره وشرحه في كتابه «جدلية الهُويّات في العراق». وحين يؤكد الهُويّة فإنّه يعتبرها

مجموعـة مـن الـسمات الثقافيّـة التـي تمثّل الحـدّ الأدنى المـشترك بين جميع الذين ينتمـون إليها، والتـي تجعلهـم يُعرفـون ويتميّـزون بصفاتهـم عمّا سـواهم مـن أفـراد الأمم والجماعـات الأخرى وتتطـور الهُويّـة بالانفتـاح على الـغير والمجموعـات الأخرى فهي ليسـت معطىً جاهـزاً أو نهائيّاً، إنّمـا هـي عمـل يجب إكمالـه دائماً بالتفاعـل وبحكم علاقة الإنسـان بالآخر وليـس بالانعزال. تلك الهُويّـة العراقيـة التي يسـعى إليها بالفكر والاسـتشراف

الذاكرة والبصمة التي لا تُمحى

مـع الدكتـور شـعبان وعبر حكاياتـه وصداقاتـه وكتاباته تعرف العـراق بنفس الـروح الجماليّة، سـواء حين يسـتعيد طفولتـه في عكـد الـسلام بالنجـف والمناسـبات الدينيّـة وحضرة الإمـام عليّ أو في بغـداد الـستينيّات، فيسـتذكر شـارع المتنبّـي وشـارع الرشـيد والبـاب الشرقـي وأبـو نـوّاس والأعظميـة والكاظميـة والوزيريـة. يذكرهـا لـك بالاسـم والموقـع والمسـاحة ويـكاد يرسـمها لـك كي تعيـش الحالـة كما كان يعيشـها لدرجـة أنـه يسـتحضرها، مـن دون أن يـنسى علاقتـه الوطيدة بكردسـتان وجبالهـا بسـليمانيّتها وأربيلهـا وصداقاتـه الكرديّـة المتميّـزة. ويُخبرنا بنقـدٍ موضوعيّ مـاذا حصـل في بشتاشـان التـي كاد أن يفقـد فيهـا حياتـه، التـي ظلّـت تحـت رحمـة الأقـدار لسـنوات طويلـة، والذئـب يترصّـده كما يقـول الجواهـري

لقـد أرّخَ شـعبان للعـراق لمـدة تزيـد على مئـة عـام في تحوّلاتـه وانقلاباتـه وثوراتـه وبعثييـه وشـيوعيّيه ورجـال دينـه وفكـره وشـعره وفنونـه وآدابـه، وهـو المنفـي لأكثر من عشرين سـنة في مـدن شرقيّـة وغربيّـة تـرك فيهـا بصماتـه وتركـت هـي الأخـرى تأثيرهـا عليـه مثل براغ ودمشـق ولنـدن وبيروت والقاهـرة، لكـن العـراق كان دائمـاً في قلبـه وعلى لسـانه، وعراقيّتـه تعاشـقت مع عروبيّتـه ليُنتجـا تسـامياً وسلامـاً كان أسـاس الحضـارة الإسلاميّة

وفي امتداداتـه العربيـة وعلاقاتـه المترامية الأطـراف كانـت فلسـطين المشروع والأمـل والحلـم يسـكنان فيـه، ولا يمكـن أن يتصـوّر عـالماً عربيّـاً وإسلاميّـاً دون فلسـطين

إن فكـره الوحـدوي التقدمـي ونزعتـه الثقافيـة وشـعوره بالانـتماء إلى أمة عظيمـة كانت وراء كتابتـه عـن 48 شـخصيّة عربيّـة بـارزة من جميـع الدول العربيـة ضمّها كتابه «الزمـن والنخب – في أنطولجيـا الثقافـة العربيّـة»، وهو تسـجيل حـيّ لواقع الثقافـة ومشـكلاتها وتحدّياتها ودورها الآني والمسـتقبلي، تلـك التـي يطمـح إليها هـذا المثقّف النقدي الموسـوعي.

العراق الذي زرته

ولحُسن حظّي شاركت مع الدكتور شعبان والعديد من الشخصيات العربيّة المرموقة في (حزيران 2024) في مؤتمر الحوار العربي الكردي، ووقع أن قابلنا رئيس الجمهورية الذي رعى المؤتمر، وكنت أعرف كم عمل شعبان من أجل القضية الكردية، فهو أوّل من دعا لحوار عربي - كردي منذ سنة 1992 بلندن، ثم قام بمبادرة بخصوص حوار الأمم الأربع (العربيّة، الكرديّة، الفارسيّة، التركيّة)، التي انعقدت في تونس 2016، ثمَّ نظّم مع منتدى الفكر العربي مؤتمر أعمدة الأمة الأربعة 2018 الذي كان بإشراف وتوجيه ورعاية سموّ الأمير الحسن بن طلال. وبين هذا وذاك كان ثمة مبادرات لحوارات جادة في بيروت وأربيل والسليمانية وبغداد.

وقد تسنّى لي وأنا في بغداد ملاحظة مدى اهتمام النخب الثقافيّة والسياسيّة وكل الأطياف السياسيّة والدينيّة والفكريّة به ورغبتهم في التواصل معه ودعوته إلى مراكزهم ومعاهدهم وجامعاتهم ونواديهم، فضلاً عن إقبال الشباب عليه وحضورهم الكثيف في المحاضرات التي قدّمها، والتي تشرّفت بحضور بعض منها مع العديد من المدعوّين العرب، وحين سألت عدداً من الأصدقاء العراقيين، كان جوابهم أنّه جامعٌ وغير مفرّق، وهو وطنيّ عراقيّ لا يهمّه الانتماء السياسي أو الحزبي أو القومي أو الديني، إنه يسعى لكي يستعيد العراق دوره ومكانته

وهكذا يمثّل المثقّف العضوي المتماهي مع الحريّة والعدالة، وهو علامة فكريّة وحقوقيّة فارقة بالنسبة للنخب، وهو ما حاول الاشتغال عليه ليس على المستوى العراقي، بل على المستوى العربي، فهو العروبيّ الأصيل وصديق الشعب الكردي، الذي يعتزّ الأخير بصداقته، وهو المُسلم المدافع عن الوجود النصراني، المحترم من اليساريين والمتديّنين على حدٍّ سواء وإن خالف توجّهاتهما، ويقدّره الشباب كما يعتزّ به الشيوخ، وما جزاء المحبّة إلّا المحبّة، فقد كتب هو عن الأدباء والشعراء دون شعور بارتفاع منسوب «الإيغو" أو أيّة علاقة بالحسد والغيرة، وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على سماحة خلقه ومحبته للآخر وتربية عائليّة نبيلة كان لوالدته ووالده الدور الأكبر فيها

وراء كل رجل عظيم امرأة

إنّها السيّدة نجاة حمود شعبان، سيّدة نسائه وحياته، فهي التي وقفت خلف عبد الحسين شعبان منذ البداية، وبسببه تعرّضت إلى الكثير من المضايقات من جانب السلطات

المتغطرسة من إيقافات وتحقيقات وضغوط لمدة تفوق العشرين عاماً صابرة بعيدة عنه وهو المنفي الذي تشرّد في أصقاع الدنيا، وتوفّي والده التاجر المعروف عزيز جابر شعبان الذي مات قهراً من ظلم المستبدّ.

وكما يقول، كانت الوالدة الأمّ والصديقة والرفيقة، تلك التي حُرم من سماحة وجهها لسنوات طوال، وحين التقاها في السنوات الأربع الأخيرة من حياتها لم تفارقه حتى توفّيت في أبريل/نيسان 2007. وأستطيع القول من يُنجح علاقته بأمِّه يَنجح في علاقته بالإنسان أينما كان، فالأُسَر المتوازنة تُنجب أبناء متوازنين، والأُسر الملأى بالحبّ والاحترام والعطاء تكوّن مجتمعاً ناجحاً

السيّدة نجاة وكأنَّ اسمها نجاة «تميمته» التي أنجتْه من كل المخاطر التي تعرض لها والتي حولها من محنة إلى منحة فارتقى في درسه حتى نال الدكتوراه في فلسفة القانون، وخطَّ طريقاً فكريّاً وحقوقيّاً، فأثّر في الحركة الفكريّة العربيّة التي كان أحد أبرز علاماتها الشاهقة حين حمل لوائها على أكتافه يجوب العالم مدافعاً عن قيم حقوق الإنسان، وشعبان ليس ضد الحاكم، بل ضدّ الاستبداد، سواء جاء من الحاكم أو من المعارضة، وكان خطابه معتدلاً ووطنيّاً غير مفرط أو مبالغ، لذلك كان مقتنعاً بأن بوصلته الإنسان وليس الأيديولوجيا أو الطائفة أو المذهب، والإنسان هو سيّد المخلوقات، وعليه تتلمذت أجيال عديدة.

وفي تونس نتذكر محاضراته السنوية في تكوين نشطاء حقوق الإنسان، في المعهد العربي لحقوق الإنسان، الذي كان عضواً في لجنته العلمية، أو المعهد العربي للديمقراطية الذي ما يزال رئيساً لمجلس أمنائه، وفي عديد من مراكز الأبحاث والتفكير الأخرى كان حاضراً وكوّن وأطّر وأشرف على أبحاثنا ودراساتنا وظلّ يتابعنا كأستاذ نجيب

المشروع

عبد الحسين شعبان صاحب مشروع الفكر التنويري الحقوقي القانوني، شريك لنا برأسماله الغني الذي يزداد ثراء يوماً بعد يوم، فقد ترك بصمته في الحركة الفكريّة العربيّة مؤطّراً وناقداً، حيث قدّم قراءة جديدة للمجتمع المدني تنسجم مع حركة شعوبنا دون إسقاطات من الغرب علينا ودون تحجّر أو صنميّة، بل دعا إلى الانفتاح مع الأخذ بمصالح شعوبنا العُليا

في لنـدن وبـراغ ودمشـق وبيروت وتونـس والقاهـرة والربـاط والجزائـر ونواكشـوط وطرابلس والكويـت والخرطـوم وعمان وعمـوم دول الخليـج، يحترمـه الحـكّام والمعارضـون على حدٍّ سـواء، ويقـدّره المجتمـع المـدني بـكل فروعـه وتوجّهاته ويعـتبره معلّماً وأسـتاذاً

كل هـذه المجهـودات الجبّـارة أخـذت من طاقته، فتميمتـه نجاة أنجته مرّة أخـرى، من عمليّة دقيقـة شـقّت صـدره لتعدّل عـضلات قلب أرهقته الغربـة والظلم والفقـدان والألم ومع كلّ ذلك كان يواجـه الأشـياء بأمـل غامـر وحبّ مسـتفيض، لأن دعوات والدته كانت معـه أينما حلّ.

وحين قـرأت اعتـذاره المتأخّـر لوالدتـه وكذلك مادتـه النثريّة «أحنّ إلى خبز أُمّـي – مع الاعتذار إلى محمـود درويـش» شـعرتُ كـم كان هذا الرجُل المكافـح العنيد الصابر متأثّراً بعائلته يسـتذكر حكايـات والدتـه ووالـده وقفشـاتهما، ولا تطيب جلسـاته إلّا باسـتذكارهما، وكأن الحديث عنهما تعويـض لفقـد لم يتجـاوزه، ولأنّي عاشـقة للآبـاء والأمّهـات أحببت السـيّدة نجاة ونورها المشـعّ في قلـب ابنهـا وعلى لسـانه، وأحببـت خشـوعه لوالـده الحـاج عزيـز شـعبان، فمن لم يكـن فيه خير لأهلـه فلـن يكون فيـه خير لغيرهم

أختتـم بالقـول في هـذه المداخلـة الخاصـة التـي أحببـت أن أدوّنهـا على الـورق لأضعهـا ضمن كتـاب التكريـم، كي نتعـرّف على شـعبان الإنسـان بحساسـيّته الإنسـانيّة وروحـه السـمحة، وعلى حـدِّ تعـبير أدونيـس إنّـه مثقّـف بصيغـة نخبة

وددتُ أن أختـم بموقـف شـخصي أذكـره لـه دائمـاً «مـن أوّل يوم التقيتـه أمـام البرلمان التونسي في حـراك ثقـافي فكـري اسـتمعت لـه كـثيراً طيلة زيارته هـذه ليقـول لي وهو مغادر تونـس: لبنى اكتبـي، لديك الموهبـة والأدوات واللغـات، اكتبي

لن أنسى كلماته هذه وأنا مدينة له بتشجيعي ودعمي.

كلماته كانت كافية لتحفيزي على الكتابة.

ها أنا اليوم «دكتوري» وأكتب عنكم ولكم، وهذا فخر واعتزاز.

شكراً سعادة الدكتورة سعاد الصباح، شكراً لهذا التكريم، في يوم الوفاء.

الشكر موصول للمُكرِّم والمُكَرَّم.

بورتريه عبد الحسين شعبان

لوركا سبيتي[1]

1- شاعرة وكاتبة ومقدمة برامج لبنانية.

استهلال

حين التقيت به لأول مرة عرفت أنني أمام رجل ليس عادياً، هدوؤه يشي بعبقريته، والتزامه الصمت كطريق يوصله إلى ما هو أهم مما يحدث من ثرثرة، طريقته الأخرى في الكلام!

ينتقي كلامه بكثير من العناية، مفردات هائمة كأن تدفقها لن ينتهي. وكذلك ينتقي صمته ويحترفه. يبتسم فيُسقِط شيئاً من الراحة على من يقابله، يضحك فيبدو أكثر جدية مما هو عليه، تصغر عيناه كأن خيطاً شفافاً يربط بينهما وبين فمه.. تتأمل نظراته فتدرك أن الهم كبير لا يتسع له مكان ولا زمان، تلاحظ شروده فتعرف أن الأحلام تقددت وصارت جاهزة للتعليب، تراقب تجاعيده المتسارعة كخطى متسارعة فترى تجارب تمشي بقدمين على صفحة وجهه، تلقي عليه التحية فتحتار على من تسلم؛ طيب القلب أم خشوع الملامح.

الوطن والأسئلة

تسمعه يصرّ على مواقفه، فتتأكد من أنك أمام مناضل شرس تعلّم كيف يبري قلمه فيصير سكيناً، وكيف يتفادى مقتله في كل مرة ينادي فيها: كلنا للوطن

أسأله: هل أوطاننا تستحق كل هذا النضال؟ وهذا الموت؟

الرجلُ واضحٌ جداً مثل مشهدٍ ربيعيٍّ، لا شيءَ يخبئُه ولا مجازَ يتوارى خلفَه.. أفكارُه واضحةٌ صادحةٌ وخيالُه رقَّ حتى شفَّ.. وخفَّ وطارَ.. الأفكار لا نريد تشذيبَها علّها تستحيلُ بريّةً.. والبريّةُ حريّة.. كل ما كتبه صدّقه وشكّ به، وكل ما قرأه حلّله وشكّ به أيضاً.

سأعيد صياغة الجملة: كل ما كتبه هو نتيجة شكّه في كل شيء، نتيجة إيمانه بالأسئلة لا بالأجوبة، في عالمٍ ليس معنيّاً بطرح الأسئلةِ بقدرِ ما تستهويه الأجوبةُ.. يطرحُ كاتبنا أسئلةً كثيرةً دون أن ينتظرَ جواباً.. فالجوابُ حدٌّ والسؤالُ لا ينتهي ولا يُحدُّ.. الجوابُ سلاسل والسؤالُ أغنيةٌ... الجوابُ أيديولوجيا والسؤالُ ميثولوجيا.. هو يؤمن بالخرافة أكثر من إيمانه بزعيمٍ درسَ سيكولوجيةَ الجماهير وقضى عمره يخطب بالجماهير، ويقول لهم ما عليهم فعله، يرشدهم إلى الصراط المستقيم، ويعدهم بالجنة هدية بعد الصلاة

كاتبنا آمن بالإنسان على طريقة كارل ماركس: «لحلّ أي مشكلة يجب الرجوع إلى الجذر، وجذر أي مشكلة هي الإنسان».. وكاتبنا آمن بأن كل فكرة ينشرها ستغير ولو بعد حين وأيضاً على الطريقة الماركسية: «التراكم الكمي يؤدي إلى تغير نوعي»!

النجف

إذن الرجل ماركسيّ، مع أنه تربى وكبر في النجف الشيعية، كانت مدينة مفتوحة، يخبرني، كأنها معهد دراسي يلتقي فيه الوافدون للدراسة والزائرون بالمناسبات الدينية، وهي مدينة جدل مستمرّ وحوار أضداد في الكثير من الأحيان، فقد سكن فيها الديني والعلماني وتعايشا، إضافة إلى ذلك فهي ملتقى الأعراق والأقوام واللغات، المدينة الدينية مدنيّة أيضاً، كل ما فيها كان يبحث عن الجديد ويتطلّع للتنوير والتغيير، ويسعى إلى التواصل مع العالم.

هذا هو السر، صبيّ شبّ في مدينة فيها كل ما فيها، والتصق عليه كل ما فيها، وهكذا يصبح الإنسان مرآة مكانه، ويصبح الناس أسرى مراياهم، يصبح المقيم مكاناً والمكان روحاً لا تركن، هذا هو تعريف الأمكنة وبالتالي الأوطان.

فبعد تنقُّله بين مدن العالم أجمع، يجمع قوتاً لخياله وحطباً لموقد التاريخ ليُدفئ المستقبل، ظهر بأنه ليس المهم المكان الذي نسكنه بل المكانُ الذي يسكننا.. السؤال هنا: هل الأمكنة هي حيز مساحي أم زمني أم بئر ذكريات؟ وما الوطن أصلاً بنظره؟ هل هو كما قيل «أن لا يحدث كل هذا»؟!

إلغاء الاستغلال

لقد آمن «عبد الحسين شعبان» بتحقيق العدالة والمساواة وإلغاء الاستغلال، ولاسيّما في مواجهة الظلم الخارجي المتمثّل بالاستعمار، والظلم الداخلي المتمثّل بالسياسات الخاطئة والتبعية والأفكار الرجعية. وبالطبع لم تكن القراءات الأولى التي شكلت وعيه الأول، كافية في تكوين صورة دقيقة عن العالم، والماركسية التي مثّلت منظومة قيمية أولى، ظلّت بنظره بحاجة إلى النقد. من هنا قدّم صاحب كتاب « **تحطيم المرايا - في الماركسية والاختلاف**» 2009، قراءات جديدة للماركسية، ومن موقع النقد للماركسية، فبرأيه لا وزن لأي تجربة إنسانية إلّا بنقدها.. ولم يجارِ «مركسة الإسلام» أو «أسلمة الماركسية»، وإن كان كلاهما يدعو

إلى العدالـة

الثقافة

همّـه الإنسـاني جعلـه متدفقـاً لا ينضب، فمسـاهماته الثقافيـة والأدبية والسياسـية والفكرية لا تُعـدّ.. زد على أنـه الأكاديمـي والمفكّـر مـن الجيـل الثـاني للمجدّديـن العراقـيين، وزد يسـاريته التـي أكـدت وعيـه التنويـري وثقافتـه المتنوعـة، وأنتجـت سـلوكه الحداثـوي في رؤيتـه لمفاهيـم الديمقراطيـة وقضايـا الإنسـان والمجتمع المدني والأديـان والقوانين الدسـتورية والدولية وتخصصه بـكل مـا فيها مـن قضايـا النزاعـات والحـروب والتّسـامح واللاعنف.

يعـدّ عبـد الحـسين شـعبان من المثقفين الإشـكاليين الذين سـلكوا طريق النقـاش وأيضاً الجدل، الأول يخوضـه دون مراوغـة، والثـاني يراوغـه ليصـل إلى الحقيقـة عـن طريـق الحريّـة، تلـك التي قـال عنهـا هيغـل: «التوجـه الدائـم نحـو الحقيقـة، ذاك التوجّـه الـذي لا ينتهي أبـداً». جمع بين العمـل الفكـري والأكاديمـي والنضـالي وأعطـى لنشـاطه السـياسي معنـى حقوقيـاً، مزج السياسـة بالثقافـة، وذلـك كلّـه تـم تحـت مراجعـة ذاتيـة ونقـد ذاتي ونقـد النقـد، واهتـم بمعالجـة قضايا الصراع العـربي – الإسرائـيلي، وبـذل جهـداً في ذلـك عبر مؤلفـات كثيرة

الأدب

اختـص بـالأدب أيضـاً، وكتـب عـن مظفر النـواب بعـد أن وضعه في مدرسـة التجديـد.. واعتبره اسـتمراراً لمدرسـة بـدر شـاكر السـياب ونـازك الملائكـة وبلنـد الحيـدري وعبـد الوهـاب البيـاتي، وأدونيس ومحمود درويش ومحمد الماغوط وسـعدي يوسـف ورشـدي العامل ويوسـف الصائغ، أحبه في شـعره المحكي باللهجة العراقية: «أسـتطيع القول إن الشـعر الشـعبي العراقي قبل مظفر النـواب ليـس كما هـو بعـده، فالحـاج زايـر والملّا عبود الكرخي وحسين قسّـام وعبـد الحسين أبو شـبع كمبـدعين، مثّلـوا المدرسـة الكلاسـيكية، وكانـت مدرسـة النـواب هـي الحـدّ الفاصـل بينهم وبين المدرسـة الجديـدة الحداثيـة، ومـن أتى بعـده مـن المجدّديـن في الشـعر الشـعبي (اللغـة المحكيّـة)، اقتفـوا أثـره بشـكل أو بآخر».. صادق الجواهـري لنحو 3 عقود من الزمـن حتى وفاته في العـام 1997.

الروافد الروحية

ولـو وضعنـا كنزنـا الثـمين هـذا الـذي تشـكل إنسـاناً على بلاطة التشريـح لنكتشـف سر لوثته، فـسنرى روافـد روحيـة ثلاثـاً شـكّلت أساسـاً لتكوينـه الثقـافي؛ أولهـا القـرآن الكريـم، الـذي كان يفتتـح والـده عزيـز شـعبان صباحـه بـه بصوتـه الرخيـم، وثانيهـا الأدب بعامـة والشـعر بخاصة، ولاسـيّما شـعر الجواهـري، الـذي امـتلأت مكتبـات أعمامـه وأخوالـه بـه، والـذي تناقلـه وحفظـه مـع الرفـاق؛ وثالثهـا كما يقـول: «الفكر اليسـاري والماركسي بشـكل خـاص ضمن الموجة السـائدة آنـذاك في أواخـر الخمسـينيات، ولاسـيّما في أجـواء العائلـة والأصدقـاء والمدينـة»

روائح الشعر

تفـوح مـن كتاباتـه ومقالاتـه وحتى سـلوكه الحياتي وإصغائه للشـعر والشـعراء رائحة الشـعر، فكأننـا نشـعر في بعـض الأحيان سراً وخلسـة أننا أمام شـاعر كتـب بلغة أدبية القانون والدسـاتير، وأعـد الدراسـات في المواثيـق الحقوقيـة الإنسـانية. ولا عجـب مـن ابـن النجـف أن يبـوح همسـاً بأنـه جـرّب كتابـة الشـعر في البدايـات، لكنـه انصرف عنهـا لخشـيته مـن دخـول مملكة الشـعر: «أشـعر بهيبة كبيرة أمام سـلطان الشـعر. والشـعر عندي مثل ابن رشـد، أوفر حظاً من الفلسـفة، وأسـمى مقامـاً مـن التاريـخ، لأنـه يتناول الـكلّي من الأشـياء، إنه سـؤال ورؤية وصورة وإحسـاس وحلـم ومخيّلـة، وقبل كلّ ذلك دهشـة، ولا شـعر دون دهشـة»!

غزّة

أسـأله: «مسـاهماتك التنويريـة والحداثويـة بخصـوص المجتمـع المـدني وحقـوق الإنسـان والديمقراطيـة.. مـاذا يقـول لـك كل هـذا عـن حـرب غـزّة اليـوم؟»

يجيـب بحسـم: «حسـب قواعـد القانـون الـدولي والقانـون الإنسـاني الـدولي، وبعيـداً عـن العواطـف، وإن كانـت هـذه الأخيرة هي التعبير الأكثر انسـجاماً عن المشـاعر الإنسـانية، فحسـب نيتشـه «مـا قيمـة فضيلتـي إن لم أكـن عاطفيـاً»، أقـول: إن ما يحـدث في غزّة هو جريمـة مكتملة الأركان، وهـي حـرب إبـادة، جـرت فيهـا انتهـاكات سـافرة ضـدّ الإنسـانية، ناهيـك عـن جرائـم الحـرب، عـلماً بـأن التوصيـف القانوني للأراضي الفلسـطينية أنهـا «أراض محتلة»، والشـعب الذي لا يقـاوم محتليـه، إنمـا هـو شـعب من العبيـد، خصوصـاً أن جميع القـوانين الوضعيـة والسماوية

تعطـي للبلـد المحتلـة أراضيـه حـق المقاومـة، التـي هـي عمـل مشروع للدفاع عـن النفس»

مثقفنـا الـذي قضى عمـره منـاضلاً حـرّاً، والـذي آمـن بالثقافـة كـسلاح أخير في وجـه الجهـل والاسـتعباد والاحـتلال، يـرى أن أصـل المشـكلة في العـالم العـربي يعـود إلى عـدم قـدرة الشـعوب العربيـة على إرسـاء الدولـة – الأمـة: «فالدولة التـي نحتاجها في العالم العربي هـي التي تقوم على قاعـدة المواطنـة السـليمة والمتكافئـة وحكم القانـون، وبالطبـع لا مواطنة حقيقيـة دون حريات وشراكـة ومشـاركة ومسـاواة وعدالـة، ولاسـيّما عدالـة اجتماعية بحدّهـا الأدنى»

والحـل؟ يجيـب المفكـر عبـد الحـسين شـعبان بأنه لا بدّ مـن مصالحـات تاريخيـة بين التيارات الاجتماعيـة والسياسـية، ونشر وتعميـق ثقافـة الحـوار والتسـامح والـسلام وقبـول الآخـر واحترام الحقـوق والحريّـات، وصـولاً إلى مـا هـو مـشترك وإنسـاني، وإلّا «فـإن مجتمعاتنـا سـائرة نحـو التفتـت والتـآكل والانشـطار»

الكتـبُ غزيـرة وقـد تبـدو لكثرتهـا خرافـة.. نزيفه فـاض على مكتباتنـا ومكتبات العـالم، ونحن سـعيدون بهـا وبـه.. ولكـن السـؤال الـذي يصرّ عليّ والذي يبقـى بلا جواب: «مـاذا فعلت الكتب منـذ أن كانـت شـجراً، والشـجر اسـتحال أوراقـاً، والأوراق امـتلأت أفـكاراً، والأفكار طـارت وعلّت وحلّقـت وعـادت وحطّـت على الشـجرة؟ مـاذا فعلـت في هـذا العـالم المدّمـى؟ ومـاذا تقـول للضحايـا؟ ومـاذا تقول للـجلاد؟»

المثقف المشتبك وثقافة المواطنة بين نمطية الانتماء والهويات المتقاتلة المفكِّر الإنساني عبد الحسين شعبان أنموذجاً

د.محمد الحوراني[1]

1- رئيس اتحاد الكتّاب العرب - دمشق.

أن تتحدّث عن الحرب وتبعاتها يعني أن تتحدّث عن أخطر التحديات والتهديدات التي تواجه أمةً من الأمم أو شعباً من الشعوب، ذلك أن الحرب تستهدف وجود الأمة وهويتها بوصفها الذات والوجود معاً، وبالتالي لا يمكن السيطرة على أي أمة دون محو هويتها التي هي مصدر اعتزازها وفخرها.. ولعلّ هذا هو السبب الرئيس وراء الحرب على الهوية والثقافة العربية بوصفها ثقافة حضارية قائمة على العروبة بكل ما فيها من بهاء وانفتاح على الآخر وثقافته المبنية على المحبّة والتكامل والتسامح. وبين فضاءات الثابت والمتحوّل وفي خضمّ ما يدعى بالعولمة الثقافية بتيّاراتها العابرة للحدود، والتي تروّج لها وسائل الإعلام، ولا سيَّما الافتراضيّة منها أكثر من سابقتها التقليديّة؛ ولأن الشعوب التي تحافظ على هويّاتها لا تموت. كان لا بدَّ للمفكرين والباحثين الحقيقيّين من القيام بدورهم الرسوليّ من أجل الحفاظ على هوية أمتهم والدفاع عنها وحمايتها، ورفع الصوت عالياً من أجل هذا، وهو الموقف الذي يجده المرء حاضراً بقوة في كتابات وأبحاث ومحاضرات الباحث والمفكر الدكتور عبد الحسين شعبان، من خلال دعوته المؤسسات الوطنية لوقفة جادّة حيال مجتمعاتنا العربيّة للعمل على ترسيخ هويّاتها الثقافيّة، مقابل هذه الهجمات العابرة للحدود من جهة أولى وشيوع ثقافة السخف والانحلال من جهة أخرى، وهي الثقافة القائمة على الليبراليّة الجديدة والمتقاطعة مع مخططات ضرب الهوية وتفتيت الأوطان، ولهذا نجد أن مفكرنا يتعامل مع الهوية بعيداً عن اللغة الخشبية، ومفردات التخوين تجاه شركائنا في الوطن من أصحاب الهويات والثقافات المتعددة، وانطلاقاً منه فإن ما يشكّل هويتنا الثقافيّة، وفق الرؤية الشعبانية، انتماؤنا الجغرافي والتاريخي بالإضافة إلى مكوّننا الثقافيّ التراكميّ الذي أفرزته مختلف الحضارات التي صنعت خصوصيّتنا كمجتمع عربيّ متنوّع من حيث الانتماءات القبلية المتعدّدة؛ لكن تظلّ تصهره أواصر التاريخ والجغرافيا والمصير المشترك أمام تحديات الآخر الذي لا يفتأ بكلّ ما يستطيع من أساليب الهيمنة التقليدية المكشوفة والأخرى الملتبسة، والمموّهة بأصباغٍ بعضُها ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، بهدف تضليل النشء الجديد ودمجه ضمن عجلة الثقافة الاستهلاكية وأوهام ما يُسمى بالمواطنة الافتراضية؛ التي يقدّمها الانفتاح الهائل للأفراد على تقنيات الديجيتال، وتؤدي إلى سيطرة الفردية على سلوك الشخص الذي أصبح يستطيع بكبسة زر عبور الحدود المكانية وتجاوز الاختلافات الثقافية

والخصوصيات المجتمعية؛ ليصطدم بمجرد إغلاقه شاشته بتوحّش تلك الحدود والاختلافات بشكل أكبر بكثير مما هي في الواقع؛ ما يشعره بالتكلّس والوحدة وعدم التأقلم في مجتمعه مع اليأس والعجز عن مواكبة الآخر. هكذا يجد القارئ لكتابات مفكرنا وباحثنا الأصيل مقدار الخشية والخوف عنده على مستقبل الأمة وشبابها، وهو الذي خبر الغرب وتوغل في أفكاره وكشف كثيراً من مخططاته الرامية إلى تفكيك مجتمعاتنا، من خلال النيل من هويتنا الوطنية الجامعة وزعزعتها

ولهذا فلا غرابة أن ينتقد الباحث والمفكر المشتبك الدكتور عبد الحسين شعبان في كتابه (الهوية والمواطنة.. البدائل الملتبسة والحداثة المتعثّرة) كثيراً من أساليب التعاطي مع الهوية العربية، فضلاً عن تنظيره المختلف لأزمة الهوية عربياً وعرض إشكالياتها بدءاً من أزماتها الذاتية العائدة إلى ظروف نشأتها وتفاعلها مع محيطها، وملابسات تشتّتها بين هويّات فرعيّة صغيرة، وصولاً إلى أزمتها إزاء تحديّات العولمة في محاولة الأخيرة لإفراغها من محتواها وإلغاء خصوصيتها وتطويعها؛ وفق مسارات لا تخدم مشروعية بقائها وازدهارها، ثم الوقوف في وجه هذه التحديات بالانفتاح والتفاعل واحترام الحقوق والحريّات كبديل عن العزلة والانغلاق والاستبداد، وإلى جدليّة الهوية في الأدبيّات، وإشكالاتها السياسية والأيديولوجية والإثنيّة والدينية والمذهبية والنفسية والثقافية، وإمكانيّة بثّ الحياة والتجدّد فيها، وتخليصها مما لحق بها من آفات؛ بمحاولة إلغاء ثباتها من خلال عمليّة إبداعيّة واعية مستمرّة ومفتوحة

وتطرّقه إلى مكابدة الحفاظ على الهويّة في أدبيّات المنافي واللجوء، وتلك المعاناة العظيمة وبخاصة للنخب الثقافية من تداعيات فقدان الهويّة الأصليّة من جهة؛ وعدم القدرة على التكيّف مع الهويّة الجديدة من جهة أخرى ما يؤدي إلى ازدواجية الهويّة، وبالتالي ازدواجيّة المواطنة، ولما كانت أزمة المواطنة عميقة في مجتمعاتنا العربية فقد طرح عبد الحسين شعبان مبدأ المواطنة العضوية في الدولة الحديثة، القائمة على سيادة القانون وقواعد العدل والمساواة، والحق في المشاركة ليتم تعايش الهويّات الفرعية متوافقة كانت أو متنافرة مع الهوية العامة، واحترام حقوق الإنسان؛ بغضّ النظر عن انتمائه الضيّق سواءً أكان إلى أقليّة أم أكثريّة.. فلا بدّ من تعزيز ثقافة المواطنة بترسيخها كفكرة مشتركة وقناعة جماعية، وصولاً إلى مواطنة فاعلة تقوم على العدل، ضمن منظومة الدولة الثابتة والمستمرة وليس سيطرة السلطات المتواترة

والتمسك بالهوية الوطنية عند عبد الحسين شعبان لا يعني الانطواء على الذات، ورفض

الآخـر، بقـدر مـا يعني التمسـك بالانتماء وتحقيـق الوحدة الوطنيـة العليا بين مكونـات المجتمع جميعهـا، مـن خلال ثقافـة مشتركـة تعكـس الواقـع وتـعبر عن طموحات المسـتقبل، وهـي ثقافة لا تترسـخ إلا مـن خلال المناهـج التربويـة والتعليميـة، ومـن خلال إعلام وثقافة قائمين على أسـس قيميـة ومعرفيـة، منطلقـة من تفـكير منهجي أساسـه المرونة ورفض العنف والتطـرف والتعصب، وهـو تفـكير يقـوم على احترام التنـوع والاخـتلاف والإخلاص للوطـن ورمـوزه، والتفـاني في سـبيل اسـتقلاله وحريتـه؛ وهـو مـا لا يتحقـق إلا بتعزيـز كرامـة الفـرد وتعزيـز حريتـه، وهنـا يمكننـا الحديـث عـن انـتماء حقيقـي، عصيٍّ على الضعـف والانهيار، أمـام المغريات جميعهـا، وهو انتماء قائـم على التوجـه الإنسـاني المجـرد مـن النزعـات القبليـة والثأريـة والدوافـع الطائفيـة، وهذا ما يمكـن التعويـل عليـه في خلـق وطـن قـوي متماسـك، ومجتمـع قائـم على أسـس أخلاقيـة قويمة؛ يرفـض أيّ محاولـة تسـتهدف النيـل من الوطـن وكرامته، مما يعني المسـاهمة الفاعلة في إفشـال الدعـوات لخلـق دويلات طائفيـة، وتكريـس أمـراء الحـروب الراغـبين في تقويـض أسـس الدولـة الوطنية

ولعـل معرفـة باحثنا بواقع أبنائنا في المجتمعات الغربيـة، جعله يتحدث حديث العارف الخبير عنهـا، حيـث يـرى أنـه مـع تواتـر موجـات الهجـرة والنـزوح مـن الـدول العربيّـة باتجـاه الغرب، تتفاقـم أزمـات المنـافي والمغتربـات مـن ثنائيات الـولاء والانـتماء والمواطنـة والجنسـيّة وازدواجيّة الهويّـة على اخـتلاف وعـي المهاجريـن ومـدى تمسّـكهم بهويّتهـم الأصليّـة، أمـام اندماجهـم في الهويّـة المكتسـبة التـي سـتحتلّ بالتدريـج مكانـة أولى للأجيـال اللاحقـة في رحلـة المهجـر ضمـن دوّامـة هويّـات مزدوجـة ومركّبـة؛ حاملة عناصر تلاقـح ديناميكيّة يصعب الفكاك منها، ولا سـيَّما في مسـألة الديـن واللغـة، ما يؤثر في العـادات والتقاليد والأدب والفن وطريقـة الحياة؛ إذ سرعان مـا يقـف المـغترب أمـام الصدمـة الأولى كما عبّر عنهـا المفكـر الفلسـطيني إدوارد سـعيد في كتابه (خـارج المـكان)؛ فقـد تحـدّث عـن الصـورة المعقّـدة والمركّبـة والمزدوجـة بين الوطـن والمنفـى أو المُـغتَرَب؛ فـكل شيء يقابلـه تعويـض مناسـب، فداحـة فقـدان الوطن تعوضهـا الحريّـة، والخوف تعوّضـه الوثيقـة التـي تعترف بالشـخص وأهليّتـه القانونيّة، بينما الاسـتقرار والحاجـة إلى التعليم والمـورد والعائلـة يقابـل أزمـة النفـي والاغتراب.. فلا يظـلّ أمـام المـغترب سـوى التّمسّـك بهويّته كـجسر بين مـاضٍ لا يمكـن تخطّيـه ولا نسـيانه، وحـاضرٍ قـد لا يسـتمرّ، وفـيما بينهما مسـتقبل في علـم الغيـب.. بين ذاكـرةٍ زاخـرة بأحـداث الماضي وصور الخيبـات والآمال والفرح والحـزن، وواقعٍ

ملتبسٍ وغامضٍ ومتناقض.. إنّه صراع بين هويّة مكوّنة مُسبقاً وأخرى قد لا تكون اختيارية أحياناً.. بين عقليّة شرقيّة محافظة وأخرى متحلّلة نفسيّاً ودينيّاً واجتماعيّاً وقانونيّاً من كلّ ما فرضت سابقتها؛ الأمر الذي يطرح مسألة الهويّة والانتماء والمواطنة بدلالاتها الثقافيّة والاجتماعيّة وليس فقط القانونيّة

ولا يخفى على أحد أن الأماكن لها حضورها الكبير في الهُويَّة مثل هذا الشعور المهاجر إلى أعماق البدايات، حيث تظهر «الذكريات» مرة أخرى بطرق غير متوقعة، أو كصدى لنداء قديم، مما يدفع إلى التفكير في الماضي والحاضر معاً في بارقة، أو طرفة خاطر واحدة؛ وهذه ليست سوى بعض الطرق، التي يستكشف بها الفلاسفة العلاقة بين «المكان» و»الذاكرة» و»الهوية». ويمكن أن يساعدنا فهم هذه العلاقة على تقدير قوة «المكان» في تشكيل حياتنا وذكرياتنا؛ مرتبطة بكل تفاصيل هويتنا. ولذلك، فإن العلاقة بين «المكان» و»الذاكرة» و»الهوية» هي مفترق طرق رائع للبحث الفلسفي، رغم أنه مجال فكري معقد ومتطور باستمرار، مع عدم وجود إجابات سهلة لكل ما يُطرحُ حولها من أسئلة. ولكن من خلال التفكير في هذه الأسئلة، نكتسب فهماً أعمق لأنفسنا والعالم من حولنا، حتى قبل محاولة الإجابة عليها. فـ»الذاكرة» هي الأساس لـ»الهوية»، إذ يعتقد العديد من الفلاسفة؛ مثل جون لوك وتوماس ريد، أن ذكرياتنا هي حجر الزاوية في إحساسنا بالذات

وغالباً ما ترتبط معاني هذه «الهوية» بذكرياتنا بـ»أماكن» محددة، وفي أحيان كثيرة تُعيد تَذَكُّر تجربة سابقة إلى الأذهان المساحة المادية، التي حدثت فيها وكأنها كانت «مكان» اكتشاف «الذات» وأهم شروط «الهُويّة». فنحن، في بعض الأحيان، نُسافر إلى «أماكن» جديدة خصيصاً لتكوين ذكريات جديدة، واكتشاف جوانب من أنفسنا لم نكن على دراية بها من قبل، لأن «المكان» المُشَكِّل لهويتنا وضع لها إطاراً تُعَرَّفُ من خلال مكوناته الغالبة، وقد تُفيد المقاربة في فهم هذا الإطار بشكل أفضل، كما أنّ الاشتغال على إستراتيجيّة ثقافيّة تاريخيّة أثريّة تقوم على مبدأ الربط والتعشيق بين الأماكن والآثار، وربطهما بمفهوم الهُويّة وعناصره، يمكن أن يُسهم إسهاماً كبيراً بتحصين الهُويّة بين أبناء المجتمع

وهذه هي الإستراتيجية «الشعبانيّة» التي اعتمدها باحثنا في تأصيلهِ مفهوم الهُويّة وتجذيرِها، فهو لا يريدها علاقة نمطية تقليدية قائمة على الرؤية التقليديةِ التخوينيّةِ للهُويّات المتعدّدةِ وإنَّما يريدها هُويّة حضاريّة أصيلة ومنفتحة، قائمة على تعدّد الثقافات وتنوعها

وتكاملها لأنّها تزيد من قوّة المجتمع ووحدته، وعندما يجنح السياسيّ والباحث تجاه الرؤية التقليديّةِ فإنَّه يأخذنا جميعاً تجاه الهُويّات القاتلة؛ حسب رؤية «أمين معلوف»، وبهذا يكون الباحث والسياسي قد قدما خدمةً جليلةً للمشروعِ الصهيوني التكفيري من خلالِ الإسهامِ في تفتيتِ الوطن وتمزيقه ثقافياً وهُويّاتياً

وفي هذا يتقاطع مفهوم الهُويَّة ودلالاتها عند عبد الحسين شعبان مع مفهومها عند المفكّر اللبناني «علي حرب» إذ يقول: «علينا أن لا نخشى من كونها تجمع بين التعدّد والتعارض، وبين الاعتدال والالتباس في آنٍ واحد، وهي ليست هاجساً مخيفاً، يجب أن ننهج تجاهه سياسة الاحتراز، أو أن نقف ضدها كحرّاس للقيّم. بل هي إمكان منفتح يعطي قابلية للتطويع والتحويل لما يتلاءم معنا. وفي صميم عملية التحويل هذه والتطويع، يمكن للهوية أن تتجدّد وتتمدّد، فالهوية ليست شيئاً ثابتاً، بل هي صيرورة مستمرة للذات والمجتمع"

كما أن وعي الهُويّة، بشقيها الذاتي والشخصي، ينبثق من وعي المكان (الوطن) والآخر أيّاً كان نوعه وجنسه، وثقافته ودرجة ارتقائه أو تخلفه، والثقافة بوصفها وعياً وثقافةً وإرادةً تصبح مبدأ ملزماً لكلّ من يتصف بها؛ لتجسيد فعل المشاركة الحيوي في الوجود الجامع، وفق أسلوب حياة تستند إلى القيم الفاصلة والمبادئ الخيرة الحرّة والقوانين والأنظمة التي تنبثق من العقد الاجتماعي الذي يوافق عليه الجميع وارتضوه لأنفسهم، وهو العقد الذي ينبغي أن تؤسّس عليه دولة المواطنة التي تحقق العدالة والحرية للجميع دون استثناء

ولما كان تراثنا الحضاري جزءاً لا يتجزّأ من هويتنا، فإن الدكتور شعبان يرى في مصادرة تراثنا الحضاريّ العربيّ من خلال سرقة المتاحف والمواقع الأثريّة، خطوة لتدمير الثقافة العربيّة؛ بالتزامن مع تدمير الشعب العربيّ إنسانيّاً وجسديّاً ونفسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً.. كلّ ذلك في ظل صمت مطبق من المجتمع الدوليّ يغطّي جرائم سماسرة الحرب الذين يُلبّون طلبات من يدفع أكثر لتصل الكنوز الأثريّة الفريدة إلى متاحف أوروبا وتل أبيب، ولهذا كان من الطبيعي أن يربط باحثنا بين ما يقوم به الاحتلال وما تقوم به التنظيمات الإرهابية التكفيرية من حروب همجية على القيم والثقافة والهوية والحضارة، ويا لها من شهادة لما روى عن مجزرة متحف الموصل وحريق مكتبتها، التي ارتكبها تنظيم داعش الإرهابيّ، يوم تيقّن أنّ للحجر كما للبشر روحاً.. هناك على بوّابة (نركال) رمز حضارة الآشوريّين كان الثور المجنّح بثلاثيّة التآخي بين رأس إنسان يمثّل العقل وجناحي نسر يرمز إلى التحليق وجسد ثور يشير

إلى القـوّة، كان يـبكي بصمـتٍ بيـنما يُنحَـر ويُقطـع جناحاه ويُهشّـم جسـده، بصمتٍ سـمعه أهل الموصـل الذيـن كوتهـم نـار الإرهـاب، وهنـا اختلـط بـكاء البشر ببـكاء الحجـر على وقـع مذبحة مدينـة النمـرود؛ التـي بناهـا الملك الآشـوريّ (شـلمنصر الأوّل) على ضفاف دجلة جنـوب المدينة

كلّ ذلـك أمـام مـرأى ومسـمع العـالم الـذي اكتفـى بتوصيـف منظمـة اليونسـكو أنّ هـذا يُعدُّ (جريمـة حـرب) دون أيّ تدخّـل فـعليّ لوقـف الجريمـة

لقـد أراد مرتكبـو هـذا الاعتـداء ومِن ورائهم المسـتفيدون منـه بتحطيم التماثيـل ونهب الآثار التاريخيّـة والكنـوز النفيسـة (محـو التاريـخ)، وهـم أنفسـهم مَـن قطـع رؤوس الأبرياء واسـتباح حرماتهـم ليضطـرّ مَـن بقـي منهـم للنـزوح والهجـرة القسريّـة، هـم أنفسـهم مَـن دمـرّوا جامـع النبـي يونـس وجامـع النبـي شـيث وعشرات الجوامع والكنائـس والأديرة والمعابد، إنهم أنفسـهم مـن اسـتهدف الـبشر والحجر والبيئـة والثروة والمجتمع والثقافـة والفكر؛ وكل ما لـه علاقة بأمان الإنسان

وأمـام هـول هـذه المأسـاة وهمجيتهـا يتذكـر شـعبان تلـك المذيعـة (الإسرائيليّـة) التـي دعت قـوّات الاحـتلال إلى قصـف المواقـع الأثريّـة العراقية مـن البرّ والبحـر والجوّ؛ لأنّهـا برأيها أهمّ من أسـلحة الدمـار الشـامل، وهو ما يعني سـحق وتـدمير كلّ ما لـه علاقة بـالتراث المادي واللامادي؛ لأنّـه يشـكل ركنـاً أساسـيّاً وعـنصراً مـهمّاً مـن عنـاصر الهُويّة، وبالتـالي فـإنّ كلّ ما قام بـه المحتل والإرهـاب في هـذا المجـال كان الهدف منه محـو التاريخ وتدمير الذاكرة وفكفكـة الهُويّة الوطنية الجامعـة تمهيـداً للقضـاء على عناصرها كافة

هـذا هـو الباحـث والمفكـر الوطنـي الأصيـل الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان في عمقـه ورصانة فكـره ونقـده لسـلبيات مجتمعـه، إنـه المسـكون بثقافـة أمتـه والحريـص على حمايـة هويتهـا الوطنيـة؛ وتحصينهـا لجعلهـا قـادرة على الوقـوف في وجـه التحديـات والتغلـب عليهـا؛ وهـذا لا يتحقـق إلا مـن خلال أسـسٍ وركائـزَ؛ يـأتي في مقدمتهـا احترام الحقـوق الثقافيـة، وتعزيـز ثقافـة المواطنـة القائمـة على الاعتراف بحقـوق الآخـر، وحرية المجتمـع القائمة على القيـم والأخلاق التي تحمـي مجتمعاتنـا مـن التفـكك والانحلال.

المتمرد الملتزم

د. محمد الرميحي[1]

1- أكاديمي كويتي - أمين عام المجلس الوطني للثقافة والآداب سابقاً.

ماذا يمكن أن يُكتب عن هذا المفكر الموسوعي النجفي؟ فبجانب كونه مفكراً غير تقليدي، هو يحمل صفات إنسانية متميزة، يعرف مَن تعامَل معه سوية تلك الصفات، مِن تواضع وعلم غزير وودّ بالغ الرقة، هذا النجفي الذي تربى في بيئة نجفية دينية، ونشأ في أسرة متعلقة بالثقافة الإسلامية ولها موقع السدانة في مقام الإمام علي، لذلك كان القرآن الكريم هو المؤثر الأساس في تكوين قيمه الإنسانية، كما فهمه، وكما دله عليه عقله، ولكنه لم يكتف بذلك، فتشبّع بالثقافة المدنية اليسارية، وإضافة إلى كونه ينتمي إلى الطائفة الشيعية بحكم المولد، إلّا أن شغفه بالمعرفة أخذه إلى دراسة المذاهب الأربعة في الإسلام بجانب المذهب الشيعي، كما طور اطلاعه على الثقافة الدينية النصرانية والبوذية أيضاً وغيرها من الثقافات الدينية، من هنا تكونت الحصيلة المعرفية والخلفية الغنية لهذا الرجل المتميز.

النجف أخذته إلى بغداد للدراسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وهناك في ستينيات القرن الماضي، كانت العراق وبخاصة بغداد تموج بالتيارات السياسية المختلفة، والطاغية منها التيارات الناصرية والبعثية والشيوعية، التي كانت تتنافس من أجل استقطاب الشباب العراقي في مرحلة كان الاتفاق على ازدراء الوضع السياسي القائم، فضلاً عن المشاجرات بين السياسيين، والتي شكّلت شبه (إقطاع سياسي)، فكان النفور من ذلك الواقع يأخذ الشباب الجامعي العراقي إلى تلك الجماعات الجديدة، وإن كانت دعوتها غير ناضجة، كما تبين لاحقاً من خلال الممارسة التي أفقدت العراق الكثير من موارده الاقتصادية والإنسانية.

الحزب الشيوعي كان أكثر تنظيماً في تلك المرحلة، وأفكاره الاشتراكية تجلب له الشباب، وكان من بين هؤلاء صاحبنا عبد الحسين شعبان، وكان الكثير من أبناء النجف الشباب قد التحق بذلك الحزب لما رفعه من شعارات تدعو إلى التحرر والعدالة

لم يكتف شعبان بالترويج لأفكار الحزب، بل قام بدراسة أفكار ماركس ونقدها لاحقاً منتقلاً من الإيمانية التبشيرية إلى التساؤلية العقلية النقدية، علماً بأن الكثير من المعارك التي خاضها الشيوعيون خسروها أمام طغيان الفكر القومي على الساحة، بسبب تأثير دعوات عبد الناصر والبعثيين السوريين، ثم العراقيين

اكتشف عبد الحسين من ذلك الصراع أن الفكر الماركسي فيه ما لا يتوافق مع الثقافة

العربيـة التقليديـة، وكان مـن الصعـب التكيـف معهـا كونها مرتكـزة على التدين الشـعبي، الذي يقبـل بـه التيـار القومـي ولا يقبـل بـه الحـزب الشـيوعي، وقـد تـم تهميـش الحـزب تدريجيـاً مـن العمـل العـام في العـراق، وسرديـة ذلـك معروفـة لمـن درس تلـك الـفترة. وقـد قـدّم في كتابه «تحطيـم المرايـا في الماركسـية والاخـتلاف» مراجعة نقديـة للتيار الماركسي التقليـدي بما فيه النقد الماركسي لماركـس في ضـوء الطـور الرابـع للثـورة الصناعيـة، بمـا شـهدته مـن تطـوّر غير مسـبوق وهائـل في مجـالات العلـم والتقانـة وتكنولوجيـا الإعلام والطفـرة الرقميـة (الديجيتـال) واقتصـاد المعرفـة، مـشيراً إلى أن تعاليـم ماركـس كانـت تصلـح لعصره، فبعضهـا حتـى وإن كان صالحاً فقد عفّـى عليـه الزمـن، وبعضهـا الآخـر أثبتـت الحيـاة خطلـه، الأمـر الـذي يحتـاج إلى إعـادة قـراءة جديـدة للمنهـج، ناهيـك عن اسـتنباط أحكام وقـوانين وقواعد جديدة في ظل المتـغيرات العالمية

لقـد حصـل ذلـك المثقـف الموسـوعي عبد الحسين شـعبان على منابـع مختلفـة للمعرفة، وظل وفيـاً للمبـادئ الإنسـانية التـي يحملهـا الفكـر الاشتراكي، مازجـاً معهـا الأفـكار الإنسـانية الـكبرى التـي لهـا علاقـة بحيـاة الإنسـان وحريته، منها الـخير والمـروءة ونصرة المظلوم والدفـاع عن الحق والانحيـاز إلى العـدل والرحمة.

تلـك المبـادئ أخـذت صاحبنـا إلى مـكان رفيـع في الإطلالـة على المشـكلات الحياتيـة لمجتمعـه العراقـي وأيضـاً العـربي والعالمـي، فانخـرط في نضـال طويل اسـتغرق سـنوات طـوالاً يتابـع قضايا حقـوق الإنسـان، وينظر في الدسـاتير العربية ومواءمتها للعصر الحديـث، يكتب ويؤلف ويحاضر في جامعـات ومعاهـد مختلفة.

نشر عبـد الحـسين عـدداً كـبيراً مـن الكتـب، وحسـب معرفتـي فلـه مخطوطـات غير منشـورة تمثّـل حصيلـة تجربتـه مـن الإنتـاج الفكري.

ليـس المجـال هنـا متاحـاً لسرد ما أنتـج هذا الكاتب المجدد مـن عناوين، ولكني أسـتذكر كتابه الموسـوم «المحاكمـة - المشـهد المحذوف من دراما الخليج»، دار زيد، لندن، 1992 في تسـعينيات القـرن الماضي، والـذي أخـذ فيـه موقفـاً شـاجباً لاحـتلال الكويـت، الفعـل الشـائن، وهـو العراقي الـذي قـد عـرّض نفسـه وعائلته وقتها لانتقـام نظام قمعـي شرس، وفي الوقت الذي تـوارى الكثير مـن الكتّـاب، خوفـاً أو حتـى تخلّياً عن المبـادئ، كان صوته وقلمـه مشرئبّين.

عبـد الحـسين مـن ذلـك الطـراز مـن المفكرين الذيـن يصدحون بمـا يعتقدون أنـه حق، بصرف

النظـر على رأي الآخريـن فـيما يحدث.

ولعـلّ دراسـته للقانـون في تشيكوسـلوفاكيا أعطته بعداً آخر، وهو المقارنـة بين نصوص القانون وتطبيقاتـه في الفضـاء العـربي، وهنـا نجد دراسـات عبد الحـسين في القانون المقـارن تغني القارئ العـربي بـزاد فكـري ثمين، حيـث يرى أن القانـون ليس نصوصاً ولكـن ثقافة أيضاً!

يمكـن اعتبـار عبـد الحـسين شـعبان ناقـداً موسـوعياً، فقـد كتـب في العديـد مـن المجـالات، السياسـية والاقتصاديـة والقانونيـة وفي الظواهـر المختلفـة لـ(الاجـتماع السـياسي)، مثـل قضايـا الإرهـاب والإسلام، كما انشـغل بـالأدب والثقافـة والشـعر بشـكل خاص، فكتب عن شـاعر العرب الأكبر محمـد مهـدي الجواهـري أكثر مـن كتـاب، آخرها كتـاب «جواهر الجواهـري» الذي كتبت مقدمتـه د.سـعاد الصبـاح (2024)، كما كتـب عـن الشـاعر الشـعبي المتمـرد مظفر النـواب كتاباً بعنـوان «مظفـر النواب - رحلة البنفسـج»، وتناول شـخصيات فكرية وثقافية في كتاب موسـوعي بعنـوان «الزمـن والنخـب - في أنطولوجيـا الثقافـة العربيـة»، ضـم بين دفتيه 48 شـخصية عربية.

اليـوم، الدكتـور والصديـق شـعبان مـن المثقـفين العـرب القلائـل المهتـمين بالشـأن العـربي ومسـتقبل مجتمعـات تمزقهـا الفرقـة، وينـال الجهـل أو التجهيـل منهـا القدح المعلى، هـو ورفاقه مازالـوا يجاهـدون للوصـول إلى مجتمـع أفضـل، متسـامح ويعايـش الـعصر.

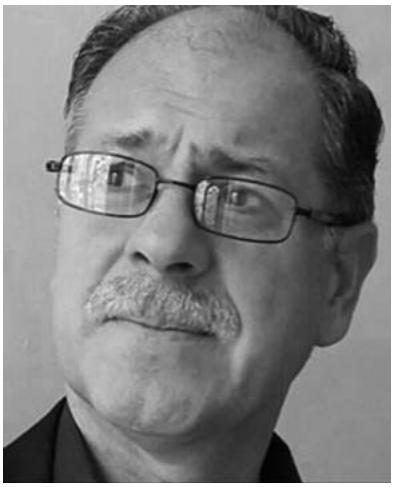

مثقّف موسوعي ومفكّر مبدع

محمد رشيد[1]

1- مؤسس ومدير دار القصة العراقية والأمين العام لنادي المثقفين العرب.

ينتمي المفكّر العربي الكبير د.عبد الحسين شعبان إلى جيل الستينيات، وهو جيل شهد تحدّيات كبرى وانكسارات غير قليلة وتمرّدات مركّبة على المستويين الشخصي والعام، لكنه جيل عُرف بالتجديد والإبداع والحداثة والمغامرة، متجاوزاً ما هو سائد وتقليدي ومحافظ، إلى ما هو غير مألوف، خصوصاً باختيار طريق التنوير والتغيير وتجاوز الواقع بكلّ قيوده وعقباته وعراقيله الموضوعيّة والذاتيّة

د.شعبان من ذلك الجيل الحيوي الذي آثر على نفسه التجريب والأسئلة، متخلّياً عن الإيمانية والتبشير صوب العقلانية والنقد، وقام بذلك بحريّة وقناعة بالتدرّج والتراكم، ومنذ الثمانينيات، أخذت كتاباته تعبّر عن ذلك بوضوح، حتى أصبح يمثّل مدرسة في طريقة تفكيره وفي تعامله مع القضايا الوطنية والثقافية بحساسية وجمالية متميّزة وفيها الكثير من الفرادة، واليوم صار مؤسسة موسوعية مثمرة، بما أنجزه من أعمال فكرية ومن معالجات لأهم القضايا، مثل الوطن والمواطنة والهويّة والدولة والحقوق الجماعية والفردية والدين والسياسة والماركسية والتجديد والثقافة والحريّة والتنمية والانبعاث الحضاري، وقد عمل بهدوء وثقة دون أن يحدث ضجيجاً، بل كان يقدّم جهده بتواضع دون أي ادّعاء أو حبّ للظهور، ولعلّ هذه المؤسسة خرّجت (الفرد) على نحو مباشر في الداخل والخارج ومن العراقيين والعرب آلاف من النشطاء المؤمنين بحقوق الإنسان والتنمية باعتبارهما الطريق الأصلح لبناء المجتمعات

اللقاء الأول

في العام 2004 أشرقت شمس علاقتنا، وكنت قد التقيته في عمّان (الأردن) ضمن نشاط يختص بثقافة وحقوق الطفل في الوطن العربي، حيث تشرّفت بمعرفته بعد أن كنّا نسمع باسمه ونتوق إلى لقائه، واستمر بريق علاقتنا في التوهّج من خلال مؤسسة دار القصة العراقية، والشيء الذي أبهرني بشخصيته هو أنني كلما تقرّبت إلى عوالمه الداخلية ازددت إعجاباً به لتواضعه وتقديره للآخر، واحترامه له مهما كبُر أو صغُر.

وكلّما مرّت فترة على علاقتنا، كان شعبان يأخُذ بيدي ويقدّمني إلى العديد من الجهات والمؤسسات وكبار المثقفين، وأتذكّر يوم اقترحني لأكون عضواً في اللجنة التحضيرية لفاعليات

الطفـل العـربي في القاهـرة، حيـث كان عضـواً في مجلـس أمنـاء المجلـس العـربي للطفولـة، الـذي يترأسـه **الأمير طلال بـن عبـد العزيـز**.

وقبـل ذلـك حين دعـاني للانـضمام إلى مجلـس أمناء **الشـبكة العراقيـة لثقافة حقوق الإنسـان**، التـي أسّسـها وكان أول رئيـس لهـا، لكنه قـرّر منذ المؤتمر الأول أنه لن يقبل ترشّـحه سـوى لدورة واحـدة، وبالفعـل قـدّم اسـتقالته قبل شـهر مـن انعقاد المؤتمـر الثاني، وهـو نهج اتّبعـه في تداول المسـؤوليات، فـحين اخـتير رئيسـاً لأكاديميـة الـسلام التـي تأسسـت في **برشـلونة** (إسـبانيا)، تعهـد بـأن تكـون ولايتـه لـدورة واحـدة، وقبـل انتهاء الـدورة قدّم اسـتقالته وطلـب اختيـار بديل عنه

وفي السـنوات الأخيرة قـدّم اسـتقالته مـن عـدد مـن المنـظمات التي عمل فيها أو أسسـها أو ترأسـها، مثـل مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة واتحـاد الحقوقـيين العـرب والرابطـة العربيـة للقانـون الـدولي والمنظمـة العربية لمكافحة الفسـاد، وقرّر البقاء فقط كأسـتاذ في جامعة اللّاعنف بتخلّيـه عـن جميـع هـذه المواقـع وغيرها

وقـد كتـب عنه الأسـتاذ عبد الحميـد الصائح حين تقدّم باسـتقالته من رئاسـة المنظمة العربية لحقـوق الإنسـان، وأصرّ عليهـا أمـام جمهـور الأعضـاء في المؤتمر المنعقـد في لندن: «يقدّم شـعبان درسـاً خـارج النظـام العربي الرسـمي»، حيث يتمسّـك القادة والـزعماء بمواقفهم حتـى الممات أو حتـى يـقضي الله أمـراً كان مفعولاً

مكانته في قلوب الأصدقاء

يحظـى د.شـعبان بمكانـة خاصـة واحترام كـبير في قلـوب أصدقائـه، بـل إنـه يسـكن فيهـا، وقد كنـت أتلمّـس ذلـك من خلال علاقاته الواسـعة والمتنوّعـة، حيث يتعامل مع الجميـع بحب كبير، ولاسـيّما مـع المبدعين من الشـخصيات الأدبيـة والاجتماعية والسياسـية، ولذلك يحظـى باحترامها الكـبير، بـل هـو محـط إعجابهـا وتقديرهـا، وهي تبادلـه الاحترام بـالاحترام. وتـراه يسـتمع جيداً لمعانـاة الآخريـن وشـكواهم وينصـت إليهم بعمق عاشـق لموسـيقى الـكلام، ولديه ميـزة واضحة تتـجلّى في فـن احتـواء الآخريـن، ولكنـه يبقـى مدافعـاً عـن مبادئـه وقيمـه التـي تـربى عليها منذ نعومـة أظفـاره، حيـث يميـل كمثقـف إلى الحـوار والتفاهـم، بعيـداً عـن الكراهيـة والضغائـن، متمسّـكاً بالثقافـة والـسلام كأدوات للتغـيير وبقيـم التسـامح واللاعنف

خريطته الثقافية

تلقى الخريطة الثقافية والفكرية للدكتور شعبان اهتماماً كبيراً، وتحتلّ مساحة واسعة من انشغالات المثقّفين العراقيين والعرب، وما يزال الرأي العام يُتابع باهتمام كلّ ما يصدر عنه، إضافة إلى مقابلاته التلفزيونية، كما أن الصحف والمجلّات تتسابق للقائه، بل إن بعض لقاءاته كانت محط نقاش ودراسة وتحليل في كليّات الإعلام والعلوم السياسية، إضافة إلى جامعة اللّاعنف في بيروت، ولذلك كانت أغلب الفضائيات تسعى لاستضافته لأنه موسوعة متكاملة من الثقافة، ويحتفظ بذاكرة إلكترونية لا تخطئ أبداً، فهو متابع ومواظب ودقيق ومثابر جداً على تتبّع المعلومات المهمة من مصادرها الخاصة، ويضيف لها تحليله الشخصي لتبرز ممهورة باسمه، وهو ما أسمّيه «**دمغة شعبانية**»، لعلّ شعبان يضيف لمساته الدافئة في كل موقع نزوره، وكان الجميع يطلب التقاط الصور معه حتى شعرت أنه (نجم ثقافي)

سياحة ثقافية

لقد تعلّمت من د.شعبان الكثير، ليس في مجال الثقافة والحقوق فحسب، بل في السلوك الاجتماعي، فقد رافقته في عدد من العواصم والمدن، وتجولنا في مكتبات وجوامع وكنائس قديمة، كذلك الأمر عند زيارته **مندي الصابئة المندائيين** في العمارة، حيث كان محط فخر وإعجاب الجميع، لأنه عارف بكل ما يحيط بالديانة المندائية، ووقف إلى جانب الوجود المندائي، ودافع عن الصابئة الذين تعرّضوا إلى التمييز والاضطهاد بسبب دينهم ومعتقداتهم، وكان قسم كبير منهم قد اضطرّ إلى الهجرة في فترة الحصار الدولي وما بعد الاحتلال الأمريكي، مثلما دافع عن **الإزيديين** في محنتهم أيام هيمنة داعش، وكتب الكثير عنهم، ووقف باستمرار إلى جانب النصارى، ويُعتبر كتابه «**أغصان الكرمة – المسيحيون العرب**»، مرجعاً مهماً للدارسين والباحثين، ولاسيّما فيما يتعلّق بالهويّة والمواطنة، علماً بأنه يستعيض عن مصطلح «الأقليات» بمفهوم المجموعات الثقافية في المجتمعات المتعدّدة الثقافات

في **تونس**، حيث تدرّبت في **المعهد العربي لحقوق الانسان** - دورة عنبتاوي، كان شعبان أستاذاً ماهراً في فن إلقاء المحاضرات على المتدربين، مما أنعش ذاكرتهم وعقولهم بتجارب من محطات مضيئة في حقوق الإنسان، وفي **بيروت** احتفينا بمنجزه، وتم تكريمه بجائزة العنقاء الذهبية الدولية للثقافة وحقوق الإنسان بحضور شخصيات أدبية وحقوقية وفنية من أغلب

الـدول العربيـة، وكان التكريـم في بيتـه وسـط أهله ومحبيـه لكونه أضاف أغصاناً لشـجرة الإبداع العالميـة، وفي **السـليمانية** كان نـجماً سـاطعاً في سماء الثقافـة الكورديـة ضمـن فعاليـات مؤتمـر القمـة الثقـافي العـربي في الثقافـة التنويريـة، مثـلما كان مثقفـو أربيـل يعتبرونـه رمزاً عربيـاً كبيراً يقـف مـع قضيّتهـم، وكذلـك في **القاهـرة**، كان يحتفي به مثقفوهـا، فهي تعرفه حـقّ المعرفة، كما يحتفـي بـه مثقّفو البلـدان العربية أيـنما كان

وفي مدينـة **العمارة** كان بـارزاً في إدارة دفـة الحـوارات ضمـن محـور تنميـة البيئـة ومكافحـة التصحّـر، وفي **بغـداد** تسـابق المثقفون إلى الإدلاء بشـهاداتهم والكتابة عن سلسـلة منجزاته حينما تـم تكريمـه مـن قبـل **اتحـاد الحقوقـيين العراقـيين**، وفي **كليـة التربية الأساسـية - جامعة ميسـان**، ألقـى محـاضرة عن فقه التسـامح، أشـاد بها جميع الأسـاتذة الحضـور والطلبة وعمـداء الكليات

وعلى نفـس وتيرة الاحتفـاء بـه تمـت اسـتضافته في **محافظـة الأنبار** وجامعتهـا، وكذلك **جامعة بابـل** و**جامعـة الكوفـة** و**مدينـة هيـت** و**الصويـرة** و**النجـف الأشرف** و**كـربلاء** و**أربيـل** وغيرهـا مـن المـدن التـي تسـابقت لاسـتضافته، وفي أكثر مـن مـرة كنّـا نؤجـل نشـاطاً هنـا وفعاليـة هناك ليسـتطيع حضورهـا، ولـه دور كـبير في تأسـيس نـادي المثقـفين العرب أو بـرلمان الطفـل العراقي، لأنـه مؤمـن تمامـاً بمـا أنجزنـاه من نشـاطات تحـدت واقعنـا المرير

وكان اللقـاء الأخير الـذي أداره وأشرف عليـه في بغـداد لنـادي المثقـفين العـرب، الـذي اختـار رئيسـةً لـه مـن تونـس (**المحاميـة لبنـى بـن عبداللـه**) وتشرّفـت باختيـاري أمينـاً عامـاً، وبحضور نخبـة عربيـة وعراقيـة متميّـزة مـن المثقفين

إصداراته

لديه إصدارات من الكتب تجاوزت الـ(80) مؤلفاً تناولت القانون والسياسة والثقافة والأدب والفلسفة والدين، إضافة إلى الشعر وحقوق الإنسان وفقه التسامح والهويّة الوطنية، وإن الدراسات التي كتبت ونشرت عن منجزه كثيرة جداً تستحق أن تجمع في كتب لتزين المكتبة العربية بكتب نادرة تنبض بالحياة لسيرة شخص عاشق لثقافته الحرّة التي ولدت خارج أسوار الطائفيّة والتعصّب والتحليق في فضاءات الحريّة والسلام والمحبة. وبالفعل صدرت حتى اليوم كتب عنه وكُتبت العديد من الدراسات والأبحاث، ونلفت النظر إلى أهميّة توجيه طلبة الدكتوراه لكتابة أطروحات عن فكره ودوره النضالي والثقافي التنويري وعن مدرسته الفكرية.

شخصيته وسلوكه

أجمل ما في د.شعبان سعة صدره وتقبّله للنقد، بل إنه هو من يقوم بالنقد الذاتي، ودائماً ما يقول: أعتزّ حتى بأخطائي، لأنها صادرة عنّي، وهي اجتهادات لم تزكّها الحياة، أو أن المعطيات كانت محدودة وغير دقيقة، وحين توفّر معطيات ومعلومات جديدة، لا بدّ من أخذها بنظر الاعتبار، والأمر الذي يتطلّب إعادة النظر بأفكارنا وآرائنا، وينبغي أن نقوم بذلك بكلّ رحابة صدر لنقدّم رؤية جديدة تتجاوز ما كان سائداً في السابق. ويقول شعبان: إن وظيفة المثقف هي النقد، حتى ولو كان من ينقده غير موضوعي، فإنه لا ينفعل أو يردّ عليه بمثله، بل يتجاوز ذلك باعتباره رأياً أصاب أم أخطأ، وتلك سمات المفكّر الكبير

ويسعى شعبان بما اتّسم به من روحية إيجابية إلى تنمية روح التسامح والصداقة والرأي الحر في الوسط الثقافي، وإدارة حوارات تمثّل سلوكاً حضارياً راقياً يسهم في تنمية الإنسان وبناء المجتمع، فضلاً عن الحس الإنساني الكبير جداً الذي يملكه، وأستطيع أن أقول إنه حسّ بحجم الوطن

أخيراً تحيّة للدكتورة الشاعرة **سعاد الصباح** على التفاتتها في تكريم الرمز العراقي الكبير الذي نفتخر به، والشخصية العربية المنفتحة على محيطها والمؤثرة فيه، ولعلّ في تكريمه تكريماً للثقافة ولقيم التسامح والتنوير والسلام واللّاعنف، وتكريمه هو امتداد لتكريم الشاعر الكبير نزار قباني والكاتب والمترجم ثروت عكاشة والصحافي والدبلوماسي الكبير غسان تويني والمثقف عبد العزيز حسين والمفكر عبد الكريم غلّاب والمفكر الحبيب الجنحاني والروائي إبراهيم الكوني، حيث تحتل هذه الكوكبة مكانةً بارزةً في الثقافة العربية المعاصرة

أسئلة فلسطين في المشروع الثقافي العربي

مروان عبد العال[1]

1- روائي وكاتب فلسطيني

تحيـة طيبـة إلى الأفاضـل في دار د.سـعاد الصبـاح للإبـداع، إلى كل مـن منحنـا «يـوم الوفـاء»؛ هـذه النافـذة الفكريـة للاطلاع على فضائكـم الرحـب. من واقع الإيمـان بالقول المشـهور للكاتب أمبيرتـو إيكـو: «الحقيقـة تحلـو أكثر عندمـا تكون محفوفـةً بالصعوبـات الشـائكة، والسر يعجبنا أكثر عندمـا يصعـب علينـا كشـفه»، أجـد نـفسي متورطـاً وفي غاية الحرج أن أكشـف عـن حقائق عبـد الحـسين إلا مـا جاورتـه بواقعيـة أو عايشـته في قـراءات ثقافية، فقـد ظل اسـتثنائياً في فكره وسـلوكه وعطائـه ووطنيتـه. كما كان أيضـاً صاحب اكتشـافاتٍ واضحـة في حقائق عربيـةٍ وأهمها حقيقـة قضيـة فلسـطين، وكذلـك في السياسـات الدوليـة والإقليميـة المرتبطـة بالعدالـة والكرامـة والحريـة الإنسـانية، التـي حفـر فيهـا عميقـاً وتعميقـاً في الفكـر العـربي المعـاصر، بمـا يمليـه ذلك مـن محاولـة السـمو وتمثـل قيـم سياسـية نؤمن بهـا وناضـل كلٌّ من مكانـه في سـبيلها، كالانفتاح والشـفافية والنزاهـة الفكريـة والأخلاقية وعدم القطـع أو التمحوّر حول الـذات والانغلاق عليها.

أعطـى الثقافـة العربيـة بلا حـدود، خاض مسـاجلاتٍ في معركة الوعي والتقـدم وتجديد العقل العـربي، ولكـن خلال الاسـتجابة لتحديـاتٍ يطمـح إليهـا مـع كل مخلـصٍ للحـق والحقيقـة ومـن زاويـة علاقتـه بفلسـطين وقضيتها. وانشـغل بعـددٍ من القضايـا المهمّـة في حياتنا الثّقافيّـة، لمفكرٍ أثـرى المكتبـة العربيـة بعصارة فكره النيّر وأسـهم في تأسـيس اللجنة العربيـة لمناهضة الصهيونية، في إعـادة صياغـة معنـى فلسـطين وطرح أسـئلتها في المشروع الثقـافي العربي

ذلـك، لأنهـا فلسـطين، قضيـةٌ عربيـةٌ وحقٌّ إنسـاني عـادلٌ ونبيل وحقيقةٌ معيشـة ضمـن ثلاثيةٍ فكريـةٍ وإنسـانية وعمليـة، وأهميتهـا أنهـا تسـتعاد اليـوم في زمن فلسـطين، وتسـتحق أن أبدأ بما قالـه درويـش إلى المبـدع اليوناني **يانيس ريتسـوس**

(آه فلسطين، يا اسْم التراب، ويا اسْم السماء، ستنْتصرين..).

سؤال فلسطين والثقافة

تلاوةً عنـه وعـن مفاهيمـه لمعـايير الـنصر، وفرضيّـة الـنصر، المحقّـق والمؤجـل، ومـهما كان، فالحـرب تقـاس بنتائجهـا وبالقيمـة الثقافيـة، أي بمـدى نهـوض أو اسـتيقاظ الوعـي الجمعـي العـربي وتحريـر العقـل والوعي الإنسـاني من السردية الزائفـة والانتصار لسردية الحـق والحقيقة.

والتحرير يشبه عملية ولادة طفلٍ وهي عملية مؤلمة ولكن تؤدي إلى ولادة إنسانٍ جديد يسير على طريق الحرية

وهي مناسبةٌ للبحث بالسؤال البدهي: أين الثقافة العربية مما يجري؟ من ينتصر لمن؟ الثقافة العربية تنتصر لفلسطين أم العكس؟ في خضم جدل الثقافة العربية وفلسطين ولمناسبة الاحتفاء بالمنجز، لا بالمديح، فالأجدر منّي بالإجابة هو المفكر المناضل الدؤوب الذي لا يستسلم أبداً. ولا يكف عن المحاولة أبداً، الدكتور عبد الحسين شعبان

لماذا هو بالذات؟ ليس فقط لأنه النجفي ابن الرافدين، ابن العراق رمح العرب، حيث للمكان ذاتٌ أخرى، بعينٍ وعقلٍ وتاريخٍ ونزوعٍ وقلقٍ وفكرةٍ، وهو الأكاديمي والمثقف العضوي وسليل فكرٍ مزنّر بأسئلةٍ ومساءلةٍ وسؤال، الذي أضاف لها بالتزامه وبإبداعه وفكره وقلمه ووقته وعطائه. وإنتاجها كقضية وحقيقة، في الواقع والتاريخ، فعرفناه يشكّل بمفرده جيشاً ثقافياً قوامه جنديٌّ واحد، أو قل: جبهةٌ ثقافيةٌ شاملةٌ واسعةٌ مترامية بقيادة شخصٍ واحدٍ

المجتمع العميق

يخوض معركة وعي الوعي من باب إعادة النظر في الثقافة السياسية السائدة في المجتمع العميق، وليس في السياسة الثقافية للدولة العميقة فحسب، موغلاً بفكره التقدمي والعروبي والإنساني في عمق المسائل لمعرفة كل قضيةٍ كيف تؤثر على المثقف. وأين تكمن أزمة الثقافة كلما تراجعت فكرة التغيير وانتكست وسائل التغيير السلمية لمصلحة قضية العنف، والعنف دفع بحركة المجتمع المدني، وبقوى التغيير الحقيقية إلى الخلف، كاشفاً عن تراجع الحواضن الاجتماعية لعملية التغيير وهي لا تكمن في الدولة العميقة فحسب. لقد أحال عبد الحسين شعبان المسألة إلى المجتمع العميق.. لوعي أسباب الفشل في زمن حروب إبادةٍ جماعيةٍ وحشيةٍ، وإبادة الشعوب المجتمعات، يرافقها إبادة الوعي والهوية والثقافة.

فكان الحجر الذي قذف به في بركة الثقافة، فاتسعت دوائر الدوامة التي أحدثتها لتتقاطع مع دوائر أخرى، ويولد كتابه: «دين العقل وفقه الواقع». تسأل في أحد حواراته الجادة، بلغة النقد التفكيكي للظواهر: هل هذا المجتمع هو فعلاً الذي عشناه ونعرفه ونزعم أننا كنا نناضل من أجل تغييره؟ أم أنه مجتمعٌ آخر؟ ظهرت المظاهر الأنانية، والسرقات، والاستحواذ على المال الخاص والعام، والتدمير، وعدم الشعور بالمسؤولية، والنعرات الطائفية والمذهبية،

والنعـرات الدينيـة العنصريـة. لقـد حـدث نـوع مـن الخلـط، والاشـتباك المجتمعي، الـذي يحتاج إلى فـرز، وإلى عمليـة بنـاء، قـد تسـتغرق عقوداً مـن الزمان

ترذيل العروبة

وفي مقابلـةٍ شـاملة أجرتْهـا معـه مجلـة الهدف الفلسـطينية، تحـدّث بعمقٍ نقدي عـن تعويم الجوامـع والقواسـم المشتركـة بين العـرب، والمقصود بذلـك ترذيل «العروبـة» و»تنغيل» أي علاقة جامعـة للعـرب بمـا فيهـا لغـة الضـاد، وهـو مـا يمكّـن «إسرائيـل» مـن أن تكـون «الأقليـة» الأكثر تقدمـاً مـن ناحيـة العلـوم والتكنولوجيـا، ولاسـيّما بدعـم واشـنطن بشـكل خاص والغرب بشـكل عام

وفي جوابه عن السؤال حول مواقع الأحزاب السياسية في المشهد السياسي، قال: ثمة إرهاصات أولية على صعيد الواقع العربي والدولي علينا قراءتها بعقل منفتح ومرونة حركية ضرورية لمواصلة الكفاح لتحقيق ذات الأهداف، ولكن بوسائل جديدة تستجيب للتطوّر الكوني، فقد أظهرت الحِراكات الشعبية بعض الحقائق الجديدة التي لابدّ من دراستها والتعرف على ملامحها الأساسية، منها: ضمور دور الدعاة الحزبيين الأيديولوجيين، العقائديين، الذين بشّروا الناس بالجنة، أو بعالمٍ يحقق الوحدة العربية أو تحرير فلسطين (الآن وليس غداً)، أو ينجز حلم الاشتراكية والعدالة الاجتماعية الأخّاذ، حيث ظلّ الصراع بين القوميين والشيوعيين، ومع الإسلاميين في ما بعد، لا على الحاضر، بل على المستقبل، وأحياناً ليس في «مملكة الأرض»، بل على قيم السماء.

هكـذا ظلّـت الأمـور تجريديـةً أحياناً، فالصراع على القيـم والمثل والأهداف البعيـدة، تلك التي ينبغـي أن تتحـوّل إلى خطـط وبرامـج، وهـذه الأخيرة تحتـاج إلى نضـالٍ دؤوبٍ وأفعـال وحتى لو كانت الأهـداف خيّرةً ونبيلة

ذهنية القطع

في قـراءة المنهـج الفكـري لصاحـب «تحطيـم المرايـا» الـذي وجـد أن صياغة الممارسـة هي من أنبـل السـبل للممارسـة النظريـة، نجـد تفـسيراً لتناقـض بين تغييـب العقـل العـربي مـن ناحيـة وغيبوبـة العقـل العـربي مـن ناحيـة ثانيـة، وعـدم الخلـط بين العقـل السـياسي والعقـل العـربي، العقـل السـياسي الـذي تهيمـن عليه فئـة أو يتقولب في نصـوص جامدة، فكان خيـاره الانحياز إلى

شجرة المعرفة المورقة والخضراء دائماً، وبمنهجيته العلمية والنقدية والبحثية لتخترق الخطيئة الذهنية التي سادت العقل العربي عندما حقق تجاوزاً لمأزقين:

الأول: نقطة البداية، عندما ينظر للأحداث من لحظة النهاية وتصويرها كأنّها بداية، لقد أدرك العزيز عبد الحسين شعبان الحصيلة التاريخية لخبرة الصراع في المنطقة وعليها، لذلك لم يفعل مثل الذين فصلوا بشكل تعسفي أسباب الصراع عن نتائجه، من خلال تجاهل المقدمات التاريخية لأصل الصراع وللمشروع الاستعماري الغربي، من سايكس بيكو الذي قام لتفتيت المنطقة ولتنفيذ وعد بلفور وإقامة كيانٍ صهيونيٍ في فلسطين، وعبر المسافة الممتدة من 1948 إلى 1967 دارت حياة العرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر حول فلسطين. وإذ جاز القول إن مجمل الفعل قبل 1967 وانطلاقاً من هزيمة 1948 قد دار حول هدفٍ محدد هو تحرير فلسطين. نقطة البداية هي تحرير العرب لفلسطين، والعدو على مسرح الصراع يسعى لتصفية الحساب مع أخطر نتائج حرب 1948، أي احتلال فلسطين لحياة العرب، ووجدانهم. صار الهدف للكيان الصهيوني هو تحرير العرب من فلسطين بعد أن كان الهدف منع العرب من تحرير فلسطين، وعليه، لذلك كانت معركة اختراق الوعي لخلق ثقافة هجينة ونظم تابعةٍ وثم مُطبّعةٍ، تلبي شروط الاستعمار وتحتجز تقدم ومستقبل وحرية شعوبنا العربية وتبقيها رهينة التخلف والتجزئة والتبعية والنهب

والثاني: مأزق ذهنية القطع، عندما جرى القطع المنهجي بين النظرية والواقع وإخراج الحوادث عن سياقها واتجاهاتها كي نقرأ التاريخ بعدها بصورةٍ مجتزأةٍ وانتقائيةٍ دون تحليلٍ منطقيٍ وتفسيرٍ وتقييمٍ ومراجعةٍ شاملةٍ للوقائع، والالتزام بمبدأ التاريخ الاجتماعي وليس التاريخ الفردي. ليكون مكتملاً بروح القيم العليا التي تحيا بها الأمم. وكان أشد مظاهرها ضرراً، هو حبس تطورٍ كاملٍ للمجتمع، وليس الجانب الاقتصادي فحسب الذي حظي بالعناية المطلوبة في الدراسات المختصة بنظام الإلحاق والهيمنة الخارجية على حبس التطور، والتي قد تفسر جانباً من المأزق الذي نعيشه، ولكنها أعجز من أن تستوعب ما يقع من آليات داخلية جعلتنا نتمحور حول الذات والدوران في الحلقة المغلقة في دوائر مغلقة تسعى لإدانة الآخر والقطع معه وتبرئة الذات والانغلاق عليها. لنجد عبد الحسين شعبان يلح بنزاهة فكرية أخلاقية على المراجعة الشاملة ويدعو لاستعادة مفهوم القطع بنقد الأسس التي قام عليها، ومنها القمع والعنف والأقلية والداخل والخارج.

المراجعة النقدية الموضوعية

هـو الـذي أكـد في كتاباتـه العميقـة والجريئـة ضرورة المراجعـة، فكتـب: «هنا علينـا أن نفكر بالـدرس التاريخـي، والـدرس التاريخـي يتطلـب التوقـف عنـد مـا حصـل، أيـن نجحنـا؟ وأيـن أخفقنـا؟ ومـا أسـباب الإخفـاق؟ ومـا أسـباب الفشـل؟ ومن ثم مـا السـبيل لإنجاز عمليـة التغيير مـن دون الخسـارات التـي حصلـت طـوال هذه السـنوات العشر؟ أكانـت في البلـدان التي حصل فيهـا التغـيير، أو تلـك التـي أنجـزت فيهـا المرحلـة الأولى مـن عمليـة التغـيير، بانتهـاء الأنظمـة واسـتبدالها بأنظمـة جديـدة، أو في البلـدان التي لم تنجح فيها عملية التغيير، بل سـارت في دروب إلى درجـة التيـه أحيانـاً، وفي طريق اسـتخدام العنف والـسلاح، والاحترابـات الداخلية، والتدخلات الخارجيـة، والاسـتثمارات الأجنبيـة السـلبية، التـي آذت شـعوب هـذه البلدان، وأقصـد بالتحديد سـوريا، وليبيـا، واليمـن، وغيرها»

وفي تأملاتـه الفكريـة الحواريـة تجـد نفسـك أمـام موسـوعة شـاملة، بعقـل المـؤرخ يلجـأ إلى فلسـفة التاريـخ ليدلل على لسـان هيجـل: إن التاريخ مـراوغ وماكر، وخادع أحيانـاً، فليس كل ما يكتـب وكل مـا يقـال يمكـن أن يوصـل إلى النتائج المرجـوة، لكننـا إذا أردنا أن نتناول المسـألة من الزاويـة الإعلاميـة، أي أن نـؤرخ للحظـة بحسـب ألبير كامـو، فاللحظة لا تعكس حقيقـة ما جرى، ومـا يجـري، وحقيقـة الرؤية المسـتقبلية لعمليـة التغيير والإنجاز المنشـود

ومـن منطـق السوسـيولوجيا، يسـتند إلى ابـن خلـدون، أو أوغسـت كونـت، أو ماكـس فيبر، أو علي الـوردي، أو غيرهـم، يقول عبد الحسين شـعبان: «إن السوسـيولوجي لا يتنبـأ بالأحداث، وإنما يحلـل مـا هـو قائـم بعد مـرور مدة زمنيـة معينة ليتوصـل إلى قراءة اسـتنتاجية للمسـتقبل»

ليطل دكتور فلسفة القانون من الزاوية الحقوقية ويحلل لنا موضوع التغيير، والحراك الشعبي، أو الانتفاضة، أو الثورة، فمن زاوية الحقوقيين، يمكن رؤية ما له علاقة بشرعية نظام الحكم أو عدم شرعيته، ومن زاوية المشروعية أو عدم المشروعية. يبدع في توصيفه الحقوقي، وبخاصة لمسألة المشروعية مستنداً إلى قضيتين مركزيتين أساسيتين: الأولى رضى الناس، إذ لا شرعية حقيقية من دون رضى الناس، أما الشرعية الثانية فهي ما يمكن أن يقدّم من منجز حقيقي على صعيد الواقع العملي، وهذا يتعلق بشرعية أي نظام، وأي سلطة، وأي حركة، وأي تيار فكري أو سياسي، أما المشروعية فلها علاقة بحكم القانون، ومدى الاقتراب أو الابتعاد من حكم القانون..

الثورة مثل الحب

وفي تشخيصه العلمي لعملية التغيير، والثورة، ولتخليصها من التجريبية والفوضوية والعبثية، يعتبر أنها عملية مركبة، وعملية متداخلة، عميقة، فالثورة مثل الحب، لا يمكن أن يأتي مرةً واحدة، إنه يأتي تدريجاً، ويأتي بالتراكم، ويأتي بالممارسة، ولهذا يبقى الحب عصياً على الفهم، تماماً مثل الثورة؛ هي لا تأتي دفعةً واحدة، ولا تأتي مجهزةً أو كاملة أو نهائية، هي عملية تراكمية، وهي «بروسيس» طويل الأمد، وهي على حدّ تعبير المفكر السوري ياسين الحافظ: الثورة ليست نقراً في السطح، وإنما حفرٌ في العمق، والحفر في العمق يختلف عن النقر في السطح. نطلق هذا التعبير الأخير على عملية تغيير جزئية، أو على انقلاب، أو على تحول ليس تحولاً جذرياً عميقاً بعيد المدى يترك تأثيراً، أما الحفر في العمق فهو يحتاج إلى زمن، ويحتاج إلى وقت، ويحتاج إلى تراكم، ولهذا واجهت حركة التغيير طائفة من المنعرجات والمنحدرات والعقبات والعوائق، وتعرضت خلال مسيرتها إلى انكسارات، ولم تستطع ككل ثورة السير بصورة مستقيمة، وإنما كانت هناك دروب وعرة، ومفاجآت عديدة، ولا سيّما عندما دخل العنف والسلاح إليها، وأحياناً بالضد من إرادتها، فأجبرت عليها، أو اضطرت إليها، أو تناغم بعض أفرادها مع هذا التوجه، الذي لم يكن من كينونتها الأولى

صراع الإرادات والعقول

كنت قد قرأت وتعلمت وتعرفت على الخارطة الفكرية للعزيز الدكتور عبد الحسين شعبان من صفحات مجلة الهدف، التي لم يبخلْ عليها بمقالٍ أو إضاءةٍ وبحث جاد حتى عددها الـ55 الرقمي الخاص الأخير الذي صدر بالأمس، واتحفنا بمقاله: «طوفان الأقصى: صراع الإرادات والعقول».

الحدث العظيم الذي هزّ العالم في السابع من أكتوبر، إنّما أعادنا إلى سؤال البداية، ليسقط معه البدهيات العاجزة والمفلسة عن تفسير التاريخ وقراءة التحولات النوعية، ذكرنا ببعض فلاسفة اليسار، من فسّر المراجعة بالاستدارة من النقيض إلى النقيض. لكن المفكر اليساري حسين شعبان صاحب المنهجية النقدية الثورية الصارمة، وقف بالمرصاد ليمنع ولو نسبياً مخاطر الوقوع ضحية هذه الفرضيات. وتظهير البدهيات المطلوبة أن يتحقق تحرير الفكر من العقد التاريخية والتذكير بطبيعة وجوهر الصراع، لكونه صراعاً موضوعياً في مواجهة

مشروع نقيض يستهدف الجميع.

بعد عملية السابع من أكتوبر البطولية وما تبعها من جنونٍ عنصري وحرب الإبادة الجماعية لتصحح لنا ولغيرنا الأخطاء الفكرية القاتلة، حيث جرى عبر عقودٍ مضت بإعادة صياغة الوعي الجماعي وإنتاج أيديولوجية الهزيمة! بهدف تكسير الوعي الجمعي إلى جزئياتٍ متناقضةٍ لطمس صورة العدو الحقيقي في الذاكرة وإحلال آخر مكانه. ولم يفت كاتبنا الإضاءة على حقبةٍ من تاريخ "عصبة مكافحة الصهيونية ونقض الرواية الإسرائيلية" وإجلاء حقيقة الدور التضليلي الديماغوجي للحركة الصهيونية، بحق اليهود قبل غيرهم، وهو ما تكشف عنه وثائق العصبة ذاتها. والدور المشرف لقادةٍ دفعوا حياتهم ثمن موقفهم ضد الصهيونية مثل الشيوعي العراقي الرفيق "فهد" من الذين رفضوا موقف «الرفاق السوفييت» بشأن قرار تقسيم فلسطين. يومها ربط "فهد" مكافحة الصهيونية بمكافحة الاستعمار، فهما وجهان لعملة واحدة، وفي كرّاس صدر له بعنوان "نحن نكافح من أجل من؟ وضدّ من نكافح؟" يقول فيه: "إن مكافحة الصهيونية توجب مكافحة الاستعمار حتماً في فلسطين وكلّ البلاد العربية، ومن يزعم مناهضتها ولا يناهض الاستعمار يخدمها، أراد أم لم يرد"

سؤال اعرف نفسك

نتشرف ونعتز بالدكتور عبد الحسين شعبان، الرفيق والصديق والحبيب لفلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، منذ انطلاقتها بعد نكسة حزيران عام 1967، وهو من صفوة حوارييها الخلّص، وأشهد أنه كان بمثابة العقل المدبّر الذي يستشار في مواقفها وقراراتها ووثائقها، وهو الصديق الوفي لعددٍ كبيرٍ من قادتها الأوائل ومنهم د. جورج حبش رفيقه في الزمن الدمشقي، يوم كان "الحكيم" يلح على قراءةٍ جديدةٍ لمعرفة ليس من هو العدو فقط، بل ماهيّة هذا العدو؟ فانشغل الحكيم بكتابه "نحو فهمٍ أعمق وأدق للكيان الصهيوني"، وعندما أسس "مركز الغد العربي" أسس السؤال الفكري الذي يستفز العقل: لماذا هزمنا؟ ولماذا لم ننتصر؟ وكيف ننتصر؟

السؤال الذي ساهم في بلورته والبحث فيه عدد من المفكرين العرب، وكان بينهم د. عبد الحسين شعبان، وهدف هذا السؤال المؤرق البحث في الحقيقة التي يجب أن لا تضيع أبداً، وبشكل علمي إدراك طبيعة الصراع الموضوعية التي تجد ترجمة لها في حالة شاملة

مـن الاشـتباك التاريخـي المفتـوح والمسـتمر بين الأمـة العربيـة والشـعب الفلسـطيني مـن جهـة والمشروع الصهيـوني الأمبريـالي مـن جهـة أخـرى.

سؤال اعرف عدوك

أثـار نقاطـاً جوهريـة مهمـة، وطـرح أسـئلة أجـج فيهـا نيران السـجالات، أولهـا حـول طبيعـة الصهيونيـة ومـا يحكمهـا مـن أهـداف اسـتيطانية أيديولوجيـة عنصريـة تترجـم نفسـها اليـوم بممارسـات فاشـية تصـل إلى حـد تقديـس القـوة والقتـل والإبـادة. وثانيهـا حقيقـة الصراع، وأي محاولة فكرية لتخطيها وتجاهلها تحت أي ذريعة كانت، سـواء باسـم اتفاقات السلام أو العيش المـشترك، فهـي محكومـة بالفشـل. وما الـذي ينتظـره العالم من شـعب مصلـوب على الجدار غير الدفـاع عـن نفسـه وتحصيـل حقوقـه. وثالثهـا أن الصراع له سـمته التاريخيـة الشـاملة وتعبيراته ودينامياتـه الموضوعيـة التـي لا يسـتطيع أي طـرف التحكم فيها بمفرده، وربطاً باسـتمرار أسـباب الصراع التـي تعيـد إنتاجـه موضوعيـاً، والصراع لم يبـدأه تاريخيـاً العـرب أو الفلسـطينيون.

في خضـم هـذا الجـدل الفكـري جـاءت فكـرة عبـد الحـسين شـعبان لتدحـض تلـك التصـورات الخاطئـة عـن الحركـة الصهيونيـة وهرطقـات مفلسـة تأكـد فشـلها بالملمـوس مـن نـوع (حـق تقريـر المـصير للشـعب اليهـودي)، والزعم بـأنّ الصهيونية حركـة تحررٍ وطنيٍ لليهـود! كما تعامل بعـض اليسـار التافـه، بالرهان الخاسر على التحـولات الديمقراطية للدولة العبريـة! لتنفق بالدرس والبحـث والتدقيـق والتجربـة والأدلـة الدامغـة في غـزة وفلسـطين، وأنها لا تتحـول ديمقراطية بل عـداء للحيـاة والإنسـانية والعدالـة وتـزداد صهيونيـةً وعنصريـة وتطرفـاً وإرهابـاً وفاشـية وتحلم بتحقيـق مشروع الصهيونيـة بإقامـة إمبرياليـةٍ صغـرى، بهـدف اسـتعمار بالوكالـة يسـيطر على عمـوم بلادنـا وشـعوبها. إلى أن أفشى صديقنـا د. شـعبان سراً خـطيراً إلى د. جـورج حبـش.

مـا هـذا السر الـذي نهـش عقـل وتفـكير د. جـورج حبـش؟ وبعـد اجـتماع للتبيـان والتخطيط والـدرس، بـدأت رحلـة البحـث في مذكـرات ريدليـخ، وبإلحـاح منـه طـار د. عبـد الحـسين إلى بـراغ، للتفتيـش عـن أوراق تحتـوي معلومـاتٍ مـثيرةً تتعلـق بالصفقـة اللا أخلاقيـة بين النازيـة والصهيونيـة، الأمـر الـذي يعكس حقيقـة أن الصهيونيـة والنازية وجهان لعملةٍ واحـدة، وكلتاهما تسـتمدّ أيديولوجيتهـا مـن الفكـر العـنصري الاسـتعلائي

صراع مصيري

وسط هذا الجدل الصاخب الذي كانت الصهيونية محوراً من أهم محاوره، فجاء كتابه "مذكرات صهيوني" وثيقة دامغة لصناعة "الهولوكوست"، والمتاجرة بها ودور الصهيونية فيها، يوميات "إيغون ريدليخ" في معسكر تيريزين يعمل مع النازية من أجل حل المسألة اليهودية، من خلال دفع مواطنيه اليهود لمغادرة ألمانيا "طواعيةً"! وبشكلٍ مرعبٍ عندنا يذكر إيغون ريدليخ في يومياته كيف كانت الحركة الصهيونية في تشيكوسلوفاكيا ترسل الألوف من اليهود إلى معسكرات الإبادة الجماعية النازية، مقابل وعودٍ نازيّةٍ بإرسال بضع عشراتٍ ومئاتٍ من القيادات الصهيونية وأصحاب رؤوس الأموال إلى فلسطين. كأنما العالم يسير إلى الخلف، والسؤال: هل استطاع العالم أن يتعايش مع النازية الهتلرية؟ وماذا عن الصهيونية النازية الجديدة؟ هذا سؤال إلى الإنسانية جمعاء وليس شعبنا وحده! والذي دفع بمؤلف كتاب "لننتصر على هتلر" أبراهام بورغ ليقول قبل سنوات: "إن الحديث عن محو غزة يدل على أننا لم نستوعب الدرس". ويصف المجتمع الإسرائيلي بـ«المذعور» ويقول: "إننا معاقون نفسياً. إسرائيل تعاني صدمة نفسية مستدامة، صدمة النازية أفقدتنا توازننا. إننا نعيش بشعور أن كل العالم ينفر منا. التشدد يسيطر على هويتنا. إننا مجتمع يعيش على سيفه، وهذا الشعور ورثناه من ألمانيا، وكأن ما سلبوه منا خلال 12 عاماً يحتم أن يكون سيفنا كبيراً جداً. أليس جدار الفصل الذي نقيمه في الأراضي الفلسطينية خير دليل على انفصام الشخصية الذي نعانيه؟".

ويضيف بورغ: "الفاشية هنا الآن، إسرائيل هي دولة بلطجية ومستقوية وقاسية وإمبريالية وسطحية فاقدة لأصالة الروح ومنطوية على نفسها. الدعوات المتتالية إلى قتل الفلسطينيين وهدم منازلهم وترحيلهم والقتل وشرعنة سياسة الترحيل (الترانسفير) من خلال مشاركة أصحاب هذه السياسة في الائتلاف الحكومي، دليل على انتشار الفاشية"

وهنا تتمظهر الصهيونية الأساسية التي قام عليها الكيان وطبيعته وتناقضاته ومآلاته النهائية، ومستقبل هذا الكيان لن يكون غير ما كان عليه مستقبل النازية الهتلرية

أهمية الصراع الثقافي في نقض الرواية الإسرائيلية، خاضها عبد الحسين شعبان بالعقل والإرادة، كأنما اسمه الحركي "الثقافة المقاومة". لأنه انتصر للثقافة العربية بفلسطينها، وعلى أهم محور فيها وهو السردية الفلسطينية، تماماً كما فعل أبطال أكتوبر الفلسطيني حين أعادوا طرح سؤال البداية، واجب الثقافة العربية أن تنتصر للبدهيات التي تدرك أصل الصراع بين الأنا العربية والإنسانية والآخر الصهيوني المتغطرس الدائر بين الضحية والمجرم

وحـول حيـاة كالحيـاة، حيـاة الحريـة والكرامـة والعدل والحـق والحقيقـة، وبذلك تنـتصر لذاتها وللأمـة ولفلسـطين، وهنـا يكمـن قلق العدو الوجـودي، من انبعـاث الروح الفلسـطينية والعربية الجديـدة. الانبعـاث هـو نصر معنـوي، ونصر ثقـافي، فالمقاومـة بروحهـا وثقافتهـا وإرادتهـا هـي التعـبير الأسـمى عـن روح الأمـة

الويل لأمة لا تكرم مثقفيها

إن الحديـث عـن تعميـق مشروع الثقافـة العربيـة يحتـاج إلى مفكـر يبـوح بأفـكاره ويكتـب بمـا يؤمـن ومـا يعتقـد، تنقيبـاً في النصـوص والمراجـع والوثائـق وبجهـد جـاد في النقـد والكتابـة والشـجاعة التـي مثّلهـا د.عبـد الحسين شـعبان، لذلك هو تكريم مسـتحق! من فريق "دار سـعاد الصبـاح للإبـداع" الذيـن يعرفـون للرجـال قدرهـم، فقـد كان اختيـار هـذه القامـة الثقافية عملاً باذخـاً ورائعـاً، فهـو الرجـل الذي أسـهم في تكوين أجيال مـن المثقفين التقدميين، واسـتمر عطاؤه ممتـداً إلى الآن في الإنتـاج والتأليـف والبحـث والتكويـن ودعـم الثقافـة العربيـة. قامـة ثقافيـة حقيقيـة في أمـة تخـوض معركـة وعـي الـذات ووعـي الوعـي. لذلـك كل أمـة بلا ثقافـةٍ هـي أمةٌ تائهـة ومفككـةٌ ومـن السـهل تضليلهـا وأمـة بلا مقاومـة هي أمـة خاضعـة، مسـتلبة بلا كرامة

دمتـم ذخـراً للفكـر والثقافـة ولتحريـر العقل العـربي، والإنسـان العربي وتحرير فلسـطين ومن أجلهـا نبنـي الغـد والجيـل الذي لا يضـل الطريق! وبشـاعرنا محمـود درويش نختتـم الكلام:

(أتذكّـر السـياب، إن الشـعر تجربـةٌ ومنفـى، توءمـان ونحـن لم نحلمْ بـأكثر من حيـاةٍ كالحياة، وأن نمـوت على طريقتنـا، عـراق عـراق، ليس سـوى العراق)

شعلة الوصال.. المثقف الإنسان

د. مريم المنصور الصادق المهدي[1]

1- وزيرة خارجية السودان سابقاً.

حسناً تفعل الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح ودارها العامرة بالاحتفاء بكبار المثقّفين والمفكّرين البارزين في أثناء حياتهم وبحضورهم، حتى يشهدوا بأنفسهم العرفان لجميل صنيعهم، ويتمكن محبّوهم وعارفو فضلهم من أن يوفوهم حقّهم بتقديم شهادات الحب والإعزاز والامتنان؛ رداً للجميل واعترافاً بالفضل.

ومما يؤسف له أن ثقافتنا الدارجة لا تحتفي بإبداء المحبة، ومقلّة في تقريظ المحسنين على غير ما جاء في محكم التنزيل (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)، فالشكر الجزيل والتقدير مع الاحترام لشركة دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع على انتهاج هذه السنّة الحسنة المحمودة، التي تدعم وتقوي أهل البذل والعطاء برفع قدرهم والإعلام بهم وبجهودهم، وتعزّز الودّ بين الناس، وكذلك تحفظ القيم.

إن اختيار هذا العام تكريم د.عبد الحسين شعبان، وإبداء الوفاء لما قام به طيلة حياته، باذلاً بصلابة ومثابرة في عطاء دفّاق بعزيمة لا تعرف الكلل ولا الملل، شأنه شأن من قيل فيه

أَصَمَّ عَن غَضَبٍ مِن حَولِهِ وَرِضىً في ثَورَةٍ تَلِدُ الأَبطالَ أَو تَئِدُ

هو اختيار في محلّه، وتكريم صادف أهله. فهنيئاً لشركة دار سعاد الصباح هذا الاختيار، وهنيئاً للدكتور عبد الحسين شعبان هذا التكريم المستحق، وهنيئاً لنا نحن الذين نلنا شرف المساهمة بالكتابة عن هذا الرجل.

عندما راسلني الحبيب الدكتور عبد الحسين شعبان برسالة صوتية، طالباً بلطفه المعهود وكلماته الواضحة المباشرة أن أكون من ضمن الذين يكتبون عنه في هذه المناسبة الجليلة، اجتاحتني مشاعر شتى؛ الغبطة، الامتنان والفخر، ورغم ابتهاج فؤادي، فاضت دموعي، لأن أول ما جال في خاطري أن الله هيأ لي أن أقدّم العرفان والوفاء، ليس فقط لإنسان أحترمه، بل أساهم في تكريم صديق لوالدي الراحل المقيم، الإمام الحقاني الصادق المهدي، فقد جمعتهما صلة ممتدّة في الزمان، والتقيا في الأفكار كما في المجالس واللّجان العديدة، والمؤتمرات والمنتديات والندوات الفكرية والسياسية.

عندما بدأت الكتابة عن الحبيب، كما أناديه، د. عبد الحسين شعبان، تزاحمت أفكار

وأوصاف كلها تنتمي إليه وترتبط به، أحسست بهول المهمة، فاحترت عن أيها أكتب، وكيف أكتب عن بعضها وأترك الأخرى، فأقصّر في واجب العرفان لجميل فعل هذا الرجل، والوفاء لوافر فضله؟ وكيف للعدد المحدود من الكلمات التي طلب إليّ الالتزام في مقالي عنه أن يحيط بكل الجوانب التي أعرف عن هذه القامة المتّقدة حماساً وحضوراً؟ وهو الحائز على العديد من التكريمات من مختلف الجهات، حكومية، أكاديمية، منظمات مجتمع مدني وغيرها. لتعكس عمق الشخصيّة وتنوّع اهتماماتها.

أي الصفات أخصّص الحديث عنها:

- المناضل السياسي
- المفكّر المتمرّد
- المثقّف الشامل
- المعلّم التلميذ
- الإنساني العالم
- الماركسي المؤمن
- الثائر المتسامح
- الرجل النبيل

أم أي الأفكار المفتاحية التي أثارت اهتمامي بشكل خاص أناقشها لتعبر عن ماهية هذا المعلم المتواضع؟

- أهمية تعاطي العمل في السياسة، بمدخل ثقافي.
- محاذير ارتباط المعارضات الوطنية بالقوى الخارجية.
- خطر التعاطي باستخفاف في اختيار الوسيلة لبلوغ الغاية، فالوسيلة غير الشريفة لن تؤدي لغاية شريفة، ومآلات ذلك من انزلاق في استعمال الوسائل العنفية بما يؤدلج العنف، (لعل ما حدث في السودان مثال صارخ، باندلاع حرب طاحنة كل طرف فيها يدعي القتال من أجل هدف سام).
- لتحقيق قوّة المجتمع المدني وفعالية مشاركته مع الحكومات في قضايا التنمية، مما يوجب عليه أن يكون مبادراً، ويحوّل «قوّة الاحتجاج إلى قوّة اقتراح»، و»قوّة

الاعـتراض إلى قـوّة اشـتراك».

- المواطنـة السـليمة والمتكافئـة وحكـم القانـون، هـي الأسـس المطلوبـة للـدول العربيـة، فالمواطنـة الحقيقيـة تكـون بتوفـر حريّـات ومشـاركة ومسـاواة وعدالـة، ولا سـيّما الاجتماعيـة، فبوجـود معـدّلات فقـر عاليـة تكـون المواطنـة ناقصـة ومبتـورة.
- لمنـع المجتمعـات العربيـة مـن التفتّـت والتـآكل، لابـد مـن مصالحـات بـين التيـارات الاجتماعيـة والسياسـية، ونـشر ثقافـة الحـوار والتسـامح والسـلام وقبـول الآخـر.

فآثـرت الكتابـة عـن د. عبد الحسين الذي شـاهدته عن قرب وتعاملت معـه، وأن أبدأ الحديث عنـه بمقاربـة مـع صديقه والدي؛ الإمـام الصادق المهدي رحمـه الله، عبر آراء سـمعتها من د.عبد الحـسين شـعبان وأفـكار قرأتهـا لـه، والتـي نـادى بهـا وعمل مـن أجلها وكـرّس لها جهـده والدي الحقاني، وكذلك شـيم وخصـال اشتركا فيها

- الهـمّ المشـترك العميـق الـذي يجمـع بينهـما بقضايـا السـلام الشـامل والتعايـش بـين مكونـات الأمـة، وكيـف أن تكـون الهويّـات والحضـارات المختلفـة أساسـاً للتشـبيك والقوّة، وليسـت مدخـلاً للفرقـة والتفكيـك، بالاحـترام للتنـوع بـكل ضروبـه الثقافيـة الاجتماعيـة والسياسـية كمصـدر للـثراء، والاعـتراف بالعدالـة والمسـاواة بـين جميـع المكونـات.
- التنظـير الفكـري والتطبيقـي للمواطنـة لتكـون أساسـاً للحقـوق والواجبـات بإنصـاف في دولنـا، وأقلمـة وتوطـين قيـم الديمقراطيـة لتحقيـق السـلام العـادل الشـامل، والتنميـة المسـتدامة التـي تقـوم عـلى التكامـل والتعـاون بـين الـدول العربيـة ومحيطهـا الـتركي والفـارسي والكـردي.
- العمـل عـلى خلـق إطـار فكـري، يجعـل علاقـة دولنـا مـع العـالم الخارجـي تقـوم عـلى المصالـح المشـتركة بوعـي، والاسـتفادة مـن التقـدّم العلمـي والتكنولوجـي بمـا يحقـق العولمـة الحميـدة، منعـاً للعولمـة الخبيثـة التـي أساسـها الاسـتلاب والتبعيّـة.
- الانشـغال الـدؤوب لديهـما بمسـتقبل البشريـة وقضايـا البيئـة، والمخاطـر التـي تحـدق بمسـتقبلهما مـع التقـدّم الكبـير في آلات صنـع الحـرب الشـاملة وهيمنـة الأقويـاء عـلى الضعفـاء، وسـلب مواردهـم بطـرق مسـتحدثة في أشـكال متجـدّدة للاسـتغلال والاحتـلال، كذلـك هـما مهتـمان بإيجـاد سـبل لتغيـير هـذا المسـتقبل المخيـف للأفضـل.
- التركيـز بمبدئيّـة وفدائيـة عـلى محوريـة حـل القضيّـة الفلسـطينية بشـكل جـذري ومنصف كمدخـل للاسـتقرار في المنطقـة والعـالم، منطلقـين في هـذا العطـاء الفكـري الجـاد المحيـط

مـن معرفـة واسـعة بالحضـارة الإسـلامية والعربيـة، مـع انفتـاح فكـري جسـور وناضج على الثقافـات والأفـكار الإنسـانية، دون تحجـر أو تبعيـة، وبقـدرات بحثيّـة ونقديّـة متمكنّـة في فـرز الغـثّ مـن السـمين، متكئـين عـلى ثقـة بالنفـس وعـزة اكتسـباها بمعرفتهـما لـلإرث الأسري العريـق، الـذي ينتميـان إليـه ويعتزان بـه دون انحباس فيه، أو جعلـه مطيّة أو ميزة تقدمهـما في سـاحات الفكـر والنضـال والثقافـة، التـي أقدمـا عليهـا وتفوقا فيهـا بمؤهلاتهما الشـخصية وقدراتهـما الذاتيـة، عـلى غـرار قـول أمـير عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنه:

إن الــفتى مــن يقــول هــا أنا ذا ليــس الــفتى مــن يقــول كان أبي

هـذا التلمّـس لشـخصية د.عبد الحسين شـعبان والمعرفـة المباشرة به، هيـأه لي تشرفّي بأن أكون بصحبتـه في مجلـس أمنـاء مجموعـة السلام العـربي، المجموعة الفتيّة التي يترأسـها إنسـان فاضل وزعيـم جديـر بـالاحترام والإشـادة، لا يقـل بـذلاً بمثابـرة ومبدئيـة عـن مكرّمنـا د.عبـد الحـسين شـعبان؛ فخامـة الرئيـس اليمنـي الأسـبق علي نـاصر محمـد، واختـارت أمينـاً عامـاً لهـا، المهندس المثقـف الإنسـان والسـياسي معـالي وزيـر الثقافـة والداخليـة الأردني الأسـبق سـمير حباشـنة، مجموعـة جمعـت نخبـة مميّـزة مـن المفكريـن والمثقـفين والمبـدعين العـرب، تهتـم بخلـق سلام شـامل وعـادل في العـالم العربي.

هـذه المجموعـة تكونـت بعـد حـوارات عميقـة ونقاشـات صريحـة بين عـدد مـن المفكريـن والمثقـفين، الذيـن جمعتهـم الهمـوم المشتركـة والأفـكار المتطابقـة في منابر شـتى، فخططوا بدأب وإيمـان وبـصيرة لتكوينهـا. وقـد كان والـدي الإمـام الصـادق الحقـاني رحمـه اللـه أحـد المبادرين بطـرح فكـرة تكويـن المجموعـة، وسـاهم في الاجتماعـات التحضيريـة لتكوينها. وشـاء اللـه، الذي نـرضى قـدره ونحمـده عليـه، أن لا يـحضر والدي في يـوم إعلان إطلاق عمل المجموعة وتدشـينها، إلّا أنـه في ذلـك اليـوم ومـن داخـل قاعات جامعة الـدول العربية في أول العـام 2022، وفي الكلمة الافتتاحيـة لإعلان مولـد تلـك المجموعـة؛ حفـظ لـه أصدقـاؤه وزملاؤه دوره ومسـاهماته، فهـم خيـار مـن خيـار أهل وفـاء وحرّاس قيـم، فالوفاء فضيلة لا يسـتطيعها الكـثيرون، الفضيلة جامعة الفضائـل: الشـجاعة، الصـدق، الثقـة بالنفـس، الاحترام، المـروءة، الإيثار ووضـوح الرؤية

عبر العمـل في مجموعـة الـسلام العـربي؛ تعرّفـت على بُعـد في د.عبـد الحسين شـعبان لم تذكره المواقـع الإلكترونيـة، التـي وفـرت معلومـات ثـرة وقيمة عن أفـكاره وكتبه وسيرتـه، ولا وجدته في أحاديثـه ومقابلاتـه الممتعـة: كيـف أن د.عبـد الحـسين شـعلة للوصـال والتواصـل متقـدة للإنارة

والـدفء. ففـي عقـد هـذه الزمـرة الـخيرة مـن القيـادات؛ يشـكّل د.عبد الحـسين شـعبان الحبل الـذي تنظـم عليـه حبّـات العقد، وهو أحد أعمـدة الإشراق فيها، حاضر دومـاً في كل الاجتماعات، مسـتمعاً جيـداً ومتابعـاً حريصـاً لكل ما يُطرح ويقـال، يلخّص المداولات بإحاطة وشـمول، ليخرج علينـا في نهايـة المـداولات بأفـكار عميقـة بطريقة بسـيطة، مسـتنبطاً مما قيل نقـاط اتفاق يمكن البنـاء عليهـا، مـهما بلـغ عظم الاخـتلاف، ومقدّماً مقترحات لخطـط وبرامج عمـل لتنفيذها. يولي اهتمامـه لما قالـه كل عضـو، بصـورة تشـعر ذاك العضو بأهميـة ما قاله وجـدواه، وبأن حضوره لم يكـن فقـط أمراً منـحصراً في عـدّه ليكتمل بحضـوره النِّصاب اللازم لعقـد الاجتماع.

فكيـف لا يكـون الحديـث الـذي أدلى بـه العضـو/ة حديثـاً مـهماً، وقـد اسـتمع له وخـرج منه بخلاصـة العـالم العلامـة د.عبـد الحـسين؟ وبهذه عملـت بروح إيجابية بين المشـاركين سـاعدت في خلـق التوافـق، كما عـزّز التعامـل الإنسـاني تشـكيل روح الفريـق في المجموعة.

هذه مَلَكة مدهشة للدكتور شعبان، بل موهبة عبقرية في إعطاء الجدوى والقيمة لكل ما يشارك فيه، وإعطاء الإحساس بالأهمية لكل من يتعامل أو يعمل معه. يزينها لطف تلقائي في التعامل، ووضوح وبساطة في الحديث وانتقاء الكلمات. ومع غزارة علم د.عبد الحسين، وعمق تجربته، وصلابة انتمائه لأفكاره؛ فإنه يطرح أشد المفاهيم تعقيداً بلغة بسيطة وواضحة، دون تقعر في الحديث أو تشدّق بالكلمات، وبمرونة تفتح الباب أمام الرأي والرأي الآخر، تجعل من يتعامل معه يحسّ بالأمان في الحوار، وسهولة في تبادل الآراء معه، رغم قامته العلمية ومكانته الفكرية المهيبة. وهذه الموهبة العبقرية النابعة من احترام عميق للنفس والآخرين وتقديرهم، مهما صغر مقامهم، هو ما يفتح القلوب أمامه، ويجعله آسراً لها بمثل إقناعه للعقل.

حتـى إن المجموعـة الشـبابية المنبثقـة مـن مجموعة السلام العـربي اصطفته راعيـاً لها. وهذه سـلطة لا تماثلهـا أخـرى: السـلطة على القلوب، وأسر النفـوس. ولعمري هذا الأسـلوب في التعامل لا يتـأتّى إلّا بتوفّـر أمريـن في آن واحـد، وهـو نـادر الحـدوث: توفـر رصيـد ضخـم مـن الـذكاء الاجتماعـي، الـذي يصعـب توفّـره في الرجـال، وبخاصـة الشرقـيين منهـم؛ والأمـر الثـاني أن يتحلّى بـروح ديمقراطيـة حقيقيـة، تحتفـي بالـرأي الآخر.

أمّـا حضـوره الكثيـف في مجموعـة التواصـل الاجتماعـي التـي تضـم عضويـة مجموعـة السلام العـربي؛ فحديـث ذو شـجون. ففـي العـادة لا يشـارك في التـداول داخـل المجموعـات مـن هـم

في مقام د.عبد الحسين، هذا إن قبلوا بالدخول فيها أصلاً، إما لموانع عدم المعرفة بالتعامل مع عالم الأسافير، أو لحفظ منظر «الأهمية» الذي يتطلب في الفهم العام تمنعاً في التواصل، وإقلالاً من الظهور، إلّا د.عبد الحسين، شعلة الوصال، فهو سهل التواصل، حاضر الردّ وجميل التفاعل، حريص على التواصل الفعّال، والمجسّد لأقواله حول دور المثقف وضرورة تفاعله مع محيطه بكافة السبل، والتأثير الإيجابي فيه شداً للواقع نحو المثال.

ومن باب الحرص على التواصل الفعّال فإنه كثير الأسفار محاضراً ومناقشاً ومعلماً ومحاوراً، وهو من القلائل من المفكرين العرب الذين زاروا السودان، فقد زارنا فيه عدّة مرات، ألقى أثناءها محاضرات مهمة، وأجرى حوارات عميقة، أثْرت وأثّرت في الساحة السياسية والفكرية في السودان، وبخاصة في موضوعات السلام والعدالة الانتقالية.

وقد شرّفني د.شعبان بتقديم ندوة مهمة عن العدالة الانتقالية بمنزلي في القاهرة، التي عشت فيها أثناء فترة الحرب العبثية بالسودان، والتي وافق على إقامتها بكل ترحاب رغم مشغولياته وجدول أعماله المكتظ.

حضر تلك الندوة عشرات من المدعوّين من مجموعات ثقافية وفكرية وجهوية ونوعية وعمرية متنوعة، منهم السياسيون والإعلاميون، والأكاديميون، والحقوقيون، ونشطاء المجتمع المدني، والمثقفون، ورجال الأعمال، وقد وثقت أن يعيننا د.عبد الحسين في تقديم موضوع العدالة الانتقالية، وفتح النقاش والتداول لهذا المفهوم المهم لمستقبل السودان، بما يضمن تكامل ثلاثية الحكم المهمة: الاستقرار والسلام والعدالة، وأن يعرض علينا أسس العدالة الانتقالية بصورة علمية موضوعية، ويشرح المفاهيم التي تقوم عليها، وبخاصة مفهوم العدالة الترميمية بديلاً عن العدالة العقابية، وكيفيّة شدّ النظر للاستفادة من دروس الماضي دون الاستغراق في آلامه.

وقد جرت تلك الندوة في ظل أجواء استقطابية صارخة، لذلك كنت أخشى أن يصيب ضيفنا الكبير بعض رذاذ الغضب والحدة، التي رانت علينا نحن السودانيين أثناء فترة الحرب في نقاش هذا الموضوع، الذي صار التعامل معه يتم بشكل حاد لحساسية موضوعاته، كما أنه لم يجد الاعتناء بالتعرف إليه والتداول حوله، فصار هو في حد ذاته موضوعاً للاستقطاب حول مع وضد، دون معرفة حقيقية به في الغالب، ولكن الطريقة التي قدّم به أستاذنا المخضرم د.شعبان تلك المحاضرة القيمة، وأبحر بها في محيطات ذاك المفهوم؛ تاريخه وربطه

بثقافتنا العربية والإسلامية، فلسفته والأسس التي يعتمد عليها، التجارب الإنسانية التي طبقته وأقلمت مفاهيمه في مواعينها الثقافية، والنقد الموضوعي والدروس المستفادة من تلك التجارب، وضرورة إخراج «العدالة الانتقالية» من كونها إملاء غربياً أو مفهوماً دخيلاً إلى عملية وطنية تهدف للتصالح المجتمعي دون ترك للعدالة أو تخلّ عن الرحمة، موظفين في ذلك إرثنا الثقافي، ليتمّ إدماج تلك المفاهيم ضمن قيم وآليات المجتمع

قدم د.عبد الحسين تلك الموضوعات المعقدة، بلغة جذلة وأسلوب تداخل فيه القانون والسياسة والعلاقات الدولية مع الشعر والأدب، والفقه الإسلامي مع الفكر الإنساني بشكل رائع، فشكلت نسيجاً فريداً أخاذاً، فجلس إليه المتلقون بإصغاء، معطّلين كل الحواس، عدا حاستي السمع والبصر، وكان تعامل د.شعبان مع جميع المداخلات بصبر المصلحين، وحكمة الخبراء، وسعة صدر العلماء

وجدت تلك المحاضرة استحساناً كبيراً وصدىً واسعاً، كتب عنها العديد من الحضور، مشيدين بالمحاضر وأسلوبه وما أثاره فيهم من تفكير وتأمل، حتى إن أحد الحضور من القانونيين الناشطين في الدفاع عن حقوق الإنسان كتب سلسلة مقالات حول الندوة، أخرجها لاحقاً في كتاب أهدى د.عبد الحسين نسخة منه.

ختاماً؛ إن الاحتفاء بالدكتور عبد الحسين شعبان احتفاء بالعطاء النوعي المتميز، وتكريمه وفاء واحترام لمستقبل الأجيال القادمة بتعريفهم بقامة تستحق المعرفة والاقتداء بها

وفقّه الله وحفظه وزاده حضوراً وعطاءً.

كاتوكالا – الهند- أغسطس 2024

أيقونة الثقافة المشرقيّة

د.مظهر محمد صالح[1]

1- مفكّر اقتصادي – مستشار رئيس الوزراء للشؤون المالية – العراق.

توطئة

ليس من اليسير ولوج مسار مهم من مسارات تطوّر الثقافة المشرقيّة وتحليل منظومتها الفكريّة المعاصرة دون أن يكون حاضراً مَنْ يعتلي ترسانة تطوراتها ويجسّد عالماً موضوعياً مفعماً بالأيديولوجيا العضويّة، أَلا وهو المفكّر الدكتور عبد الحسين شعبان.

فهو واحد من المفكّرين القلائل ممّن كرّسوا أبحاثهم وكتاباتهم لخدمة قضايا الأدب وعلم الاجتماع والاجتماع السياسي والإنساني

نصف قرن من الكفاح الثقافي

ففي طيف من كتاباته الواسعة على مدار أكثر من نصف قرن، لامَسَ فيها هموم المجتمع العربي في محاور الوطن والحياة والإنسان، وجسّد فيها حالة المثقّف العضوي الذي عمل على ربط النظريّة بالممارسة العمليّة (البراكسيس)، وهو يسعى لتحويل الأفكار إلى أفعال تعزّز من قوّة وتأثير طبقته الاجتماعيّة، التي دافع عنها إنسانياً منذ مطلع حياته الثقافيّة والسياسيّة، إذ جمع في شخصه بين حبّه للأدب، ونشاطه السياسي الثقافي

وظلَّ يرى حقاً أنَّ الحريّة والجمال والإبداع رسالة الثقافة والأدب، تتناقلها الأجيال.

قدَّم عبد الحسين شعبان في رسالته الثقافية تفسيراً للواقع العربي من وجهة نظر إنسانيّته، ووجّه جهوده نحو تحقيق أهداف أخلاقيّة في مجتمع أمثل خالٍ من الظلم الطّبقي وبشاعة الاستغلال، وهو ما تطلب منه فهْماً عميقاً ووعياً قادراً على تدوير زوايا المشكلات الطبقيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة في عالمنا المشرقي، لولادة جيل من الثقافة والمثقفين في مناخات سياسيّة واجتماعيّة شاقّة وصعبة، عاشها الأديب والمفكّر عبد الحسين شعبان منذ النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اللحظة

وبهذا انقسمت حياة الدكتور عبد الحسين شعبان الفكريّة لتأخذ اتّجاهين أو انتماءين تحليليّين، ربّما نجدهما متناقضَين في المسار والمنهج أحياناً، ولكنّهما يلتقيان في النتائج والأهداف

هُويّة المدرسة التفكيكيّة

فالانـتماء الأوّل: يتّجـه نحـو تبنّي مدرسـة تفكيكيّـة مشرقيّة، فمثلما عاشـت أوروبا في النصف الثـاني مـن القـرن العشريـن عصراً مـن عصـور الفلسـفة التفكيكيّـة، التي أصّلها فيلسـوف فرنسـا **جـاك دريـدا Jackie Élie Derrida** المولـود في الجزائـر في العـام 1930 واصفـاً التفكيـك de-construction بأنـه مجموعـة مـن الأسـاليب غير محـدّدة المعـالم لفهْـم العلاقـة بين (النـص) و(المعنـى)، مبتعـداً عـن الأفـكار الأفلاطونيّـة حـول الأشـكال والجواهـر «الحقيقيّـة»، التـي تقدّر قيمتهـا فـوق المظاهر

إذ إن اسـتخدام **دريـدا** لكلمة التفكيـك deconstruction هو بالأصل ترجمة لكتاب (التدمير) الـذي سـاقه الفيلسـوف الألماني **مارتـن هايدجـر** Heidegger المولود في العـام 1889، حيث يشير مصطلـح هايدجـر في ذلـك إلى عمليـة استكشـاف الفئـات والمفاهيـم التـي فرضتهـا التقاليد على الكلمـة والتاريـخ الـذي يقف وراءهـا. وهنا كان اسـتخدام دريدا لكلمة التفكيـك كترجمة لكتاب التـدمير في علـم اللغـة كما ذكرنا آنفاً

ومنـذ ثمانينيّـات القـرن العشريـن، ألهمـت هذه المقترحـات الخاصـة بمرونة اللغة بـدلاً من أن تكـون ثابتـة وقابلـة للتمييـز بشـكل مثـالي، مجموعـة مـن الدراسـات في العلـوم الإنسـانيّة بما في ذلـك تخصّصـات القانـون والأنثروبولوجيـا وعلـم التاريـخ وعلـم اللغـة، وعلـم اللغـة الاجتماعـي والتحليـل النـفسي وغيرهـا. كما أثّـرت التفكيكية أيضاً في الهندسـة المعماريّـة وانصرفت كذلك إلى الفـن والموسـيقى، والنقد الأدبي

أمّـا في المشرق العـربي، فيقـف المفكّـر عبـد الحسين شـعبان على نقطـة الافتراق بين الأفلاطونيّة نفسـها حـول الأشـكال والظواهـر التـي تقـدر قيمتهـا فـوق المظاهـر، ليأخذنـا بأوجـه متجـدّدة نحـو أخاديـد الفلسـفة التفكيكيّـة اللغويّـة والبحـث من خلالهـا في مفارقات السياسـة والاجتماع والتاريـخ والأنثروبولوجيـا، التـي تحـاكي المجتمـع الشرقـي معرفياً

فعندمـا يتنـاول عبـد الحـسين شـعبان اليـوم موضوعـاً حسّاسـاً في دراسـته الموسـومة: «**الهُويّة بين النظـرة التفريقيّـة والمسـاواتيّة**»، نجـده في عالمنـا المشرقـي تفكيكيّـاً في تنـاول فكـرة «انفتاح الهُويّـة وحركيّتهـا مـن خلال قضيّتَـي الزمـان والمـكان». إذْ يتصـوّر الكاتـب بهذا الشـأن قـائلاً: «.. وإذا كانـت ثمّـة تحـوّلات تجـري على الهُويّـة على صعيـد المـكان - الوطـن، فالأمـر سـيكون أكثر

عرضـة للتغـيير بفعـل المنفـى وعامـل الزمن وتـأثير الغربـة والاغتراب

وهكـذا فـإنّ الزمـان والمـكان لهما تـأثير كبير في المتـغيّرات المتراكمـة، التي تحـدُث على الهُويّة، وخصوصـاً بتفاعلهـا مـع هُويّـات أخـرى. وحسـب **محي الديـن ابن عـربي** (**فالزمان مكان سـائل، والمـكان زمـان متجمّـد**)، وبهـذا المعنـى فاخـتلاف الهُويّات ليـس أمراً مفتـعلاً، ولاسـيّما باختلاف البلـدان والقوميّـات أو حتـى داخـل الوطـن الواحـد، لأن ثمّـة مجموعـات ثقافيّـة مختلفـة إثنيـاً ولغويـاً وسلاليـاً ودينيـاً عـن الأخـرى، ناهيـك عـن اخـتلاف هُويّـة الفـرد الخاصـة عـن غيره مـن جهـة، وعـن الجماعـة البشريّـة مـن جهـة أخـرى. ومـن المفارقـة أن بعـض المهاجرين مـن أصول غير أوروبيّـة تراهـم الأكثر حماسـة، بـل تعصّبـاً لهُوّياتهم الجديـدة، لدرجة يبدو أن هـذا التطرّف إزاء الهُويّـات الأخـرى غير المندمجـة، إقصائيـاً وتهميشـياً وحتـى عدائياً»

ومـن جانبـي أرى غالباً ما يشير الصراع الوجودي coexistent struggle إلى نوع من الصراعات التـي تتعلـق بالبقاء والهُويّة والأسـس الأساسـيّة لكيـان ما أو مجتمع معيّن. ويمكـن أن يكون هذا الصراع على مسـتوى الأفـراد أو الجماعـات أو الـدول. فتفاعـل الهُويّة الوطنية كنسـيج (ديناميكي كلّي) ثقـافي واجتماعـي وإنسـاني، لا ينفـي خصوصيّـة النسـيج الهُوّيـاتي (الجزئي اللّاسـكوني) حتماً، فالهُويّـات (الجزئيّـة السـاكنة) لا تقـوّي ديناميكيّـة الهُويّـة الوطنية الشـاملة أو الكلّيّـة وتقود إلى حالـة مـن التشـتّت واللّامسـاواة والانعـزال، مـا لم تقـوِّ شـوكتها التفاعليّة وتجسّـد ذاتهـا الحركيّة أو اللّاسكونيّة

هنا يسـتكمل المفكّر عبد الحسين شـعبان في موضوع الهُويّة بين النظرة التفريقيّة والمسـاواتيّة قـائلاً أيضـاً :»ثمّـة نوعـان مـن الهُويّـات، **الأولى** التـي يُطلق عليهـا (الأغلبيّـة) مجازاً بحكـم الكثرة العدديّـة، والتـي تسـتبطن التفـوّق والتسـيّد والهيمنـة، **والثانيـة** التـي نسـمّيها (الأقليّـة)، التـي هـي الأقـل عـدداً، والتـي تشـمل ضمناً الاسـتتباع والخضـوع والقبـول بالمواقـع الأدنى، ومثل هذه الثنائيّـة فيهـا الكـثير مـن التفريعـات المتناقضـة أحيانـاً، والتـي تحتـاج إلى فحـص دقيـق في إطار مبـادئ المواطنـة والمسـاواة، التـي تقـوم عليها الدولـة العصرية..»، ثـمّ يؤكد الكاتـب ذلك بالقول :»إنَّ التعصّـب هـو اتّجـاه إلغائي لمن لا يتعصّب له، ويكشـف جدل الهُويّـات.. وإن اختيار الصراع بـدلاً مـن التعايـش، والصـدام بدلاً من الوئـام، هو الأمر الذي سـيكون ضاراً وخطـراً على الهُويّات الـكبرى والصغـرى، وهـذه الأخيرة إن لم يتـمّ احترامها وتأمين حقوقها المتسـاوية، فسـتكون عنصر ضعـف كـبير يتّسـع باسـتمرار على مسـتوى الهُويّـة من جهـة والدولة من جهـة أخرى..»

وهكـذا نجـد أنّ مسـاحة الوعـي التفكـيكي لـدى عبـد الحـسين شـعبان يتّجـه صـوب التحـري لملامسـة حالـة الإدراك واليقظـة، التـي يكـون فيهـا المفكّـر على علـم بمـا يحيـط بـه ومـا يجـري داخلـه مـن أفـكار ومشـاعر بمـا في ذلـك الإدراك الـحسّي، والوعـي بالـذات، والقـدرة على التفكير العـقلاني، واتخـاذ القـرارات، وفهْـم المحيـطين بنـا، حيـثُ عـدّت قضيّـة الوعـي عنـد المفكّـر عبد الحـسين شـعبان أساسـاً للعديـد مـن الأنشـطة العقليّـة والذهنيّـة، وهـو يتجّـه صـوب الفلسـفة الإنسـانيّة، وعلـم النفـس الاجتماعـي المشرقـي وغيرهما.

فالسـكون الهُويّـاتي الجـزئي عندمـا يتناولـه عبـد الحـسين شـعبان بالنقـد والتحليـل، يُظهـر لنا حالـة لا يُمكنهـا في الأحـوال كافـة إلّا أن تقـوّي ديناميكيّـات الهُويّـة الوطنيّـة!

فـبين السـكون الهُويّـاتي الجـزئي والسـعي لبنـاء هُويّـة وطنيّـة كليّـة، هنـاك ثمّـة انكسـار يقود بـالضرورة إلى نظـم سياسـيّة مكوّناتيّـة توفيقيّـة غير مسـتدامة، هشّـة الانقسـام والتفـرّق

المثقّف العضوي

أمّـا **الانـتماء الآخـر** فيتمثّـل عنـد الأديـب والكاتـب عبدالحـسين شـعبان بشـخصيّة المثقّـف العضـوي Organic intellectual. وهنـا تنطلـق الثقافـة العضويـة مـن فكـرة الأيديولوجيـا العضويّـة، وهـو المفهوم الذي اسـتخدمه فيلسـوف إيطاليـا **أنطونيو غـرامشي** Antonio Gram-sci في كتاباتـه في سـجون الفاشـيّة (**رسـائل السـجن**) في ثلاثينيـات القرن الماضي، للإشـارة إلى نوع مـن الأيديولوجيـا التـي تنبثـق بشـكل طبيعي من البنيـة الاجتماعيّـة والاقتصاديّـة لمجتمع معيّن. وتـأتي الثقافـة العضويّـة على تضـادٍّ مـن الأيديولوجيـا المفروضـة من الخـارج أو مـن النُّخب، فإن الأيديولوجيـا العضويّـة تنمـو مـن التجربة اليوميّـة للمجتمع وتعكـس ظروف حياتهـم الواقعية. وهنـا تـؤدي الأيديولوجيـا العضويّة دوراً مهماً في تشـكيل الهيمنة الثقافيـة Cultural hegemo-ny، إذْ تصبـح القيَـم والمعتقـدات التـي تـعبِّر عنهـا مقبولة على نطاق واسـع، ويتمّ تبنّيها بشـكل غير نقـدي مـن قبـل الجماهير

ويميّـز غـرامشي بين المثقـف العضـوي والمثقـف التقليـدي. فالمثقـف التقليدي هو الـذي يعتبِر نفسـه مسـتقلاً وموضوعيـاً، ولكنـه غالبـاً مـا يخـدم النظـام القائـم بصـورة غير مبـاشرة. وعلى النقيـض مـن ذلـك، فـإنّ المثقف العضـوي مرتبط بشـكل وثيق بالطبقـة الاجتماعيّة التـي ينتمي إليهـا ويسـعى لتحقيـق مصالحها

فمثلما خاطب **أنطونيو غرامشي** في «رسائل السجن» إطلالات الوعي وبنية المثقف العضوي، فإن الشرق بثقافته العضويّة يخاطب «غزّة» سجينة الاحتلال الغاشم وكأنّما غزّة كلّها جسّدت أنطونيو غرامشي فيلسوف إيطاليا في واحدة من سجون الفاشيّة.. إنها الثقافة العضويّة التبادليّة التي يلامس فيها الأحرار، عبر بوابات شرق المتوسط، سجون الإنسانيّة كي تفتح مغالقها.

هكذا شقَّ المفكر عبد الحسين شعبان طريقه بين كبار المثقفين العضويين الأكاديميين ممّن تفاعل مع حراك جامعة بنسلفانيا وغيرها في قضيّة غزّة. إذْ عُدّت انتفاضة الطلبة في الجامعات الأمريكيّة المحافظة لمناصرة غزّة، مرآة عاكسة وصادقة لتطوّر الوعي النقدي غير المسيّس للمثقف الأكاديمي العضوي، وهو اصطفاف (تلقائي) مفاجئ يتفجّر غالباً خارج المحرّكات السياسيّة الحزبيّة ومقوّماتها الأيديولوجيّة، وبعيداً عن تأثير درجات انغلاقها وانفتاحها كقوة متحزبة تخضع لتكتيكات ومصالح المنظمات الحزبية في التأثير والتعبير إزاء حروب التوحش التي لم تهدأ في منظومة رأس المال المركزيّة.

ومنها على سبيل المثال، انتفاضة طلاب الجامعات الفرنسيّة، والتي سمّيت وقتها حقاً re-volt of Paris، حيث قادت عوامل متعدّدة إلى اندلاع الاحتجاجات الطلابيّة في العام 1968، وجاء العديد منها رداً على الظلم الملحوظ من قبَل الحكومات -في الولايات المتحدة الأمريكيّة تحديداً ضدّ إدارة الرئيس جونسون- إذْ كانوا معارضين للتجنيد الإجباري وتورّط الولايات المتحدة في حرب فيتنام

وهكذا ظلّت شرارات الوعي تلتهب على مرِّ التاريخ المعاصر وتأخذ على الدوام شكلها التلقائي النقدي (الحركي الجمعي)، ولاسيّما عندما تبلغ الحروب الرأسماليّة نقطة اتّقاد توحّشها في قساوة أسلحتها كأدوات قتل ضدّ الإنسانيّة وانتزاع حقّ تقرير المصير من الشعوب المضطهدة كما هو حال الشعب الفلسطيني اليوم

فالمثقف العضوي organic intellectual كما عبّر عنه فيلسوف إيطاليا **أنطونيو غرامشي** ثانيةً شخص يخرج من سياق اجتماعي وثقافي محدّد ويستخدم معرفته وتأثيره للدفاع عن التغيير الاجتماعي أو تحدّي هياكل السلطة القائمة، وأنه غالباً ما ينشأ من مجموعات مهمّشة أو مضطهدة ويقدّم وُجهات نظر بديلة للأيديولوجيات السائدة

وهنا يواصل المفكر شعبان في حوار الثقافة العضويّة وبعنوان مهم: «**غزّة والحرب الأكاديمية**» قائلاً: «وبغضّ النظر عن مآلات الصراع ونتائجه في غزّة، فإنّ الوضع الأكاديمي في الجامعات الغربيّة لن يعود إلى سابق عهده، بل إنّ ثمّة تحوّلاً نوعياً إزاء القضيّة الفلسطينيّة قد أصبح واقعاً، ولم يعُد مقتصراً على الطلبة العرب، الذين يدرسون في الجامعات الغربيّة، بل تخطّاه إلى شرائح واسعة من الطلبة الغربيين وغيرهم»

ويستنتج شعبان رأياً مفاده أن ذلك «قد يؤدي إلى تغييرات مستقبليّة ببروز قيادات مختلفة عن سابقاتها، التي كانت مؤيّدة لإسرائيل بصورة تقليدية وعمياء. وقد تنشأ جماعات ضغط جديدة عربيّة تكون موازية لجماعات الضغط الإسرائيليّة، وهو الأمر الذي يحتاج إلى دعم عربي شامل، ولاسيّما من جانب الحكومات العربيّة. فقد أطاحت غزّة بالشعارات الرنّانة، ووضعت الجميع أمام استحقاقات جديدة ذات أبعاد إنسانيّة، بما فيها إعادة النظر بالديمقراطيات الغربيّة ذاتها، والتي يطلق عليها المفكّر الأمريكي **نعوم تشومسكي** الديمقراطيات المنقوصة»

فنرى حقاً أنّ ما يجري اليوم من وعي جمعي للنخب المثقفة ينطلق تحديداً من كيانات أكاديميّة تتمثل بالجامعات لتصنع الرأي العام الإنساني في التأثير على قرارات تهمّ مصير الشعوب المضطهدة، وتأتي اليوم بزخمها كبديل (ديناميكي) لتحركات التنظيمات الحزبيّة، التي مازالت بطيئة التعبير في تحريكها للرأي العام صوب القضايا المصيريّة للشعوب، والتي يسيّرها في الغالب نمط أيديولوجي (إستاتيكي) مؤطّر بأوامر مركزيّة يزحف على مسالك احتجاجيّة ضيّقة، أو غالباً ما تتحرّك أو تسكن على خرائط المصالح السياسيّة عند تبريد المواقف أو تسخينها.

ففي تاريخ الحركات الوطنيّة خارج التحزّب السياسي مثلما قام به الثائر الكبير **جيفار** وانفلاته في النضال نحو تحرير جنوب العالم اللاتيني، إذْ جاء متحرّراً من قبضة الحزب الواحد ليجسّد بوعيه نمطاً حادّاً ومسلّحاً في التعبير عن انعطافات المثقف العضوي من انغلاقات الوعي المسكون بأيديولوجيا أُحاديّة، وليرسم بنفسه ورفاقه دروب الحريّة وفلسفة التحرير.

غزّة: التضامن.. التضامن

وهنا ينصرف الدكتور شعبان مع العديد من المفكّرين الأكاديميّين ليؤكدوا وبصوت عالٍ مفارقة الوعي والثقافة العضويّة في مواقف الدول اللّاتينية تجاه غزّة، ولاسيّما ما قاله الزعيم

البرازيلي **لـولا دا سـلفا** في قمّـة الاتحـاد الأفريقـي في **أديـس أبابـا** وبالنص: «إنّ ما حدث للشـعب الفلسـطيني في قطـاع غـزّة.. لم يحـدُث أبـداً في أيّ وقـتٍ مـن التاريـخ»، وهـذا الموقـف وغيره مـن المواقـف لعـددٍ مـن رؤسـاء وحُـكّام دول العـالم، قـد جعلـت المواطن العـادي والمتابـع لهذه الشـؤون مـن العرب، يشـعرون بالـحيرة والدهشـة والغرابـة والحرَج

فثـوران الطلبـة في الجامعـات الأمريكيّـة (ببُعده الواعي النقـدي اليوم) يتّخذ اتجـاهين: **الأوّل**، أن الطلبـة هـم قـوى (مثقفـة عضويّـة) تلقائيّـة في إنسـانيّتها خالصـة، قـد أسّسـت أيديولوجيـا عضويّـة لنفسـها. و**الثـاني**، أنّهـا قـوى ولـدت مـن رحـم المؤسسـة الأكاديميّـة الجامعيّـة المحافظة، وهـي خاليـة مـن القيـود والأنظمـة الحزبيّـة، على الرغـم مـن القمـع البيروقراطـي والبوليـسي والتشريعـي الـذي تتعـرّض لـه، مـا يعني أن صلابـة وديمومة تأثيرها بسـبب قوّة مبادئهـا والتعبير عنهـا بشـكل مبـاشر دون قيـود ملزمة، هـي أقوى تأثيراً على عمـوم الرأي العام مـن أي تنظيمات سياسـية تتـحلى بالأفـق النمطـي التدريجـي التطـوّري evolutionary في الحـركات الاحتجاجيّـة الحزبيّـة، وهـو أفـق بطـيء لا يبـدّل حركـة التاريـخ ولا يسرّع مـن انعطافاتها، بل هـي محاولات حزبيّـة خاليـة مـن تفـجير الأفـق الثـوري أو بلـوغ غليـان الثـورة أو الانتفاضـة revolt كما فعـل الطلبـة في جامعـة كولومبيـا وغيرها.

وهنـا يذكّرنـا المفكّر شـعبان بأنمـاط تاريخيّة في الثقافـة العضويّة المشرقيّة وتحديـداً انتفاضات الطلبة في العـراق بالقول

مـرّت قبـل أيـام الذكـرى الـ76 لتأسـيس أوّل اتحاد طلابي عراقي، والذي انبثق في سـاحة السـباع ببغـداد في 14 نيسـان/أبريل 1948، يـوم التهـب الشـارع الـطلابي والوطني مردّداً قصيدة الشـاعر الكـبير الجواهـري «أخي جعفـر»، والتي يقـول في مطلعها

أَتــعلَمُ أمْ أنــتَ لا تَــعلمُ بأنَّ جِــراحَ الضَّحــايا فمُ

وحينهـا كانـت الحركـة الطلابيّـة العراقيّـة والعربيّـة تمثّـل رأس حربـة أحيانـاً في المواجهـة وفي إشـعال فتيـل التظاهـرات والاحتجاجـات، في إطـار الحركـة الوطنيّـة، ولا سـيّما دورهـا المتميّـز في نصرة الشـعب العـربي الفلسـطيني وقضيّتـه العادلـة على مـدى التاريـخ المعـاصر، وخصوصـاً مـا حصـل بعـد العـدوان الـثلاثي الإنجلـو - فـرنسي الإسرائـيلي على مصر في عـام 1956 وعـدوان 5 حزيـران / يونيـو 1967 على الأمّـة العربيّـة مـن جانـب إسرائيـل

وأخيراً، فبين غزّة 2024 وهانوي 1968 يوجد خطّ ثقافيّ عضويّ واحد مشترك، هو (ثورة الطلاب) التي تتكثف في إنسانيّتها على مدار أكثر من نصف قرن (أي ثورة طلاب فرنسا في 1968 وثورة طلاب جامعة كولومبيا وغيرها في 2024)، وهما حصيلة واحدة في تكاثر الوعي لبلوغ نقطة انفجار (ثورة الوعي نفسه) لفرض السلام بقوّة العقل النقدي المدني، وإيقاف الحروب الرأسمالية غير العادلة، والتي تستسيغ الانفلات والإفراط في مستويات التوحش باستعمال أدوات العنف، حتى بلوغ جرائم الحرب.

ختاماً، إنّه من الجميل أن تهبنا الحياة حقاً مناخاً ثقافيّاً وإنسانيّاً راقياً تقوده شاعرة العرب والإنسانية الدكتورة سعاد محمد الصباح ليحيط تكريمها في (يوم الوفاء) لقوى فكريّة وأكاديميّة نادرة يتقدّمها اليوم المفكّر الدكتور عبد الحسين شعبان.

ألتمس هذه المناسبة لتقديم شكري وتقديري لشركة دار الصباح للتوزيع والنشر بكتابها ومثقّفيها والعاملين فيها في تكريمها للعقل العربي والإنساني المفكّر.

والله ولي التوفيق.

سفير المعرفة العراقي

ملا بختيار[1]

1- مشرف مركز جاودير التنويري - السليمانية - كردستان العراق.

السيدة الدكتورة سعاد الصباح..

بعد الاحترام.

رسالتك، رسالة مثقفة عربية خليجية، وصلت إليّ، أنا الكردي العراقي، للاحتفال بـ»يوم الوفاء» للدكتور عبد الحسين شعبان المعطّر برسالتكِ وجوابي، وهو ما ألغى مسافة مئات الكيلومترات بيننا!

مقدمة أهنئكم خالص التهنئة على قراركم المعرفي، وأنا على يقين أن مثل هذه القرارات تعمّق روح الفكر والنقد الحرّين والفلسفة المدنية في الكويت والمنطقة. أظن أن الكتّاب الكويتيين يفكرون على هذا النحو تماماً

عزيزتنا الدكتورة سعاد!

إن د.حسين هو ذروة، قلم، منجم فكر، لا يحتاج إلى تعريف. أستطيع أن أسمّيه سفير المعرفة العراقي والمناضل الصادق من أجل الديمقراطية، ترسخت في وجدانه حقوق المظلومين والمهمشين ومصير كُردستان

معاناة مزمنة

صدقوني أن الكتّاب والمفكّرين الكردستانيين العراقيين الحقيقيين عانوا من أسوأ أشكال القمع والسجن والقتل والنفي والتشريد وما إلى ذلك في الشرق الأوسط أكثر من أي كاتب آخر. ولذلك دفع أدباء أمثال عبد الحسين شعبان أغلى ثمن لنضالهم السياسي ورسالتهم الفكرية في منطقتنا.

تذكروا ما فعله هتلر بألمانيا والعالم خلال 10 سنوات من الحكم. لقد حكم النظام البعثي العراق خمسة وثلاثين عاماً، وكانت النتائج واضحة فيما حدث للعراق وكردستان والكويت والمنطقة. لقد أثر الوضع السياسي وعصر الإرهاب البعثي على الكتّاب والفنانين وكل من أراد الحريّة، وبخاصة الذين حملوا أفكاراً يسارية وديمقراطية، حيث تعرّض الجميع لرعب الحالة الخطيرة، وفي مقدمتهم الكتّاب والفنانون والمؤمنون بالحريّة وبخاصة حَمَلَة الفكر اليساري

والديمقراطي. صعبٌ ومريعٌ أن تكون كاتباً ومبدعاً تعيش في ظل نظام شمولي ككاتب، وتقضي حياةً بعيدة عن العبودية!!

الشجاعة والحريّة

يعتبر الدكتور عبد الحسين من أدباء الفكر والمعرفة في العراق والمنطقة، يجب أن يُفتخرَ بشجاعته وحريّته. لأنه لم يحنِ قلمه الجميل وهامته للظلم قط. لقد دافع دائماً عن شرف قلمه وحرية التعبير، وحين لزم الأمر، لم يتردد في «حمل السلاح» إلى جانب بيشمركة كردستان في الجبال. وفي تلك الظروف كانت أسلحة المقاومة ضد صدام وجيشه قمّة موقف المناضلين العراقيين.

إن المناضلين والكتّاب، أمثال الدكتور شعبان، لم يترددوا في محاربة منتهكي الديمقراطية منذ الستينيات. نعم، إنهم مستمرون لأنهم يعلمون أن العملية الديمقراطية ورسالة الإنسانية في العراق والعالم لا يزال أمامهما طريق طويل لتقطعاه. وحتى في عصر العولمة هذا، ينبغي أن نتذكر دائماً أن الرسالة الحقيقية للديمقراطية والإنسانية لا يمكن التضحية بها من أجل منافع الليبرالية الجديدة اللاهثة وراء الأرباح!!

الفكر النقدي

يعتبر الدكتور حسين فارساً فكرياً واعياً للتاريخ العراقي المعاصر في عالم السياسة والأيديولوجية، كما أنه من حَمَلَة الشعلة البارزين في الكتابة المعرفية والعلمية والنقدية. فَهِمَ تفاصيلَ مفهوم المعرفة بدقة، ونفّذ بعمق رسالة النقد. ويدرك الدكتور أن المعرفة هي أحد أهم مبادئ البحث، وأن النقد هو أفضل وسيلة علمية للنهوض بعالم الإبداع. وأي كاتب لا يمتلك خبرة مثل الدكتور شعبان، في المعرفة والنقد، لا يستحق أن يحمل القلم بصفته كاتباً

ينابيع كردستان

إن كتاباته تنبع من ينابيع الفكر الإنساني المتناغمة. وكأنها صفاء ينابيع كردستان النقية. هناك العديد من الينابيع المتناغمة في كردستان تتدفق بشكل جميل ولطيف وتصب في الزابين (الزاب الكبير والزاب الصغير) ونهري دجلة والفرات لتختلط بمياه الخليج في شط العرب، لأن الألوان المختلفة للطبيعة والمناخ كانت منذ بدء الخليقة مزيجاً ضرورياً للحياة،

لكـن النـاس لم يفهمـوا ولم يـسبروا بعـد غور قـوانين وقواعد الطبيعـة للحياة. الطبيعـة خُلقت في وئـام تـام، لكـن الإنسـان مليء بالتناقضات

وقـد امتزجـت روح الدكتـور شـعبان بهـذه الينابيـع المتناغمـة، وصـار عقلـه يحلـق في سماء الإنسـانية. ليـس هنـاك أدنى كراهيـة أو رد فعـل غير لائـق في ذهـن الدكتـور شـعبان. يكتب دائماً بشـكل منطقـي ومثبـت وهادئ وعلمي. كتاباته رسـائل ود تجنح إلى السـلم وليـس إلى الضغينة! ولذلـك فـإن الدكتـور شـعبان يحارب دائمـاً النزعة الرجعيـة المحافظة من دون أن يـؤدي ذلك إلى العداء

مـا أعظـم الكتّـاب الذيـن يعدم «الفاشـيون» رفاقهم، أو يُقتَـل رفاقهم الأبريـاء في خضم الثورة والمقاومـة المسـلحة، ولكـن الدكتـور عبـد الحـسين مخلـص لأصدقائه وللفلسـفة لا يضمـر الحقد ولا يضحـي بحبّـه ووفائـه لرفاقـه مـن أجـل الحقـد الأعمـى، ولا يسـخّر الأمانـة العلميـة لخدمـة أيديولوجيته.

إن كتّـاب العـالم الكبـار، عندمـا يكتبـون للإنسـانية يجتثـون بهـدوء أنـواع الكراهيـة والعـداء ولا يسـتجيبون لهـا، بـل يـردون على الكراهيـة بالحـب مـن أجـل الـسلام، ولذلـك، دخـل الأدبـاء الكبـار، مـن بـاب الإنسـانية الواسـع، إلى أعماق أجمـل فكـر في التاريـخ المعـاصر. ولـولا وجـود هـؤلاء الكتّـاب في العـالم، لاندلعـت حروب عالمية أخرى كثيرة. ولذلك أسـتطيع القـول إن الكتّاب المبـدعين حقـاً هـم أكثر تـأثيراً بين أبناء الإنسـانية مـن الأمم المتحـدة، بل إن فكرة الأمـم المتحدة انبثقـت أساسـاً مـن أفـكار الفيلسـوف كانـط، ولا تعـود إلى تشرشـل أو سـتالين أو روزفلـت!

الكاتب الكبير

الكاتـب الكـبير يحافـظ على عظمة إبداعه وجمال قلمه في كتاباته وانتقاداته بعيداً عن تعميق روح الكراهيـة والانتقـام. كان د.حـسين شـعبان، يرسـم كتاباتـه من وجهة نظره بمـا يعكس الفكر الإنسـاني الجميـل. نعـم مـا أجمـل مـن يسـكبون أفكارهم كالنحـل في ضـمير الإنسـانية. يفرغون الضـمير مـن الكراهية ويثرونه بالحـب والوئام!

منـذ عـام 1963، تعـرّض العـراق للقتـل والكراهيـة وفَـرضِ النزعـة الشـوفينية ومعـاداة

الديمقراطيـة. واسـتمرت هـذه المأسـاة أربـعين عامـاً. وفي عـام 2003، أسـدل السـتار على مأسـاة الأحـداث في العـراق بإسـقاط صـدام حـسين. وفي تلك السـنوات ومـا بعدها، تعـرّض الدكتور عبد الحـسين شـعبان للظلـم والتعسـف مثـل ملايين المواطـنين ومئـات الكتّـاب. فُـرضَ الحظـر على كتاباتـه. طاردتـه السـلطات، إلّا أنّ أيـاً من هذه الأحداث لم تشـوه الأمانة العلميـة في كتاباته، لذا نـال ثقـة وحـب الكتّـاب والمثقـفين، إنـه جديـر بأن يُحتفـى به ويقـدر في «يـوم الوفـاء» ويصبح ضيفـاً عزيـزاً على الكويـت العزيـزة التـي أراد صـدام في عـام 1990 ضمّهـا إلى العـراق بقـراره الشـخصي الجائـر، مثـلما أراد محـو كردسـتان

شعبان وكردستان

نحـن الكـرد وكتّـاب مثـل الدكتـور شـعبان وقفنـا مـع الكويـت ورفضنـا قـرار الطاغيـة الجائر. معلـوم أن «يـوم الوفـاء» هـو لهـؤلاء المبـدعين الذين عمقـوا المفهـوم الحقيقي للوفاء، وسـيكون ذلـك المفهـوم رسـالتهم الدائمـة، وليس لمن يلبسـون الوفاء قناعـاً يخفون به طبيعتهـم وماهيتهم الحقيقيـة مؤقتـاً. هنـاك الآلاف ممـن اعتبروا أنفسـهم كتّابـاً عبر التاريـخ، حاولوا إخفـاء هويتهم تحـت قنـاع الوفـاء ولكـن لم يبق منهـم أحـد في سماء الإبداع مثـل الدكتور عبد الحسين شـعبان.

فالكاتـب لا يصبـح مبدعـاً بقنـاع ولا يجـد مكانـاً يليـق بـه في ضـمير الإنسـانية بالشـعارات المزخرفـة والجمـل الطنانـة. إن الكاتـب الحقيقـي لا يحتـاج إلى قنـاع، بـل يريـد الإبـداع، لا يريد أن ينـال رضـا السـلطات القمعيـة، بـل يهمـه ضـمير الإنسـانية. والدكتـور حسين شـعبان هو أحد هـؤلاء الكتّـاب، لم يسـتخدم قـط قنـاع الخـداع، ولم يكـن ضد فاشـية صـدام فقط، إنـه حتى الآن لا يمـدح ولا يطـري حـاكماً مـن الحـكام بعـد صـدام!! ولـن يتردد في العمل حتى ينجـح العراق في عمليـة التحـول إلى الديمقراطيـة وإقامـة نظـام ديمقراطـي حقيقي. إنـه كاتب متمـرس يعرف أن تحقيـق الديمقراطيـة في العـراق في هـذه المنطقة ووسـط أزمـات الشرق الأوسـط المتفاقمة مهمة صعبـة.. لكـن الكاتـب الكـبير لا يخـاف مـن الدخـول في خضـم المهمـة الصعبـة وتناولهـا بجـرأة فائقة..

صداقة حميمة

منـذ الثمانينيـات سـمعت اسـم الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، كقلـم، ككاتب وناشـط. ومنذ سـقوط صـدام وأنـا أقـرأ أعمالـه الأدبيـة والنقديـة والفكريـة وأتابعهـا بجـد. وقمـت بدعوته إلى

عـدة دورات مهرجـان كَلاويـز الدوليـة الـذي يقـام سـنوياً في مدينة السـليمانية المسـتمر منذ 27 عامـاً مـن دون أي انقطـاع، وإلى مؤتمـر دابـران (القطيعـة) الـذي أُشرف عليـه بنـفسي. والـذي تمخـض منـه ومـع الدكتـور شـعبان اقتراح **تأسـيس مركـز تنويـري للحوار العـربي – الكـردي** إيماناً منّـا بتوطيـد العلاقـات وتطويرهـا، وفي كل مـرة يـشترك في أنشـطتنا المعرفيـة والتنويريـة، يكـون مثـالاً لكاتـب ينبـذ الأنانيـة، حقـاً إنـه قلم سـيال يهـوى الفكـر الحر.

بشتاشان

وآخـر كتـب الدكتـور عبـد الحـسين تاريخـي وأدبي ونقـدي بعنـوان (بشتاشـان أو خلـف الطـواحين..) طبـع في 2024، في 247 صفحـة يتضمـن موضوعـات متنوعـة مـثيرة للاهـتمام. لكـن الصفحـات مـن 179 إلى 196 تهـزّ الضـمير أكثر. وأنـا -القـارئ الكـردي والقـرّاء العـرب العراقـيين وبخاصـة الشـيوعيين العراقـيين- نعـرف مـا يريد الدكتور شـعبان أن يقولـه للقارئ الواعـي. وَمَن لم يـشترك في الأحـداث المسرودة في الكتـاب لا يعـرف مـدى الألم الذي يضمه هـذا الجزء المتضمن أحـداث عـام 1983 على **سـفوح جبـل قنديـل - بشتاشـان**.

كانـت بشتاشـان مسرحـاً لحـرب أهليـة داميـة في كردسـتان، حيـث دارت معركـة بين الاتحـاد الوطنـي الكردسـتاني وقـوات الجبهـة الوطنيـة الديمقراطيـة، انـتصر فيهـا الاتحـاد الوطنـي الكردسـتاني. سـفكت فيهـا دمـاء كثيرة. وانتهت المأسـاة بمقتـل 56 مقاتلاً أسيراً من حـزب الدكتور عبـد الحـسين، لكـن بعـد 41 عامـاً من تلـك الحادثـة المفجعة، التقى شـعبان بهدوء وتسـامح مع **نـوشيروان مصطفـى أمين** الـذي قـاد قـوات الاتحاد الوطني الكردسـتاني في ذلك الهجوم. واسـتهل حديثـه عـن نـوشيروان بالـكلمات الجميلـة لغانـدي فيلسـوف التسـامح: لا أحـب كلمـة العفـو، ولكننـي لم أجـد كلمـة أفضـل منهـا. مـا أجمل خطـاب غاندي وما أجمل تسـامح الدكتور شـعبان وذهنـه المفعـم بـه إزاء سـفك دمـاء رفاقـه، إذ حـال دون أن ينـال الثـأر مـن روحه المتسـامحة.

سـقتُ هـذا الـكلام لتعـرفي سـيادتكِ أيّ كاتـب كـبير تكـرّمين ولِمَـن تمنـح الوفـاءَ مؤسسـتكم المخلصـة.

يبقـى أن نقـول إن الدكتـور شـعبان نشـأ في بيئـة النجـف مدينـة الشـهداء. ولكـن مـن تلـك البيئـة الدينيـة، انفتـح على الفلسـفة اليسـارية مثـل زهـرة حمـراء، ولم يكـن الأمـر قطيعـة تامة مـع الديـن. لقـد كان ناشـطاً ديمقراطيـاً واقعيـاً صاحـب رسـالة. لم يعانـد فكـره اليسـاري الديـن

والمذهـب، بـل كان اكتشـافه فلسـفة معـاصرة لـلصراع والتغـيير، وليـس للعـداء

لقـد فشـل معظـم الديمقراطـيين واليسـاريين في الشرق الأوسـط لأنهـم لم يدرسـوا ثقافـات وعـادات بلدانهـم بعمـق، ولم يفهمـوا الوضـع الطبقـي وواجبـات الكتابـة والفـن. أمـا الدكتـور حـسين شـعبان، فقـد فهـم ككاتـب هـذا الأمـر على أنـه جـزء مـن واجبـه الإنسـاني والديمقراطي المحـب للحريـة!

أتمنى له العمر المديد.

أتمنـى أن تسـتمر مؤسسـتكم في العطـاء ومنـح هـذه الخدمـات الجميلـة في يـوم الوفـاء لمـن يسـتحقون الوفـاء! حقـاً إن الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان مـن هـؤلاء الجديريـن بالوفـاء!

2024 / 7 / 30

الدكتور شعبان وحرفة الثقافة

د.مهدي جابر مهدي[1]

1- أكاديمي وباحث من العراق وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي سابقًا

يـقترن اسـم الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان بموسـوعة معرفيّـة شـاملة تمتـدّ لميادين السياسـة والثقافـة والمجتمـع وحقـوق الإنسـان والقانـون، وترجمـت تلـك المجـالات بمـا يزيـد على ثمـانين كتابـاً أغنـت الثقافـة العربيـة بدراسـات منهجيّـة رصينـة أصبحـت مرجعـاً للـدارسين والباحـثين إضافـة للقـرّاء. هذا إضافة إلى إسـهاماته الفكريّـة في المؤتمرات والندوات والمقـابلات والمحاضرات وغيرهـا مـن النشـاطات الثقافيّة

تميّـز د.شـعبان بالجمـع الإبداعـي بين الأبعـاد الإنسـانيّة والثقافيّـة والسياسـيّة، وترجـم هـذه الخصـال ليـس فقـط في نتاجاتـه الثقافيّـة والفكريّة، بـل وأيضاً في نشـاطاته العمليّـة. فإضافة إلى كونـه مفكّـراً وباحثـاً وأكاديميـاً فهـو مناضـل سـياسي وناشـط مـدني ومدافـع فاعـل عـن حقـوق الإنسـان. وتـجلّى ذلـك في العديـد مـن المهـام والنشـاطات، حيـث يقـدم لنـا بجهـده الخـاص ومثابرتـه الدؤوبـة وشـغفه المعـرفي، نتاجـات رصينـة احتلّـت موقعـاً مميّـزاً ومرموقـاً في العـراق والعـالم العربي

ولتعدّد وتنوّع نتاجاته، سنتوقف سريعاً عند بعض الجوانب المتعلقة بالحقل الثقافي.

- **السِّلم والتسامح واللّاعنف**

يركّـز الدكتـور شـعبان في العديـد من كتاباته ونشـاطاته على أهميّة السِّـلم والتسـامح وثقافة اللاعنـف. وأسـهمت مؤلفاتـه العديـدة والمميزة في هـذا المجـال بالتعريف بأهميّة هـذه القضايا ودورهـا في تحقيـق الأمـن والاسـتقرار والازدهـار. وسـلّط في كتابـه الموسـوم «فقـه التسـامح في الفكـر العـربي» الضـوء على جوانـب مهمّة تتعلق بأهميّة ودور التسـامح في ثقافـة وبناء المجتمع عبر مختلـف العصـور، حيـث أشـار إلى أن التسـامح كمفهـوم في العـالمين العـربي والإسلامي مازال قليـل القبـول لدى أوسـاط واسـعة، في حين كما هـو معروف أنجـزت البشريّة رصيـداً ثقافيّاً مهماً على هـذا الصعيد

وجـاء إعلان المبـادئ بشـأن التسـامح الصـادر عـن منظمـة الأمـم المتحـدة للتربيـة والعلـوم والثقافـة (اليونسـكو) في 16 نوفـمبر 1995، ليشـكّل نقلـة نوعيـة في التعاطي مـع المفهوم، حيث عـرف التسـامح في البنـد الأوّل مـن مادتـه الأولى: «.. الاحترام والقبـول والتقديـر للتنـوع الثري

لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزّز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرّية الفكر والضمير والمعتقد، إنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب وإنّما هو واجب سياسي وقانوني»

وقد أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة السادس عشر من نوفمبر كلّ عام يوماً عالمياً للتسامح بغية تعزيز المبادئ والقِيَم المتعلقة بالتسامح والوسطيّة ونشر الاعتدال واحترام التنوع الثقافي والانفتاح.

ورصد الدكتور شعبان تطوّر مفهوم التسامح من الفرد إلى المجتمع ومنه إلى الدولة والمجموعة الدولية عبر أربعة مداخل مهمة وهي:

1. **المدخل الديني الثقافي.**
2. **المدخل السياسي.**
3. **المدخل الحقوقي والقانوني.**
4. **المدخل الاجتماعي والاقتصادي.**

ومن هنا يمكننا القول إنّ كتاب الدكتور شعبان «فقه التسامح»، وكذلك دراساته ومقالاته تشكّل مساهمة نوعية في التعريف بأهميّة التسامح وتنقية العقول لوقف العنف منطلقاً من كون التسامح أصبح حاجة ماسّة ولم يعد ترفاً فكرياً

كما يؤكد د.شعبان دائماً أهميّة اللّاعنف ثقافةً وممارسةً في آن. وهنا يعبّر بدقة عن فهمه الفلسفي العميق للقضايا الإنسانيّة حين يقول: «إنّ الوسيلة هي جزء من الغاية، ولكي تنسجم الوسائل التي نتوخّاها مع الأهداف النبيلة التي نطمح إلى تحقيقها، الأمر الذي يقتضي اختيار الوسائل السلمية لأنها ترتبط ارتباطاً عضوياً بالغايات الشريفة، مثلما هي علاقة الشجرة بالبذرة، فهذه من تلك مثل علاقة الفرع بالأصل، والعكس صحيح أيضاً، حسب ما يذهب إليه زعيم المقاومة السلميّة (اللّاعنفية) في الهند المعاصرة المهاتما غاندي». (انظر كتاب د. شعبان: بشت آشان، خلف الطواحين.. وثمّة ذاكرة، ص 128)

وجدير بالذكر أن الدكتور شعبان نقل أفكاره حول التسامح واللّاعنف إلى الميدان الأكاديمي، حيث عمل نائباً لرئيس جامعة اللّاعنف وحقوق الإنسان في العالم العربي في بيروت، وتتلمذ على يديه العديد من الباحثين والدارسين

• **المنهج وليس التعاليم**

يستند الباحث الدكتور شعبان في سياق تناوله للظواهر الاجتماعية على المنهج الماركسي كمصدر معرفي أساسي دون أن يقع في الديماغوجيا. وسعى للنقد والمراجعة والتجديد والقراءة الجديدة للماركسيّة من منظور متنوّع. ونلمس هذه الأطروحات بوضوح في دراساته، ومن أهمها كتابه «تحطيم المرايا – في الماركسية والاختلاف» 2009، وكان لي الشرف في كتابة دراسة عنه بعنوان «إشكاليّة العلاقة بين الفكر والممارسة في نقد كتاب تحطيم المرايا – في الماركسيّة والاختلاف» نُشرت في كتاب الدكتور شعبان «الحبر الأسود والحبر الأحمر – من ماركس إلى الماركسية» 2013، إضافةً إلى مساهمات رصينة أخرى لعدد من الكتّاب والباحثين من العالم العربي

ويدعو د.شعبان في كتابه هذا إلى قراءة منهجية جدليّة تفترض التغيّر تبعاً للتطوّر في ميدان العلوم والتكنولوجيا وحاجات الناس ومتطلّباتها الحياتية والاجتماعية. ويحدّد قناعته بوضوح قائلاً: «المنهج الماركسي مازال يحتفظ بحيويته، لكن بعيداً عن القوالب والصيغ الجاهزة التي تخطاها الزمن». (انظر كتابه: الحبر الأسود.. ص 10) ومؤكداً أن «الماركسية بحكم طبيعتها الديناميكيّة، كمنهج وأداة للتحليل، كان بإمكانها تجاوز أخطاء التطبيق أو إخفاقات الممارسة». (كتاب: تحطيم المرايا ص 28).

ومعروف قول كارل ماركس في «البيان الشيوعي» الصادر في 1848: (لم يقم الفلاسفة إلّا بتفسير العالم والمهّم هو تغييره). ومن هذا المنطلق يقول د.شعبان: «كان ماركس يؤمن بالحركة والتطور، وهو بالتالي يؤمن أن الفكر نتاج الحركة، وأن فهْم العالم يعني التغيير». (تحطيم المرايا ص 49)

ولا يكتفي د.شعبان بعرض فهمه للماركسيّة، بل ويستمر في طرح الأسئلة الجادّة التي تثير التأمل والتفكير، حيث يقول: «هل كان ماركس تاماً، بجهوزية كاملة، وهل كانت تعليماته تصلح لكل زمان ومكان، أَم أنه كان وضعياً نقدياً، جدلياً توليدياً، يمكن استخدام منهجه

المادي الجدلي في وضعيات نقديّة توليديّة لأزمنة وأمكنة أخرى، وإنه لحدّ الآن، لا يزال يمثّل جانباً مشرقاً في تاريخ الفكر الفلسفي الحي، يمكن الاستفادة منه، حتى من قبل (الأعداء) خصوم الماركسيّة ذاتها، في مقارباتها النقدية الاجتماعية؟» (كتاب: الحبر الأسود.. ص 69)

هنا تتّضح رؤية د.شعبان للماركسية كمنهج وفي هذا الإطار وليس خارجه، ولكن بعيداً عن الجمود. تتيح لنا هذه الرؤية إمكانية التفكير العلمي النقدي الجاد. حيث إن تقديس النص والتمسّك به بصورة جامدة بعيداً عن سياقه الاجتماعي والتاريخي، ألحَق الضرر الكبير بالفكر الماركسي ذاته من جهة، وبالممارسة العمليّة من جهة أخرى، حيث أثبت الواقع فشل -إن لم نقل- عجز الأحزاب الماركسية (الشيوعيّة) في العالم العربي عن استيعاب الواقع والاستجابة الدقيقة لمتطلباته وتحدّياته، ممّا جعلها في عزلة عن المجتمع

وربّما ذلك يفسّر جانباً من الأزمة التي تعانيها قوى اليسار عموماً، وغياب القدرة على التغيير والاكتفاء -في الغالب- على طرح البرامج والشعارات التي تفتقد لإمكانية التطبيق على أرض الواقع. ولعلّ هذا أيضاً يساعدنا في فهم أسباب التراجع الشعبي لتلك الأحزاب وعدم حصولها على تأييد الناخبين في الانتخابات البرلمانية

ودون شكّ، يقع على عاتق النخب الفكريّة اليساريّة والماركسيّة مهمّة التفكير في تقديم المعالجات والتصورات والأطروحات التي من شأنها تجديد الماركسيّة وربطها بالواقع وعدم الاكتفاء بتوجيه اللّوم.

والجدير بالذكر هنا، أن النتاجات الفكريّة المعنية بهذا الشأن، والمتعلقة بتطوير وإغناء الماركسيّة، مازالت دون المستوى المطلوب

إنّ البحث العلمي في رصد وتحليل الظواهر الاجتماعيّة يتطلب التوقف عند ثلاثة أركان أساسيّة ومترابطة وهي: الإنسان (المفكّر)، والفكرة (موضوع التفكير، الظاهرة، المشكلة)، والبيئة (المحيط). فالإنسان يتفاعل مع بيئته عبر دراسة الظواهر وتحليلها وفق منهج علمي، ليحدّد موقفه منها.

وقد جسّد د.شعبان في دراساته وبحوثه هذه الأركان الثلاثة ليقدم لنا حصيلة جهده وخبرته في المجالين النظري والعلمي، بالإضافة إلى اعتماده منهجيّة علميّة وتقنيات وطُرق

تقـوم بوظيفـة فحـص الظواهـر والمعـارف وتدقيقهـا وإخضاعهـا للتحليـل والاسـتنتاج العلمـيين

ودأب د.شـعبان في دراسـاته الفكريّـة على اعتماد التحليل الثقافي سـواء بالمعنـى الأنثربولوجي، كمجموعـة مـن البيئـات الذهنيّـة، أو البيداغوجـي لإضفـاء البُعد المعـرفي لنتاجاته، اسـتجابة مع روح الـعصر ومتغيراتـه، مما أدّى إلى أن تكـون إسـهاماته إضافـة نوعيـة عميقـة وتنـاولاً رصينـاً للقضايـا المطروحـة للنقـاش في ضـوء المفهـوم الكلاسـيكي للثقافـة الـذي طرحه عـالم الأنثربولوجيا البريطـاني إدوارد تايلـور باعتبارهـا: «الـكل المركّـب الـذي يشـمل المعرفـة والمعتقـدات والفـنّ والأخلاق والقانـون وكل القـدرات والعـادات الأخـرى التـي يكتسـبها الإنسـان بوصفـه عضـواً في المجتمـع». (انظـر: دنيـس كوش، مفهوم الثقافـة في العلوم الاجتماعيّة، ترجمة د.منير السـعيداني، المنظمـة العربيّـة للترجمـة، الطبعـة الأولى، بيروت 2007 ص 31)

ولم يكتـفِ د.شـعبان في دراسـاته بهـذا الإطـار، بـل وعمـل دومـاً على ربط الاجتماعـي بالثقافي منطلقـاً مـن فكـرة عـدم إمكانيّـة دراسـة الاجتماعـي بمعـزل عـن الثقـافي متّجهـاً صـوب تجديـد مفهـوم الثقافـة وصياغـة مقاربة أفضل وأدقّ لعـدد من الظواهر الاجتماعيّة، وهـو ما أكّده كارل ماركـس وتناولـه ماكـس فـيبر في سـياق تحليلـه للقوّة النسـبيّة الخاصـة لمختلـف الثقافات.

- **الهُويّة كإشكاليّة ثقافية**

مـن هنـا أود التوقـف عنـد موضوعـة الهويـة كإشـكاليّة ثقافيّة خصّـص لها د.شـعبان أكثر من دراسـة، ومنهـا كتابـه «جـدل الهُويّـات في العـراق – الدولة والمواطنـة» الصادر عن الـدار العربية للعلـوم نـاشرون 2010. وكتابـه «الهُويّـة والمواطنـة، البدائل الملتبسـة والحداثة المتـعثرة» الصادر عـن مركـز دراسـات الوحدة العربيـة، بيروت 2017 وصـدرت طبعته الثانيـة في 2020.

فالهُويّـة تعنـي إحساسـاً بوعـي الـذات، وهـي بنـاء يقـوم على علاقـة تقابـل فيهـا مجموعـة مجموعـات أخـرى تكـون في تماسّ معها. وهـي كما يقول فريدريك بارث: نمط تصنيف تسـتعمله المجموعـات لتنظّـم مبادلاتهـا وفـق تمايـز ثقافي، وبالتـالي هي دومـاً كبناء اجتماعـي في علاقة مع الآخـر أو هـي كما يصفهـا أمين معلـوف: «إنّ هُويتـي هـي التـي تعنـي أنني لا أشـبه أيّ شـخص آخـر». (أمين معلـوف، الهُويّـات القاتلـة، ترجمـة نهلـة بيضـون، دار الفـارابي، بيروت ط1، 2004، ص 18)

وفي الوقت الذي يشير فيه د.شعبان إلى «أن موضوع الهوية يشغل حيّزاً غير قليل في الثقافة والفكر وفي دراسات علوم السياسة والقانون والاجتماع» (جدل الهُويّات ص 7) يخلص إلى استنتاج مهم: «إنّ الثقافة هي الوعاء الذي يستوعب ويجسّد الهُويّة، وهي التي تعبّر عن الشعور بالانتماء، فالثقافة هي توالف بين القيَم المتراكبة والمتفاعلة مع الآخر أيضاً، ولاسيّما إنسانياً، ومع العادات والتقاليد التي تعكس سلوك وحياة الناس». (جدل الهُويّات ص 71)

أعتقد أن د.شعبان اختار الجدل عنواناً لأهميّته في عمليّة صنع الرأي العام وبوصفه فناً من فنون الحوار، انطلاقاً من فكرة أن الجدل يُظهِر ما لا تظهره أنواع الحوارات الأخرى وهو كفيل بكشف الحقائق، وبالتالي التوصل إلى المشترك في الفهْم والعلاقة.

ومن هنا، نجد أن الباحث د.شعبان قد خصّص حيّزاً مهمّاً من دراساته، ومنها كتاب جدل الهُويّات لموضوعة الهُويّة والتنوّع الثقافي. وكما هو معروف، فإن التنوّع الثقافي ظاهرة عالمية الطابع لا يكاد بلد من بلدان العالم يخلو منها. كما طرحت فكرة التعدّديّة الثقافيّة كمشروع معالجة وسياسة لكيفيّة التعاطي مع التنوّع الثقافي. وبهذا الصدد يقول البروفيسور آمارتيا صن: «تحظى التعدّديّة الثقافيّة في عالمنا المعاصر بكثير من الطلب عليها، فكثيراً ما تستدعى في صناعة السياسات الاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة.. حيث إن الزيادة في العلاقات والتفاعلات الكوكبية، والهجرات الواسعة على الأخص، قد وضعت ممارسات للثقافات المختلفة بعضها إلى جوار بعض». (آمارتيا صن، الهُويّة والعنف – وهْم المصير الحتمي، ترجمة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 352 يونيو 2008 ص 151)

وبالطبع تتميّز هذه الظاهرة -التنوع الثقافي- بجملة من الإشكاليّات والتعقيدات، آخذين في الاعتبار أن المشكل الأساسي لا يكمن في التنوّع بحدّ ذاته، بل في إدارته وطريقة التعامل معه، وهذا الذي نلمسه في الحالة العراقيّة التي يقف عندها الدكتور شعبان، محلّلاً أبعادها وتجلّياتها ومقدّماً التصورات المناسبة حولها حين يقول: «إنّ الاعتراف بالتنوّع القومي يمكن أن يكون مدخلاً واستحقاقاً حقوقياً وإنسانياً لتأكيد الهُويّة الفرعيّة أو الصغرى باعتبارها استكمالاً وتعبيراً عن حقيقة الهُويّة العامة الكبرى». (كتاب جدل الهويات ص 66)

وبهذا الصدد يربط البروفيسور ويل كيمليكا بين التعدّدية الثقافيّة وحقوق الإنسان في ضوء التجربة الكنديّة وصدور قانون التعدّديّة الثقافيّة في 1988، حيث يقول: «ويمكن أن

تتأكـد الرابطـة بين سياسـات التحـرّر والتعدّديـة الثقافيّـة بفحـص الطريقـة التي كُتبـت بها هذه السياسـات قانونيـاً والطريقـة التـي فُرضـت بها قضائيـاً. وأحد الأشـياء المذهلة بالنسـبة إلى هذه السياسـات هـو كيـف أنهـا ترتبـط بصـورة متينـة وصريحـة بالمعـايير الأوسـع لحقـوق الإنسـان والدسـتوريّة الليبراليّـة، مفاهيميـاً ومؤسسـاتياً». (ويـل كيمليـكا، أوديسـا التعدّديـة الثقافيّـة – سبر السياسـات الدوليّـة الجديـدة في التنـوع، ترجمـة د.إمـام عبـد الفتـاح، سلسـلة عـالم المعرفة، الكويـت 377 يونيـو 2011 ص 134)

إذن لا يمكـن الحديـث عـن هُويّـة موحّـدة أو جامعـة ومواطنـة كاملـة دون احترام الهُويّـات الفرعيـة المتعـدّدة والمتنوّعـة وضمان حقوقهـا وخصوصيّاتها، المؤتلفة والمختلفة – حسـب وصف د.شـعبان. الأمـر الـذي يقتضي تـأمين حقوق الأقليـات القوميّة والدينيّـة ونبذ الطائفيّة السياسـيّة قانونيـاً ومجتمعياً

وضمـن هـذا السـياق قـدَّم د.شـعبان مشروع قانـون تحريـم الطائفيّـة وتعزيـز المواطنـة في العراق

*****

حاولـتُ في مـا مـرّ ذكره، التوقف عند نماذج معيّنة من دراسـات ومواقف د.شـعبان، وبخاصة المتعلقـة بالجوانـب الفكريّـة والثقافيّـة. فإسـهاماته على هـذا الصعيـد متميّـزة مـن حيـث جرأة التنـاول وعُمـق التحليـل ورصانـة البحث وإثارة الأسـئلة والسـعي لتقديم الأجوبـة. ولا يعني كل ذلـك الوصـول إلى الـكمال أو إلى الأجوبـة النهائيّـة، حيـث تبقـى القضايـا المطروحـة مثـار نقـاش وحـوار وخلاف وتعـدّد في الآراء، ولذلـك هـو يؤكـد مـا سـبق وقالـه الشـاعر أدونيـس: «هذا زمن تتقـدّم فيه الأسـئلة وينهـزم الجواب»

بقـي أن أُشير إلى أن د.شـعبان كتـب مجموعـة مـن الدراسـات والكتـب القيِّمـة عـن عـدد مـن الشـخصيات الثقافيّـة والسياسـيّة العراقيّـة والعربيّة، ومنها السـياسي سـعد صالح والسـياسي حـسين جميـل والشـاعر محمـد مهـدي الجواهـري والكاتـب شـمران اليـاسري والسـياسي عامـر عبدالله والشـاعر مظفّر النواب والسـياسي سلام عادل وسـيد محمد الحسـني البغدادي والشـيخ حـسين شـحادة. وسـلّطت هذه الدراسـات الضوء على جوانـب مهمّة تتعلّق بحيـاة ومواقف تلك الشـخصيات مـن جهـة، والأوضاع السياسـيّة والاجتماعيّـة والثقافيّـة التي رافقت حيـاة ونضالات

تلـك الشـخصيات من جهـة أخرى

ويعـدّ مؤلفـه «الزمـن والنخـب - في أنطولوجيـا الثقافـة العربيّـة» إضافـة نوعيّـة إلى الفكـر العـربي المعـاصر، حيـث تنـاول 48 شـخصيّة فكريّـة وثقافيّـة وسياسـيّة مـن 16 بلـداً عربياً سـلّط الضـوء عليهـا وعلى علاقتـه مـع الغالبيّـة العظمـى منهـا

الدكتـور عبـد الحسين شـعبان، يؤكّد لنـا عبر نتاجاته الفكريّـة والثقافيّة والسياسـيّة والقانونيّة، أنـه مثقّـف حـواري ومفكّر نقدي في مـسيرة ثقافيّة ومعرفيّة أتقن خلالها حِرفـة المثقّف العضوي -على حـدٍّ تعـبير غـرامشي- لأنـه انطلق من كـون الثقافة نتاج وعـي وإدراك لمعنـى الحرّية، بدءاً مـن مواجهـة النفـس بمـا كان لهـا ومـا عليهـا. مـن هنـا تـأتي قيمة المعرفـة التـي ينتجهـا المثقّف، فمـن دون نقـد حقيقـي وعلمـي وموضوعـي لا يمكـن لتلـك الثقافـة أن تحقّـق غاياتهـا، بمـا فيها النقـد الذاتي الذي يمارسـه بـكلّ أريحيّة.

هـذه هـي رسـالة الدكتـور شـعبان كما أفهمها، والتي نجـح في إيصالهـا لمتابعيه وعمـوم القرّاء عبر نتاجاتـه الثقافيّـة الرصينة

تأملات شخصية في فكر الدكتور عبد الحسين شعبان

د. نصير شمة[1]

1- فنان اليونسكو للسلام و موسيقار عالمي - العراق.

عندما أتعمق في أعمال الدكتور عبد الحسين شعبان، أجد نفسي مشدوداً إلى عوالم فكرية غنيّة ومعقدّة، مليئة بالتحدّيات والآمال، إذ إن د.شعبان ليس مجرد أكاديمي دارس أو باحث، بل مفكر يسعى بجدية إلى فهم وإصلاح العالم من حوله.

يبرز د.عبد الحسين شعبان واحداً من مفكري هذا العصر، خصوصاً أن عمله الفكري لم يكتفِ بالتنظير، بل سعى سعياً دؤوباً إلى التطبيق

جملة أعماله ومسيرته المهنية سارا في خطين متوازيين، فالتنظير قد لا يجد أرضاً صلبة ليشيّد عليها بنيانه، أما مع د.شعبان فقد بنى الأرض وسار عليها ممهداً لآرائه الطريق، وفاتحاً الباب لمشاركة آخرين.

هي مسيرة متكاملة رسمها د.عبد الحسين شعبان، توافق ما بين كلام العقل ورؤية العين.

تعكس كتاباته روحاً نقديةً واستعداداً للوقوف في وجه التحدّيات الكبرى، مما يجعله شخصية ملهمة للعديدين في العالم العربي وخارجه. فكلما قرأت له، ازداد يقيني بأهمية الفكر النقدي وأهمية التسامح وحقوق الإنسان في بناء مجتمعات أكثر عدالة

اعتمد أسلوب السهل الممتنع، والممتنع البسيط، من خلال طرحه الفكر القابل للعيش على أرض الواقع والقابل للتحقق والعيش، دارساً كل الظروف المحيطة ومفكراً في اللحظة التي تأخذ عالمنا إلى المستقبل

نشأ الدكتور عبد الحسين شعبان في بيئة غنية بالسياسة والفكر، ما أتاح له منذ صغره أن يكون قريباً من الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق. ولد في النجف، تلك المدينة التي تُعتبر مركزاً دينياً وثقافياً مهماً، مما أثّر بشكل كبير على تكوينه الفكري والسياسي، حيث انخرط بالنشاط في صفوف الحزب الشيوعي العراقي. التحاقه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة بغداد كان نقطة تحول حاسمة في توجهاته المهنية والثقافية

انضمامه إلى الحزب الشيوعي في الستينيات لم يكن مجرد اختيار سياسي، بل كان تعبيراً عن التزامه العميق بالقضايا الاجتماعية والعدالة، ومع مرور الوقت، بدأت رؤيته تتطور، ليجد نفسه ناقداً لبعض جوانب الفكر اليساري، مما يعكس نضجه الفكري واستعداده لإعادة

تقييـم مواقفه.

شـغل د.شـعبان العديـد مـن المناصـب في منظمات حقـوق الإنسـان، مما يبرز التزامـه العميق بالدفـاع عـن العدالـة والمسـاواة وعـن حـق الفـرد في العيـش ضمـن المجموعـة وعـن قيمـة هذا المفـرد في عـالم يُهمـش المفرد.

كعضـو في اتحـاد المحـامين العـرب ورئيـس لمنظمـة العدالـة الدوليـة، سـاهم بشـكل فعـال في تعزيـز ثقافـة حقـوق الإنسـان على المسـتوى الإقليمـي والـدولي

التحليـل الفكـري للدكتـور عبـد الحـسين شـعبان يتسـم بالعمـق والجـرأة. في كتابـه «**جـدل الهويّـات في العـراق: الدولـة والمواطنـة**»، يقـدم تحليلاً مفصلاً لمسـألة الهويّة في العـراق، موضحاً كيـف تسـببت التعدديّـة الطائفيـة والإثنية في تعقيـد بناء الدولـة العراقية. يجادل د.شـعبان بأن الهويّـة العراقيـة متشـظية بين هويّـات متنافسـة، مما أدى إلى صراعـات داخليـة أضعفـت مـن إمكانيـة بنـاء دولـة موحـدة تقـوم على مبـدأ المواطنة

شـعبان ليـس فقـط محـللاً دقيقـاً للوضع العراقي، بـل يقـدم رؤى واقعية لكيفيـة تجاوز هذه التحديـات. يـقترح نموذجـاً للدولـة المدنيـة التـي تحتضـن كل المكونّـات الاجتماعيـة على أسـاس المسـاواة والعدالـة. مـن خلال تحليلـه العميق، يدعو شـعبان إلى بناء مؤسسـات قوية ومسـتقلة، قـادرة على حمايـة حقـوق الأفـراد وتعزيـز التعايـش السـلمي بين مختلـف الطوائـف والإثنيات. على سـبيل المثـال، يـشير د.شـعبان إلى أهميـة التعليم كعامل أسـاسي في تشـكيل الهويّـة الوطنية وتعزيـز قيـم المواطنـة، مؤكـداً ضرورة إصلاح النظـام التعليمـي ليشـمل تعليـم القيـم المدنيـة والمبـادئ الديمقراطيـة، مما يسـاعد في بنـاء جيـل جديـد يعـي أهميـة التعايش السـلمي

في كتابـه «**في الحاجـة إلى التسـامح**»، يتنـاول د.شـعبان مفهـوم التسـامح كقيمة أساسـية لبناء مجتمعـات صحيـة ومسـتقرة، ويؤكـد أن التسـامح ليـس مجـرد فضيلـة أخلاقيـة، بل هـو ضرورة سياسـية واجتماعيـة في ظـل التعدديّـة الثقافيـة والدينية، التـي تميز المجتمعـات العربية. ويطرح فكـرة أن التسـامح يجـب أن يكـون جزءاً من السياسـات العامة والتعليمية، لتعزيـز ثقافة الحوار والتعايش

لا يكتفـي د.شـعبان بالتنـظير حـول التسـامح، بل يقدم أمثلة عملية لتجسـيد هـذه القيمة في

الواقع، على سبيل المثال، يقترح إدماج مبادئ التسامح في المناهج الدراسية وفي وسائل الإعلام، وتعزيز دور المجتمع المدني في نشر ثقافة التسامح.

يرى شعبان أن التسامح هو السبيل الوحيد للتغلب على الانقسامات الطائفية والإثنية، وبناء مجتمعات قائمة على الاحترام المتبادل والعدالة، مستعرضاً تجارب ناجحة لمجتمعات أخرى تمكنت من تجاوز خلافاتها من خلال تعزيز قيم التسامح والتعايش، ويستشهد بتجربة **جنوب أفريقيا** بعد نهاية نظام الفصل العنصري، حيث لعب التسامح دوراً محورياً في تحقيق المصالحة الوطنية وبناء مجتمع أكثر عدالة، ويحبّذ هذه التجربة كنموذج يمكن أن يحتذى به في المجتمعات العربية، التي تعاني من الصراعات الطائفية والإثنية

يتميز الإنتاج الأدبي للدكتور عبد الحسين شعبان بتنوعه وعمقه. ففي كتابه «**دين العقل وفقه الواقع**»، يجمع بين العقلانية والتطبيق العملي، مؤكداً أن الفكر لا يمكن أن يكون مجرد نظريات معزولة عن الواقع، وربما تكون هذه النقطة كما أسلفت في بداية المقالة زبدة فكره ولْنقُلْ تطبيقه لفكر **غرامشي** في نظريته حول المثقف العضوي، الذي يوائم بين المثقف ومجتمعه. يعرض د.شعبان في هذا الكتاب رؤيته كيفية تطبيق المبادئ العقلانية في الحياة اليومية، وفي السياسات العامة، مما يعكس فهمه العميق أهمية التوازن بين الفكر والعمل

أما في كتاب «**المثقف في وعيه الشقي**»، فيقدم شعبان تحليلاً دقيقاً لدور المثقف في المجتمع، والتحديّات التي يواجهها. يرى شعبان أن المثقف يجب أن يكون ناقداً وباحثاً عن الحقيقة، لكنه أيضاً يجب أن يكون ملتزماً بقضايا مجتمعه، ويسعى إلى التغيير الإيجابي. يعكس هذا الكتاب فهم شعبان العميق دور المثقف كقوة دافعة نحو التقدم الاجتماعي والسياسي

وفي كتابه «**الإسلام وحقوق الإنسان**»، يقدم شعبان دراسة شاملة للعلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان، محاولاً تفكيك المفاهيم الخاطئة والتصورات المغلوطة التي تحيط بهذه العلاقة. يستعرض النصوص الدينية والنصوص القانونية، محاولاً تقديم قراءة متوازنة تعترف بأهمية حقوق الإنسان في السياق الإسلامي. هذا الكتاب يعتبر مساهمة مهمة في الحوار الدائر حول حقوق الإنسان في العالم الإسلامي، ويبرز رؤية د.شعبان التي تسعى إلى التوفيق بين الشرائع الدينية والقيم الحديثة

لا يمكن إغفال تأثير الدكتور عبد الحسين شعبان الكبير في نشر ثقافة حقوق الإنسان والتسامح في العالم العربي. من خلال دوره في العديد من المنظمات الحقوقية ومساهماته الأكاديمية، حيث أسهم بشكل فعّال في تعزيز الوعي بأهمية هذه القيم. مواقفه السياسية تعكس التزامه العميق بتغيير الواقع نحو الأفضل، مما يجعله ناشطاً يسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية وليس مفكراً فقط

لقد ساهمت كتاباته ومحاضراته في إلهام جيل جديد من الناشطين والمفكرين، الذين يسعون لتحقيق التغيير في مجتمعاتهم. ومن خلال نشاطه الأكاديمي والثقافي، ساعد في خلق فضاءات للنقاش والحوار، مما يعزّز من فهم أفضل لقضايا حقوق الإنسان والتسامح. لا يمكن إغفال تأثيره في التشجيع على النقد الذاتي والتفكير النقدي، وهو أمر نادر في العديد من المجتمعات العربية

أعماله أثّرت بشكل مباشر على السياسات العامة في بعض الدول العربية، فعلى سبيل المثال، تم تبنّي بعض مقترحاته حول إصلاح النظام التعليمي في دول مثل تونس والمغرب، حيث تم إدماج مبادئ التسامح وحقوق الإنسان في المناهج الدراسية، كما تم تطبيق بعض مناهجه في تعزيز دور المجتمع المدني في دول مثل لبنان والأردن، مما ساعد في خلق حوار وطني أكثر شمولية

تأثير آرائه على المستقبل

آراء الدكتور عبد الحسين شعبان حول التسامح وحقوق الإنسان ليست مجرد نظريات، بل هي رؤى عملية يمكن أن تسهم في تشكيل مستقبل أفضل للمجتمعات العربية، وفي ظل التحديات الكبيرة التي تواجهها هذه المجتمعات، مثل التطرف الديني والطائفي، يمكن لأفكار د.شعبان أن تكون بمثابة بوصلة توجه الخطط والسياسات المستقبلية نحو تعزيز السلام والعدالة

أحد أبرز تأثيرات آرائه على المستقبل، الدعوة إلى تعزيز دور المجتمع المدني في بناء الديمقراطية، حيث يرى أن المجتمع المدني القوي والمستقل هو ضمانة أساسية لتحقيق التوازن بين السلطة والمجتمع، وبالتالي تعزيز الديمقراطية، ويقترح إنشاء مؤسسات مجتمع مدني قادرة على مراقبة الأداء الحكومي والمشاركة في صنع القرار، مما يعزز من شفافية

وفعاليـة الحكـم

بالإضافـة إلى ذلـك، يؤكـد د.شـعبان أهميـة الحـوار بين الثقافـات كوسـيلة لتعزيـز التفاهـم المتبـادل وتجنّـب الصراعـات، وفي عالم يتّسـم بالتعدّديـة الثقافيـة والدينية، يرى أن الحـوار البنّاء يمكـن أن يسـهم في بنـاء جسـور الثقة والتعاون بين الشـعوب، مقترحاً تنظيم مؤتمـرات ومنتديات دوليـة تجمـع بين ممثـلين من مختلـف الثقافات والأديان، بهـدف تبادل الأفـكار وتعزيز التفاهم المشترك

مـن الناحيـة التعليميـة، يـرى د.شـعبان أن المسـتقبل يتطلـب نظامـاً تعليميـاً يعـزز التفـكير النقـدي والحـوار الفكـري بـدلاً مـن الانـغلاق والتعصـب، مشـدداً على ضرورة تكامـل التعليـم الأكاديمـي مـع تعليـم القيـم الديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان، وذلـك لبناء جيـل مسـتعد لمواجهة تحدّيـات المسـتقبل بإيجابيـة وتفـكير مسـتقل

في الختـام، يظهـر فكـر الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان كمصـدر إلهـام وتـأثير حقيقـي على المجتمعـات العربيـة والعالميـة على حـد سـواء، إن مسـاهماته في مجـالات حقـوق الإنسـان، التسـامح، والتعايـش السـلمي تمثـل نقطـة تحـول في الفكـر العـربي الحديث، وتدعـو إلى تفعيل القيـم الإنسـانية والمواطنيـة لبنـاء مسـتقبل أكثر عدالـة وسلامـاً للأجيـال القادمـة

المُبدع الأكثر بهاءً

د.نوال الحوار[1]

1- شاعرة وإعلاميّة سوريّة، مؤسِسة صالون 15 نوال الحوار الثقافي.

يقـول أدونيـس: «إنَّ الإبـداع حضـور دائـم»، وبصفـة الدكتور عبـد الحسين شـعبان الدائمة أنه مـن القامـات المبدعـة، فحـتماً هـو حـاضر في المشـهد الإبداعي بشـكل واضـح، مـن خلال التزامه الدائـم وانشـغاله في مجـال الكتابـة الإبداعيّـة ومتابعـة سير المبـدعين والكتابـة عنهـم، وأخـصّ بالذِّكـر العمـلين الأخيريـن حـول الكبار، وأقصد الشـاعرين، **محمـد مهدي الجواهـري**، الذي نقَّبَ في عمـق مناجـم جواهـره وقدمهـا لنا بحرفيـة صائغ ماهر، عـلماً بأنَّ كتاب «**جواهـر الجواهري**» ليـس الأوّل فقـد سـبقه كتـاب «**الجواهـري - جـدل الشِّـعر والحيـاة**»، 1997، وكتابـه الموسـوعي «**الجواهـري في العيـون مـن أشـعاره**» دار طلاس، دمشـق، 1986، والشـاعر **مظفـر النـواب** الذي غـاص في عطـر بنفسـجه، واشـتمّ مـا يجلـب المتعـة مـن ذاك البنفسـج، فقدم لنـا روايـة (العطر) لزوسـكيد، ولكـن بطريقـة «شـعبانيّة» جعلـت مـن عطـر البنفسـج مـادة أدبيّـة زادت في رصيـد النـواب عطـراً وسـحراً، ولاسـيّما أنـه كشـف لنا مـا لم نكـن نعرفه عـن سيرة النواب ما بين بسـتان الـورد والنرجـس الرايـج سـكر وبين البنفسـج، وناقلنـا في الرحلـة «الريل» يقـوده حمد.

مؤسّسة بشخص واحد

من يراجع مؤلفات الدكتور شعبان يدرك حتماً أنه مؤسّسة أدبيّة واقفة على قدمين، كتب في السِّيرة الذاتية والصراع العربي - الصهيوني وفي الاقتصاد والفلسفة والدِّين والسياسة والقانون وحقوق الإنسان والثقافة والنقد. إنّه يجيد صنعة الكتابة، وأؤكد هنا كلمة صنعة، يقول النص القرآني: «وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ» (سورة الأنبياء - الآية 80)»، ويقال في العامّيّة: شرب الصنعة، أي احترفها. فهو يكتب ويتحدث بثقافة عالية جداً ووعي قلّ ما وجدته عند غيره من الكتّاب.

جوار الأضداد

الدكتـور شـعبان رجُـلٌ وُلـد في أسرة دينيّة محافظة وعلى مقربة من مرقـد الإمام عليّ في مدينة النجـف (المقدّسـة)، واحتلّـت عائلتـه على مـدى قـرون مكانة رفيعـة في الحضرة العلوية كرؤسـاء للمرشـدين الدينـيين، ورغم النشـأة الدينية، حرّر عقله كاملاً من جـوّ التعصّب، وانطلق في رحاب الفكـر، ولم يمنعـه واقعـه الدينـي والمـدني مـن تبنّي أفـكار الحداثة والتقـدّم. وكان مشـواره الأوّل مـع الماركسـيّة، وقانونهـا الأسـاسي «العدالـة والمسـاواة»، حيـث بدا لـه الحزب الشـيوعي بوصفه الراعـي للفقـراء والمظلـومين، والمدافـع عنهم. هكذا كانـت الصورة الأولى في وجـدان الرجل

مـن هنـا نجـد كاتبنا وحسـب مـا تتبعت في سيرتـه الطويلة، أنـه خصّص جزءاً مـن وقته للفكر والتبـشير بـه، ثـمّ لنقـده ومراجعة التطبيقـات الخاطئة، وهو مـا تناوله بعمـق في كتابه «**تحطيم المرايـا في الماركسـيّة والاخـتلاف**»، الـذي سـبق أن سـلّط ضـوءاً كاشـفاً حـول أخطائـه النظريّـة والتطبيـق، وذلـك في حـواره معـي حين كنت أقـدّم برنامج «**المشـهد الثقـافي**» في تلفزيون ANB. ولم يتردّد في نقـد تجربتـه العمليّـة حين كان مسـؤولاً إعلامياً وفكرياً في حركـة الأنصار، حيث نشر مسيرتـه تلـك برؤيتـه النقديـة الموضوعيّـة في كتاب «**بشتاشـان - خلـف الطواحين... وثمّـة ذاكرة: شـهادة وليسـت روايـة**»، ولاسـيّما بدعوتـه للتسـامح والمصالحـة والتخلّـص مـن أدران الكراهيّـة والحقـد، وتنقيـة العلاقـات بين القـوى الوطنيّـة لتسـتقيم على أسـس صحيحـة قوامهـا الصراحـة والمكاشـفة والبحـث عـن المشتركات

مع حركة التحرّر أينما كانت

ووقـف كاتبنـا إلى جانـب حـركات التحـرّر الوطنـي في مشرق الوطـن العـربي ومغربـه، وفي مقدّمتهـا القضيّـة الفلسـطينيّة، التـي يطلق عليهـا القضية الأكثر نـبلاً وعدلاً وإنسـانية، لما تعرّض لـه الشـعب العـربي الفلسـطيني مـن ضيـم وإجحـاف وحـرب إبـادة وترحيل

وقـد نشر نحـو 10 كتـب حـول القضيّـة الفلسـطينيّة والصراع العـربي - الإسرائـيلي، وعمل على إصـدار العديـد مـن القـرارات الدوليّـة لصالـح فلسـطين في المحافـل الدوليـة، وأسّـس العديد من الجمعيـات المناهضـة للصهيونيّة، وفي مقدّمتها «**اللجنة العربيّة لدعم قرار الأمم المتحدة 3379**» (اللجنـة العربيّـة المناهضـة للصهيونيّـة والعنصريّـة)، وكان أمينهـا العـام. ويعـتبره الفلسـطيّنيون على اخـتلاف توجّهاتهـم، فلسـطينياً مـن صميـم القضيّة، وهـو الذي قضى ردحاً مـن الزمن يكتب ويحـاضر ويناضـل كأيّ فلسـطيني حمـل القضيّـة على أكتافـه وطاف بهـا في هذا العالم الواسـع

ولا أبالـغ إذا قلـت إن اسـمه ارتبـط مـع معظـم قياديّـي **الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، ومنظّمـة فتـح** وغيرهـا، فقـد كان دائـم الدعـوة إلى لمِّ الشـمل وتقريـب وجهـات النظـر، مثـلما ارتبط مع الشـخصيات الفكريّة والثقافيّة الفلسـطينيّة، فكتب عن غسـان كنفاني وإدوارد سـعيد ومحمـود درويـش ولـيلى خالد، وارتبـط مع العديد مـن المثقّفين الفلسـطينيّين بصداقـة حميمة، حتـى إن **الاتحـاد العـام للكتّـاب والصحفيين الفلسـطينيّين** منحه عضويّة شرف منـذ العام 1981.

وكان مفكّرنـا دائمـاً ينظـر إلى المقاومـة كحـقٍّ مشروع وعـادل للشـعوب المسـتعمَرَة والتابعـة،

وهـو حـقّ يقـرّه القانـون الـدولي، إضافـة إلى التعاليـم الدينيّـة، وعلى هـذا الأسـاس وقـف مـع جميـع حـركات التحـرّر في العـالم العـربي وفي آسـيا وأفريقيـا وأمريـكا اللاتينيـة، ومـن يقـرأ كتابه «**كوبـا الحلـم الغامـض**»، يُـدرك العلاقة الحميمة التي ربطـت **جيفارا** بالعالم العـربي، وتأثّر الأخير بـه، مثـلما تأثـر جيفـارا بالعـالم العـربي، وهـو مـا يكشـف عنـه بعمـق وتوثيـق ومعرفـة، مقدّمـاً قـراءة نقديّـة جديـدة للتجربـة الكوبيّة بشـكل خـاص وللتجربة الاشتراكيّة بشـكل عـام. وفي هذا الكتـاب يلقـي ضـوءاً على تجـارب أمريـكا اللاتينيّة واليسـار الجديد ويجري مقارنـات بين تجاربنا وتجاربهم

اللغة واللغة واللغة

يُعـتبر د.شـعبان أحـد أكثر الكتّـاب غزارة في مجـال حقوق الإنسـان والعدالـة الاجتماعية، وكلُّ مـن يعـرف الدكتـور شـعبان، يعرف هذه المعلومـات، فاللغة كما البشر خارجة مـن الطِّين ينحسر عنهـا الماء تجـف، ربمـا تتشـقّق. هنـا يـأتي دور الكاتـب يبلّلهـا بحبر يراعـه، ويعيد لهـا الحياة من جديـد، عبر سـكبها في قوالـب لائقـة فتـخضرّ، وتنمـو وتُـورق وتعيد لهـا الحياة من جديـد، وهذا مـا يفعلـه بالضبط .

الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان الـذي يحسـن بـثّ الـروح في حيـاة اللغـة، فيحيلهـا إلى حدائق نقطـف منهـا مـا نشـاء، وهـو الـذي يلمـس اللغة ملامسـة العاشـق، وهـو بهذا يـسير على خطى **أبي صخـر الهـذلي** الـذي قـال في محبوبته:

تكاد يــدي تنــدى إذا مــا لمستُهــ ... وينبــتُ في أطرافها الــورقُ الخُضْرُ

التسامح

وبمناسـبة الـورق الأخضر، وهـو بالنسـبة لي رمـز للعذوبـة.. لابـدّ مـن الحديـث عـن شـخصيّة الدكتـور شـعبان بعيـداً عما قدَّمـه للثقافـة العربيّـة، الدكتـور شـعبان لا يمكـن الحديـث عنـه دون الحديـث عـن شـخصيّته المنفتحـة المتسـامحة والمتسـامية، ففـي منزلـه تجـد الفلسـطيني واللبنـاني والسـوري والعراقـي واليمني والمصري والأردني والسـوداني والمغربي والتـونسي والكويتي والسـعودي وغيرهـم، والـكل يجمعهـم تحت مظلتـه الفكرية، كيف لا وهو بيـت العرب، مشرّعة أبوابـه لياسـمين دمشـق ونخيـل الـبصرة ومـاء دجلـة والفـرات، وكلّ ذلـك يصبّـه في إنائـه المتاح،

والـذي يبحـث عـن الفـوارق مـع الآخـر ليقلّـص منهـا وعـن الجوامـع عنـده وعندهـم ليُعمّمها. ولم يكـن في سـلوكه متسـامحاً فحسـب، بـل كـرَّس جهـداً فكريّـاً وعلى مـدى عقـود في نشر ثقافة التسـامح عبر نـدوات ومؤتمـرات وكُتُـب لعلَّ أكثرها شـهرة كتابـه «**فقه التسـامح في الفكر العربي - الإسلامـي**» الـذي قـدَّم لـه **المطران جـورج خضر**.

الصداقة ثمَّ الصداقة

جمَعَتنـي مـع الصديـق شـعبان صداقـة وطيـدة، تقاسـمنا الأفـكار والأحلام والخيبـات واللغـة وثقافـة الـسلام، فهـو أحـد دعاتـه ومنظّريـه، وبهـذا الصـدد سـاهم وبشـكل فاعـل في إنشـاء مجموعـة الـسلام العربيّـة التـي يُعـدّ أحـد مؤسّسـيها. ومَـنْ يعـرف شـعبان يسـتطيع أن يـدرك معنـى الصداقـة ومكانتهـا لديـه وحرصـه على التواصـل على الرغـم مـن البُعـد، وهو الـذي يقول إنّ أحـد أسـباب السـعادة التواصـل مـع الأصدقـاء القدامـى

إنّ الجوهـرة التـي تسـكن عمـق هذه القامـة العروبيّـة تشـعّ وتضيء، وكلما ازداد الظلام تزداد حضـوراً وتشـدّ الأبصـار إليها بلا كلـل أو ملل.

هـذه بعـض مـن جوانـب شـخصيّة الدكتـور شـعبان الـذي جمـع بين خيـال الكاتـب وحيويّـة المناضـل السـياسي، واجتمعـت لديـه الأحلام مـع الحقائق، بل إنه يتبـادل أدوارها أحيانـاً فيتحوّل الحلـم إلى حقيقـة والحقيقـة إلى حلم

أودّ هنـا أن أتطـرّق لسيرتـه الشـخصيّة، هـو ابن العائلـة المرموقـة، وتصرّف كل حياته على هذا الأسـاس، فلـم أسـمع عنـه أنه اقترف فعـل النميمة بحـق أحد، وكلّنا يعـرف أن المجالـس الثقافيّة لا تخلـو مـن الحـروب، فهـو بهـذا المجـال دافـئ ومحـب، وجامع شـامل لا مفـرِّق، وبيتـه محجّة لـكل طالـب حاجـة لا يـردّه شيء عن فعـل الخير.

كما كان المحفّـز لي والداعـم الأول لتأسـيس «**صالون 15**» (نـوال الحوار الثقافي)، وذلك ردّاً على مـا أصـاب بيروت مـن دمـار وحصار، ولا سـيّما بعد **انفجـار المرفأ** العام 2021 (4 آب/أغسـطس)، وكان خير عـون وداعـم، ومنحنـي مـن وقتـه وجهـده الكـثير كي أقـدّم مـا هـو مُختلِـف عمّا هـو سـائد، وظـلّ يرفـدني بآرائـه واستشـاراته التـي لا غنى عنهـا، حتى أصبـح الصالون عنوانـاً يقصده العديـد من المثقّـفين العـرب ويتتبّعون أخباره ونشـاطاته

ختامـاً، أقـول: د.شـعبان مثقّـف عضوي حقيقـي، ربَطَ الفكـرة بالعمل، وقدّم مسـاهمات غنيّة في قضايـا حقـوق الإنسـان والمجتمـع المـدني والتنميـة والثقافـة، فاسـتطاع أن يتواصـل مـع أهـم المراكـز العالميّـة التـي تهتمّ بهذا الشـأن، معتمـداً على معرفتـه باللغة الإنجليزيـة والعربية، فكان خير مـن يطـرح الأفـكار وينظِّـر لها ويـجترح الحلول المناسـبة

وفي قضيّـة اللّاعنـف، أسّـس مـع مجموعـة من الباحـثين صرحاً جامعيـاً لتثقيف الجيـل الجديد بثقافـة اللّاعنـف التـي دعا إليهـا، نابذاً كل فعل عنيف ومـبشراً بوعي جديد وحـاملاً لواء التغيير، وهكـذا أسّـس مـع كوكبة مـن زملائه «**جامعة اللّاعنـف**» في بيروت، وهـي جامعة للتغيير

أدام اللـه سـعادته وأطـال بعمـره، وكل الشـكر للجليلـة النبيلـة الدكتورة سـعاد الصبـاح، التي أتاحـت لي ولبقيـة زملائي أن نتحـدّث عـن الصديـق المبـدع، المفكـر العراقـي العـربي الدكتور عبد الحسين شـعبان

الصانع الأمهر

د. نوفل أبو رغيف[1]

1- د. نوفل أبو رغيف كاتب وشاعر - الوكيل الأول لوزارة الثقافة والسياحة والآثار في العراق

باعتـزازٍ وافـرٍ تلقيـتُ دعـوةً كريمـةً مـن مؤسسـة (دار سـعاد الصبـاح) للكتابـة عـن الأديـب الزاخـر والمفكـر الكـبير الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان، وفي الدعـوة كـرمٌ وفضلٌ مضاعفـان، فهي فرصـةٌ للوصـل وللتعـاون مـع دارٍ ثقافيـةٍ لهـا موقع مهـمٌّ وشـاخصٌ في الثقافة العربيـة من جهةٍ، ولأنهـا تُكـرّمُ عـلَماً عراقيـاً بارزاً، وتتيـحُ فرصةَ الكتابة عنه من جهةٍ أُخرى، فلا يسـعني إلا الشـكرُ والعرفـان للإسـهام في هـذا الإنجـاز النوعي.

قـد لا تكفـي شـهادةٌ لها حـدودٌ معينةٌ، لأداء واجب الاحتفـاء بتجربةٍ ثقافيةٍ كـبيرة، فلن تكون الكتابـةُ يـسيرةً إذا كانـت تلـك التجربـةُ فريـدةً على مسـتويات عديـدة، تماماً كما هـي الحال مع الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان بوصفـه مفكـراً مخضرمـاً وخـبيراً قانونيـاً دوليـاً، ومؤرخاً، وناشـطاً إنسـانياً، وسياسـياً وأديباً وناقـداً لامعاً

ومـا يعقِّـدُ مهمـةَ تقديـم الشـهادةِ في هـذه الشـخصيةِ أن المعرفةَ به أوسـعُ من مقـام الكتابة عنـه، سـواء أكانـت (عن بُعـدٍ) أم (عن قرب)، فقد التقيتهُ عن بُعـدٍ وتعرَّفتُ إليه من خلال قراءة مـا أُتيـح لي مما كتَـب هـو ومـا كُتبَ عنـه، فهو صاحـبُ يـراعٍ غزير الإنتـاج متعـدد الاهتمامات، يخـوض كخـبير متخصـص بمختلـف متـون الحيـاة بعقـل الأكاديمـي المتخصـص والباحـث الذي لا يقـدِّمُ إلا الجديـد والمتفـرد، وهـو الناقدُ العـارف بتضاريس النقـد والكاتبُ الذي خبرَتـهُ الميادين. ثـم تحقّـقَ اللقـاء (عـن قـرب)، وكان لنـا شرفُ تنظيـم الاحتفاء بـه باسـم وزارة الثقافـة العراقية قبـل مـا يربـو على العقديـن مـن الزمـن، حين أعدنـا طباعـةَ أثـرهِ القيَّـم الذائـع (الجواهـري - جـدل الشـعر والحيـاة) طبعـة جديـدةً لتسـتمرَ العلاقـةُ زاهـرةً في لقـاءاتٍ وحـواراتٍ متعـددة ضمّتهـا بغـداد وبيروت وأربيـل وميسـان والنجـف وسـواها، وكان الاحتفـاء في وزارة الثقافة بدار الشـؤون الثقافيـة العامـة -التـي كانـت حينهـا بإدارتنـا- حيـث قُدمـت فعاليـاتٌ مختلفـةٌ بهـذه المناسـبة، منهـا: الاسـتماع إليه محـاضراً ومعقِّبـاً، والإصغاءُ إلى مخرجـات خبرته الطويلـة، وتقديم قـراءاتٍ متعـددةٍ عـن إنجـازه الثقـافي والعلمـي، تلا ذلـك طباعـة كتاب مهـم آخرَ من كتبـه بعدَ كتابـه عـن الجواهـري شـاعر العـرب الأكبر الـذي رأى فيـه الدكتور شـعبان رمزاً لاسـتمرار الإبداع والتمـرد مـن دون أن يكـون تيـار العاطفـة الجارف وحِـدَّةُ الموقف مانـعَينِ من التأمـل الحقيقي، فقـد صـالَ وجـال مـع الجواهـري «**طيلـة قـرن مـن الزمـن، كلّ مـا فيـه كانَ مغضّنـاً بالشـعر والتناقـض والتحدّيـات، في هارمـوني عجيـب مصداقُـهُ الاسـتثناء والفـرادة**»، فقـد رأى الجواهري

بـعينٍ راصـدةٍ، وكشـفَ عـن ثنائية تجمـع بين الإبداع والحياة لـيبرز في هذا الكتـاب الناقد الذواق للشـعر الحصيـف في اختيـار فرائـده، والمـؤرخ الـذي يقـدم أخبـاراً لا نجدهـا عنـد سـواه، فقـد عايشـها مـع الجواهـري وكان شـاهداً عليها.

وأما الكتابُ الآخرُ الذي احتفينا به مع المثقفين العراقيين فكانَ عن شـخصيةٍ إشـكاليةٍ في تاريخ العـراق الحديـث هـي شـخصية السـياسي العراقـي (سـعد صالح جريـو) التي أطـل عليهـا الدكتور شـعبان مـن منصة السـياسي المثقف متابعـاً حانياً لا مؤرخاً يقـصُّ أخباراً ويذكر حـوادثَ ومحطات، فـكان يبحـثُ عما يميز تلك الشـخصيةَ وكان العنوانُ مثيراً في الحسـابات الوطنيـة وربما في القناعات التـي اسـتقر عليهـا التاريخ المعاصر، إذ جاء بعنوان (سـعد صالح الوسـطية والفرصـة الضائعة)، رأى فيـه موهبـةً لم تتحقـق منهـا المصلحة التي تـوازي إمكاناتها، فقد كشـفَ عن أفقه المميـز في الإدارة والقانـون فـضلاً عـن موهبة الشـعر ورهافة الذوق في التلقـي وفي إتقان فن الخطابـة والكتابة التي تجمع الأسـلوب الرصين والمضـامين المؤثرة.

إنَّ سيرةَ المفكـر الكـبير عبـد الحـسين شـعبان تشـبهُ منظومـةً جامعـةً للمتضـادات حافلـةً بالإنجـاز لا تنقصهـا الفـرادة العجيبـة، فهـو مـن أُسرةٍ تغلـب عليهـا المحافظـة مـن بيئـة دينية في النجـف الأشرف، لكـن تلـك العائلـة المعروفـة لم تنغلـق على التعليـم الدينـي أو الاتجـاه الواحد، إذ وفَّـرَ لـه منـاخُ التعـدد في العائلـة فرصـةً لاختيـار التعـدد لا الطريـق الواحـد منهجـاً للحيـاة والكتابـة والنشـاط، فهـو اليسـاري ذو النزعـة الثوريـة، لكنـه المتصالـح مـع نفسـه الـذي فضَّـلَ الحريـة والانعتـاق ولم يكـن متحزبـاً منغلقـاً، وهـو مـن هـذا المنطلق لم يكـن بعيداً عـن التفكير الحـر والإعجـاب بالتجـارب المتحـررة، ورغم أن السـاحة العراقية كانت في قواها العلمانية سـاحةً لـلصراع اليسـاري والقومـي، فيمكننـي القـول إنـه كان يسـارياً وعروبيـاً قوميـاً وطنيـاً في الوقـت نفسـه، لم ينقطـع عـن الاتصـال بـالتراث الإسلامي وأثره القيمـي، ولم يكن بعيداً عن قـراءة القرآن ونهـج البلاغـة بأفـقٍ معـاصر لينطلـق منـهما إلى قـراءة تـراث المذاهـب الإسلامية، فقدم قـراءاتٍ رصينـةً في الفقـه والعرفـان، وتنـاول التراثَ الإسلامـي بـعين الناقـد الذي يحلل ويسـتنتج ولا يأخذ الأمـور بوصفهـا مُسـلَّمات محسـومة النقاش، بعـد أن أطلَّ عليهـا من موقعٍ معاصرٍ يكشـف فيها عما يُعـد خالـداً لا تنكـرهُ الشرائـعُ ولا الدسـاتير، ولاسـيما في حقوق الإنسـان وما حفـل به التراث.

لقـد كانَ الدكتـور شـعبان على الـدوام مـع المواطن وحقِّه في حيـاة كريمةٍ عادلـة لا يحول دون تحققهـا حكـمٌ أو حاكـم، ومـع ذلـك المشـوار المعـرفي المركَّـب لم يكـن بعيداً عـن أجواء السياسـة

واللقـاء بالعديـد مـن الـزعماء العـرب، ليصنـعَ لنفسـه مكانـةً في حسـاباتهم وحضوراً مميـزاً لدى عـدد منهم.

قـد لا يتحـدث الدكتور شـعبان بالتفصيل عن نشـاطه السـياسي وتعرضه للأخطـار لكنّ طوافَهُ خـارجَ بلـده بين العواصـم يكشـفُ عـن طبيعـةِ حياة الهجـرة والمنفـى الاختياري اللذينِ عاشـهما لعقـود، وقـد تحولـت تلـك الـرحلات إلى نشـاط متجـدد لمفكـر يُحـب أن يـرى ويشـعر عن قرب ويكتـب عـن تجربـة عيـان لا عـن سماع أو عن قراءةٍ فحسـب، ولم يكن بعيداً عـن الصراحة مهما كانـت النتائـج، فهو مع قضايا الإنسـان، ولاسـيما الإنسـان العـربي في مواجهته لأعتـى أعدائه مهما كانـت النتائج

لقـد أيَّـدَ بقـوةٍ الحـقَّ العـربيَ الفلسـطيني، ودافـع بمنطـق القانـون الـدولي -وهو الخـبير- عن ذلـك الحـق مقدّمـاً في ذلك جهداً ملموسـاً، سـابقاً غيره في السـعي لمقاضاة إسرائيـل على جرائمها، على الرغـم مما يحـاول حاسـدون إشـاعته بالعكـس من ذلك

ولم يثنـه ذلـك عـن المطالبـة بالحـق وفـق العدالـة الدوليـة، ولايزال صوتـاً صادحاً مـع حقوق الشـعوب المضطهـدة، وفي مقدمتها الشـعب الفلسـطيني وحقـه في دولةٍ مسـتقلةٍ، دون أن ينسى أزمـة غـزة والقتـل والاضطهاد الذي مـورس ويمـارسُ عليها

جـرأة الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان تدفعـه دائمـاً للتصريح بالموقـف والاحتجـاج على الطغيان والانحراف، فيطلق صرخَته ويدُوّنها ويسـعى إلى نشرها حين يَسـتعملُ الحاكمُ سـلطَته في نزع صفة الانـتماء إلى العـراق جـاهلاً بالتاريخ وبحجم جريمـة التجريد من الهوية، لتكون تلك الصرخة سـؤالاً يُعنـون بـه مؤلفَـهُ القيـم: (من هـو العراقي؟ إشـكالية الجنسـية واللاجنسـية في القانـونين العراقي والـدولي)، ولم يستسـلم للانفعـال بـل عالـجَ الأمـرَ بـخبرة المتخصـص في القانـون المدافع عـن كل ما يكفـل حـق الجنسـية ولا يتيـح لأي سـلطة دون القانون نزعها مـن حاملها.

إن مـا كتَبـهُ عـن المواطنـة لم يكـن بعيـداً عـن سـعيه إلى تأكيـد حقـوق المواطـن، فقـد سـعى نشـاطاً وكتابـةً إلى التعريـف بهـا والمطالبـة بتحققهـا، فكتـب عـن الهويـة والمواطنـة، وكان الهـمُّ العراقـي مقدمـاً لديـه، وسـعى إلى تقديـم اقتراحاتـه النقديـة في التـوازن بين رؤيـة تُفضِّـل حـقَّ المواطنـة على حـق الانـتماء الخـاص الـذي فرضـه على الآخـر، في ضوء الواقـع الذي يضـم التركيبة العراقيـة الدينيـة والعِرقيـة والطائفيـة المتنافسـة سياسـياً حين كتـب (جـدل الهويـات في العراق:

الدولـة والمواطنـة)، وترقـى رؤيته إلى أن تكـون برنامجاً مهماً لتعزيـز أي مشروع للنهوض بالدولة مـن منطلـق الإنسـان، كما ركـز تركيـزاً ملحوظـاً على المجتمـع المـدني الـذي رأى فيـه فرصـةً لبناء الإنسـان وبنـاء المؤسسـات التـي تقـفُ بموازاة السـلطات للخروج بنظـام يكفـل للمواطن حقوقه وللدولـة سلامـة بنائها.

ولم يغـادر معرفتـه القانونية ووعيه بكتابة الدسـاتير فأخذَ يكتبُ مواجهاً الواقع السـياسيَ وواقع الاحـتلال -آنـذاك- فحـذَّرَ مـن أن يكـون للاحـتلال أثـر في صياغـة الدسـتور سـواء أكان هـذا الأثـر مبـاشراً أم غير مبـاشر حين كتـب (العـراق - الدسـتور والدولة مـن الاحتلال إلى الاحتلال)، مسـتذكراً تجـارب العـراق، مركِّـزاً في تحليلاته على الأحـداث المعاصرة منطلقاً، من المعرفة الدسـتورية والرغبة في أن لا يقـع بلـده في أسر التـأثير الـذي يجلبـه الاحـتلال أو الارتباط به

وكان للمثقـف النصيـب الأوفـر مـن كتابـات عبـد الحـسين شـعبان مـن داخـل حيـاة المثقف وهمومـه ونشـاطه، ومـا بينَ عـالم المثـال الـذي ينشـده أو يشـيده، والواقـع الذي يضطـر للخوض فيـه، يـدركُ شـعبان أنـه يقطـعُ الرحلـةَ في ظلِّ وعـيٍ بمـرارة كما كبـار المثقفين.

ويمكـن وصـفُ كتاباتـه بأنهـا تاريـخ للمثقـف العراقـي -والعـربي في تجـارب معينـة- وإثـارةٌ للكـثير مـن قضايـاه المحوريـة، برؤيـة نافـذةٍ تعكـس خصوصيـة تجربتـه الثقافيـة ورؤيتـه لأزمة المثقـف نفسـه وأزمـة المجتمعـات التـي يمكـن أن يسـتغرق فيهـا.

ولم يغب عنه وهو يواجه أزمةَ الثقافة وأزمةَ المثقف أن عصرَ الأحزاب المؤثرة أو المهيمنة قد انتهى، وحل محلّهُ ما بعدَ الحزبية التي تعود لبعض سماتها حيناً وتفارق الكثير منها في أحيان أُخَر.

لم يترك عبـد الحـسين شـعبان مهمـةَ التعريـف بصفحـات مطويةٍ مـن تاريخ المثقـفين والأُدباء والسياسـيين، فقـدَّمَ دراسـاتٍ منصفـةً وثّقت لحياتهـم وأفكارهم، وانفرد بالكثير منهـا مثلما انفرد بسماتـه في الكتابـة والحـوار العميـق، فـكما يترك أثـراً كـبيراً في قارئـه فإنـه لا يكـفّ عـن التـأثير والتنبيـه الـذي يتركـه في محاوره.

إنهـا لفتـةٌ حضاريـة مهمة وشـاخصةٌ، أن يُحتفى بالدكتـور عبد الحسين شـعبان، ويكرَّم من قبل هـذه المؤسسـة الرصينـة، مثـلما احتفـى هـو بالإنسـان والأوطـان والحضـارة والمعرفـة، وسـعى إلى تخليـد رموزها

نافِذة مُختصَرة

د. وسيم الخوري حرب[1]

1- مؤسس المركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة - لبنان.

لقـد شرفتنـي دار سـعاد الصبـاح للـنشر والتوزيـع، بطلـب شـهادتي في إلقـاء بعـض الضوء على مـسيرة وإنتـاج الدكتـور حـسين شـعبان، في سـياق إعدادهـا للكتـاب التـذكاري المقـدَّم بمناسـبة تكريمـه في «يـوم الوفـاء» الـذي تقيمـه الـدار دوريـاً لشـخصية أدبيـة عربيـة مرموقـة

يجمـع د.شـعبان في إنتاجـه الفكري بين المـؤرخ والأديب و»الحقوقي - الدسـتوري». وقد أغنى المكتبـة العربيـة بمؤلفاتـه ذات الأبعـاد المتنوعـة؛ بحيـث يمكننـي، دون مبالغـة، الشـهادة بكونه أحـد المتنوريـن العـرب في الحقبـة الحديثـة، مـن الذيـن أزهـرت حديقتهم بكـمٍّ وافر مـن الثمار الفكريـة المتعـددة الأبعاد

لقـد عرفـت د.شـعبان مـن خلال مؤلفاته، وقد صـادف أن التقينـا، وتحدثنا، وامتـدت أحاديثنا لسـاعات طـوال؛ وتمحـورت حـول اليقظـة العربيـة الحديثـة، وحـول المـسيرة النضاليـة لمفكريـن مجاهديـن عـرب، لم يبخـل قلمهـم بالعطاء في خدمـة إغناء المكتبـة العربية بمؤلفـات ذات أبعاد وآثـار مهمـة في خدمـة التنميـة الإنسـانية، على مختلف الصعـد والميادين

لقـد شرفنـي د.شـعبان بقبولـه عضويـة مجلـس أمنـاء المركـز العـربي لتطويـر حكـم القانـون والنزاهـة. كما شرفنـي بصداقتـه، التـي أتاحـت لي التعـرف على شـفافيته وصدقـه ونبـل وصفـاء شـخصيته وعمـق أفـكاره وبلاغـة كتابتـه

وأضيـف منوهـاً بالـدور الـذي قام ويقوم بـه د.حسين، في مواكبـة مسيرة المركز العـربي لتطوير حكـم القانـون والنزاهـة. وفي مشـاركته لرسـم سياسـته التثقيفيـة التطويريـة، في مجـالات حكـم القانـون المختلفـة.. فلـم يبخـل هـذا المتنـور العـربي في تقديـم المشـورة والمسـاهمة الفعليـة في فعاليـات وأنشـطة وإنجـازات المركـز على كامـل مسـاحة الـدول العربية

عندمـا تقاطـع طريقـي مـع طريـق الدكتور حسين شـعبان أدركت منـذ اللحظـة الأولى أن الله قـد أنعـم علي، بصداقـة رمـز عـربي للنضال «الفكـري والميـداني». امتلكه هاجس النضـال ضد كل مـا يعيـق مـسيرة ونهضة الشـعوب العربية، وبخاصة الشـعب العراقي الأبي. وكذلـك كل ما يعيق تقدمهـا مـن آفـات متأصلـة في تراثنـا «الثقـافي - الاجتماعـي والسـياسي»، وأخـص بالذكـر منهـا: «العصبيـة العائليـة»، وآفـات الفكـر الأبـوي والمحابـاة، والفسـاد العـام والخاص بمختلف أشـكاله

وأدواتـه، وكذلـك الاسـتكبار العالمـي وارتداداته «الإقليميـة - العربية»

إن قلـم د.حـسين المضيء قـد تـجلّى في عـدد موفور من الإنتـاج الكتبي، لا يتسـع المجال، ضمن مسـاهمتي هـذه، في الكتابـة عنهـا تفصـيلاً، إلا أننـي أسـتعرض بعضهـا ذكـراً، لأن هـذا البعـض يسـطع في ذهنـي وذاكـرتي، كنجـوم كوكبيـة تضيء بعـض ليالي العـرب الداكنة السـواد.

بـدءاً أذكـر: جـذور التيـار الديمقراطـي في العـراق (قـراءة في أفـكار حـسين جميل، هـل انقطع نسـل الليبيراليـة - العراقيـة) - تحطيـم المرايـا (في الماركسـية والاخـتلاف) – كوبـا الحلـم الغامض (الرومانسـية الثوريـة) – الإسلام وحقوق الإنسـان – المثقف في وعيه الشـعبي (حـوارات الذاكرة) – ديـن العقـل وفقه الواقـع – مظفّـر النواب.

هذه عينة من بعض ما أسرني ذهنياً في مقاربات شعبان الفكرية.

إنـه يجمـع في مختلـف إنتاجـه الفكـري، بين ضوابـط التمنـي، وحيثيـات الواقـع. تتحكـم فيـه نزعة إنسـانية راقية تتناغم مع يقظة عربية صافية، تلوّنها مشـاعر إنسـانية ذات أبعاد شـمولية

هـذه شـهادتي بـه، حاولـتُ أن لا تأسرهـا العاطفة. هـذا إذا نجحت!! مع عظيـم امتناني لإتاحة الفرصـة لي بـأن أشـارك دار سـعاد الصبـاح المجيدة مشـكورةً في أخذ المبـادرة بإلقـاء بعض الضوء على شـخصية وإنتـاج هـذا المناضـل الصادق الذي أشـدّ على يده باعتـزاز ومحبة

بيروت

2024 / 06 / 26

أنسنة الهويّات وشيطنتها
حول مفهوم الهويّة في فكر د.عبد الحسين شعبان

د. يسري مصطفى[1]

1- كاتب وباحث من مصر.

تمهيد

مـن منظـور الثابـت والمتحـول، والخـاص والعام، والانـغلاق والانفتـاح.. يأخذنـا د.عبد الحسين شـعبان في رحلـة فكريـة في حدائـق الهويّـات وصحاريها ليطلعنـا على واجهاتها المشرقـة وثناياها المعتمـة، لنكتشـف تلـك العلاقـة الجدلية والمعقـدة بين الـذات والهويّة.

وبلغـة التاريـخ والثقافـة والسياسـة والاجـتماع يقربنـا مـن المفهـوم ويبقينـا على مسـافة مـن المسـلّمات التـي طـالما طبعـت خطابـات الهويّـة ورسـخت في الأذهـان فكـرة ثباتهـا وديمومتهـا، فأصبحـت الهويّـات أسيرة سـلطة الخطـاب، وباتـت الـذوات حائـرة بين واقـع مفعـم بالتحـول والتنـوع وخطابـات ماهويـة تضـع الهويّـات في قوالـب ثقافيـة وأيديولوجيـة تتصـادم وتتناحـر وتعـزل وتنعـزل. وفي البدايـة يجـدر بنـا أن نبدأ بالسـؤال المنهجي الـذي يطرحه د.شـعبان: «**هل الهويّـة جوهـر قائـم بذاتـه لا يتـغيّر أو يتحـوّل؟ أم هي علاقـة تجمعها مواصفـات بحيث تكوّن معناهـا وشـكلها**؟ وبالتـالي لا بـدّ مـن تنميتها وتعزيزهـا وتفعيلها في إطار المشترك الإنسـاني، الأمر الـذي يتخطّـى بعـض المفاهيـم السـائدة، ذات المسـلّمات السرمديـة السـكونية لدرجـة التقوقع، وينطلـق إلى خـارج الأنسـاق والاصطفافـات الحتميـة، مـن خلال قـراءات مفتوحـة تأخـذ التطور بنظـر الاعتبـار عنـاصر تفعيـل وتعزيـز وتحـوّل في الهويّـات الخاصـة والعامة».

سؤال الهويّة

وفي الواقـع، إن موقـف د.شـعبان مـن سـؤال الهويّة ورؤيتـه لها ينطوي على بعد شـخصي، فهو **المواطـن** الـذي خبر تجربـة المنفـى، وهـو **المثقـف** العابـر للأيديولوجيـات، فهـو **الليبرالي** المدافع عـن العدالـة الاجتماعيـة، و**اليسـاري** المدافـع عـن الديمقراطيـة، و**القومـي** المدافـع عـن حقـوق «الأقليّـات» والتنـوع الثقـافي، وفي كل هـذا نجـده الحقوقـي الـذي يؤسـس رؤاه ومواقفـه على مبـادئ وقيـم حقوق الإنسـان.

ولم تكـن المسـألة شـخصية بالمعنى الحصري، فطـالما كان مدافعاً عن حقـوق الآخرين، وفي هذا يقـول: «وإذا أردت أن أتحـدث عـن تجربتـي الشـخصية، فإننـي كنـت أواجه بشـكل شـبه يومي ومنـذ مـا يزيـد على ربـع قـرن حـالات تعـدّ بـالآلاف بخصـوص المهاجريـن والمنفـيين واللاجـئين

العراقيين والعرب، ناهيكم عن ذلك، فقد عشت تجربة النفي لعقدين كاملين من الزمان وإنْ كنتُ على اتصال مستمر بالوطن وضمن الفسح والمساحات المتاحة، سواءً في الماضي أو الحاضر، فإنني أدرك إشكاليات الهويّة، وبخاصة في أوضاع المنفى واضطرابها فيما يتعلّق بالأسباب السياسية أو الأيديولوجية أو الإثنية أو الدينية أو المذهبية أو الاجتماعية أو غيرها، التي تكاد تطغى أحياناً، مسببة نوعاً من الالتباس»

أتصور أن هذه الخبرة الشخصية، مدعومة بذهنية **المفكر النقدي**، جعلته يقف على ضفاف الهويّات يرى انسيابات تياراتها وتلاطم أمواجها، وركودها الفكري وتلوثها السياسي. ولكن كيف يعرّف د.شعبان مفهوم الهويّة؟ وقبل الولوج إلى التعريف، نتوقف عند السؤال الذي يطرحه بشأن التفكير في الهويّة: «هل الهويّة جوهر قائم بذاته، لا يتغيّر أو يتحوّل؟ أم هي علاقة تجمعها مواصفات بحيث تكوّن معناها وشكلها؟ وبالتالي لا بدّ من تنميتها وتعزيزها وتفعيلها في إطار المشترك الإنساني، الأمر الذي يتخطّى بعض المفاهيم السائدة، ذات المسلّمات السرمدية السكونية لدرجة التقوقع، وينطلق إلى خارج الأنساق والاصطفافات الحتمية، من خلال قراءات مفتوحة تأخذ التطور بنظر الاعتبار عناصر تفعيل وتعزيز وتحوّل في الهويّات الخاصة والعامة»

وعليه يمكن أن نستكشف تعريف د.شعبان لمفهوم الهويّة في أكثر من موضع، ففي أحد أعماله يعرّفها بأنها **وعي وإحساس بالذات** من ناحية، وهي **انتماء إلى جماعة** من ناحية أخرى. وهذا الوعي والإحساس يعطي للهويّة بُعدها الذاتي (الفردي أو الجماعي) ومن ثم خصوصيتها، أما الانتماء فهو الرابطة التي تعطي للهوّية بعديها المجتمعي والدولتي القانوني. ومن ثم فإن مفهوم الهويّة، وفق هذه الرؤية، متعدد الأبعاد يتضمن الذاتي، والجماعي، الخاص والعام، المجتمعي والمؤسسي. وهذا ما يجعل منه مفهوماً مركباً، وعلى غير الأفكار الماهوية السائدة التي تنظر إلى الهويّة كجوهر ثابت لا يتغير، فإن مركب د.شعبان يمكن وصفه **بالمركب الحيوي**، فهو يحمل سمات، ولكنها سمات وليست قوالب، سمات تتشكل بفعل التواصل والتفاعل والتصادم والتثاقف.

وهذه الدينامية يمكن أن تحدث على مستوى مركب الهويّة في كليته، ولكنها أيضاً تحدث على مستوى كل مكوّن من مكوناته، أي المكون الذاتي والمجتمعي والمؤسسي. ومن هذا المنطلق فإن مقاربة د.شعبان للهوية تتأسس على فكرة التشكل والصيرورة، فهي ليست

معطىً سابقاً وجاهزاً ومعداً مسبقاً للتبني والتمثل والامتثال، وإنما مسار يخضع لمؤثرات وتأثيرات ومحفزات وكوابح، إن سؤال «**من أكون؟**» لا ينفصل عن سؤال «**كيف سأكون؟**». وتوافقاً مع هذه الرؤية يخلص د.شعبان إلى تعريف للهوية بأنها: «لا تتكون بمجرد النشأة والانتماء.. بل تتكون من خلال عملية الخلق والعمل والصيرورة، وهي عملية إبداعية مستمرة ومفتوحة».

مشكلات الهويّة وأزماتها

ولكن أين تكمن مشكلات الهويّات وأزماتها؟ نتعرف من خلال كتابات د.شعبان على أن تشخيصاً لمعضلة الهويّات يأتي من اقترانها بالسياسة، وبكلمات أخرى عندما تخترقها السياسة فتقمعها أو تنشطها أو تدجنها. وفي كل الأحوال تصبح الهويّة مسرطِنة أو مسرطَنة بفعل دوائر التسييس داخلياً وخارجياً، وهنا تظهر مشكلات الهيمنة والإقصاء والتصادم، والقسر، والتفكك، يقول: «وإذا كانت تحدّيات الهويّة داخلياً أساساً مستمرّاً لاحتدام الجدال والسجال والصراع، فإن التحدّيات الخارجية لم تكن بعيدة عن ذلك، خصوصاً تداخلاتها وتأثيراتها المختلفة، حيث ظلّ الموقف من الحقوق والحريات، وبخاصة من مبدأ المساواة التامة والمواطنة الكاملة، وهما ركنان أساسيان من أركان الدولة العصرية، هو العامل الحاسم في الاحتدام والصراع والتناحر أحياناً، وذلك ما استثمره العنصر الخارجي في إثارة النعرات وتأليب البعض على البعض الآخر، والتدخّل بحجة حماية هذا الفريق أو ذاك، ولاسيّما للكيانات الفرعية، خصوصاً إذا شكّلت الكيانات الأساسية ذات الصفات العامة، عنصر تحدٍّ للقوى المتنفّذة والمتسيّدة في العلاقات الدولية، التي بإمكانها التأثير عليها، وذلك بالعزف على هذا الوتر الحسّاس للهوّيات الفرعية، التي ستضعف الكيانات الكبرى، وهو ما يمكن أن نطلق عليه (كلام حق يراد به باطل!) ولاسيّما إذا تعرّضت وحدة الدولة للتمزّق والمجتمع للتشظي!»

اللحظة الفارقة

ومع ذلك في تحليله لأزمة الهويّات يسلط د.شعبان الضوء على لحظة تاريخية، ويعتبرها لحظة فارقة، لحظة أزمة واهتمام. إنها لحظة انهيار الكتلة الشرقية وما صاحبها من انحسار أيديولوجي، فيربط د.شعبان بين ارتفاع مؤشر الاهتمام بالهويّات وارتفاع مؤشر تأزمها.

يقول: قد يكون الاهتمام بالهويّة في ربع القرن الأخير ناجماً من تراجع دور الأيديولوجيات،

ولاسيّما بعد انخفاض منسوب الصراع الأيديولوجي منذ نهاية الحرب الباردة في أواخر الثمانينيات، أو تحوله من شكل إلى شكل آخر، خصوصاً بعد انهيار الكتلة الشرقية، وصعود الإسلام كعدو تقليدي للغرب بعد سيادة عهد الليبرالية الجديدة سياسيّاً واقتصاديّاً، والتي ارتبطت موجتها الجديدة بظاهرة العولمة، ولاسيّما في ظل الثورة العلمية - التقنية، خصوصاً في مجال تقنيات الاتصال والمعلومات، وسعت للهيمنة على السوق الدولية على مستوى الكرة الأرضية».

لنتوقف عند هذا التحليل، فما يرصده د.شعبان ليس مجرد الانشغال بالهويّة، فالانشغال بالعلاقة بين الذات والآخر من سمات العصر الحديث، وهو أمرٌ سابق على انهيار الكتلة الشرقية، ولكن المهم في تحليل د.شعبان وتركيزه على هذه اللحظة التاريخية هو «**تدويل الهويّات**» وظهورها كبدائل أيديولوجية وزرعها في نظام العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

وبالمعنى المجازي، فإن تأزم الهويّات لا يعني انحسارها أو ضمورها، بل تضخمها، وهذا ما لاحظناه خلال الفترة المشار إليها، فسواء تعلق الأمر بالهويّات الكبرى أو هويّات «الأقليات الصغرى» فكلاهما تضخم بشكل أو بآخر، ومع التضخم يحدث التصادم والصراع.

وهنا يصيب د.شعبان عندما يشير إلى استحضار الإسلام، ليس كديانة بالمعنى الروحي، ولا ثقافة بالمعنى السوسيولوجي، ولكن كهويّة بالمعنى الأيديولوجي، ومن تضخيمه كهوية مناوئة للحضارة الغربية واستخدامه كمادة في أيديولوجيا صراع الحضارات. وهكذا تختفي المجتمعات وتتضخم الهويّات، ويغيب المشترك الإنساني

التنوّع والانفتاح

وينطلق د.شعبان من أفكار التنوع والانفتاح، فالهويّات، بما أنها إحساس ووعي وانتماء، وبما أنها صيرورة تشكل، فإنها تحمل في طياتها طاقة، وهذه الطاقة يمكن أن تضيء كما يمكن أن تحرق، طاقة تخضع لقوانين الحركة والتفاعل والتغذية والتغذية الراجعة. وبالتالي فإن سوء استخدامها ينذر بالخطر، كما أن كبتها يفضي إلى انفجارات، وفي هذا يقول د.شعبان: «يتعذّر الحفاظ على الهويّة بأساليب القمع والطغيان والانعزال، فهذه الممارسات تؤدي إلى تصحير الهويّات، وبدلاً من الانفتاح والتواصل والتعدّد، تؤدي إلى الانغلاق والانكفاء والتقوقع..».

وإذا وضعنا هذا الكلام في السياق العام لتحليل د.شعبان فإن الانغلاق والانكفاء والتقوقع لا يعني الانحسار، ولكن اختزان طاقات سلبية، وهذا ما يحذر منه ويبقي العلاج في مناخ مساواتي وعادل ومنفتح بما يسمح بأنسنة الهويّات على أرضية «المشترك الإنساني» بدلاً من شيطنتها.

الأبعاد الثلاثة للهويّة

وكما أن الهويّة ثلاثية الأبعاد تحمل **الذاتي** و**المجتمعي** و**المؤسسي**، فإن رؤية د.شعبان لا تتجاهل البعد الكوني الذي برز كشرط تاريخي، فيقول: «وفي ظلّ العولمة اليوم لا يمكن لأيّة هويّة أن تعيش في قمقم أو شرنقة بمعزل عن الهويّات الأخرى تأثّراً وتأثيراً، والعبرة: ماذا تأخذ أو تترك؟ وكيف تُضيف أو تحذف؟ وبماذا تشترك أو تختلف؟ وأين الوصل والفصل بين الحفاظ على السمات العامة للخصوصية دون الانعزال، والتفاعل مع الكونية والشمولية دون الذوبان؟»، وهكذا يقر بأهمية هذا البعد الرابع، ولذلك فإن رؤيته لأنسنة الهويّات ترتكز على مطلب محلي وهو «**المواطنة**»، ومطلب كوني وهو «**المشترك الإنساني**»، وكلاهما يقتضي احترام القانون وحقوق الإنسان وتثمين التنوع الثقافي.

فمن ناحية أولى، يرسم د.شعبان ملامح المواطنة المبتغاة ويسميها «**المواطنة العضويّة**»، ويقصد بذلك المواطنة التي تقوم على أربع ركائز متعاضدة وهي: **أولاً** المساواة وعدم التمييز، **ثانياً** الحرّية، **ثالثاً** العدالة، **رابعاً** الحق في المشاركة. وإذا كان لنا أن نتحدث عن هويّة وطنية عامة وحاضنة للهويّات الفرعية، فإن هذه الركائز هي ما تعطيها قيمتها وديموتها وفعاليتها.

وهنا تجدر الإشارة، إلى أن أزمة الهويّات وثيقة الصلة بأزمة المواطنة بمعناها الدولتي والمحلي. فأي مرض يصيب المواطنة المؤسساتية والقانونية يصيب الهويّات ويؤزمها. والأمر الخطير الآخر هو أن يتم انتزاع المواطنة من سياقها المؤسسي وصبغها بالصبغة الأيديولوجية، وهي ما يطلق عليها د.شعبان «**المواطنة الافتراضية**»، كتعبير عن مواطنة زائفة وغير واقعية «أساسها أيديولوجي يقوم على الهويّة الدينية أو الطائفية أو القومية أو الأممية بحسب مصدر التوجه».

ومن ناحية ثانية، يشدّد د.شعبان على فكرة «**المشترك الإنساني**»، وهو مفهوم يشبه الهويّة من حيث كونه صيرورة تتشكّل وليست معطىً جاهزاً ومسبقاً، ولا شكّ أن هناك متصلاً بين

«**المواطنة العضوية**» و«**المشترك الإنساني**»، فكلاهما يخضع لقواعد المساواة وعدم التمييز والحرية والعدالة والمشاركة. وكلاهما يحتاج إلى إرادة تحترم التنوع والتعددية.

وبالحديث عن المشترك الإنساني، تجدر الإشارة إلى كتابات د.شعبان في **نقد الإمبريالية**، وبخاصة «**الإمبريالية الثقافية**»، و«**نقد العنصرية**» بوصفها آفة البشرية، التي كانت في السابق وأصابت الحاضر، وفي مواجهتها نشأت منظومة حقوق الإنسان

وفي الختام، فإن مقاربة د.شعبان لسؤال الهويّة تحافظ على الغشاء الحيوي بين الذات والآخر، وبين الخاص والعام. فهو لا يطلب من الذات أن تفقد ذاتيتها وإنما أن تتحرر من أوهام الفرادة ومن أمراض النرجسية والاستعلاء.

إنها مقاربة تراهن على الانفتاح واحترام الأفكار والأيديولوجيات، بالمشاركة والحوار والتواصل والنقد البناء.

إنه المسار الفكري الذي جسّدته كتابات ومواقف د.شعبان، مسار يرتكز على مبادئ حقوق الإنسان واحترام الكرامة الإنسانية، بوصفها وسيلة وغاية، وهنا أختم بسؤال يطرحه د.شعبان: «**هل توجد غاية شريفة من دون وسيلة شريفة؟**».

نماذج من كتابات د.عبد الحسين شعبان حول الهويّة:

- جدلية الهويّة والمواطنة! في مجتمع متعدّد الثقافات: بحث منشور في كتاب أصدرته منظمة اليونيسكو بالتعاون مع المركز الدولي لعلوم الإنسان تحت عنوان: «حضارات في طور الانتقال»، بيروت، 2016.
- المهاجر وهويّته الثقافية: مقال منشور في جريدة الخليج في 9 تشرين الثاني / نوفمبر وفي جريدة الزمان (العراقية) في 12 تشرين الثاني / نوفمبر 2022.
- التباسات الهويّة: مقال منشور في جريدة الخليج (الإماراتية) في 28 حزيران / يونيو، والزمان (العراقية) في 3 تموز / يوليو 2023.
- الهويّة مرّة ثانية وثالثة: مقال منشور في جريدة الخليج (الإماراتية) في 8 شباط / فبراير وفي جريدة الزمان (العراقية) في 11 شباط / فبراير 2023.
- الهويّة بين النظرة التفريقية والمساواتية: مجلة أفق (مؤسسة الفكر العربي)، عدد حزيران 2024.

- جدل الهويّات في العراق – الدولة والمواطنة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.
- الهويّة والمواطنة - البدائل الملتبسة والحداثة المتعثّرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2017، وط2، 2020.

قالوا في د.عبد الحسين شعبان

كان عبد الحسين شعبان صوتاً مجلجلاً وكلمته مؤثّرة وموقفه ثابتاً وإرادته حديدية وتصميمه أكيداً من أجل الإنسان، الإنسان المضطهد والمعذّب والمُطارَد والمسلوب الحقوق، وكأنّه بَلسم يداوي جراح المشكومين

أحمد الحبوبي

أحد أقطاب التيار القومي العربي - وزير سابق

شعبان في الحقيقة كان ولا يزال كاتباً قديراً وباحثاً جادّاً بلا تكلّف أو تصنّع، وهذه هي الميزة التي يتّسم بها، إضافة إلى صدقيّته ونزاهته العلميّة

أحمد الحسني البغدادي

النّجف الأشرف - غرة جمادى الأولى 1439هـ

لمبدئيّته يحظى عبد الحسين شعبان باحترام الأردن بكل فعالياته، حكومةً وشعباً ومجتمعاً مدنياً. فهو أبرز المفكّرين والمناضلين العرب في نشر ثقافة حقوق الإنسان وفي تنشئة أجيال عليها

أسمى خضر

وزيرة أردنية سابقة - وإحدى رائدات المجتمع المدني

تربطني بعبد الحسين شعبان ثلاثة روابط:

أوّلها أننا ننتمي إلى مدرسة فكرية ونضالية واحدة.

ثانيها أننا زملاء في المهنة، فكلانا درس الحقوق وانشغل بها.

ثالثها أننا واكبنا الحركة الثقافية والأدبية وزملاء في اتحاد الأدباء.

ألفريد سمعان

رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العراقيين

لقد اجتزنا صحراء شاسعة استغرق قطعها على بعضنا -وأنا منهم- عمرنا كلّه تقريباً، وممّا يشعل في النّفس جذوة التفاؤل أن نجد بيننا من لم يُصَبْ بالإنهاك، كعبد الحسين شعبان!

إميل حبيبي

أديب وروائي فلسطيني - حيفا

شعبان هو رمز للعلم والكفاءة والكفاح من أجل الديمقراطية والحرّية، نذر نفسه للدفاع عنها ولإعلاء شأن ثقافتها

أمين مكي مدني

الممثل الإقليمي للمفوض السامي لحقوق الإنسان

خـرج شـعبان مـن الأطـر التقليديـة الأيديولوجيـة والحزبية لممارسـة السياسـة بوسـائل ثقافية رحبـة، تقـوم أساسـاً على حقوق الإنسـان وسـيلة وغاية

أنطوان سيف

أستاذ فلسـفة والأمين العام للحركة الثقافية
في أنطلياس - لبنان

درس الكـثير مـن الباحـثين موضـوع الـخلاف الحـدودي بين العـراق وإيـران، وما جـرّ ذلك من نزاعـات طيلـة قـرون. يتنـاول الموضوع الـذي يضعه الرفيق عبد الحسين شـعبان بين أيـدي القرّاء هـذا النـزاع في ضـوء قواعـد القانـون الدولي، وذلـك جانب وجدته مـهمّاً وضرورياً لـكل المناضلين التقدّمـيين وعلى كل مواطـن أن يلـمّ به.

باقر إبراهيم

عضـو المكتـب السـياسي للحـزب الشـيوعي
العراقي سـابق

في جـو مفعـم بالحركـة الأدبيـة والفكريـة وُلـد المفكر عبد الحـسين شـعبان في النجف الأشرف، مدينـة العلـم والفقـه والشـعر، وسـط أسرة دينيـة أدبيـة مشـهورة. إنـه مـن جيـل الحريّـة الذي سـطع في أفقـه الشـيخ المظفـر ومحمـود الحبـوبي وصالـح الجعفري ومـرتضى فرج اللـه وإبراهيم الـوائلي وسلام عـادل وغيرهـم مـن الأفذاذ

باقر الكرباسي

رئيـس اتحـاد الأدبـاء والكتّـاب في النجـف
سـابقاً

اجتمع في كتاب د.شعبان «عاصفة على بلاد الشمس» من فضائل كاتبه في الاختصاص بالقانون الدولي ما عزّز من نهجه في دقّة المعالجة، واعتماده على الحقائق الثّابتة والمؤكّدة بالوثائق والأدلّة. كتاب لا بدّ من العودة إليه، أكثر من مرّة، لإيفاء حقّه في البحث الجاد بمقوّماته وأبعاده

بلند الحيدري
شاعر عراقي

ظلّ عبد الحسين شعبان في طليعة الديمقراطيين والحقوقيين في العالم العربي، التي تتشبّث ببناء موقف منسجم على أسس أخلاقية للدفاع عن حقوق الشعب العراقي، ينطلق من رفض المفاضلة بين طغيان الداخل والخارج، ويتأسّس على ضرورة التصدّي بصرامة لكافّة المصادر والأطراف التي تتحمّل المسؤولية عن الانتهاكات التي يتعرّض لها الشعب العراقي. ما أحوجنا إلى هذه النوعية من المناضلين والمفكرين، الذين يملكون بصيرة لا تتشوّش والتزاماً لا يلين

بهي الدّين حسن
مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

عندما يتقدّم الإنسان سنّاً ومنزلة وكفاحاً يصعب على الآخر أن يعرف أسباب ما يعانيه من تعب ومعاناة، وهو يحاول أن يكتب شيئاً لتقييم نموذج إنسان مثل عبد الحسين شعبان، الذي قضى فتوّته وشبابه ومن ثمّ سِنِيّ حياته كلّها في تشخيص، ليس فقط أوجاع شعبه، بل أوجاع العصر كلّه وأوجاع الإنسانية كلها

جاسم المطير
كاتب وروائي عراقي

إنّ جهد د.شعبان في كتابه «أغصان الكرمة - المسيحيون العرب» يعبّر عن شجاعة علميّة وموقف أخلاقي، في وقت تعصف الكراهيّة والانشقاق والظلامية والسطحية بالمنطقة

جريس سماوي

شاعر وإعلامي أردني - وزير ثقافة سابق

لقد عرفنا الدكتور شعبان، منذ عقود من الزمان، كاتباً وناشطاً ومناضلاً ثابتاً ضدّ الدكتاتورية وباحثاً أكاديمياً مجتهداً ومجدّداً، تميّز منذ وقت مبكر بآرائه ومواقفه الواضحة والجريئة من القضية الكردية، حيث كان داعية باستمرار لنصرة الشعب الكردي وحقّه في تقرير مصيره وفي احترام خياراته الحرّة في الفيدرالية، مجسّداً بصورة فعلية وحقيقية إيمانه بالأخوّة العربية - الكردية. عبد الحسين شعبان صديق عزيز لشعبنا الكردي ومناضل من أجل السلم والديمقراطية.

جلال الطالباني

الأمين العام للاتحاد الوطني الكردستاني
(رئيس الجمهورية لاحقاً)

د.شعبان يكتب بعقله وقلبه وروحه. ولمّا كان من رجال القانون المدافعين عن حقوق الإنسان، فلقد وضع الجواهري في ميزان الحق والتاريخ وقدّم عطاءه الإبداعي والاجتماعي والفكري، فأتى بما عجز عنه غيره لأنه خَرَزهُ بعناية. كذلك قدّم لنا طبقاً شهياً بكتابه الموسوم «أبو كاطع – على ضفاف السخرية الحزينة» الذي قضيت معه ثلاث ليالٍ، فقضمته ولثمته وعدوته فاكهة الربيع، أنا المحروم من الحلوى بأمر الطبيب! عبد الحسين شعبان القانوني البارز، أثبت في هذا الكتاب أنه أديب وناقد وصحفي وأُضيف: عالم نفسي أيضاً

جليل العطية

كاتب ومؤرخ عراقي

لاحظـت على عبـد الحـسين شـعبان علامـات الفطنة والذكاء وهو في سـن مبكـرة، حيث كانت أسـئلته متميّـزة واهتماماتـه ليسـت بالشـكل الاعتيادي والتقليـدي، وتعمّقَت وهـو طالب لم يزل في مرحلـة الدراسـة الجامعيـة، فتوقّعت له مسـتقبلاً زاهراً حـافلاً بالعطاء الفكـري المتميّز، وهذا مـا كان ولا يزال

جليل حمود شعبان

محام ومصرفي عراقي

عبد الحسين شعبان المحاور اللبق المتعدّد الرؤى، اليساري غير المتعصّب والمفكّر الديناميكي.

جمال بن دحمان

عضـو مؤسـس في منتـدى محمـد عابـد الجابـري

في كتابـه «الجواهـري - جـدل الشّـعر والحيـاة» يحشـد الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان ذخيرة سـنوات طويلـة وغنيّـة بالذكريـات والمشـاهد والمواقـف، والأسماء والقـراءات أيضـاً، عـن شـاعر العـرب الأكبر محمـد مهـدي الجواهـري، فجـاءت المحصّلـة نتـاج معايشـة مبـاشرة قـلّما تتوفّـر لكاتب

جمعة الحلفي

شاعر وصحافي عراقي

مـن يعـرف عبـد الحـسين شـعبان عـن قـرب فسيكتشـف فيـه الإنسـان، المثقـف، الكاتـب، المناضـل، والمختلـف

جمعة الَّلامي

ناقد وروائي عراقي

أجـد صعبـاً أن أفي الكاتـب الدكتـور عبـد الحسين شـعبان المفكّـر العراقي والصديـق، والكتاب «أغصـان الكرمـة - المسـيحيون العـرب» حقّـهما في عـرض مخـتصر. الكاتـب يتحدّث عن خمسـة أخطـاء كبرى في التعامـل مـع المسـيحيين العـرب: تجاهـل أن غالبيتهـم عـرب، السـعي إلى فصـل المسـيحيين عـن عروبتهـم، اسـتصغار دور المسـيحيين، عزلهـم عـن حركـة التنويـر التـي كانـوا في صُلبهـا، وإنـكار مسـاهمتهم في نضـال أمّتهم وشـعوبها

جهاد الخازن

صحـافي - رئيـس تحريـر جريـدة «الحيـاة» اللبنانيـة سـابق

عبـد الحـسين شـعبان لا يـخترع إسلامـه ولا يبتـدع. هـو لا «يُـعصرن» القـرآن ولا يُسـقط عليه أفهومـات ليسـت منـه، بـل يأخذ نفسـه بمـا فيها من حداثـة إليه. أفرحني شـعبان وكأنّ مسـيحيّاً كان واقفـاً وراءه ليعـرف عدلـه.. فليكـرّم، ويعـتبرني هـذا المسـيحي الـذي اغتبـطَ بمـا ورد في هذا السِـفر.. ودعـا لوريـث «الحسين» بكـرم اللـه والعافية

جورج خضر

المطـران السـابق لجبيـل والـبترون للـروم الأرثوذوكـس

في يقيني أنّ عبد الحسين شعبان يمثّل نموذجاً رائعاً لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الوطنية العراقية من روح التسامح والتواضع والشفافية والانفتاح على الآخر، ونبذ كل نوازع الأنانية التي تجعل حب الذات فوق حب الوطن. إنه جواد عربي أصيل وفكر جوّال وأخلاق سَمحة

حامد الجبوري

وزير وسفير سابق - وأحد مؤسسي حركة القوميين العرب

لك الحقّ أن تقبل ولك أن ترفض ما انتهى إليه الدكتور شعبان، لكن لا يسعك إلا التسليم بشجاعة الطرح

حبيب مالك

مؤسسة شارل مالك - لبنان

كانت إسهامات عبد الحسين شعبان الفكريّة والنضالية، في الكفاح من أجل الديمقراطية والحريّة وحقوق الإنسان في العالم العربي، بمثابة محطّات مهمّة ومؤثّرة في مسيرة الحركة العربية الحقوقية، رسّخت فيها قِيم الحوار البنّاء والتواصل الدائم والمشاركة الفعّالة، خصوصاً لما يمثّله شعبان من علم وكفاءة ونزاهة، لذلك كان أهلاً حين اختير كأبرز مناضل لحقوق الإنسان في القاهرة العام 2003.

حجاج نائل

المدير التنفيذي للبرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان - مصر

دأبـت على قـراءة الماركسـية والتحـدّث عـن الماركسـية والكتابـة عن الماركسـية أكثر من سـتّين عامـاً، وكنـت أعتقـد بوجـود ماركسـية واحـدة هـي ماركسـية ماركـس وإنجلـز وليـنين وسـتالين. فجـأةً، نبّهنـي د.شـعبان إلى وجـود ماركسـيات لا يُـحصى عددهـا

حسقيل قوجمان

كاتب ومفكر ماركسي يهودي عراقي

لقـد علّمنـا شـعبان أسـباب كتابـة الجواهري لمعظم شـهيراته وهو ما لم يُسـجّل قـبلاً. إنّ كتاب «الجواهـري - جـدل الشّـعر والحيـاة» يعكـس سـيكولوجية شـعبان، كأحـد أبـرز دعـاة حقـوق الإنسـان ورجـال القانـون الـدولي الذين يتعالون بأنفسـهم عـن الدخول في مسـاجلات وصراعات، قـد تبعدهـم عـن بيـوت تعبق بـروح المحبّـة والتواضع

حسن العلوي

كاتب ومفكر عراقي

أيقـظ شـعبان أسـئلة ظـنّ كـثيرون أنهـا نامـت أو ماتـت لأنهـا تتعلّـق بالماركسـية. فقـد اعتبر هـؤلاء أن الماركسـية قـد دُفنـت تحـت أنقاض حائط بـرلين قبل عقديـن من نهاية القـرن الماضي، لكـنّ شـعبان المؤمـن بالماركسـية إيمـان المجـدّد الناقـد، يـأبى إلا أن يكشـف بحـب صـادق عـن الوجـه الـذي غطّتـه الممارسـة الخاطئـة، واختطفتـه البيروقراطيّة

حيدر إبراهيم علي

مفكّر وعالم اجتماع سوداني

الدكتـور شـعبان هـو صديق عزيز على المسـتوى الشـخصي، وهو صديق قديـم لمصر ولمثقفيها ونُخبهـا الفكريـة، وهـو مفكـر عـربي كبير نسـتأنس بـه وبأفـكاره دائمـاً، كما أنـه على العكس من الكثيريـن ممـن سـاروا في مدرسـة اليسـار والماركسـية، لم يتقولـب ولم يتجمّـد، فقـد وجـد دائمـاً اتّسـاعات وانفتاحـات وفضـاءات وآفاقـاً رحبـة. ولعـلّ ثلاث قضايا أساسـية ميّزته

الميزة الأولى - جدليّة فكره وحيويّة عقله.

الميزة الثانية - اهتمامه بحقوق الإنسان، المنطقة الأرحب في حركته.

الميـزة الثالثـة - واحـة الأدب التـي لا يـزال يعيـش فيهـا لأنه أديـب ويحـبّ الأدب، وأخمّن أنه كتـب الشـعر في بدايـة حياتـه، وربمـا لا يـزال، ليصبح فكـره متّسـعاً وحرّاً وشـفافاً إلى هـذا الحدّ، فـضلاً عـن أنه يؤمـن بالحداثـة، وهذه بنت الشـعر.

حلمي سالم

شـاعر ومديـر تحريـر مجلـة «نقـد وأدب» - القاهـرة

دُهشـتُ مـن هـذا القانـوني الحقوقي الذي يجمع نزوعـاً أدبياً وفنيّاً وفكراً نقدياً حيّاً وممارسـة سياسـية ملتزمـة ومتميّـزة. يمتـدّ كل ذلـك مـن تـراث النّجـف الدّينـي والشـعري، إلى الحقـوق الديمقراطيـة في بغـداد، فقضايـا التنـوّع والوحـدة الممتـدّة مـن الـبصرة إلى أربيل، لتكـوِّن العراق التاريخـي والحضـاري العظيـم. وتتيـح هـذه المنهجيـة لعبـد الحسين شـعبان أن يمضي بهـا لرؤية الصراع العـربي - الصهيـوني وانتفاضـة الشـعب الفلسـطيني البطل.

حلمي شعراوي

مفكّـر مصري ومدير مركـز البحوث العربية والأفريقية – القاهرة

كان الدكتـور شـعبان ولا يـزال الشـخص الأوّل والأهـمّ الـذي تأثّـرت ولا أزال أتأثّـر بشـخصيته الفـذّة الرائعـة والمؤثّـرة، وأسـتمدّ منهـا القـوّة والثقـة والراحـة أحيانـاً لسـعة اطلاعـه وتسـامحه وإنسـانيته.. وقـد فتحـتُ عينـي على الدّنيـا وهـو أمامـي، وكان ولا يـزال يمثـل النمـوذج بثقافته وصداقاتـه وتضحياتـه، والأكثر مـن ذلـك بأخلاقـه وإنسـانيته التـي يـعترف بهـا حتـى خصومه. لا يخضـع شـعبان لأيـة ابتـزازات أو إغـراءات منـذ صغـره. هـذا مـا كان يقولـه والدي ووالـدتي، لذا فهـو لا يخـاف مـن التعـبير عـن رأيـه، حتـى وإن كان على خطـأ، فهـو سرعـان ما يكتشـف خطأه ويـعترف بـه ويسـعى لإصلاحه.

حيدر شعبان

ناشــط حقوقـي وأحـد الأعضـاء المؤسـسين للشـبكة العراقيـة لثقافـة حقـوق الإنسـان والتنميـة

عُـرف عبـد الحسين شـعبان بتمـرّده على واقـع مجتمعه ومعارضتـه للديكتاتورية، واسـتقلالية مواقفـه السياسـية. وقـف مـع شـعبه في محنـة الحصـار، وتـوّج مواقفـه بموقـف تاريخـي مشرّف ضـدّ الاحـتلال الأميركي، وامتلـك شـجاعة في قـول الـرأي والمراجعـة والقـراءة الانتقاديـة والتفسير والتأويل

خالد المعيني

رئيـس مركـز دجلـة للدراسـات والتخطيـط الاستراتيجـي في بغـداد

يمتاز عبد الحسين شعبان بالثقافة الموسوعية. هو لم ينشغل في الفكر فحسب، بل أبدع في حقل الأدب والنقد الأدبي، ولاسيّما في الشعر، كما اتّسم بوطنية صافية وعروبة عالية، وهو باحث منصف يسعى إلى الحقيقة ويمتاز نقده بالنزاهة والرفعة والموضوعية والأخلاقية، أتّفق معه أو أختلف

خير الدين حسيب

مفكّر عراقي عروبي - مؤسس ورئيس
مركز دراسات الوحدة العربية

منذ عقود والدكتور عبد الحسين شعبان يدعو لمحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين، وهو أحد الباحثين المتميّزين، دائم النشاط والحركة، عائداً من سفر لحضور ندوة أو مؤتمر أو إصدار كتاب

ربعي المدهون

باحث وكاتب وروائي فلسطيني

يُعدّ كتاب الدكتور عبد الحسين شعبان «المدينة المفتوحة.. مقاربات حقوقية حول القدس والعنصرية» من أهمّ الكتب العربية الوثائقية حول هذه المدينة المقدّسة، ومن أبرزها من ناحية المعالجة القانونية

رفعت سيّد أحمد

كاتب وباحث مصري - مدير عام ومؤسّس
مركز يافا للدراسات والأبحاث

عبـد الحـسين شـعبان رمزيـة فكريـة وأخلاقيـة واجتماعيـة، وباعتزاز أقـول إننـي تتلمذت على يديه

رندا السنيورة

المديـرة العامـة لمركز المرأة للإرشـاد القانوني والاجتماعي (فلسـطين - القدس المحتلّة)

عبـد الحـسين شـعبان عجيـب في تـأثيره بالمحيـط الـذي يجالسـه. إنه ملـح الجلسـات، يحدّثك بأعمـق الأشـياء بأبسـط الـكلمات. هـو نتـاج أفـكاره، بنـى مسـتقبله وفقاً لنوعيـة ما يفكـر فيه، وحين تحادثـه تشـعر أنـك مفعـم بالأمل

زيد الحلي

صحـافي عراقـي مـخضرم، تقلّـد مناصـب إعلاميـة وصحفيـة عديـدة

يُعـتبر الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان أحـد الوجـوه البـارزة في الحركـة الوطنيـة والديمقراطيـة العراقيـة، ولـه مواقـف متميّـزة في نصرة الشـعب الكـردي والعمـل مـن أجـل مسـتقبل عراقـي مشرق.

سامي شورش

كاتب وصحافي - وزير ثقافة كردي سابق

يتعـرّف القـارئ في كتابـات عبـد الحـسين شـعبان على وجـهٍ مشرقٍ للإسلام، التقـت مصلحـة الأضـداد على حجبـه

سعد الدّين بوّاب

مؤسسـة حقوق الإنسـان والحق الإنسـاني - لبنان

في تجربـة الدكتـور شـعبان، التـي أُتيح لي التفاعل مع قسـم منها أواسـط الثمانينيّـات، اعتراض ومـن ثـمّ معارضـة وصولاً إلى المغـادرة. وفي مجرى ذلك اسـتعاد «أنـاه»، «الأنـا» وعلاقتها بالآخر، ورفـض التماهـي معـه إلى حـدّ الذوبان. هكذا أطلق شـعبان حواراً تسـاؤلياً ونقدياً مع الماركسـية والماركسـيين، مؤكّـداً دون كلـل رفضه للمؤسسـة الرسـمية الماركسـية التي اكتشـف أنّهـا غارقة في التاريـخ وفي الماضي. أمـا بالنسـبة إليـه، فلا أصحّ مـن عبـارة فيكتـور هوغـو حين قال: «إنّـه لثناء باطـل أن يُقـال عـن رجـل إنّ اعتقـاده السـياسي لم يتـغيّر منـذ أربعين سـنة. هذا كمَـن يُثني على الماء الراكـد أو الشـجرة الميتة»

سعد الله مزرعاني

أمين عـام مسـاعد للحزب الشـيوعي اللبناني سابق

عبـد الحـسين شـعبان مثقـف موضوعي كبير ومتـوازن، مُلمّ بموضوع التسـامح ومؤمن بـه، يدعو لاعتماده قانونيـاً وسياسـياً واجتماعيـاً، الأمـر الـذي يقـتضي التربيـة عليـه مـن الطفولـة لقبـول حـق الاخـتلاف والإقرار بالتنـوّع والتعدديّة

سعدي المالح

مدير عام الثقافة السريانية - أربيل

حين قـرّر وارتـأى خلـع جبّـة السياسـة غير نـادم أو نـادب حـظ أو مُلـقٍ قبّعـة على صـف أحـد، لم يخلعها قسراً أو اضطـراراً أو قهـراً أو تحـت طائلـة تعذيـب وإكـراه أو تلويـح بمغنـم أو مكسـب بمنصـب أو مال، كما فعـل ويفعـل كـثيرون.. خلـع جبّتـه عـن قناعة ورضـا، وحين خلعها ارتـدى جلده فحسـب. لم يسـتبدل الجبّة بعبـاءة. مـا اعتمـر عمامـة أو كوفيـة أو عقـالاً. مـا لبـس طاقية أو خـوذة أو قبعـة. ترك رأسـه طليقـاً متحرّراً مـن كل بوصلـة، عابـرا الاتّجاهـات الأربعة نحـو الاتجاهات أجمع، منحازاً لقضية الإنسـان. ظـلّ حاسر الرأس مُعرِّضـاً أفـكاره للنـور والضـوء. عبـد الحسين شـعبان دعـوة رحبة رحابـة سماء ونبيلـة نبل صلاة

سلام خياط

أديبة وصحافية عراقية

أسـتطيع القـول إن شـعبان كان واحـداً مـن أبـرز الماركسـيين العـرب الذيـن تعاملوا مـع قضايا التحـرّر الوطنـي وفلسـطين والوحـدة العربيـة والعلاقة مع المجموعـات الثقافية الأخـرى القومية والدّينيـة، خصوصـاً الأكـراد والمسـيحيين، مـن منظـور مختلـف. وقـد أهّلتـه ثقافتـه الموسـوعية وخلفيتـه القانونيـة وبُعـده الإنسـاني، لاتخـاذ مواقـف متقدّمـة، في حين لا يـزال العديـد مـن القيـادات الشـيوعية أسيرة ماضيهـا

سلامة كيله

مفكّر وكاتب فلسطيني

إنّ كتـاب د.شـعبان عـن الجواهـري هـو إضافـة جديدة لنمط جميـل في عالم الكتـاب والكتابة العربيـة لصياغـة كتـب التاريـخ الأدبي بالـذات. فهـو بانوراما شـيّقة، تعـرض لكـثير مـن جوانـب الحيـاة الاجتماعيـة والسياسـية والأدبيـة مـن خلال قلم شـعبان ومـداد الجواهـري. كما أن كتابه عـن منصـور الكيخيـا «الاختفـاء القسري في القانـون الدولي» يـعبّر عن موقف شـجاع وجريء، في الوقـت الـذي كان الكـثير مـن الذين يزعمـون دفاعهم عن حقوق الإنسـان يلتجئـون إلى الصمت لأسـباب مختلفة

السنوسي بلالة

كاتب ليبي

الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان يمثّـل قـدوة للمثقّـف، وهـو قدوة لمـن يريـد أن يخلـق مواطناً متجـذّراً في هويّتـه، متوازنـاً في فكـره وثقافتـه وكيانه

سنيّة مبارك

فنانة تونسية - وزيرة الثقافة السابقة

كتابـات عبـد الحسين شـعبان وكتبه ومحاضراته دروس مفصلية في مسـار النضال الفلسـطيني، وكان لملاحظته على اتفاق أوسلو وتوضيحاته لمخاطره دور مؤثر على كادرات الجبهة الديمقراطية والجبهة الشـعبية وحزب الشعب

سهيل الناطور

المديـر العام لمركز التنمية الإنسـانية، قيادي في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسـطين

عبـد الحـسين شـعبان يمثّـل العلـم والمعرفـة والوفـاء، وفي الجانب الشـخصي يتّصـف بالتواضع والصراحـة والأخلاق الحميـدة والفاضلـة

شبيب المالكي

وزيـر العـدل العراقـي الأسـبق – رئيـس اتحـاد الحقوقـيين العـرب

قـرأت كتـاب د.شـعبان «الجواهـري - جـدل الشـعر والحيـاة»، وكان يسـعدني لـو اسـتطعت كتابـة تقييـم لهـذه «التحفـة الأدبيـة»، ذلـك أن عـالم الجواهـري الشـعري والإنسـاني يشـبه غابة ترتفـع فيهـا ذرى الأشـجار السـامقة، فلا تطاولهـا أشـجار أخـرى تتفيـأ ظلالهـا

شكري صالح زكي

وزير عراقي سابق

الدكتور شعبان سفير دائم، يتحدّث بتفويض من ضميره ويكتب تقاريره إلى الشارع العربي. فهو شخصية عربية مرموقة بفكر إنساني راقٍ. أمضى حياته في البحث الموضوعي وآثر العمل العام على العمل الشخصي، فنال احترام الجميع. لا ينتظر من ذلك عائداً ولا يسعى إلى منصب، بل يجعل من صوته وقلمه سيفاً للدفاع عن كلّ ما هو عربي

صالح بكر الطيار

رئيس مركز الدراسات العربي – الأوروبي، محامٍ ومستشار قانوني سعودي

عبد الحسين شعبان المثقّف العنيد، الطائر الذي يغرّد بعيداً ثمّ يعود إلى عشّه القديم، في يده حقيبة مهاجر، وفي قلبه صورة وطن يأبى أن ينسلخ منها

صائب الكيلاني

طبيب جراح استشاري، رئيس منظمة دار الخبرة في العراق

إنّني، وبِحُكم اهتماماتي في مجال العلاقات الكردية - العربية، لم أصادف منذ أربعة عقود إلّا حالات نادرة ومميّزة في قضية الصداقة بين الشعبين والنضال من أجل تعزيز العلاقات المشتركة، والاعتراف المتبادل بالحقوق والوجود ورؤية الآخر وفهم معاناة الطرف المقابل. وعليَّ الاعتراف بأن حالة الصديق العزيز عبد الحسين شعبان، وهو مناضل وطني ومثقّف عربي كبير، تأتي في طليعة تلك الحالات التي نعتزّ بها جميعاً، ونعتبرها قاعدة ومنطلقاً للاستمرار في هذا الدرب والالتزام بهذا النهج

صلاح بدر الدّين

رئيس حزب الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا سابق

منسق جمعيات الصداقة الكردية – العربية / رئيس رابطة «كاوه» الثقافية

تعرّفت إليه قبل أن ألتقيه وذلك من خلال «كلماته». فقد قدّمَته لي مقالاته وكتبه ومحاضراته التي تعكس آلام الفلسطينيين، وتطرح شكوى العراقيين، وتعبّر عن هموم ومعاناة العربي. وكنت قد سمعت عنه الثّناء من جورج حبش وياسر عرفات وغسان كنفاني، الذي كان التقاه في بيروت عام 1970 وأُعجب به

صلاح صلاح

كاتب وقيادي فلسطيني بارز

عبد الحسين شعبان رجل يتمتّع بموهبة نادرة وطاقة إبداعية متدفّقة، لا غنى لأبناء أمّتنا العربية عن الاستفادة القصوى منها

صلاح عمر العلي

وزير إعلام وسفير وممثل العراق في الأمم المتحدة سابق

علامته الفارقة حميميته الطافحة على كلّ مظاهر شخصيته وعلاقته بالآخرين، علاقة الند بالند وليس علاقته أستذة بتلمذة، تمثّل الدكتور شعبان كلا القانون والأدب، فمن القانون اكتسب المسؤولية والحق ومن الأدب تعلّم حبّ كلّ ظريف

صلاح نيازي

شاعر ومفكّر عراقي

يمتاز عبد الحسين شعبان بالمصالحة مع نفسه. فقد ظلّ مخلصاً لموقفه الفكري والحقوقي، وهو الرافض الدائم للمناصب الحكومية التي عرضت عليه، بل إنه كان يرفض تجديد قيادته للعديد من المنظمات الحقوقية، حيث كان شديد التمسّك بالتداولية والتناوبية في المسؤوليات

ضياء السعدي

نقيب المحامين العراقيين سابقاً

في هذا الزمن المرّ، وبعد تجارب فاشلة عديدة مرّت بها منطقتنا العربية، لا يجد الفرد من قوّة أحياناً إلا بالاعتماد على قِيم «البيت» القديمة والنبيلة، والتي تمّ غرسها فينا منذ أكثر من نصف قرن. إلّا أن الفرادة تأتي أحياناً من محاولات بسيطة، لكنّها قادرة على التأسيس الصارم والمنتج على الدوام. من هذا الجيل نشأ الشاب شعبان، وتوصّل مبكراً إلى حقائق ينكرها المئات من جيله الذي أدمن الاتكال على «الخارج» وفقد جذوره رويداً رويداً، في ظلّ التبعّية الفكرية والافتقار المزمن للنموذج الوطني الأصيل.

طارق الدليمي

كاتب وصحافي عراقي

عبد الحسين شعبان شخصية فذّة وأكاديمية ملتزمة ذات ذوق رفيع وحسّ مرهف، في عالم قلّت فيه القيم وانطمست المقاييس. ما أحوج الأمة له في هذا الوقت العصيب!

طارق يوسف إسماعيل

أستاذ العلاقات الدولية - جامعة كالجري بكندا، والأمين العام للجمعية الدولية لدراسات الشرق الأوسط

جهـد الدكتـور عبد الحسين شـعبان الفكري متسـارع وعريض، يتّسـم بالتألـق الدائم في معترك الحيـاة، ولاسـيّما التمسّـك بالقيـم والمبـادئ التـي ناضل طـويلاً من أجلهـا، والتي لا يفـوز فيها إلا الثابتون بمـا يعتقدون ويؤمنـون ويأملون

عبد الحسين الرفيعي

سـفير سـابق للعـراق في موريتانيـا وبلغاريا واليمن

شـهد مؤتمـر المنظّمـة العربيـة لحقـوق الإنسـان في بريطانيـا مبـادرة مميّـزة من الدكتـور عبد الحـسين شـعبان (الرئيـس السـابق للمنظمـة) بالامتنـاع عن ترشـيح نفسـه لرئاسـة دورة جديدة للمنظمـة، وذلـك لإفسـاح المجـال أمـام تيـار جديـد مـن نشـطاء حقـوق الإنسـان، إيمانـاً منـه بمبـادئ التداوليـة والتناوبيـة. وقـد قـدّم بذلـك درسـاً بأنه مـن غير المعقـول أن تصبـح المنظّمات والجمعيـات وحتـى الـدول عقـاراً أبدياً لرؤسـائها

عبد الحميد الصائح

شاعر وصحافي ومقدّم برامج تلفزيونية

ينطلـق الدكتور شـعبان مـن رؤيته للمسـتجدّات وانعكاسـاتها على المناضـلين والمثقفين، ويرى أهميـة إلغـاء الحجـاب عـن حياتهم ليتعـرّف النـاس على حقيقتهـم وتكوينهم وينابيـع ثقافتهم، وليحكمـوا عليهـم وعلى أهليتهـم في المشـاركة في الحركـة السياسـية والفكرية في المرحلـة الراهنة واللاّحقـة. مـن العـراق إلى المنفـى، ومـن السياسـة إلى الثقافـة، ومـن أجـل العـودة إلى عـراق ديمقراطـي، يسـجّل شـعبان تجربتـه بشـجاعة كبيرة

عبد الرحمن النعيمي (سعيد سيف)

مفكـر وأمين عـام الجبهـة الشـعبية في البحريـن سـابقاً

عبـد الحـسين شـعبان مثـل شـاطئ واسـع، فمـن أي مـكان مـن هـذا الشـاطئ الواسـع أعبر؟ عندمـا نتحـدّث عـن الأدب فهـو أديـب، وعـن الفكـر فهـو مفكّـر، وفي القانـون هـو فقيـه، وفي السياسـة هـو متضلّـع. وهـو مناضـل حقيقـي ومثقّـف موسـوعي. وهـو واحـد لكنـه متعـدّد. لا أعـتبره عراقيـاً فقـط، وإنمـا هـو عـربي وشـخصيته إنسـانية

عبد الرحمن مجيد الربيعي

روائي وقاص عراقي

الجيـل الحـالي مـن الكـرد بحاجـة إلى معرفة قِيم التسـامح التـي يدعو إليها عبد الحسين شـعبان، سـواء في الإسلام أو في الأديـان والثقافـات الأخرى

عبد الرزاق علي

مترجم - أربيل

أقبّل رأساً أحترمه دائماً وأبداً، وأسعد لأن تكون شفتاي على جبهته.

عبد الفتاح مورو

نائـب رئيـس البرلمان التـونسي - محـامٍ وسـياسي مـن التيـار الإسلامـي

الدكتـور عبـد الحسين شـعبان هـو أحد الأدباء القلائـل الذين نجحوا في اختراق الأسـوار العالية ليصلـوا إلى الجواهـري، ويكتشـفوا عالمـه الغامـض الآسر، مسـتخرجين مادّة غنية ونـادرة. هو من الصفـوة القليلـة التـي اسـتأثرت بثقـة الجواهـري وتقديـره، ففتح لـه قلبه بمحبة وكشـف له عن مكنونات أسراره

عبد اللطيف أطيمش

شاعر وأديب عراقي

يتسلّل الدكتور شعبان إلى العقل والقلب معاً بعلمه وفكره وعمق تحليله، وكتابه «تحطيم المرايا - في الماركسية والاختلاف» عمل استثنائي من حيث جرأته ومن حيث زخم الأفكار التي ينطوي عليها، بما يعكس من خصوبة التراكم المعرفي ومهارة التحليل

عبد الله تركماني

باحث وكاتب يساري سوري

لم يكن الحسّ النقدي عند د.شعبان نتيجة تأملات فكرية أو ممارسة أكاديمية فحسب، بل جاء في مسار المعاناة النضالية المترافقة مع صقل المعرفة والتراكم الفكري والثقافي. وهو حين ينتقد الماركسية لا يذهب إلى الليبرالية النفعية إنما يسعى إلى الماركسية الإنسانية. وإذ ينتقد الاستقطابات والتحزّبات الفكرية والسياسية العربية، بما فيها المعارضات أحياناً، لا يوقف ذلك النقد على جانبه المسلكي فحسب، بل يذهب إلى منطلقاته الفكرية والفلسفية، أي أنه لا يفصل بين النظرية والممارسة، وبين الغاية والوسيلة

عبد النبي العكري

كاتب وباحث ومترجم بحريني وأحد أبرز النشطاء الحقوقيين العرب

في بحثه «من هو العراقي؟» يقدّم الدكتور عبد الحسين شعبان عرضاً لمشكلة الجنسية التي طُرحت في مراحل مختلفة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وقد عانى منها أبناء القوميات المختلفة وفقاً للأهواء والأزمات التي يمرّ بها الحكم المركزي. شعبان أعطى لبحثه الحقوقي الجاد والجامع بعده الإنساني الحار. إنه بحث عن عراقه الموعود

عبد الوهاب بدرخان

نائب رئيس تحرير صحيفة «الحياة» سابقاً - لندن

لقـد كانـت رحلـة عبـد الحـسين شـعبان مـع الجواهـري مـن أجمـل الـرحلات الشـعرية وأنـا أحسـده عليهـا، وربمـا يحسـده عليهـا الملايين أيضـاً، لكـن الحسـد الشـعري يكـون حافـزاً طيّبـاً وخلّاقـاً عنـد البعـض، وسـموماً وارتجافاً وأحقاداً عنـد البعض الآخر. كتاباته عـن الجواهري أغنت المكتبـة العربيـة بأهـم وأوسـع حديـث ودراسـة عـن هـذا الشـاعر العملاق

عدنان الصائغ

شاعر وأديب عراقي

عبـد الحـسين شـعبان مفكّـر امتلـك فلسـفة إنسـانية وفكـراً ناقـداً ورؤيـة تنويريـة عكسـتها مؤلفاتـه التـي عبّرت عـن عروبتـه وإنسـانيته.

عدنان بدران

رئيس وزراء الأردن سابقاً

د.شـعبان هـو أحـد أبرز رمـوز الحركة العربيـة والعراقية لحقوق الإنسـان من خلال إسـهاماته الفكريـة والنضاليـة في هـذا المجـال، وإضاءاتـه المهمـة والمؤثّـرة في الفكـر العـربي المعـاصر الـذي نفخـر به

عز الدّين سعيد الأصبحي

المديـر العـام لمركـز المعلومـات والتأهيـل لحقـوق الإنسـان (سـابقاً) - تعـز / سـفير اليمـن في المغـرب حاليـ

عبد الحسين شعبان باحث متميّز وقانوني ضليع يدرس في كتاباته الثمينة مواضيع اليوم.

عزيز الحاج

الأمين العام السابق للقيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

لا يرتاح شعبان إلى مصطلح «الأقلّيات» رغم أنه مُستخدم من جانب الأمم المتحدة، خصوصاً في «إعلان حقوق الأقليّات» الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18-12-1992، أو «إعلان حقوق الشعوب الأصلية» الصادر عن المرجعية نفسها في 13-9-2007. فهو يفضّل عليه مصطلح «المجموعات الثقافية» الذي ينطوي على تعدّدية دينية أو إثنية أو لغوية، ويجده أقرب إلى مبادئ المساواة والتكافؤ وعدم التمييز في إطار الحقوق المتساوية، ولاسيّما حقوق المواطنة.

عصام نعمان

محام ومفكر لبناني ووزير ونائب سابق

المفكّر الكبير عبد الحسين شعبان يمتاز بالرهافة والالتزام والكرم، وهو من القلائل الذين أدخلوا العراق «التاريخ»، وبشّروا بحرّية وديمقراطية الشعب

عقيل مهدي

فنّان ومخرج مسرحي

نعبّر عن بالغ الشـكر والامتنان للدكتور شـعبان على مبادراته الكثيرة في مجال حقوق الإنسـان العـربي، والليبـي بصورة خاصة، ولاسـيّما مـا بذله من أجل إجلاء مصير الأسـتاذ منصور الكيخيا

علي زيدان

رئيس وزراء سابق - ليبيا

عبـد الحـسين شـعبان عَلَمٌ من أعلام العراق، وهو ابن مدينة العلـم والعلماء "النجف الأشرف" ونحـن إذْ نحتفـي بـه ونكرّمـه، فإنمـا نكـرّم من خلالـه الوطنية الصادقـة والإنسـانية الحقة. كيف لا؟ فهـو داعيـة للحوار والتسـامح ووحدة الأمـة في مواجهة التحدّيات بمختلف صورها وأشـكالها، وهـو مدافع عن حقـوق المظلومين

علي فضل الله

رئيـس ملتقـى الأديـان والثقافـات للتنميـة والحـوار - لبنـان

عبـد الحـسين شـعبان المفكّر العروبي الحر والتقدمي الإنسـاني، لم تمنعه ماركسـيته من التصالح مـع الديـن كمكـوّن روحـي. فنظرتـه إلى الدين حداثية تمتـاز بالقبـول وحريّة الاعتقـاد والاختيار، وهـي نظـرة تصالحيـة وليسـت تصادميـة. يمتاز بالعقـل المبادر والصلابـة والمرونـة في آن والإيمان اللّامحـدود بالحريّة والحوار

عمر زين

أمين عام اتّحاد المحامين العرب سابقاً

يسعدني أن أتوجّه بالتحيّة والاعتزاز للجهد الكبير الذي يقوم به عبد الحسين شعبان في إطار إشاعة ثقافة حقوق الإنسان والديمقراطية والتنمية

فاروق أبو عيسى

أمين عام اتحاد المحامين العرب الأسبق - السودان

لا يمكن الإحاطة الكاملة بالتيارات الإصلاحية والتحديثية التي تنساب في أوساط المسلمين، ما لم تُعطَ كتابات الدكتور عبد الحسين شعبان قسطها

فريد الخازن

سياسي وأكاديمي لبناني

لعلّ ما يتميّز به شعبان، قبل المواصفات السياسية والإنسانية، هو ديناميكيته الحيويّة المستمرّة التي لا تعرف التعب، وهو شرط غير سهل وسط عالم عربي معقّد وذي تركيبة سياسية وسيكولوجية ملتبسة. وهو كذلك رجل أكاديمي وقانوني، ممّا يمنحه مشروعية تسند مواصفاته الأخرى وتعزّز فيه قوّة المنطق مقابل منطق القوّة. السّمة الثالثة التي يمتاز بها هي الجُرأة الموضوعية التي تتمثّل في تغليب الحقّ الإنساني على أي علاقة تصبّ في خدمة الذات، وهي معادلة ليست سهلة على الإطلاق

قاسم حول

مخرج سينمائي وفنان مسرحي

أشدّ على يدك في جهدك المتواصل لتشريع قانون الإنسان!

كاظم السماوي
شاعر وأديب عراقي

أسجّلُ لعبدِ الحسين شعبان الباحث والسياسيّ والمفكر أنه من أوائل المثقفين العراقيين الذين وقفوا في وجهِ الطائفيةِ السياسيةِ في العراق، وحذّرَ من نتائجِها يومَ رقصَ على أنغامِها مثقفون كثرٌ، بعضُهم كان ينتمي للتنظيمات الماركسية والقومية

ليث الحمداني
صحفي عراقي مخضرم من جيل ا لستينيا ت

كُتُب عبد الحسين شعبان تمثّل مرجعاً مهماً لحقوق الإنسان، وقد قرأت منها كتاب «الاختفاء القسري في القانون الدولي - منصور الكيخيا» الذي يساهم في إبقاء قضية منصور الكيخيا حيّة، و»الإسلام والإرهاب الدولي» الذي استفدت جداً من معالجته الهادئة، العلمية والمتجرّدة، ومن شموليته القانونية.

ليلى شرف
وزيرة الإعلام الأردنية السابقة

ما وجدته عن الأخ عبد الحسين شعبان (وأنا أتحدّث هنا عن فترة كنا فيها في عنفوان الشباب وأعمارنا لم تكن قد بلغت العشرين) هو الانفتاح على الآخرين والاحترام الجليّ للفكر الآخر والإيمان بالحوار والتحاور.

ماجد مكي الجميل
صحافي وباحث عراقي - جنيف

خفتُ على الكثير من أصدقائنا العراقيين، ولاسيّما بعد التغيير الذي حصل في العراق ووقوعه تحت الاحتلال، أن تضيع بوصلتهم. راقبت سلوكهم وتصرّفهم، وكنتُ سعيداً وفخوراً بتمسّك بعضهم بثوابته الوطنية والإنسانية. أستطيع القول، باعتزاز، إن الدكتور شعبان من هذا الفريق. فقد ظلّ يرفض ما تعرّضت له بلاده، سواءً أيام الحصار أم ما بعد الاحتلال، مثلما ظلّ متمسّكاً بقيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في السابق والحاضر. إنه رجل لم يفقد بوصلته يوماً

محسن العيني
رئيس وزراء اليمن الأسبق

يطرح الدكتور عبد الحسين شعبان أسئلة مصيرية، أكثر مما يعالج قضايا فرعية أو آنية مجرّدة عن امتدادها الحضاري. وبقدر ما هو باحث رصين يغوص في حقيقة الكيان الإنساني العربي وهويّته الثقافية، فإنه يحذّر من مخاطر ما يتعرّض له من تهديدات في مكوّنات وحدته وتماسكه الكياني، داعياً إلى إعادة بناء الدولة العربية على أسس جديدة، قوامها مبادئ المواطنة الحيّة، لاستشراف المستقبل القريب والبعيد معاً

محمد أبو حمّور
وزير المالية الأردني سابقاً

عبد الحسين شعبان من المناضلين المفكّرين والميدانيين الذين تولد لديك عاطفة الحب

والتقدير لهم منذ أن تلقاهم. وهو من ذلك النوع الأندر من هؤلاء الذين يظلّ حبّك وتقديرك لهم ينمو باطّراد كلّما طالت زمالتك لهم وتعرّفك عليهم. والحركة الحقوقية تتطلّب هكذا نوعية من الأشخاص، لكنني أظنّ أن تلك النوعية لا تُنتج ويستحيل اكتمال بنائها من دون نضال يومي شاق مع النفس، وأحياناً مع أقرب الرفاق والأصدقاء وربما الأهل. وهب الله عدداً محدوداً جداً من النّاس تلك الموهبة الفريدة: إنهم يتصرّفون بمبدئية وبحِس أخلاقي مرهف على نحو شبه غريزي، وأظن أن الدكتور شعبان ينتمي لهذا الطراز النادر من الناس

محمد السيّد سعيد

مفكّر وأكاديمي مصري

سيظلّ عبد الحسين شعبان رمزاً حقيقياً للمفكّر والمبدع العربي، وهو شخصيّة متميّزة في إبداعاتها وعلاقاتها الواسعة مع المثقفين من منتجي الفكر والمعرفة، والفاعلين الاجتماعيين والحقوقيين

محمد المخلافي

وزير سابق - نائب الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني

يعالج كتاب «من هو العراقي؟» للدكتور شعبان مشكلة تعبّر عن ظلامة الكثير من العراقيين، وهي ظلامة قديمة قِدَم نزعة الظّلم والتعسّف، ولعلّها جريمة تلك التي يتمّ بموجبها سحب الجنسية والإخراج من الوطن. الكتاب يكشف جوانب مهمّة من تلاعب الظالمين بكرامة الإنسان وهويّته، وفيه شهادات إدانة صارخة ضدّ عهود لم تكن تعترف بحقوق الإنسان. كتاب «من هو العراقي» هو جواب عملي رافض للاستهانة بهويّة الإنسان وكرامته.

محمد الموسوي

رئيس رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية

قـرأت كتابـك الثـمين «المحاكمـة - المشـهد المحـذوف مـن دراما الخليـج» وهـو لائحـة اتهـام للدكتاتوريـة ولنظـام الحكـم الفاسـد. أتمنـى أن يتحقّـق اليـوم الـذي نـرى فيـه القتلـة في قفـص الاتّهـام، مثـلما تريـد، ومثـلما يريـد كل العراقـيين

محمد بحر العلوم

مديـر معهـد الدراسـات العربيـة الإسلاميـة - لنـدن

التقيـتُ بصديـقين عراقـيين في أثناء اجـتماع كان منعقداً في العاصمة اللبنانيـة بيروت، أحدهما هـو الأسـتاذ حامـد الخفـاف، مديـر مكتـب سماحـة آيـة اللـه العظمـى علي السيسـتاني المرجـع الشـيعي الأعلى في سـوريا ولبنـان، والآخـر هـو الدكتـور عبـد الحـسين شـعبان المفكّـر والكاتـب اليسـاري المهاجـر منـذ سـنين هاربـاً مـن البطـش الصدامـي. كلاهما قـال في حديـثين منفصـلين: إن الشـعب العراقـي يحمـل شـعوراً هـائلاً بالمـرارة للسـكوت العـربي على الظّلـم الصدّامي الذي اسـتمرّ أكثر مـن ثلاثين سـنة، وعلى القتـل الفـردي والجماعـي بـغير ذنـب

محمد سليم العوا

مفكر إسلامي مصري

عبـد الحـسين شـعبان مفكّـر متميّـز، منفتـح على كل التيـارات الفكريـة الأمميـة والقوميـة والوطنيـة والدّينيـة دون اسـتثناء، لكنـه يقـف بعيـداً كل البعـد عـن القوالـب الأيديولوجية التي تكبّـل ولا تحـرّر، تعاقـب ولا تسـامح، تسـجن كل حـرّ ولا تحـرّر سـجيناً واحـداً.. أفـكار ونظـم وتعلـيمات وتقاليـد تقفـل العقل بالنسـبة إلى بعضهـم وتلغيه بالنسـبة إلى بعضهـم الآخر، وذلك خدمـة لقـادة مسـكونين بحـبّ السـيطرة والتعـالي واسـتصغار الآخـر واحتقـار إنسـانيته

محمد عبد العزيز ربيع

أكاديمـي ومفكّـر فلسـطيني - الولايـات المتحـدة الأميركيـة

في شخصية الدكتور عبد الحسين شعبان تتعانق ثنائية السياسي - الثقافي واضحة جليّة، فهو يرتكب السياسة بوسيلة ثقافية، ويمارس الثقافة بإسقاطات سياسية. ومع أهمية هذه الثنائية وصعوبة الفرز بينهما، فقد التقيناه على مائدة السياسة، وحاولنا أن نؤجّل لفرصة أخرى حوار الثقافة.. ومع ذلك انشبك الموقف في صورة الجواب، وجاء يؤكّد من جديد استحالة فك هذه الآصرة المزدوجة

محمد علي الحيدري

صحافي عراقي

الدكتور عبد الحسين شعبان فارس من فرسان الحريّة والديمقراطية وخبير وحجّة في حقوق الإنسان، وهو يجمع بين قدرة التحليل وشجاعة الموقف

محمد فائق

وزير الإعلام المصري الأسبق

كتاب «من هو العراقي؟ إشكالية الجنسية واللاجنسية في القانونين العراقي والدولي»، يأتي في سياق عدد من الأسئلة الجريئة التي أطلقها الباحث العراقي الدكتور عبد الحسين شعبان، لتحفيز الجدل نحو خلق تصوّر متعدّد الاجتهادات لعراق المستقبل، على ضوء تجارب السابق بأخطائها وقسوتها

محمد مظلوم

شاعر وكاتب عراقي

أخي العزيز عبد الحسين شعبان

أبا "ياسر" أنــت نِعــمَ الصحيــب وقــلّ الصحّــابُ ونِعــمَ الخــدين
لقــد كُنــتَ في محضرٍ والمغيــب ذاك الــوفيّ وذاك الأمين
وفي ذكــرياتي كنــت الصــميم سمير المُعَــنّى وســلوى الحــزين

محمد مهدي الجواهري
شاعر عراقي – يُعدّ من بين أفضل شعراء العرب في العصر الحديث

وجدتُ في كتاب الدكتور شعبان: «من هو العراقي؟» بحثاً موضوعياً قيّماً في قضية جديرة بالاهتمام، ولاسيّما في زمن الجحود، إذ يجد المرء نفسه مرغماً لإثبات حق بديهي

محمد مهدي الخالصي
عالم وفقيه إسلامي

عرفتُ شعبان حينما درس القانون في براغ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا، في سبعينيّات القرن الماضي. كان، منذ ذلك الوقت، يتميّز بالنّفور من العنف والاستبداد أياً كان مصدره، وبالانحياز للمظلومين واتّخاذ المواقف على أساس مبدئي، حتى لو تعارضت مع مصالحه شخصياً.

محمود البياتي
قاصّ وأديب عراقي - السويد

لقد كان عبد الحسين شعبان ينشط بشكل أساسي على الصعيدين العراقي والعربي، إلا أنه لم ينس يوماً قضايا الشعوب والقوميات والأقلّيات الأخرى التي تعيش مع العرب في البلدان العربية. كان يؤمن بحقوقها ويكتب عن قضاياها ويناضل من أجل تحقيقها، كما

يـحترم خيـارات ممثّليهـا ويسـعى لبنـاء الصداقـة الحقيقيـة مـع الأمّـة العربية. وكسـب شـعبان احترام وتقديـر شـعبنا الكـردي بسـبب مواقفـه المبدئية ودعوتـه لحق تقرير مـصير الأمّة الكردية المجزّأة.

محمود عثمان

قيادي ومفكّر كردي

ببالـغ السرور تلقيـت خبر تشـكيل مجموعـة عمـل لدعـم القضيـة الكرديـة في المؤتمـر الخاص بالشـبكة الأوروبيـة المتوسـطية لحقـوق الإنسـان، وهـو إجراء يسـتحق منا ومن الشـعب الكردي كل التقديـر، ومـا سرّنـا أكثر هـو وجودكـم في تلـك المجموعـة كممثل للجنوب المتوسـطي

مسعود البارزاني

رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني

الدكتـور شـعبان كان بعيـداً عنّـا هـو والـكُثر من عـلماء ومبدعـي وكبـار العراق، هـؤلاء الذين يشـعرون دائمـاً أن ثمّـة غصّـة في قلوبهـم وفي دواخلهم ونحـن نعلم ذلك. كانوا يجـدّون ويعملون كـثيراً، ويُنظّـرون للمسـتقبل كـثيراً. سـيأتي اليـوم وينطلقـون في بلدهـم، مترجـمين مـا في أذهانهم في الواقـع العراقي

مؤيّد اللامي

نقيب الصحافيين العراقيين - بغداد

عبـد الحـسين شـعبان مثقـف كـبير يعمـل في الشـأن العـام، وليـس سياسـياً يُخضـع معـاييره ومواقفـه وفكـره لمصلحـة مـا، سـواء كانـت مصلحـة حـزب أم دولـة أم حركـة.

ميشيل كيلو

مفكّر وباحث سوري

ستكون حقوق الإنسان بخير طالما هناك أشخاص مثل الدكتور عبد الحسين شعبان. فهو يمثل عالماً خاصاً من الوفاء وحبّ الناس والنزعة الإنسانية

ناهدة الرماح

فنّانة عراقية مسرحية وإحدى رائدات المسرح العربي

إن مشاركة مناضلين من أمثال د.شعبان، لتقديم العون والمشورة لنا، يحفّزنا ويعطينا الأمل بالتواصل ويجعلنا أكثر اهتماماً بجوانب كثيرة تبقى غائبة. إن مشاركة مناضل عربي نذر نفسه لخدمة الديمقراطية في العراق يعطي نكهة جديدة لتجربتنا. الفترة القصيرة التي عملنا فيها معاً أظهرت لي بأنني أتعامل مع إنسان حسّاس، مبدئي، مناضل، صاغ لنفسه إطاراً قلّما تراه في هذا الزمن التعيس!

نيجيرفان بارزاني

رئيس وزراء حكومة إقليم كردستان (العراق) - أربيل

يُعتبر دكتور شعبان عَلَماً من أعلام القانون الدولي، اتّصف بأكاديمية نادرة بين أقرانه من القانونيين. نزّه القانون الدولي عن الاعتبارات السياسية الآنية، مقيماً على مندرجاته، سواء خدمت القضايا القومية والسياسية والدّينية أم جانبتها أم حتى خاصمتها. في شخصيته ظُرف وأدب وعمق في رسم شخصيات أدبية وفكرية وثقافية وسياسية

وائل خير

رئيس مؤسسة حقوق الإنسان والحق الإنساني - لبنان

جانبـان لا ينفـصلان عنـد عبـد الحسين شـعبان: أكاديميّتـه، ومنها تتفـرّع موضوعيّته وعقلانيته وإنسـانيته المصحوبـة بحـب الخير والمسـاعدة، وصدقيّتـه ومواقفه الوطنيـة الجريئة

وثّاب شاكر الدليمي

نائب سابق في البرلمان العراقي

لـو أن د.عبـد الحـسين شـعبان اليـوم مـاركسي أوروبي لـكان جديـراً، بعـد انفتاحـه ومراجعاته، أن يسـتمرّ في الحـزب الشـيوعي، ويسـاهم في إثـارة جـدل لتجديـد رؤيتـه وأطروحاتـه، لأن مـا طرحـه يصلـح أن يكـون على بسـاط البحـث لقيـادات وكـوادر الأحزاب الشـيوعية، لكـن وجوده في الحـزب يصبـح مسـتحيلاً في ظـروف العراق وانـغلاق الأحزاب وانحسـار الجدل ونظـام الأوامر والطاعـة. فهـو لديـه مواقـف متميّـزة وآراء مغايـرة، وأنـا شـخصياً أعـرف موقفـه منـذ الحـرب العراقيـة - الإيرانيـة، ناهيكـم عـن أن لديـه ضـميراً حيّـاً ويقظـاً وجريئـاً في النقـد الـذاتي، وهـذا يشـكّل معضلة للأحزاب، سـواء كان الحزب الشـيوعي أم حزب البعث أم حركة القوميين العرب، وكذلـك للإسلامـيين، لأنهـا جميعـاً لا تؤمـن بالحرّيـة والتعدّديـة والتنـوّع والاخـتلاف، على الرغـم مـن تبجّحهـا بذلـك أحياناً

وميض نظمي

أكاديمي ومفكّر عروبي

الدكتـور شـعبان لم يكـن في يـوم من الأيـام مجرّد كاتـب يخلو من موقف واضـح ودقيق ضمن كتاباتـه ومواقفـه، أو سـياسي انضـوى في حركـة وطنيـة عريقة فقط، بـل كان ولا يـزال ذاكرة حيّة تختـزن مألـوف الحياة اليومية لعددٍ من الشـخصيات الفكرية والسياسـية

ياسين النصيّر

كاتب وناقد أدبي - العراق

كثُر كتبوا عن شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، لكن القليل منهم فقط من نجح في التوغّل داخل غابته الشعرية، وأقلّ منهم من سمح لهم الجواهري في دخول المناطق المحرّمة من تلك الغابات. الدكتور عبد الحسين شعبان كان من القلّة القليلة التي سمح لها الجواهري بدخول المناطق المحرّمة تلك، ليطيل التجوال في مساربها وأغوارها، حتى إن الجواهري نفسه ارتضى في حالات عديدة أن يكون المرشد والدليل أو القنديل الذي أضاء لصديقه دروب البحث، وهذا ما تكشف عنه تلك العلاقة الحميمة بينه وبين شعبان

يحيى السماوي

شاعر وأديب عراقي

إن كتاب «مذكّرات صهيوني» لمؤلّفه الدكتور عبد الحسين شعبان هو شهادة ضدّ الصهيونية، تُقدَّم من خلال أقوال ومذكرات الزعيم الصهيوني (التشيكي) إيغون ردليخ، كما تكشف العلاقة بين الأيديولوجية الفاشية والأيديولوجية الصهيونية والتضليل البشع الذي مارسه زعماء الصهيونية على الجماهير اليهودية. يأتي هذا الجهد الذي قام به شعبان ليساهم في سَد فراغ في المكتبة العربية حول هذا الجانب، وليلقي الضوء على أسرار تحاول الزعامة الصهيونية إخفاءها وحجبها

يحيى يخلف

الأمين العام الأسبق لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين / وزير الثقافة في السلطة الفلسطينية

إذا لم يكن لكتاب عبد الحسين شعبان «أبو كَاطع - على ضفاف السخرية الحزينة» أي فضل -وهو ليس كذلك- ففضله أنه طمأن قلقي بأننا لن نموت مجهولين ومنسيّين

يوسف الناصر

فنان تشكيلي عراقي

أرشيف الصحافة

انشقاق حسين كامل عن النظام هل يشق المعارضة؟ (١ من ٢)

استحقاقات التغيير والعقل السياسي العراقي

انشقاق حسين كامل على النظام هل يشق المعارضة؟ (٢ من ٢)

من يقود عملية التغيير يكون هو 'البديل'

عبدالحسين شعبان *

* باحث قانوني وكاتب سياسي عراقي.

احد ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٥ الموافق ٨ ربيع الآخر ١٤١٦هـ/ العدد ١٢٨٨٢

الحياة

الأديان ورسالة اللاعنف

عبد الحسين شعبان

كاتب سياسي ـ العراق

في رواية دستويفسكي الشهيرة «الأخوة كارامازوف»، يتحاور إيفان وأليوشا وهما شقيقان، بخصوص عذاب الأطفال. فيقول إيفان لشقيقه ما معناه: القصاص أو العقاب عندي لا يساوي دمعة من عين طفل، أو تقول لي إن الجلادين سوف يتعذّبون في الجحيم؟ ويتساءل: ولكن ما جدوى ذلك؟ إنه يطلب الغفران وزوال العذاب.

استذكرتُ ذلك بمناسبة صدور كتاب الفيلسوف الفرنسي اللاعنفي جان ماري مولير «نزع سلاح الآلهة: المسيحية والإسلام من منظور فريضة اللاعنف» المترجم إلى اللغة العربية من قبل جامعة اللاعنف وحقوق الإنسان في بيروت، وهو ما أعادني إلى حوار دار بين الزعيم اليساري الجزائري بشير الحاج علي مع شاب معتقل معه، فيقول الحاج علي: كنت كلما أفيق من الغطس أسمع شاباً بجواري يقول سنعذّبهم مثلما عذّبونا، وسنستخدم جميع الوسائل لإذلالهم مثلما حاولوا إذلالنا، فما كان منه إلاّ أن يجيبه برغم أنه خارج لتوّه من حفلة تعذيب: ولكن ما الفرق بيننا وبينهم إذا فعلنا ذلك؟ نحن نريد كنس التعذيب وإنهاءه كظاهرة لاإنسانية وإلى الأبد، وهو ما يسمّيه دستويفسكي «التناغم الأبدي».

عشية إطلاق كتاب «نزع سلاح الآلهة»، اجتمع مؤلفه الفرنسي المسيحي مع رجلَي دين مسلمين لبنانيين، فقال الشيخ حسين شحادة: لماذا اخترت عنواناً للكتاب «نزع سلاح الآلهة» ألم يكن ممكناً اختيار عنوان «نزع سلاح الشياطين» بدلاً من الآلهة؟ فأجابه مولير على الفور ومن دون لحظة تأمل: ولكن الآلهة هم الشياطين على الأرض، فالإله واحد، وهو الإله الحقيقي المنزوع السلاح، لأن الله محبة والمحبة لا تجتمع مع العنف في قارب واحد.

أما إذا نسبنا محبتنا إلى الآلهة فهذا خطأ فظيع، لأن الآلهة هم من صنع البشر، أما الله فهو المطلق، الخير، السلام، التسامح، واللاعنف. وأضاف: إن الديانات ليست بالنصوص، بل بالعقيدة والمقاصد.

استكمل السيد علي فضل الله هذا الحوار العميق، حول مفهوم اللاعنف، حيث قال: إنه أقرب إلى الرفق، والرفق بحسب القواميس يأتي من الرفقة، أي التواصل والمودّة والمشترك الإنساني والشراكة، ومثل هذه المفاهيم وجدتها أيضاً، بخصوص مفهوم التسامح لدى الفيلسوف الفرنسي فولتير، الذي قال عنه بأنه الرفق والصبر، أما التعصّب فلا ينتج إلا منافقين وعصاة، وبما أن البشر خطاؤون فعلينا أن نسامح بعضنا بعضاً.

لقد توصلنا كل بطريقته إلى اللاعنف، حتى وإن جئنا إلى فريضته أو فضيلته من مواقع ومنابع مختلفة بما فيها عنفية، لكننا اهتدينا إليه بعد تجارب مريرة عشناها وعانينا منها مثلما عانت منها شعوبنا وأوطاننا، وأن الأوان للبحث عن اللاعنف في تراثنا وتعميمه، وليصبح هو القاعدة وليس الاستثناء، حتى وإنْ كنّا لا نستطيع إلغاء العنف من حياتنا.

آن الأوان للبحث عن اللاعنف في تراثنا وتعميمه، وليصبح هو القاعدة وليس الاستثناء، حتّى وإن كنّا لا نستطيع إلغاء العنف من حياتنا

وصديقنا الفيلسوف اللاعنفي الذي يُعتبر الأكثر شهرة في العالم المعاصر، ونعني به مؤلف الكتاب جان ماري مولير، انتقل إلى فريضة اللاعنف، حين أريد له أن يقاتل في الجزائر، مع الجيش الفرنسي ضد الجزائريين الذين ذاقوا مرارة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي ما يزيد على قرن وثلاثة عقود من الزمان، فرفض وامتنع وسجن (لمدة ستة أشهر) وأقصي، وهكذا تكوّنت لديه قناعات بأهمية الانخراط في العمل اللاعنفي الذي كرّس له حياته منذ الستينيات وحتى اليوم. إن كتابه «نزع سلاح الآلهة» هو دعوة للتأمل في ماهية الخير والشر، وقد جاء تتويجاً لعمل معرفي وحركية ديناميكية طيلة ما يزيد عن خمسة عقود ونصف من الزمان، وهو كتاب مرجعي تأسيسي، خصوصاً أنه شامل، ولاسيّما بعد كتابه «قاموس اللاعنف».

الفريضة أو الفضيلة التي يريد مولير تعميمها تمنحنا هذه القدرة الاستثنائية من الحب والتطهّر والروحانية الإنسانية، وتقرّبنا من بعضنا على نحو يتّسم بتعزيز المشترك الإنساني، سواء، كنّا من أتباع الديانة المسيحية أو من أتباع الديانة الإسلامية، وسواء، كنّا مؤمنين أو غير مؤمنين، ومتدينين أو غير متدينين، لكننا نجتمع تحت خيمة اللاعنف ذات الطبيعة الإنسانية.

وكان الروائي الروسي تولستوي، صاحب رواية «الحرب والسلام» المنشورة لأول مرة بين العامين 1865 و 1869، هو من دعا إلى عدم مقاومة الشر بالعنف، وأراد في كتابه «ما هو إيماني؟» الصادر العام 1884 القول: لا ترتكب عنفاً أبداً، بمعنى آخر لا ترتكب أي فعلة مناقضة للمحبّة، أي إن الانتقام وسيلة سيئة مهما كانت المبررات.

وقد تعزّزت أفكار اللاعنف لدى تولستوي عندما حدثت الحرب الروسية – اليابانية في العام 1904 والتي أدت إلى انتفاضة ثورية ضد حكم القيصر في العام 1905، لكنها لم تنجح وتمكّن القيصر من قمعها.

لقد كانت الحرب للتغيّر الكبير الذي استوحى منه تولستوي روايته الذائعة الصيت، وقد كانت مشاهد حرب الثلاثين علماً في أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت، مقدّمة للحرب الروسية ــ اليابانية، التي تحدّث عنها باعتبارها حرباً بين مسيحيين وبوذيين، يقتل أحدهما الآخر، في حين أن المسيحية والبوذية لا تدعوان للقتل وتحرّم ديانتهما قتل البشر، بل إن البوذية تحرّم حتى قتل الحيوانات، وقد تكون.

لقد رفض تولستوي طاعة أوامر الدولة التي تفضي إلى العنف، لأنه غالباً ما يكون عنفاً ظالماً، وكان يقول «لا» للجيش الذي يلقّن العنف لقهر الشعب. وترك تولستوي تأثيراً كبيراً لدى المهاتما غاندي، وقد كتب الأخير عنه بمناسبة مئويته في العام 1928 نصاً مؤثراً حين قال: «كان أكثر رجال عصره صدقاً. اتسمت حياته بجهد دؤوب محموم للبحث عن الحقيقة، ولوضعها موضع الممارسة بمجرد العثور عليها... إنه أعظم رُسل اللاعنف الذي شهدهم عصرنا الحالي».

إن تحقيق السلام بحسب تولستوي لا ينبغي أن يُفرض إلاّ بوسائل سلمية، ولا يريد من الأذلة المسحوقين (الضعفاء) سفك دماء الأقوياء. أراد لهم التمسك بالتمرد السالب، ورفض طاعة المتسلّطين الظالمين، وإذا تمكّن ملايين الفقراء، من غير عنف، ومن غير محاكاة لبطش المتسلّطين، ومن غير ثورة مأسوية على الطريقة الغربية، من صرف قلوبهم وأنزعتهم عن فعلة الظلم والحرب والقتل، يومذاك سوف تنحلّ سلطات الكذب والقهر البالية من تلقاء نفسها.

المراسلة بين غاندي وتولستوي عبّرت عن القناعة الأخلاقية المشتركة، لاسيّما وأن تراث كل منهما غنيّ وعميق. وقد فهم تولستوي الأهمية العميقة بين عدم مقاومة الشر بالعنف، وبين الضمير والعصيان وعدم التعاون مع المؤسسات الرسمية التي تتحمل مسؤولية القهر، وقد استلهم حكيم روسيا ذلك من تراثه الديني المسيحي مثلما استلهم حكيم الهند ذلك من تراثه الديني البوذي.

تلك دعوات رُسل اللاعنف، أي المقاومة السلمية السلبية كما تسمّى، بمعنى عدم الرّد على العنف بالعنف وذلك ليس استسلاماً، بل مقاومة باللاعنف، بالصمت والامتناع عن المشاركة في الحروب أو الانخراط في أعمال العنف أو التمرّد على أوامر الدولة ورفض دفع الضرائب والاحتجاج والتظاهر وصولاً للعصيان المدني، وهو ما اتبعه مارتن لوثر كنغ في حركته للمطالبة بالحقوق المدنية في الولايات المتحدة، وما قام به من نشاط تسامحي ولا عنفي نيلسون مانديلا زعيم جنوب أفريقيا.

إن المقاومة تلك بحسب مولير قادرة على تغيير العالم الذي أراد فيه أن يكون الإله طيباً قبل أن يكون قوياً، وطالب بإلغاء ما يبرّر العنف والقطيعة ضد ما يدعو إليه، والدعوة إلى أخلاقيات موحّدة للعمل العالمي اللاعنفي في المسيحية والإسلام، وفي ذلك دعوة ليس لقبول الحق في الاختلاف، بل لرفض التشابه والتماثل والتطابق، لأنه ليس من طبيعة الأشياء.

قد تحتاج دراسة الإسلام إلى وقفة نقدية خاصة، لاسيّما موضوع الجهاد واللاعنف والجهاد الأصغر والجهاد الأكبر، وكلمة السواء التي دعا إليها الإسلام، وهو ما سنحاول مناقشته في وقت لاحق.

6 الأسبوع الأدبي - السنة الثلاثون العدد، "١٥٢٨" الأحد ٢٠١٧/٢/١٢م - ١٣جمادة الأولى ١٤٣٨هـ دراسات

علمتني الشام حب الصباح

• د. عبد الحسين شعبان

(1)

إذا كان أندريه بارو عالم الآثار الفرنسي وأول مدير لمتحف اللوفر، هو القائل، «لكل إنسان متحضر وطنان، وطنه الأم وسورية».. فماذا سيقول عربي وسوراقي، عاش فترة من أجمل أيام حياته في دمشق؟ وهو المنتمي إليها وطناً ولغة وهويةً وعشقاً. أظنه سيقتفي مثلي أثر محمود درويش القائل، دمشق ارتدتني يداك / دمشق ارتديت يديك.

كنتُ قد قلتُ في مقابلة لي مع مجلة تحولات، أن هويتي سوراقية مشرقية، فبلاد الرافدين وبلاد الشام تجمعهما هوية حضارية واحدة. ولكن لماذا أنا سوراقي؟ أجيب، «لأنني لا أستطيع وأنا العراقي إلاّ أن أفكر بطريقة أقرب إلى سورية أو قل إلى الشام».. وذلك لشعوري بوحدة الانتماء ووحدة المصير. وكلما اقتربتُ من دمشق لا أستطيع إلاّ أن أفكر ببغداد، فهما شقان يكمّل بعضهما بعضاً. وأحياناً أقع في حيرة من أمري حين لا أستطيع أن أفاضل بينهما، وأقنع نفسي حين أتخيّلهما كما لو أنهما كالذهب المشعشع في الميزان كفتان، أو لكأنهما جناحا طير لا يمكنه الطيران إلاّ بهما معاً، فإن غاب أحدهما سقط أرضاً لا محال. والحق أقول بأني أحيا في حالة من التماهي في كيانيتي وعقلي بينما هو سوري وما هو عراقي.

هذه القناعة تولدت لديّ منذ عقود من الزمان، وأخذت تترسخ يوما بعد يوم على نحو تلقائي وعفوي، غير متكلف أو مفتعل. ربما لعب مزاجي العروبي دورا في ذلك، على الرغم من يساريتي وانتمائي «الماركسي»، وقد يكون ذلك «انشقاقا» مبكرا بين الثقافي الذي يقبع في داخلي، وبين السياسي الذي انضوينا تحت لوائه.

في منطقة المزّة، وفي «دار السعادة».

لم تكن والدتي تعرف بوصيتي المكتوبة، أنني وضعت الشام في أولوياتي، إلاّ أنه إحساس الأم قلما يخطىء، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بولدها. قلت مع نفسي كيف استطاعت أن تخمّن رغبتي؟ ولم أكن أجرؤ أن أتحدث أمامها، عن ذلك «الجهم، الذي يجلس على صدورنا، وكأنه حرسٌ على أنفاسنا حسب تعبير الجواهري، لكن دهشتي سرعان ما تبددت، فكيف لا وهي تعيش في قلبي وتتحسّس ما لديّ كل يوم، بل كل ساعة وكل لحظة، فكيف لا تقرأ عشقي لدمشق عيشاً أو رحيلاً، فالشام هي الملاذ الأول وربما هي الملاذ والمستقر الأخير.

منذ مطلع الستينات كانت الشام قبلتنا، كان والدي مولعا بها لدرجة الهيمان، فهي أكثر من مدينة بالنسبة له، لأنها بوابة الشرق إلى العالم، وهي التاريخ المزدان بقصص وحكايا وبطولات ومآسي، إنها أبلغ من صور اللغة، وعلى الرغم من زيارته لبعض البلدان العربية، ولبراغ وبرلين ووارشو، إلاّ أن عشقه للشام وللقدس ورام الله، ظل مثل حبّه الأول يستعيده بمناسبة ودون مناسبة، وكانت والدتي تشعر أن صلاتها أكثر طهرية في مقام السيّدة زينب، وكنت قد اصطحبتها مرّتين من لندن إلى دمشق وعدد من الزيارات إلى دمشق من بيروت.

دمشق أو الأرض المسقية حسب معناها القديم، هي أقدم مدينة مسكونة ومتواصلة في التاريخ، واحدى محطات طريق الحرير، وطريق البحر، وموكب الحج الشامي، والقوافل المتجهة إلى بلاد فارس، أو آسيا الصغرى، أو مصر، أو الجزيرة العربية. وبقدر ما هي مدينة تجارية، فلها مركز

عدم مغادرتها، كالجواهري الكبير، ومصطفى جمال الدين، وغضبان السعد، وعبد اللطيف الراوي، وفاضل الأنصاري، وعلي كريم، وعبد الوهاب البياتي، وهادي العلوي، وسعيد جواد، وحسين مروّة، وغيرهم كثر..

ولأنها دمشق، فهي لا تعبّر عن ذاتها إلاّ بالتنوّع والتعدّدية والتسامح. إنها مدينة جامعة لأكثر من هوية، وإن دافتها بوتقة العروبة، لكن هوياتها الفرعية حافظت على خصوصياتها مع احترام هويتها العامة الشاملة. والمدن مثل النساء، فكما لكل امرأة رائحتها ومذاقها، بوحها وسرّها، حزنها وفرحها، دمعتها وابتسامتها، سحرها وغموضها، روحها وشكلها، فلكل مدينة خصوصيتها وطباعها وطبيعتها، في دمشق تتجاور الكثير من الهويات، حيث تلتقي فيها الدهشة والجمال والفتنة والإثارة، ومثلما دمشق الغوطة والربوة وسحر الشجر وعبق الحجر وذكاء البشر، وأسماء الكنائس والجوامع، فإن فيها أجمل النساء وأكثرهن عذوبة ورقة وصفاء.

من منا لم يستحضر قصيدة الشاعر أحمد شوقي "دمشق" التي كتبها دعماً للشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي، فقد عاشت سورية في الوجدان العربي، ونستذكر منها البيتين اللذين ترددت أصداءهما في العالم العربي كله.

سلام من صبا بردى أرق / ودمع لا يكفكف يا دمشق

وللحرية الحمراء باب / بكل يد مضرجة يدق

(3)

باستعادة سوراقيا يقول الجواهري في قصيدته "دمشق يا جبهة المجد"،

شممتُ تربك لا زلفى ولا ملقا

طبيعتها وناسها تغزل أحمد شوقي وإيليا أبو ماضي وسعيد عقل الذي تمازجت كلمات قصائده مع اللحن الرحباني والصوت الفيروزي، ليؤكدوا بأن دمشق هي تأويل هذا الشرق في اكتمال خطاه،

ظمئ الشرق فيا شام اسكبي / واملأي الكأس له حتى الجمام

أهلك التاريخ من فضلتهم / ذكرهم في عروة الدهر وسام

أمويون فإن ضقت بهم / ألحقوا الدنيا ببستان هشام

أنا لست الفرد الفرد إذا / قلت طاب الجرح في شجو الحمام

أنا حسبي أنني من جبل / هو بين الله والأرض كلام

قمم كالشمس في قسمتها / تلد النور وتعطيه الأنام

نعم هي دمشق فيحاء الشرق وحورية المدائن وترنيمة العشق الأزلي ومفخرة التاريخ وفيض الحضارات، كما قال الشاعر سعيد عقل،

"قرأت مجدك في قلبي و في الكتب

شام، ما المجد؟ أنت المجد لم يغب،

إنها دمشق تراتيل الأنبياء والقديسين،

"شام أرض الشهامات التي اصطبغت

بعندمي تمته الشمس منسكب،

فيروز غنت وطربت وأطربت... وفي دمشق كان لصوتها معنى آخر «هنا الترابات من طيب ومن طرب / وأين في غير شام يطرب الحجر».

نعم هي الشام، الياسمين والفل، هي الشام التي قال عنها الشاعر محمد كرد علي،

الفل يبدأ من دمشق بياضه / وبعطرها تتطيب الأطياب

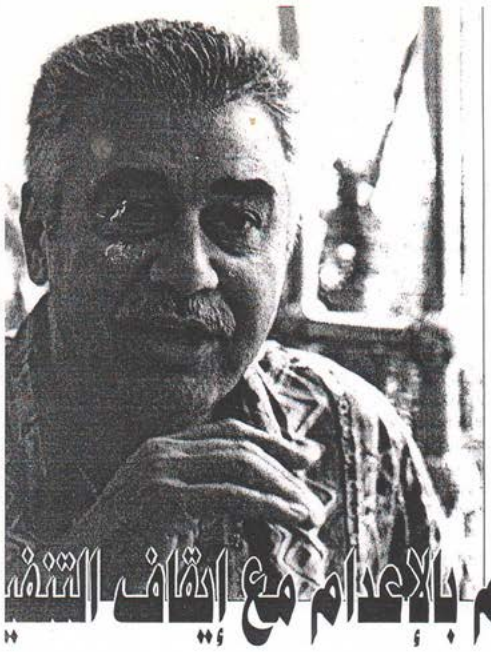

الأهرام العربي

حتى إخوة د. ناجى صبرى الحديثى، وزير الخارجية، لم يسلموا من الإعدام، وهناك نحو 50 قانونا أصدرها صدام حسين ترسل الضحايا إلى الموت، فالمادة 200 من قانون العقوبات البغدادى، وقع عليها نحو نصف مليون مواطن عراقى حكموا على أنفسهم بالإعدام مع وقف التنفيذ، مع التعهد بعدم العمل السياسى خارج نطاق حزب البعث. هكذا يكشف لنا د. عبد الحسين شعبان، المفكر العراقى الذى عاش معظم حياته متنقلا بين عواصم العالم أسرار ما جرى.

أجرى الحديث. إلهامى المليجى

د. عبد الحسين شعبان كاشفا المستور عن حكم البعث:

العراقيون حكموا على أنفسهم بالإعدام مع إيقاف التنفيذ

■■ **هل كانت الحرب على العراق حرب المفاجآت؟**

لعل الحرب التى بدأت فى 20 مارس الماضى كانت بداية مرحلة جديدة من تاريخ العراق السياسى. وشهدنا فى التاسع من أبريل المشهد الأكثر درامية من هذه الحرب، حيث أطيح بتمثال الرئيس العراقى السابق صدام حسين فى قلب بغداد العاصمة. تلك التى قال عنها، إن مغول العصر سينتحرون على أسوارها وأنها ستكون مقبرة للغزاة. لكن شيئا من ذلك لم يحصل. فقد اختفى الرئيس وأركان قيادته كلية عن الأنظار. ووقعت المفاجأة الكبرى وهى أشبه بضضيحة تاريخية حين اقتربت القوات الامريكية من بغداد، واحتلت المطار، وبعض المرافق وكان الجميع يتوقعون مواجهة ساخنة استنادا إلى ما تقدم، وإذ تحل الدهشة وربما الذهول حين تختفى مرة واحدة كل مظاهر السلطة العسكرية والحزبية والسياسية، بمن فيها من المسئولين فى أجهزة الدولة وعلى رأسهم الرئيس العراقى. مما ساعد فى سقوط بغداد دون أى مقاومة تذكر؟

■■ **ألم يكن من الممكن إحداث التغيير من الداخل؟**

العراق حكم منذ العام 1968 من خلال نظام شمولى، وظل العراقيون يتطلعون إلى تغيير ديمقراطى يحقق طموحاتهم وللمعلومات فإن القوانين العراقية تحولت لعقوبات غليظة لتقف عائقا أمام أى تحرك أو عمل يعتبره النظام فى اطار المعارضة. فهناك نحو 50 قانونا ترسل الضحايا الى الموت بالاعدام وأن المادة 200 من قانون العقوبات البغدادى وقع عليها نحو نصف مليون مواطن عراقى حكموا على أنفسهم بالاعدام مع تأجيل التنفيذ، وتعهدوا بعدم العمل السياسى خارج نطاق حزب البعث، ويمكن تحريك مثل هذه القضايا فى أى وقت كان بموجب القوانين وقرارات تعسفية وتمييزية، وتم تهجير نحو نصف مليون عراقى إلى إيران بحجة التبعية الايرانية، وهكذا فإن امكانية اجراء تغيير فى البنية السياسية والقانونية للحكم فى العراق كادت تكون معدومة. لا من داخله ولا من خلال الاطاحة به بالامكانات الذاتية للقوى العراقية.

■■ **أين كانت المعارضة العراقية لنظام صدام؟**

الشعب العراقى كله كان معارضا لصدام باستثناء الدائرة الضيقة حول؛ والمنتفعين أن أكبر المعارضات كانت داخل حزب البعث والمؤسسة العسكرية، نذكر كم أعدم صدام من قيادات حزب البعث فى عرس الدم فى يوليو 1979 خمسة من مجموع خمسة عشر و17 من الكوادر القيادية وحكم على 33 قياديا وظلوا أربع سنوات فى السجن ثم أفرج عن 17 وظل 16 فى السجن حتى الوفاة.

وشقيق وزير الخارجية ناجى صبرى مات فى السجن، وحتى تكريت لم تسلم من تصفية بعض قياديها من البعثيين، حتى العائلة نفسها، قتل حسين كامل وشقيقه صدام، أما القيادات اليسارية والشيوعيون فقد تعرضوا لعملية محو شديدة طالت قيادات وكوادر والآلاف من الأعضاء، ولم تسلم القيادات الإسلامية، ففى يوم واحد أعدم صدام 560 شخصا من الحركة الإسلامية، من عائلة بحر العلوم اختفى 22 شخصا، ومن عائلة الحكيم 18 شخصا، والحلو 30 شخصا وعائلة البرزانى 2000 شخص، حتى التيار الناصرى طالته التصفيات والاعدامات.

لكن الأشخاص الذين عملوا تحت المظلة الأمريكية وتمت صناعتهم خارج العراق فى ظروف ملتبسة بعد غزو العراق للكويت، هؤلاء خمسة منهم يعملون بمثابة موظفين ولا يخطون بأى حضور فى الشارع العراقى، وجميعهم مرتكبون لجرائم.

■■ **كيف ترى إمكانية الحفاظ على وحدة العراق؟**

توجد فى العراق مشكلة قومية، وأعنى بها المشكلة الكردية أساسا، تلك التى لم تحل منذ تأسيس الدولة العراقية إضافة إلى مشكلة أقليات أخرى كالأشوريين والتركمان، ناهيكم عن مشكلة التمييز الطائفى خصوصا فى ظل قوانين وقرارات متخلفة للجنسية العراقية منذ قانون الجنسية الأول رقم 42 لعام 1924.

إن عدم حل المشكلة القومية وقضية الطائفية السياسية عقد النظام السياسى فى العراق وأدى إلى تضييق قاعدته تدريجيا، وهكذا فإن اتساع المعارضة السياسية والقومية الكردية والدينية الإسلامية دفعت السلطة شيئا فشيئا لتكون فى أيدى الأقلية وذلك بمصادرة أية هوامش للحرية، حتى أصبح العراق يحكم من حزب ثم من مجموعة سياسية صغيرة داخل هذا الحزب، ثم من جماعة جهوية وأخيرا استقر الحكم بين العشيرة فالعائلة التى يتربع على رأسها، القائد، الذى أخذ يطبع البلاد كلها بطابعه.

إن حل القضية الكردية يتطلب الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الكردى واحترام خياراته الحرة سواء ك الفيدرالية أم غيرها وعلى أساس اتحاد أخوى طوعى يضمن ويعزز الإخوة العربية. الكردية كما أن ذلك يت إعادة النظر فى قوانين الجنسية على أساس مبدأ المواط الكاملة والمتساوية ووفقا للمعايير الحضارية والعصرية

■■ **هل ستحقق واشنطن الديمقراطية فى العراق**

من ضمن أهداف الولايات المتحدة التى ارتفعت أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 الارهابية هو التخ من النظام العراقى باعتباره جزءا من محور الشر. قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان فى العراق ف قضية غير واضحة، ويمكن القول إنها ازدادت التب وغموضا بعد الحملة العسكرية ضد العراق، والبديل ا جاهزا وقد أبلغت الجهات الأمريكية المسئولة. شخص وقوى معارضة تتعاطى معها، بأن دورها سيأتى ، التغيير، وفى ذلك إحدى مفارقات التدخل الد والأمريكى تحديدا فى الشأن العراقى، كما أنه يشكل م سياسيا وأخلاقيا خطيرا خصوصا بعد أن حصل العراق، ففى الوقت الذى تم إبلاغ إسرائيل فيه بخ الولايات المتحدة وبمواعيد هجومها العسكرى كما ك النقاب عنه، تم حجب مثل هذه المعلومات عن أط موالية، وهو ما يؤكد الورقة الإسرائيلية فى الموض العراقى، الذى يظل شائكا ومعقدا، رغم انتهاء الحرب أن بدأت، لكن الكارثة ما تزال مستمرة!

■■ **هل يمكن أن تطبق مبادىء العدالة الدوليا حق الولايات المتحدة؟**

الولايات المتحدة مسئولة ويمكن أن توجه لها أر اتهامات رئيسية، وهى تهديد السلم والأمن الدوليين، الحرب والعدوان والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الا الجماعية، وجرائم الحرب ذاتها التى شاهدناها التلفاز، ولكن بالمقابل هناك سلسلة طويلة من الاتها ذاتها التى توجه إلى النظام العراقى على ما ارتك لسنوات طويلة فى حق الشعب العراقى وجيرانه، و منطق القوة يبقى أقوى من منطق الحق والعدل.

فهذه مسألة متروكة للمستقبل، وإذا كانت أمريكا تجاوزت على القانون الدولى، فعلى ضحايا التجاو يتمسكوا بالقانون الدولى وقواعده ■

Anti Darfur ... between cover legal and humanitarian thread!

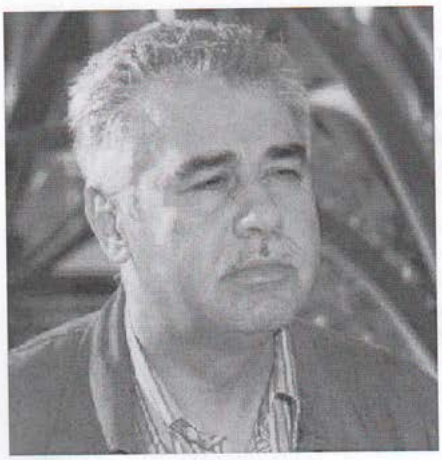

Abdul Hussein Shaaban
Dr_shaban21@hotmail.com
Civilized dialogue-number : 2022-2007 / 8 / 29

Is there a mine on the road to Security Council resolution 1769 or face a political solutior to the legal and Gown thread may Evgeran humanitarian situation in Darfur, while the situation of the population is suffering and misery? ! Perhaps initiate international forces participating in the mission early next year indexed to be outweighing any options.
The Security Council decided unanimously by the international deployment of a joint force of United Nations and the African Union on behalf of «Ionamed» strength of 26 thousand soldiers and policemen in Darfur, and will force estimated cost of $ 2 billion deployed, the current AU force, which comprises seven thousand troops and lacked adequate funding and processing needed.
The reaction of the Sudanese government official approval, and considered it acceptable, especially after 1769 amendments thereto and the many reservations which had been raised concerning the project Bemsodth first.
According to the technical reports that the actual activity of the multinational force will be ready at the end of this year or the beginning of the year 2008. The response of the Sudanese government with international resolution had siphoned off part of the tension between Sudan and the international community, especially that the Sudanese Foreign Minister Lam Akol, expressed satisfaction with the decision at a press conference when he said : The resolution contained many positive points Perhaps foremost is the dispute

العقوبات أسهمت في تفاقم انتهاك حقوق الانسان

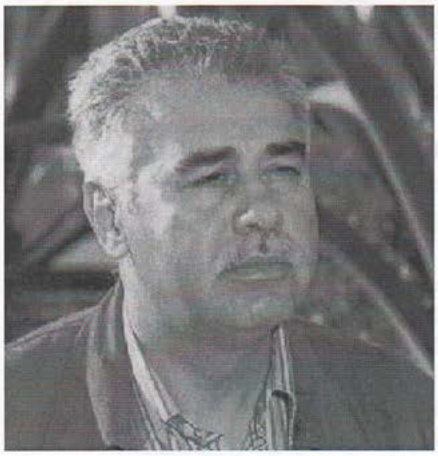

عبد الحسين شعبان
dr_shaban21@hotmail.com
الحوار المتمدن - العدد: 138 - 2002 / 5 / 22

تقرير متخصص يسلط أضواء جديدة علي الوضع الانساني في العراق (1-2) العقوبات أسهمت في تفاقم انتهاك حقوق الانسان -

ظلت قضية حقوق الانسان في العراق شائكة ومعقدة وتزداد تفاقماً واتساعاً علي مر الايام، كما كانت المعلومات وما تزال بشأن الانتهاكات والخروقات ملتبسة ومتداخلة أحياناً، ولا تلقي في الكثير من الاحيان، الاهتمام الذي تستحقه، بسبب انغلاق الدولة والسرية التامة التي تتعلق بمثل هذه القضايا، وعدم السماح لمؤسسات المجتمع المدني ومنظمات حقوق الانسان العراقية والعربية والدولية، من الاطلاع عليها أو التثبت من صحة وقوعها، أو التوثق من دقة المعلومات التي تردها، فضلاً عن الآلة الاعلامية الكبيرة، التي تمتعت بها السلطات العراقية داخلياً وخارجياً، وساهمت في تبرير تلك الانتهاكات أو التقليل من شأنها أو حتي نفيها.. وكانت الحكومة العراقية وما تزال ترفض مناقشة هذه القضايا وتعتبرها مساساً بالسيادة و تدخلا في الشؤون الداخلية من جانب جهات مريبة أو مشبوهة أو حاقدة أو لا تريد خيراً للعراق علي أقل تقدير. وكانت تدخل في مواجهات تقع في باب أن الهجوم خير وسيلة للدفاع وبالتالي لابد من اثارة زوبعة من الاتهام والشك بصحة ما يقال، بل واتهام من يتصدرون لتلك القضايا الحقوقية بشتي التهم التي ما انزل الله بها من سلطان.

ولأن كانت قضية حقوق الانسان شائكة ومعقدة منذ عقود من السنوات، فقد ازدادت التباساً وتداخلاً خلال العقد ونيف الماضي، بسبب استمرار الحصار الدولي الجائر ونظام العقوبات الدولي المفروض علي العراق، الذي أصبح نوعاً من أنواع الابادة الجماعية والحرب التدميرية الطويلة الأمد ضد السكان المدنيين العزل وبخاصة الأطفال والنساء والشيوخ، حيث راح ضحية ذلك أكثر من مليون مواطن عراقي، بما يعد جريمة دولية كبري حسب القانون الدولي. لقد ضاعف الحصار الدولي من انتهاك كامل منظومة حقوق الانسان الدولية السياسية والمدنية

د. عبد الحسين شعبان لـ (الزمان):

الخروج من المأزق العراقي الحالي مسؤولية القوى والشخصيات الوطنية داخل مجلس الحكم وخارجه

القضية الامنية في العراق شاغلة يومية ملحة كونها تمس حياة المواطنين واستقرارهم واستعداداتهم السياسية لبناء حاضرهم ومستقبلهم. وهي جزء مكمل للمشهد السياسي العراقي الراهن (الزمان) التقت الباحث والناشط السياسي د. عبد الحسين شعبان الذي تحدث عن رأيه بالظرف الأمني الحالي قائلاً: ـ تبقى مسألة الفلتان الامني هي الشغل الشاغل للعراقيين. ويمكنني القول دون مبالغة ان معادلة الامن توازي أو تفوق احيانا معادلة الكرامة. ولهذا يظل الامن وتوفير لقمة العيش هاجسين اساسيين يواجهان العراقيين. اذ لا يمكن التقدم على تطبيع الحياة السياسية والتطور السلمي دون توفيرهما ودون ضمان وحماية ارواح وممتلكات المواطنين وأمنهم وتحقيق سيادة القانون. ان الفلتان الامني هو مشكلة سياسية أولا وقبل كل شيء، ولذلك لابد من التفتيش عن حلول سياسية لوضع حد لهذه الظاهرة الخطيرة، والتي لو استفحلت وتداخلت مع اشكاليات اخرى طائفية او اثنية، فربما ستؤدي لا سمح الله، الى حرب اهلية عبثية سيكون الجميع ضحاياها. اعتقد ان حل مشكلة الفوضى والانفلات الامني والتفجيرات المجنونة، لا يتم بالتشدد بالاجراءات العسكرية او المداهمات العشوائية التي تقوم بها سلطات الاحتلال، فربما ذلك يؤدي الى ردود افعال تزيد من تفاقمها، أو بزيادة عدد افراد القوات الامريكية والبريطانية أو الدواية المتعددة الجنسيات، فربما ذلك يؤدي الى المزيد من توتير الاوضاع خصوصا اذا دخلت القوات التركية على الخط، مما قد ينجم عنه عواقب وخيمة على علاقات حسن الجوار وعلى صعيد التكوينات العراقية المختلفة، وذلك طبقا لاعتبارات تاريخية واهداف اقليمية تثير كثيراً من الالتباس والقلق وهو ما رفضته قوى مجلس الحكم الانتقالي بكاملها وكذلك قوى وطنية خارجه. ان تمكين العراقيين من استعادة الامن وتوفير الحماية الضرورية للمواطن ـ الانسان والمجتمع، بما فيها مؤسسات الدولة والهيئات الدواية العاملة في العراق، يتطلب معالجة مشكلة السيادة الوطنية العراقية، التي ما تزال معومة وهي اقرب الى التجميد، وتمكين العراقيين من حكم انفسهم بانفسهم وفقا لمبدأ حق تقرير المصير وتساوقا مع قرار مجلس الامن الدولي 1483 الصادر في 22 أيار (مايو) 2003 وبالتطبيق العملي فإن الامر يتطلب وضع جدول زمني لانهاء الاحتلال وبالتالي توسيع وتعميق دور مركزي للأمم المتحدة لتصريف الشؤون العراقية في الفترة الانتقالية والاشراف على اجراء انتخابات حرة لبرلمان عراقي يسن دستورا دائما للبلاد وفي ظروف واجواء سلمية

□ ما هي حقيقة ما يجري من حراك سياسي متعدد التوجهات والأفكار؟

ـ على الصعيد العراقي لابد من توسيع وتعزيز التفاهم بين القوى الوطنية العراقية وتحضيرا لذلك وبهدف اظهار الارادة الوطنية العراقية بصورة موحدة ومسؤولة فيمكن الاتفاق على برنامج وطني مرحلي عام، يجسد الاهداف والمطالب الوطنية العراقية في مجلس الحكم الانتقالي وخارجه، ويمكن لذلك ان يتحقق عبر مؤتمر وطني عراقي واسع يمثل الطيف السياسي في اطار من التعددية الفكرية والثقافية والقومية والدينية.

وبتقديري ان تطمين جميع الفئات والقوى العراقية امر في غاية الاهمية خصوصا لجهة اشعارها بأن التغيير الذي حصل انما استهدف النظام السابق وليس فئات او طوائف معينة، خصوصا وان التقاسم الوظيفي والديني والمذهبي والعنصري قد جعل الكثير من الشكوك تحوم حول ابعادها ومراميها. ان الاصرار على المحاصصة الطائفية والعنصرية اثار قلقا مشروعا لدى اوساط واسعة من العراقيين وقد بذر هذا الامر باضطرابات اكثر خطورة وتعزيز نعرات وعنعنات طائفية وعشائرية وجهوية كانت تتغذى خلال الحكم السابق. ولابد لي هنا من التنبيه الى خطورة المسألة الطائفية في ما اذا تفشت وجرى التمترس حولها انطلاقا من الشعور بالمسؤولية ليس على صعيد اوضاع الحاضر، بل على صعيد المستقبل ولحمة النسيج المجتمعي في العراق. ويمكنني القول انه ليس من صلاحيات سلطات الاحتلال بموجب اتفاقيات جنيف لعام 1949 وملحقها بروتوكول جنيف لعام 1977 وقواعد القانون الدولي الانساني اجراء تغييرات بنيوية (جوهرية) قانونية وادارية تتعلق بالبلد الذي تقع اراضيه تحت الاحتلال. وبالتالي ستكون تلك التغييرات في ظل غياب برلمان عراقي عرضة للطعن ومصدرا لاحقا للخلاف، خصوصا اذا ما تجاوزت على حقوق العراق لصالح جهات وشركات دولية، او افتئاتا على حساب حقوق الانسان في العراق ومصلحة شعبه ومستقبله وما يتعلق بمواطنته وموارده وسبل عيشه. لقد وصل الجميع الى مأزق ورطة حقيقية وربما الى طريق مسدود، فقوات الاحتلال غرقت في الوحل العراقي ولا تتمكن الخروج منه بماء الوجه، وتعاظمت خسائرها البشرية والمادية، واصبح الافق اكثر قتامة، ويزداد الراي العام الامريكي والعالمي تساؤلا حول صدقية الادارة الامريكية وادعاءاتها بشأن شن الحرب على العراق سواء موضوع اسلحة الدمار الشامل او علاقة الحكم السابق بتنظيم القاعدة الارهابي. كما ان مجلس الحكم الانتقالي يعاني من اشكالات كثيرة، فسلطات الاحتلال لا ترغب في منحه الصلاحيات الكافية. وبالتالي فهو مجلس حكم لكنه لا يحكم لأن الارادة السياسية بما فيها السيادية والسلطات الامنية والموارد الاقتصادية كلها بيد الحاكم الامريكي بول بريمر. كما ان ميزانية العراق وابواب الصرف وخصوصا صندوق التنمية تخضع لإرادته.

لقد بررت الادارة الامريكية مجيء بريمر الخبير بمكافحة الارهاب بعد فشل جي غارنر، لمهمات ضبط الامن واذا بالحال يتدهور ويصبح الامر هاجسا يشغل بال وزير الخارجية كولن باول ووزير الدفاع رامسفيلد والرئيس الامريكي جورج بوش. ولعل استهداف بول وولفيتز نائب وزير الدفاع الامريكي واحد صقور اليمين في الادارة الامريكية انما هو رسالة لجميع الاطراف الخارجية والمحلية بأن الفلتان الامني سيستمر ما لم يتم معالجة الامر على نحو سياسي. ووصلت الممانعة او المقاومة المسلحة هي الاخرى الى طريق مسدود وغير واضح المعالم، اذ تفتقر حتى هذه اللحظة الى برنامج سياسي وطني، أو ممثلين أو ناطقين بإسمها، كما لاتوجد حاضنة اجتماعية او سياسية ترعاها. واختلطت مجموعاتها واعمالها مع مجموعات ارهابية وتخريبية منفلتة من عقالها، بعضها من فلول النظام السابق، او المتضررين من زواله، ناهيكم عن قوى متطرفة ومتعصبة ومنغلقة. واذا كان الهدف كما اتصوره لحالة المقاومة هو انهاء الاحتلال والحؤول دون تغيير معادلة الدولة العراقية بحيث تؤدي الى تحويل فئات واسعة الى اقلية وربما تخضعها لتحكم الاكثرية لاعتبارات طائفية، فإن هذا الهدف لا ينبغي ان يجمعه جامع مع عمليات التخريب والتفجير والارهاب التي اخذت تطال العراقيين ومؤسساتهم وهي اعمال مدانة بكل المعايير القانونية والدينية والسياسية ناهيكم عن الاعتبارات الانسانية. اعتقد ان مسؤولية القوى والاحزاب والشخصيات الوطنية كبيرة ومهمة جدا في هذا الظرف بالذات سواء كانت مشاركة بمجلس الحكم او خارجه، للخروج من المأزق الذي وصل إليه الجميع وبالتالي السعي لاستعادة السيادة العراقية وإعادة بناء الدولة على سكة صحيحة ورعايتها عبر تطور تدريجي ووفقا لمبدأ المواطنة الكاملة والمساواة التامة بين العراقيين رجالا ونساء عربا واكرادا واقليات ومن جميع الاديان والطوائف والتيارات السياسية والفكرية والثقافية.

صداقة في الشعر والحياة والمنفى

الجواهري ومظفر النواب

عبد الحسين شعبان*

استوقفني ما نشره الكاتب والصحافي العراقي خالد القشطيني في زاويته الأثيرة في صحيفة «الشرق الأوسط»، حين استعاد قصة طريفة قال انها حصلت معه، واستكمل روايته بالقول: بعد بضعة أيام وصلته بالبريد أبيات من الشعر، أرسلها اليه أحد الحاضرين في جلسة ضمّت بعض الأصدقاء، ولشاعر غير معروف، ونشرها من دون أن يحدد نسبها، والحكاية وما فيها كنت قد دوّنتها في كتابي «الجواهري- جدل الشعر والحياة» الصادر عن دار الكنوز الأدبية في بيروت في طبعته الاولى، أوائل العام 1997، والذي أعيد طبعه ثانية عن دار الآداب البيروتية حالياً.

الأبيات المشار إليها نظمها الجواهري وشاعت وقتها «اخوانياً» قبل نشرها، وهي تحت عنوان «فاتنة ورسّام»، وأهداها الى «محمد المصباح» وفي الحال عُرف المقصود، إنه مظفر النواب. وكنت قد نشرت المقطوعة في كتاب صدر لي العام 1986 بالتعاون مع الجواهري الكبير في دمشق، عن دار طلاس وهو بعنوان «الجواهري في العيون من أشعاره».

ولعل هذه الحكاية الطريفة تعكس الأريحية الشخصية لكل من الجواهري والنواب، وعلاقاتهما الانسانية الحميمة. وإذا ما عدت الى علاقة الشاعرين ببعضهما، فقد كانت لقاءات الجواهري بمظفر النواب «محدودة» وتقتصر على بعض المناسبات في اتحاد الأدباء العراقيين بعد العام 1958، حيث كان الجواهري رئيساً له مثلما هو نقيب للصحافيين، أي رئيساً للسلطتين الثقافية والاعلامية، الأمر الذي دفع زعيم الثورة والسلطتين السياسية والعسكرية عبد الكريم قاسم الى الاصطدام بالجواهري بعد حادثة قرية الميمونة في جنوب العراق، حين كتب الجواهري في جريدته «الرأي العام»، ماذا جرى في الميمونة؟ يوم اعتدت شرطة قاسم على فلاحات في محافظة العمارة «ميسان»، وقد نشب الاحتكاك المباشر بين قاسم والجواهري اثر مشادة دارت في وزارة الدفاع حين كان الجواهري يترأس وفداً لزيارة قاسم باسم اتحاد الادباء، الأمر الذي اضطره الى مغادرة العراق الى لبنان، ومنه الى المنفى بعد مشاركته في حفل تكريمي للأخطل الصغير (بشارة الخوري) ومن بيروت توجّه الى أوروبا، واستمر سبع سنوات عجاف على حد تعبيره في منفاه الذهبي في براغ، وعاد في أواخر العام 1968 إلى بغداد واستقبل استقبالاً شعبياً ورسمياً حافلاً.

في تلك الفترة اضطر مظفر النواب الى الهروب من العراق بعد العام 1963 الى ايران، ومكث فيها بضعة أشهر قبل أن يلقى القبض عليه ويسلّم الى السلطات العراقية، ولعل قصة هروبه هي التي دوّنها في ملحمته الرائعة «وتريات ليلية»، وقد أصدرت عليه احدى المحاكم العراقية حكماً بالسجن لـ 20 عاماً قضاها بالدرجة الاساسية في سجن نقرة السلمان الصحراوي، ثم في سجن الحلة، حيث تمكّن من الهرب منه في قصة النفق الشهيرة في خريف العام 1967، وبعد 17 تموز/يوليو 1968، أعيد إلى وظيفته حيث كان قد فصل منها بعد 8 شباط/فبراير 1963، لكنه اضطر للهجرة إلى خارج العراق إثر تجدد عمليات الاعتقال والإرهاب.

وبحكم صداقتي للجواهري والنواب، كنت ألحظ أن العلاقة تمتاز بالمودة والاعجاب، فالنواب يكنّ احتراماً كبيراً وخاصاً للجواهري ولمنزلته الإبداعية والثقافية ولموهبته الشعرية الريادية، والجواهري يعتبر النواب أبرز الشعراء الشعبيين المجددين، كما ينظر بإعجاب إلى مواقفه النضالية وشخصيته الدمثة والمحببة، وظل حبل الود بين الطرفين متيناً حتى وفاة الجواهري في 27 تموز/يوليو 1997، وإن اقتصرت اللقاءات على المناسبات أحياناً في براغ وطرابلس ودمشق.

وفي العام 1970 زار مظفر النواب براغ لبضعة أيام وخلال وجوده ضمتنا حفلة في مطعم «أوفليكو» محل البيرة السوداء الذي احتسى فيه نابليون البيرة عندما احتل براغ في أوائل القرن التاسع عشر، والطريف أن الساعة التي تزيّن واجهة المطعم قد أوقفت عقاربها وظلت واقفة لحد الآن لتحمل توقيت احتلال نابليون للعاصمة التشيكية وهو تاريخ مشوب بالمرارة، وألقى النّواب بعضاً من قصائده في جلسات خاصة رافقه خلالها الصديق جعفر ياسين، الذي غنّى بعض قصائده، بصوته الجميل.

التقى مظفر النواب بالجواهري، في مقهى «سلوفانسكي دوم» الشهير الذي كان بمثابة مقر للجواهري، يرتاده كل يوم تقريباً، حيث تزدان «مدينة براها «براغ» وكأنها «حلم العذراء في يقظتها» جامعة كل الفصول والجمال والحُسن والفتنة، وهي التي يقول فيها الجواهري:

أعلى الحسن ازدهاءٌ وقعت
أم عليها الحسنُ زُهواً واقعا؟
يا لصيف مُمتع لو لم يكن
غيره كان الفصول الأربعا
ممطراً أنّاً.. وريان الضحى
مزهرٌ آناً.. وذاو سرعا
ثم يضيف الجواهري الى فاتنات براغ في قصيدة أهات، بقوله:

مرّت الأسرابُ تترى .. مقطعٌ
من نشيد الصيف يتلو المقطعا
وتفتحن على رأد الضُحى
حُلماً أشهى، وصحواً أمتعا
وتقاسمن الصبا ميعته
وشذاهُ والهوى والمتعا
وتخفّفن فما زدن على
ما ارتدتْ «حواء» إلا إصبعا
رحمتا «لابن زُريق» لو رأى
فلك الأزرار ماذا اطلعا

ويقصد الجواهري هنا «ابن زريق» الشاعر العباسي والإشارة الواردة هنا إلى البيت التالي:

استودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

وقد التقى الجواهري، النواب مرة أخرى بعد سنوات طويلة، وكان ذلك في ليبيا أواخر الثمانينات، حيث زارها الجواهري، بدعوة وجهت له إثر نظم قصيدته «يا أمتي».. يا عصبة الأمم! لمناسبة العدوان الأمريكي ضد الجماهيرية الليبية التي ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى في مكتبة الأسد يوم 1986/4/16، وفي «أسبوع الثقافة العراقية». وقد نشرت القصيدة للمرة الأولى في كتابنا «الجواهري: في العيون من أشعاره» وهي مؤلفة من 15 بيتاً. يقول فيها:

إني لأسأل «قادة» أذنبا
يتخارسون بحجة الصمم
فيم الحياة، ترى، إذا عريت
من أخذ ثار عن دم بدم؟
ينفرجون على مقابحهم
إذ يدعون محاسن الشيم
فلئن تعابثت الجيوش بهم
فلديهم جيش من الكلم

برحيل الجواهري شعر الكثير من المثقفين العراقيين لاسيما في المنافي ومنهم مظفر النواب، بأن عموداً من أعمدة الشعر العربي قد هوى وأن نجماً من نجوم الثقافة العراقية قد انطفأ.

---

* باحث ومفكر عربي

الديموقراطية: أزمة وعي أم أزمة ثقافة؟

عبد الحسين شعبان(*)

(*) كاتب عراقي

انشغلت النخب السياسية والثقافية والفكرية والدينية في العقدين الماضيين في الحديث عن الديموقراطية وضرورتها، باعتبارها المفتاح السحري الذي يمكن بواسطته تجاوز «المحنة» القائمة وتحقيق التنمية، أو كونها خشبة خلاص او منقذ لمعالجة أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لكون ما اضطلعت به أطروحات الخلاص الأيديولوجية الاشتراكية من جانب التيار الماركسي، والوحدة العربية من جانب التيار القومي العربي والثورة الاسلامية من جانب تيار الاسلام السياسي، من رؤية تبشيرية قد وصلت الى طريق مسدود، فهل يمكن تعويض الحلم المفقود بالفردوس الموعود، لمجرد رفع يافطة الديموقراطية او التشبث بأذيال النعيم الديموقراطي لمواجهة جحيم الواقع المأسوي؟

رغم التحولات الديموقراطية التي حصلت في العديد من دول العالم منذ أواخر الثمانينات، ما زالت منطقتنا تفتقر الى ابسط مقومات الديموقراطية، خصوصاً باستمرار ظاهرة الاستبداد على نحو مشين، وتعاظم تفاوت توزيع الثروة، حيث الغنى الفاحش والفقر المدقع، ناهيكم عن تدني مستوى التعليم وشحة المعارف وتراجع التنمية واستمرار تدهور اوضاع المرأة والأقليات وهو ما كشفته، على نحو شديد، تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة.

ولم تكن النخب الفكرية والثقافية والسياسية هي الوحيدة الداعية للديموقراطية والمبشرة بها وتعظيم شأنها بل هناك قوى دولية دخلت على الخط، بعد اخفاق مشاريع الخلاص السابقة وانسداد افق تجارب الخمسينات والستينات والسبعينات لما أطلق عليه دول وحركات التحرر الوطني، ولكن هل يكفي مجرد رفع «خطاب ايديولوجي جديد» حامل لوعد أكثر من كونه حاملاً لبرهان، كفيل باعتباره وصفة علاجية شافية حتى بعدم اكتمال شروطها؟

وهل الديموقراطية «برسم القطف» لمجرد رفع شعارات وانتظار نتائج سريعة لاحداث التنمية المنشودة من دون شروط ومستلزمات ذاتية وموضوعية، وحسبما يبدو فانها لم تنضج بعد، بل لعلها لم تزرع في العديد من البلدان العربية وان تم بذرها أحياناً في بعض منها، ولهذا لن تكون مفتاحاً سحرياً لفتح جميع الأبواب الموصدة المفضية الى جميع الطرق المغلقة من دون تهيئة الشروط العامة والخاصة بما فيها البيئة الثقافية والاجتماعية واحداث التراكم الطبيعي التدريجي التاريخي وبما يتناسب درجة تطور كل مجتمع.

من جهة أخرى فان القوى الدولية التي روجت للتغيير الديموقراطي وبخاصة في أوروبا الشرقية في أواسط الثمانينات لم يكن من مصلحتها احداث التغيير المنشود في منطقتنا، ولهذا السبب انكسرت رياح التغيير عند شواطئ البحر المتوسط وغدت من أكثر مناطق العالم بعداً عن الاصلاح والتغيير. وعادت الولايات المتحدة ودول أوروبية، بعد احداث ١١ ايلول الارهابية الى الحديث عن الديموقراطية والاصلاح، بل انها لم تتوان عن مساعيها لفرض الديموقراطية من الخارج احياناً وبقوة السلاح في احيان أخرى، تحت باب الشرق الأوسط الكبير او مشاريع الاصلاح ومبادرات التغيير أو الشرق الأوسط الجديد، او غيرها، دون اكتراث باستعداد المجتمع ودرجة تقبله وبالتالي تطوره التدريجي خصوصاً بحساسيته ازاء الأجندات الأجنبية.

وجرى الحديث علناً عن ربيع الديموقراطية ونعيم الحرية والرفاه الاجتماعي الذي يمكن ان يعم ليصبح هذا المجتمع او ذاك نموذجاً يحتذى به، شريطة التخلي عن خصائصه وتكوينه الثقافي واستعداده للانخراط ضمن المشاريع المصنوعة خصيصاً.

وعندما أصبحت الديموقراطية مساراً كونياً واستحقاقاً لا مفر منه، خياراً أو اضطرار فان العديد من الحكومات العربية قد اخذت تدعو للديموقراطية لأنها لا يمكن لها الانعزال أو العيش داخل ستار حديدي، ولكن هذا الامر حتى وان كان من باب مجاراة الموجة العالمية فانه شكل هاجساً لها وهامشاً مناسباً لمعارضتها احياناً، وان يفترض البعض ان الامر لمجرد تلميع صورتها أو رضوخ للضغوط الخارجية وبخاصة امام المجتمع الدولي او دفاعاً عن نفسها. ومهما كانت المبررات فان جدلا ونقاشا كانا قد اثيرا على نحو واسع ساهمت فيه الحكومات والحركات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني بشأن السبل المناسبة لانتهاج طريق التحول الديموقراطي وهو امر مرغوب ومطلوب وان كان هناك عقبات وتحديات تواجهه، وعوامل كبح قانونية واجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها داخلية وخارجية.

الوجه الآخر للاشكالية هو أن بعض احزاب المعارضة المستلبة من حكوماتها اكثرت في خطابها من استخدام مصطلحات الديموقراطية والاصلاح والتغيير، ولعل هذه الدعوة تشكل وسيلة للضغط على الحكومات او لكسب قوى الخارج او تعويضاً لشيء مفقود او غير ذلك، حتى وان كانت هذه الأحزاب ذاتها لم تستخدم الديموقراطية في علاقاتها الداخلية وبخاصة مع أعضائها وهناك شكاوى مريرة، ناهيكم عن علاقاتها مع القوى الأخرى.

ولم يشذ عن ذلك ان بعض مؤسسات المجتمع المدني التي يفترض ان تكون مدارس تنويرية ونوافذ واسعة للتدريب والتأهيل على الفكرة والممارسة الديموقراطية تعرضت هي الأخرى الى المساومة والابتزاز والخضوع للأجندة الخارجية أحياناً بهدف الحصول على التمويل او مارست هي الأخرى ما تمارسه الحكومات من تشبث قياداتها في المواقع أو لجوئها لأساليب غير ديموقراطية، خصوصا وانها ظلت محاصرة أو مقموعة أو غير مرخص لها من جانب الحكومات.

ومع كل هذه الدعوات وكثرة الحديث عن الديموقراطية ورغم بعض الارهاصات والخطوات الايجابية التي تحققت في بعض البلدان مثل المغرب والاردن واليمن والبحرين وموريتانيا اضافة الى وجود هامش مهم في لبنان والكويت والى حدود معينة في مصر وحراك في العديد من الدول العربية، باتجاه اقرار التعددية والسماح بحرية التنظيم والتعبير والحق في المشاركة السياسية، فان بلداننا لا تزال تفصلها هوة سحيقة عن الديموقراطية.

في الواقع تحتاج الديموقراطية الى بيئة وتراكم وتطور تدريجي طويل الأمد، وهي بحاجة الى نزع جذور التسلط في الثقافة السائدة، سواءاً كانت اقتصادية أم اجتماعية أم موروثاً دينياً سلبياً أم عادات ام تقاليد، للتخلص من ثقافة الاكراه السائدة في الحكم والمجتمع والعمل والمدرسة والحزب والمؤسسة الدينية والأسرة.

الراية الأحد ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - ١٨ يونيو ٢٠٠٦م - العدد (٨٨٠٧) حوارات E 2006 - NO. (8807)

في حوار لـ «الراية الاسبوعية» حول المشهد الشيعي وتجلياته

المفكر عبد الحسين شعبان: خطر الـ... يكمن في محاولتها إقصاء وتهميـ...

نعم هناك امتدادات إيرانية متنوعة في العراق سياسياً ومذهبياً واستخباراتياً وأمنياً

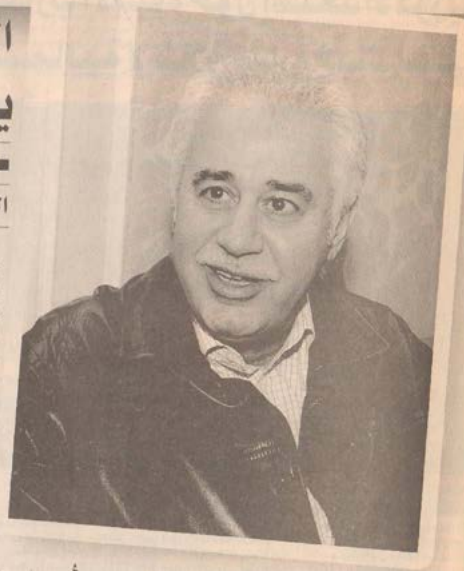

الدوحة - الراية الاسبوعية: ينتمي الدكتور عبد الحسين شعبان المفكر العراقي الى أسرة شيعية عراقية من النجف ومع ذلك لا يؤمن بالطائفية التي بات خطرا على هوية العراق ولكنه لا ينسلخ عن انتمائه المذهبية ويرى ان الطائفة الشيعية وليست الطائفية لعبت دورا حيويا في تاريخ العراق والدفاع عن عروبته وما زالت تمارس هذا الدور وهو يميز على هذا الصعيد بين القيادات الشيعية التي استغلت الانتماء الى المذهب والدين لاغراض سياسية وبين القاعدة العربية من المنتمين للمذهب الشيعي. وخلال زيارته للدوحة مؤخرا طرحت الراية الاسبوعية عليه عددا من اسئلة الساعة فيما يتعلق بالمشهد الشيعي في العراق وتجلياته الاقليمية وهنا حصيلة اجاباته عنها:

العروة Al-Urwa

محاضرات

الصهيونية تساوي العنصرية

محاضرة الدكتور عبد الحسين شعبان حول الانتفاضة

دعا الدكتور عبد الحسين شعبان في محاضرته إلى إحياء فكرة مساواة الصهيونية بالعنصرية، تلك التي وردت في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥.

جاء ذلك في إطار محاضرة نظمتها (الجمعية الثقافية العربية) بالتعاون مع (المنظمة العربية لحقوق الانسان) في لندن. في ديوان الكوفة بعنوان (الانتفاضة الفلسطينية وحقوق الإنسان) ٢٠٠٠/١٢/١٥.

وتحدث السيد شعبان وهو الأمين العام السابق للجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة ٣٣٧٩ (اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية) عن المفارقة التاريخية حين يصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يمثل حسب رايه الشجرة التي تفرعت منها مواثيق حقوق الإنسان الدولية ويعتبره أهم وثيقة دولية في القرن العشرين. وفي الوقت نفسه يتم تشريد الشعب العربي الفلسطيني من دياره عام ١٩٤٨.

وتناول المحاضر بعض دلالات الانتفاضة الفلسطينية الراهنة وأبعادها وإشكالية حقوق الانسان المزمنة في الصراع العربي الإسرائيلي. كما تناول إجواء القنوط العربية وحالات اليأس والتشاؤم التي سبقت اندلاع الانتفاضة، وردود الفعل العربية والإسلامية والدولية.

د. عبد الحسين شعبان وعلى يساره امجد السفليتي

وأشار المحاضر إلى أن الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة والتي تستمر منذ ٢٨ سبتمبر الماضي وحتى الآن قد كشفت أن طريق السلام البارد قد وصل إلى ذروته ولابد من التفكير بأطر جديدة تستجيب لمطالب الحد الأدنى من الشعب العربي الفلسطيني بما ينسجم مع (الشرعية الدولية) ويستند إلى حق تقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة مشدداً على ضرورة الحماية الدولية للشعب الفلسطيني وأهمية شحذ كل الطاقات والإمكانات لإدانة المحتل الإسرائيلي بإرسال بعثة تحقيق دولية نزيهة، والسعي لتقديم المتهمين بارتكاب الجرائم إلى القضاء الدولي. خصوصا وأنها جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب لا تسقط بالتقادم.

وفي محور خاص حول القرار ٣٣٧٩ أشار الدكتور شعبان إلى الأهمية التاريخية حيث تصادف هذه الأيام مرور ربع قرن على إصداره. وفي الوقت نفسه نوه إلى السابقة القانونية الخطيرة التي هي أقرب الى الفضيحة من جانب الأمم المتحدة حين قامت بالغاء القرار في ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩١.

وقال شعبان أن القرار يشكل ضربة للفكر الصهيوني وأطروحاته حول التفرد التاريخي و(انبعاث الأمة العالمية - اللامكانية) و(التفوق اليهودي) وأشار إلى أن هذا التطور في الأمم المتحدة ترافق مع النجاحات التي حققتها م.ت.ف في المحافل الدولية والدبلوماسية حيث اعترفت بها الأمم المتحدة كعضو مراقب دائم في العام ١٩٧٤.

وأشار المحاضر إلى أن إسرائيل عملت على إعدام القرار منذ اليوم الأول لصدوره وأن رئيسها هيرتسوغ الذي كان قد مزق القرار في الأمم المتحدة يوم صدوره حين كان ممثلاً لدولة اسرائيل. أقسم وتعهد أن لا تنتهي ولايته الا ويكون القرار قد قضي نحبه.

نطرق إلى أن الاشتقاقات القانونية للقرار هي التي تخيف إسرائيل التي لا تكترث كثيراً للقرارات الدولية، لكنها أثارت ضجة كبرى حول هذه القرار، لأنه ساوى بين الصهيونية العقيدة السياسية لاسرائيل وبين العنصرية، بما يثير علامة استفهام كبيرة حول وجود اسرائيل وشرعية استمرارها.

وكان الأستاذ أمجد السلفيتي قد أدار الندوة ونظم النقاش وقال في كلمته لتقديم الدكتور شعبان أنه (باحث حقوقي ومثقف يشتغل على الكثير من الملفات وهو ينتمي إلى جيل المجددين العرب. وله مساهمات فكرية ومناظرات وآراء أثارت نقاشاً واسعاً .. وقد جمع بين صفة المفكر وخاصية الأدب والثقافة .. مراوحاً بين الحقوقي والثقافي والسياسي..)

وحضر الندوة جمهرة من المثقفين والكتاب والصحافيين العرب. وتوجه الحضور إلى ضرورة تأسيس لجنة في بريطانيا تدعو لإحياء فكرة القرار ٣٣٧٩ وهو آخر ما يمكن تقديمه للانتفاضة الراهنة على الصعيد الدولي.

الطليعة
أسبوعية - سياسية - جامعة
صدر العدد الاول في 22 يونيو 1962
رئيس التحرير: عبدالله محمد النيباري

في حوار أجرته "الطليعة" خلال زيارته الأخيرة للكويت(1)
د. شعبان: مقابرنا الجماعية غير المعلنة سابقا أصبحت اليوم علنية في الطرقات وفي المزابل

د. عبدالحسين شعبان

د. عبدالحسين شعبان في ضيافة "الطليعة" يتوسط د. أحمد الخطيب والزميل فراس حسين

- إذا كانت الحكومة لا تستطيع حماية نفسها، كيف إذا ستحمي الدولة والمجتمع؟!
- محاكمة صدام لم تستوف الشروط القانونية ومحاور تحقيق العدالة
- إيران تريد من العالم أن يعترف بها كدولة إقليمية كبرى
- في الولايات المتحدة ديمقراطية لكنها لم تجلبها للعراق وأفغانستان
- المعضلة الرئيسية هي: كيف ومتى سيتم الانسحاب من العراق؟
- قد تكون الحكومة شرعية ووطنية لكنها غير جديرة وغير كفؤة
- المشهد العراقي يشعرني باكتئاب كمثقف وكرجل قانون أحمل المسؤولية لقوات الاحتلال

أجرى الحوار فراس حسين:

ضمن زيارة قصيرة استغرقت ثلاثة أيام، استطاعت "الطليعة" أن تجري حواراً مطولا مع المفكر والباحث في القضايا الاستراتيجية العربية و الدولية د. عبد الحسين شعبان.

وتنوعت ميادين الحوار مع المفكر العراقي بناء على فقهه الكبير بكثير من الجوانب الثقافية بجانب تحليلاته السياسية والتي وضعناها كبوابة رئيسية لمحور المقابلة.

د. عبد الحسين شعبان أديب وناقد يدعو للحداثة و التجديد قبل أن يكون قانونياً وسياسياً ومحللاً استراتيجياً معروفاً، وحائزا على وسام وجائزة أبرز مناضل لحقوق الإنسان في العالم العربي لعام 2003 ، كما ساهم بفكره الغزير بترك ثروة كبيرة من المؤلفات والبحوث في المكتبات العربية.

وفي حوارنا مع المفكر العراقي تطرقنا لرؤيته المستقبلية لأحوال المنطقة بدءا من العراق وقضاياه الثقيلة وانتهاءاً إلى حال المنطقة في ظل الملف النووي الإيراني. كما استوضحنا منه مصطلحاته الحديثة التي أثمرت من شجرته النقدية للتطرف الديني.

واستقصينا رأيه الصريح كمناضل في حقوق الإنسان حول حكم إعدام الطاغية الصادر مؤخرا. لنخرج في نهاية المطاف من الميدان السياسي إلى الميدان الفكري و الأدبي بأسئلة متنوعة حاولنا أن نكتشف

« الطليعة » تحاور
رئيس المنظمة العربية
لحقوق الإنسان في بريطانيا

د. شعبان: إصلاح أنظمة الحكم وتعميق الديمقراطية.. جوهرا المرحلة الراهنة

تعريف

- د. عبدالحسين شعبان، يشغل منصب رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا .
- باحث قانوني وكاتب.
- صدر له العديد من المؤلفات منها:
  - النزاع العراقي - الإيراني.
  - الصراع الايديولوجي في العلاقات الدولية.
  - الصهيونية المعاصرة والقانون الدولي.
  - القضايا الجديدة في الصراع العربي الإسرائيلي.
  - أمريكا والإسلام.
  - المحاكمة... المشهد المحذوف في دراما الخليج.

في ضوء "النفط للغذاء"

٦٨٨ القرار اليتيم والتائه

عبدالحسين شعبان *

* كاتب وباحث عراقي

الحياة

الاربعاء ٣ تموز (يوليو) ١٩٩٦ الموافق ١٧ صفر ١٤١٧هـ/العدد ١٢١٨٢

المفكر العراقي عبد الحسين شعبان

لـ «المحرر العربي»:

اميركا لا تريد ديموقراطية في العالم العربي

لأن الديموقراطية ستكون مناهضة لإسرائيل

المثقف ناقد اجتماعي وعليه أن يتدبر أمره

- رياح التغيير التي هبت على أوروبا الشرقية تكسرت موجاتها على شواطئ المتوسط
- كي نصبح على مستوى الحوار مع «الآخر» علينا وضع حد لنهج التأثيم والتجريم والتهميش والعزل
- السلطات ابتلعت مثقفين كباراً، عربياً وعالمياً، عبر عمليات التطويع والترويع والتدجين
- نحتاج الى حوار بين النخب العربية كي يعترف أحدنا بالآخر، فننظم وسائل وظروف الاختلاف
- علينا ان نتفاعل مع الحضارة الكونية كي نستطيع رفدها بقيم ومفاهيم نعتز بها

المحرر العربي
بعض الكلام في زمن الصمت بعض الحقيقة في زمن الخوف
العدد (349) 14 ـ 20 حزيران/ يونيو 2002 No (349) 14 _ 20 June
رئيس مجلس ادارة مؤسسة المحرر العربي المدير العام ـ رئيس التحرير : نهاد القادري

10 المغرب السياسي المغرب // الخميس 15 ديسمبر 2011

الباحث والمفكر العراقي عبد الحسين شعبان

الديمقراطية تبنى بالمؤسسات والذين يدخلون هذه المؤسسات ليسوا بالضرورة ديمقراطيين

عمر بو دربالة يحاور المفكر عبد الحسين شعبان (من/المغرب)

«كاد يكون العالم العربي استثناء حتى يتحول نحو الديمقراطية وسيادة القانون لكن الثورات العربية كسرت هذا الاستثناء وتحول المستحيل حقيقة» هذا أبرز ما خلص له الباحث العراقي عبد الحسين شعبان في قراءته لما حدث من تغييرات جذرية في العالم العربي، آفاق التغيير الديمقراطي وانعكاس هذا التغيير على القضية الفلسطينية وعلاقة الأنظمة الجديدة بالغرب وغيرها من المحاور كانت ضمن سياق الحوار التالي:

• ما تفسيرك لمجمل التغييرات التي هزت العالم العربي؟

دعنا نقول إن هذا الذي حصل هو جزء من قانون التطور الطبيعي للقانون البشري خصوصا وأن هناك استحقاقات للانتقال الديمقراطي لاسيما في المنطقة العربية التي بدت وكأنها استعصاء أو استثناء فقد تأخرت قضية التحول والانتقال الديمقراطي أكثر من عقدين من الزمان.

للأسف الشديد موجة التغيير الديمقراطي انكسرت عند شواطئ البحر الأبيض المتوسط لأسباب تتعلق بوجود إسرائيل ووجود النفط وخوف الولايات المتحدة والقوى المستبدة دوليا من أن تفلت الثورة النفطية إلى أياد أخرى الشيء الآخر عدم تهيئة الظروف لاسيما بصعود الإسلام السياسي وصعود بعض التنظيمات الإرهابية بعد انتهاء الحرب في أفغانستان.

• هناك من يعتبر ما حصل إخراجا حقيقيا للنخب العربية؟ والتساؤل أين المثقف العربي؟

ما حصل تجاوز الجميع من نخب فكرية ودينية وسياسية، ما حصل شيء جديد غير مألوف كنا نقول في السابق إن الثورة يجب أن تكون لها نظرية ثورية وإذا بالثورة تحدث بسبب الواقع المزري المتخلف كنا نقول لابد من حزب، قيادة ملهمة أو قائد أو زعيم وإذا الثورة لها قيادة جماعية هم جيل الشباب المتفتح معرفيا، كنا نقول تصدع على مستوى عالمي وعربي أشد وأبشع، مرحلة البترودولار دفعت العديد من المثقفين إما إلى الانحناء أمام السلطان أو تزويق خطابه الإيديولوجي الذي جاء مرادفا للقمع البوليسي أو الانزواء فتكون قد خسرناهم و إبداعهم بالابتعاد عن القضايا المصيرية كالحريات. هذا ما يجعلنا أمام سؤال كبير عن ماهية دور المثقف ووظيفته.

الوسيلة الإبداعية للمثقف هي المعرفة والمعرفة سلطة وقوة توازي القوة العسكرية والبوليسية . على المثقف ألاّ يتخلى عن سلطته وإلا خسر نفسه.

• هناك من اعتبر هذه الثورات إعلانا لفشل المشروع التحديثي العربي ؟

كلا على العكس من هذا هذه الثورات جاءت استمرارية وتواصلا لضرورة وجود مشروع تحديثي عربي وهنا أقصد مقدمة جديدة للمشروع النهضوي العربي، المتكون من الوحدة مقابل التجزئة والعدالة الاجتماعية مقابل الاستغلال، التنمية في مواجهة التخلف، الاستقلال السياسي والاقتصادي في مواجهة التبعية الديمقراطية في مواجهة الاستبداد والنقلة الأخيرة والمهمة تتعلق بالتجدد الحضاري والتواصل الإنساني في إطار المشتركات. هذه المشتركات مهمة في إعلان هذا التواصل ضمن إطار المشروع النهضوي العربي الجديد الذي يمكن أن يسهم مساهمة فعالة وجدية..

• هناك من اعتبر الثورات مدفوعة من أطراف اقليمية وخارجية كيف تفسر رواج نظرية المؤامرة؟

بقدر ما كانت هناك مشتركات بين الشعوب كانت هناك مشتركات بين الأنظمة، كل الأنظمة اتهمت حركات التغيير والاحتجاج بأنها تنفذ مؤامرة أجنبية وأن قياداتها وغرفة عملياتها الرئيسية موجودة في واشنطن وفي تل أبيب .

إن ما حصل في البلدان العربية جاء نتيجة تراكم طويل الأمد لحركات ثقافية الخارج علما بأن بعض الحكام كانوا هم من ينفذون ارادة الخارج، شيء آخر لو لم تكن التربة صالحة والبيئة مناسبة داخليا، لما نجحت هذه الثورات لكن كان هناك إصرار كبير على عملية التغيير خصوصا بانتقال الخوف من المحكومين إلى الحكام أنفسهم. لهذا أرى شخصيا هذه الحركات، حركات أصيلة شعبية داخلية بامتياز جاءت بعد تراكمات طويلة الأمد وزرعت في بيئة صالحة الأمر الذي أدى إلى أن تزهر وتنضج.

• راج تفاؤل كبير بجلخلة القضية الفلسطينية لكن هناك من يعتبر التحدي الاول للثورات هو التنمية وليس تحرير فلسطين؟

دعني أقول لا هذا ولا ذاك، لا تفاؤل ساذج ولا تشاؤم محبط القضية الفلسطينية دون أدنى شك ستتحلحل وستأخذ مسارات أخرى ولكن ليس بالضرورة أن تكون القضية الفلسطينية هي أول المهمات التي سيتصدى لها الثوار بعد عملية التغيير ستكون جزءا من مكون رئيسي ولكنه لصالح القضية الفلسطينية ولصالح الفلسطينيين قياسا بالوقت الذي سبقه ستسعى شعوب هذه البلدان التي وقعت فيها ثورات إلى تعديل موازين القوى سياسيا واقتصاديا، هذه الأمور في غاية الأهمية لكنها لا تأتي دفعة واحدة، تأتي بناء على معادلات وتداخلات واستقطابات في الوضع الداخلي لكل بلد من جهة والوضع الدولي أيضا.

• هذا يعني أن الانظمة الجديدة ستقع فريسة المطالب الشعبية الجارفة التي تدعو إلى تحرك عملي يردع اسرائيل؟

دعني أقول لا يمكن الاستسلام لثقافة الشارع ، لابد من أخذ هذه المسألة بمسؤولية علمية وفكرية وسياسية تأخذ بعين الاعتبار المصالح العليا للبلد، دخول حرب دون التحضير لها يعني الانتحار، لا يمكن الاستجابة للعواطف أحيانا أو الاندفاعات غير بالضرورة للتنفيذ بل هي للاستهلاك المحلي. على سبيل المثال جماعة العريضة تحصلوا على 27 مقعدا بسبب طرحهم لمطالب ذات أبعاد شعبوية قالوا بمائتي دينار للعاطلين عن العمل، قالوا بالضمان الصحي المجاني لجميع المواطنين، وقالوا إنهم مع دستور عصري ديمقراطي بخلفية إسلامية فهم غازلوا الشارع بشعارات ذات أبعاد شعبوية ذكية ليست للتطبيق هم يعرفون أنهم حتى في حال انتصروا وحصلوا على كل المقاعد فذلك لا يعني أنهم سيطبقونها، الأمر يحتاج إلى تهيئة مستلزمات وإحداث نوع من التراكم المالي ورصد ميزانيات، لأنها تكلف مئات المليارات وهكذا سيحصل للقضية الفلسطينية من قبل هذا الفريق او ذاك هذا التكتيك السياسي فيه براعة من الجميع لأنه لابد من الامتثال إلى صخرة الواقع، دون معرفة الواقع والتعامل معه سيفشل الجميع.

• لكن يبدو أن هذا التكتيك متواصل في العديد من المسائل الجدلية كخيار الدولة المدنية؟

جميع القوى الآن خصوصا في ظل هذه الاصطفافات تبحث عن التوافق الذي لا يمكن معه إلغاء أو إقصاء الآخر حتى وأن حصلت على الاغلبية لأن هناك توازنات ومراكز قوى واستقطابات تظهر وتتفاعل مع بعضها البعض في ظروف الانفراد أو محاولة الاستئثار بالسلطة، ليس بالضرورة أن الذين يدعون للدولة المدنية أو الدولة الدينية هم يقصدون نفس القصد يعني هناك من يقول إنه مع دولة مدنية ديمقراطية دستورية يوافق عليها الجميع لكن ليس بالضرورة أن يكون مؤمنا بها سواء كان ليبراليا، أو إسلاميا، أو ديمقراطيا، أو راديكاليا، نسمع أحيانا من يقول أن الديمقراطية لا تبنى إلا من خلال الديمقراطيين هذه أيضا محاولة إقصاء.

الديمقراطية تبنى بالمؤسسات والذين يدخلون هذه المؤسسات ليسوا بالضرورة ديمقراطيين لأن المؤسسة

إن ما حصل في البلدان العربية جاء نتيجة تراكم طويل الأمد لحركات ثقافية وسياسية ونقابية

جدلية العلاقات العربية – الكردية

التهديدات والتحديات

فسحة من الحوار والنقد والنقد الذاتي

الدكتور عبد الحسين شعبان*

*مفكر وباحث استراتيجي – العراق

خبير في ميدان القانون الدولي وحقوق الانسان

الملتقى الثقافي للحوار العربي – الكردي

17 – 20 (سبتمبر) 2004

اربيل – العراق

Dr_shaban21@hotmail.com

الدكتور عبدالحسين شعبان في لقاء مع « المنار الكردي»:

الفيدرالية ليست بديلاً عن حق الشعب الكردي في تقرير المصير

يعتبر الدكتور عبدالحسين شعبان، رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان، أحد الوجوه البارزة في الحركة الوطنية والديموقراطية العراقية. وله مواقف متميزة في نصرة الشعب الكردي والعمل من أجل مستقبل عراقي مشرق. وهو في نفس الوقت باحث قانوني وله مؤلفات كثيرة. وقد التقيناه فأجابنا مشكوراً:

-) يمكن القول ان القضية الكردية هي من احدى اهم القضايا القومية و السياسية في منطقة الشرق الاوسط. وقد جرت لفترة طويلة عملية تعتيم كبيرة على اهمية تلك القضية، بل تم التعتيم ايضا على ما كان يتعرض له الشعب الكردي في العراق من ماسي و كوارث قومية مفجعة. الا ان التطورات السياسية و النهوض القومي التي شهدها العالم بفعل اندفاعة النظام العالمي الجديد و الاوضاع التي افرزتها حرب الخليج الثانية بعد غزو العراق للكويت وانتفاضة اذار في جنوب العراق و كردستانها وقدرة القادة الاكراد على استثمار الاوضاع الجديدة لصالح شعبهم، دفعت بالقضية الكردية الى مقدمة القضايا السياسية في المنطقة. كيف تقيمون انتم اهمية تلك القضية، وتداخلاتها مع باقي القضايا السياسية في العراق و المنطقة؟

×) اعتقد ان التعتيم الذي تعرضت له القضية الكردية بما فيه التعتيم على الماسي الكبرى التي تعرض لها الشعب الكردي سواء عند قصف قضاء حلبجة بالسلاح الكيمياوي عام ١٩٨٨ او في عمليات الانفال السيئة الصيت والتي راحت ضحيتها نحو ١٨٠ الف مواطن كردي بريء على ايدي السلطات الحكومية في العراق كان له اسباب داخلية و عربية و أقليمية ودولية، وكانت هذه الاطراف لها مصلحة جميعا في السابق في غض الطرف عما يعانيه الشعب الكردي ولكن بعد تجاوز النظام العراقي الخطوط الحمراء في اعقاب الحرب العراقية الايرانية وجنوحه الى الاستهتار بالقيم و الاعراف و القوانين الدولية فضلا عن أن القوى الدولية التي قدمت له الدعم و الاسناد في السابق قد ضاقت به ذرعا بعد مغامرته الجديدة بغزو الكويت و اعلان ضمها قسرا متجاوزا بذلك على الشرعية الدولية و أسس و معايير النظام العالمي الجديد الذي فرض موازين جديدة للقوى بعد غياب الاتحاد السوفيتي و انهيار الكتلة الشرقية و انتهاء عهد الحرب الباردة و القطبية الثنائية و تكريس الولايات المتحدة كقوة كبرى أولى لها اليد الطولى في تسيير الشؤون الدولية ولهذا وبعد هزيمة النظام العراقي المنكرة في الحرب الخليجية الثانية و التي تخللها بأصرار و عناد لا مبرر لهما على الاطلاق خصوصا ان النتائج كانت محسومة سلفاً، فان القضية الكردية قد برزت الى الواجهة بعد انتفاضة الشعب العراقي سواء في الجنوب و الوسط العربيين أو في شمال العراق الكردستاني، وكانت مشاهد الهجرة الجماعية المرعبة قد هزت الضمير العالمي و حركت مشاعر العطف و التضامن مع الشعب الكردي، وقد لعبت القيادة الكردية دورا بارزا في توظيف تلك القضية العالمية وعلى نحو ماهر وبارع استثمرتها على الصعيد الدولي و الاعلامي خصوصا باقرار العالم ببربرية و همجية النظام العراقي ليس على صعيد حروبه الخارجية بل على صعيد حربه الداخلية المستمرة منذ ربع قرن.

وهكذا احتل الموضوع الكردي مكانة خاصة و جديدة في الوضع الدولي وفي الاعلام العالمي خصوصا عندما تمت الاشارة اليه في القرار ٦٨٨ الصادر من مجلس الامن الدولي في الخامس من نيسان (أبريل١٩٩١) ويذكر ان القرار٦٨٨ يكاد يكون هو القرار الوحيد الذي انتصر للشعب العراقي مباشرة من بين جميع قرارات مجلس الامن مؤكدا على كفالة احترام حقوق الانسان والحقوق السياسية لجميع المواطنين العراقيين وأدان القرار القمع الذي يتعرض له السكان في أجزاء كثيرة من العراق ويعتبر الربط بين القمع الذي يتعرض له الاكراد وبين تهديد السلم والامن الدوليين كما ورد في القرار ٦٨٨ تطورا مهما في القضية الكردية مما يقتضي ليس وقف هذا القمع وحسب بل ايجاد حل لهذه القضية على اساس سلمي و عادل، وتعتبر تلك الاشارة اشبه بالعودة الثانية والجديدة للحضور الفاعل للقضية الكردية منذ معاهدة (سيفر) التي جرى توقيعها في آب (أغسطس) ١٩٢٠ بين دول الحلفاء و الحكومة التركية و التي أكدت على حق الشعب الكردي بالتمتع بشكل من أشكال الحكم الذاتي يمكن ان يتحول الى استقلال تام مع السماح لأكراد كردستان الجنوبية (أكراد العراق) بالانضمام

الكتاب

"لائحة اتهام" حلم العدالة الدولية في مقاضاة إسرائيل

قد لا نحتاج الى كتاب لادانة اسرائيل على ما ترتكب من جرائم، ولا نحتاج الى لائحة اتهام، يكفي ان تقرأ الجرائد اليومية والمجلات وتستمع أو تشاهد وسائل الاعلام حتى تتكون لديك معطيات كثيرة في تكوين مضبطة اتهام. ولا لزوم ان تكون حقوقياً، كي تضع اللائحة يكفي انك تجدها في كل ما يخالف المنطق والمبادئ العامة والانسانية.

ويتدعم موقفك بكلام بليغ للرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر الذي وصف معاملة الفلسطينيين في قطاع غزة، بانها "معاملة الحيوانات" اي ان الاسرائيليين يعاملونهم هذه المعاملة خلافا للاتفاقات جنيف عام 1949 وملحقيها عام 1977.

كتاب "لائحة اتهام – حلم العدالة الدولية في مقاضاة اسرائيل" للدكتور عبد الحسين شعبان (135 صفحة صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية) يحاول ان يظهر مسؤولية اسرائيل اولا، والمجتمع الدولي ثانيا، خصوصا الدول المنفذة فيه الداعمة لاسرائيل عن الجرائم المرتكبة بحسب القانون الدولي. والسؤال: اين المسؤولية العربية؟

تحاول هذه الدراسة ان تبين مسؤولية المجتمع الدولي عن ملاحقة المرتكبين، لئلا يفلتوا من العقاب باستخدام كل الامكانات المتاحة والآليات المتوافرة، فضلا عن ابقاء الحلم قائما وعدم خفض سقفه بصرف النظر عن المساومات والاتفاقات السياسية، طالما ظلت العدالة مغيبة.

كذلك تسعى الى تحديد مسؤولية من ساند العدوان ومنح آلة الحرب الاسرائيلية فرصة الالتفاف على العدالة أو الافلات من قبضتها، واستلاب الحقوق الفلسطينية بعرقلة ادانة المعتدي وعدم تنفيذ القرارات الدولية السابقة القاضية بالانسحاب من الاراضي المحتلة، او العمل على "تأخير" وقف النار او تبرير العدوان بذريعة الدفاع عن النفس التي لا تنطبق على ممارسات اسرائيل، هذه العوامل بنتها الدراسة بغية فضح الحيل القانونية الاسرائيلية والفقه القانوني الاسرائيلي الذي تتعكز عليه.

تدرج الدراسة وثائق وحجج واسانيد وشهادات شهود ذات منشأ اسرائيلي تكشف وقائع الارتكابات المقصودة، بهدف وضع مسؤولية مواجهة الضغوط الصهيونية – الاميركية على عاتق العرب واصحاب القضية الاساسيين وليس على عاتق المجتمع الدولي والدول والشعوب الاخرى، وبعض المسؤولية العربية تتمثل في رأب الصدوع وتفعيل قرارات القمم العربية التي قضت بملاحقة مقترفي جرائم الحرب الاسرائيليين.

لذلك ينبغي المصادقة على ميثاق محكمة روما (المحكمة الجنائية الدولية) الذي دخل حيّز التنفيذ عام 2002، خصوصاً ان دولا عربية وقعته، وبالتالي يمكن طلب التحقيق في جرائم الحرب الاسرائيلية خصوصا ضد لبنان عام 2006 وضد غزة بعد حصارها اكثر من عامين. لكن لماذا لم تتقدم اي دولة عربية بطلب التحقيق؟ ولماذا لم تحرك السلطة الوطنية الفلسطينية – التي قبلت ولاية محكمة روما – دعاوى ضد الممارسات الاسرائيلية تتبع فيها الاجراءات القانونية الواجبة تمهيدا للتحقيق الدولي في هذه الجرائم؟

ولعل المسؤولية العربية تتطلب متابعة محاولات اسرائيل ثني بعض الدول الاوروبية عن قبول محاكمها دعاوى لملاحقة المرتكبين، كما حصل في بلجيكا واسبانيا واخيرا في بريطانيا حيث صدرت مذكرة باعتقال وزيرة الخارجية الاسرائيلية تسيبي ليفني بتهمة ارتكاب جرائم ضد غزة، لكن هذه المحاولات احبطتها الضغوط الاسرائيلية على الحكومات والبرلمانات في تلك الدول.

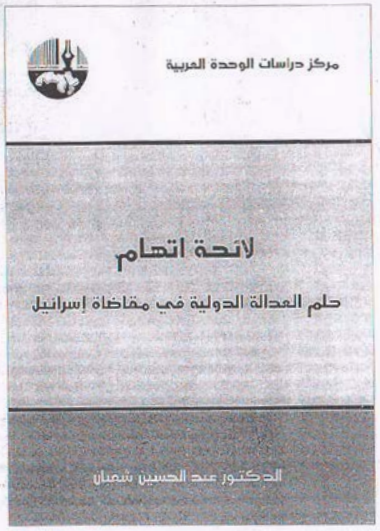

ان احد اهداف هذه الدراسة تبيان مدى ازدواجية المعايير وانتقائية المقاييس التي تتعلق بملاحقة مرتكبي الجرائم الاسرائيليين، اذ يفلت الجناة من قبضة العدالة "بل يمارسون عملية الانتهاك والارتكاب ضد شعب اعزل مهضوم الحقوق بشعور عال من "الاطمئنان"، خصوصا عندما يشعر الجاني بانه في مأمن من انفاذ معايير العدالة".

كيف لا يتمادى المرتكب في جرائمه اذا كانت الامم المتحدة نفسها عاجزة عن التحقيق في ما تعرّضت له مراكزها ومدارسها التابعة لـ"الاونروا" في غزة، ولعلها لم تجرؤ على نشر تقرير بعثتها ونتائج تحقيقاتها، "حتى ان المبان اليتيم الذي نشرته لم يتجاوز اكثر من الحديث الذي اقتصر على تحديد مسؤولية اسرائيل بالاعتداء على ممتلكها الخاص في الاراضي المحتلة".

ان واقع الامم المتحدة وغلبة الفكر الصهيوني – الاميركي على المجتمع الدولي وتلهي العرب وتشرذمهم، كلها تظهر الواقع المأسوي الذي ابرزه المؤلف حيث تغيب العدالة، مستنداً الى ثلاث صور: الاولى تظهر ان وراء كل فلسفة حلماً هو وحده القادر على اظهار ما في الفلسفة من معايير وقيم، خصوصاً اذا تعلّق الامر بالعدالة، الثانية بحثت في الحلم واليوتوبيا لتجسيد صورة العدالة بينهما، حلماً وخيالاً، والثالثة عرضت الواقع وبيّنت وقائعه لتأكيد استمرار تذكّر المأساة التي حلّت بالامة العربية منذ بداية الاحتلال الصهيوني عام 1948.

وخصص المؤلف فصلاً للبحث في موقف القانون الدولي من مقاضاة مرتكبي الجرائم من الاسرائيليين وتحديد المسؤولية الدولية ازاء انتهاكات قواعد القانون الدولي، متوقفاً عند حيثيات العدوان والجرائم الدولية. كما القى الضوء على ادعاءات اسرائيل في الدفاع عن النفس، وخطورة ذلك في ضوء القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة لدحض الفقه القانوني الاسرائيلي الذي يحاول اللعب على الحقيقة وتزييفها لمصلحتها، ثم عرض وثائق التجريم.

ثم بحث في سبل الملاحقة القانونية وخياراتها من خلال الآليات الدولية المتاحة، وقدّم خمسة خيارات لسيناريوات يمكن اعتمادها لتحقيق العدالة بالاستناد الى القضاء الدولي ولا سيما المحكمة الدولية، ورأى انه "اذا لم يكن بامكاننا احالة اسرائيل والمرتكبين على القضاء فلا بد من ابقاء الملف مفتوحاً حتى على الصعيد الشعبي – الدولي المدني".

وخصّ القانون الدولي والشرعية الدولية بفصل، مجتهداً للاجابة عن سؤال: "لماذا لا تلتجئ اسرائيل الى القضاء الدولي بتقديم عدد من المعطيات القانونية والانسانية التي تتعارض وفقهما ومنظوماتها السياسية والحقوقية؟".

وفي اطار الاجابة قدّم شهادات مهمة لشهود اسرائيليين "تؤكد اعترافات ذات قيمة معنوية وقانونية في شأن ارتكاب جرائم حرب، وهي معلومات موثّقة قدّمها جنود اسرائيليون بعد انتهاء الحرب على غزة دون إكراه بقدر شعور البعض منهم بمسؤولية اخلاقية ووجدانية ازاء الضحايا، والمسؤولية عن القيام بأعمال ضد مدنيين ابرياء عزل من غزة".

وسلّط الضوء على اربع قضايا يمكن ان تشكل دليل احالة جديداً على القضاء الدولي، تتعلق الاولى بالاتجار بالاعضاء البشرية وتحديد مسؤولية اسرائيل دولة وافراداً في هذا الشأن، مقارنا قصة الصحافي الاسوجي بوستروم، وما حصل للمفكر السوفياتي المناصر للعرب يفسيف.

وتتعلق الثانية بالجدار الديموغرافي، متوقفاً عند محاولات قضم القدس وتغيير معالمها بما فيها مصادرة المنازل وهدمها وحرف المنازل، اما الثالثة فهي تقرير غولدستون والملابسات التي رافقته، وقلق اسرائيل التي لا تعترف بالقانون الدولي ولا تمتثل لقرارات الامم المتحدة، اخيراً الرابعة تتعلق بقافلة الحرية التي هاجمتها اسرائيل وبمحاكمة قراصنتها في ضوء القانون الدولي.

لا شك في ان ارتكابات اسرائيل الاجرامية منذ عام 1948 كثيرة ويمكن ادانتها في اي منها، لكن ذلك لم يحدث قط، ربما لخلل في القانون الدولي او لتخاذل في المجتمع الدولي او لاضطراب وارباك في المنظمات الدولية او لانكسار وهزيمة في نفوس القادة العرب او لهذه مجتمعة وهو الاصح... وبقيت العدالة ضائعة.

جوزف باسيل

الاستفتاء السوداني: بين الديناميكية والسكونية !

عبد الحسين شعبان

يثير موضوع الاستفتاء السوداني بخصوص حق تقرير المصير للجنوب مواقف متعارضة كل منها يستند الى القانون الدولي، سواء المواقف المؤيدة أو المواقف المعارضة، فماذا يقول القانون الدولي بخصوص مبدأ حق تقرير المصير وبشأن الحالة السودانية تحديداً؟

شغل حق تقرير المصير الفقه القانوني الدولي مثلما انشغل به المجتمع الدولي لعقود من الزمان قبل تأسيس الأمم المتحدة وبعده. ولعل أبرز حدثين تناولا حق تقرير المصير قبل نهاية الحرب العالمية الأولى هما ما جاءت به ثورة اكتوبر الاشتراكية (1917) في روسيا وما تضمنه اعلان الرئيس الاميركي ويلسون في مبادئه الأربعة عشر (1918). لكن المجتمع الدولي لم يفلح حينها في إقراره كمبدأ من مبادئ القانون الدولي في عهد عصبة الأمم (1919). لكن المناقشات التمهيدية لاعلان الأمم المتحدة ولاسيما ميثاق الأطلسي وما بعده جعلته أحد مبادئ القانون الدولي المعترف بها وقاعدة قانونية رفيعة المستوى كما ذهبت الى ذلك محكمة العدل الدولية لاحقاً.

إستندت محكمة العدل الدولية على حق تقرير المصير في الكثير من قراراتها وذلك لاعتباره قاعدة قانونية آمرة وملزمة Jus Cogens. وقد ورد مبدأ حق تقرير المصير مرتين في ميثاق الأمم المتحدة. الأولى في ما نصّت عليه المادة الأولى (الفقرة الثانية) المتعلقة بأهداف الأمم المتحدة حيث جاء فيها: "إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس المساواة في الحقوق، وحقها في تقرير مصيرها"، والثانية في ما نصّت عليه المادة الخامسة والخمسون حين أكّدت "الرغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريتين لقيام علاقات سليمة وودية بين الأمم، مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها، حق تقرير مصيرها".

ولعل المناقشات الأهم حول حق تقرير المصير، كانت بعد تأسيس الأمم المتحدة، وبشكل خاص منذ العام 1950 خلال مناقشة مصير الشعوب والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والمشمولة بنظام الوصاية.

وقد مهّد ذلك لاحقاً الى تقنين مبدأ حق تقرير المصير الذي جاء واضحاً في الإعلان العالمي لتصفية الكولونيالية (الاستعمار) رقم 1514 (الدورة الخامسة عشرة) في 14 كانون الأول العام 1960 والذي نصّ على: حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها. واعتبر الإعلان جميع الأعمال العسكرية أو الإجراءات القمعية ضد الشعوب غير المستقلة، غير شرعية وينبغي أن تتوقف، كيما تمارس هذه الشعوب حقها وحريتها في الاستقلال الكامل وفي السلام.

وإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان The Universal Declaration of Human Rights الذي تبنّته الأمم المتحدة في 10 كانون الأول 1948، قد غفل أو تغافل عن أية إشارة إلى حق

منذ تاريخ نفاذهما تجاه جميع الدول الموقعة عليهما، ناميكم عمّا يتضمناه من قوة معنوية وأدبية، أخلاقية وسياسية، فضلاً عن حجيتهما القانونية بالنسبة للشعوب المطالبة بهذا الحق، على الرغم من عدم شموله الأقليات بتقرير المصير، الأمر الذي قاد إلى تساؤلات حول مدى تطبيق النص الوارد في المادة 27 من الميثاق، ارتباطاً بالمادة الأولى التي تحدثت عن حق تقرير المصير.

ولعل ثمة اختلافات فقهية بخصوص النص ومدى شموليته، ناميكم عمّا ذهبت إليه الأعمال التحضيرية والتي تفضي قراءتها وتدقيقها إلى اعتبار النص حقاً شاملاً، لاسيما تجاوز الحالة الاستعمارية الواردة في القرار 1514 الصادر في 14 كانون الاول 1960 إلى ما بعدها، أي استمرار وظيفة حق تقرير المصير حتى بعد الحقبة الاستعمارية، إذا خلا العالم من الاستعمار، وإذا كان ما ورد يفيد المستعمرات، إلاّ أن الشعوب يمكنها الاستفادة منه أيضاً، حتى بعد أفول نجم الاستعمار!

ويرى بعض فقهاء القانون أن تطبيق حق تقرير المصير يقتصر على الشعوب الخاضعة والمستعمَرة فقط، أما بعضهم الآخر فيرى أنه حق شامل لجميع الشعوب بتخطّي مرحلة الاستعمار، أي عكس الفريق الأول الذي يقصره على الاستعمار، ولا يريد أن يمتد ليشمل الدول المستقلة ذات السيادة أو على قسم من الشعب أو الأمة، التي هي جوهر فكرة الوحدة الوطنية الإقليمية للدولة، وهو الرأي الذي تقول به الهند، في حين أن هولندا قالت بشمولية النص وهو ما تبنّته الأمم المتحدة لاحقاً في العام 1984 (لجنة حقوق الإنسان)، ومع ذلك فهناك أكثر من قراءة للنص تبعاً للمصالح السياسية ولتوازن القوى، لاسيما لجهة النفوذ الدولي، وخصوصاً بعد انتهاء عهد الحرب الباردة والقطبية الثنائية في العلاقات الدولية.

وإذا كان ثمة تبريرات نظرية وقانونية لمثل هذه الإشكالية، فإنها تعود إلى الفروق بين ما نعنيه بالشعب والأقلية، وهل هناك إمكانية إفادة الأقلية من مبدأ حق تقرير المصير بتأسيس كيان سياسي أم لا؟ ومع أن النص جاء عاماً بخصوص العهدين الدوليين لعدم الرغبة في تناول موضوع "الأقليات"، إلاّ أن المطالبة بالحق، وهو حق سياسي ودستوري، يمكن الاستدلال عليه من منطوق المادة الأولى، في حين أن المادة 27 تناولت حقوقاً ثقافية عامة، بينما يرتبط حق تقرير المصير بقضية كيان سياسي واقتصادي واجتماعي، وهو ما تريده بعض الأقليات في دولة متعددة القومية حين يصبح العيش المشترك مستحيلاً، لاسيما مع غياب تمثيل حقيقي للتنوّع الثقافي، الذي أجده أكثر تعبيراً عن الهوية. فالتنوّع والتعددية، تتضمنان مبدأ المساواة بين مكوّنات مختلفة ومتمايزة،

أقصى حد مستطاع في نطاق السلم والأمن الدوليين اللذين رسمهما الميثاق. وكان القرار 1541 قد تحدث بالصراحة ذاتها ضد الاستعمار محدداً اثني عشر مبدأً تعرّف الأقاليم الواقعة تحت الاستعمار وتطورها في اتجاه الحكم الذاتي لبلوغ الاستقلال.

وعلى الرغم من احترام مبدأ حق تقرير المصير ومنح الاستقلال في القرار 1514 والقرار الذي تلاه، الاّ أن الاتجاه العام كان يميل إلى استبعاد "الأقليات" من التمتع بهذا الحق، في نظرة تقييدية، لأنه ينطبق على الشعب، وليس على الأقليات التي قد لا تكوّن شعباً. أي أن حق الاستقلال وتكوين دولة مستقلة حسب القانون الدولي أعطي للشعب وليس للأقلية، بل لكامل الشعب في الاقليم Territory والشعب هو الذي يمارس هذا الحق.

وظلّ هذا الأمر محطّ جدل كبير في الأمم المتحدة وخارجها لمدة عشر سنوات تقريباً حتى صدر القرار رقم 2625 في 24 تشرين الثاني1970 تحت عنوان "إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلق بعلاقات الصداقة والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة" والذي عُرف بإعلان التعايش السلمي متضمناً سبعة مبادئ أساسية، تشكل جوهر مبادئ القانون الدولي.

لقد تطوّر مبدأ حق تقرير المصير لتتعدى ساحته مسألة إنهاء الاستعمار واستقلال الدولة التابعة والمستعمَرة، فأخذ يشمل الجانب الداخلي من تقرير المصير، الذي تطمح إليه الشعوب لجهة حقوقها وحرياتها وعلاقاتها بالسلطة. وأشرف مجلس الأمن على عدد من الانتخابات والاستفتاءات الشعبية التي مارست فيها الشعوب حقها في تقرير المصير، وهكذا تمتد فكرة حق تقرير المصير من الإقليم الى الهوية، التي يمكن التعبير عنها بكيان سياسي خاص، وهو الأمر المطروح أمام الاستفتاء السوداني حول حق تقرير المصير للجنوب.

أما محكمة العدل الدولية فقد اتخذت عدداً من القرارات بشأن حق تقرير المصير لعل آخرها القرار المؤرخ في 24 تموز 2010 بخصوص كوسوفو يوم أعطت رأياً استشارياً مفاده : أن الاستقلال (الانفصال من طرف واحد) لا ينتهك القانون الدولي، وذلك بناءً على طلب من الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وهو الأمر الذي قد يصبح واقعاً بعد الاستفتاء في جنوب السودان.

إن قرار محكمة لاهاي سيكون سابقة قانونية وقضائية يمكن الاستناد إليها دولياً لإعلان الاستقلال من طرف واحد في دولة متعددة القومية في ما إذا كانت الظروف الموضوعية والذاتية تستجيب لذلك، حيث تصبح الوحدة دون رضا جزء من السكان، أي شعب، أو مكوّن ثقافي، مفروضة وقد تحتاج الى فك ارتباط! الأمر الذي يحتاج إلى وقفة جدية، ونحن نستعيد ذكرى القرار 1514 ودلالاته الفكرية والسياسية والقانونية وانعكاساته على صعيد الدول المتعددة القومية خصوصاً لبلدان المنطقة، حيث

ماذا بعد تفريغ المنطقة من المسيحيين ؟!

الذكر - اللبنانية
العدد 24207 - الجمعة 29/10

عبد الحسين شعبان

بدعوة من البابا بينيديكتوس السادس عشر انعقد في الفاتيكان ما بين العاشر والرابع والعشرين من شهر تشرين الأول 2010 مؤتمراً للأساقفة كان عنوانه الأساسي نزوح (هجرة) المسيحيين من الشرق الأوسط، ولعل هذا العنوان يوحي بالكثير من الإشكاليات والتداعيات وبالأخص في إطار العلاقات التاريخية المسيحية – الإسلامية، لاسيما بعد تنامي معدلات الهجرة المسيحية وانخفاض أعداد المسيحيين في الدول العربية المشرقية، والتي قد تبدو للوهلة الأولى وكأن صراعاً خفياً "مسيحيا - إسلامياً" قد دار وما زال يدور في منطقتنا، وربما يتوافق ذلك مع الدعوات التي راجت في سنوات ما بعد انتهاء الحرب الباردة وتحول الصراع الإيديولوجي بين الرأسمالية والاشتراكية، إلى شكل آخر يتخذ من الإسلام عدواً أو خصماً عنيداً للحضارة الغربية (المسيحية الطابع)، حسب تخطيطات بعض الاتجاهات المتعصبة والمتطرفة في الغرب.

كان لأحداث 11 أيلول 2001 الإرهابية - الاجرامية التي شهدتها الولايات المتحدة أثرها الكبير في إذكاء نار العداوة والكراهية لا للارهابيين والمرتكبين فحسب، وإنما شملت أيضا الإسلام كدين وأتباع وجغرافيا وحضارة وهوية، لاسيما من يمت منهم إلى العرب والعروبة بصلة. كما راجت نظريات تدعو إلى نهاية التاريخ ونزع الإيديولوجيا (العقيدة) تبناها كل من فرنسيس فوكوياما وصموئيل هنتنغتون الذي عد الصراع حتميا بين الحضارات والثقافات، وهو ما حاول بيان المثقفين الستين الأميركيين أن يبرره بلهجة هي أقرب إلى البلاغ العسكري منها إلى النداء الثقافي، بالرغم مما تضمنه من دعوة إلى الحوار، وهو الأمر الإيجابي الذي قد يلتقي معه مثقفون عرب مسيحيون ومسلمون وغيرهم من مواطني دول المنطقة.

لقد شهدت بلداننا العربية المشرقية خلال العقود الأخيرة تزايداً كبيراً في هجرة المسيحيين منها، لاسيما في فلسطين المحتلة، والعراق بعد الاحتلال والانفلات اللا محدود للعنف فيه الذي طاول البلاد والعباد واتسم بتفجير الكنائس وقتل المسيحيين على الهوية وخطفهم مقابل دفع الجزية، إلى غير ذلك من مظاهر التشدد والتطرف والغلو، سواء باسم "الإسلام السياسي" وبعض الطائفيين أو غيرهم ممن تضيق قاهرة وأوضاع اجتماعية متزمتة بعيدة عن أجواء الحرية والمساواة والعدالة، وفي ظل بعض مظاهر القمع والتضييق على العمل العام والنشاط السياسي والمهني والمدني.

والجدير بالذكر، أن هجرة المسيحيين لم تقتصر على طائفة دون غيرها بل شملت مجمل طوائفهم المختلفة من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت وغيرهم، مما حدا بمؤتمر الأساقفة المنعقد في الفاتيكان الى التوقف عند التحديات التي تواجه المسيحية المشرقية بشكل عام لاسيما بعد أن اتخذت هذه الهجرة طابع الظاهرة المستشرية، فقد انخفض تعداد المسيحيين انخفاضاً كبيراً، فبعدما كانوا قبل قرن من الزمان يشكلون نحو عشرين في المئة من سكان المنطقة بات عددهم اليوم لا يزيد عن خمسة في المئة ومازالت النسبة مرشحة للتناقص السريع، إذا استمرت ظاهرة الهجرة هذه، وبالتالي فإن هذا الأمر سيؤدي إلى إفراغ الشرق الأوسط من المسيحيين - على حد تعبير سمير خليل سمير . وهو قس يسوعي مصري مقيم في بيروت، ساهم في التحضير والإعداد لمؤتمر الأساقفة المذكور.

قد يرى بعضهم أن مثل هذا الافتراض غير واقعي، لكن ومن خلال مراجعة الجداول الإحصائية نرى أن نسبة المسيحيين في تركيا مثلاً كانت في أوائل القرن الماضي عشرين في المائة (في ظل الخلافة العثمانية – الإسلامية) لتصل هذه النسبة حالياً إلى 0,2 في المائة. وانخفض عدد المسيحيين في العراق منذ احتلاله العام 2003 إلى معدل النصف نتيجة استهدافهم في ظل الإرهاب والأوضاع الأمنية المنفلتة.

أما في فلسطين فقد تراجع عدد المسيحيين من ستمئة ألف نسمة إلى نحو خمسين ألف نسمة (يوجد سبعة وأربعون ألفاً منهم في الضفة الغربية وثلاثة آلاف في قطاع غزة، وهم يشكلون اليوم زهاء 1,25 في المئة من سكان الأراضي المحتلة بعد العام 1967، والبالغ إجمالي عددهم نحو أربعة ملايين نسمة) كما انحسر عدد المسيحيين في القدس بسبب الضغوط الصهيونية التي عملت على تهجيرهم وإجلائهم ونزع الجنسية عنهم، فبعد أن كانوا نحو خمسة وأربعين ألفاً في مطلع الأربعينات من القرن الماضي لم يبق منهم اليوم سوى أقل من خمسة آلاف.

الموعودة لشعب الله المختار، وبالتالي فطابعه الصهيوني هو طابع إلغائي، إقصائي، تناحري لا مجال فيه لحل سلمي، ولا يمكن حله إلا بالقضاء على الطرف الآخر من خلال تهجيره وإجلائه، لإحلال المستوطنين الجدد محله.

ومن مناليس مستقراً بعد اثنين وستين عاماً على قيام دولة إسرائيل في 15 أيار 1948 إثر صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة أن تطرح مشروع قانون عنصري للجنسية، يستهدف المواطنين العرب من المسلمين والمسيحيين على السواء، وخصوصاً اشتراط أداء قسم الولاء لدولة "إسرائيل اليهودية الديموقراطية" (النقية)، مما يعني عملياً استثناء حوالي عشرين في المئة من الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين من قانون الجنسية في إجراء تمييزي استعلائي غير مسبوق.

وقد حاولت إسرائيل التستر على فظائعها المرتكبة في المنطقة لاسيما خلال اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية والتي عملت على تغذيتها بادعائها أن بؤرة الصراع في الشرق الأوسط لم تكن الصهيونية ودولة إسرائيل بدليل أن الحرب العراقية – الإيرانية والتي استمرت ثماني سنوات بالكمال والتمام، كانت حرباً طائفية إسلامية – إسلامية بين عراق "سني" و إيران "شيعية" ولم تكن إسرائيل طرفاً فيها، ومن ثم وعلى إثر الغزو الذي قامت به القوات العراقية للكويت العام 1990 قالت إسرائيل إن الحرب عربية – عربية، لاسيما بعد مشاركة القوات الغربية قوات التحالف في عملية تحرير الكويت وشن الحرب على العراق في ما بعد، وكانت إسرائيل أكثر الدول غبطة عند فرض مجلس الأمن الدولي الحصار على العراق، والأكثر انتشاء عند إقدام دول بريمر على حل الجيش العراقي وتفكيك ماكينة الدولة وإضعاف الوحدة العراقية، وتمهيد السبيل للطائفية السياسية.

ومن تداعيات الوضع العراقي إثر الحرب العراقية – الإيرانية والحصار الدولي وفرض العقوبات عليه ازدياد معدلات هجرة المسيحيين، ولكن سنوات الاحتلال كانت الأكثر قسوة والأكثر هجرة حيث أدت إلى تهجير نصف المسيحيين تقريباً ونزوح أعداد

السياسي الهادف للوصول الى السلطة ومراكز النفوذ والقرار. ولكن استهدافهم جاء في إطار خطة الاستهداف العام وفي سبيل تفريغ العراق من مسيحييه الذين قدموا للعراق وللأمة العربية على مدى تاريخهم خدمات جليلة، على جميع الصعد الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأدبية والفنية والتاريخية والقانونية والعلمية.

لقد جعل الإرهاب من المسيحيين هدفاً سهلاً، وضحايا جاهزين لفرض نمط سياسي وديني واجتماعي معيّن، في إطار صراع أصولي - طائفي ومذهبي وإثني. فغالباً ما كان يُشكك في أصولهم وولائهم وانتماءاتهم الوطنية، وينسى هؤلاء المشككون أن مسيحيي الشرق هم أهل الشرق، والمسيحية موجودة في منطقتنا قبل الإسلام، وأن السيد المسيح شرقي بتراثه وليس غربياً، فالمسيحيون ليسوا طارئين أو مهاجرين جاءوا ليستقروا في هذه البلاد. إنهم ليسوا رعايا، بل هم مواطنون لهم الحقوق وعليهم الواجبات ذاتها التي على الآخرين. وإذا افترضنا حقوقاً للمواطنة، فينبغي أن تقوم على أساس المساواة وعدم التمييز بسبب الدين أو العرق أو اللغة أو المنشأ الاجتماعي أو غير ذلك.

نحن نتفهم معنى اضطرار المسيحيين للهجرة من إسرائيل تحت ضغوط السياسة العنصرية الاستعلائية الإجلائية الإسرائيلية، لكن ما يحدث في البلاد العربية والمشرقية من تهجير للمسيحيين ما هو إلا رسالة سلبية للعالم أجمع تؤكد أن مجتمعاتنا تضيق بالتنوعات الثقافية والاختلافات الدينية، لاسيما لغير المسلمين، ولعل ذلك سيكلف المسلمين أثماناً باهظة قبل غيرهم، فهو خسارة للطاقات والكفاءات وتفريغ للبلاد من أهلها الأصليين الذين يشكلون جزءاً أساسياً ومهماً من حضارتنا وتاريخ مجتمعاتنا وشعوبنا، ولا يمكن تصور بلدان عربية ومشرقية دون وجود مسيحي مؤثر في المشهد العام.

إذا كانت فلسطين المحتلة تشهد هجرة واسعة النطاق، والعراق بعد الاحتلال شهد إرهاباً أعمى اضطر معه المسيحيون إلى الرحيل، فإن المسيحية العربية في سوريا شهدت تراجعاً من 16,5 في المئة في العقود الثلاثة الأخيرة إلى نحو 10 في المئة، وأن نحو سبعمئة ألف مسيحي لبناني هاجروا بعد اتفاق

إطار مواطنة موحدة تقدم الحقوق الإنس
على أي اعتبار آخر، ولعل ذلك ما حاول
بينيديكتوس السادس عشر التنبيه إ
في إطار التنديد بالإرهاب الديني في اف
أعمال السينودس حول الشرق الأوسط، ا
عقد في الفاتيكان في شهر تشرين ا
2010 وخرج بتوصيات للكنائس في ال
الأوسط تدعوها للانفتاح على الكنائ
والديانات الأخرى وتبسيط طقوسها القد
والتوسع في استخدام اللغة العربية عند تا
شعائرها، وذلك في إطار خطة إصلاحية ب
الفاتيكان نفسه منذ ستينات القرن الماض
إنه ناقوس خطر يقرع وعلينا التفكر
صوته وصداه، فلقد شكل المسيحيون
الشرق الأوسط طوال أكثر من أربعة عشر
من الحضور الإسلامي جزءاً مؤثراً في الثق
الاجتماعي والثقافي، لذلك فإن استهدا
اليوم هو جزء من استهداف المنطقة ككل
فيها من مسلمين ومسيحيين ويهود وغي
من أتباع الديانات السماوية، من جا
القوى المتنفذة والقوى الإرهابية والمتط
والمتعصبة، خصوصاً تلك التي تريد تح
النزاع على أنه صراع ديني سماوي، ول
أرضيا حقوقيا. كما هو واقع الحال، إ
تفريغ المنطقة من أحد مكوناتها الأساس
وأعني بذلك المسيحيين، سيجعل الصراع
نظر الكثيرين إسلامياً . يهودياً وهو ما تر
الصهيونية وتسعى إليه من محاولات.
شخصياً لا أنظر الى المسيحيين كأقل
وأشعر بقدر من الانزعاج عند استخدام مص
"الأقلية" على المكوّن الثقافي المسيحي
غيره قومياً كان أم دينياً، على الرغم من
الأمم المتحدة جاءت على ذكر حقوق الأقل
في إعلان صدر عنها في العام 1992. لك
أميل الى استخدام مصطلح "التنوّع الثقاف
سواء كان غالبية أم أقلية، لأن لها خصوص
وتميّزاً وتاريخاً وعادات وطقوساً مختل
وقد يكون مناسباً استخدام مصطلح الأق
والأكثرية في المعادلات السياسية وفي نت
الانتخابات النيابية أو غيرها، أما بخصو
القوميات والاثنيات والأديان، فأجد
استخدام مصطلح التنوّع والتعددية أق
عندي من غيره للتعبير عن الحالة لأنه د
على المساواة.
لذلك فإن أي مهمة الحفاظ ع

ليس للجنرال من يهاتفه

الهروب الذهبي والنهاية الدرامية للفريق حسين كامل

عبدالحسين شعبان*

* كاتب وحقوقي عراقي مقيم في بريطانيا.

الحياة

AL HAYAT SATURDAY 9, MARCH, 1996 ISSUE NO 12067

الهويّات والدَّرس الهنديّ

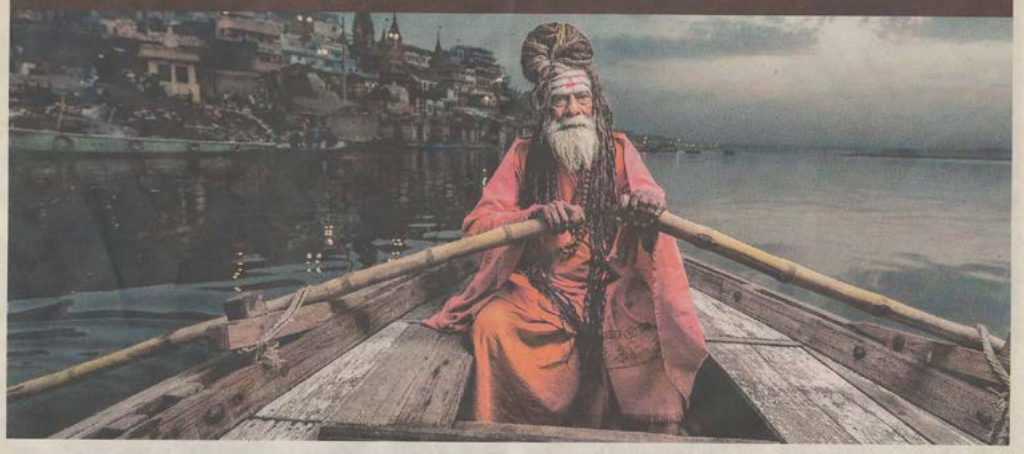

«الهند - الفوضى التي تعمل» ذلك ما قاله المفكّر الأميركيّ المعروف جون كينت غالبرايت في وصف حالة الهند التي تمثّل «الوحدة في إطار التنوّع»، وقد قصد به «الفوضى التي تشتغل بشكلٍ جيّد»، فكيف يُمكن تصوّر مثل ذلك المسار الاستثنائيّ الذي يبدو مُتناقضاً بشكلٍ حادّ؟

د. عبد الحسين شعبان*

إذا كانت الهند قد عاشت معاناة طويلة تحت

المساواة والحرّية والعدالة والتشاركة، وهي أركان

وبحسب «المهاتما غاندي»، فإنّ القبول بفتح

وإذا فحصنا هذه الأوهام سنرى أنّ الدرس الهنديّ

د.عبد الحسين شعبان

العراق ومثلّث الألغام

كثيرة هي المفاجآت التي صادفت الوضع السياسي في العراق منذ احتلاله العام 2003 ولحدّ الآن. ولا تزال الأيام حبلى بالمزيد

لقد كانت التحدّيات الأساسية تنصب بشكل كبير على إنهاء الاحتلال الذي اصطدمَ لاحقاً للانسحاب بعد أن حاول فرض اتفاقية أمنية على العراق في العام 2008 لكن هذه انتهى مفعولها في العام 2011. ولم تتمكّن القوات الأمريكية من البقاء في العراق من دون غطاء قانوني بعد الخسائر المادية والمعنوية التي تعرّضت لها وهو ما

عبّر عنه الرئيس باراك أوباما حين قرّر الانسحاب على الرغم من رغبة أطراف عراقية كثيرة لجديد الاتفاقية أو توقيع اتفاقية جديدة تسمح للقوات الأمريكية البقاء في العراق.

ومع ذلك لا يمكن القول إن الولايات المتحدة غادرت العراق من دون وجود نفوذ لها فيه. فهي تنشق مع الحكومة الاخابية وبشكل خاص مع إقليم كردستان بل أنها نظّمت عمليات عسكرية مشتركة معه ضد تنظيم "داعش" وبموجب اتفاقية الإطار الاستراتيجي التي لا تزال نافذة فإن البلدين يتعاونان في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية وغيرها.

مثل هذه الاتفاقية تم توقيعها في ظرف كان العراق تحت الاحتلال. ولذلك جاءت غير متكافئة ووجدت واشنطن فرصة جديدة للحضور في الساحة العراقية بعد احتلال "داعش" للموصل وتمدّدها إلى نحو ثلث الأراضي العراقية. فعادت لبناء قواعد عسكرية وتدريب الجيش العراقي وقوات البيشمركة وقوات خاصة بل والتأثير على القرار العسكري والسياسي العراقي إضافة إلى أن سفارتها لا تزال أكبر سفارة في العالم. وإذا كان هذا أحد الألغام التي تواجه المستقبل العراقي فإن لغماً آخر لا يقل أهمية إن لم يزد عليه. ونعني به النفوذ الإيراني الواسع. سواء العلاقة مع الحكومة الاخابية وبعض القوى الكردية أو من خلال العلاقة مع القوى الإسلامية وقسم من هذه الأخيرة لا تخفي سرّاً حين تصرّح أن ولاءها لولاية الفقيه وهذا لا يعني سوى خضوعها للسياسة الإيرانية إضافة إلى إعلان بعض القوى عن تحالفها مع إيران باعتبارها عمقاً استراتيجياً سواء كان مذهبياً أو سياسياً.

وإذا كانت فكرة الأقاليم لا تروق للمستّبه السياسية سابقاً وعارضتها بشدّة بل أن بعضها امتنع من التصويت على الدستور وقاطع العملية السياسية بسببها فإنها اليوم مطلباً لبعض القوى لاعتقادهم أنه يمكن أن تكون مواجهة للشيعية السياسية ومنع تدخّلها بشؤون أقاليمهم أو مناطقهم خصوصاً بعد خبرة الحشد الشعبي التي ينظرون إليها بسلبية كبيرة وهذا ما نرغب به واشنطن سواءً طبقاً لمشروع جو بايدن لعام 2007 أو غيره من مشاريع التشطير ونعود أسباب مثل تلك التوجهات الرامية إلى نفشي الطائفية السياسية وانخفاض منسوب المواطنة وضعف الشعور بالمسؤولية الطائفية السياسية هي أحد أضلاع مثلث الألغام ذي الثلاثة أضلاع. فالضلع الثاني هو الإرهاب والعنف المتواصلين منذ 13 عاماً وإلى الآن من دون أن تتمكّن الحكومات بسياساتها الخاطئة وبسبب نظام المحاصصة الطائفية والإثنية من وضع حد لهما أما الضلع الثالث فهو الفساد المالي والإداري الذي ضرب العراق مثل زلزال وهو الوجه الآخر للإرهاب والطائفية الذي يأكل في أساسات الدولة العراقية.

هذه هي الألغام الأساسية التي تواجه المستقبل العراقي يضاف إليها التداخلات الإقليمية والدولية ابتداءً من واشنطن وسروراً بموسكو وطهران وأنقرة. ومن دون إيجاد حلول لها وتوفّر إرادة سياسية موحدة وتوافق وطني عام ومصالحة وطنية حقيقية فإن البلاد ستصل أجلاً أم عاجلاً إلى انعدام الوزن وحتى لو تم القضاء على "داعش" فإن مشكلة الدولة العراقية ستكون أكثر استعصاءً بحكم انتشار الميليشيات وضياع هيبة الدولة والتدخّل المباشر وغير المباشر

UO INo.1238/28/12/2015-3/1/2016

الخليج - مجلة الشروق - العدد الاستراتيجي

2016/1/3 - 2015/12/28

الزمان - السنة الحادية - العدد 2704 الخميس 5 من جمادى الاولى 1428 هـ 24 من ايار (مايو) 2007م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/10. UK. Issue 2704 Thursday 24/5/2007

نصوص — وهم جميل من مكي الغانم وفي الصدفة بحر من منى وفيق وينتظرونك من خلود الفلاح وقصص قصيرة من خالد ساحلي

أضواء — رمينا شعر ورود وحفنة اسئلة أمام كولالة نوري وخاطرة بين المسافات عن الكتابة بمزاج ستيني

فنون — استعادة ملامح شاشة افلت في قراءة نقدية لسينما خلف حجاب الشيزوفرينيا ورسائل من العواصم العربية

(الزمان) تعيد أدباء الى الكتاب الاول لاستعادة نصوص نُحِتَت الشخصية بغربال الوعي

كتاب وشعراء يبحثون عن طفولة منسية في متناول اليد

عدنان أبوزيد
كاتب عراقي مقيم في لندن

الكتاب الاول هو اللبنة الاولى في البنية المعرفية لقارئه. انه كتاب يرتبط بالطفولة وفترة النشأة الاولى. ورمبما كثرت القراءات وتنوعت فان الكتاب الاول هو الذي شكل الشخصية الادبية ويحدد اتجاهاتها الاولية ان لم تكن النهائية. كثيرون ممن قرءنا جلبوه السؤال (اهوا مع الجواب أن ابعد من ذلك. في مواريع الطفولة والصبا والمعرفة الاولى التي صنعت رؤوسه الكتب وكان الكتاب الاول بينها. حدثني صديق شاعر انه يأتي الان الجواب اخذه في مكان ابتعد عنه ثلاثة عقود لكن السؤال قاده اليه. اخدعه تحدث عن (القاموس) الذي قرأ على ضوء كتاب الاول ونسي اسم الكتاب. لكن تفاصيله ماثلة في ذاكرته ولها سماحة حكيمية بالاحرى جواتبعي ان كثيرين استجابوا لسؤالي ممن اعرفه رسمن لاعرفه. وجلبوه قائما في لقد اخذنا في الحقولة. في الكتاب الاول. شكرا لك.

امرؤ القيس علمني الشعر

سعدي يوسف
شاعر عراقي مقيم في لندن

بمقتنى الطول باطمئنان. إن بيوان امرىء القيس كان الكتاب الاعمق تأثيرا. والاحد مدى في اشتجاري صرفة الشعر. لقد علمني امرؤ القيس الكثير عن جميع المشاعر وطبيعته. كما انتظمت من ديوانه في المشعرين. على الوزان الشعر العربي. وظلت الطبع قصائده حسب انتظام العروضي للشعر. مما شاطأ من الوقت الذي أكتسبه معه. ديوانى قبل الاخير يحمل عنوان "حقيب امرىء القيس".

الشمعة والنبي

محمد ملاحات
كاتب من الاردن

و كتاب اثر في حياتي كان احسان قطشي وهو مسرحية الشمعة والنبي التي كان لها دور في تمدي للقراءة وتحرري على المسرح. شعرت حينها عندما قرات المسرحية لقوة الخاصة أن هذا الرجل لا يقصد تفاصيل حقيقية بقدر ما يقصد تجسيد فكرة الهمشين في العالم ويقطع تلك المسرحية بعلت عالم القراءة لاي العالم من جانب مختلف. غير روسامي. فكان على اضطراق العالم في رمز او سطر.

أكان ثمة كتاب ؟

عبدالكريم قاصد
شاعر عراقي مقيم في لندن
ما من كتاب اول ابدا

كان ثمة قدعين يقشعه خاتي الشعر وتنطلق ريح. وتدمو جزر. وسوزان خالي راوية الف ليلة وليلة لا يأتي الا مريضا أو مرضية أرملية أحد في حي "و عابرا قادما من مدينة ثمانية نطلة على البحر. تتدلق حول سريره مشدوهين. باب سحري مفتوح على عالم خاص. تتماثل ملامحه التي لا تتكرر ابدا. رأد الاحدى العمام التي افتسن لهما ابدانها او تستمرن. لا تنعم فيهما غير اضاءة خافتة تنوح ولا تنبو. وقد تنطفيء. في مشهد آخر تأتيه على مشهد اخي. وهي تجر اخفاقها وظهورها لا تميز ابدا. كان ثمة راو آخر ؟ في حدائق عامرة. في حدائق راضية بوميات العرب العاشية الثانية هنا الراوي هو (عبدالرزاق الجبوري) صديق اخي الذي لم ير طبيعة مرة مل يتفكر. بالمباشرة ودون تماثل فجاة تنحني وجهه الناحل المستطيل. قمحة تنتظر ضنين الموسيين الحميمين. مثلما انتظر خاتي مطفئين ليبتدأ الحديث. كنتهما في تناظهما الواقع والحلوة وقد اشرقا ليتنفسا هناك في نقطة بعيدة التمحث فيها بعد في الشعر. اما كتابي الاول. إذا كان ثمة كتاب. فهو لوطن غير ورق مسطرة تبحث فيها بعد. في كتاب قراءة هو (السراب) تتجنب مخفوة ! كان ذلك كتابا ؟ و قرأ كتبا مشابه (كمثلا) ؟ ماذا تسقوينني وتأسرني. قاتلي ابدا. خطواتي الاولى لانهل من مائي القرآن وأنجو الجري

قصة الموج دي بشارة

جواد بشارة
كاتب عراقي مقيم في باريس

اول كتاب قرأته في طيفاني وعمري سبع سنوات وكان عن قصة اليهودي الشاة لمؤلف مجهول وهو كتاب قديم جداً عثرت عليه في احد المساجد فكتوت لدي في ذلك الوقت الخبر صورة مختلفة عما هو سائد عن اليهود. والديانة اليهودية وهذا سر اهتمامي بهذه الديانة وتأليف كتاب عنها باللغة الفرنسية سبب لي التقدير من المناضرين في حياتي المهنية

الفتاة الكبرى

شيرزاد شيخاني
كاتب من سوريا

كنت شغوفا بقراءة الصحف والمجلات وساعد ذلك في دخولي الفكر الى عالم الصحافة. و مع بداية السبعينات إتجهت الى الكتب. وكنت اميل الى التاريخ والدراسات الاجتماعية على عكس جيلي الذي كان شغوفا بالروايات والقصص البوليسية واول كتاب قرأته كان (الفتاة الكبرى) لعميد الادب العربي طه حسين الذي تراه اثرا كبيرا في نفسي وفعرض أبعاد فكوسعت في قراءة سطريات العشر. والكتب التاريخية الفلاسفية سطر الفلاسفة في التاريخ إلى الاثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها من الكتب التاريخية الإسلامية التي شكلت زادي الفكري والثقافي. وما زلت مشغولا بهذه النوعية من الكتب والدراسات على الرغم من اهتمامي في العقدين الاخيرين بقراءة الكتب والدراسات السياسية

الشيخ والبحر

كاترين ميخائيل

عندما قرات كتاب الشيخ والبحر لهيمنغوي التقت ان الحياة تحد صارية. وتخفق ريح. وتدمو جزر. وسوزان خالي راوية الف ليلة وليلة لا يأتي الا مريضا أو مرضية أرملية أحد في حي "و عابرا قادما من مدينة ثمانية نطلة على البحر. تتدلق حول سريره مشدوهين. باب سحري مفتوح على عالم خاص. تتماثل ملامحه التي لا تتكرر ابدا. رأد الاحدى العمام التي افتسن لهما ابدانها او تستمرن. لا تنعم فيهما غير اضاءة خافتة تنوح ولا تنبو. وقد تنطفيء. في مشهد آخر تأتيه على مشهد اخي. وهي تجر اخفاقها وظهورها لا تميز ابدا. كان ثمة راو آخر ؟ في حدائق عامرة. في حدائق راضية بوميات العرب العاشية الثانية هنا الراوي هو (عبدالرزاق الجبوري) صديق اخي الذي لم ير طبيعة مرة مل يتفكر. بالمباشرة ودون تماثل فجاة تنحني وجهه الناحل المستطيل. قمحة تنتظر ضنين الموسيين الحميمين. مثلما انتظر خاتي مطفئين ليبتدأ الحديث. كنتهما في تناظهما الواقع والحلوة وقد اشرقا ليتنفسا هناك في نقطة بعيدة التمحث فيها بعد في الشعر. اما كتابي الاول. إذا كان ثمة كتاب. فهو لوطن غير ورق مسطرة تبحث فيها بعد. في كتاب قراءة هو (السراب) تتجنب مخفوة ! كان ذلك كتابا ؟ و قرأ كتبا مشابه (كمثلا) ؟ ماذا تسقوينني وتأسرني. قاتلي ابدا. خطواتي الاولى لانهل من مائي القرآن وأنجو الجري

الأيام لعبة حسن

منذر الفضل

كاتب عراقي مقيم في السويد

قرات العديد من الكتب لكبار الكتاب والادباء من مصر ولبنان مثل سلامة موسى وطه حسين وجبران خليل جبران وتجيب محفوظ وصلاح الدين المنفلوطي وجرجي زيدان وغيرهم و هناك عناصر كثير من مؤلفات الادباء العالميين وتعلم منهم مثلا تولستوي وسيمون دي بوفوار وسارتر وقرات القرآن والعهد القديم والعهد الجديد وكان زاد مخلخلنا بهذه النوعية من الكتب والدراسات على الرغم من اهتمامي في العقدين الاخيرين بقراءة الكتب والدراسات السياسية

زوربا

برهان فخري
قاصة من الاردن

بالمعنى السؤال فتوقفت قليلا لاتحدى حينما تلك الكتب التي صادفتها وامتلكتها كانت مكتبة العائلة الصغير لتلويني وكانت محتوياتها كانت مختلسة من الكتب الكبار ولا زال كتاب تلاوتها حين كنت في الطائفة عشرة من عمري بعد أن اقتنعت أن الكتب الكبيرة تشتمها العائلة في الرفوف العليا. هذه رواية لنيكوس كازانتزاكيس. زوربا الشخصية الفاضلة الشخصية وكان حاجبها مشطوب الكتاب جيها أا بعد ابتهجات. دائم الحوار بين العقل والجنون بين المنطق و اللامنطق بين الاتصال و الترفيعات بين الإيمان و الإلحاد. لحديث شروقه الرقص في كل لحظة تتوقف فيها الفاضلة عن لمسرفوفيسيا الحضيرية فتختلف انه كلما اشتد إيقاع الرقص وارتفع الصوت بالغناء أو الصياح. شبعت أن ثمة القرآن الكريم سمويا وعاديا. كان العالم الروسي كان الخطوة الاولى لتعاني فيسبحه بعيد في عالم الروحانية والزهد والتصوف وفلاسفة من شتى الاتجاهات والاديان والافكار. علمني زوربا أن احب الحياة واستمتع بعذاباتها. وبالتقدير لو اعد نفاذ أثوت وقد واجهته عدة مرات قلق كما تعرف ما نقوله الحضيرة و الازهار و اظن لما خلقنا الموت ابدا

الجريمة والعقاب

هادي الحسيني
شاعر عراقي مقيم في السويد

وضعه المرحوم محمد امين بالدار وقراء اجيال من العراقيين وهو الكتاب الاكثر قراءة في العراق بلا أدنى شك فيه أني وبحكم المكتبة التي كانت تزين منزلنا اشتقت لمطالعة صفحا وتكمن ان مقدمة ريسكم وسهرا بالغة التوريط هو أول كتاب وعاودت قراءته مرات حتى حفظته عن ظهر قلب وت اصبح الصحيحان حيواني وهو يستمعون الى سطوان رسم وابنه سهراب بكل شوق. وعندما اقتنت النقلة الدرية انكمت على قصص الف ليلة وليلة وقرأتها من الاف الى ألياء بلا ملل وهذه القصة هي أول كتاب قرأته وقرأت لسكاسة موسى ولا زلت وانا في الخمسين من عمري ابحث عما يروي عطشي الدائم للمطالعة.

سيف بن ذي يزن

سلام مرجان
شاعر وناقص عراقي

هل كنت لقصة سيف بن ذي يزن ؟ قصص الف ليلة وليلة؟ حب الكتاب الاسفار بلا أدنى شك فيه أني اشتقت للقراءات في تراثكم كي ما يفتح لغة توصيه من الظلمات والاهام لكل الضوءة الساطعة التي اخذت منح الوجود جدد وكنت الشيخ الجميل للاحتياب. وكنت. ورمحت الصلاة الساسمة بيني وبين العالم إنه الكتاب الذي المناهي في اقل الثقافة العادية وقام نقدا على المسافة الحرية والغربة التي تفصل المبوح من ساقية الجبال العامة الصبايا وتمر بل قمر الغربة الهائلة التي تعا بمخدوعيه مع القصبات الحميمية السياسية والاجتماعية التي تحاصرنا من كل اتجاه. كان ذلك سقوط المطارة لكون وتمن الذي تتلوى اسرار غربة عند تمرير من أبرز المدمنين الغريبين. عن محبطها واعتقد أن ذلك حدث في عمر 18 عاما

الصحن وبنا سكانه والدنى

سعيد فرحه

سعيد فرحه اجابها "لقد حصلت على النسخة الاصلية لاعظم قصة عالمية" فتمنى "لاحه هذا ويقص لي اري حقيقية هذه النسخة الغالية التي لم تكن سوى رواية الموءساه في نور فيرو. وحال تصفحت الكتاب و سكرت مرفقة جنان فالجنان و تزيت وبقية شخصيات الرواية. وعدت عوالم الصحن تشتقك دائرة من تلك العوالم الطقوسية التي نقلها في قراءاتي السابقة

رستم وسهراب

قيس فره داغي
كاتب عراقي مقيم في المانيا

اجدرت على قراءتها فتمنصت فتلك نوعمان من الكتب. كتب بها عاشقة. فقبل أن ابلغ سن الشعول التي الفرسة حينسني جدي المرحوم محمد شكري ستلتن في مكتبه الكبر بالمجلدات والمخطوطات الدينية ليجبرنا انا وقمعي عبدالله قره داغي الذي يصغرني بشهرين على ختم القرآن الكريم وكانت صحصورا بن ترنمت الجد وعصر الواد الشيق الجميل للاحتياب. وكنت. وحمدت الصلاة الساسمة بيني وبين العالم إنه الكتاب الذي المناهي في اقل الثقافة العادية وقام نقدا على المسافة الحرية والغربة التي تفصل المبوح من ساقية الجبال العامة الصبايا وتمر بل قمر الغربة الهائلة التي تعا بمخدوعيه مع القصبات الحميمية السياسية والاجتماعية التي تحاصرنا من كل اتجاه. كان ذلك سقوط المطارة لكون وتمن الذي تتلوى اسرار غربة عند تمرير من أبرز المدمنين الغريبين. عن محبطها واعتقد أن ذلك حدث في عمر 18 عاما

بحثو سلامة موسى من الكتابة

سعيد فرحه

سعيد فرحه اجابها "لقد حصلت على النسخة الاصلية لاعظم قصة عالمية" فتمنى "لاحه هذا ويقص لي اري حقيقية هذه النسخة الغالية التي لم تكن سوى رواية الموءساه في نور فيرو. وحال تصفحت الكتاب و سكرت مرفقة جنان فالجنان و تزيت وبقية شخصيات الرواية. وعدت عوالم الصحن تشتقك دائرة من تلك العوالم الطقوسية التي نقلها في قراءاتي السابقة

رستم وسهراب

قيس فره داغي
كاتب عراقي مقيم في المانيا

اجدرت على قراءتها فتمنصت فتلك نوعمان من الكتب. كتب بها عاشقة. فقبل أن ابلغ سن الشعول التي الفرسة حينسني جدي المرحوم محمد شكري ستلتن في مكتبه الكبر بالمجلدات والمخطوطات الدينية ليجبرنا انا وقمعي عبدالله قره داغي الذي يصغرني بشهرين على ختم القرآن الكريم وكانت صحصورا بن ترنمت الجد وعصر الواد الشيق الجميل للاحتياب. وكنت. وحمدت الصلاة الساسمة بيني وبين العالم إنه الكتاب الذي المناهي في اقل الثقافة العادية وقام نقدا على المسافة الحرية والغربة التي تفصل المبوح من ساقية الجبال العامة الصبايا وتمر بل قمر الغربة الهائلة التي تعا بمخدوعيه مع القصبات الحميمية السياسية والاجتماعية التي تحاصرنا من كل اتجاه. كان ذلك سقوط المطارة لكون وتمن الذي تتلوى اسرار غربة عند تمرير من أبرز المدمنين الغريبين. عن محبطها واعتقد أن ذلك حدث في عمر 18 عاما

الموءساه.. ايقظني من غفوة الطفولة

نزار جواد
كاتب عراقي مقيم في المانيا

البداية باشت مع مجلات بسماط الربيع و مرحي و سوبرمان و الوطواط و... حتى جاء اليوم الذي غير مسيرتي الطفولي صوب سحاق يتسم بالضوع بير و توسع. فقد دخل اخي الاسير البيت وهو يرد بحضر من شدة الفرح و دل بشباط ثنايا جبير

والى جانب ذلك كان جو البيت الذي ترعرعت فيه يميل الى الافكار الجديدة التقدمية اليسارية وكان التمر بشكل خاص والاب بشكل عام وعيا اساسيا في تكوين عالمي الروحي وكان الجواهري الكبير ابو فرات ملازما في عليه ايام صباي و التعقيدت بيني وبينه صداقة متينة قاربت ثلاثة عقود.

مقلما حملت دواوين الجواهري معي اينما حللت وحيثما رحلت. فقد عدت لقراءة معملة لقفران عام 1978 وعام 1982، واعود حاليا لقراءة ثالثة مع التقاسير المختلفة. مقلما استغرق في طبعة جديدة مزيدة ومنقحة لكتابي عن الجواهري: جدل الشعر والحياة.

هؤلاء عنموني

كمال غبريال
كاتب مصري

اهم كتاب قرأته في شبابي. واعود إليه بين الحين والآخر. كتاب **الفقر صلامة موسى**. وكتابات هذا الرجل عموما كانت مصباحا منيرا في قترة تكويني العقلي. والكتاب الذي اهتم هو : هؤلاء عنموني. ولعله الكتاب الذي قد صمر قرار سياسي

الأيام لعبة حسن

منذر الفضل

كاتب عراقي مقيم في السويد

قرات العديد من الكتب لكبار الكتاب والادباء من مصر ولبنان مثل سلامة موسى وطه حسين وجبران خليل جبران وتجيب محفوظ وصلاح الدين المنفلوطي وجرجي زيدان وغيرهم و هناك عناصر كثير من مؤلفات الادباء العالميين وتعلم منهم مثلا تولستوي وسيمون دي بوفوار وسارتر وقرات القرآن والعهد القديم والعهد الجديد وكان زاد مخلخلنا بهذه النوعية من الكتب والدراسات على الرغم من اهتمامي في العقدين الاخيرين بقراءة الكتب والدراسات السياسية

الفتاة الكبرى

شيرزاد شيخاني
كاتب من سوريا

كنت شغوفا بقراءة الصحف والمجلات وساعد ذلك في دخولي الفكر الى عالم الصحافة. و مع بداية السبعينات إتجهت الى الكتب. وكنت اميل الى التاريخ والدراسات الاجتماعية على عكس جيلي الذي كان شغوفا بالروايات والقصص البوليسية واول كتاب قرأته كان (الفتاة الكبرى) لعميد الادب العربي طه حسين الذي تراه اثرا كبيرا في نفسي وفعرض أبعاد فكوسعت في قراءة سطريات العشر. والكتب التاريخية الفلاسفية سطر الفلاسفة في التاريخ إلى الاثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها من الكتب التاريخية الإسلامية التي شكلت زادي الفكري والثقافي. وما زلت مشغولا بهذه النوعية من الكتب والدراسات على الرغم من اهتمامي في العقدين الاخيرين بقراءة الكتب والدراسات السياسية

الشيخ والبحر

كاترين ميخائيل

عندما قرات كتاب الشيخ والبحر لهيمنغوي التقت ان الحياة تحد صارية. وتخفق ريح. وتدمو جزر. وسوزان خالي راوية الف ليلة وليلة لا يأتي الا مريضا أو مرضية أرملية أحد في حي "و عابرا قادما من مدينة ثمانية نطلة على البحر. تتدلق حول سريره مشدوهين. باب سحري مفتوح على عالم خاص. تتماثل ملامحه التي لا تتكرر ابدا. رأد الاحدى العمام التي افتسن لهما ابدانها او تستمرن. لا تنعم فيهما غير اضاءة خافتة تنوح ولا تنبو. وقد تنطفيء. في مشهد آخر تأتيه على مشهد اخي. وهي تجر اخفاقها وظهورها لا تميز ابدا. كان ثمة راو آخر ؟ في حدائق عامرة. في حدائق راضية بوميات العرب العاشية الثانية هنا الراوي هو (عبدالرزاق الجبوري) صديق اخي الذي لم ير طبيعة مرة مل يتفكر. بالمباشرة ودون تماثل فجاة تنحني وجهه الناحل المستطيل. قمحة تنتظر ضنين الموسيين الحميمين. مثلما انتظر خاتي مطفئين ليبتدأ الحديث. كنتهما في تناظهما الواقع والحلوة وقد اشرقا ليتنفسا هناك في نقطة بعيدة التمحث فيها بعد في الشعر. اما كتابي الاول. إذا كان ثمة كتاب. فهو لوطن غير ورق مسطرة تبحث فيها بعد. في كتاب قراءة هو (السراب) تتجنب مخفوة ! كان ذلك كتابا ؟ و قرأ كتبا مشابه (كمثلا) ؟ ماذا تسقوينني وتأسرني. قاتلي ابدا. خطواتي الاولى لانهل من مائي القرآن وأنجو الجري

قصة الموج دي بشارة

جواد بشارة
كاتب عراقي مقيم في باريس

اول كتاب قرأته في طيفاني وعمري سبع سنوات وكان عن قصة اليهودي الشاة لمؤلف مجهول وهو كتاب قديم جداً عثرت عليه في احد المساجد فكتوت لدي في ذلك الوقت الخبر صورة مختلفة عما هو سائد عن اليهود. والديانة اليهودية وهذا سر اهتمامي بهذه الديانة وتأليف كتاب عنها باللغة الفرنسية سبب لي التقدير من المناضرين في حياتي المهنية

الشمعة والنبي

محمد ملاحات
كاتب من الاردن

و كتاب اثر في حياتي كان احسان قطشي وهو مسرحية الشمعة والنبي التي كان لها دور في تمدي للقراءة وتحرري على المسرح. شعرت حينها عندما قرات المسرحية لقوة الخاصة أن هذا الرجل لا يقصد تفاصيل حقيقية بقدر ما يقصد تجسيد فكرة الهمشين في العالم ويقطع تلك المسرحية بعلت عالم القراءة لاي العالم من جانب مختلف. غير روسامي. فكان على اضطراق العالم في رمز او سطر.

أكان ثمة كتاب ؟

عبدالكريم قاصد
شاعر عراقي مقيم في لندن
ما من كتاب اول ابدا

كان ثمة قدعين يقشعه خاتي الشعر وتنطلق ريح. وتدمو جزر. وسوزان خالي راوية الف ليلة وليلة لا يأتي الا مريضا أو مرضية أرملية أحد في حي "و عابرا قادما من مدينة ثمانية نطلة على البحر. تتدلق حول سريره مشدوهين. باب سحري مفتوح على عالم خاص. تتماثل ملامحه التي لا تتكرر ابدا. رأد الاحدى العمام التي افتسن لهما ابدانها او تستمرن. لا تنعم فيهما غير اضاءة خافتة تنوح ولا تنبو. وقد تنطفيء. في مشهد آخر تأتيه على مشهد اخي. وهي تجر اخفاقها وظهورها لا تميز ابدا. كان ثمة راو آخر ؟ في حدائق عامرة. في حدائق راضية بوميات العرب العاشية الثانية هنا الراوي هو (عبدالرزاق الجبوري) صديق اخي الذي لم ير طبيعة مرة مل يتفكر. بالمباشرة ودون تماثل فجاة تنحني وجهه الناحل المستطيل. قمحة تنتظر ضنين الموسيين الحميمين. مثلما انتظر خاتي مطفئين ليبتدأ الحديث. كنتهما في تناظهما الواقع والحلوة وقد اشرقا ليتنفسا هناك في نقطة بعيدة التمحث فيها بعد في الشعر. اما كتابي الاول. إذا كان ثمة كتاب. فهو لوطن غير ورق مسطرة تبحث فيها بعد. في كتاب قراءة هو (السراب) تتجنب مخفوة ! كان ذلك كتابا ؟ و قرأ كتبا مشابه (كمثلا) ؟ ماذا تسقوينني وتأسرني. قاتلي ابدا. خطواتي الاولى لانهل من مائي القرآن وأنجو الجري

الجريمة والعقاب

هادي الحسيني
شاعر عراقي مقيم في السويد

وضعه المرحوم محمد امين بالدار وقراء اجيال من العراقيين وهو الكتاب الاكثر قراءة في العراق بلا أدنى شك فيه أني وبحكم المكتبة التي كانت تزين منزلنا اشتقت لمطالعة صفحا وتكمن ان مقدمة ريسكم وسهرا بالغة التوريط هو أول كتاب وعاودت قراءته مرات حتى حفظته عن ظهر قلب وت اصبح الصحيحان حيواني وهو يستمعون الى سطوان رسم وابنه سهراب بكل شوق. وعندما اقتنت النقلة الدرية انكمت على قصص الف ليلة وليلة وقرأتها من الاف الى ألياء بلا ملل وهذه القصة هي أول كتاب قرأته وقرأت لسكاسة موسى ولا زلت وانا في الخمسين من عمري ابحث عما يروي عطشي الدائم للمطالعة.

سيف بن ذي يزن

سلام مرجان
شاعر وناقص عراقي

هل كنت لقصة سيف بن ذي يزن ؟ قصص الف ليلة وليلة؟ حب الكتاب الاسفار بلا أدنى شك فيه أني اشتقت للقراءات في تراثكم كي ما يفتح لغة توصيه من الظلمات والاهام لكل الضوءة الساطعة التي اخذت منح الوجود جدد وكنت الشيخ الجميل للاحتياب. وكنت. ورمحت الصلاة الساسمة بيني وبين العالم إنه الكتاب الذي المناهي في اقل الثقافة العادية وقام نقدا على المسافة الحرية والغربة التي تفصل المبوح من ساقية الجبال العامة الصبايا وتمر بل قمر الغربة الهائلة التي تعا بمخدوعيه مع القصبات الحميمية السياسية والاجتماعية التي تحاصرنا من كل اتجاه. كان ذلك سقوط المطارة لكون وتمن الذي تتلوى اسرار غربة عند تمرير من أبرز المدمنين الغريبين. عن محبطها واعتقد أن ذلك حدث في عمر 18 عاما

الصحن وبنا سكانه والدنى

سعيد فرحه

سعيد فرحه اجابها "لقد حصلت على النسخة الاصلية لاعظم قصة عالمية" فتمنى "لاحه هذا ويقص لي اري حقيقية هذه النسخة الغالية التي لم تكن سوى رواية الموءساه في نور فيرو. وحال تصفحت الكتاب و سكرت مرفقة جنان فالجنان و تزيت وبقية شخصيات الرواية. وعدت عوالم الصحن تشتقك دائرة من تلك العوالم الطقوسية التي نقلها في قراءاتي السابقة

رستم وسهراب

قيس فره داغي
كاتب عراقي مقيم في المانيا

اجدرت على قراءتها فتمنصت فتلك نوعمان من الكتب. كتب بها عاشقة. فقبل أن ابلغ سن الشعول التي الفرسة حينسني جدي المرحوم محمد شكري ستلتن في مكتبه الكبر بالمجلدات والمخطوطات الدينية ليجبرنا انا وقمعي عبدالله قره داغي الذي يصغرني بشهرين على ختم القرآن الكريم وكانت صحصورا بن ترنمت الجد وعصر الواد الشيق الجميل للاحتياب. وكنت. وحمدت الصلاة الساسمة بيني وبين العالم إنه الكتاب الذي المناهي في اقل الثقافة العادية وقام نقدا على المسافة الحرية والغربة التي تفصل المبوح من ساقية الجبال العامة الصبايا وتمر بل قمر الغربة الهائلة التي تعا بمخدوعيه مع القصبات الحميمية السياسية والاجتماعية التي تحاصرنا من كل اتجاه. كان ذلك سقوط المطارة لكون وتمن الذي تتلوى اسرار غربة عند تمرير من أبرز المدمنين الغريبين. عن محبطها واعتقد أن ذلك حدث في عمر 18 عاما

الموءساه.. ايقظني من غفوة الطفولة

نزار جواد
كاتب عراقي مقيم في المانيا

البداية باشت مع مجلات بسماط الربيع و مرحي و سوبرمان و الوطواط و... حتى جاء اليوم الذي غير مسيرتي الطفولي صوب سحاق يتسم بالضوع بير و توسع. فقد دخل اخي الاسير البيت وهو يرد بحضر من شدة الفرح و دل بشباط ثنايا جبير

والى جانب ذلك كان جو البيت الذي ترعرعت فيه يميل الى الافكار الجديدة التقدمية اليسارية وكان التمر بشكل خاص والاب بشكل عام وعيا اساسيا في تكوين عالمي الروحي وكان الجواهري الكبير ابو فرات ملازما في عليه ايام صباي و التعقيدت بيني وبينه صداقة متينة قاربت ثلاثة عقود.

مقلما حملت دواوين الجواهري معي اينما حللت وحيثما رحلت. فقد عدت لقراءة معملة لقفران عام 1978 وعام 1982، واعود حاليا لقراءة ثالثة مع التقاسير المختلفة. مقلما استغرق في طبعة جديدة مزيدة ومنقحة لكتابي عن الجواهري: جدل الشعر والحياة.

هؤلاء عنموني

كمال غبريال
كاتب مصري

اهم كتاب قرأته في شبابي. واعود إليه بين الحين والآخر. كتاب **الفقر صلامة موسى**. وكتابات هذا الرجل عموما كانت مصباحا منيرا في قترة تكويني العقلي. والكتاب الذي اهتم هو : هؤلاء عنموني. ولعله الكتاب الذي قد صمر قرار سياسي

كان ثمة قدعين يقشعه خاتي الشعر وتنطلق ريح. وتدمو جزر. وسوزان خالي راوية الف ليلة وليلة لا يأتي الا مريضا أو مرضية أرملية أحد في حي "و عابرا قادما من مدينة ثمانية نطلة على البحر. تتدلق حول سريره مشدوهين. باب سحري مفتوح على عالم خاص. تتماثل ملامحه التي لا تتكرر ابدا. رأد الاحدى العمام التي افتسن لهما ابدانها او تستمرن. لا تنعم فيهما غير اضاءة خافتة تنوح ولا تنبو. وقد تنطفيء. في مشهد آخر تأتيه على مشهد اخي. وهي تجر اخفاقها وظهورها لا تميز ابدا. كان ثمة راو آخر ؟ في حدائق عامرة. في حدائق راضية بوميات العرب العاشية الثانية هنا الراوي هو (عبدالرزاق الجبوري) صديق اخي الذي لم ير طبيعة مرة مل يتفكر. بالمباشرة ودون تماثل فجاة تنحني وجهه الناحل المستطيل. قمحة تنتظر ضنين الموسيين الحميمين. مثلما انتظر خاتي مطفئين ليبتدأ الحديث. كنتهما في تناظهما الواقع والحلوة وقد اشرقا ليتنفسا هناك في نقطة بعيدة التمحث فيها بعد في الشعر. اما كتابي الاول. إذا كان ثمة كتاب. فهو لوطن غير ورق مسطرة تبحث فيها بعد. في كتاب قراءة هو (السراب) تتجنب مخفوة ! كان ذلك كتابا ؟ و قرأ كتبا مشابه (كمثلا) ؟ ماذا تسقوينني وتأسرني. قاتلي ابدا. خطواتي الاولى لانهل من مائي القرآن وأنجو الجري

أور أو «مدينة القمر» والشبكة العنكبوتية

عبدالحسين شعبان

كاتب عراقي

تعتبر أور من أكثر المدن أهمية في تاريخ البشرية، فقد ذُكرت في «العهد القديم»، وكثير من المؤرخين والباحثين يعتقدون أنها موطن النبي ابراهيم، كما وردت في كتب التاريخ باسم «قميرنا» أي مدينة القمر.

تم تأسيس أور، موطن السومريين، قبل أكثر من ٤٠٠٠ آلاف عام ق.م، فهي من أقدم المدن في التاريخ، حيث أسست حضارة مهمة وعرف سكانها نظام الري وطوروا الزراعة وعملوا في صناعة المعادن، كما عرفت شكلاً أولياً من أشكال الكتابة، إضافة إلى نظام البناء والأختام الاسطوانية التي تعتبر بمقاربة للنظام المصرفي الحديث، نوعاً من السندات المالية أو نظام الشيكات، باعتماد عمق الاصبع في الطين المخبوز على شكل طابوق يؤشر إلى مقدار النقود التي يستلزم استحصالها.

أور هي جزء حيوي ومتميز من حضارة «بلاد ما بين النهرين» أو بلاد الرافدين أو كما كانت تكنّى باسمها السومري «بلاد الشمس»، أي «بحر دجلة والفرات» كما أطلق عليه مؤسس بحور وأوزان الشعر العربي، الخليل بن أحمد الفراهيدي.

مثلت أور أولى الحضارات في بلاد الشمس السومرية التي تعاقبت عليها الحضارات البابلية والأشورية، والحضارة العربية- الاسلامية يوم أصبحت بغداد مركز الإشعاع الفكري وقبلة العلم والثقافة، حيث صانت الفكر اليوناني من الضياع.

للأسف الشديد تعرّضت أور والمدن السومرية التاريخية للنهب والسرقة والتخريب منذ أكثر من عقد ونصف من الزمان، أي منذ العام ١٩٩١ وما بعده ولا سيما بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣. لم يكن اللصوص تجاراً أو سرّاقاً وحسب، بل كانت تقف وراءهم جهات دولية منظمة بهدف الاستحواذ على آثار وحضارة بلاد الشمس، ولم تسلم جدران المدينة نفسها من التصدع بفعل استخدام آليات القوات العسكرية وأسراب المدرعات والعربات.

إذا كانت الحرب عاراً فلعلّ العار الأشد خزياً هو نهب المواقع الاثرية المتبقية من مهد الحضارة الانسانية، وقد استخدم السرّاق بعض «العمال» الذين تدربوا سابقاً على عمليات الحفر والتنقيب، حيث استغلت معرفتهم لسرقة وتدمير العشرات، بل المئات من القطع الأثرية التي لا تقدر بثمن!!.

تقول عالمة آثار: إن الجنس البشري يفقد ماضيه حين تسرق لوحة مسمارية أو تمثال أو قطعة مجوهرات، ليتم بيعها والاحتفاظ بها وحرمان مئات الملايين من البشر من التمتع بها.. فهل يريدون أن يصبح البلد تاريخ ولا سيما ان هناك نحو نصف مليون موقع اثري ومعلم تاريخي وحضاري منها نحو عشرة آلاف موقع مهم، كلها تؤشر لعظمة الإنسان في هذه البلاد الخصبة والغنية بالموارد والطاقات والإبداع والثقافة والبشر. وفي مدينة أور أو «مدينة الناصرية» حالياً (محافظة ذي قار) يوجد أكثر من ٨٤٠ موقعاً سومرياً تعرضت غالبيتها إلى سرقة منظمة ومنهجية.

لقد تم بناء قاعدة عسكرية أميركية في مدينة أور لمدة خمس سنوات وأصبحت الجدران تتصدع بفعل وزن العربات الثقيلة وأصواتها الصاخبة، الأمر يعتبر حسب وصف أحد المختصين، مواقع تتعرض إلى ما يشبه الزلزال.

كما بنى الاميركيون قاعدة في بابل بهدف حماية المواقع كما ادعوا، لكن الضرر الذي لحق ببابل كان ضرراً بليغاً وحتى غير قابل للإصلاح، حيث تم جرف بعض المواقع بالجرافات لبناء مواقع لقيادة قوات التحالف في المنطقة.

وأسهم الاحتلال في تدمير هائل للتاريخ إلى حد تجاوز مسألة سرقة المتاحف والمواقع الاثرية والمكتبات التي تعرضت للنهب والتدمير، حين امتدّ إلى سبعة مواقع أثرية قامت قوات الاحتلال باستخدامها منذ نيسان ٢٠٠٤ بما فيها موقع «الملوية» الشهير في سامراء «سرّ من رأى» التي بناها المتوكل واستمرت حتى شباط ٢٠٠٦ عند تفجير مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري الذي بناه الناصر صلاح الدين.

يسأل البعض أين حقوق الإنسان؟، وهم على حق بالطبع، فالعديد من المنظمات الدولية بما فيها العربية لم تتحرك بما يجدر لها القيام به، سواءً بوجه الانتهاكات الجسيمة والفادحة التي سببها الاحتلال لحقوق الإنسان أو إزاء سرقة الآثار والمتاحف، بما يثير تساؤلات مشروعة حول دورها ومستقبلها.

تجدر الإشارة إلى أن ذلك يعد خرقاً سافراً وصارخاً للشرعة الدولية لحقوق الإنسان ولاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ وبروتوكول لاهاي لعام ١٩٥٤ حيث نصت المادة الخامسة من الفصل الاول منه على تحريم استخدام المواقع الاثرية التاريخية كقواعد عسكرية. وإذا كانت الولايات

محور العدد

نحو رؤية عربية للمشروع الصهيوني

إسرائيل والشرعية الدولية

عبد الحسين شعبان *

تمهيد

أربعون عاماً مضت على قيام «اسرائيل» في 15 أيار 1948 وذلك بموجب قرار التقسيم رقم 181 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني 1947.

ومنذ صدور ذلك القرار، وبخاصة بعد ضم الجزء المتبقي من فلسطين الى «المملكة الاردنية الهاشمية»، غابت ولسنوات طوال وعجاف كلمة «فلسطين» من الخرائط والاطالس والقواميس، الجغرافية والسياسية، لتحل محلها كلمة «اسرائيل».

ومهما بدا في الأمر ثمة «تراجيديا»، فهل اكتسبت «اسرائيل» الشرعية بعد انقضاء ما يزيد على أربعين عاماً!؟ وهل غابت حقاً فلسطين أرضاً وشعباً من المسرح السياسي خصوصاً ونحن نشهد اليوم نهوضاً شعبياً عاصفاً، أي بعد 40 عاماً ونيف من الطرد والاجلاء والتوسع والعدوان والاستيطان والعنصرية التي حكمت حركة الكيان الصهيوني طيلة الفترة المنصرمة؟ وهذه المرّة ليس عبر أروقة المنظمات الدولية والغرف المغلقة حسب، بل في كل مكان من الشارع الفلسطيني المنتفض. فمنذ بضعة شهور والحجارة الفلسطينية وشارات النصر والكوفية العربية أصبحت رمزاً «عالمياً» مميزاً على نحو لم يسبقه مثيل للشعب العربي الفلسطيني بفضل انتفاضته الباسلة.

وكي لا نتجاوز على التاريخ فان العودة الثانية للقضية الفلسطينية الى المسرح الدولي قد حصلت في العام 1965 حين اندلعت الثورة الفلسطينية المسلحة، واكتسبت بعداً دولياً اكثر من السابق خصوصاً بعد عدوان «اسرائيل» في الخامس من حزيران عام 1967 واستيلائها على ما تبقى من أراضي فلسطين بالاضافة الى أراض عربية من مصر وسوريا والاردن، زادت مساحتها على مساحة فلسطين[1]. ولقد أعادت الثورة الفلسطينية المسلحة والعدوان الاسرائيلي طرح القضية على نحو عالمي واسع ارتباطاً من جهة بالطابع العدواني التوسعي الاجلائي الاستيطاني للكيان الصهيوني ودوره ووظيفته، وبمسألة حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني من جهة ثانية. وقد عادت «القضية الفلسطينية» الى أروقة الامم المتحدة في العام 1969 وأدرجت كبند مستقل في جدول أعمال الجمعية العامة في العام 1974 بعد غياب دام 22 عاماً، باعتبارها قضية دولية ملتهبة تستوجب الحل[2].

اطار البحث

لمناقشة موضوع «**اللاشرعية الدولية**» للكيان الصهيوني، لا بّد من الاطلال ولو سريعاً على المسوغات القانونية لفكرة «**الحق التاريخي**» التي تستند إليها الصهيونية. وفي هذا الميدان سنتناول «**وعد بلفور**» **ومؤتمر سان ريمو واشراك المجتمع الدولي في تأسيس «الدولة العبرية»**، وكذلك ما سميّ بـ «**حق الشعب اليهودي بالانبعاث**»، وسنتوقف قليلاً عند محطة «**قرار التقسيم**». وهذا هو القسم الاول من البحث.

* باحث من القطر العراقي، له العديد من المؤلفات.

مقاربة لمشروع محكمة العدل الدولية

هل يمكن للقضاء الدولي الإفتاء بشأن القدس؟

عبد الحسين شعبان *

* الامين العام السابق للجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية.

AL HAYAT
الحياة

الخميس ٦ تموز (يوليو) ٢٠٠٠ الموافق ٤ ربيع الثاني ١٤٢١هـ/ العدد ١٣٦٣٠
AL HAYAT THURSDAY 6 JULY, 2000 ISSUE NO 13630

نقطة ضوء

الجنادرية والروح الجامعة

* عبد الحسين شعبان* *

كلّما حلّ موسم الجنادرية، كان الحديث عن مبادرة بلغ عمرها 27 عاماً، لاجتماع مفتوح لنخب متجدّدة من المثقفين العرب. ومن الإنصاف القول إنّ مبادرة خادم الحرمين اكتسبت روحاً جامعة بفعل الديناميكية التي امتاز بها عبد العزيز التويجري مهندس فكرة للمهرجان، الذي استطاع بحكم كونه مفكراً منفتحاً أن يتعايش ويتجاور بين الأضداد وأحياناً أن يكون جسراً للتواصل والتفاعل، ولعلّه كان يجد في التماثل والتطابق سكونية وخمولاً، في حين كان يرى في الاختلاف والتنوّع جدلاً وحيوية، وصولاً إلى الحقيقة التي ظلّت هاجسه دائماً.

كان التويجري يجد في الفلسفة والتاريخ والأدب سبيلاً للتعبير عمّا يريده من الحاضر والسياسي بشكل خاص، فيكتب بروح الفيلسوف والفلسفة تأمّلاً وحكمة، ويروي بمنظور التاريخ وهو عبرة ودروس، بما فيه مراوغاته على حدّ تعبير هيغل، ويتحدث بلغة الأديب، بأناقة كلماته وجمالية صوره، تلك التي يستمدّها من فضاء الصحراء، وأفقها المفتوحة وألوانها المتنوّعة، وكان في كلّ ذلك بالغ المعنى وعميق الدلالة.

وإذا كانت المبادرة كأيّ شيء جديد قد يبدو "مغامرة"، لا سيّما عندما تبدو غريبة إزاء الساكن والمألوف والمتكرّر من الأمور، إلاّ أنّها

تعد المهرجانات الوطنية للتراث والثقافة التي ينظمها الحرس الوطني في الجنادرية كل عام مناسبة تاريخية

عربياً واسلامياً وعالمياً، حيث كان بيته ملتقى مفتوحاً للاجتماع والاختلاف بين المجموع والفرد، وفي الوقت نفسه ملتقى الاستقطابات والاصطفافات لشخصيات دولية متباعدة ومتناقضة.

ظلّ التويجري صديقاً حميماً ووفياً للمتنبي الذي شاطره الفلسفة،

التاريخي والاجتماعي، ولمنهجه التاريخاني- السوسيولوجي وكان يسعى للاعتماد على الفهم الاجتماعي للنص سواء كان فكرياً أو سياسياً أو دينياً، وإذا كان شديد الاهتمام بالبناء اللغوي، فإنّه في الوقت نفسه كان حريصاً على جمال المعنى وعمقه، وكأنّه يريد من الناس لا استيعاب القرآن والسنّة المحمّدية فحسب، بل معرفة أسباب النزول وحجية الظهور، وذلك بالكشف عن الواقعية الاجتماعية للنص وفق صدوره، ومتابعة ذلك في الأزمان اللاحقة. أي العلاقة بين النص وحركة الواقع والقصيدة والوضع الاجتماعي

الملاحظة الثالثة امتياز التويجري بالديناميكية الفكرية، وذلك بوضع الجدل الفكري في موقع الصدارة التي يستحقها، وفي ذلك نوع من الجهاد المركّب، جهاد مع النفس، ومع القريب، ومع الآخر (الغير)، وهو جهاد متنوّع ومتعدّد الوجوه، وكانّ الجهاد الفكري هو الاختيار والمآل، وفي الوقت نفسه فهو ساحة المنازلة كجزء من مشروعه الفكري - الفلسفي- لبناء الدولة، جهاد مع النفس ومع الدولة ومع المجتمع، من أجل الإنسان، حيث كان يدرك أهمية وحيوية هذا المدخل وقدرته في توظيف الأدوات المناسبة بحيث يستطيع تقديم الفكرة

جريدة الزمان

14 نيسان 2009

كتاب

"تحطيم المرايا، في الماركسية والإختلاف" لعبد الحسين شعبان

النقد الذاتي بداية الطريق إلى النقد الكلّي

في حوارات أجراها خضر ميري مع عبد الحسين شعبان، وجمعها في كتاب "تحطيم المرايا، في الماركسية والإختلاف"، عن "الدار العربية للعلوم ناشرون" في بيروت، و"منشورات الإختلاف" في الجزائر، يقدم الكاتب العراقي حزمة كبيرة من الآراء حول مختلف القضايا النظرية والفكرية والسياسية، انطلاقا من تجربته السياسية في الحزب الشيوعي العراقي، يعرض لآرائه ومراجعاته في الماركسية، ويتناول مسائل إصلاح الفكر الماركسي، والنظرة الى الدين، ويعرج على قراءة الماركسية والقضية الفلسطينية، والمسألة الكردية، وصولاً الى تعيين إشكاليات النقد الماركسي للماركسية.

يمثل الكتاب تجربة ذاتية للكاتب مليئة بمعاناة عاشها على امتداد عقود مع ذاته أولاً ثم مع تجربته الحزبية وخصوصا مع النظرية الماركسية التي التزمها نصّاً وممارسة.

يصف شعبان الماركسية التي وصلت الى العالم العربي ومنه الى الحزب الشيوعي العراقي بأنها "كانت معلبة ضمن قوالب وأنساق ولا سيما طريقتها المدرسية التي تستبطن الإصطفافات الجاهزة حيث تذوب كيانية الفرد وخصوصياته في اطار جماعة، تعبر عن الرأي الواحد المركزي، الذي ينبغي أن يخضع له الجميع وفق تراتبية نمطية مفروضة عموديا، فالحقيقة معها وما عداها ليست سوى بطلان وشرور". هذه الماركسية المشبعة بالإصطفائية واحتكار الحقيقة المطلقة والإدعاء بتفسير كل شيء في العالم، جعل الماركسية ايديولوجيا ميتافيزيقية ولاهوتاً جديداً بوصفه يحمل خلاصاً للبشرية من طريق سيطرة طبقة البروليتاريا المنقذة للمجتمع، وهي ايديولوجيا اقتربت كثيرا من التحول ديناً. هذه الماركسية كما وصلت الى الأحزاب الشيوعية العالمية والعربية، وكما جرت ممارستها على يد نخبها، تسببت بكوارث على الصعد السياسية والفكرية والبشرية ايضا. أنجبت "الثقافة الواحدية الإطلاقية" للماركسية حقوقا مكتسبة للقيادة الحزبية تجلت في احتكار الحقيقة والمعرفة والمعلومة. ونجم عنها ما هو أسوأ، حيث هيمنت عبادة الفرد على كل مفاصل الدولة والمجتمع، ولم تقتصر هذه العبادة على الدول الشيوعية بل امتد التقليد الى الأحزاب الشيوعية الاخرى. وتحولت الماركسية الى جملة تعليمات قائمة على البيروقراطية وعلى أوامر يصدرها الحزب باعتباره ممثلاً عن الطبقة العاملة، وفوق الحزب ثمة اللجنة المركزية، وعلى رأس اللجنة يسود المكتب السياسي، وفوق كل هذه الهيئات يتربّع الامين العام بصفته الفيلسوف والقائد الملهم الذي لا يخطئ. وسط هذا العالم شاعت في اطار الحركة الشيوعية، سواء ما كان منها في السلطة او خارجها، نظرية التآمر والشك التي تسببت بالكثير من التصفيات للكادرات الحزبية بحجة تطهير صفوف الحزب من الاعداء الطبقيين الذين يعملون على حرف الحزب عن جادة الافكار الماركسية اللينينية.

يتناول شعبان في نقده للماركسية الثغر والنواقص التي لم تولها النظرية الإهتمام اللازم، فيشير الى النقص تجاه فهم علم النفس الذي بات خلال القرن العشرين يحتل موقعاً مهماً في التحليل الإجتماعي والسياسي، حيث ساد مفهوم التزمته الأحزاب الشيوعية يرى في علم النفس والتحليل النفسي نظرية بورجوازية تلجأ اليها البورجوازية بديلا من نظرية الصراع الطبقي. كما قصّرت الماركسية عن رؤية الدين والموقع الذي يحتله في حياة الشعوب، فتعاطت معه انطلاقاً من كيفية استخدام المؤسسات الدينية له وخصوصاً في اوروبا وسعيها الى الهيمنة على السلطة، فاستخفّت بالدين واطلقت نظريتها الشهيرة ضمن مصطلح "الدين أفيون الشعوب"، بل حولت الإلحاد الى دين وفرضت تعليمه والتزامه حيث وصلت الى السلطة. في السياق نفسه، قصّرت الماركسية عن فهم المسألة القومية في العالمين الرأسمالي والسائر في طريق النمو، واعتبرت القومية نظرية بورجوازية صافية، ورفعت شعارها الشهير "ليس للعمال وطن" وقرنته بشعار مركزي "يا عمال العالم اتحدوا"، وهي نظرة بان تهافتها عند اندلاع الحروب بين المعسكر الرأسمالي نفسه وانخراط طبقاته العاملة في جيوش كل دولة منها.

تتجلى إحدى اكبر المعضلات في الماركسية نصاً وممارسة من خلال النظرة الى الديموقراطية والدولة والحزب. فنظرية الماركسية في شأن الديموقراطية التي رأت فيها حيلة بورجوازية تستخدمها الطبقات الحاكمة لخداع الشعب وضمان السيطرة عليه، استبدلتها الماركسية بمقولة "ديكتاتورية البروليتاريا" المعبرة عن الديموقراطية الشعبية الحقيقية، وهي مقولة مسؤولة الى حد كبير عن الديكتاتورية التي اتسمت بها جميع الأنظمة الشيوعية والإشتراكية، والتي أخضعت بموجبها الفردانية الى حكم المجموع، والى سيادة الإستبداد ومنع الحريات السياسية والفكرية. لكن أكبر الاخطاء في النظرية الماركسية قد تكون في نظرتها الى الدولة والتي بشّرت بزوالها مع تقدم المجتمع نحو الشيوعية. لكن التجارب أظهرت أنه تحت لافتة اضمحلال الدولة كما اشار ماركس ولينين، جرى بناء أضخم دولة بيروقراطية واستبدادية سلّطت أدوات القمع على الشعوب التي حكمتها وتسببت بأضخم المجازر البشرية عبر التصفيات التي قامت بها هذه الاجهزة. اما الحزب الشيوعي بصفته اداة التغيير، فقد تحول منذ لينين الى سائر الانظمة التي حكمت باسم الماركسية، الى جهاز بيروقراطي تحكمه مركزية صارمة وتقاليد غير ديموقراطية، بحيث أصبح الولاء للحزب هو اولا ولاء للقيادة وتالياً للأمين العام، وتحولت المخالفات والإعتراضات على سياسة الحزب والأمين العام الى تهم بالخيانة للوطن والشعب والحزب، بكل ما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة.

يصنف شعبان الماركسيين اليوم ضمن خمسة أصناف، فهناك أولاً "الماركسيون الطقوسيون" الذين لا يفقهون شيئا في الماركسية، وتقوم مهمتهم في المشاركة في الإحتفالات وإحياء بعض المناسبات. وهناك ثانيا "الماركسيون المدرسيون" الذين يحفظون عن ظهر قلب بعض عناوين حول الاشتراكية، مستقاة من المدرسة السوفياتية ويرددونها ببغائياً. وهناك ثالثا "الماركسيون المسلكيون" الذين هم جزء لا يتجزأ من الماكينة الحزبية والمنفذين لسياستها من دون أي نقاش. أما الصنف الرابع فهم "الماركسيون الذرائعيون" أصحاب الدوغما والجمود العقائدي والذين يبررون كل خطوة يتخذها الحزب ويعتبرون أن النظرية الماركسية لا تخطئ حتى ولو تناقض النص مع الواقع في النظرية. وهناك اخيرا "الماركسيون العولميون" الذين روّجوا في السنوات الأخيرة للمشروع الأميركي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وانتظروا منه الخلاص وخصوصا في مواجهتهم للديكتاتوريات العربية، والذين هلل قسم كبير منهم للإحتلال الاميركي للعراق. يخلص شعبان من هذا التصنيف ليرى أنّ "الماركسيين النقديين المجتهدين" الذين يصنّف نفسه من ضمنهم، لا يزالون قلة في العالم العربي، ويعيشون على الهامش قياساً على سائر الحركات الحزبية.

يشير شعبان في نهاية مراجعته الى الموقف الآتي: "أجريت النقد الذاتي على تجربتي الخاصة الفكرية منها والسياسية والتنظيمية، راجعت بعض أطروحاتي، وقضية وجودي ضمن الحزب الشيوعي دون اقتناعي لفترة غير قصيرة... أجد نفسي قريباً الى حد كبير من الماركسية النقدية والوضعية النقدية الماركسية". صحيح أنّ قراءة شعبان للماركسية تندرج ضمن النقد الموضوعي والمراجعة المطلوبة، لكن شعبان ظل يحاذر الدخول من الباب العريض في نقد الماركسية، بوصفه نقداً يطال النظرية وأزمتها في النص والممارسة على السواء. ليس صحيحا أنّ الإنحراف في تطبيق النص الماركسي هو الذي تسبب بالديكتاتورية والاستبداد. فما جرى تطبيقه على يد لينين ومعه سائر القادة الشيوعيين في كل مكان اتى أمينا للنص الماركسي، من الحتمية التاريخية في التطور، الى اعتبار الماركسية علماً يحمل الحقائق المطلقة، الى النظر في الديموقراطية ورفضها، الى نظرية زوال الدولة، الى التنظير لديكتاتورية البروليتاريا ورفض التعددية الحزبية...، كلها امور في جوهر النص الماركسي. لذا تكتسب مناقشة أزمة الماركسية أهميتها بعيدا عن الفصل بين المنهج والنظرية والتطبيق، بل برؤية العناصر الثلاثة معاً، بما يسمح بتعيين ما الذي يبقى من هذه النظرية صالحاً وضروريا للتطور الإجتماعي والسياسي، ورؤية ما تقادمه الزمن وبات خارج التاريخ.

خالد غزال

المنبر
18/1/2005

محليات 7

الثلاثاء 8 ذي الحجة 1425 هـ - 18 يناير 2005 - السنة 33 - العدد 11355

الإعلام الغربي يدفع بالمسميات العرقية والطائفية

شعبان: إجراء الانتخابات في العراق لا يعني تحقيق الديموقراطية

■ البرلمان خطوة تؤسس لمرحلة جديدة

كتب إبراهيم المليفي:

أرجع الناشط العراقي في الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الدكتور عبدالحسين شعبان حالة الانفلات الأمني والتوتر المستمر في العراق الى اسباب عدة من بينها الانهيار الدراماتيكي للسلطة السياسية والمؤسسة العسكرية وما تبع ذلك من انهيار الدولة العراقية وحل المؤسستين الأمنية والعسكرية.

واضاف شعبان في محاضرة له عن آخر المستجدات في الشأن العراقي عقدت في جمعية الخريجين مساء الأحد الماضي: «ان ضياع مؤسسات الدولة اعطى الفرصة لظهور مرجعيات عشائرية وقبلية وطائفية .. الخ حاولت ملء الفراغ الذي خلفه غياب النظام السابق».

واتهم شعبان وسائل الإعلام الغربية بضخ مكونات التقسيم الطائفي الآني في العراق بكل ما اوتيت من قوة.

متسائلاً عن السبب في عدم تسمية العراقيين بهويات غير هويتهم الاصلية وهي العراقية حالهم حال تركيا وإيران.. فهاتان الدولتان على سبيل المثال توجد فيهما اقليات وقوميات اخرى غير الاتراك والفرس ورغم ذلك جميعهم يحملون هوية وجنسية الدولة دون اي تقسيمات، مشيراً الى ان الأمر وصل للحديث عن تقسيم العراق دون حرج اذا لم يكن هناك مخرج من الوضع العراقي الحالي المليء بالتأزم.

وكان شعبان يستشهد بمقال نشر اخيراً لوزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق هنري كيسنجر.

وحول مستقبل الدولة العراقية بعد اجراء انتخابات الثلاثين من يناير الحالي اكد شعبان على ان الحكومة المقبلة ستكون مؤقتة حتى نهاية العام الحالي ٢٠٠٥ ومن مهامها خلال تلك الفترة تهيئة الاجواء لانتخابات اخرى

● شعبان متحدثا في المحاضرة

والتفاوض مع القوات الاميركية، واما بالنسبة للبرلمان فهو يعتبر خطوة تؤسس لمرحلة جديدة يفترض ان تكون مشتملة على التعددية والشمولية في صيغ القرار لأن اجراء الانتخابات لا يعني تحقيق الديموقراطية المأمولة والتي تستند الى مبادئ المساواة والحق في المساءلة وسيادة القانون وتكافؤ الفرص.. الخ.

وضمن السياق نفسه استعرض الدكتور عبدالحسين شعبان بعض القراءات المختلفة لمستقبل العراق وهي متفاوتة ما بين التفاؤل المفرط والتشاؤم البالغ، اما فريق المتفائلين فهو يرى ان الطريق سينفتح نحو العيش في ربيع الديموقراطية، والفريق الثاني على العكس يرى ان العراق ستنكرس فيه الطائفية والاثنية بسبب اجراء الانتخابات التشريعية. وختم شعبان محاضرته بالتأكيد على اهمية اجراء الانتخابات في العراق لأن كلا من الحكومة والبرلمان ولجنة الاشراف الحاليين جميعهم معينون ولا بد من استبدال هذا الامر حتى يتمكن البرلمان من اقرار دستور دائم يضمن بقاء العراق موحداً وسليماً.

مصير الإمام موسى الصدر: متى خاتمة الأحزان؟

عبد الحسين شعبان

لم تشهد قضية الإمام موسى الصدر الذي اختفى في ليبيا قسرياً في ٣١ آب (أغسطس) العام ١٩٧٨، اهتماماً مثلما تشهده هذه الأيام، وعلى نحو أدق منذ اندلاع الثورة الليبية في شباط (فبراير) العام ٢٠١١، وكان عدد من السيناريوهات قد ارتسم بشأن غياب السيد موسى الصدر، الذي كان في زيارة رسمية لطرابلس بوساطة من الرئيس الجزائري الأسبق هواري بومدين الذي حاول التقريب بينه وبين الرئيس الليبي معمر القذافي في حينها.

السيناريو الأول هو الذي رواه الرائد عبد المنعم الهوني مندوب ليبيا الذي استقال من جامعة الدول العربية ومدير مخابراتها ووزير داخليتها وخارجيتها الأسبق وأحد المشاركين الأساسيين «بثورة» الفاتح من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩، والذي جاء فيه أن قريبه نجم الدين البازجي الذي كان طياراً برتبة مقدم هو الذي نقل جثمان السيد الصدر إلى منطقة سبها جنوب ليبيا، فقد كان لزاماً بعد قتل السيد الصدر أن يُقتل البازجي، ولكي يدفن السرّ معه، حيث تمت تصفيته لاحقاً بطريقة غامضة، وهو ما حصل مع قضية منصور الكيخيا الذي اختفى قسرياً في القاهرة في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) العام ١٩٩٣ عندما كان يحضر اجتماعاً للمنظمة العربية لحقوق الإنسان في القاهرة. وكان الكيخيا قد التقى ابراهيم البشاري مندوب ليبيا في جامعة الدول العربية وقتها، الذي قتل بحادث سيارة غامض لاحقاً في ليبيا كما اغتيل يوسف نجم آخر من التقاهم الكيخيا قبل اختفائه، وهو ما أوردته في كتابي «الاختفاء القسري في القانون الدولي: الكيخيا نموذجاً، دار شؤون ليبية، واشنطن – لندن، ١٩٩٨»،

السيناريو الثاني هو ما رواه عبد الرحمن شلقم في حديثه لتلفزيون العربية بشأن آية قرآنية وردت في سورة الفاتحة «قل هو الله أحد» فكان رأي القذافي ينبغي القول «الله أحد» فغضب السيد الصدر من تفسيراته وتأويلاته وحاول محاججته، فكان رد فعل القذافي لاحقاً الانتقام منه ومن زميليه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين اللذين اختفيا قسرياً معه، وقيل إنهما قتلا ودفنا معه أيضاً.

السيناريو الثالث تحدّث به عبد الحكيم بلحاج أحد القيادات البارزة للمجلس العسكري الليبي في طرابلس، حيث قال إن الصدر مدفون في مزرعة قرب طرابلس، وهذه المزرعة أثارت ارتيابات عديدة، لكنه أكد مقتله ودفنه.

السيناريو الرابع يقول إن «أبو نضال» (صبري البنا) أحد الشخصيات الفلسطينية المنشقة عن فتح والمتهم بقيادة عدد من العمليات الإرهابية هو من خطط عملية الاختطاف، وأن القذافي أوكل له ذلك وترك الأمر معه لكي يتنصل من المسؤولية، وأن هذا الأخير عندما اضطر إلى مغادرة طرابلس وذهب إلى العراق، أخذ السيد الصدر معه، وهناك ظل يعيش في قبو لغيلا يسكنها أبو نضال، وعندما قتل أبو نضال في بغداد قيل إن شخصاً يشبه الصدر وجد مقتولاً أيضاً في قبو الفيلا، لكن هذه الرواية ضعيفة على الرغم من أن لجنة تحقيق دولية قامت بالبحث في الموضوع بعد تناول بعض الجهات هذا السيناريو عن مصير الإمام موسى الصدر.

السيناريو السادس وهو أحدى فلتات القذافي، فقد أفّد في ٣١ آب (أغسطس) ٢٠٠٢ أن السيد الصدر اختفى في ليبيا وأشاد بدوره المقاوم وقال انه زعيم مرموق وضد الاحتلال وهو من أسّس ألوية المقاومة اللبنانية، وأشار إلى أنها مأساة تقلق «ضمائرنا» حيث اختفاء أحد رجالات الأمة الإسلامية. وقد حاولت منظمة العفو الدولية في تقريرها لعام ٢٠٠٣ أن تطالب القذافي بالكشف عن مصير الصدر، مثلما سبق أن طلّبت تطالبه ومعها المنظمة العربية لحقوق الإنسان التي أسست لجنة قانونية كان لكاتب السطور شرف المساهمة فيها، كما تأسست في لندن بإشراف لجنة من المنظمة لإجلاء مصير الكيخيا كان الشاعر محمد الحيدري رئيساً لها. ولكن تلك المحاولات كلها لم تدفع نظام القذافي إلى التفكير بالكشف عن مصير الشخصيتين الأيقونتين الإسلامي المتنور والزعيم الكاريزمي موسى الصدر، وكذلك منصور الكيخيا الشخصية الحقوقية المحاورة، حيث يعتبران رمزاً للاختفاء القسري.

السيناريو السابع، ان الصدر لا يزال حياً وقد لعبت وساطة إيرانية في وقت سابق على هذا الوتر، وكان السفير الإيراني في دمشق أحمد موسوي قد أكّد ذلك، كما أن بعض الشهود بعد الثورة كانوا قد ذهبوا في هذا الاتجاه بينهم عبد الباسط المصراتي الذي كان يصرّ على أن الصدر كان حياً حتى العام ١٩٩٢ أي بعد ١٤ عاماً من اختفائه، وهناك من أكّد أنه شاهد الصدر حتى العام ١٩٩٤.

وحتى لو افترضنا ذلك صحيحاً، فإن من المحتمل جداً أن يكون قد صُفّي بعد فضيحة اختفاء الكيخيا قسرياً، لا سيما ما تركته تلك الجريمة من أثر دولي وردود فعل واسعة تجاوزت ما كان قائماً في العام ١٩٧٨، خصوصاً تدخلات المجتمع الدولي، حيث أصبح يصنّف النظام الليبي باعتباره نظاماً إرهابياً بعد حوادث كثيرة من أبرزها قضية لوكربي، رابطاً إياه بالإرهاب الدولي، الأمر الذي أعطى لقضية الاختفاء القسري أهمية جديدة، حيث قابل الرئيس الأميركي بيل كلينتون السيدة بهاء العمري زوجة منصور الكيخيا، وشدّد على ضرورة إجلاء مصيره، وتحميل ليبيا وقيادتها مسؤولية اختفائه.

بعد هذه السيناريوهات كيف يمكن أن ينجلي مصير السيد موسى الصدر، التي ينبغي أن تبقى قضيته في دائرة الضوء بحيث لا يتسلل إليها النسيان، لا سيما بعد تغيّر الظروف، وسقوط حكم القذافي، ويمكن للقضية أن تكتسب بعداً قانونياً وإنسانياً جديداً، حيث لا بدّ من الكشف عن ملابساتها وفك طلاسمها ومعرفة رموزها بتعاون بين القضاء اللبناني والقضاء الليبي، وبمساعدة من المحكمة الجنائية الدولية، أي أن تعاون القضاء الوطني مع القضاء الدولي مسألة مهمة، من خلال لجان تحقيق دولية وبمساعدة من الدولتين وفتح الملف مجدداً والاستماع إلى الشهود ودراسة الأدلة والأسانيد والقرائن، وبالتالي التوصل إلى الحقيقة، ليتم كشفها كاملة وغير منقوصة، بهدف تحديد المسؤولية الجنائية، بما فيها للأموات، فضلاً عن الأحياء، وتعويض الضحايا وعوائلهم مادياً ومعنوياً، وجبر الضرر والعمل على إصلاح النظام القانوني والقضائي والأمني وأجهزة التحقيق وغيرها، لمنع تكرار مثل هذا الحدث الجلل، الذي لا يزال العالم يعاني منه في نحو ٦٣ بلداً وإن كان قد انحسر مؤخراً، لكن بعض الأنظمة ومنها نظام القذافي الذي أطيح لا يزال متهماً بالكثير من حالات الاختفاء القسري، التي ينبغي كشفها وتسليط الضوء على مثل هذه الأعمال الإجرامية ووضع حد لها.

وإذا كانت قضية الإمام موسى الصدر قد شكلت أزمة مستديمة بين الدولة اللبنانية والدولة الليبية، لا سيما أن قطاعاً واسعاً ومؤثراً من اللبنانيين يعتبر ليبيا كدولة مسؤولة عن اختفائه قانوناً، ولا يهم في ذلك تضارب المعلومات بشأن وجوده حياً أو ميتاً، فإن المهم هو إجلاء مصيره، وإعادة لحمة العلاقات بين البلدين وتعاونهما في هذه القضية التي قد تكون مفتاحاً لقضايا أخرى مهمة، بما فيها تواطؤ بعض الجهات أو الأشخاص لحسابات أنانية ضيقة، علماً بأن السيد الصدر كان موفور الصحة، وعمره لم يتجاوز الخمسين عاماً لحظة اختفائه، فقد ولد في العام ١٩٢٨ واختفى في العام ١٩٧٨.

آن الأوان للكشف كيف أن دولة تستبدل وظيفتها من مهمة حماية الأمن وأرواح وممتلكات الناس إلى قاطع طريق أو عصابة، تقوم بتجاوز الشرائع القانونية والإنسانية والأخلاقية والدينية جميعها، فتخفي البشر دون أي شعور بوخز الضمير، متصوّرة أن العقاب لن ينالها، وأن المرتكبين سيبقون خارج دائرة المساءلة.

باحث ومفكر عربي

"أغصان الكرمة... المسيحيون العرب"

لمسيحيون في العراق بالذات هم الخميرة، التي يستوي وينضج من رائحتها عجين الحضارة "الرافدينية"، لذلك من حق عبد الحسين شعبان أن يُعلن مطالعته الرائعة عن "أغصان لكرمة- المسيحيون العرب" وينشرها في كتاب(*).

عمران القيسي
فنان وناقد

نهم الأقدم، بل الأعمق جذوراً ي هذه التربة الخصبة التي انزرع يها الإسلام في ما بعد. ألم يولد لسيد المسيح في بيت لحم؟ يأتي الإسلام في ما بعد معلناً مكانات التآزر والتكامل، مكرّساً ي القرآن آيات كثيرة في ذكر لمسيح عيسى بن مريم، وقربه ن الله ومعجزاته الربانية؟

ثم وفي عز انتعاش "الدولة لإسلامية"، ألم يكن للمفكرين لمسيحيين الدور الأكبر في أسيس الحضارة المشرقية التي سبقت النهضة الحضارية في وروبا عقوداً كثيرة؟

ويستند هنا البحث على ما ستند عليه المطران جورج قضر من بحوث للباحث الألماني راف عبر كتابه "تأريخ الأدب مسيحي العربي"، ويذكر هذا كتاب العديد من المؤلفات قبطية والسريانية والنسطورية المارونية التي كتبت باللغة عربية.

إن ما يسميه شعبان الحملة لإسلاموية - الصهيونية ضد مسيحيين، سوف تؤدي إلى تل ذلك الغنى الذي تضفيه نكهة المسيحية على الوجود لإنساني في هذه البقعة من دنيا، لأنهم الشفيع الحضاري كل هذا العالم المشرقي.

يعترف الباحث بأن منطق الغلبة لإسلاموية، وبعض اتجاهات حركات الإسلامية، استهدف مسيحيين في السودان ومصر لبنان والعراق وسوريا . وان تشريعات الدستورية والقانونية بعض البلدان العربية أدّت إلى ثل هذا الاستهداف، فالنص ذي يقول: إن الإسلام دين دولة الرسمي، دون أن يشير ى حقوق المسيحيين، إنما يقدّم فياً للحقوق الشرعية والوجودية للمسيحيين في هذه البلدان.

لذلك كان إصرار الحركات التقدمية في العديد من البلدان العربية بأن يقرّ تشريع دستوري مدني يؤكد على ان الدين لله، والوطن للجميع، وان المساواة هي القاعدة في المجتمع الحضاري العربي والدولة المنشودة، فلا فرق بين مسيحي ومسلم في الحقوق والواجبات.

بالطبع يذهب الباحث إلى الحدث الآني، فيركز على الأوضاع القائمة في سوريا منذ 15 آذار 2011 وفي العراق منذ الاحتلال وبشكل خاص العام 2013 وبروز "داعش" على مسرح الحدث الاضطهادي بكل هذه الوحشية والرعب، لاسيّما عقب احتلالها الموصل في 10 حزيران 2014 وتمدّدها في محافظات صلاح الدين والأنبار وأجزاء من محافظتي كركوك وديالى. أما في لبنان فإنه يراجع مساوئ وتداعيات تلك الحرب اللعينة التي اندلعت عام 1975.

لذلك ينادي الباحث بضرورة ارتفاع الأصوات الإسلامية والمدنية العلمانية التي تدين الأعمال الإجرامية ضد المسيحيين، وأنه لا بدّ من وضع حدّ لها لكي لا تخسر المنطقة بتهجيرهم إحدى ثرواتها التي لا يمكن تعويضها، لاسيّما تنوّعها الثقافي وتعدّديتها الدينية.

"إن ما تعرّض له المسيحيون العرب أمرٌ يستحق الوقوف عنده من جانب الجميع مسلمين ومسيحيين، متديّنين وعلمانيين، يمينيين ويساريين، لأنه يتعلق بالتعايش وبصميم العلاقات والحقوق الإنسانية ، خصوصاً وأنه ليس المسيحيون وحدهم من يدفع الثمن باهظاً...". كما جاء في كتاب "أغصان الكرمة".

ويركز الباحث على نظرية الإقصاء وفكرة الدولة الإسلامية الصافية. وذلك حسب سلوك "داعش" الذي هو التنفيذ البشع لهذه النصوص العدوانية، لكن ذلك ليس بعيداً عن السياسة الصهيونية التي أصابت بالعدوى بعض أقطاب الحركة الإسلاموية.

إن التفسير الذي يورده الباحث لمعنى المسيحيين العرب سوف يوصلنا إلى جزءين متلازمين: ديني وقومي. وإذا أوغلنا في الجانب العربي القومي، فإن المسيحية العربية كانت العمود الفقري لغالبية العشائر العربية. فالتغالبة وصلوا إلى تنصير العرب جميعهم تقريباً.

وهنا يورد الباحث مؤكداً أنه "إذا كانت الدولة في عهد الرسول والخلافة الراشدة أقرب إلى دولة دينية بتوجهات مدنية، فإن الدولة الأموية وبعدها الدولة العباسية، بدت كدولة أقرب إلى المدنية بمرجعيات إسلامية. وأصبح الحكم فيها ملكياً وراثياً بعد أن كان بالشورى. وبعد فتح القسطنطينية عام 1453 حصل المسيحيون على إقرار بالحرية في ديانتهم وطقوسهم، وحفظ أرواحهم وممتلكاتهم، استمراراً لدستور المدينة الذي كان بداية الاعتراف بالتعددية الدينية والاجتماعية، والعهدة العمرية العام 10 هجرية، وهي التي أعطاها الخليفة عمر إلى المطران صفرينيوس لضمان حق المسيحيين في القدس في ممارسة شعائرهم وحماية أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم.

> النص الذي يقول ان الاسلام دين الدولة الرسمي، دون ان يشير الى حقوق المسيحيين، انما يقدم نفياً للحقوق الشرعية والوجودية للمسيحيين في هذه البلدان

إن دراسة عبد الحسين شعبان لمسألة التغيير وإشكاليات التنوّع الثقافي، جعلته يلج الموضوع من مدخل الأقليات، والربيع العربي، مناقشاً بذلك مخاطر صعود التيارات الإسلامية التي نظرت إلى الغرب وديموقراطيته بقدر من الريبة. وهذا ما انعكس أيضاً على العديد من الأحزاب العلمانية، بل التيارات المسيحية، التي جوبهت بموجة من الريبة والشك.

ويستحضر الباحث، الأب أنستاس الكرملي، ذلك الذي كان له حضوره اللغوي والفكري والأدبي في النهضة الثقافية في المشرق العربي كلّه.

إنه المقارنة المثيرة بين شروط "داعش" على مسيحيي الموصل، وبين شروط حضورهم الثقافي الذي فرض نفسه على الفكر الموسوعي العربي برمته.

لكن الفصل الأهم الذي يناقشه الباحث هو ذلك الذي يفصل ما بين الإرهاب والجهاد، فالذي يجري الآن هو الإرهاب بكل مواصفاته، وهو بعيدٌ كل البعد عن الجهاد، الذي هو وكما قال رسول الله " كلمة الحق أمام سلطان جائر".

إن كتاب الدكتور عبد الحسين شعبان، هو الضرورة التي نحتاج إليها اليوم، وهو كلمة الحق التي تقال في آوانها، لذلك فإن الدفاع عن المسيحية العربية، هو دفاع عن الإسلام العربي المعاصر، هذا إذا كنا نسعى فعلاً إلى تأسيس الدولة الحديثة المعاصرة التي تضاهي العالم كلّه.

■ مركز دموراني - 2015.

جريدة الذكر اللبنانية الثلاثاء 2015/8/25

في الذكرى الاربعين لثورة ١٤ تموز (يوليو)

الدولة والجيش

■ د. عبد الحسين شعبان/ باحث وكاتب عراقي

تصادف الذكرى الاربعين لثورة ١٤ تموز «يوليو» ١٩٥٨ وخلال تلك السنوات، حصلت طائفة من التطورات والتغيرات على بنية الدولة العراقية وعلى دور المؤسسة العسكرية، كما تمت قراءات إرتجالية للماضي وإعادة نظر بالكثير من المنطلقات والاسس برؤية جديدة آخذة بنظر الاعتبار المستجدات والمتغيرات وواضعة بعين الاعتبار نتائج وآثار الحروب الداخلية والخارجية التي دخلتها الدولة العراقية خلال العقود الاربعة الماضية. هذه الدراسة تعالج جانبا مهما من هذا التطور وتركز علي دور العسكرية العراقية في بناء الدولة وعلي دورها في تدميرها أو فيما وصلت اليه.

* ليس مزحة ان نتحسس رؤوسنا نحن العراقيون، ان كانت تستقر على اكتافنا حقا لمجرد سماعنا اي خبر عن اندلاع حرب او النية في شنها او دخولها أو حتى التذكير فيها.

ففي بلادنا كل شيء يؤخذ بجدية بالغة، كل تصريح وكل رد فعل وكل هفوة لسان، فقد قادت مناوشات حدودية واختلافات أيديولوجية الى حرب طاحنة دامت ثمان سنوات بالكمال والتمام. ودعت ابتزازات تفاوضية ومطامح ذاتية الى احتلال بلد شقيق والغائه من الخارطة. وبعد الاصرار على دخول حرب محسومة النتائج سلفا اكلت الاخضر واليابس، يستمر الحصار الدولي، ليقترب من حرب ابادة جماعية شاملة اخذت تطحن آدمية العراقيين قبل عظامهم. المشهد الوحيد الذي يمزق تراجيديا العذاب، هو ما نسمعه عن انتصارات مزعومة ووعود بلغة نفاذ الصبر ومنازلة قادمة ستحسم الامر، في وضع يدعو الى السخرية الحزينة، لعالم ينظر بلا رحمة وبلا اكتراث ازاء معاناة الانسان العراقي المزمنة والمزدوجة والمركبة.

يصح القول ان العراق منذ عقدين من الزمان تقريبا يعيش حالة حرب مستمرة، ولعل قول نابليون ينطبق عليه تماما حين يقرر بأن «السلام ليس الا فترة فاصلة بين حربين». يعتقد بعض انصار العسكرية، ان الحرب تصنع الدولة، فهل ينطبق ذلك على العراق ام ان الدولة التي صنعت الحرب الت الى مصير آخر وغدت شيئا مختلف!؟

لقد ركز الادب السياسي على ميدان صناعة الحرب وعلى دور العسكرية، ولم يعط لثقافة الحرب، التي خلقتها الدولة ما تستحقه، اذ بأمكاننا ان نطلع على دور المؤسسة العسكرية في تشكيل الدولة والدور الذي لعبته لاحقا ودورها في التنمية الاقتصادية، غير اننا من الصعوبة العثور على ما هو مقنع وعقلاني على الهدف الذي قامت على اساسه العسكرية، والتي من اجلها انفقت كميات ضخمة من الاموال وشدت الاحزمة على البطون لاقتناء الاسلحة المتطورة تمهيدا لصناعة الحرب كثقافة لدولة اعتقدت ان في الحرب بمكن صناعتها على نحو اشد وثوقا.

لقد تأسس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ وبعد نحو سبعة اشهر ونيف تم تأسيس المملكة العراقية بتنصيب الملك فيصل الاول ملكا على العراق في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٢١. وبعد نحو اربع سنوات (في العام ١٩٢٥) ابرم القانون الاساسي (الدستور) الذي نظم العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في طوره التكويني الاول، والمؤسسة العسكرية.

لقد ظلت المؤسسة العسكرية تتطلع الى دور اكبر في الحياة السياسية على امتداد تأسيس الدولة العراقية، وانعكس ذلك في انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ أو عند الضغط الذي مارسه «المربع الذهبي» العقداء الاربعة بفرض حركة ايار (مايو) ١٩٤١ التي حملت رشيد عالي الكيلاني الى السلطة واضطرار الوصي عبد الاله الى الهرب ومن ثم اندلاع الحرب العراقية - البريطانية. وتحقق لها ما ارادت بنجاح «ثورة» ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم، والتي ادت الى قطع خط التطور التدريجي فغابت الحياة البرلمانية على فقرها وهيمنت العسكرية والقوانين الاستثنائية وتكرس ذلك في سلسلة الانقلابات العسكرية التي تبعتها سواء في ٨ شباط (فبراير) او تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ او محاولات الانقلاب العسكري الفاشلة، التي شهدتها الستينات والتي انتهت بانقلاب ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨، الذي حمل حزب البعث الى الحكم.

لقد بدأ الحكم البعثي التعاطي مع المؤسسة العسكرية على نحو مختلف. وعلى رغم انها قادته الى دست الحكم، فقد حاول تطهيرها من بعض كفاءاتها بسبب الولاء السياسي وسعى لادلجتها وتخريبها ثم ادخلت في حروب داخلية صغيرة ولكنها مستمرة وقاسية ضد الاكراد، ما لبثت ان دخلت حروب كبرى بتولي الرئيس صدام حسين للرئاسة، لم تكن قد دخلتها من قبل باستثناء محدود جدا في العام ١٩٤٨ في فلسطين وفي حرب العام ١٩٧٣ التشرينية وليس هناك شيء كبير يذكر بخصوص حرب عام ١٩٦٧ الحزيرانية.

كان الاعتقاد السائد ان المؤسسة العسكرية بحكم الانضباط والقواعد الصارمة والتعاطي مع الاسلحة المتطورة والعلم العسكري الحديث والدور الوطني بشكل عام، بأمكانها المساهمة في عملية التحديث وفي التنمية. وقد غلّب هذا الانطباع الانظمة العسكرية التي سادت في العراق وفي المنطقة المترافقة مع موجة «التحرر الوطني». ليس ذلك حسب بل ان مثل هذا الاعتقاد كان يذهب اليه معارضو الانظمة العسكرية من الامتدادات الدورية اليسارية والقومية العربية، التي ظلت تتطلع الى الجيش كمنقذ كلما ضاقت بها السبل.

لقد اثرت صناعة الحروب على البنية التحتية للدولة العراقية. وكان لها بالغ الاثر في تشكيل الدخل القومي وانفاق الدولة على المرافق الاقتصادية الاجتماعية والخدمية وعلى السياسة الضريبية وعلى الرفاه الوطني بشكل عام. والحرب العراقية - الايرانية كنموذج صارخ لتلك العلاقة، فقد سببت في سقوط نحو مليون ضحية بينهم - حوالي ٤٢٠ الف قتيل. وتشير احدى الدراسات الى ان نحو ١،٠٧٩ مليار دولار قد بددت تلك الحرب. اما حرب الخليج الثانية فحسب الاحصاءات الفرنسية فان نحو ١٥٥ الف قتيل قد سقطوا خلال حرب الستة اسابيع. وتذكر منظمة الصحة العالمية

الاستاذ عبد الحسين شعبان يتحدث لـ «خه بات»

النظام الديمقراطي هو الكفيل بتحقيق طموح الشعب الكوردي في حق تقرير المصير

في حوار صريح مع الدكتور عبد الحسين شعبان طرحت «خه بات» عليه العديد من الاسئلة ، تتعلق بعض منها بالوضع الجاري في العراق وقرار ٩٨٦ والمعارضة العراقية وخصوصاً المؤتمر الوطني العراقي والبعض الاخر تتعلق بالحقوق القومية للشعب الكوردي .

الأستاذ عبد الحسين شعبان من مواليد مدينة النجف الاشرف ، حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون . صدر له العديد من الكتب منها « امريكا والاسلام» «الانتفاضة وحقوق الانسان» «عاصفة على بلاد الشمس». كما نشر له العديد من الابحاث والدراسات في الدوريات العربية، وهو مفكر من الجيل الثاني للمجددين العراقيين. شخصية وطنية وديموقراطية مستقلة ومن المؤيدين تاريخياً لحقوق الشعب الكوردي ومساهم أساسي في صياغة الوثائق والتقارير التي تدعم حقه في تقرير المصير، وهو صديق حميم للحركة الوطنية الكوردستانية.

أجرى اللقاء: شيركو حبيب

خه بات - حزيران و تموز ١٩٩٦ - العدد: ٧ و ٨

السمات العشر للانتفاضات العربية

دعوة للتفكير والتدبير

عبد الحسين شعبان(*)

لعل ما حصل في تونس ومصر والجزائر وليبيا والمغرب واليمن وعُمان والأردن وسوريا والبحرين والعراق، وثمة إرهاصات أخرى في عدد من البلدان العربية بما فيها بلدان الخليج، إنما هو دعوة للتفكير فيما يعكسه المشترك العربي الإنساني في أوضاع بلادنا العربية المتنوعة، المختلفة والموحدة في الآن ذاته. ومثل هذا المشترك يقدر تماثله أو تشابهه أو تقاربه، فإنه يحمل اختلافه وتباعده وتمايزه أيضاً. لكن الأداء في ممارسات حركة الانتفاض والاحتجاج الواسعة، سواء للسلطة أو معارضيها، ظلت تحمل سمات مشتركة وهي السمات الغالبة والعامة.

السمة الأولى – أن مطالب الحركة الاحتجاجية تدرّجت واتّسعت، بل امتدت على طول البلاد وعرضها، ولم تعد محصورة بأهداف فئوية أو ضيقة أو مناطق محددة، بل شملت مطالب عامة تبدأ من الإصلاح وتنتهي أحياناً بتغيير النظام، وهو ما حصل في تونس ومصر، الأمر الذي لا بدّ من أخذه بنظر الاعتبار في ما ستؤول اليه سياسات وإجراءات لم ترتقِ الى مستوى الاحداث وتداعياتها، فضلاً عن أنظمة، ظل بعضها منذ عهد الحرب الباردة مستمراً دون شعور بالحاجة الى التغيير، على الرغم من أن كل شيء حولنا يتغيّر على نحو جذري وسريع.

السمة الثانية– إنتقال العالم العربي الى دائرة الضوء دفعة واحدة، لدرجة أن قرى وبلدات ومدناً نائية ومنسية أصبحت اليوم معروفة عالمياً، فقد كان للثورة العلمية– التقنية وثورة المواصلات والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والطفرة الرقمية « الديجيتل» دوراً كبيراً في ذلك، ولم يعد بالإمكان خنق حركة أو دفن عشرات من الأشخاص أو قهر آلاف الناس دون خبر أو صورة، فالصورة كما تقول في الإعلام هي خبر، مثلما تقول في البحث العلمي إن «الوثيقة خبر»، وقد تُغني عن عشرات التقارير والدراسات والمقالات، ومهما حاولت بعض الجهات الرسمية منع الاعلام من تغطية الأحداث تحت مبررات مختلفة، فإن الصورة يحد ذاتها ستكون خبراً مؤثراً، وهكذا تحوّل الكثير من المواطنين ممن يلتقطون هذه الصور الى مراسلين صحافيين، لأنهم كانوا مصدر بعض الأخبار، وهكذا أصبحت الحركة الاحتجاجية جزءًا من تيار عالمي وكوني، لا على صعيد رسمي حسب، بل في إطار المجتمع المدني العالمي أيضاً.

السمة الثالثة– إن الانتفاضة وحركة التغيير وإن جمعتها مشتركات عديدة الاّ أنها ليست استنساخاً، فهي في تونس غيرها في الجزائر وفي اليمن لا تشبه البحرين، وفي مصر مختلفة عن سوريا وفي المغرب تختلف عن الاردن، وفي شمال أفريقيا لها سمات متباينة عن الخليج العربي، أي أنه لا توجد صورة نمطية يمكن اقتباسها وتعميمها لتصلح للثورات جميعاً، كأن يكون هناك انقلاب عسكري أو قيادة ثورة لحزب أو جبهات وطنية أو غيرها، بل كانت حركة شاملة خطط لها الشباب وقادها وأدار حركتها باقتدار وموهبة.

وإذا كانت هذه الحركات جميعها جزء من قانون طبيعي للتطور التاريخي للمجتمعات، لا سيما بعد أن طفح الكيل وفاض الكأس، فإنّ ما عكسته تقارير التنمية البشرية، بشكل لوحة حقيقية لأسباب اندلاعها، خصوصاً: شح الحريات والنقص الفادح في المعارف واستمرار تفشي الأمية التي تجاوزت ٧٠ مليون مواطن عربي بما يقارب ٢٠٪ من سكان البلدان العربية، بينهم ١٣ مليوناً من الشباب في سن ١٣–٢٤ حسب توصيفات منظمة الأسكوا (اللجنة الاجتماعية ـ الاقتصادية لغربي آسيا)، والحديث هنا عن الأمية الأبجدية، وهو ما يشمل التعاطي مع علوم العصر وتقنياته ووسائله الحديثة، حيث لا يزال العالم العربي يقفه وقضيضه لا تزيد استخداماته للانترنت عن ٦.١٪ وهي نسبة متدنّية قياساً بالنسب العالمية.

يضاف الى ذلك الموقف من المرأة ومساواتها وحقوقها وتمكينها في العالم العربي الذي لا يزال متأخراً قياساً بالتطور العالمي، حيث يعاني نصف المجتمع من تهميش وإقصاء كبيرين، كما تعاني المجتمعات العربية من مواقف استعلائية من التنوّعات الثقافية المدنية والقومية والاثنية واللغوية والسلالية، لاسيما من طرف المجموعات المتسيّدة، وهو ما يستخدم مجازاً مفهوم الأغلبية والأقلية.

السمة الرابعة ـ إن الثورة ليست رسماً بيانياً أو خارطة هندسية أنيقة تعرف تضاريسها وحدودها سلفاً، فهي حركة تمرّد وانتفاضة على ما هو قائم، ولا توجد ثورة في التاريخ تركت تأثيراتها من دون أن تترك انقلاباً على النظام القديم مروراً بفترة انتقالية، قد تطول وقد تقصر، وقد تشهد معاناة جديدة باتجاه بناء نظام جديد، بغض النظر عن طبيعته، لكنه سيكون نقيضاً لما سبقه، ولعل جميع الثورات صاحبها ورافقها شيء من الخراب للقديم باتجاه مرتكزات جديدة ونظام قيمي آخر، بغض النظر عما ستتركه من بعض التأثيرات السلبية أحياناً، وبمراجعة وقراءة للثورات المعاصرة الكبرى سواء الثورة الفرنسية العام ١٧٨٩ أو ثورة أوكتوبر الروسية، العام ١٩١٧ أو الإيرانية الإسلامية العام ١٩٧٩، لم أجد ثورة «نظيفة» في التاريخ، بمعنى ما ينبغي وما لا ينبغي أن تقوم به، لاسيما القوى المشاركة في التغيير أو المنضررة منه.

ولهذا فإن هذه الثورات الراهنة لا يمكن الحكم عليها الاّ بعد انقضاء الفترة الانتقالية، خصوصاً إذا تمكنت من إرساء قاعدة الصراع السلمي ـ المدني، حيث يكون الخيار هو صندوق الاقتراع وتداول السلطة، الذي سيحدد شرعية الحاكم وعلاقته بالمحكوم.

السمة الخامسة– إن التغيرات التي حصلت في تونس أو في مصر ليست تونسية أو مصرية، وإن كانت قلباً وقالباً انعكاساً لرغبة شعبي تونس ومصر، لكنها بالقدر نفسه كانت عربية، وإن كانت جاذبيتها كونية، ولعل حركة التغيير مثل شجرة تتفرع منها أغصان أفريقية وأسيوية كثيرة، مع مراعاة الطقس والتربة والبذور ووقت قطف المحصول، وخصوصاً بيد الشباب العامل الحالم، وهذا يجد ذاته تأكيد لما هو مشترك وإنساني.

السمة السادسة– مثلما كان هناك مشتركات للشباب دفاعاً عن الحرية والكرامة والعدالة، فقد كان للحكومات مشتركات أيضاً، فقد اعترفت جميعها بضرورة الإصلاح وبأن مطالب الشباب عادلة ومشروعة، لكنها في الوقت نفسه ادّعت أن يد الخارج طويلة بحيث تمتد داخل حركات الاحتجاج، سواء بالتحريض أو بنقل الأسلحة أو بالتدخل أو بالعلاقة مع المعارضات. وإذا كان هناك شيء من الحقيقة في ذلك وهو ما تحاول القوى الخارجية استثماره دائماً، فلا يصح إنكار المطالب العادلة والمشروعة للشعوب وإنسابها الى القوى الأجنبية والمؤامرات الدولية. ولعل الحقيقة الأساسية تكمن في أن سبب التخلف وتعطيل التنمية وعدم السير في دروب الديمقراطية، هو الاستبداد والتسلّط والانفراد، الأمر الذي شاعت من معاناة الناس، خصوصاً وقد أختيرت الشعوب بطريقتها اليومية، والمعيشية، المسبّب في شقائها وآلامها، لاسيما باستمرار ارتباط البلاد بأوضاع الاستتباع الخارجية وإملاء الارادة والخضوع لأجندات الأجنبية.

السمة السابعة – بقدر ما كان الشباب واعياً ومتحفّزاً للانخراط دفاعاً عن مطالب وأهداف آمن بها، ومستعدّاً للتضحية من أجلها، فإن الحكومات هي الأخرى كان لها أنصاراً، من أعضاء الأحزاب الحاكمة ومن مؤيديها أو المستفيدين من وجودها، ومن أجهزتها الأمنية الضارية، وحاولت بعض الحكومات إنزال أتباعها الى الشارع لمقابلة المتظاهرين، في مظاهرات موالاة، وإن كان بينهم بعض من أطلق عليهم لاحقاً أسماء «البلطجية»، فقد اعتاد هؤلاء على ارتداء ملابس مدنية لقمع المدنيين العزّل.

وهكذا جرى الحديث عن الإندساس والمتدسين أو المدسوسين من الخارج أو من قوى داخلية، بل أن غالبية حكومات المنطقة إتّهمت حركة الاحتجاج بالتخريب ومهاجمة المرافق والممتلكات العامة والعبث بها، وأن هناك ضحايا من شرطتها وجنودها، أكثر من المحتجين، بل ان أكثر من مسؤول حكومي اعتبر عدد الضحايا العسكريين أكثر من المدنيين.

السمة الثامنة – ان الحكومات جميعها ودون استثناء تمسكت بمواقعها وحاولت مقايضة الأمن بالحريات والكرامة، وبشكل سجّل الانفلات والخراب، ملوّحة الى تنظيمات إرهابية وأصولية، لم تكن تنظيمات القاعدة والتنظيمات الإسلامية المتشددة بعيدة عنها، وذلك في عزف على «العود المتنافر» وكأنها تريد التلويح بأنها ستكون البديل الأسوأ عنها.

السمة التاسعة– إن حركة الاحتجاج سحبت البساط من تحت الكثير من الأنظمة السياسية التي إهتزّت شرعيتها، الأمر الذي يحتّاج الى صياغة عقد اجتماعي جديد بين الحاكم والمحكوم على حد تعبير المفكر اللبناني غسان سلامة، فالتغيير ليس مجرد هلوسات أو مجموعة مخربين مدعومين من الخارج كفّار بنعمة الأمن والاستقرار أو دعاة تخريب، بل حركة شعبية عارمة يتطلب قراءتها بتبصر وبُعد نظر من جانب الأنظمة والقوى السياسية المختلفة، جاءت بعد تراكمات لعقود من السنين.

السمة العاشرة– إن التغيير لم يعد نزوة فكرية أو رغبة لنخبة من المثقفين أو المنشقين أو الليبراليين، بل أصبح مطلباً شعبياً عاماً، أجمعت قوى وتيارات فكرية وسياسية عليه بما فيها بعض أجنحة من الأنظمة الحاكمة ذاتها، حتى إن اختلفت وتباعدت مناهجها وأهدافها، فقد أدرك الجميع إن قطار التغيير قد بدأ ولا يمكن وقف مساره أو تغييره، لكنه قد يتعثر أو يتأخر أو ينحرف، الاّ أنه سيصل في نهاية المطاف، مهما كانت المعوقات، فالاصلاح والديمقراطية والحريات ومكافة الفساد وتثبيت الحقوق الانسانية، أصبحت حاجة ضرورية ماسة، واستحقاقاً ليس بوسع أي مجتمع أن يتنصل عنه، وهو «فرض عين وليس فرض كفاية»، وإذا كان الماضي قد احتضر فالجديد لم يولد بعد، حسب تعبير المفكر الايطالي انطونيو غرامشي.

(*) أكاديمي وكاتب عراقي

اغتصاب الذاكرة وصناعة النجومية في العراق:

سوسيولوجية الحكم وماراثون «الأيام الطويلة»

عبدالحسين شعبان *

* كاتب وحقوقي عراقي

الحياة

الأربعاء ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٥ الموافق ١٠ جمادى الاولى ١٤١٦هـ/ العدد ١١٩٢٣

"Le Jourdain" الملحق الفرنسي - الجنسية الاردنية The STAR صحيفة
تاريخ ٢٤ آب ٢٠٠٠

24 AOÛT 2000 F R E N C H

Cha'aban

Intellectuel irakien multi-talents

Par: S.S

ABDUL-HUSSEIN
Cha'aban est un intellectuel irakien "multi talents". Agé de 55 ans, spécialiste de droit international, expert en Droits de l'Homme, conseiller juridique, écrivain et journaliste, il a publié une vingtaine de livres et un grand nombre d'études et d'articles dans des domaines divers.

La semaine dernière, il était en visite à Amman. Bien qu'étant de passage pour des raisons "familiales", Cha'aban en a profité pour donner des conférences et établir des contacts avec ses amis jordaniens.

La première conférence, au "Forum Arabe" d'Amman, a abordé la thématique de "l'intellectuel et la liberté". Elle a été l'occasion de faire le procès de l'intellectuel arabe qui a "trahi" son rôle en de nombreuses circonstances. Cha'aban a souligné "la confusion entre l'intellectuel et le politique" qui a souvent mené des personnages comme . Faraj Foudeh, Nas'r Abou Zeid ou Sa'ad Eddine Ibrahim en Egypte à livrer des combats inutiles. Le public présent au "Forum Arabe" était constitué en majorité d' Iraqiens réfugiés en Jordanie. Tout au long de la conférence, des enveloppes glissaient vers Cha'aban, lequel est, en plus de toutes ses fonctions, président de l'Organisation Arabe des Droits de l'Homme en Grande-Bretagne où il vit actuellement. Ces lettres exprimaient les difficultés rencontrées par les journalistes, artistes ou écrivains irakiens, dont les droits fondamentaux sont régulièrement bafoués. Pour exprimer leur gratitude à l'égard du conférencier, certains d'entre eux ont formé un groupe de théâtre qu'ils ont baptisé "Groupe Cha'aban" en hommage à l'intellectuel qui a consacré beaucoup de ses efforts et de sa vie pour défendre les droits de l'homme.

La deuxième conférence, plus animée encore que la première, a eu lieu à l'Association des Ecrivains Jordaniens mercredi dernier. Cha'aban a parlé du grand poète irakien Al-Jawahiri à l'occasion de son centième anniversaire. La vie de ce poète se confondait avec l'histoire de l'Iraq au vingtième siècle. Tout comme le poète Arar, l'idole des Jordaniens, Al-Jawahiri a gagné les coeurs de tous les Iraqiens malgré le caractère contradictoire de sa vie.

Cha'aban a achevé sa tournée par une table ronde sur "la tolérance", organisée par le nouveau Centre d'Amman pour les Etudes des Droits de l'Homme. Là encore, le débat a été d'une profondeur inégale ; la tolérance est un sujet peu abordé dans la société arabe, qui en a pourtant cruellement besoin.

Dans un entretien accordé au "Jourdain", Cha'aban a souligné l'évolution du Mouvement Arabe des Droits de l'Homme (MADH) durant les deux dernières décennies. "Le nombre des organisations et centres d'études a augmenté tant sur le plan gouvernemental que non gouvernemental". Il a ajouté : "le MADH a franchi l'étape de la fondation ; il s'agit aujourd'hui d'approfondir et de consacrer les concepts des droits de l'homme". Selon Cha'aban : "la tâche principale des militants arabes des droits de l'homme est de diffuser la conscience et la culture des droits de l'homme auprès des citoyens arabes ordinaires. Il estime que le MADH devra être en lien étroit avec le mouvement international des droits de l'homme : "la particularité arabe doit être en interaction avec l'universalisme" . Cette particularité ne devra pas constituer un obstacle devant l'adoption des principes universels des droits de l'homme.

Notre dernière question à Cha'aban concernait la paix du point de vue des Droits de l'Homme. "C'est le meilleur terrain pour développer tous les Droits de l'Homme ; l'inverse, c'est-à-dire la guerre constitue le pire état pour ces droits . Qui dit guerre dit morts, blessés , handicapés, destruction et insécurité etc.. Dans ce cas, comment peut-on parler du respect des Droits de l'Homme?". Cha'aban a insisté notamment sur le fait que la paix doit être juste et respectueuse des droits des peuples, et en particulier le droit à l'auto-détermination et au développement. "La paix qui se construit à travers des règlements politiques fragiles n'a rien à voir avec les Droits de l'Homme" affirme-t-il. On pense déjà à Oslo, à Camp David et bien d'autres!■

l'ex-

APRÈS TROIS
France, l'ancien
nique David Sha
lundi en Grande
s'est dit prêt à
procès.
L'ex-agent du
onnage, âgé de
poursuivi pour
sécurité nationa
divulgué des
secrets.
Il avait été a
en France à la
Londres et détenu
pour avoir fait d
au sujet d'un co
vices secrets vis

APRÈS AVOI
un recours à
BAISE-MOI,
Promouvoir
André Bonnet,
mouvement
d'extrême droi
Mégret, le MNI

jeudi 19 avril 2001 page 7

L'Orient LE JOUR INFORMATIONS LOCALES

ENTRETIEN – Rencontre autour de l'ouvrage « Islam et droits de l'homme »

Abdel Hussein Chaabane, un néomoderniste venu d'Irak

Abdel Hussein Chaabane est un penseur irakien, originaire du Najaf, en Irak. Auteur de plusieurs ouvrages sur l'islam et spécialiste en droit international, il est surtout connu pour son activisme dans le domaine des droits de l'homme, qui l'a amené à s'exiler dans les années 80 à Londres, pour son opposition au régime de Saddam Hussein. Mais il reste évasif concernant les détails de son exil, en lâchant cette plaisanterie : *«Il y a deux capitales internationales pour les élites arabes : Londres et Paris»*. A la demande de la Fédération des droits de l'homme et du droit humanitaire de M. Waël Kheir, M. Chaabane a effectué une visite à Beyrouth pour présenter son dernier ouvrage, intitulé *Islam et droits de l'homme*.

«La problématique de mon ouvrage, explique Abdel Hussein Chaabane, *tourne autour de la relation qui lie l'islam, en tant qu'enseignement et religion, aux droits de l'homme»*.

Selon lui, il existe quatre courants dans le monde musulman qui ont pris position par rapport à ce problème… Pour le premier de ces courants, il n'y a aucune relation possible entre l'islam et les droits de l'homme. Ceux-ci sont *«une idée occ*

l'islam et le socialisme ou le nationalisme», poursuit M. Chaabane.

Comment définit-il la religion et les droits de l'homme ? *«Chacun a son champ de définition propre. L'idée des droits de l'homme, même si elle passe aujourd'hui pour une création de l'Occident et de la modernisation, est un prolongement de l'interaction entre les différents peuples, cultures et civilisations. Il s'agit d'un ensemble d'idées, de concepts, de droits, de lois, d'institutions, de pratiques qui constituent un tout organisé et complet. Cette idée est le fruit d'un développement de la pensée humaine, des différentes philosophies, des civilisations, des enseignements et des religions révélées»*, explique M. Chaabane. *«C'est une idée globale perpétuellement* "en marche"», insiste-t-il.

Et de dénoncer *«certains pouvoirs qui procèdent à une application sélectiviste des droits de l'homme pour fuir les engagements internationaux»*.

Quant à la religion, il s'agit de *«la relation entre l'homme et son Créateur»*.

Où résident, selon lui, les points de rencontre entre l'islam et les droits de l'homme ? *«En comparant la Déclaration*

révélée à tous les hommes sans aucune distinction et qui possède une perspective mondialiste. Ceci est illustré dans les discours des quatre premiers califes, notamment dans les prêches humanistes de l'imam Ali ibn Abi Taleb ou dans "le serment de la vertu", à travers lequel Mahomet et ses disciples avaient pris la décision de défendre celui qui a subi une injustice pour lui recouvrer ses droits. C'est une référence à la création d'une institution semblable à celles des ONG des droits de l'homme… Et il y a beaucoup d'autres exemples», selon M. Chaabane.

Pour un certain courant, la charia, dont les sources sont le Coran, la sunna du Prophète, l'analogie et le consensus, est la seule source de législation. Un autre courant estime qu'il existe plusieurs autres sources. *«D'ailleurs, après la mort du Prophète, la société a eu recours à des solutions inspirées des discours de ce dernier sans pour autant se limiter exclusivement à ce qu'il avait dit. La charia n'est pas statique, elle se transforme, notamment grâce à l'interprétation* (ijtihad), *qui prend le développement de la société en considération»*, estime-t-il.

y a Ghazali, Mohammed Taha, mais je ne fais pas la différence entre chiites et sunnites. J'ai une vision globale de l'islam».

Et que pense-t-il des *fatwas* prises contre les réformistes ? *«Personne n'a le droit de le faire, ni les hommes de foi ni les autres. Certains essayent d'empêcher l'interprétation, de rendre les personnes fautives, criminelles, de les exclure de la société au nom d'un droit commun, alors qu'ils ne sont pas habilités à le faire. Pour l'être, il faut avoir des connaissances humanistes et universelles, ce qui n'est pas le cas pour la majorité d'entre eux. Moi-même j'ai été pris à parti par un uléma, sur la chaîne de télévision al-Jazira, qui m'a dit* : "Tu es un renégat, tu mérites la mort si tu ne te repens pas. Les droits de l'homme sont une idée sioniste, juive, impérialiste, colonialiste, et celui qui y adhère mérite la mort"».

Pour une « opération pacifique de développement »

Où se situe-t-il exactement parmi tous les courants qu'il a nommé ?

«En tant que musulman, je cherche à établir un gouvernement démocratique, qui respecterait les droits de l'homme

جذور التيار الديموقراطي في العراق» لعبد الحسين شعبان

حسين جميل ومزاج الاشتراكية والليبرالية

عمر كوش

م الدكتور عبد الحسين شعبان، في كتابه «جذور
قراطي في العراق»، ذكرى وفاة حسين جميل كي
السؤال الكبير، الذي ظل يتردد على مدى سنوات
مس أحياناً أو بنبرة خافتة وبمجاهرة أحياناً أخرى،
تدهور التيار الوسطي في الحركة الوطنية العراقية؟
ل آخر، هو: كيف ولماذا تبدد التيار الديمقراطي بعد
غضون كثيرة وجذور قوية وتأثيرات غير قليلة؟
ق مقاربته للأسئلة المطروحة، يخوض عبد الحسين
إشكالية محورية، تدور حول أسئلة كثيرة، تنفتح
ب انقطاع نسل الليبرالية العراقية، وعلى إمكانية
ة للتراث الليبرالي، وكذلك على ماهية العلاقة ما بين
الوطنية، خصوصاً لجهة العلاقة بين دعاة الليبرالية
ذين أصّلوا ذلك بالصلة الوثيقة بينها وبين الوطنية،
ى دعاة الليبرالية الجدد الذين لا يعير بعضهم أي
لك التاريخ ولتلك البيئة الأولى التي نشأت فيها
لعراقية الوثيقة الصلة بالديمقراطية والوطنية.

احب الذكرى، حسين جميل، في شخصه اهتمامات
ديدة، إذ كان باحثاً ومفكراً سياسياً ليبرالياً،
وطنية، دافع عن الديمقراطية والنظام الديمقراطي
، ولم يكن يفصل السياسة عن بعدها الأخلاقي. غير
ن الدنيا قبل أن يتمكن من رؤية متحقق للديمقراطية
لرافدين، وترك وراءه العديد من المؤلفات والدراسات
التي شكلت مراجع على المستوى الحقوقي والفكري
قراطية وحقوق الإنسان.

عبد الحسين شعبان، من خلال كتابه، إلى تقديم
ر ونشاط حسين جميل ورفقائه من الرموز القدامى،
ف عن جوانب ظلت مهجورة، وربما مرذولة لدى
من فكر المدرسة الليبرالية العراقية المعاصرة. وقد
لى تناول الفكرة الليبرالية، كما هي الصورة والظل أو
فرع، ثم نقد بعض الإرهاصات التي جرت لتنميط
العربية بين جدل الداخل والخارج، ليتوقف بعدها
ر الليبرالي - الليبرالي، كي يتخذ منه مدخلاً لبحث
في الماضي والحاضر العربيين.

جانب التيار الديمقراطي في العراق، فإن عبد الحسين
يعود إلى بواكير هذا التيار، وبالتحديد إلى الرعيل
ل التأسيس، بدءاً من مدرسة حسين رحال، ومروراً
لأهالي، حيث عمل الرعيل الأول في الحقل العام بُعيد
لدولة العراقية في ٢٣ آب من العام ١٩٢١. وشهدت
ات القرن الماضي حوارات ساخنة حول قضايا
ة وثقافية وسياسية مختلفة ومتنوعة، مثل السفور
، والموقف من المرأة، وقضايا الاستقلال والتحرر،
ل الداخلي والحداثة وسواها. وكانت مدرسة حسين
روائي محمود أحمد السيد وأقرانهما، قد بدأت
بتوجهات يسارية واشتراكية ومسارات ليبرالية في
مثقفين والمتعلمين العراقيين، ثم تشكلت حلقة
ثانية، عرفت باسم «جماعة الأهالي»، من تجمعين
بغداد وبيروت أساساً، وضمت عبد القادر إسماعيل
جميل وعزيز شريف وفائق السامرائي ومحمد مهدي
اول حسين جميل منذ بدايات انخراطه في العمل العام
ن آرائه في مقالات كتبها، وانتصر فيها لحرية التعبير
العمل بالوسائل الديمقراطية، وساهم في تأسيس
جريدة «الأهالي» عام ١٩٣٢، حيث كان صاحبها

- الكتاب: جذور التيار الديمقراطي في العراق
- المؤلف: د. عبد الحسين شعبان
- الناشر: دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٧.

ومديرها المسؤول. وصدر عن الجريدة وثيقة عُرفت باسم «الشعبية»، تلخص جملة من مواقف وآراء أصحابها حول مشاكل المجتمع العراقي في ذلك الوقت، وتتمحور الحلول التي قدمتها على كفالة الطمأنينة والرفاه والتقدم للمجتمع، وأن يكون كل فرد آمناً على نفسه وحقوقه، مركزة على حقوق الإنسان، ومبرزة حق الفرد في الحياة والحرية والمساواة والعمل، بشكل يكفل استخدام مواهبه الذاتية، ويؤمن حاجياته الضرورية، المادية والمعنوية كحد أدنى، ويسهم في تحسين مستوى حياته وحياة المجتمع.

ويرى عبد الحسين شعبان أن أفكار الشعبية كانت أقرب إلى الاشتراكية الفابية وحزب العمال البريطاني في ذلك الوقت، وأقرب كذلك إلى الحداثة والاشتراكية المعتدلة العقلانية التي وضعت مسافة بينها وبين الشيوعية البلشفية، من خلال تقديرها للحريات الفردية وحقوق الملكية ودور العائلة والموقف من الدين. وقد استقى حسين جميل ورفاقه مبادئ «الشعبية» من حاجات المجتمع العراقي، وتطلعات سكانه الأكثر رغبة في التغيير، وبخاصة الفئات الفقيرة والمعدمة، وزاوجوا بين المبادئ الاشتراكية ومفاهيم الليبرالية. وتلاقح في فكر الشعبية وجماعة الأهالي هدفا التحرر من الاستعمار والتحرر الداخلي من الاستغلال مع العمل على تحقيق الديمقراطية في العراق، واعتبرت الديمقراطية ليست فقط أسلوب الحكم الصحيح، بل وسيلة من وسائل الشعب وقواها الوطنية في العمل على تحقيق استقلال العراق الكلي وتحرره من النفوذ الأجنبي. وكان حسين جميل يرى بأن العمل الوطني والعمل لتحقيق الديمقراطية متلازمان، ولا تقتصر الديمقراطية على الديمقراطية السياسية ومقوماتها ومؤسساتها فقط، ولا تكون مجدية إذا لم تكن متكاملة بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية، كما أن أية تسمية أعطيت للحريات، سواء كانت عامة أو سياسية أو مدنية، لا تتحقق من غير تحرر المواطنين من الاستغلال والتبعية الاقتصادية والاجتماعية.

ويقرر عبد الحسين شعبان بأن المدرسة الليبرالية كانت وثيقة الصلة بالمدرسة اليسارية والماركسية العراقية في عشرينات وثلاثينات وأربعينات القرن العشرين المنصرم، لكن الصلة انقطعت عند المواجهة التي حصلت بين التيار اليساري الشيوعي والتيار القومي العربي، حيث نأى التيار الليبرالي بنفسه عن الانخراط في دائرة العنف، سواء في العام ١٩٥٩، حينما أصبح العنف سمة مميزة للحياة السياسية ومحاولة إلغاء الآخر واقصائه وتحريمه، أو بعد حصول انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣، حيث باتت المنافسة الفكرية أقرب إلى الخصومة بل والعدائية، وتلقت الديمقراطية بحصوله ضربة قوية، وتلقى معها الضربة نفسها التيار الديمقراطي - الليبرالي. وكان على رموز التيار الليبرالي والديمقراطي الانزواء والابتعاد عن الحياة العامة، نظراً لمصادرة الهوامش الديمقراطية والحريات، وخصوصاً بعد انقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ الذي أعلن سير البلاد نحو الاستئثار والانفراد والتسلط. وغدت الليبرالية اختراعاً مشبوهاً أو نسيجاً غربياً، وتمثل نوعاً من الميوعة والتسيب والفردانية المطلقة، وهي تهم خطيرة في ظل الاستبداد وحكم الشمولية.

وفي الحوار الليبرالي الليبرالي، يرى عبد الحسين شعبان أن الليبرالية العربية الراهنة ليس فيها ما يقارن بليبرالية جيل الرواد، وتعرضت إلى نقد شديد، ومن مواقع مختلفة. ومع ذلك فإن الليبرالية تستهدف الانعتاق والحرية في المجالات المختلفة، وإعلاء شأن الفرد، والإسهام في تفتق طاقاته ومواهبه، خصوصاً في ظل حرية سياسية واقتصادية لمواجهة تغوّل الدولة، وليس فتح الأبواب على مصراعيها للتدخل الأجنبي.

ويكتسي النقاش حول الليبرالية والديمقراطية أهمية كبيرة في هذه المرحلة التي تعصف بالمنطقة العربية بشكل عام، حيث الاحتقان والانقسام المذهبي والطائفي بلغ مرحلة غير مسبوقة، وينذر بما هو أسوأ، وكأن المخططات والمشاريع الهادفة إلى إعادة تكوينها السياسي والاجتماعي والاقتصادي قد بدأت تأكل أهلها. لكن الليبرالية العربية الراهنة تختلف من حيث جذور النشأة والتركيبة المجتمعية والأهداف، عن الليبرالية الأوروبية في عصور الأنوار، وعن الليبرالية العربية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ويمكن القول إن الليبرالية هي قدرة على صناعة العقل المتحرر القادر على الإبداع، وقدرة على التعامل الحر والمتجدد مع الواقع المتغير، لكن الليبراليين العرب لم ينتبهوا إلى أن بلادنا العربية بحاجة ماسة إلى ربط الحرية بالتحرر، والديموقراطية بحاجات المجتمع الذي يتطلع لدولة لها وظائف حقيقية، وليست دولة ميتافيزيقية أو فوقية تضع نفسها فوق الجميع، وتقتصر مهمتها في التنسيق بين فئاته فقط، وأن واقعنا العربي القائم يحتاج ديموقراطية تتواءم واحتياجات المجتمع في التطور والتنمية، والى تحرر اقتصادي واجتماعي، والى كبح جماح الحرية الفردية النفعية المنفلتة، خاصة وأن ملايين الفقراء وهم الأكثرية الساحقة في بلادنا العربية ما زالوا بحاجة لخدمات اجتماعية أساسية وللضمان والمساعدة، إلى جانب حاجتنا للخلاص من التبعية السياسية والاقتصادية، وتشييد عقد اجتماعي يوازن بين مصالح فئات المجتمع كلها.

صحيفة النهار اللبنانية العدد 23271 تاريخ 22 شباط (فبراير) 2008

العـــراق وأربعـــة أعـــلام

عبد الحسين شعبان

هل يعتبر تغيير العلم العراقي أمراً محرّماً أو محظوراً أم أنه إجراء مشروع وممكن، ولكنه يتطلب توافر بعض المستلزمات الضرورية؟! وهو الأمر الذي اختلف حوله الفرقاء في العملية السياسية وخارجها في العراق حالياً.

عرفت الدولة العراقية منذ تأسيسها حتى الآن أربعة أعلام: الاول العلم الملكي ذو النجمتين السباعيتين اللتين تشيران الى محافظات العراق (ألويته الـ14) الثاني علم الجمهورية الأولى 1963-1958، وذلك بعد اطاحة بالنظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري في 14 تموز1958، والثالث بعد اطاحة بعبد الكريم قاسم، حيث تم اختيار علم جديد وضعت ثلاث نجوم عليه، وبَرّرَ وجودها بأنها ترمز الى الوحدة الثلاثية، بين مصر وسوريا والعراق، والتي أعلن عنها في17 نيسان/ابريل 1963، تلك الوحدة التي لم تتحقق.

وظلّ العراق على ذلك العلم حوالى أربعة عقود من الزمان وارتبط باسمه الكثير من الأحداث والتواريخ والمواقف. وكان التبرير اللاحق الذي صدر عن الحكومة العراقية هو أن النجوم الثلاث ترمز الى شعارات حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم آنذاك: الوحدة والحرية والاشتراكية، وبعد انتهاء الحرب العراقية- الايرانية تم وضع عبارة الله أكبر بخط الرئيس السابق صدام حسين على العلم العراقي الذي يمكن اعتباره العلم الرابع.

وبعد احتلال العراق في 9 نيسان 2003 كلّف مجلس الحكم الانتقالي المهندس المعروف رفعت الجادرجي تصميم علم عراقي جديد، الاّ أن اعتراضات شعبية وحكومية أدت الى إهماله، ورغم أن جميع مؤسسات الدولة العراقية ظلّت ترفع العلم السابق، بَيْدَ أن اقليم كردستان تحفّظ عن رفعه، الأمر الذي أثار اشكالات قانونية وسياسية وبروتوكولية، لاسيما في الفترة الأخيرة، خصوصاً ان قرب انعقاد دورة الاتحاد البرلماني العربي في اربيل كانت تزيد من التساؤلات حول أي علم سيتم رفعه وهل سيكون هو علم العراق إذا عارضت سلطات الاقليم، وكيف ستتصرف الاطراف العربية إزاء هذا الاشكال والالتباس؟

ومكذا ومثل بقية الأمور الأخرى في عراق ما بعد الاحتلال، وتحت ضغط الحاجة صادق البرلمان العراقي اخيراً على علم جديد "قديم" لمدة عام مما يعكس الخفة في التعامل مع الكثير من القضايا بما فيها المعقّدة، فتم سلق الأمور على نحو سريع مما يظهر مدى الارتجال وغياب بُعد النظر في القضايا ذات الاعتبار الوطني الرمزي.

لكن مهما كانت الاسباب والمبررات والتحفظات بخصوص العلم الجديد- القديم فقد تم رفعه اخيراً (9/2/2008) في إقليم كردستان في احتفال رسمي حضره رئيس الاقليم مسعود البارزاني ورئيس البرلمان عدنان المفتي ورئيس حكومة الاقليم نيجرفان البارزاني، واقترن رفع العلم بالنشيد الوطني العراقي، ولعل مثل هذا الإجراء لا يعتبر شكلياً أو شأناً بروتوكولياً فحسب، بل هو تعبير عن موقف سياسي يتعلق بوحدة الدولة العراقية بجميع مكوّناتها، رغم كثرة الحديث عن التشظي والتفتيت ومشاريع التقسيم المطروحة، سواء تلك التي جاءت على لسان جوزف بايدن التي أقرها الكونغرس الاميركي (2007) أو غيرها من الخطط العملية، التي تعوّم السلطات الاتحادية لحساب سلطات الاقاليم ولاسيما في الصلاحيات التي من اختصاصها.

وإذا كان الاقليم قد اختار الفيديرالية من طرف واحد منذ عام 1992 فإن ادراج ذلك في الدستور الدائم رغم التحفظات والملاحظات من بعض الأطراف داخل العملية السياسية أو من خارجها، يعني الإقرار ببقاء العراق موحداً، ووجود رمز له هو العلم العراقي وإن كانت سيادته معطّلة.

العلم هو رمز السيادة الوطنية وتتعامل معه الدول على هذا الاساس، ورغم أن السيادة العراقية لا تزال مجروحة أو معوّمة حسب القانون الدولي واتفاقات جنيف لعام 1949 وملحقيها لعام 1977 وقرارات مجلس الأمن الدولي وبخاصة القرار 1546(2004) والقرار 1771 (2007)، الاّ أن عدم وجود علم أو وجود أكثر من علم لدولة واحدة، يعني الإقرار بهذا التعويم واستمرار حالة فقدان وحدانية الدولة وغياب هيبتها وضعف شرعيتها، ومهما كانت الاعتراضات حول تغيير العلم، الاّ أن وجود علم هو بلا أدنى شك أفضل من غيابه.

ورغم الاختلافات والتعارضات الى حد التناقض أو التصادم بين أطراف في العملية السياسية وأخرى خارجها أو بين أطراف داخل الحكومة وأخرى خارجها، الاّ أن التوصل الى "اتفاق" حتى وإن كان غير كامل أو يفتقد الى الشرعية حول رفع علم واحد بمواصفاته المعلومة وبالطريقة التي تم إمرارها، هو أفضل من عدم وجود علم، الأمر الذي كان مصدر شكوك وغموض خلال السنوات الثلاث الماضية، فالبعض يرفع علم الجمهورية الاول، والآخر يعترض على طريقة كتابة الله اكبر والبعض الثالث يحذفها من العلم، لدرجة أن كل جماعة وحسب هواها ترفع العلم الذي يناسبها ولا تعترف بغيره، الى درجة أصبح الأمر أقرب الى التراجيكوميديا.

كما أن رفع العلم من جانب حكومة الاقليم اختياراً أو اضطراراً وضع الجميع أمام خيار واحد " جديد" تمثّل بوجود علم "موحد" وإن كان ظرفياً أو موقتاً، لكنهم كانوا بأمس الحاجة اليه، لاسيما أن اختيار العراق لعقد المؤتمر البرلماني العربي المقبل على أراضيه يوم 11 آذار 2008 في مدينة أربيل (عاصمة الاقليم) لم يكن ممكناً أو حتى جائزاً من دون وجود العلم العراقي الموحد، الذي ينبغي رفعه على منصات المؤتمر وفوق ساريات الاستقبال، خصوصاً أن استضافة أشقاء عرب سيجعل الأمر محطّ تساؤل وتحفظ وردود فعل حتى وإن كان الجميع يدرك حقيقة ما يقرّه القانون الدولي بشأن احتلال العراق.

العلم رمز الدولة لا يجوز تغييره بتغيّر الأنظمة والحكومات، ولكن التغيير إذا أصبح استحقاقاً فلا بدّ من توافر بعض الشروط: الاول السيادة والاستقلال، الثاني برلمان منتخب بالإرادة الحرة، والثالث ظروف سلمية وطبيعية، والرابع إحالة المشاركة في تصميم العلم العراقي الى جهات فنية رفيعة المستوى وفي إطار منافسة مشروعة أو مسابقة إبداعية تأخذ في نظر الاعتبار عند التصميم المعايير الجمالية في الشكل والمضمون، لاسيما تلك التي تجسد رمزياً الوحدة الوطنية والتآخي والمشترك الانساني، لكي لا يكون شكل العلم عرضة للطوارئ وللتغييرات أو للرغبات الذاتية لهذا الفريق او ذاك.

كاتب عراقي

رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان في بريطانيا لـ الوطن:

معوقات خارجية وداخلية تمنع تطور حقوق الانسان العربي

● الدكتور عبد الحسين شعبان

بيروت - الوطن - عبد معروف

الوطن

الجمعة ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩ العدد (١٥١٧)

AL-WARRAK
BOOK SHOP
132 HAMMER SMITH RD.
LONDON W6 7 JP U.K.
TEL.: 0181-748-7500
FAX: 0181-748-7500

مكتبة
دار الوراق
المملكة المتحدة - لندن

احتفاء بالجواهري

تتشرف مكتبة الوراق ودار الكنوز الادبية بدعوتكم لحضور الامسية الثقافية التي نقيمها احتفاء بالجواهري وذلك بمناسبة صدور كتاب الدكتور عبد الحسين شعبان ((الجواهري جدل الشعر والحياة)).

برنامج الامسية

** عزف عود منفرد للفنان احمد مختار.
** الافتتاح وادارة الامسية الشاعر د.عبد اللطيف اطميش.
** المؤرخ والدبلوماسي الاستاذ نجدة فتحي صفوت .
** الشاعر والصحفي محمد علي فرحات.
** الاديب والمؤرخ د. جليل العطية.
** الناقد والاديب د.محيي الدين اللاذقاني.
** الاختتام للباحث والاديب د.عبد الحسين شعبان.

الزمان 3-3-1997
الساعة السادسة والنصف مساء الى الساعة التاسعة .
المكان (قاعة الكوفة).

المدير العام لمكتبة الوراق
ماجد شبر

REGISTER IN ENGLAND UNDER NO. 3115951

نداء من المثقفين العرب
الى الرأي العام في كل مكان

اننا ضد الحرب على العراق ومع التغيير الديمقراطي

تتصاعد التهديدات الامريكيه بضرب العراق بحجة امتلاكه أسلحة دمار شامل وعدم تطبيقه للقرارات الدوليه في حين اصبح معلوما وبسبب الرقابه على الاسلحه ولجان التفتيش بما فيها تقارير اسكوت ريتر انه تم تدمير مقتنيات العراق من السلاح وقدراته الانتاجيه مما يعتبر دريعه واهيه لاستمرار الحصار الدولي الجائر على العراق منذ 12 عاما ونيف وحجة زائفه تتعكز عليها الولايات المتحده لاستمرار عدوانها ضد الشعب العراقي وتحقيق مخططاتها التي تستهدف المنطقه برمتها.

وفي الوقت الذي ماتزال فيه اسرائيل تعزز من منشاتها النوويه وترفض أي رقابه دوليه عليها وتستمر في محق الشعب العربي الفلسطيني والتنكر لحقوقه وارتكاب المجازر بحقه خصوصا ما حصل في جنين ونابلس والخليل ورام الله وغزه وغيرها فانها لا تلقى العقاب الذي تستحقه في حين تستمر محنة العراقيين التي تستخدمها الولايات المتحده لشن الحرب ضده ولالحاق المزيد من الخراب والدمار به وبمرافقة الحيويه والاقتصاد.

اننا كمثقفين عرب ادباء وكتاب وصحافيين وفنانيين وحقوقيين ومن مختلف الاختصاصات العلميه والانسانيه نعلن عن رفضنا لشن الحرب ضد العراق. ومثلما رفضنا في السابق سياسات الحكومه العراقيه المناوئه للديمقراطيه وحقوق الانسان فاننا نعلن وقوفنا ضد الحرب وضد الخيار العسكري وضد القرارات الدوليه الجائره والمجحفه وضد المشاريع الدوليه المشبوهه التي لا تريد خيرا للعراق وشعبه ومستقبله وندعو الى رفع الحصار الدولي الجائر المفروض على العراق وتمكين الشعب العراقي من حقه في تقرير مصيره واختيار نظام الحكم الذي يناسبه ونعلن وقوفنا مجددا ضد سياسات القمع الداخلي ومن اجل انجاز التغيير الديمقراطي واحترام حقوق الانسان والحق في المواطنه والمساواة امام القانون وحل المشكله الكرديه واعادة العراق الى موقعه الطبيعي في الركب العربي وفي التصدي الحازم لمخططات القوى الطامعه.

ليسقط خيار الحرب وليتوقف التهديد العسكري وليرتفع خيار التغيير الديمقراطي بوجه الاستبداد والعسف.

الاسم	الصفه	البلد

حكومة اقليم كوردستان - العراق
رئاسة مجلس الوزراء
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
رئاسة جامعة صلاح الدين – اربيل
كلية القانون و السياسة
مكتب العميد

حكومەتی هەرێمی کوردستان - عێراق
سەرۆکایەتی ئەنجوومەنی وەزیران
وەزارەتی خوێندنی باڵا و توێژینەوەی زانستی
زانکۆی سەلاحەددین/ هەولێر
کۆلێژی یاساو رامیاری
نووسینگەی ڕاگر

Kurdistan Regional Government – Iraq / Presidency Council of Ministers/ Ministry of Higher Education & Scientific Research
Salahaddin University /Erbil/ College of Law & Politics/Morning / Dean Office

العدد: ١/١/ ٥٣ التاريخ ١١/ ٢/ ٢٠١٢ التاريخ الكوردي / /٢٧١١

الى / من يهمه الأمر
م/ تأييد نهاية خدمة

تحية طيبة...

نؤيد لكم بأن الأستاذ الدكتور (عبد الحسين عبد العزيز جابر شعبان) هو أحد تدريسيي كليتنا (كلية القانون والسياسة) في جامعة صلاح الدين في اربيل عاصمة اقليم كوردستان العراق قد أعيد الى الخدمة في العام (٢٠٠٨) بعد أن كان مفصولاً سياسياً في جامعة بغداد-مركز الدراسات الفلسطينية عام ١٩٨٠،وباشر عمله تدريسياً في كليتنا في قسم القانون في العام الدراسي (٢٠٠٩-٢٠١٠) و (٢٠١٠-٢٠١١) ولبلوغه السن القانونية أحيل الى التقاعد في (٢٠١٢/١/٢) وفقاً لقانون الخدمة الجامعية رقم ٢٣ لسنة ٢٠٠٨.

ويعد الأستاذ الدكتور عبد الحسين شعبان خبيراً في القانون الدولي بجوانبه المختلفة وأفاد كليتنا بخبراته الواسعة وتجاربه الكبيرة في المؤتمرات والمحافل الوطنية والدولية فضلاً عن مؤلفاته القيمة في المجالات القانونية والسياسية وحتى الأدبية وكان خير عون لطلابنا وعلى الأخص طلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة) سواء من خلال محاضراته أو السيمنارات التي أنجزها في الكلية أو الاستشارات القانونية الدقيقة ،هذا فضلاً عن أدبه وخلقه وسلوكه الانساني والمهني في انجاز التزاماته الأكاديمية والاجتماعية.

مع الشكر والتقدير.....

أ.م.د. حسين توفيق فيض الله
العميد

نسخة الى:
- مكتب السيد العميد.
- الصادرة.

Kurdistan Regional - Erbil
Phone : 0662260195
E.mail: law. politics @suh. ae
هەرێمی کوردستانی عێراق – هەولێر
تەلەفۆن : ٠٦٦٢٢٦٠١٩٥

كۆمەڵەی دۆستایەتی کوردی - عەرەبی
جمعية الصداقة الكردية - العربية
المنتدى الثقافي الكردي - العربي
هەولێر ١٧-٢٠/٩/٢٠٠٤

وسام اتحاد الحقوقيين العرب
UAJ
الدكتور عبد الحسين شعبان

International Scientific Conference
on the Genocide of the Kurdistan Nation
This Plaque of Appreciation
is awarded to
Dr.Abd-alhussein Shaaban

اتحاد الحقوقيين العراقيين
Iraqi Jurists Association

اتحاد الحقوقيين العرب
إهداء اتحاد الحقوقيين العرب بمناسبة الذكرى الاربعين لتأسيس الاتحاد
إلى
د. عبدالحسين شعبان

البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان
جائزة ناشط العام
١٧ مارس ٢٠٠٣
الدكتور / عبد الحسين شعبان

Mouvement Culturel Antélias
الحركة الثقافية - أنطلياس

REPUBLIC OF IRAQ

ملتقى الأديان والثقافات
عبد الحسين شعبان

شكر وتقدير
الدكتور عبد الحسين شعبان
السيد جريدة الزمان
المحترم
لقد كان لجهودكم الخيرة وما قمتم به لنا الاثر في نفوسنا حيث عرفنا عن حرصكم في اداء واجبكم تجاه قناتكم قناة الغدير الفضائية ولاسيما الآن نقدم لكم خالص الشكر والتقدير
سائلين المولى القدير ان يوفقكم ويسدد خطاكم جزاكم الله خير الجزاء
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
قناة الغدير الفضائية
المشرفون الغدير

جمهورية العراق
وزارة الثقافة
دار الشؤون الثقافية العامة
شهادة تقدير
حضرة الكاتب والمفكر الدكتور عبد الحسين شعبان المحترم
اعتزازاً بشخصكم الكريم وحضوركم المميز عبر اسهامكم
الفاعل في رفد الحركة الثقافية والمعرفية
يطيب لنا أن نقدم لكم شكرنا الجزيل وتقديرنا العالي
متمنين لكم مزيداً من الابداع والتألق والحضور
مع أسمى اعتبارنا ...

اتحاد كتاب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية
SINCE 1958
WRITERS' UNION OF AFRICA, ASIA, AND LATIN AMERICA

وسام التميز

يمنح اتحاد كتاب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية
وسام التميز ٢٠٢٤
المفكر العراقي الكبير دكتور عبد الحسين شعبان
عن كتابه
جواهر الجواهري

الأمين العام
أحمد المسلماني

The Arabisch Forum in Nederland
Appel نداء TOLERANTIE من أجل التسامح
Rotterdam 17 > 20 december 2009

شهادة تقدير

يتشرف المنتدى العربي في هولندا بمنح هذه الشهادة للدكتور عبد الحسين شعبان
تقديرا لجهوده الفكرية والعملية في دعم قيم التسامح والحوار وتجديد الفكر الإسلامي

روتردام: في 19 ديسمبر/كانون الأول 2009

رئيس المنتدى
د.خالد شوكات

إصدارات

الدكتور عبدالحسين شعبان
الاختفاء القسري
بين القانون الدولي والواقع العربي
الكيفيا نموذجا

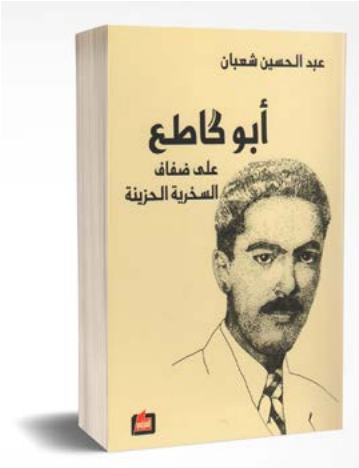
عبد الحسين شعبان
أبو كاطع
على ضفاف
السخرية الحزينة

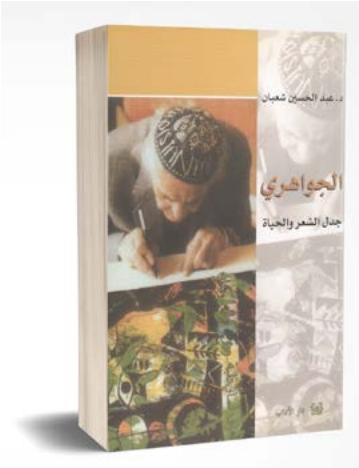
د. عبد الحسين شعبان
الجواهري
جدل الشعر والحياة

الحبر الأسود
والحبر الأحمر
من ماركس إلى الماركسية
الدكتور
عبد الحسين شعبان
2013

عبد الحسين شعبان
الزمن و النخب

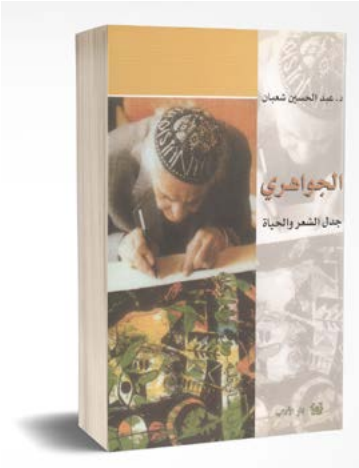
د. عبد الحسين شعبان
الجواهري
جدل الشعر والحياة

عبد الحسين شعبان
الشيخ حسين شحادة
الصنيع والرؤية
مقايسات الروح

عبد الحسين شعبان
سورة قلبية
الحق والحرف والإنسان

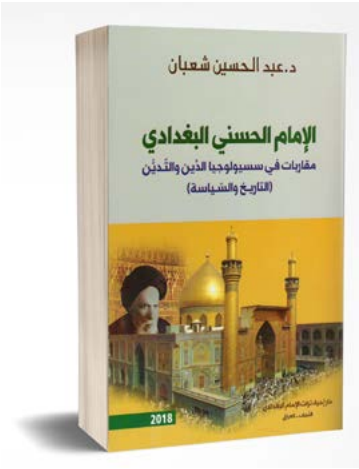
د. عبد الحسين شعبان
الإمام الحسني البغدادي
مقاربات في سسيولوجيا الدين والتدين
(التاريخ والسياسة)
2018

عبد الحسين شعبان
المثقف وفقه الأزمة
ما بعد الشيوعية الاولى

المثقف في وعيه الشقي
حوارات في ذاكرة
عبد الحسين شعبان
توفيق التميمي

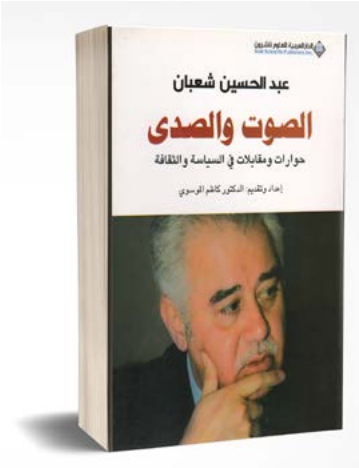
عبد الحسين شعبان
الصوت والصدى
حوارات ومقابلات في السياسة والثقافة
إعداد وتقديم الدكتور كاظم الموسوي

سعد صالح
الضوء والظل
((الوسطية))
والفرصة الضائعة
عبد الحسين شعبان

المسيحيون ملح العرب
التغيير والمواطنة والتنوع الثقافي
د عبد الحسين شعبان
ضفاف

أغصان الكرمة
المسيحيون العرب
د. عبد الحسين شعبان
2015

د. عبد الحسين شعبان
كوبا
الحلم الغامض

عبد الحسين شعبان
دين العقل
وفقه الواقع
مناظرات مع الفقيه
السيد أحمد الحسني البغدادي

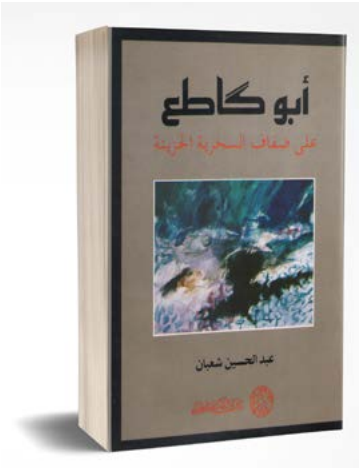
أبو كاطع
على ضفاف السحرية الحزينة
عبد الحسين شعبان

عبد الرحمن النعيمي
الرائي والمرئي وما بينهما
الدكتور عبد الحسين شعبان

الدكتور عبد الحسين شعبان
عامر عبد الله
النار ومرارة الأمل
فصل ساخن من فصول
الحركة الشيوعية

عبد الحسين شعبان
فقه التسامح
في الفكر العربي الإسلامي
الثقافة والدولة
مقدمة المطران جورج خضر

عبد الحسين شعبان
عصبة مكافحة الصهيونية
ونقض الرواية "الإسرائيلية"

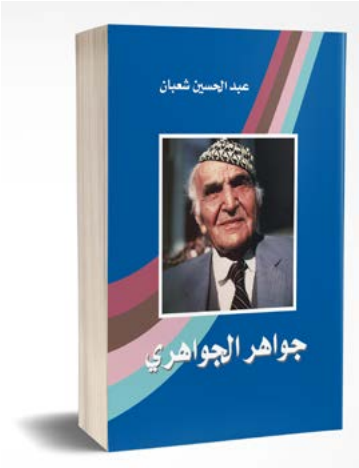
عبد الحسين شعبان
جواهر الجواهري

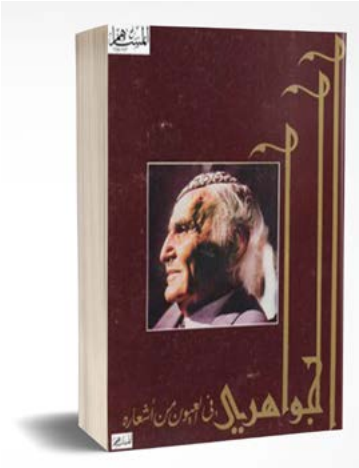
جواهري

د. عبد الحسين شعبان
مذكرات
صهيوني
يوميات إيغون ريدليخ في معسكر تيريزين

عبد الحسين شعبان
فقه التسامح
في الفكر العربي الإسلامي
الثقافة والدولة
مقدمة المطران جورج خضر

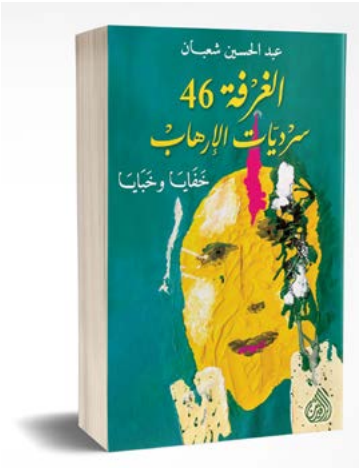
عبد الحسين شعبان
الغرفة 46
سرديات الإرهاب
خفايا وخبايا

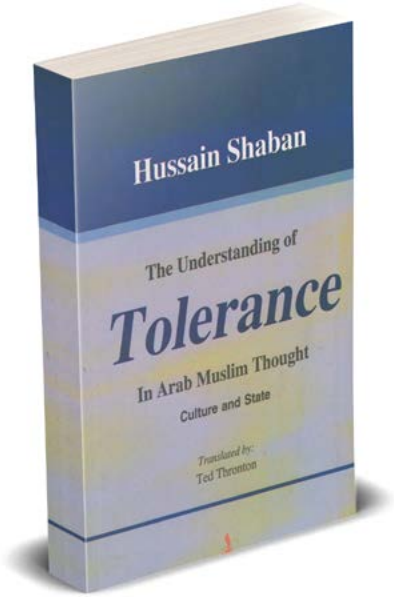
Hussain Shaban
The Understanding of
Tolerance
In Arab Muslim Thought
Culture and State
Translated by:
Ted Thronton

عبد الحسين شعبان
مظفّر النوّاب
رحلة البنفسج

مجلس الأعمال العراقي
Iraqi Business Council
JORDAN
دار النهار
IBDAA
برعاية برنامج ابداع الثقافي لمجلس الاعمال العراقي
ودار النهار للنشر والتوزيع بيروت – لبنان
يسعدنا دعوتكم
لحضور حفل توقيع واشهار كتاب
مظفر النواب
" رحلة البنفسج "
للمفكر العربي الكبير
الدكتور عبد الحسين شعبان
الساعة 7:00 مساءً يوم الاثنين الموافق 2023/09/25
على قاعة فيلادلفيا - الطابق الثاني
فندق الرويال - عمان
الدعوة عامة
بدعم:
ROYAL
عبد الحسين شعبان
مظفر النواب
رحلة البنفسج

محاضرات في القانون الدولي
الانساني و حقوق الانسان
الثبت على طلبة الدراسات العليا – الدكتوراه
في كلية القانون والسياسة – جامعة صلاح الدين
السنة الدراسية ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ – الكورس الأول
من قبل
الأستاذ الدكتور عبد الحسين شعبان

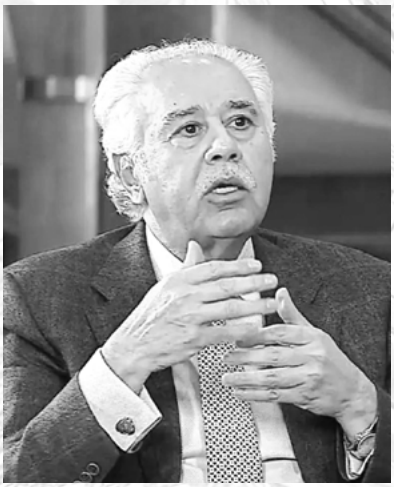

ذاكرة الكاميرا

استقبال الدكتور شعبان عند عودته إلى العراق

د. شعبان بجانب قبر الحلّاج

د. شعبان بجانب تمثال إيرنست همنغواي

د. شعبان في صورة جماعية خلال ندوة العلاقات الصينية العربية

ناصر شعبان خال د. شعبان

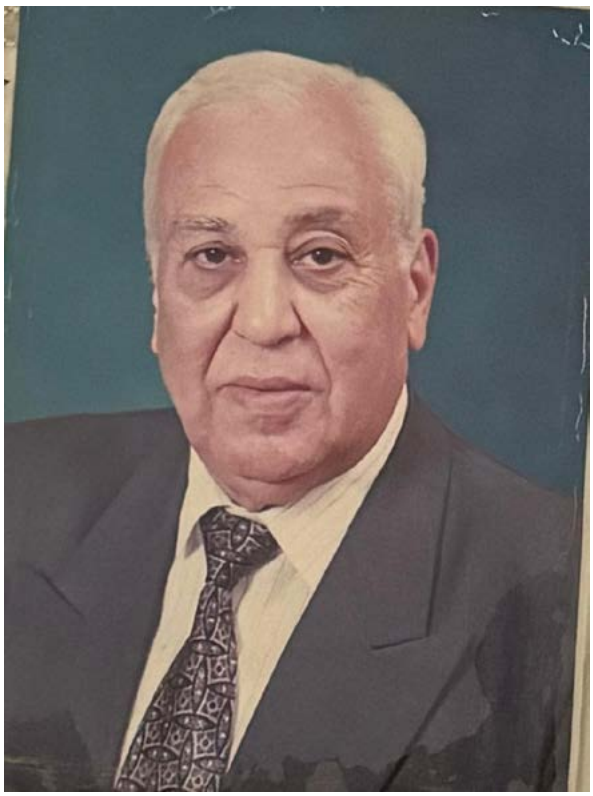

رؤوف شعبان خال د. شعبان

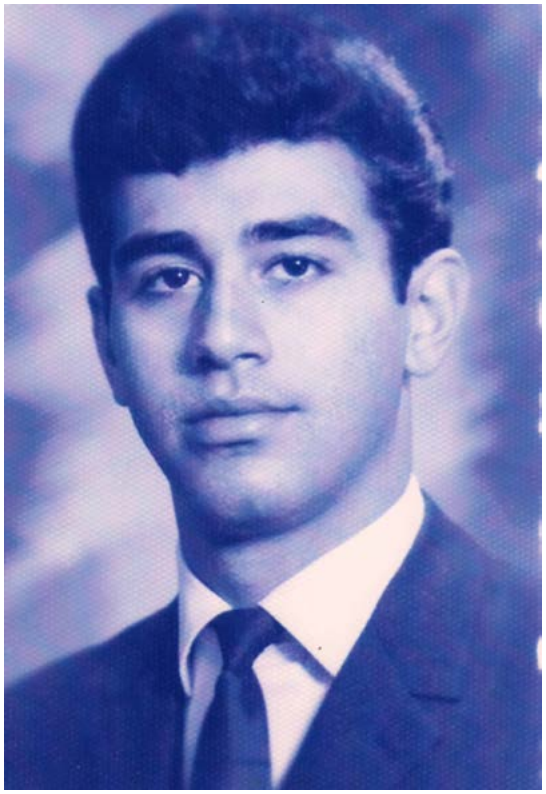

د. شعبان في فتوّته

جده الحاج حمود شعبان وخاله المحامي جليل شعبان

خلال استقبال د. شعبان في بغداد بعد عودته 2003

د. شعبان في منزل الشاعر بابلو نيرودا في تشيلي

.. ومع شقيقه حيدر

عمه د. عبد الأمير شعبان

عمه الأستاذ ضياء شعبان

د. شعبان مع مظفر النواب

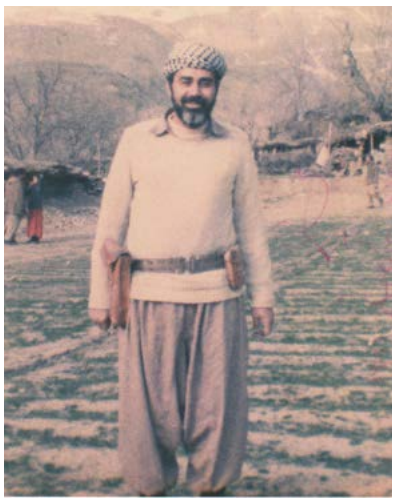

د. شعبان في بشتاشان

.. ومع الشاعر أدونيس

والدة د. شعبان

د. شعبان وهو في الصف الأول ابتدائي
مع عمه شوقي شعبان

د. شعبان بجانب أخته سميرة وأمه

.. ومع عمه شوقي شعبان

.. ومع مظفر النواب ووالدته نجاة شعبان وأخيه حيدر شعبان

د. شعبان مع أمه وأخته سلمى

عزيز شعبان والد د. عبد الحسين شعبان

د. شعبان وفاطمة أحمد ابراهيم وشبلي الملاط

د.شعبان

د. شعبان في بشتاشان

.. وبجانب قبر الحلاج

.. ويوقع كتاباً في لندن 1998

د. شعبان في بشتاشان

د.شعبان أثناء لقاء صحفي

د. شعبان مع وجدان ماهر

د. شعبان مع حفيد غاندي

.. ومع خير الدين حسيب

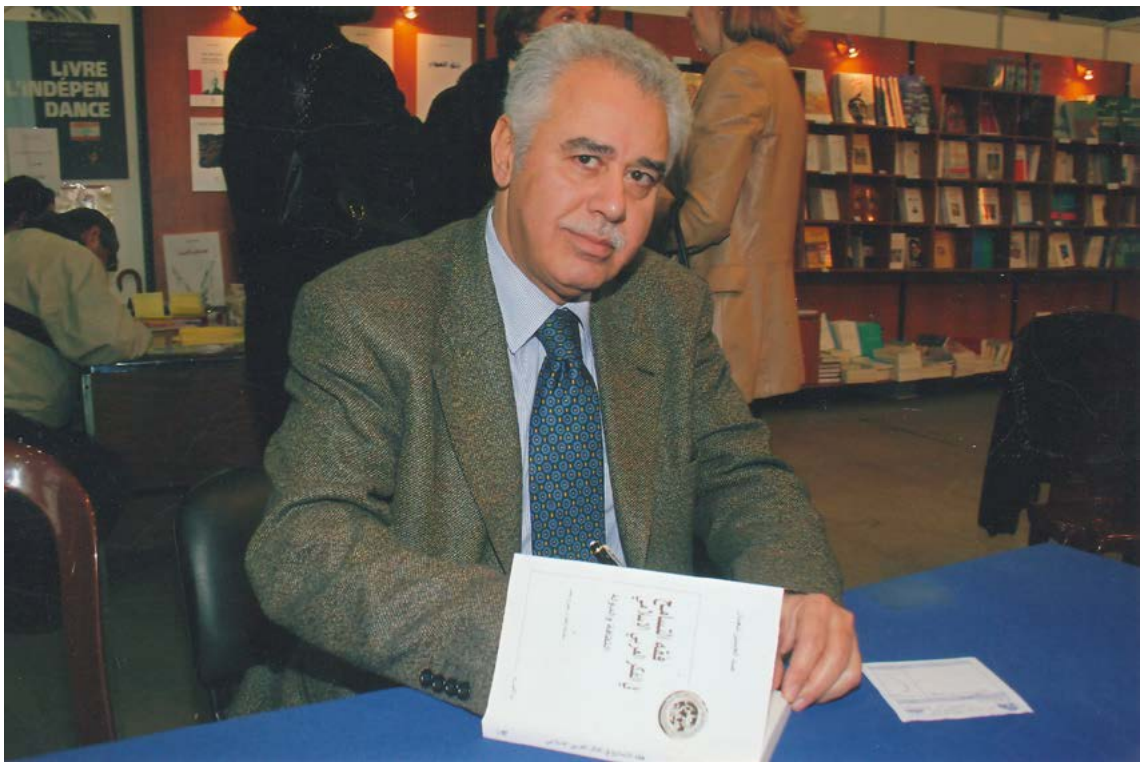

د. شعبان يوقع كتابه فقه التسامح في معرض بيروت للكتاب

استقبال جماهيري خلال عودة الدكتور شعبان إلى العراق

صورة لأعضاء جمعية الطلبة العراقيين في تشيكوسلوفاكيا ورئيسها د.شعبان

.. وخلال استقباله في بغداد بعد عودته 2003

د.شعبان بمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

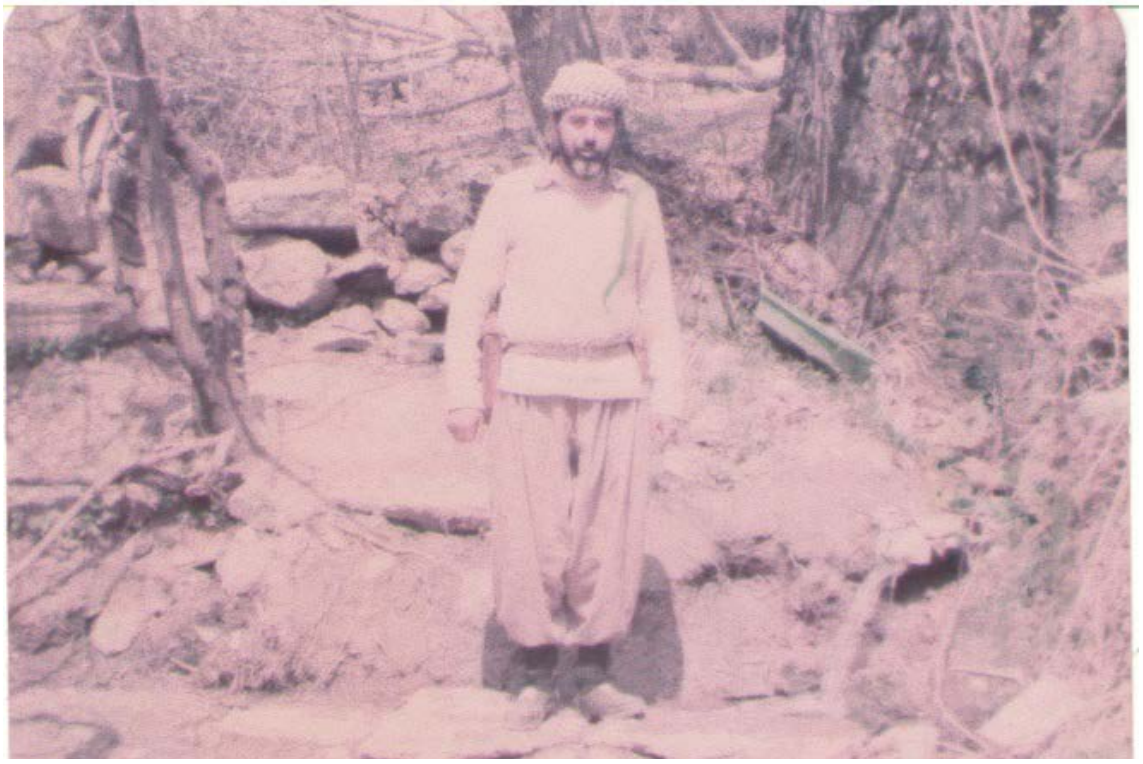

د. شعبان في بشتاشان أوائل العام 1983

.. وفي بيرسرين 2023

د. شعبان مع مجموعة من الطلبة في جامعة بغداد

صورة أخرى للدكتور شعبان مع مجموعة من الطلبة في جامعة بغداد

د. شعبان في زيارة إلى ضريح الإمام علي مع خاله رؤوف شعبان وعمه شوقي شعبان وعدد من أقاربه 2003

د. شعبان مع الشاعر أدونيس

د. شعبان مع أبو كاطع وموسى أسد الكريم (أبو عمران) ومجموعة من الشباب بعد الدفاع عن أطروحة الدكتوراه

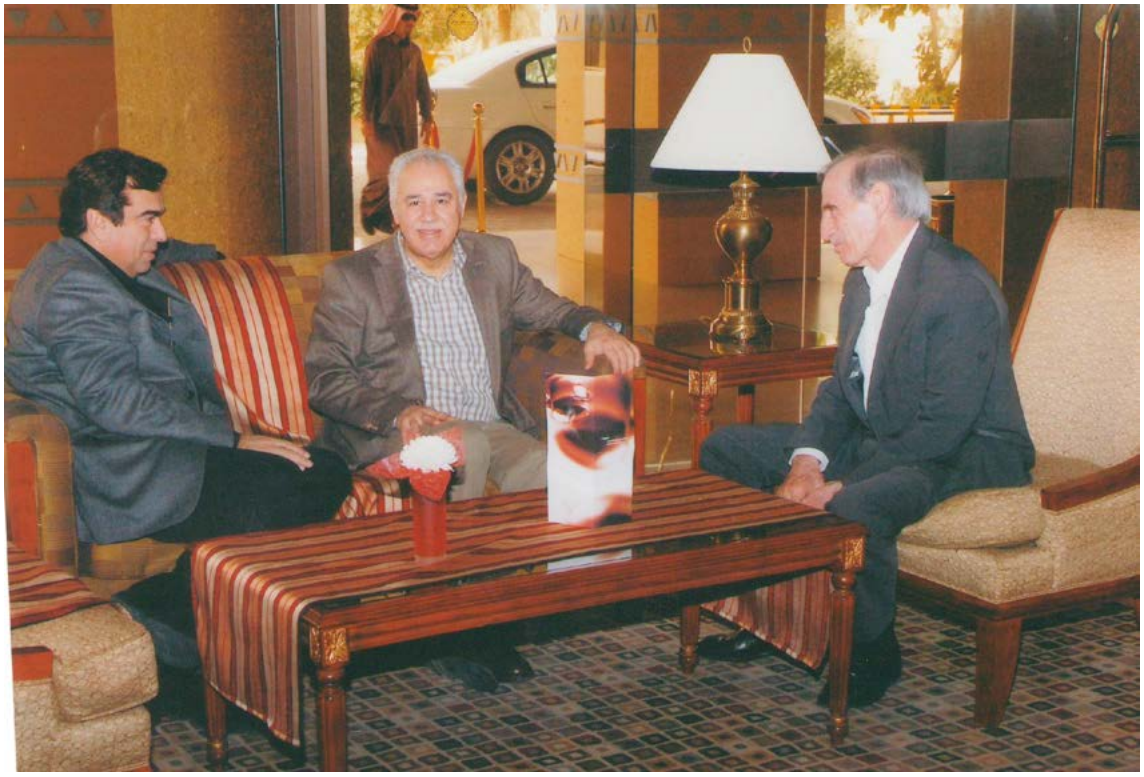

د. شعبان يتوسط الصحافي جهاد الخازن والإعلامي جورج قرداحي

د. شعبان مع شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري

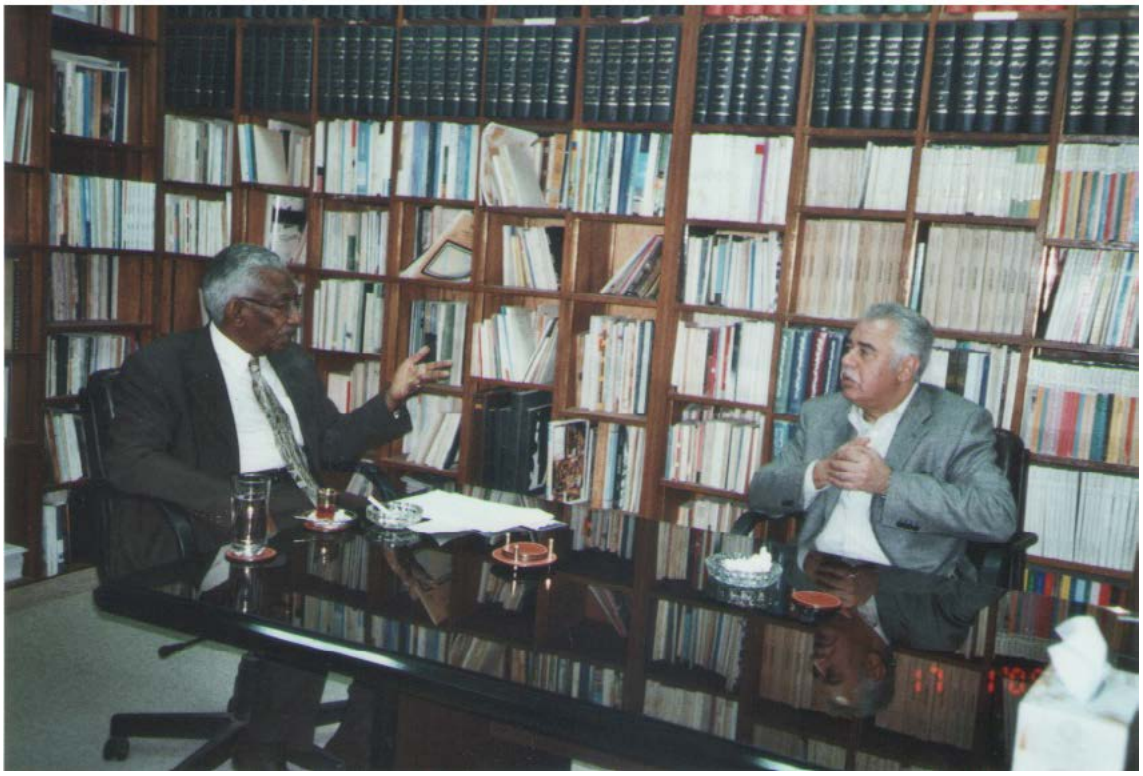

د. شعبان مع الدكتور أحمد الخطيب

د. شعبان مع محمد فايق ود. بطرس غالي

د. شعبان في حديث مع د. ليلى شرف

د. شعبان مع د. نزيهة الدليمي وسوسن البرّاك

.. ومع الشاعر سعدي يوسف

.. ومع الطيب صالح

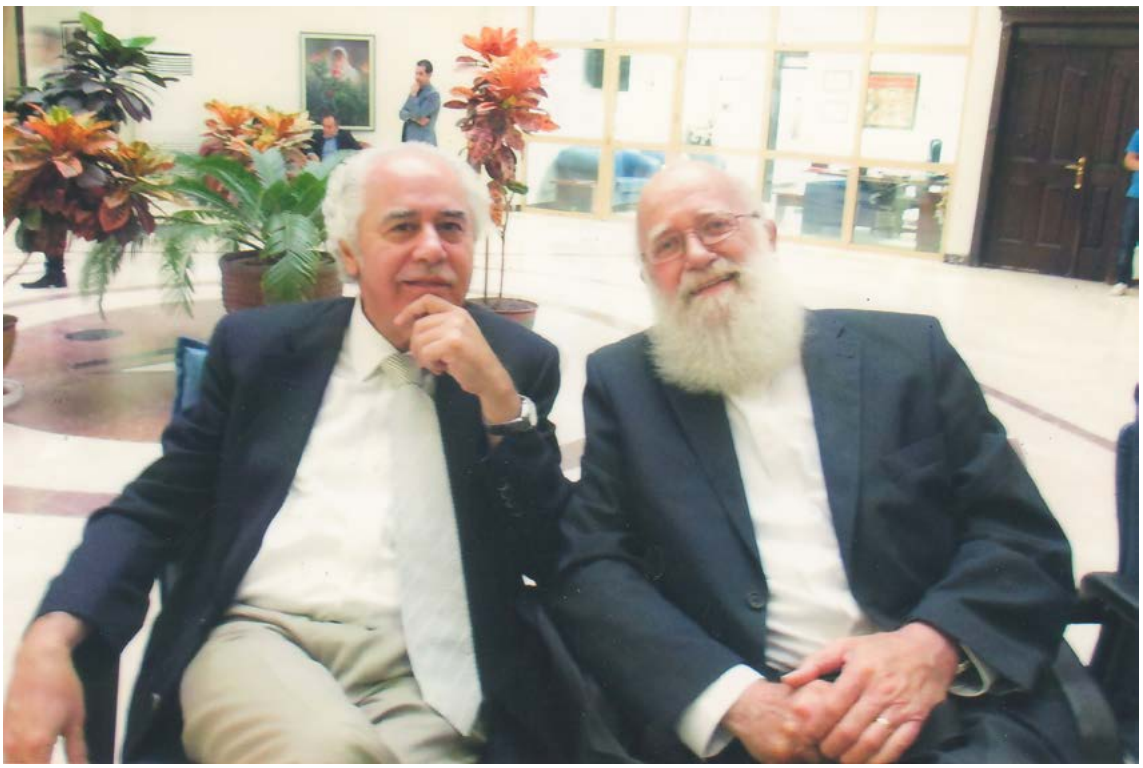

د. شعبان مع الفيلسوف العالمي اللاعنفي جان ماري مولر في أربيل

.. ومع المخرج السينمائي قاسم حول

.. ومع المخرج المسرحي جواد الأسدي

د. شعبان يزور قبر بريخت بصحبة بلند الحيدري

د. شعبان مع جاسم القطامي من الكويت والوزير الطيب البكوش من تونس

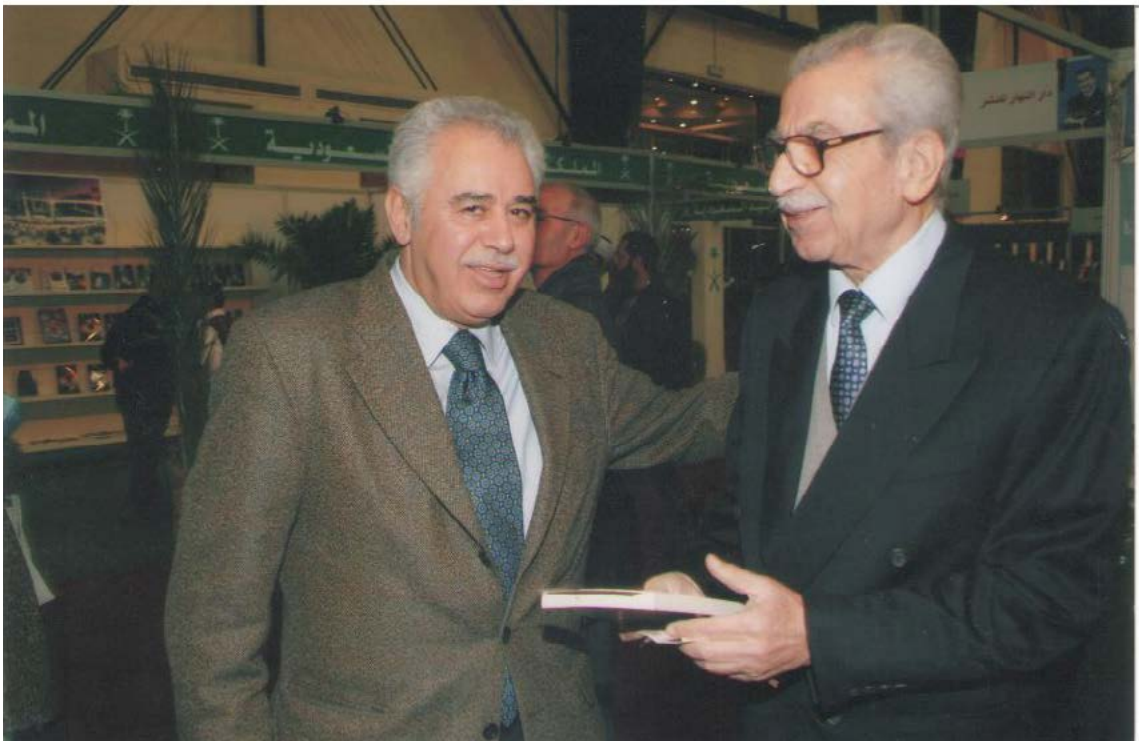

د. شعبان مع حبيب صادق أمين عام مجلس لبنان الثقافي الجنوبي في معرض الكتاب

د. شعبان مع صاحب الحكيم

د. شعبان مع عبدالرحمن النعيمي الشهير بـ (سعيد سيف) مؤسس حركة وعد في البحرين

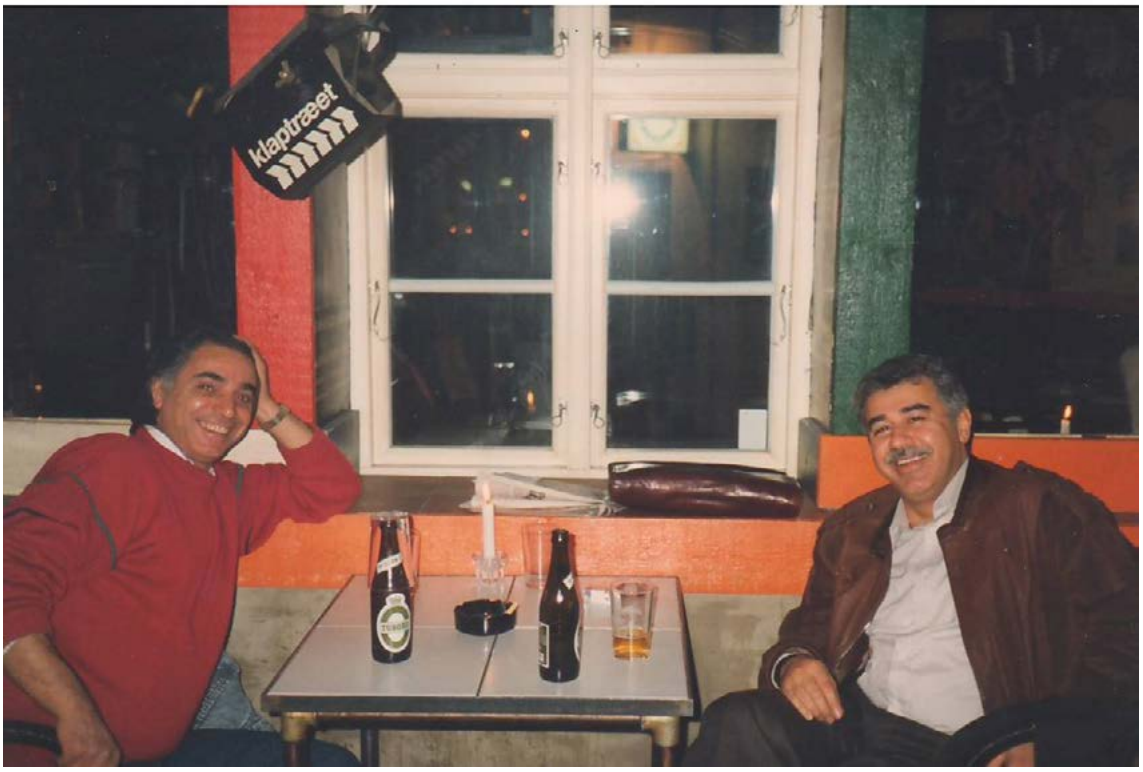

.. ومع كوكب حمزة

.. ومع ليلى خالد

.. ومع محمود البياتي

.. ومع ناهدة الرماح

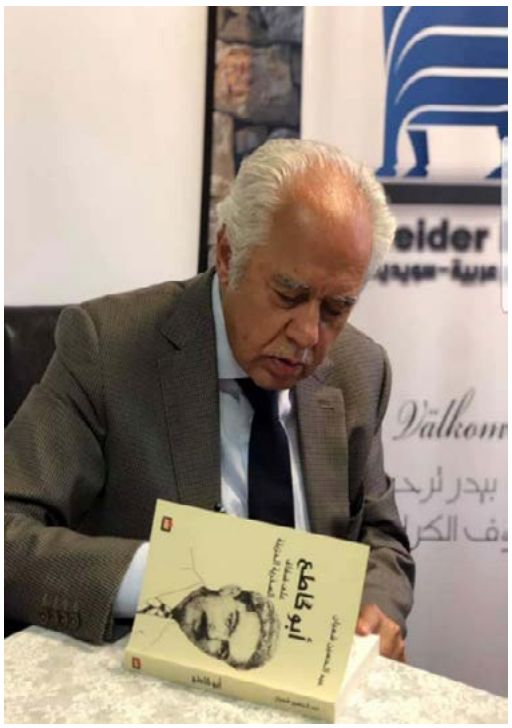

د. شعبان يوقع كتاب أبو كاطع في الكويت

.. ومع نصير شمّا

د. شعبان يلقي محاضرة في النجف

د. شعبان يتسلم وساماً من اتحاد الحقوقيين العراقيين في حفل تكريمه

د. شعبان يتسلم وساماً في احتفالية تكريمه في القاهرة العام 2003 مع محمد فايق وحجاج نايل

د. شعبان في جامعة الدول العربية في القاهرة أثناء ورشة عمل مراجعة القوانين المتعلقة بالإيدز 2005

د. شعبان مشاركاً في ندوة الحقوقيين العرب في عمان

المحتويات

يوم الوفاء.. وتجليات الفكر النهضوي
د. سعاد محمد الصباح..... 7
الطريق إلى الحرية والحداثة والتنوير 13
اليسار الأخلاقي.. عبد الحسين شعبان نموذجاً
أحمد المسلماني..... 27
«الماركسية الجديدة» وأزمة اليسار العربي قراءة في مفهوم د.عبد الحسين شعبان
د. أحمد بهاء الدين شعبان..... 39
مقالات المفكر عبد الحسين شعبان دراسة في البناء الفني
أ.د. أحمد عبد المجيد..... 53
رؤية الدكتور عبد الحسين شعبان إلى قضايا العصر ومشكلاته
د.أحمد نزال..... 63
في يوم الوفاء.. شهادة وفاء
أمجد توفيق 75
داعيةُ اللاعُنف وذوّاقةُ الشِّعر
د.إلهام كلّاب 83
شعبان.. شذرات من فكره القانوني والدستوري
امحمد المالكي..... 91
عبد الحسين شعبان واللّاعُنف
د. أوغاريت يونان..... 107
إلّا فلسطين!!
د. إياد البرغوثي..... 125
عبد الحسين شعبان.. اسم مُشرِّف في سورية
د. جورج جبور 135
شعبان من خلال «المثقف وفقه الأزمة»
د.حامد الحمود 145

عبد الحسين شعبان.. المُتفرّد فكراً وسلوكاً
حسن عبد الحميد 163
السياسة في مواجهة العنف
حسن المغربي..... 177
الاجتماع الديني وثقافاته في خطاب المفكر العربي الكبير الدكتور عبد الحسين شعبان
حسين أحمد شحادة..... 189
عبد الحسين شعبان ونظريته في تعظيم المشتركات
د. خالد شوكات..... 201
فيض فكري في عصر القحط الثقافي
د. رولا دشتي 209
أمسية البنفسج
د. ريم عبد الغني..... 217
شعبان.. من ثِمارِه تعرفونه
زياد شبيب..... 225
المفكّر عبد الحسين شعبان.. نظرة شخصيّة
سرو قادر..... 233
الإنسان والمفكر
سعاد العلس..... 241
نموذج المفكر الراقي.. نموذج الفكر النشط
سمير الحباشنة..... 249
أرادنا نسخة أفضل من أنفسنا
سنا شعبان 952
واحة اسمها شعبان
د. سناء شامي..... 265
حين توجد إرادة توجد طريقة
سوسن شعبان 772
المثقّف العضوي وهموم الناس
د.شيرزاد النجار..... 283
وضوح الرؤية وروح الوفاق
د. الصادق الفقيه 301

أيقونة اليسار العربي
د. عاطف مغاوري 317
عبد الحسين شعبان.. وتواضع العلماء
د. عبد الباري طاهر 323
أنسنة المعرفة
د. عبد الباسط بن حسن 345
El Houssein CHAABAN, La presencia noble, ausente o presente.
عبد السلام بوطيب 351
شعبان والماركسية النقدية العربية
د. عبد الله ولد أباه 363
من عكد السلام.. إلى فضاء الكونيّة الانزياح الإنسانوي
د. عبد علي كاظم المعموري 371
إنسانية وفكر
د.عروس الزبير 383
عيون من يوميات نصف قرن
عصام حافظ الزند 391
مراجعات المثقف النقدي
علي حسن الفواز 401
عن قلمٍ اسمُه عبد الحسين شعبان
د. عمران القيسي 415
المفكر العربي
د. فرهاد محمد 423
رحلة العطاء التي لا تنضب
د. فريدة العلاقي 435
العراق الذي في خاطري
لبنى بن عبد الله 441
بورتريه عبد الحسين شعبان
لوركا سبيتي 451
المثقف المشتبك وثقافة المواطنة بين نمطية الانتماء والهويات المتقاتلة
د.محمد الحوراني 459

المتمرد الملتزم
د. محمد الرميحي..... 469
مثقّف موسوعي ومفكّر مبدع
محمد رشيد..... 475
أسئلة فلسطين في المشروع الثقافي العربي
مروان عبد العال 483
شعلة الوصال.. المثقف الإنسان
د. مريم المنصور الصادق المهدي..... 497
أيقونة الثقافة المشرقيّة
د.مظهر محمد صالح 507
سفير المعرفة العراقي
ملا بختيار 519
الدكتور شعبان وحرفة الثقافة
د.مهدي جابر مهدي 529
تأملات شخصية في فكر الدكتور عبد الحسين شعبان
د. نصير شمة 541
المُبدع الأكثر بهاءً
د.نوال الحوار 549
الصانع الأمهر
د. نوفل أبو رغيف..... 557
نافِذة مُختصَرة
د. وسيم الخوري حرب..... 565
أنسنة الهويّات وشيطنتها حول مفهوم الهويّة في فكر د.عبد الحسين شعبان
د. يسري مصطفى..... 571

قالوا في د.عبد الحسين شعبان..... 581
أرشيف الصحافة 621
اصدارات 665
ذاكرة الكاميرا..... 671

من متطلبات الحكمة في العمل الفكري الحر أن يكون من يقولُ به متخلصاً من أهوائه الشخصية، متحلّياً بالنكران الإيجابي للذات، مُقْصياً جمود التعصب الفكري، مُتأقلماً مع الزمن.

وها نحن اليوم، ومن خلال مبادرة (يوم الوفاء)، نستقبل أحد عطاءات نهر الفرات السخية، متمثلاً بالمفكر العراقي الدكتور عبدالحسين شعبان.. استكمالاً لما بدأناه منذ مطلع التسعينيات، تنفيذاً لخطٍّ رسمه الراحل الكبير سمو الشيخ عبدالله مبارك الصباح طيب الله ثراه، حين اقترح تكريم المفكّرين العرب في حياتهم، كسراً للعادة المحزنة التي اعتدناها وورثناها بعدم تكريم أهل العطاء إلا بعد رحيلهم عن الدنيا، ليختلط التأبين بالتكريم، ونركض لمصافحة يدٍ ملفوفة بكفنها.

وعلى منهج عصر التنوير القائم على كتابة فلسفية تستقطب جمهوراً ثقافياً واسعاً نحو الإبداع، قدم د.شعبان أطروحات تأسيسية رائدة في الفكر الثقافي والاجتماعي والقانوني، واهباً المجتمع خارطة طريق لما يجب أن يكون عليه.. نائياً بنفسه عن تبجيل الغرب وعن التغريب كذلك، مما هيأ عمق تلك المراجعات، وأشكال الإفصاح عنها، فكان هادئاً ومنطقياً، كأنما يضع قدميه على قاعدة المقدمات التي تؤكّدها نتائجها..

د.سعاد الصباح

دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع